ممن اجتمع بلاده أكثر من حصا البطحاء ورمال الدهناء وتفرق فى الآفاق منهم ومن سائر
الفضلاء حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف فاحتملوا بذل المهج
ولم يعارض الى مدة ثمانمائة واحدى وثلاثين من الحجج الا معارضة ركيكة هى ضحكة
للناظرين ومنهم من تعلل بأنه سحر مبين مع أن المعجزة القولية لا مجال لتوهم السحر فيها
ولا سبيل لاسبابه اليها مع انها فى جميع وجوه الهداية بلغت أقصى الغاية وأشارت الى
ما لا يتناهى من فوائد العلوم المهمة فى باب الديانة فأقامت من الحجج ورفع الشبه ما عجز عنه
أهل الملل والفلسفة وقد اعترف بفضله من يعتد به منهم وشهد له كتب من تقدم من المرسلين
ولذلك ظهر دينه على كل دين وكان علماء امته كانبياء بنى اسرائيل فى فتح أبواب اليقين
ونصب كل سلطان مبين وكثر أولياء أمته بالكرامات التى هى كمعجزات الاولين وقد أعطى
منها ما سبق به السابقين لخروج الماء من الاصابع أغرب من خروجه من الحجر وشق الحجر
دون شق القمر والبراق الرائح الى ما فوق السموات بليلة مع الرجوع قبل الفجر أجل من
ريح غدوها شهر ورواحها شهر وتكلم الشاة المسمومة وتسبيح الحصا وحنين الجذع أتم
من الاحيا محمد سيد الرسل المخصوص بأكمل السبل وأقربها الاسهل الاجل لذلك كان
ناسخ الملل وفاسخ الدول صلى الله عليه وعلى آله الذين فاقوا سائر الامم بما استنبطوا من
الكتاب والسنة من العلوم المهمة التى آثاروا بها قلوب العالمين وزينوا بها ألسن
العاملين وقوموا بها أعضاء العابدين صلاة تنمو الى أبد الآبدين وسلم كثيرا (وبعد)
فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمث أكثرهن انس قبلى ولا جان ولم يكن لى
أن أمسهن اذ لا يمسهن الا المطهرون وأنا غريق بحر خبث هلك فيه الا كثرون ولكن الله
سبحانه وتعالى من على بالتيسير فى خطابهن الخطير بمحض فضله اذ هو بكل فضل جدير وعلى
كل شئ قدير فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمراياجمالهن صور الاعجاز من
بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الالغاز فيظهر به انها
جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته فكل كلمة
سلطان دارها وكل آية برهان جارها وان ما توهم فيها من التكرار من قصور الانظار
العاجزة عن الاستكثار ولا بد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة وتقرير الادلة
القوية وكشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل فى
انمار المقدمات ولا بعاد فى اعتبار المناسبات مع وفاء بالاغراض وشفاء للامراض بما
فيها من أغذية طيبة لا يعقب اختلالا ولا ملالا وأدوية حلوة جامعة للمنافع حالا ومآلا
وثمرات أشجار أصولها ثابتة وفروعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين لطوائف العلماء
لا مقطوعة ولا ممنوعة ومع كونها مرفوعة قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم
فى الايام الخالية تجرى من تحتها الانهار من الانوار المتضمنة للاسرار بل مرج فيها بحرى
الظاهر والباطن يلتقيان بالتوفيق وان كان بينهما برزخ التفاوت فلا يبغيان فى التحقيق

قال الامام أبو بكر محمد
ابن عزيز السجستانى رحمه
الله (قال) الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما
هذا تفسير غريب القرآن
ألف على حروف المعجم
ليقرب تناوله ويسهل
حفظه على من أراده
وبالله التوفيق والعون
(الهمزة المتوحدة)
(الم) وسائر حروف الهجاء
فى أوائل السور كان بعض
المفسرين يجعلها أسماء

يحرج مهماس لطائف الشريعة والطريقة والحقيقة اللؤلؤ والمرجان لتحلية السن أهلها والاذهان ويجرى فيهما اعلام العلوم برياح الفهوم علوءة بامتعة الاصول المقررة لتحصل أرباح جواهر الفروع المكثرة أو لحمل حمول الحجج القاطعة وأدلة البينات الساطعة لقتال أعداء الدين والاستيلاء على قلاع شبهاتهم التى هى عندهم أعلى حصن حصين تحملها قلاعا مفصما بعد استتار الحصن كأنها أعز متين ويلج حلودهم التى تحلدوا بها على مقاومة كل سلطان مبين من براهين اليقين حتى يصير أسودهم قرودا خاسئين ومواردهم سود الوجوه فى نار القهر خالدين ويصير أهل الحق فى نعم التحقيق لا يمسهم فيها نصب يسير عليهم شراب علم اليقين بل يجعله بمثابة الشارب على عين اليقين يبصرون بها الآيات الآفاق والانفس التى تجلى الله بها لأهل حق اليقين مع انى لم أغص بحارهم ولم أشق غبارهم ولم أقف آثارهم وبضاعة علومى وأعمالى مزجاة وأستار الجهل والكسل على مرخاة ولكن الله غالب على أمره عن على من يشاء فوق قدره بفضل على من موجبات شكره أن بصرنى ما يتميز به لباب كل مه من قشره ويسر لى الاطلاع على بعض ما خفى من سره *(الدالّ بحسنه تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى اعجاز القرآن)* فسألته من فضله أن يزيد بالبصيرة بأسراره وغوصا فى بحاره وتوفيقا لاقتفاء آثاره واقتباس أنواره والقيام بشكره والتحفظ من قهره ومكره وأن ينفع بكتابى الطالبين ويجعلهم فيه راغبين ويرحمنى وإياهم ومن دعا لى منهم ويتصل فى دعوته برحمته انه هو أرحم الراحمين *(ولنقدم أمورا)* الاول اتفقت الملل على أنه تعالى متكلم بخبر طالب ولا يصير متكلما الا بقيام صفته به اذ لو صار بخلقه فى غيره لصار بخلق السواد اسود وليست صفته هذه العبارات التى هى اعراض غير قارة مؤلفة مرتبة اذ ليس محلا للحوادث وهى غير العلم اذ لا طلبية وغير الارادة اذ لا اخبار بها وليس الطلب نفس الارادة اذ قد يطلب من الشخص ما لا يريده منه لاظهار عصيانه وليس بمجرد الصيغة وليس الاخبار نفس العلم اذ قد يخبر بخلاف ما يعلم ولا سيما فى اخبار وطلب نفسيين بلا سماع سامع اذ لا يقصد التعلق به وقت وجوده ولا كذب فى التعبير بالماضى عند اعتبار زمن الاخبار ولا تعدد فهذه الصفة وان تعلقت بما لا يتناهى فلا تأليف ولا ترتيب وليست نفس المقسم الى الاخبار والطلب انشاء مرتبة بل من متعلقاته وهو نفس المتلو والمحفوظ والمكتوب وان كانت التلاوة والحفظ والكتابة منا وان أريد بها الحاصل بالمصدر حادثة والقرآن اسم لذلك المعنى ولهذه العبارات بالاشتراك والاول كلام الله تعالى بمعنى انه صفته والثانى بمعنى انه ليس من صنع غيره والمطلق على العبارات كلى يطلق على الكل والبعض وهو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحدى بسورة منه فعجز أهل عصره ومن بعدهم عنه لانه أحلى من نظمهم ونثرهم مع مخالفته لاساليبهم اذ كل معنى جمع من علوم جمة مالا يتناهى من فوائد مهمة فى ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشمل لها العلوم ويشملها ويشتمل على أصول مسائلها مع دلائلها ورفع الشبه عنها لا تجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماته

السور نعرف كل سورة عما تضمنت به وبعضهم يجعلها أقساما أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها لانها مبادى كتبه المنزلة ومبانى أسمائه الحسنى وصفاته العلا وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من أسمائه عز وجل كقول ابن عباس فى كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق (أأنذرتهم) أأعلمتهم بما يحذرهم ولا يكون المعلم

وترتيب آياته الذى يستفرغ فيه الى تأمل كامل وتدبر تام من ذى علوم كثيرة وباعتبار استقلالها
بالنزول وعدم الارتباط فى الظاهر مع اعتبار المعانى الحقيقية والمجازية والاشارات من شبهة
الاشتقاق وغيرها والاستدلالات من جمع متفرقها أو ردها الى الاحاديث النبوية
أو القواعد العقلية أو الفوائد الكشفية * (الثانى) * الانزال الايواء أو التحويل من علو الى
سفل كانزال الجيش أو المطر ولما كان انما الحركة وليست الصفة الانتقية الموصوف اذا
استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى القائم به ولا العبارات الغير المستقرة فلا بد من التجوز بأن
يقال ظهر ذلك المعنى فى القلم الاعلى ملبسة الحقائق المجردة للحروف ثم زاد ظهورها اللوح
المحفوظ ثم لم يزل يزداد حتى وصل الى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبه أو يقال وصف
بوصف حامله باعتبار حمله نفس المعنى أو الصور المحفوظة أو المكتوبة أو باعتبار قيام
الالفاظ به ولو عند الاداء الى المنزل عليه والسر فى انزال العبارات حسب الفاصرين عما
يناسبهم من الاصوات والحروف منهم الى ما يناسبهم من معانيها وحقائقها كتعليم الحيوانات
العجم بخطابهم بما يناسبهم لكن هذا المنزل لما كان معجزا ظهرت به عظمته وكان أشد الجذب
الى الكمالات بإسعادة الاعتقادات والاحكام وعلوم المعاملة والمكاشفة وغيرها مما لا يتناهى
* (الثالث) * الاستنباط قال عليه الصلاة والسلام من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده
من النار * قال الامام حجة الاسلام فى الاحياء تحريم التكلم فيه بغير المسموع باطل اذ لا يصادف
السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى بعض الآيات والصحابة رضى الله عنهم ومن
بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع ويمتنع سماع الجميع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاخبار والآثار تدل على اتساع معانيه قال عليه السلام لابن عباس رضى الله
عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فلو كان مسموعا فلا وجه للتخصيص وقال عز وجل
لعلمه الذين يستنبطونه وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقال على
رضى الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقال ابن مسعود من
أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم
وما بقى من فهمها أكثر وقال آخر القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ لكل
كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وفى القرآن اشارة الى مجامع العلوم وكل ما أشكل على النظار
ففى القرآن رموز اليه فالنهى اما عن التأويل على وفق ماله من الرأى الذى لولاه لم يلح له كى
يلبس على خصمه بالتمسك بآية على تصحيح بدعته مع علمه بأنه ليس بمراد وقد يكون لغرض
صحيح فيتمسك عليه بآية يعلم أنه ليس المراد منها كمن يدعو الى مجاهدة النفس فيتمسك بقوله
عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى نفسه وقد تكون الآية محتملة فيميل فهمه الى
ما يوافق غرضه واما عن التسارع الى الباطن قبل احكام الظاهر فانه كالمتولج الى صدر
البيت قبل مجاوزة الباب هذا حاصل كلامه * وقال شارح التأويلات أجمعوا على استخراج
معانيه بالرأى واختلفوا فى التوفيق بينه وبين الاحاديث فقيل التفسير بيان سبب النزول

متدراحتى يحذر باعلامه
فكل منذر معلم وليس كل
معلم منذرا (أندادا) أمثالا
ونظراء واحدهم ند
(ازلهما الشيطان) أى
استزلهما يقال ازلته فزل
وازالهما نحاهما يقال
ازلته فزال (آل فرعون)
قومه وأهل دينه
(آيات) علامات وعجائب
أيضا وآية من القرآن
كلام متصل الى انقطاعه
وقيل معنى آية من القرآن
أى جماعة حروف يقال
خرج القوم بآيتهم أى
بجماعتهم
(قال الشاعر)

والتأويل بيان مايحتمل اللفظ وقد جعل الله القرآن أصلا لجميع مايحتاج اليه وليس كله منصوصا فلابد من الاستخراج بالرأى بالعرض على الاصول وقيل التفسير بيان حقيقة اللفظ اذا علمت والتأويل صرف اللفظ المحتمل الى بعض وجوهه لموافقته للاصول فلو قطع منه كان تفسيرا بالرأى • وقال الشيخ أبو منصور التفسير هو القطع فان كان ثمة دليل قطعى صح والا حرم لما فيه من الشهادة على الله بما لايؤمن فيه الكذب والتأويل بيان عاقبة الاحتمال بغالب الرأى بلا قطع وقيل باتحاد التفسير والتأويل فالذى بالرأى هو الصادر عن العقل دون العرض على الاصول من آية محكمة أو خبر متواتر أو اجماع فالسلف اعما فسروا القرآن بدليل اذنوا بالعمل بغلبة بأبلغ الاجتهاد وقيل التفسير بالاجتهاد والعرض على الاصول تفسير بالرأى لكنه نوعان مذموم يشهد فيه على الله بكونه حقا ومحمود يعتقد حقيقته بغالب الرأى مع احتمال الخطا وقيل المذموم جعل الرأى معيارا لما جاء به القرآن فيفسر على وفقه تقريرا له ويترك ظاهر القرآن والمحمود جعل الرأى تابعا لدلالة القرآن وقيل المنهى تفسير المتشابه لانه غلو فيما لايحتاج اليه وأما المحتاج اليه فتفسيره بالرأى مأمور هذا حاصل كلامه (وأقول) لك أن تحمل النهى على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم فله فوائد لاتحصى والممنوع حمله على ظاهره أو على مايهواه

•(الكلام فى الاستعاذة)•

ليست من القرآن بل مقدمة القراءة أوجبها ابن عطاء لكل قراءة واشهر عباراتها اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العوذ الالتجاء أو الاعتصام أو التحصن أو الاستعانة والباء للالصاق أى ألصق التجائى بحفظ الله او اعتصامى بقوته أو تحصنى بمنعه أو استعانتى بفضله ولك تبديل الصلة والشيطان من الشطن وهو البعد لبعده عن الله أو الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله اذا بعد من أجله أو من الشيط وهو البطلان أو الهلاك أو الاحتراق لانه باطل فى نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من أجله هالك باللعنة يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذا رآه يتقرب الى ربه والمستعاذ منه وسواسه واغواؤه وجميع شروره بل نفسه لانه بذاته شر يستعاذ منه والرجيم من الرجم وهو الرمى بالحجارة لانه يرمى بالسب والشهب ويدل على وجوده رؤية جم غفير من الانبياء والاولياء صورته وسماعهم صوته والآيات والاخبار وماله من الافعال كمه مجنونا يشبق بالرقى وقد علم من سنة الله أنه لايفعل شيأ الابسبب يخصه ولهذا اذا استنارت حيطان البيت واسود سقفه علم أن سبب الاستنارة غير سبب الاسوداد فكذا أسباب استنارة القلب واسوداده فيقع فيه افكار واذكار يستبصر فيها تارة و يتحير أخرى فالمبصر ملك خلق لافاضة النافع فى العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمحير شيطان خلق لضد ذلك • واختلف فى حقيقته فقيل مجرد يتصرف بالتعلق ويدل بما له هى كرة الاثير وأثر له به خلقه من نار و يتميز عن الله تعالى بالمرتبة وليست التجرد أخص صفاته بل هو القيومية وقيل القوة المتوهمة أو المتخيلة المعارضة للعاقلة خلق من الحرارة الغريزية وقيل جسم

خرجنا من النعيم لاحى منلنا
بآتينا نزجى القلاح الطافلا
أى بجماعتنا

(أمانى) جمع أمنية وهى التلاوة ومنه قوله اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى اذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته والامانى الاكاذيب أيضا ومنه قول عثمان رضى الله عنه ماتمنيت منذ أسلمت أى ماكذبت وقول بعض

نارى والصحيح أنه من العناصر لكن الغالب عليه النار ولا يحس بها لانكسارها بالامتزاج ولا يجب رؤية الكثيف اذا لم يتلون ولا يمتنع نفوذه بطريق الضوء ولا قدرة اللطيف على الافعال لولم يرق قوامه بل النار والريح أقوى ولا تشكل الجسم بالاشكال المختلفة كما في السحر ولا تشكل المجرد من عالم المثال بما يناسب ما غلب عليه ولا يغلط فيه اذا رآه القلب من وجهه الذى يلى الملكوت عند اشراقه على باطن سر القلب والصورة فيها تابعة الصفة فيرى الشيطان فى صورة كلب أو خنزير أو ضفدع بخلاف رؤيته من الوجه الذى يلى عالم الملك فانه كثيرا ما يحصل لخلل الدماغ والاول يختص بالكمل ولا يخل وجود الشيطان الوثوق بالمعجزات لاختصاصها بالنفس الخيرة الداعية الى وجوه الخير المحض فى العموم والشيطان ان دعا الى خير فلتفويت خير أعظم أو جر شر لا يفى به ومن عداوته حمله العوام على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وأسرار النبوة والامور الاخروية وافضاؤه بهم الى انكارها مع قيام البراهين القاطعة عليها وأنه يعدهم الامان من عذاب الله واليأس من ثوابه من غير شبهة فضلا عن حجة وكفى دليلا فيه خلق الله العقل فى الانسان ليفوز بالثواب وينجو عن العذاب لا ليتعب مع استراحة البهائم وأنه يعد على عبادة الاوثان التقرب الى الله ويخوف من قهرها فى ترك عبادتها او يأمرهم بالاخلاص فيها ويغرق المصلى فى بحار الرياء والعجب وينسيه الافعال وعدد الركعات ويوقعه فى تحسين النية ومخارج الحروف ويذهب به الى مهمات لا تخطر بالله فى غيرها ولا تفيده أبدا ويخوف بالفقر فى اعطاء الزكاة ويحث على الانفاق فى المحرمات ويخيل حصر اللذات فى الشهوات والجاه والعجز والذلة عند عدم امضاء الغضب ويرى التعب فى عبادة الله تعالى ويسهل على الكفار تحمل المشاق فى عبادة الاوثان ويمنع عن القتل فى سبيل الله ويحث الكفار على قتل أنفسهم عند الاوثان وقتل من يدعوهم الى الاسلام ويدع من له أزواج وجوار معطرة مزينة الى زنا من ليس لها ذلك ويأمر الامراء بالظلم فى الاموال مع وفورها لهم وبقتل الانفس بأدنى تخيلة مع تمكنهم من الدفع لو وقع وقبل الوقوع يندفع بأدنى من القتل وله أبواب يطول شرحها ومن ضرر عداوته انه اتفقت الملة والفلسفة على أن من فسد اعتقاده خلد فى العذاب أو عمله عذب بحسبه وينقسم الى عقلى وخيالى وحسى ومن الناس من منع الاخيرين لتوقفهما على آلات جسمانية والموت قطع علاقتها ولا دليل على امتناع تعلقها بأبدان تركبت من الاجزاء الاصلية من أبدانهم أو بجزء منها للادراك أو بجسم آخر ومنهم من أجاز الخيالى بأحد الوجهين الآخرين كما فى النوم الا أنه يزول باليقظة ولا يتوقف تألم النفس على السبب الخارجى وقال الفارابى وابن سينا العقل وان لم يوجب الحسى فلا يمنعه بل يحسنه لحسن التخويف فى مبادى الافعال لانه ينفع الاكثر وهو اغايتهم بالاعتقاد الجازم بالايفاء فالايفاء مقتض لازدياد النفع واتفقت الفلاسفة على العقلى وجعلوه أكمل من الحسى والخيالى وقالوا كمال النفس ان فات لنقصان غريزتها فلا عذاب كالصبى والمجنون أو لوجود ضد فى القوة النظرية بصيرورة ملازمة بتعذيبها

العرب لابن دأب وهو يحدث أحذانى روبته أم فى تمنيه اى اتعلته والامانى أيضا ما يتمناه الانسان ويشتهيه (أبذناه) قوبناه (أسلمت لرب العالمين) اى سلم نمیری له ومنه اشتقاق المسلم والله أعلم (آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) والعرب تجعل العم أبا والخالة أما ومنه قوله تعالى ورفع

من شعورها لنقصها واشتياقها الى كمالها مع امتناع اكتسابه لفوات آلته وعدم اشتغالها
بشئ آخر ومادامت فى جلباب البدن يعتقد نقصاناتها انها كمالات فاذا ارتفع ظهر النقص
واشتاقت الى الكمالات ولا يصل اليها فيقع فى النار الروحانية فهو عندهم كالكافر عندنا
يعذب بقدر رسوخ الضد وعدم رسوخه أو فى القوة العملية تألمت بحسه والقائل بالخيالى
قال بظهوره فى صورة النار والحيات والعقارب لكنها تزول لانها اعراض ملتحق بكون
النفس الى البدن ويزول بطول العهد فيتصل بمحل السعادة فهو عندهم كالفاسق عندنا وأما
الصالحة البريئة عن الهيآت الفاسدة فتلتذ بكمالاتها أبدا لتخلصها الى عالم القدس وترقيها الى عين
اليقين فهو كالمؤمن التقى عندنا لكنه مبنى على امتناع اعادة البدن والحق اعادته فيجوز
العقلى بوجوه أخر والحسى والخيالى فهذا رأى من يعتد به من أهل النظر والكشف من
المليين والفلاسفة وثمة جماعة ليسوا فى شئ منهما يدعون فناء النفس وامتناع اعادتها من غير
شبهة فضلا عن حجة ويروّجه بعضهم بنسبته الى معروف بدقائق العلوم كافلاطون وارسطو
ولا شاهد لهم من تصنيف أو خط ولا برهان عليه والانبياء والاولياء والعلماء أولى بالتقليد
منهم ومن أين يتصور فى حقهم برهان ضرورى لا يتطرق اليه الغلط مع وقوعه لهؤلاء مع
غزارة علومهم وطول نظرهم فاذا حقرته فعليك باجتناب هذا الخطر العظيم ثم ان العبد
المستعيد لا يستقل بدفع الشيطان بمعارضة الوهم والخيال العقل فى جذبه سائر القوى الى
عالم السفل فلا بد أن يستعين على سلطه عليه ليبلوه أيرجع اليه أم لا ويدبر سنته باعادة من
استعاده قال الامام حجة الاسلام فى منهاجه انه كلب سلطه الله عليك والاشتغال بمعالجته
متعب مضيع للوقت وربما يظفر بك فيعقرك والرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك أولى
فاذا رأيته يغلب فهو ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتك وقهره فى ثلاثة أمور أن تعرف
حيله فان اللص اذا علم احساس صاحب البيت به يفر وأن تستخف بدعوته فانه كلب ان
أقبلت عليه ولع بك ولج والا سكت واذا أعرضت عنه فاحذر من همه وأن تديم ذكر الله بقلبك
ولسانك اذ هو فى حق الشيطان كالأكلة فى حق الانسان على ما فى الحديث وقال فى
احيائه انما يندفع الشيطان باستقرار الذكر فى القلب بعد عمارته بالتقوى وتطهيره عن الصفات
الرديئة اذ هو كلب جائع لا ينزجر بمجرد اخسأ اذا كان بين يدى الزاجر لحم أو خبز فالشهوة
اذا غلبت القلب دفعت الذكر الى الحواشى والشيطان يتمكن من سويدائه وطروق
الشيطان لقلوب المتقين ليس للشهوات بل لخلوه عن الغفلة فاذا عاد الى الذكر خنس ثم ان أجل
ما يلقى الشيطان وسوسته عند قراءة القرآن لكونه أجل المعارف والمواعظ الصارفة للعبد الى
مولاه فالاستعاذة طهور عن موانع الاستغراق فيها

●(سورة الفاتحة)●

لها أسماء تدل على شرفها (منها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته وكتابته بها لان تسميتها وجدها
مبدأ كل أمر ذى بال تحاميا عن البتر لان وجود كل شئ بظهور اسم الله تعالى فيه وتقرره

بشكره

أبويه على العرش يعنى أباه وخالته فكانت أمه ماتت (الاسباط) فى بنى يعقوب كالقبائل فى بنى اسحق واحدهم سبط اسمعيل وهم اثنا عشر سبطا من اثنى عشر ولدا ليعقوب عليه السلام واعلموا أن هؤلاء بالاسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق عليهما السلام (أسباب) صلات

بشكر بل هو مستزيد (ومنها) الفاتحة لفتحها خزائن العلوم فبسم الله اشارة الى ذاته وأسمائه التي فوق الالوف وجميع العلوم بمعرفته وعبادته والرحمن الرحيم الى ظهور ذاته بالوجود وصفات الكمال ومنتهى العلوم الوصول الى ذلك وباء الالصاق الى التخلق بها والتحقق ٭ والحمد الى شكر نعمه التي ذكر من جملتها الاطباء في تشريح بدن الانسان خمسة آلاف منافع وهو أقل من قطرة في البحر وفي ذلك معرفة النفس التي بها معرفة الكل ٭ ورب العالمين الى أصناف الموجودات من العقول والنفوس والاجسام والاعراض ٭ والرحمن الرحيم الى التخلص من الآفات والفوز بالخيرات وهو أعظم مقاصد العلم ٭ ومالك يوم الدين الى المعاد وبقاء النفوس وسعادة بعضها وشقاوة بعضها وتخريب العالم الاعلى والاسفل والنفخ في الصور والوقوف في العرصات والحساب والميزان ودخول الجنة والنار والشفاعة وغير ذلك وأجل ذلك علم الاعتقادات والاعمال ٭ واياك نعبد الى أنواع العبادات القلبية والقالبية وهي المقصودة من خلق العقلاء ٭ واياك نستعين الى أنها لا تحصل الا بالاستعانة منه ٭ واهدنا الصراط المستقيم الى الاستدلال والتصفية ٭ وصراط الذين أنعمت عليهم الى النبوة والولاية والاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ٭ وغير المغضوب عليهم ولا الضالين الى الكفار والفساق والاعمال الفاسدة والاخلاق الرديئة والاعتقادات الباطلة (ومنها) سورة الحمد لابتدائها بخصم ابانته واشتمال حمدها سائر محامد القرآن وغيرها (ومنها) سورة الشكر لان الحمد رأس الشكر وقد جمعت وجوهه من المحبة بالجنان والثناء باللسان والخدمة بالاركان (ومنها) سورة المنة لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (ومنها) القرآن العظيم (ومنها) المثاني لتكررها في أكثر الصلوات أو لانها تضم اليها السورة في أكثر الركعات أو لتكرر نزولها لانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة للدلالة على انه رب الجهات كلها وقد اختار أفضلها في الحمد كيف وهي جهة الامن فهو الرحمن باعطاء الامان وفيها مقام ابراهيم فهو الرحيم بالاطلاع على الخلة الابراهيمية وهو مالك يوم الدين بقطع النزاع في القبلة يوم القيامة وهو المعبود دون الجهة فيجب امتثال أمره في كل وقت دون تخصيص الجهة من عند أنفسنا بعد نسخ الامر الاول فهو المستعان في الزام الخصوم في الدنيا نطلب منه الهداية بتوجه الباطن اليه عند توجه الظاهر اليها اذ هو صراط المنعم عليهم لرجوع اليه عند النظر الى خلقه غير المغضوب عليهم بعبادة الخلق دونه ولا الضالين بعبادة الظاهر أو لانها استثنيت من كتب الاولين لقوله عليه السلام والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثل الفاتحة (ومنها) سورة الكنز لقول علي رضي الله عنه نزلت سورة الفاتحة من كنز تحت العرش أي من أسرار المعارف المحيطة معرفة الذات والاسماء والافعال والمعاد والصراط المستقيم والجزاء والحاجة والاحكام فالله اسم جامع للذات والاسماء وأشار بباء الالصاق الى أن وجودات الاشياء قائمة به قيام الاجساد بالارواح فهو سر وجودها وليس

الواحد سبب ووصلة والحبل يشد وأصل السبب الحبل به ثم جعل بالشيء فتعذب به كل ما جر شيئا سببا (أصبرهم) وصبرهم واحد وقوله تعالى فما أصبرهم على النار أي أي شيء صبرهم على النار ودعاهم اليها فيقال فما أصبرهم على النار أي ما أجرأهم على النار (الفينا) وجدنا (أهلة) جمع هلال يقال للهلال

بطريق الايجاب بل لانه رحم بافاضة الوجود والكمالات الذاتية وهو اشارة الى أنه الذى أشار
الى سرها بأنه انما نعل مانعل لكمال ذاته المقتضى للحمد لان من شأن كمال الكامل التكميل
ولا استكمال له فى ذلك لانه رب الكل فهو مفيض للكمالات عليها ولو كان مستكملا لكان
مستفيضا منها وأشار الى أن سره محيط بلام الاستغراق والاختصاص لانه المفيض على
الكل ما استحق وابه الحمد فهو أولى بذلك الحمد وهو المطلع للحامد المفيض عليه قدرة الحمد
فهو الحامد والمحمود فى الكل بالحقيقة ثم أشار الى سر حمده بأنه ربى الكل تربية رحمة بأن
خلقه على ماينبغى ثم أفاض مايحتاج اليه فى بقائه ومايفيد سائر الكمالات التى لاتتناهى
وأشار الى المعاد بمالك يوم الدين والى احاطة مالكيته باضافته الى اليوم المحيط بهم والى سره
بترتيبه على الرحمن الرحيم اذ لايتم الرحمة على المظلوم بدون ذلك ولايتم النعمة باعطاء
الابد على كلمة أو على عمل بدون ذلك ثم أشار الى الصراط المستقيم فأشار الى التحلية بالعبادة
والى التزكية بالاستعانة والى احاطتها بالتخصيص والى سره بالشكر المشار اليه بالحمد
والصبر المشار اليه بالعبادة ثم أشار الى سر العبادة بالدعاء الذى هو مخها لتضمنها التضرع
والابتهال الذى هو روح العبودية وأشار الى الجزاء بالانعام والغضب وأشار الى احاطته
بصورة لكل سالك طريق الهداية والضلالة والى سره بترتيبه على العبادة والاستعانة فان
الربوبية والعبودية انما يتم حقهما بذلك والى الحاجة بأنه مبدأ الكل باتفاق فلا يقبض
دليل القائل باستقلال الواسطة ولاشبهة له فى ذلك فضلا عن حجة والى احاطته بتعميم الحمد
والربوبية والى سرها بتعميم الرحمة المقتضية شكرها بنسبة النعم اليه لا الى الغير كيف
والواسطة مرحوم فلا يستقل بدون الراحم والى الاحكام بالعبادة والى احاطتها باطلاقها
التعميم مع الاختصاص به والى سرها بالاستعانة الدالة على التبرى وهو لباب عقيدة التوحيد
(ومنها) سورة تعليم المسئلة والدعاء لان السؤال فيها بعد الثناء والعبادة والدعاء فيها عن
أهم أو ل الامور وهو الهداية للصراط المستقيم الذى هو سبب الانعام الابدى المبعد عن
الغضب والضلال (ومنها) سورة المناجاة لان المصلى يناجى بها الرب فيجيبه الرب على مافى
حديث القسمة (ومنها) سورة التفويض لمافيها من الاستعانة (ومنها) سورة الواقية
لاشتراط ايفائها فى كل ركعة أو لوفائها بمراج الصلاة فأشار باسمه الى أنه أظهر الاشياء
اذ به ظهرت الموجودات لكنه لغاية ظهوره خفى اذ عمت رحمته بافاضة الوجود وسائر
الكمالات حتى استحق جميع المحامد لانه ربى الكل بما ينبغى أولا فى وجوده ثم أعطى كلا
ماينبغى فى بقائه وليست تلك الكمالات لذوات الموجودات لانه قاهر عليها باذهابها لكنه يعلم
عوضها لمن عبده واستعان به ولم يرها كمالاته بل رآه ناقصا لايطلب الكمالات بالهداية
والاستقامة والانعام ويخاف البقاء فى النقص أو العود اليه فيتعوذ من الغضب والضلال
أو لوفائها بالترتيب الكامل لانه ذكر الله تعالى واستدل عليه برحمته الموجبة لحمده المطلع على
كمالاته فى تربية كل شئ بما يليق به أولا فى افاضة الوجود والصفات وثانيا بأسباب البقاء

فى أول ليلة الى الثالثة
هلال ثم يقال القمر الى
آخر الشهر (أفضتم من
عرفات) دفعتم بكثرة
(الايام المعلومات) عشر
ذى الحجة والايام المعدودات
أيام التشريق (الحج
أشهر معلومات) شوال
وذو القعدة وعشر من
ذى الحجة أى خذوا فى
أسباب الحج وتاهبوا له فى
هذه الاوقات من التلبية

وسائر الكمالات وتوقف عن سوء العاقبة المذهبة بها لكون داعيا الى تصحيح الاعتقادات وتحسين الاخلاق والافعال تلذذ لتعقبه بالعبادة وأراه فاصرا فى ذلك محتاجا الى الاستعانة ورتب على ذلك الهداية والاستقامة والانعام المطلوب بالذات والخروج عن الغضب والضلال المهروب عنه بالذات بعد ذلك (ومنها) سورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وروى من السم لان نور اسم الله يذهب بالظلمة التى هى منشأ من أسباب الداء ورحمته تنافى آفة الداء وحمده يجلب الشفاء والاقرار بربوبيته يقتضى التربية التى بها يكمل الشفاء وبالرحمة يقتضى كمال الافعال المرتبة على كمال الصحة وبمالكيته ليوم الدين قهر أسباب الداء والجزاء على الحمد بالشفاء وبطلب الهداية ازالة أمراض القلب الموجبة أمراض البدن وباستقامته استقامة أحوال البدن الذى هو مطية القلب وبالانعام يستدعى اللطف بالاستمتاع بالخيرات بتبعية الشفاء وبدفع الغضب والضلال ازالة أصول أسباب الداء (ومنها) الرقية لان صحابيا مر بمصروع فقرأ عليه هذه السورة فبرأ (ومنها) أم الكتاب وأم القرآن لرواية الترمذى عن أبى هريرة لاشتمالها على علم الشريعة التكليفات أصولها وفروعها والطريقة معاملات القلوب والحقيقة مكاشفات الارواح فمن الاصول معرفة الله تعالى بأنه الذى قامت به الموجودات قيام الاجساد بالارواح ومعرفة وجوده بأنه الذى رجح من رحمته أحد طرفى الممكنات ومعرفة صفاته بانها الكمالات الموجبة للحمد والتربية تقتضى الحياة والعلم والارادة والقدرة والجزاء والسمع والبصر لاقوال المكلفين وأفعالهم والكلام الذى به التكليف ومعرفة أسمائه بانها الوسائط القريبة فيما بينه وبين خلقه بها يربى ويرحم ويفضل ومعرفة توحيده بأنه رب كل ما عداه ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع اليه ومعرفة افتقار العبد اليه ابتداء بأنه الرب ووسطا بأنه الرحمن الرحيم وانتهاء بأنه مالك يوم الدين ومعرفة النبوة والولاية والايمان بالانعام ومعرفة الكفر والبدعة والفسق بالغضب والضلال ومعرفة السعادة والشقاوة بذلك أيضا ومعرفة الفضل والعدل بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين ومعرفة الحكمة بترتيب الانعام على الهداية والاستقامة وترتيبهما على العبادة والاستعانة ومعرفة القضاء والقدر بالعبادة والاستعانة اذ لولم يقدر خلاف ما كان لم يكن للاستعانة كثير معنى ومعرفة المبدأ ببسم الله والمعاد بمالك يوم الدين والانعام والغضب ومن الفروع معرفة العبادات بنعبد والمعاملات والمناكحات والحكومات بنستعين لان الهوى معارض للعقل فيها والواجب والمندوب والمباح والصحيح بالهداية والحرام والمكروه والفاسد بالغضب ومأخذها من الامر والنهى بالعبادة والغضب وما يترتب عليها من الوعد والوعيد بالانعام والغضب ومن علم الطريقة معرفة كمال النظرية والعملية بالصراط المستقيم ونقصانهما بالغضب والضلال ومعرفة ما يجب رعايته فى ابتدائه بالعبادة وفى الوسط بالاستعانة وفى النهاية الاستقامة ومعرفة أوصاف النفس بالغضب والضلال لانحرافها عن الاستقامة ومعرفة

وغير ذلك الاشهر الحرم أربعة أشهر رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد أى متتابعة (ألباب) عقول واحدها لب (ألد) شديد الخصومة (أفرغ علينا صبرا) اصبب كما تفرغ الدلو أى تصب (الاذى) ما يكره ويغتم به (أقسط عند الله) أعدل (آتت أكلها) ...

أوصاف القلب بالاستقامة والهداية ومعرفة التصلية بالعبادة والاستعانة والتصلية بالهداية والاستقامة والتجلية بالانعام ولابد فى التخلية من الخلوص عن الشهوة بالعبادة التى هى ضدها وعن الغضب برحمة الله لانه لاينبغى لمن يرجو رحمته أن يغضب على من رحمه وعن الهوى بالاستقامة اذ هى مضادة لها ومن فروع الثلاثة الحسد والخلوص عنه بالحمد لله رب العالمين اذ لا تسمه على رضاه باعطائه العالمين والحسد ضده والحرص والخلوص عنه بالحمد والبخل والخلوص عنه برب العالمين اذ لا يبخل عالين لمرالحب والخلوص عنه بالحمد والاستعانة والكبر والخلوص عنه بالعبادة والكفر والبدعة والخلوص عنهما بالاحتراز عن الضلال ولا بد فى التحلية من التوسط فى الاخلاق كالتعفف والشجاعة والسخاء وفى الاعتقادات أن لا يميل الى التعطيل والتشبيه وفى الاعمال أن لا يقصر ولا يترهب أشار الى الجميع بالصراط المستقيم ومن الزهد والمحبة والشوق بالحمد لانه يرى منه اللذاذ دون الاسباب فيتزهد فيها ويحبه ويشتاق اليه ومن الافتقار اليه بالاستعانة وطلب الهداية ومن التذلل فيه بالعبادة ومن معرفة عزه الربوبية وذل البشرية برب العالمين وباياك نعبد ولابد فى التجلية من المعرفة بالباء المشعرة بالاتصال الروحانى به المبدا لها ومن الذكر بأسمائه ومن الشكر بالحمد ومن الرجاء بالرحمة ومن الخوف بمالك يوم الدين والغضب ومن الاخلاص باياك نعبد ومن الدعاء باهدنا ومن الاقتداء بالارواح الطيبة بصراط الذين أنعمت عليهم ومن الاستعانة بتوفى نعبد ونستعين ومن التحرز من صحبة الارواح الخبيثة بغير المغضوب عليهم ولا الضالين ومن علم المكاشفة معرفة سر الربوبية بالحمد لله لانه اغار بجميع حمد الكل اليه لقيام وجوده به وتدل عليه باء البسملة ومعرفة تجلى الجلال بمالك يوم الدين والغضب والجمال بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين والانعام والكمال بالحمد لله رب العالمين الى يوم الدين ومعرفة أنواع الاسماء باختلاف المسند كورة فيها ومعرفة النفس بالضلال والقلب بالاستعانة والروح بالهداية والسر والخفا بالاستقامة والانعام ومعرفة سر النبوة بالحمد لله الى الرحيم والانعام والوحى بالباء لانه من اتصال بعض الارواح ببعض الى أن يصل الى الحق ومعرفة الفرق بين النبوة والولاية بالتابع والمتبوع فى صراط الذين ومعرفة الاحوال والمقامات باياك والهداية والاستقامة والانعام (ومنها) علم اليقين بالغيب الى مالك يوم الدين وعين اليقين باياك وحق اليقين بالرحمة والهداية والانعام والاستقامة ومعرفة سر القضاء والقدر بالرحيم المخصص بقدر الاستعدادات ومعرفة أسرار العبادات بترتيبها على الاسماء وأسرار المعاملات بترتيب الهداية على الاستعانة وأسرار الامور الاخروية بالانعام على المستقيم والغضب على الغير ومعرفة تبخير عالم الشهادة لعالم الغيب بالاستعانة ومعرفة فناء ماسوى الله فيه بمالك يوم الدين لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ومعرفة بقائه به بالاستقامة والانعام ومعرفة المناسبة بين المبدا ومعرفة الآخرة بالحمد لله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (ومنها) سورة الاساس لانها ركن الصلاة التى هى أساس الخيرات لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتوصل

شعفيد) أعطت ثمر واضفى فيرها من الارضبد (أخلت وجوهى لله) أخلصت عبادتى لله (أنى لك هذا) من أين لك هذا وقوله أنى شئتم كيف شئتم ومتى شئتم وحيث شئتم تكون أنى على ثلاثة معان (أقلامهم) قداحهم ومنى سهامهم التى كانوا يتساهمون عنه (الامر) العزم على الامر (أحسن) الذى يدل أعمى

الى

الى مقام المناجاة والمشاهدة أو لتأسيس الافعال فيها على الاسماء والحمد لله عليها والعبادة على المالكية والهداية على الاستعانة والجزاء على الهداية والاستقامة وضدهما (ومنها) سورة الصلاة لانها ركن في كل ركعة للمأموم والامام لما روى الدارقطني عن النبي عليه السلام أنه صلى بعض الصلاة التي يجهر فيها بالقراءة فلما انصرف أقبل علينا بوجهه الكريم وقال مالي أنازع القرآن لا تقرؤا شيأ من القرآن اذا جهرت الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وأما قوله عز وجل وأنصتوا فالمراد غير القرآن للاتفاق على وجوب القراءة على مصل يسمعه من غير امامه وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال قسمت الصلاة أي السورة التي هي أعظم أركان الصلاة بيني وبين عبدي نصفين أي قسمين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى ذكرني عبدي أي الذكر الجامع لذاتي وأسمائي وصفاتي وأفعالي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي أي بالحمد الجامع لحامد الكل للكل واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عز وجل أثنى على عبدي أي بنسبة ايجاد الكل الي على ما ينبغي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي أي أفردني عبدي بالعظمة اذ لا ملك يومئذ لغيره أصلا واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي أي بعبادة الكل على أتم وجوه الاخلاص واذا قال واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي أي جامع لحق العبودية من الاستعانة وحق الربوبية من الاعانة واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل أي هذه الامور من طلب الهداية والاستقامة والانعام والفرار من الغضب والضلال أعظم حقوق العبودية قام بها العبد على نوع التذلل الذي هو روح العبودية فحق أن أقوم بحق الربوبية من اعطاء كل ما سأله كأنه استوجبه ثم البسملة تناسب الطهر لرفع نور اسم الله ظلمة الحدث والرحمة فيها الاستقبال لان رحمة الايجاد بتوجه الحق للاشياء وتوجيهها اليه وتوجه البدن الى مبدا ترابه الغالب عليه من الكعبة يوجب توجه روحه الى مبدئه والحمد القيام لاشعاره بقيام الخلق بالحق حتى رجعت محامدهم اليه ورب العالمين الركوع لشموله الرب والعبد شمول الركوع معنى القيام والقعود والرحمة بعده الاعتدال لانها الابقاء المستلزم للاعتدال المنافي للاختلال ومالك يوم الدين السجود لان الكل في غاية التذلل له يومئذ واياك نعبد القعدة بين السجدتين لان العبادة سبب التقرب وقد كمل بالسجود والمقرب مستحق للجلوس المقرب واياك نستعين السجدة الثانية لدلالتها على أن قرب العبادة انما هو بعونه وعونه مرجو بالاستعانة منه وهي توجب مزيد التذلل له فهذا القرب يوجب مزيد التذلل له وهو بالسجدة بعد السجدة واهدنا الصراط المستقيم قعدة التشهد لاشارتها الى اكرام المستقيم وصراط الذين أنعمت عليهم قراءة التشهد لانها تحف بالصلاة تتم عليه وغير المغضوب عليهم ولا الضالين السلام (ومنها) سورة النور لاشتمالها على نور الذات والاسماء والصفات والافعال والعبادة والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والتحرز عن ظلمة

علم ووجد (أولى الناس) أحقهم به بابراهيم (أنصاري) أعواني (أليم) مؤلم أي موجع (أنقذكم منها) خلصكم منها (أخزيته) أهلكته

(قال أبو عمرو ويقال) باعدته من الخير ومنه قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي)

(الارحام) القرابات واحدها رحم والرحم

العصب والضلال وافاضة الانوار على المصلى فافهم والله الموفق والملهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بعض آية من النمل وليست من القرآن في براءة اجماعا فيهما وقراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي وقدماء الحنفية ومتأخروهم كونها من السور على الصحيح من المذهب واتحد رأى الشافعي أنها من الفاتحة وأصح قوليه من غيرها وأول الآخر بأنها غير تامة في القراءة استدل المقابل برواية عن أنس ابن مالك صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله وأخرى وانهم لا يذكرون بسم الله وأخرى ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله وأخرى فلم يجهر أحد منهم ببسم الله * وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله * وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى هذا بيني وبين عبدي * وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك انها ثلاثون آية وفي الكوثر انها ثلاث آيات والعدد يكمل بدون التسمية وبأنها لو كانت من الفاتحة لم يكن أنعمت عليهم آية فيكون لله أربع ونصف وللعبد اثنان ونصف قال القاضي الباقلاني ولا يبعد أن يفسق المثبت لانها ان تواترت امتنع الخلاف والا لم يكن القرآن حجة قطعية وساغ دعوى الشيعة بالتغيير فيه واستدل جاعلها من القرآن لا السور برواية أبي سلمة انه عليه السلام كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية فاصلة وقال ابراهيم بن يزيد لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشي يزعم أن بسم الله ليست من القرآن فقال سبحان الله ما أجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت ابن عباس يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم علم أن تلك السورة ختمت وفتحت غيرها وعن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله وعن أبي بن كعب انه قال له عليه السلام أي آية أعظم في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم وقد أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله واتفقوا على كتابتها بخط المصحف ولم يكتبوا آمين ولا أسماء السور واستدل الشافعي برواية لام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وأخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله

غير هذا ما يشتمل على ماء الرجل من المرأة ويكون منه الحمل (آنستم منهم رشدا) أي علمتم ووجدتم (آنست نارا) أبصرتها والايناس الرؤية والعلم والاحساس بالشيء (أفضى بعضكم الى بعض) انتهى اليه فلم يكن بينهما حاجز وهو كناية عن الجماع (أخدان) أصدقاء واحدهم خدن (أحصن)

أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوّض الىّ عبدى واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدى ولعبدى
ما سأل * وعنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فدخل رجل فافتتح
الصلاة وتعوّذ وقال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال للرجل
قطعت على نفسك الصلاة أما علمت أن بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد من تركها فقد ترك آية
منه ومن ترك آية منه فقد قطع عليه الصلاة * وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب
سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وربما سئل عن الجهر بها فقال
لا أدرى وروى البيهقى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر فى
الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى الجهر بها عن عمر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير
وتواتر الجهر بها عن على رضى الله عنه والجواب عن شبه النفاة أن روايات أنس وأبى هريرة
متعارضة والتصنيف فى المعنى واشارة عائشة رضى الله عنها الى السورة وتقديمها على غيرها
والكتابة بخط القرآن مع الاجماع على أن ما بين الدفتين قرآن يغنى عن التواتر القولى لكن
عدمه أورث شبهة منعت التكفير ولم يظهر دليل كونها من سائر السور وان ظهر على
أنها من القرآن * ثم نقول الباء للالصاق تشعر بالتصاق العبد بربه وتواضعها الخطى بأن
الاتصال بالرب يوجب مزيد التواضع له وان كان بها الارتفاع على ما سواه وانكسارها بأنه
انما يتصل به المنكسر قلبه وجعلها النقطة تحتها بأنه يجعل كل ما سواه تحت قدمه
ووحدتها بأن همته التوحيد وفتحها القلم بأنه يفتح له أبواب العلوم والفوائد بما عند
اشتغاله بحامده وقراءة كتابه بعد التخلص من الشيطان ويتعلق بالحمد أى متلبسا باسمه
الظاهر فى الحامد أو مطلقا أو باعوذ ان اقرئ ليشعر بأنه لا يستقل بالالتجاء اليه أو بمحذوف
تخفيفا ليشير الى أن الاتصال به بقصد تخفيف المؤن فعل لانه الاصل فى التعلق واوافقه
ايالك ليشير الى احداثه الاتصال به ليعترف بالتقصير فى الماضى وقصد التلافى فى المستقبل
أو اسم ليشعر بثباته حالة الذكر والغفلة من جنس الابتداء ليناسب مبدئيته تعالى أو ما جعلت
التسمية مبدأله كالقراءة ليشعر بدوام ملابسته مؤخر ليشعر بتقديم اسم الله تعالى
تعظيما له وحصرا وردا على القائل باسم اللات والعزى أو مقدم ليشعر بأن الاهم
التلبس باسمه مع عدم المبالاة بالقائل والاسم لفظ مستقل الدلالة لا تفيد هيئته زمنا
والمسمى المدلول والتسمية الوضع أو الذكر فيغاير الاسم المسمى الا فى نحو زيد مرفوع
أو الاسم المدلول المطابق والمسمى الذات من حيث هى أو باعتبار ما صدق عليها والتسمية
اللفظ فيتحد الاسم والمسمى وقد يؤخذ المدلول أعم من المطابق فيعتبر فى أسماء الصفات
ما يقصد من المعانى التضمنية فيتحدان فى أسماء الذوات ويتغايران فى أسماء الافعال

تزوجن أحصن زوجن (أذاعوا به) أفشوه (أركسهم) نكسهم وردهم (آمين البيت في كفرهم الحرام) عامدين البيت الحرام وأما قوله فى الدعاء امين فبتخفيف الميم وقد تقصر وتفسيره اللهم استجب لى ويقال امين اسم من أسماء الله تعالى (الازلام) القداح التى كانوا يضربون بها على الميسر واحدها زلم وزلم (من أجل ذلك) من

ويتوسطان في أسماء الصفات فمن رأى حدوث أسماء الله قال بالاول ومن رأى قدمها قال
بالثاني ومن رأى الفصل قال بالثالث ثم على تقدير المغايرة يكون اقحام الاسم للكناية والاتصال
اثناء وبذاته تعالى أو للتمييز عن القسم وعلى تقدير الاتحاد يكون الاتصال بالذات باعتبار
المعاني التي بها تعلق العالم به اغناء عن العالم بدونها ثم ان كان من العمر أشار الى عموم حال
من اتصل به أو من السمة أشعر بظهور سمات أسمائه وصفاته فيه والاله اسم لذات المعبود
فهو وان لوحظ فيه المعنى لم يقصد فلذلك لا يوصف به ثم غلب على المعبود بحق بطريق الكلية ثم
حذفت همزته وعوضت بحرف التعريف وقطعت همزته في النداء لمحض التعويض نخص
بالفرد المستحق لها اتفاقا فلذلك أفاد استثناؤه التوحيد قال الامام الرازي الاله هو الموجود
الازلي الابدي الواجب لذاته المتنزه عما لا يليق به الموحد لغيره والله علم للفرد الموجود من هذا
المفهوم الكلي قائم مقام الاشارة فان كانت الاشارة الى الذات اشارة الى الصفات تناولها
والا فلا وقال الامام حجة الاسلام في المقصد الاقصى الله اسم للموجود الحق الجامع لصفات
الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقي والاشبه انه جار مجرى الاعلام
وتبعه البوني وقال الشيخ محي الدين بن العربي في شرح أسماء الله الله الى الله الذي له القدرة
والاختراع والخلق والامر جامع الذات والصفات والافعال انتهى وقيل الاصل فيه هاء
لغيبة ثم زيد لام الملك للملكية ثم حرف التعريف تفخيما وقيل الهمزة لظهور الذات لظهور
الالف بها الملك استخلف عليها والهاء لانحمارها اشارة الى أنه الظاهر والباطن واللام الاولى
لتعريفه بالظهور والثانية اشارة الى اتصافه بالبطون بعد كمال الظهور والاشبه أنه علم جامد
للفرد الموجود من واجب الوجود وهو قول أكثر المحققين كالخليل وسيبويه والشافعي
وأبي حنيفة والحلبي والخطابي وامام الحرمين والغزالي وكيف لا يوضع لاجل الاشياء اسم
يشار به اليه اشارة معنوية تميزه عما عداه ولا يدل ثبوت الاله واله وتأله على اصالة الهمزة
لجواز كونها مشتقة من الله ولما قطعت همزته في النداء أشبهت الاصلية ثم لاحظ انها واعتبر
فيها معنى العبادة التي يستحقها ويعرف لاجلها ثم ان جعل علما للذات مع الصفات تعلق حمده
بالكل واستعاذته بالذات مع صفة القهر للعدو واللطف بالمستعيذ وتلبس القراءة بنور الكل
وان جعل للذات فحمده انما كان جامعا لان كمالات الصفات من لوازم كمالات الذات
واستعاذته بالذات كافية في قهر العدو ولطف المستعيذ لانهما من لوازم الذات والتبست
قراءته بالذات لخرقها حجب الافعال والصفات والرحمة رقة القلب وعطفه ويراد في حق الله
تعالى غايته من ايصال الخير ودفع الشر وتنقسم الذاتية عامة افاضة الوجود وخاصة
تخصيص بعض العبيد للتقريب اليه وهما المرتبتان على اسم الله ووصفية عامة افاضة
ما يليق من الاعراض وخاصة ما يتفضل به البعض على البعض وهما المرتبتان على اسم الرب
قبل الوجود كالخير والشر هو العدم اذ هو عدم كمال الوجود كالفقر والموت والجهل

ويقال من جناية ذلك ويقال من أجل ذلك من جراء ذلك بالمد ومن جرا ذلك بالقصر ويقال من أجل ذلك من سبب ذلك (أذلة) واحدهم ذليل (على المؤمنين) أي يلينون لهم من قولك دابة ذلول أي منقاد سهل ليس هذا من الهوان انما هو من الرفق (أعزة على الكافرين) أي يعازون الكافرين

ويطلق على سببه مجازا كالبرد والافعال المذمومة والاخلاق الرديئة والآلام والغموم فالبرد من حيث هو كيفية وبالقياس الى سببه ليس بشر وانما عرض له من حيث افساده أمزجة الثمار فالشر بالذات فقد الثمار كالاثم والظلم والزنا ليسا بشر من حيث صدورهما عن الغضبية والشهوية وانما عرض لهما بالقياس الى المظلوم والى السياسة المدنية أو الى النفس الناطقة الضعيفة عن ضبط القوتين والاخلاق والآلام ليست بشر ومن حيث هي ادراكات الامور وانما هي شرور بالنظر الى فقدان أحد تلك الاشياء كماله فهو الشر بالذات (قال) الامام حجة الاسلام فى المقصد الاقصى انما أراد الخير لذاته والشر الخير فى ضمنه لذلك قال سبقت رحمتى غضبى فان خطر لك شر لاترى تحته خيرا أو امكان تحصيل ذلك الخير بدون ذلك الشر فاتهم عقلك فليس كل ما لم يدرك استحالته بالبديهة أو بالنظر القريب ثم رحمة الله أكمل لانه جواد يفيد ماينبغى لا للعوض كالثواب والثناء ولا للغرض كازالة الرقة وحب المال والعبد لا يخلو من أحدهما مع انه انما يعطى بداعية من الله فهو الراحم بالحقيقة ثم انما ينتفع بماله اذا سلم الله قواه على أن عطاءه يوجب التذلل له وهو ذلة والتذلل لله عزة ثم اشتق منها صيغتا مبالغة وهما الرحمن الرحيم والاول أبلغ لكثرة حروفه مختص بالله لا بطريق العلمية لجريانه وصفا فكفر من أطلقه على غير الله ومبالغته اما بالكمية لكثرة افراد الرحمة الايجادية حتى يدخل فيها الشرور سيما من حيث تضمنها اللطف أو افراد المرحوم أو بالكيفية بتخصيصه بالجلائل أو المستمرة وتقديم اسم الله لكونه علما ثم الرحمن لانه مثله فى الاختصاص والرحيم ان خص بالرحمة الخاصة ففيه ترق أو بالدقائق فتتميم وهو تخصيص بعد التعميم فيهما وان عم فهو تتميم من وجه ترق من وجه وهو تعميم بعد التخصيص فيهما وذكرهما بعد اسم الله تعالى ان تناول الاسماء للتفصيل بعد الاجمال مع التخصيص بعد التعميم ثم مع كونهما للمبالغة يبلغ فيهما بالتجوز باطلاق السبب على المسبب أو الملزوم على اللازم ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتعلق الاستعاذة بالرحمن على تقدير كونه لكثرة الرحمة الايجادية انه وان أوجد العدو من رحمته به وسلطه من رحمته بالتسلط فمن رحمته على المستعيذ أن تلطف به بقهر عدوه ومنع تسلطه عنه وعلى اعتبار كونه للطف فى ضمن القهر أن تلطف بالمستعيذ بتوفيقه لمجاهدة من ابتلى به وعلى تقدير كونه لكثرة افراد المرحوم ان من عمت رحمته الكل حتى أمهل الشيطان حقه أن يرحم المستعيذ به بدفع شر عدوه عنه وعلى تقدير كونه للجلائل التم أن حقه أن يجعل رحمته للمستعيذ به بقهر عدوه بالكلية واثابته على مجاهدته وعلى تقدير كونه لاستمرار النعم ان حقه أن يبقى على المستعيذ به ما أنعم عليه من العبادة وأما تعلقها بالرحيم فعلى تقدير خصوصه بالرحمة الخاصة أن حقه أن يخص المستعيذ بتلك الرحمة بدفع شر العدو عنه أو بالدقائق أن من حقه أن يعيذه من وسواسه وعلى تقدير عمومه أن حقه أن لا يخلى المستعيذ به من رحمة تمنعه عما استعاذ منه وأما تعلق الحمد به نظاهرا لا على ايجاد الشرور فانه وانه يرفع بها الدرجات اذ ينال بها الصبر الذى لا نهاية لاجره

يقال بدنهم وبينهم وحم بما دونهم يقال نزغ بينهم نزغ اذا غلبه (أوحيت الى الحواريين) أى ألقيت فى قلوبهم وأوحى ربك الى النحل ألهمها (أغرينا بينهم العداوة والبغضاء) هيجنا ويقال أغرينا بينهم ألصقنا بهم ذلك مأخوذ من الغراء والعداوة تباعد القلوب والنيات والبغضاء البغض (الاوليان) واحدهما

وأما ثاني القراءة فيرجى بتعلق الرحمن افاضة أنواع الرحمة أو بيلا تلها على القارئ وبتعلق الرحيم رجى خصائصها أو دقائقها وتقديم الاستعاذة على التسمية مع انها الاشة الهاعلى المدتبة بالبداية أولى للاشعار بأنه لابد من رفع الحجب التي أعظمها الشيطان أولا ومن تطهير القلب عن كدوراته لتنزيل الذكر به أو بأنه لما استعاذ به اطلع على عجزه الكلي فتعلق بالجامع ليتلطف به ويقهره دونه ثم طلب المطلب بقطعه عن شراهدونم بتحصيل الكمالات له أو بأنه بالاسم الاول سلط الشيطان بقهره ونبه على التعوذ عنه بلطفه أو سلطه لتكميل ثوابه ان جاهده وعقابه ان أهمله وبالثاني أن يطلب اللطف الخفي بالمجاهدة وبالثالث الكفاية منه وأما ترتيب الحمد على التسمية مع انه أيضا ثناء فلانه لما ذكر الكامل بذاته وصفاته وأفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود وجهات حمده وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليه أن الاولى التعلق بجامع الكمالات ليفيض ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق (الحمد لله) الحمد ذكر باللسان كمال ذي علم وهو ما رفع حال الشئ ذاتا كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص أو وصفيا ككون صفاته كاملة واجبة أو فعليا ككون أفعاله مشتملة على حكمة فاكثر تعظيما له آثرة على المدح الذي هو ذكر باللسان كمال الشئ ذا علم أو لا لان الكمال الذي لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالا مطلقا ويقابله الذم وعلى الشكر وهو مقابلة الانعام بالتعظيم ذكرا باللسان أو اعتقادا بالجنان أو خدمة بالاركان مع صرف ما أنعم الى ما أنعم لاجله لانه وان عم جهات الشاكر قصر عن احاطة كمالات المشكور اذ لا يتعلق بالازمة ويقابله الكفران وعلى الثناء الذي هو ذكر الاوصاف كمالات أو نقائص ولام الحمد للجنس والجارة للاختصاص فيختص حقيقة الحمد به فيدخل فيه حمد الحق نفسه وحمد الخلق بأنهم مظاهر ذاته أو صفاته أو أسمائه أو أفعاله للحق وحمد الخلق للخلق بما اطلع الله بعضهم على ما أفاض على بعضهم من صور كمالاته أو آثارها ولا يرجع اليه الذام اذ لا ذم في الافاضة وانما هو في الاتصاف بالمذموم على انه انما أفاض الخير لذاته والشر لعارض تقتضيه الحكمة فهو برعايتها محمود هنالك أيضا وللقصد الى التعميم لم ينسبه الى حامد فلا يقدر حمدت أو أحمد الالبيان انه كان الاصل ثم عدل عنه للدلالة على التعميم والثبات وحمد الشاهد نفسه انما قبح لما فيه من تهمة الكذب والكبر بغير الحق وتزكية النفس مع ما فيه من ذل العبودية وعيوب وآفات وكماله من غيره لذلك قبح له التكبر فلا يتصور شئ من ذلك في حق الله تعالى فلا يقبح منه مع أن فيه تنبيها على عجزهم عن حمده الا أن يقلدوه اجمالا فيحمد ويتقربا اليه لينالوا به الدرجات والكمالات أو أنهم لما عجزوا عن شكره لامتناع احاطتهم بنعمه حمد عنهم ليقرر عليهم نعمه ويزيدهم من فضله وذلك أن النعمة وهي ما يطلب ويؤثر حقيقة هي السعادة الابدية وما يوصل اليها من فضائل النفس ومرجعها الى الايمان المنقسم الى اعتقاد واقرار وعمل وحسن خلق فلا يقدم على مقتضى شهوة أو غضب الا برعاية العدل وفضائل

الاول والجمع الاولون
والاخرى الوليات والجمع
الوليات والولى (أنباء)
أخبار واحدها نبأ (أكنة)
أغطية واحدها كنان
(أساطير الاولين) الاباطيل
وترهات واحدها أسطورة
واسطارة ويقال أساطير
الاولين أى ما سطره
الاولون من الكتب
(أوزارهم على ظهورهم)
أى أثقالهم يعنى آثامهم

البدن المتممة لها وهي الصحة والقوة والعفة والجمال وطول العمر ومتممها أربعة خارجية
وهي المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع الا بأسباب يجمع بينها وبين الفضائل
النفسية من الهداية بمعرفة طريق الخير والشر بالعقل والشرع وثمرة المجاهدة ونور يشرق
في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة ومن الرشد الباعث الى جهة السعادة ومن التسديد
بتيسير الحركة الى صوب الصواب في أسرع الاوقات بمساعدة الاسباب ومن التأييد بتقوية
أمره بالبصيرة من داخل ومساعدة الاسباب من خارج فهذه ستة عشر ضربا أدناها الصحة
ولا يمكن استقصاء أسبابها فلنأخذ الاكل وهو أن يكون فعلا وحركة تفتقر الى جسم ذي قدرة
وارادة وعلم فلنذكر أسبابه فالنبات لما فيه من قوة جذب الغذاء بعروقه أكمل من الجماد
لكنه يعجز عن طلب البعيد اذ لا معرفة له ولا انتقال فاعطى الحيوان الحواس أولها اللمس
ليحس بنار وسيف فيهرب لكن المقتصر عليه كالدود يعجز عن الهرب عما بعد وطلبه فخلق
الشم لادراك الرائحة من بعد بأطراف الجوانب ولا يهتدي الى الغذاء فخلق البصر ليدرك البعيد
وجهته لكن لا يدرك المحجوب فيعجز عن الهرب الا بعد قرب العدو فخلق السمع وخلق
لمعرفة الغائبات الكلام المنتظم من الحروف ثم خلق الذوق ليدرك حال الغذاء الواصل ثم
الحس المشترك ليتأدى اليه المحسوسات ليدرك المرارة والصفرة معا أكله مرة من المتصف
بهما ثم خلق الشهوة والحركة الى المطلوب والكراهة للهرب من الضد والغضب لدفع ما يضر
لئلا يؤخذ عنك ما حصلته من الغذاء والباعث الديني لمعرفة العواقب والرجل آلة الطلب
والهرب واليد للاخذ والفم لايصال الطعام الى المعدة والطاحونة وهي اللحيان المركب
عليهما الاسنان ليسهل ابتلاعه واللسان ليحركه ويذوقه وينطق واللعاب ليعجنه والمريء
والحنجرة ليدفعه الى المعدة التي لا بد منها لينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق وينضغط حتى ينقلب
الطعام فيهوي الى المعدة ثم يطبخ فيها الى أن تتشابه أجزاؤه كماء الشعير من حرارة الكبد
والطحال والترب ثم ينتقل من مجارى العروق الى الكبد فيصير كالدم فيتولد منه السوداء
كالدردي يجذبها الطحال من عنقه المعدد وصفراء كالرغوة تجذبها المرارة كذلك فيبقى
الدم مع زيادة رقة ورطوبة لمائية من مائية تجذبها الكليتان بعد الطلوع من عروق دقيقة
ثم تنقسم العروق الى البدن حتى تصير شعرية ثم تقذف المرارة بعنق آخر الى الامعاء ليحصل به
رطوبة مزلقة في ثقل الطعام وفي الامعاء لدغ للدفع والطحال يحيل فضلته فيحصل فيها حموضة
وقبض ثم يرسل منها الى فم المعدة لتحريك الشهوة ويخرج الباقي مع الثقل وأما الكلية
فتغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ثم لا بد من ما كول له أصل يحفظه لئلا
يتلف فيبقى جائعا فلا بد من تنميته ليتم حاجاتك فخلق فيها قوة التغذية ولا بد لها من ماء يمتزج
بتراب وهواء ولا بد للهواء من ريح يحركه بعنف حتى ينفذ فيها ليقع الازدواج بين الثلاث
ولا بد من حرارة الربيع أو الصيف اذ يضر فيه البرد المفرط ثم الماء يحتاج في انسياقه الى أرض
الزراعة الى بحار وأنهار وعيون وسواق ثم لا يرتفع الى الاراضي المرتفعة فخلق الغيوم

وقوله حلتنا أوزارا من
زينة القوم أي أثقالا من
حليهم وقوله تعالى حتى
تضع الحرب أوزارها أي
حتى تضع أهل الحرب
السلاح أي حتى لا يبقى
الا مسلم أو مسالم وأصل
الوزر ما حمله الانسان
وسمي السلاح أوزارا لانه
يحمل وقوله ولا تزر وازرة
وزر أخرى أي لا تحمل
حاملة ثقل أخرى أي

وسلط عليها الرياح وخلق الجبال حافظة للمياه وتتفجر منها العيون تدريجا لئلا يغرق البلاد
ولابد للحرارة فى وقت الحاجة من تسخير الشمس لتسخن الارض وتتادون وقت نم النبات
ان ارتفع عن الارض كان فى الهوا كذا انعقاد وصلابة فلابد من رطوبة ينضجها فسخر القمر
وكذا كل كوكب فى السماء مسخر لفائدة ولايتم ذلك الا بحركات الافلاك وهى بالملائكة
فثم ارضية وكلهم الله بك فلا يغتذى بجزء من بدنك الا بسبع ملائكة فاكثر لان معنى الغذاء
قيام جزء من الطعام مقام ماتلف فلابد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم اذ لا
يتحرك بنفسه ومن ثان يمسكه ومن ثالث يخلع عنه صورة الدم ورابع يكسوه صورة اللحم
او العظم وخامس يدفع الفاضل وسادس يلصق الجنس الى الجنس وسابع يراعى المقادير
لئلا يتشوه الصورة وبعض الاجزاء كالعين والقلب يحتاج الى اكثر من مائة ملك وبعدهم
ملائكة السماء وبعدهم حملة العرش ثم ان الله سبحانه وتعالى ربط قوام الاعضاء وقواها
بخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الى القلب ويسرى فى جميع البدن بالعروق الضوارب
وهو الروح الحيوانى وهو كنار السراج والقلب مسترجته والدم الاسود فتيلته والغذاء زيته
والحياة ضوءه وهو غير الروح الالهى والمنعم بالكل هو الله تعالى لاشريك له فهو المشكور
دون الوسايط فمن رأى للوزير والوكيل دخلا فى انعام الملك لم يتم له شكره وانما يتم ان يراهما
كالقلم والكاغد فكذا سائر الاسباب سخرها الله تعالى حتى ان من أوصل نعمته اليك فهو
مضطر بما سلطه عليه من الارادة وألقى فى قلبه أن فى اعطائك له نفعا فينبغى أن يكون فرحك
بالمنعم لترقى الى درجة القرب منه والاستدلال به على عنايته لترجى ثوابه ثم انه ينبغى ان يقصد به
الخير ويضمره للمكافأة ويظهر شكره باللسان والجوارح باستعمالها فى طاعته فان استعملها فى
معصيته فقد كفر بالنعمة ثم لاينبغى أن يرى الشكر من نفسه بل من ربه فهو الشاكر
والمشكور فيختص به الحمد من كل وجه لكن من فعل على يديه ما بلغت به الحكمة غايتها فهو
الشاكر وما وقعت دونها فهو الكفور ونسبته الى الاول محبة والى صاحبه رضا والى
الثانى كراهة والى صاحبه لعنة فأشار الى السعادة الاخروية بالانعام والى الفضائل
النفسية بالتربية والى الفضائل البدنية والخارجية بالرحمة والى الاسباب الجامعة بالعبادة
والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والى جر المنافع ودفع المضار بالمربوبية والقضية
بالرحمة والى التعديل بمالك يوم الدين والى المآكول واعطاء القوى بالتربية والى ارتباط كل
من العلوية والسفلية بالآخر وربط البدن والقوى بالبدن برب العالمين والى أن المنعم
بالكل هو الله بالحمد لله والى المحبة والرضا بالانعام والى الكراهة واللعنة بالغضب وقدم الحمد
فى مقاصد الكتاب للاشعار بأنه أعظم مقاصد انزال الكتب وارسال الرسل وتكليف العباد
وخلقهم وأنه مقدمة كل خير ومنتهاه ولامر ما قال اللعين ولاتجد اكثرهم شاكرين وأقسم
الله سبحانه لاهله بالمزيد فقال لئن شكرتم لازيدنكم وقدم المبتدأ لانه أهم بعد معرفة المنعم فى
التسمية مع أن تأخيره ليشعر بأنه المرجع ولاحاجة الى تقديم الخبر للاختصاص لحصوله من

لاتؤخذ نفس بذنب غيرها
ولم يسمع لاوزار الحرب
واحد الآثام على هذا
التأويل وزر وقد فسر
الاعشى أوزار الحرب
بقوله
وأعددت للحرب أوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدى بها
على أثر الحى عيرا فعيرا
أى تجرى بها الابل (أذل)
غاب (أثاكم) ابتدا كم

لام التعريف والخبر وأظهر اسم الله بعد ذكره للاشعار بأن اقتضاء الحمد باعتبار ظهوره وحذف الخبر وأقيم الظرف مقامه فكأنه جمع فيه بين الحذف والذكر المتنافيين ثم ان قدر فعلا دل على التجدد والاسمية على الثبوت ففيه ايهام الجمع بينهما من وجه آخر وان قدر اسما ففيه ايهام الجمع بين المثلين لانه مشعر بالثبوت المحض من غير تجدد فكأنهما ثبوتان وذكر المسند اليه لانه الاصل مع التلذذ بذكره مع كونه ناشئا من النعم منشأ المزيد مع التلذذ بذكر المنعم ففيه ايهام الجمع بين المثلين من وجه آخر (رب العالمين) الرب المالك فلا يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل بالانعام فله الحمد من جهة استقلاله وتفضله أو السيد الذي علت رتبته فله أعلى المحامد لعلوه وباعلائه للعبيد بانعامه عليهم أو الخالق فله أتم المحامد على كمال أفعاله وصفاته التي تتوقف عليها وانعامه قبل الاستحقاق أو المربي وهو المصلح أو المدبر بتبليغ الشيء أعلى مراتبه بجعل النطفة علقة ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم افاضة الروح عليها واعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشريعة والطريقة والحقيقة فله أجمع المحامد والعالم ما يعلم به الخالق من المحدثات جمع ليشير الى توحيده وعموم قبضه واستيلائه جمع العقلاء ليشير الى أنهم المقصودون بالذات ثم انه أضاف الحمد أولا الى الذات الجامعة للكمالات ثم الى الربوبية التي بظهور نور الوجود ثم الى الصفات الظاهرة في المظاهر بصورها وآثارها ثم عما يترتب عليهما من الجزاء وفي رب العالمين باعتبار اشارته الى ماذكر ايجاز وايراده بعد الاسم الجامع اطناب ففيه ايهام الجمع بين الضدين وهو كالخاص بعد العام والرحيم خاص بعد الرحمن ففيه ايهام الجمع بين المثلين ثم انه صفة موضحة باعتبار ان العوام انما يعرفون الله بالعالمين ومادحة باعتبار ان الخواص انما يعرفون الاشياء به فصح مع جعل المعرف معرفا ايهام الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي للوصف ثم ان العالمين معرف لله في حق العوام فهو أعرف وقد عرف بلام التعريف ففيه ايهام تحصيل الحاصل ثم ان هذه الاسماء علة الحمد والحمد لظهورها لانه ربي ليعمل ففيه ايهام علية الشيء لما هو معلوله وفي الاضافة تعظيم المضاف بأن له الاستيلاء على الكل والمضاف اليه بأن له هذا الرب الكامل التربية والحمد بأنه لا يليق لغيره والعالمين جمع عالم وهو جمع في المعنى فهو مع كونه تفرقة اشارة الى جمع الجمع (الرحمن الرحيم) قد مر ان هي التسمية ذاتيتان وههنا وصفيتان وقيل هناك تسكين هيبة اسم الله وهنا الترجية العابدين الخوفين عمالك يوم الدين اذ لابد للعبادة الشاقة من قائد الرجاء وسائق الخوف, احداهما لتسكين هيبة العوام وترجيتهم والاخرى للخواص ويمكن أن يشار بذلك الى أنهما كما وقع بهما الابتداء يقع بهما الانتهاء لتعذيب الكفار ورحمة للابرار بالانتقام من أعدائهم واعطائهم منازلهم من النار وأخذهم منازلهم من الجنة أو الى انهما كما كانتا مبدأ الحمد العامة مبدأ للعام والخاصة للخاص فهما منتهاه كذلك أو الى أن الحمد وان كمل فلا يكافئ النعم السابقة عامة أو خاصة فلا يوجب المزيد الا بفضل الرحمن ابتداء موجبا له العامة للمزيد العام والخاصة للخاص أو الى أنه كما انقسمت رحمة الدنيا الى عامة

وخلقكم (أكابر) عظماء (الاعراف) سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع من الارض اعراف واحدها عرف ومنه سمي عرف الديك عرفا لارتفاعه ويستعمل في الشرف والمجد وأصله في البناء (أقلت سحابا ثقالا) يعني الريح أي حملت سحابا ثقالا بالماء يقال أقل فلان

العبادة وخاصة تفضلية تنقسم رحمة الآخرة الى عامة مجانية وخاصة تقريبية أو الى أنه
تعالى كما رحم أولا بذكر أسمائه رحمة عامة أو خاصة رحم ثانيا بالعبادة العامة أو الخاصة
أو الى أن العامة الدنيوية انما نابت الجنة لوقوعها بين الجلال والجمال والاخروية وقعت بين
الجمالين أو الى أن الرحمة على العبد بلا واسطة الا أن تكون الخاصة واسطة للعامة والعبادة
بواسطة مالك يوم الدين العامة للعامة والخاصة للخاصة فالحمد أتم تقريبا اذ هو المقصود من
العبادة المقصودة من خلق المكلفين المقصودين من خلق العالم (مالك يوم الدين) بالالف
عاصم والكسائى والباقون بغيرها والمالك المرتبط بالتصرفات التى من استبداد ارتباطه
فاستقل بالتصرفات فيه لو كمل رأيه ولم يتعلق به حق الغير بعينه فالوكيل والولى ليسا مالكين
لعدم استقلالهما والصبى والمجنون مالكان امتنع تصرفهما لقصور رأيهما والراهن مالك
امتنع تصرفه لتعلق حق المرتهن بعينه بخلاف المؤجر لان حق المستأجر انما يتعلق بالنفع
والملك من استبداد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم ودفع مفاسدهم ونفوذ أمره
ونهيه فيهم ثم منهم من اختار المالك لانه يعم تعلقه بالناس وغيرهم وكمال قدرته على المملوك
الممكن من بيعه وهبته ومن يدعاوه على العبد وقوة نسبته لامتناع خروج العبد من ملك
السيد وعدم وجوب رعاية العبد على السيد ووجوب خدمة العبد له وعدم استقلال العبد
بدون اذنه والعبد يطمع فى المولى والملك فى الرعية وللملك انصاف وعدل وهيبة وسياسة
والعبد يرجو من مولاه العفو والتربية ولمولاه عليه رقة ورحمة ونحن الى العفو والتربية
والرقة والرحمة أحوج منا الى الهيبة والسياسة والعدل والانصاف والملك اذا عرض عليه
العسكر رد الضعفاء والمالك يعين عبده المريض وحروف المالك أكثر فيكثر ثوابه ورد بأن
الملك انما امتنع تعلقه بغير الناس لعدم تعلقهم بأمره ونهيه والاعم كسليمان عليه السلام
وبأن للملك استيلاء على الاحرار والعبيد والعلو على الحر أتم وان لم يمكن لعبد ولا يمكن
للرعية الخروج عن ولاية الملك الا اذا لم تتم ولايته وقد تمت هنا اذ أضيفت الى الكل ويمكن
للعبد الحربى الخروج عن ملكه بالهرب الى دار الاسلام بل يمكنه قهر مولاه واسترقاقه
أينما كان والعبد يطلب النفقة والكسوة من سيده وهو أشد من رعاية الرعية ويجب عليهم
امتثال أمر الملك وهو خدمته ويستقل العبد بالاكتساب والاتهاب ولا تستقل الرعية بأخذ
الحقوق فى مكان الفتن ولا باقامة الحدود والاقتصاص والمولى يطمع فى أموال العبد ويعدل
بين عبيده وينصف بينهم وله عليهم هيبة وسياسة ويرجى من الملك العفو والتربية والرقة
والرحمة فى ضعفاء الرعية ونحن فى التمدن أحوج الى الهيبة والسياسة وهو يعطى الضعفاء
من مال الصدقة ويخلص الرعية من الاعداء والثواب انما يكثر بكثرة الحروف لو لم
يكن الاقل أشرف منه ومنهم من اختار الملك لان كل ملك مالك وأمر الملك ينفذ على المالك
بلا عكس فيهما وسياسة الملك أقوى وأقسام الملك لا يقاوم ملكا وممالك الملك أكثر ويكثر
ملاك بلد دون ملوكه والرب بمعنى المالك فيتكرر والملك من جملة الاسماء التسعة

الذى واستقل به اذا
الملك وجعله وفلان
لا يستقل بحمله وانما
سمت الكنز لان فلالاسما
تفل بالايدى اى تحمل
فيشرب نيا (آ لا اله) ثم
الله واحدها الى والى
(آسى) أحزن (أرجنه)
أخره اى أحبسه وأخر
أمره (أسفا) شديد الغضب
والاسف والاسيف الحزين
أيضا (أخلد الى الارض)

والتسعين وليس فيه المالك ثم فيها مالك الملك وقد تمدح به في القرآن دون مالك الملك بالكسر والملك هو المذكور في آخر القرآن والختم انما يكون بالاشرف ويجب على الكل طاعة الملك لا المالك الا على عبيده ورد بأن الملك انما هو المالك لو لم يضف الى الكل وأمر الملك انما ينفذ في مالك لو لم يشتغل ملكه وسياسة الملك لكونه اغير مضمونة أقوى وانما مقاومة الملك لمن لم يملكه واطلاق المالك على من قل ما لكه لا يحصل أدنى مطلقا بل اذا كان كذلك وانما يكثر ملاك البلد حيث لم يشتمل ملك الواحد ولا بأس بذكر الخاص بعد العام وليس كل ما في الاسماء التسعة وتسعين أعلى من كل ما خرج منها وذكر مالك الملك يستلزم ذكر المالك لانه اذا ذكر المقيد كان المطلق مذكورا في ضمنه والتمدح بمالك الملك تمدح بمالك الملك اذا عم بطريق الاولى وذكر الملك في آخر القرآن انما يفيد الشرف لو لم يكن في تخصيصه فائدة أخرى مع أن ترتيب السور غير منزل واذا عم ملك المالك وجب على الكل طاعته ولو صحت الادلة كان لكل ترجيح من وجه واليوم ما بين طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس وقد يراد به مجرد الوقت ويوم الدين يوم القيامة ما بين النفخة الثانية الى استقرار أهل الجنة والنار فيهما والدين الملة أي يوم ظهور نفع ملة الاسلام أو حقيتها للكل أو الانقياد أي انقياد الكل لله أو الجزاء أو القضاء أو الحساب أو السياسة واللام على الاول للعهد وعلى البواقي للاستغراق اذ لا يعتد بما تقدمه وهو مشتمل على الملة فان أريد غيرها فتربية أو تجوز فان كانت الاضافة بمعنى اللام وأريد باليوم ما فيه من الملك ففيه مجازان وان كانت بمعنى في فهو ظرف للمالكية وقد قصد احاطتها فكأنها ظرف لظرفها ثم الاضافة بمعنى في اما على معنى مالك الامر كله يوم الجزاء فالزمان ان كان موجودا دخل في الكل فقد أضيف اليه ظاهرا وباطنا جميعا وأما على معنى مالك اليوم المحيط بما فيه فيجعل كناية عن مالكية ما فيه لان الغالب ان المظروف للمالك الظرف ثم اضافة المالك للاختصاص فالمالكية تعالى للكل وان كانت مستمرة فكأنها لم تكن قبل ذلك اليوم لتوهم مالكية الغير فيه ثم اضافة اليوم للاختصاص فهو اشارة الى أنه وان وقع في ذلك اليوم أمور كثيرة فالمقصود منها الدين وقد فهم ذلك من تخصيص هذا الاسم من بين أسماء يوم القيامة ففيه اجتماع المثلين بل ثلاثة ثم اضافة المالك الى يوم لتعظيم المضاف لظهور احاطة مالكيته أو المضاف اليه بأنه بلغ في كمال رفع اللبس بحيث لم يبق فيه وهم شركة الغير ثم اضافة اليوم تتضمن تعظيم اليوم ففيه تعظيمان فهو أيضا يوهم اجتماع المثلين من جهة أخرى ثم ان أريد بالدين الاسلام ففيه تعظيم المضاف اليه بأنه يوما خاصا بظهور فيه كمال نفعه وان أريد غيره ففيه تعظيم المضاف بأنه الذي يعتد به دون ما تقدمه ثم المالك مضاف الى المستقبل فان أريد به الاستمرار يوهم الاستمرار مع العدم في الماضي والحال وان قصد به الماضي والدين مستقبل ففيه جمع بين الماضي والمستقبل وهما ضدان في الظاهر ومثلان في الحقيقة اذ المراد باسم الفاعل الماضي والمستقبل أيضا ثم مالك صفة توضيح اذ يظهر به حقيقة الهيئة لانه يرفع توهم عجزه أو رضاه بالقبيح أو صفة مدح

اطمأن اليها ولزمها وتقاعس ويقال فلان جلد أي بلى الشيب كأنه تقاعس عن ان يشيب وتقاعس شعره عن البياض في الوقت الذي شاب فيه نظراؤه (آبان) معناها أي حين وهو سؤال عن زمان مثل متى (وايان) بكسر الهمزة لغة سليم حكاها الفراء وبه قرأ السلمي ايان يبعثون

اذ علق به الحمد لانه اشعار بالجزاء على الابتلاء والاخذ من المظالم فكأنه علة لنفسه وترتيب مالك يوم الدين على الرحيم لان الرحمة الخاصة بالحقيقة هي السعادة الابدية التي تكون يوم الدين وعلى الرحمن بواسطته لان العوام انما تتوقر ابه لاصلاح باطنهم وظاهرهم ليرجوا بهذه السعادة ان تأثروا بها فكانت رحمة عامة موصلة الى الخاصة لمن تأثر وقد تصدق في حق من لم يتأثر أيضا وعلى الربوبية بواسطتهما لانهما انما تتم بالاصلاح المذكور وليفضي الى السعادة الابدية فالاصلاح رحمانية والافضاء الى السعادة رحيمية وعلى اسم الله بواسطة الثلاثة لان الهيئة انما تظهر بهذه التربية التي انما تتم بالرحمتين اللتين علمهما بالجزاء ووجه استحقاق الحمد على هذه المالكية انه يظهر به فضل الخالق باعطائه على كلمة واحدة أو عمل ساعة ما لا يحصى من الثواب الابدي وعدله اذ لم يجاوز في الجزاء ما يناسب الافعال والاعتقادات وحكمته بالتفرقة بين المحسن والمسيء بالانعام الصرف والانتقام الصرف والجزاء مصلح للظاهر والباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى والغضب وبه يتم التمدن وقيل حمد أولا باعتبار الهيئة المقتضية للوجود ثم بالربوبية المقتضية للاعراض ثم بالرحمانية المقتضية لاسباب المعاش ثم بالرحيمية المقتضية لاسباب انتظام المعاد ثم بالجزاء المرتب على اصلاحه او الاخلال به ❊ وقيل في ايراد الاسماء الخمسة في الفاتحة ان العبادة مقتضى الالهية والاستعانة مقتضى الربوبية وطلب الهداية مقتضى الرحمانية والاستقامة مقتضى الرحيمية والانعام مقتضى المالكية عند الاستقامة كما ان الغضب مقتضاها عند الاخلال بها (اياك نعبد واياك نستعين) ايا ضمير منفصل منصوب المحل واللواحق لبيان حاله ولا محل لها عند سيبويه والفارسي وضمائر معه أضيف اليها عند الخليل والاخفش والمازني وعند الفراء هي الضمائر واياعماد وعند الزجاج والسيرافي ونقله ابن عصفور عن الخليل اسم ظاهر بمعنى النفس وعند ما ترالكوفيين الضمير المجموع والعبادة تذلل للغير عن اختيار لغاية تعظيمه تخرج التصحر والسجود والقيام والانحناء نوع تعظيم والاستعانة طلب المعونة ما يفيد استطاعة على الفعل أو تيسيرا له أو تقريبا اليه أو حثا عليه ❊ والسر في العبادة من وجوه الاول ان الله تعالى لكمال ذاته وصفاته وأفعاله يقتضي أن يتذلل له من لا يخلو عن نقص لغاية تعظيمه رعاية للحكمة الواضعة كل شيء موضعه الثاني انه تعالى منعم على الانسان بغاية الانعام اذ جعله مختصر الحضرة الالهية بما أفاض عليه من الوجود والحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ومختصر العالم لانه بالحرارة والبرودة والرطوبة و ... وبالتركيب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالحس والتخيل والتوهم والتلذذ والتألم كالحيوان وبالجراءة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك وباجتماع ... كاللوح المحفوظ وبما يثبت بكلامه صور الاشياء في القلوب كالقلم الاعلى فلا بد أن ... يصرف نعمه الى ما خلقها من أجله وقد أعطى العقل للمعرفة والآلات ... الجوارح بهيئة العبادة الحافظة للمعرفة فيهيئه لتكميل ...

(اياك مرساها) متى منتهاها من ارساها الله أي أثبتها أي متى الوقت الذي تقوم عنده وليس من القيام على الرجل انما هو من القيام على الحق من قولك قام الحق أي ظهر وثبت

(أمثال) غنائم واحدها نفل والنفل الزيادة والانفال مما زاده الله هذه الامة في الحلال لانه كان محرما على من كان قبلهم

اعمال القلب لارتباط بينهما فالانسان مخلوق للمعرفة والعبادة فلو اخل بشئ منهما لم يكن انسانا بالحقيقة ولما عارض العقل فى ذلك الوهم والخيال أيده بالشرع فلو فقد لعجز العقل عن ادراك أكثر الامور فالعقل بصر والشرع شعاع * الثالث الانسان يفتقر فى معيشته الى معاونة ومعاملة لا يتم الا بالعدل ولا يتفق عليه مالم يعلم كونه من الله ولا يتم الا برجاء الثواب وخوف العقاب ولا تمام الا بما يذكر الا له على التكرير والذكر القلبى انما يتم بافعال الجوارح * الرابع ان الكمال الانسانى أن تنجلى مرآة قلبه فيحاذى شطر الحق ويلحق بافق الملائكة والاتراكم الخبث على مرآة القلب باتباع الشهوات المظلمة فيلحق بافق البهائم ولا ينجلى الا بالمجاهدة وهى بالعبادة القامعة ظلمات الادوية التى هى امراض القلب المزلة عند مفارقة الروح من البدن فالعبادات أدوية تنير القلب بالمشاهدة وتشرف اللسان بالذكر وتزين الاعضاء بالخدمة وهى وان كانت تذللا فى الظاهر فباطنها عز وتجمل ويكفى فى ذلك انها اشتغال بالحق وفيه كمال لذة العارفين وبه تقر أعينهم وتسر قلوبهم وتروح أرواحهم والسرف الاستعانة من وجوه * الاول ان العبادة وان كانت كسبا للعبد فهى بخواطر لا يشعر بها العبد قبل وقوعها فهى باحداث الله وكذا العلم بنفعها وضررها ولا يلجئ الى الفعل مالم يكن راسخا ولا قدرة للعبد فى ذلك فهو بعون الله تعالى وانما هو فى الغالب للمستعين به * الثانى العقل يختار الاصلح فى العواقب وان كان فيه مشقة ومؤنة فى الحال والهوى يؤثر ما يدفع الاذى فى الحال وتعمى عليه العواقب فيتنازعان ويكون الترجيح غالبا لجند الهوى لسبقه واستقراره بمملكة القلب فلا يمكن ازعاجه الا بعون الله تعالى * الثالث العبادة لا تتيسر الا برفع العوائق الدنيا والخلق والشيطان والنفس ورفع العوارض الرزق والاخطار والمصائب وأنواع القضاء ورفع القوادح الرياء والعجب وغيرهما وبتحقيق البواعث الخوف والرجاء وكل ذلك عقبة شاقة لا يتيسر قطعها الا بعون الله تعالى وتوفيقه * وقدم العبادة لانها وسيلة والاستعانة حاجة على ان اهم ما نستعين له اتمام العبادة واتمام الشئ يشبه لواحقه فاقيم سببه مقامه وفيه اشارة الى انه انما يعين العابد اذا استعان به وأنه لا بد من الاستعانة به فيها ولجميع الاحوال وترتب العبادة على مالك يوم الدين لانها ان كانت لطلب الثواب والهرب من العقاب فلا يكونان الا يومئذ وان كانت لمشاهدة الرب فلا يتم الا حينئذ وترتب الاستعانة عليه لانها الخوف تلف الثواب أو انقلاب سببه سببا للعقاب أو لخوف الحجاب ولو بالعبادة عن المعبود وانما يتم رفعه يومئذ وعلى الرحمن الرحيم بواسطته لانها اشكر للنعم السابقة لتصير سببا للمزيد الى الابد وذلك بالاعانة المستمرة الى ذلك اليوم وعلى رب العالمين بواسطة الكل لان الربوبية تستحق العبادة سيما اذا رتب عليه الجزاء والاعانة حق الربوبية نظرا الى رحمته بالمستعين به خوفا من التلف الظاهر يومئذ وعلى الله بواسطة الكل لانه انما يستحقها بواسطة الربوبية وهو انما يتم بما بعدها وتقديم اياك التنبيه على عظمة الله ليعبده على الخشية فلا يلتفت يمينا وشمالا ولان الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء

وبه قرأت النافلة من الصلاة لانها زيادة على الفرض ويقال لولد الولد النافلة لانه زيادة على الولد وقيل فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة انه دعا باسحق فاستجيب له وزيد يعقوب كأنه تفضل من الله عز وجل وان كان كل بتفضله (أمنة) مصدر أمنت أمنة وأمنا وأمانا كأمن

بصفة العبد وهى العبادة والاستعانة وتقديم الواجب على الممكن وليسهل به رتبة تحمل أثقال العبادة وليستعد لها بالبصيرة فلا يأخذه الكسل والغفلة أو ليفيد الاختصاص لاختصاصه بغاية العظمة وكمال القدرة والانعام التام والجود العام وانما خاطبه بعد الصفة لانه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها والمشاهد بعدها ولانه كان أولا ذاكرا لفكر ثم صار واصلا ولان المناجية وهى فى الغيب آكد والعبادة مقدمة وهى فى الحضور أتم ونون نعبد للجمع ان قرأ فى الصلاة جماعة وان صلى فيها منفردا فمع الملائكة ثم لم يذكر مع عبادته عبادة غيره مما فى حقه أو دلالة على انه واحد من العباد نفيا لتوهم ادعاء التفرد أو استقصارا لذكر عبادته وحده من غير ان يضمها الى عبادة أمثاله أو ليورد العبادات موردا واحدا فلا تتوزع قبولا وردا أو ليستشعر بتعظيم نفسه عند التذلل له لئلا يستنكف عنه أو يجرى فى نون نستعين بعض هذه الوجوه وفصلت الجملة عما قبلها لكمال الانقطاع لان ما قبلها اشتغال بالله وهذا بالعبد أو لكمال الاتصال لانها كبيان ما تقدم لان الثناء أيضا عبادة وكذا جملة اهدنا من نستعين لان طلب الهداية استعانة مع أن جملة اهدنا انشائية وجملة نستعين خبرية فكلاهما متردد بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال وكرر اياك لئلا يتوهم انه يستعين بالعبادة بل بمجرد الفضل الالهى ولم يقل لك نعبد لئلا يتوهم انه يقصد شيئا أو لم يقل بك نستعين لئلا متوسطة بينه وبين مطلوبه ولم يقل لانعبد الا اياك مع انه مصرح بالنفى اشعارا بقلة الالتفات الى النفى مع ان الايجاز واتصال الضمير اطناب فيتوهم الجمع بينهما ولم يقل عبادتك اشعارا بوقوع الفترة فيها أولا ايا لك عبدت لئلا يتوهم الفراغ عنها ولم يؤكد العبادة اشعارا بقصور عبادتهم حتى يجوز ان يتوهم فيهم انهم ليسوا بعابدين وأكد بالتقديم اشعارا بانهم وان قصروا فى العبادة لا يعبدون غيره ثم الاستعانة تذلل كالعبادة فيتوهم اجتماع المثلين وطلب الهداية أيضا استعانة ولم يذكر شيئا من المتعلقات ولام التعليلات ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن أو ليجعل كناية عن أى مقصد شاء ولم يقل اعنا كما قال اهدنا ليشعر بان الحاجة بالحقيقة لطلب الهداية وذكر الاستعانة كالاعتذار فى طلب الحاجة أولا (اهدنا الصراط المستقيم) الهداية الدلالة بلطف اما بالهام كهدى الثدى والتشكى بالبكاء أو باقامة المشاعر الظاهرة والباطنة أو بديهة العقل أو الآراء النظرية أو بارسال الرسل وهى اما عامة تعريف طريق الخير والشر وهو اما تبيانى بشر ما باوابه بحيث لا يتطرق اليه الاحتمال ويدخل فيه الابتلاء واما توفيقى وهو الاخذ والا يهدى الانبياء الذى يوصل الى السعادة الابدية والاصطفاء اما الى الجنة واما الى الحق واما خاصة اشراف نور عالم النبوة أو الولاية يكشف عن الاشياء على ما هى عليه اما من المنزل ان هدى الله هو الهدى أو الى الله انى ذاهب الى ربى سيهدين او بالله لولا الله ما اهتدينا أو أخص ما يطلبه العبد حالا فحالا من ترقيه فى العلوم وزيادة فى صالح الاعمال والذين

قوله (امطرنا عليهم) يقال لكل شئ من العذاب امطرت بالالف وللرحمة مطرت (اذان من الله) اعلام من الله والاذان والتأذين والايذان الاعلام واصله من الاذن يقال أذنتك بالامر تريد أوقعته فى أذنك (اقاموا الصلاة) اداموها فى مواقيتها ويقال اقامتها ان يؤتى بها

اهتدوا زادهم هدى ويعدى بالى اذا أريد الايصال الى الطريق وباللام اذا أريد
نف الطريق وبنفسه اذا أريد تسييره فيه الى ان يقطعه ويصل الى المقصود والصراط
الطريق الواضح واصله السين سمى به لانه يسرط السابلة اى يبتلعهم وكأنه يشير الى ان من
علمته انه بحيث لا يظهر ما يكرهون بلعوا ما يلعوا من بذل وسعهم فيه والمستقيم ما لا يميل
الى جانب وهو ان يأخذ بالاوساط فى الاعتقادات بان لا يقول بنفى الصفات ولا باثباتها على
نهج التشبيه ولا بالجبر والتفويض ولا بنفى الرؤية ولا بها على نهج التشبيه برؤية
الاجسام والاعراض ولا بنفى الكلام النفسى ولا يجعله نفس العبارات الحادثة وفى
الاخلاق بتهذيب الناطقة عن الجربزة وهى استعمال الفكر فيما لا ينبغى والغباوة تعطيله
وتهذيب الشهوية مبدأ جذب المنافع ودفع المضار عن الخلاعة الوقوع فى ازدياد اللذات
على ما لا ينبغى والجمود السكون عما رخص فيه عقلا وشرعا لتحصيل العفة بصرف الشهوية
الى مقتضى الناطقة ليسلم عن عبادة الهوى وتهذيب الغضبية مبدأ الاقدام على الاهوال
والتسلط والترفع عن التهور والاقدام على ما لا ينبغى والجبن الخوف عما ينبغى لتحصيل
الشجاعة وانقياد الغضبية للناطقة ليكون اقدامها واحجامها على حسب الروية من غير
اضطراب والمطلوب تكثير الادلة أو امتثال جميع أوامره ونواهيه عز وجل أو تمييز الطرق
الموصلة اليه أو تحصيل الفضائل أو الرتب العالية أو الثبات على ما هو عليه من جملة ادعاء
بذلك لانه الحكمة التى هى خروج النفس من القوة الى كمالها الممكن علما وعملا لان من
أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا من فضائل الدارين على ما اتفقت الملة والفلاسفة عليه وللدعاء
تأثير تواتر عن الانبياء والاولياء والحكماء حتى قيل الدعاء لاستجلاب المطالب كالفكر
لاستجلاب العلوم وأورد صيغة الامر للاشعار بجزم الطلب واظهار الرغبة وليس بأمر
حقيقى لانه تذلل ولا من تذكير الساهى وحمل البخيل على الجود لان الحكمة قد تقتضى
منع الطالب اذا لم يتذلل ولا ينافى الرضا بالقضاء لانه قد يكون رضا الله فى وقوعه بعد التذلل
والجزم فى طلبه ويجوز أن يشترط وقوعه فى علم الله به ولم يجعله ماضيا لانه يشعر بالتحقق
المنافى للابتهال والتضرع وأورد اهدنا لانه ادخل فى الجمع من يستحق الاجابة ولا يليق بالكريم
رد البعض أولانه لما ذكر حمدهم وعبادتهم واستعانتهم دعا لهم ولم يقل وايانا فتهدى لان
ظاهره خبر يحتمل الكذب ولم يعتبر ذلك فيما تقدم لتلبسه بهما ولم يقل وأرشدنا لان الرشد فوق
الهداية فكأنه اعترف بالقصور عن غاية الكمال وان طلب الاستزادة والمراتب العالية ولم
يقدم المفعول قصدا الى التخصيص لان غير المستقيم لا يتوهم طلبه ولا يتصور التوهم
فى حق الله تعالى ولم يقل مستقيم الصراط لان الاضافة البيانية انما تليق عما يلتبس فيه
الموصوف بغيره والاستقامة انما هى وصف الصراط المستعار عن الطريق المحسوس
الموصوف بوصفه ترشيحا ولم يقل بنون التأكيد لان كامل الرحمة لا يحتاج الى تأكيد طلبها
منه على انه كرر الصراط ثلاث مرات بابداله الصراط وغير المغضوب عليهم ورتب الهداية

عفوتها كما فرض الله
تعالى يقال قام الامر
وأقام الامر اذا جاء به
معطى حقوقه (آتوا
الزكوة) اعطوها يقال
آتيته أعطيته وأتيته جئته
(أواه) دعاء ويقال كثير
التأوه أى التوجع شفقا
وفرقا والتأوه ان يقول
أوه أوه وفيه خمس لغات
أوه وأو وأوه وآه وأوه
ويقال هو يتأوه ويتأوى
(اسلفت) قدمت (الآن)

على الاستعانة لان الهداية استعانة خاصة وعلى العبادة بواسطتها لانها انما تقبل الهداية اذا
كملت بالمجاهدة المفتقرة الى الاستعانة وعلى مالك يوم الدين بواسطتهما لانه انما يكمل
نفعهما برشد بواسطة العبادة الكاملة بالاعانة وعلى الرحمن الرحيم بواسطة الثلاثة لانه رحم
بالهداية العامة والخاصة بواسطة العبادة والاستعانة من خوف يوم الدين وعلى رب العالمين
بواسطة الاربعة لانه انما ربى بالهداية بواسطة رحمته بالعبادة والاستعانة من خوف الجزاء
وعلى الله بواسطة الجميع لانه لا علاقة بالعالم سوى الربوبية فاذا تعلق رحمه وكمله رحمة
باصلاح الاعتقادات والاخلاق والاعمال من التخويف بالجزاء الداعي الى العبادة والاستعانة

(صراط الذين أنعمت عليهم) قد مر ان النعمة ما يطلب ويؤثر والحقيقة هي السعادة
الابدية والمجازية ما وصل الى العامة والمنعم عليهم النبيون والصديقون والشهداء
والصالحون فالنبي انسان كمله الله بلا واسطة تربية بشر بل بتأثير نور القدس فيه في القوة
النظرية المتجلي فيها صورة الاشياء بحيث لا يتطرق اليها الغلط والعملية بجعلها ملكة يقتدر
بها على اعمال صالحة منفرة عن اللذات البدنية مرغبة في اللذات الروحية ثم بعثه لتكميل
الخلق فيما وصدقه بمعجزة أمر خرق العادة المشهورة تظهر من نفس خيرة تدعو الى الطيران
وتابد دعوى النبوة على وفقها يتحدى به من غلب عليهم نوعه ويتعذر معارضته فالامر يعم
القول والفعل والترك كالقرآن وابراء الماء من الاصابع وترك الطعام مدة مديدة والتقييد
بالمشهورة لانه يعتاد ظهور الخارق من الانبياء والاولياء لكنه نادر والنفس الخيرة للتصريح
خوارق الساحر لان دلالة الخارق في حقه معارضة بداية طبع يبطل دعواه وبالدعوة
عن السحر اذ لا يتأتى للساحر الدعوة اليه عادة وهو وان خرج بقيد خيرة النفس الا
ربما لا تظهر خلاف الحالة وباقتران دعوى النبوة عن الكرامات وبكونها على وفقها عما
يقول آيته نبوتي ان ينطق هذا الحائط فنطق بانه كذاب وبالتحدي عن الارهاص و
المعارضة عما يستعان فيه بخواص الاشياء وبغلبة النوع كالسحر والطب والفصاحة في
... وعيسى ومحمد عليهم السلام اذ لا عبرة بتحدي العبد وقد زاد قيدا أن يكون
التكليف احترازا عن خوارق الآخرة واشراط الساعة ولا حاجة الى ذلك
وقد جرت سنة الله تعالى بخلق العلم الضروري فمن شاهدها أو سمعها بالتواتر بصدق
... كصريح التصديق منه وقال الراغب لكل نبي آية
... كالانوار الرائقة عليهم والاخلاق الكريمة لهم والعلوم الزاهرة بان يكون
... يشفي السامعين وهذه أحوال لا يطلب معها بصير معجزا
... عن ادراك الفرق بين كلام الله والبشر من طلبها وقال بعض المحققين
يستدل بالمعجزات على الاعتقادات الصائبة والاعمال الصالحة والكامل يستدل بها
... على صدقه ووجوب اتباعه اذ الامراض الروحانية غالبة على الاكثر لنقصانهم
الفطرية فاذا رأينا من يعالجها ويكمل النفوس علمنا انه طبيب حاذق ونبي صادق

أي في هذا الوقت والآن
هو الوقت الذي أنت فيه
(اخبتوا الى ربهم)
واخشعوا وخشعوا لربهم
ويقال اخبتوا الى ربهم
اطمأنوا اليهم وسكنت
نفوسهم وتفوضهم اليه
والخبت ما اطمأن من
الارض (اراذلنا)
الاخس الارذال منا
(أوجس في نفسه خيفة)
احس واضمر في نفسه

تعاضد

تعاضد العقل فيما يستقل كوجود الباري وتفيده بما لا يستقل كالكلام والرؤية والمعاد الجسماني وبيان تفاصيل الثواب والعقاب على الاعمال وبيان حال أفعال تحسن تارة وتقبح أخرى على ان الاكتساب بالعقل لا يتأتى لمن خلا عن صناعة النظر ويفوت اكتساب أسباب المعاش والصديق من احترز عن الكذب والمعاريض الا عند الضرورة وأخلص فلا يمازجه حظ النفس ولم يتردد في عزمه واستوى سره وعلانيته وكان له غايات مقامات الدين والشهيد من تحقق بالمشاهدة بقلبه والصالح من طهر ظاهره عن المعاصي وباطنه عن الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة ويشملهم اسم الولي وهو المقبل على الله بكل حال وقد يكون له كرامة أمر خارق للعادة خال عن دعوى النبوة مقرون بالتزام متابعة فخرج بالخلو المعجزات وبالالتزام الاستدراج ومؤكده تكذيب الكذاب كمسيلمة العين الصحيحة عورا بدعوة مسيلمة لتصحيح العوراء ويسمى اهانة وما وقع تخليصا للمؤمنين ويسمى معونة ولا كرامة بدون الايمان ومتابعة الشريعة فاذا رأيت من يصدر عنه الخوارق غير مستقيم فذلك من تعلقه بالشيطان فانه يعطي الخبيث الخوارق كما يعطيه الله تعالى الطاهر بالملائكة ٭ قال الامام حجة الاسلام في منهاجه من نعم الله عليهم ان يثني عليهم ويعظمهم ويحبهم ويتوكل أمرهم ويتكفل برزقهم ويكفيهم من أعدائهم ويكون انيسهم ويعز نفوسهم فلا يرضون بخدمة الملوك لهم ويرفع همتهم عن التلطخ بقاذورات الدنيا ويغنيهم وينور قلوبهم فيكشف لهم عن علوم لا يصل غيرهم الى بعضها الا بجهد جهيد في عمر مديد ويشرح صدورهم فلا تضيق بمحن الدنيا ومصائبها ومؤن الناس ومكايدهم ويجعل لهم مهابة في قلوب الجبابرة ويحمل الناس على حبهم ويبارك في كلامهم وانفاسهم وافعالهم وآماكنهم وفيمن صحبهم أو رآهم ويسخر لهم البر والبحر ويسيرون في الهواء ويمشون في الماء ويقطعون الارض في أقل من ساعة ويسخر لهم الحيوانات ويملكهم مفاتيح الارض فحيث ضربوا أيديهم فلهم فيه كنز وأرجلهم فلهم فيه عين وأينما نزلوا فلهم فيه مائدة ان شاؤا ويجعل لهم باباً عنده لينتهي بهم الحاجات ويجيب دعوتهم ولو أشاروا الى جبل لزال ثم يهون عليهم سكرات الموت ويثبتهم على الايمان ويرسل اليهم الروح والريحان بالبشرى والامان ويخلدهم في الجنان ويعظم ملائكة السموات أرواحهم والناس جنائزهم ويزدحمون في الصلاة عليهم ويؤمنهم فتنة القبور ويوسعها لهم وينورها ويؤنس أرواحهم فيجعلها في أجواف طيور خضر ويحشرهم في عز وكرامة من حلل وتاج وبراق ويبيض وجوههم ويؤمنهم من أهوال يوم القيامة ويعطي كتبهم بأيمانهم وييسر حسابهم ومنهم من لا يحاسب ويثقل ميزانهم ومنهم من لا يوقف للوزن ويوردهم الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم ويجوزهم الصراط وينجيهم من النار ومنهم من لا يسمع حسيسها ويخلده ويشفعهم كالانبياء ويعطيهم ملك الابد ويحل لهم الرضوان الاكبر ويلقون رب العالمين هذا مع ما سبق في بحث الحمد ٭ وكرر الصراط ليشير الى ان المنعم عليهم انما أنعم عليهم بالسعادة الاخروية وسائر البركات لكونهم

شوقا (أمر باهلاك) من بهم لبالاتصال سرى وأسرى لغتان (آوي الى ركن شديد) أنضم الى عشيرة منيعة وقوله تعالى فتولى بركنه أي بجانبه أي أعرض (أدلى دلوه) أرسلها الى البئر ودلاها أخرجها (أشده) منتهى شبابه وقوته واحدها شد مثل فلس وأفلس وشدة وأنعم فلان ودى

الصراط المستقيم ثم الابدال اطناب وحذف العامل ايجاز ففيه ايهام الجمع بين النقيضين وحذف المعمول أيضا ايجاز ففيه ايهام الجمع بين المتنافين ثم انه تخصيص بعد التعميم ان اريد المستقيم في الجملة لان هذا في أعلى مراتب الاستقامة لاختصاصه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فان اريد كامل الاستقامة فهو تفصيل للمجمل ثم انه جمع فيه بين فعل العبد أي الاستقامة وفعل الرب أي الانعام واضافة الصراط تتضمن تعظيم المضاف بانه لا يسلكه أحد الا من انعم عليه أو المضاف اليه بانهم الذين يطلب من الله التوفيق لمتابعتهم ولم يقل من انعمت عليهم لاحتمال ان يكون نكرة موصوفة فلا يفيد العلم بكونهم معروفين بالانعام عليهم لكنه شرط طلب المتابعة لامتناع طلب متابعة المجهول حاله واسند الانعام الى الذات اشعارا بكماله وخاطب لئلا يرجع الى الغيبة بعد الحضور فانه قصور ولم يقدم عليهم لان التخصيص مانع لطلب المثل وجعل ماضيا لئلا يتوهم انه مشكوك فيه مثل المستقبل وحذف مفعول الانعام ليشمل الدنيوية والاخروية ان جعل مطلقا في قوة العام أو ليكون كناية عن المقصد الذي هو السعادة الاخروية أو ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن وقابل بين الانعام والغضب والضلال لانهما سببا الانتقام فكانهما مناقضه وجعل الواحد مقابل الاثنين اشعارا بغلبته لان الرحمة سابقة وسياتي تمام تحقيقه (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الغضب كيفية نفسانية يغلي منها دم القلب فتنزعج النفس عنه دفعا للمكروه وقهرا لسببه وأول في حق الله تعالى بالانتقام أو ارادته وقال الامام حجة الاسلام وهو نسبة مشيئة الله الى من استعمل اسباب الحكمة دون غاياتها ومبدؤه الكفران ويترتب عليه الحرمان والنقمة ويقابله الرضا نسبة مشيئته تعالى الى من استعمل اسباب الحكمة لاتمامها ومبدؤه الشكر ويترتب عليه الثناء والعطاء والضلال سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب اما لعدم كايثار اللذات الحسية على الروحانية ايثار الصبي اللعب على السلطنة او لغرور مكون النفس الى ما تم رواه أو لشبهة ككون النقد خيرا من النسيئة والمشاهد وهو غلط فان العشرة النسيئة خير من نقد الواحد عند التيقن والاخرة يقين عند البصراء من الانبياء والاولياء والعلماء وعلى القاصرين تقليدهم كما ان على المريض تقليد الطبيب فان كان شكا المريض يتيقن بشاعة الدواء ويشك في الشفاء ولغلبة هوى عليه يضيق صدره عن الخير ويشرحه للشر فان استمر عليه اورثه رينا ثم غشاوة ثم طبعا ثم ختما ثم قفلا ثم موت القلب فلا ينفعه الآيات والنذر وفي عكسه ان صبر على اقتراف الحسنة اورثه حسنا ثم انشراح صدر ثم يصير مخمنا للتقوى ثم ينزل عليه سكينة تميزه فان انتهت صارت عصمة وفسر البيضاوي المغضوب عليهم بالعصاة والضالين بالجاهلين بالله لان المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فيقابله من اخل باحدهما فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه وبالعقل جاهل ضال وأقول المغضوب عليه المعاند في الكفر تقليدا أو تقصيرا والمتعمد بالمعاصي والضال الواقع في الكفر تقليدا أو تقصيرا في النظر وفي المعاصي اعتمادا على كرم الله وعفوه

والقوم اوتي وشدة وأشد مثل نعمة وانعم ويقال الاشد اسم واحد لا جمع له بمنزلة الآنك وهو الرصاص والاسرب وهو القزدير وذكر عن مجاهد في قوله تعالى ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة واستوى قال أربعين سنة واشد اليتيم قال وانما ثمان عشرة سنة (أكبرنه) اعظمنه

او المغضوب عليه الكافر والضال المبتدع او المغضوب عليه المنتقم منه والضال المخطئ أعم منه ومن المعفو عنه وهذا أقرب حذرا عن متابعتهم لانها كتابعة أعداء الملوك يجعل التابع في حكم المتبوع وابتدأ باسم الله وحمده وانتهى بذم الغضب والضلال لان مطلع الخيرات الاقبال على الله وتمامها بالسلامة عن الغضب والضلال وفيه اشارة الى سبق الرحمة ثم ان جعل غير بدلا فكان الداعي رأى قصور نفسه عن سلوك صراط المنعم عليهم فاعرض عن طلبه واخذ بطلب السلامة وان جعل وصفا باعتبار اشتهار المضاف اليه بمغايرة الموصوف بان يكون تعين المغضوب عليهم ولا الضالين بالخلو باحدى القوتين مثل تعين المنعم عليهم بالجمع بينهما كالانه طلب الجمع بين سلوك طريق المنعم عليهم والسلامة عن طريق غيرهم اذ قد يظهر على الضال خوارق يتوهم انها كرامات ولفظة غير تشعر بالمغايرة الكلية وزيادة لا تشعر بان المطلوب الانخلاء عنه سواء قارنه الغضب أم لا ثم انه نسب الانعام الى الحق لانه تفضل به دون الغضب لانه سبب فعل المغضوب عليه فهو كالفاعل الحقيقي له على ان نسبة الغضب الى الله يؤيس من رحمته ولم يقل غير الذين غضبت عليهم لانه يخص الاحتراز عن المعلوم والمقصود التعميم ولم يقل غير مغضوب عليهم لئلا يتوهم اختصاص الهرب من قوم دون قوم ثم المغضوب عليهم مجاز مرسل تجوزه تابع لتجوز الغضب ان أريد المنتقم منهم ثم الاصل ان يجعل المغضوب عليهم في مقابلة المنعم عليهم والضالون في مقابلة الهداة لكن لما جعل المنعم عليهم هداة بطلب صراطهم قابل المنعم عليهم بهما وقدم المقابل الصريح أو يقال المنعم عليه لما كان هو الجامع بين القوتين قوبل بهما وقدم الاهم وهو من استولى عليه الغضب بحيث لا يرجى انفكاكه عنه بناء على انه الكافر ثم عم تابعيه والفاسق ولم يقل ولا المضلين لان الاضلال وان كان من الله لكنه بعد اختيارهم فهم أولى بنسبته اليهم (آمين) ليس من القرآن وفاقا لم يكتبه الاولون في مصاحفهم بمعنى استجب أو كذلك افعل او قاصدين لحولك أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين اجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن سائر الاشياء أو راضين بما قضيت لنا أو علينا وبالجملة ففيه رجوع الى الله وادامة الافتقار اليه وهو أصل كل خير وبه يتم سلوك طريق الحق ويسلم من الآفات سلمنا الله منها بمحض فضله ومنه انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البقرة)

سميت بها لدلالة قصتها على وجود الصانع اذ حياة القتيل ليست من ذاته والا لحيي كل قتيل ولا بضرب بعض البقرة عليه والا لحصلت متى ضرب وعلى قدرته لانه أحيي بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده وعلى حكمته لانه اشار بذلك الى احياء القلب بذبح النفس الامارة المماثلة له وعلى النبوة لكونها معجزة وفيها اشارة الى وجوب طاعة الانبياء من غير تفتيش لتقل المؤنة ولا تقع الفضيحة التي وقعت للقائلين أتتخذنا هزوا وعلى الاستقامة لان طلب المبادلة وطلب ما سوى الله شبهة وعلى ان المجاهدة تفيد الهداية وعلى شرائط ذلك بكونها في

(اصحاب اليمن) اهل اليمن يقال اصبانى فصبوت أى حملنى على الجهل وعلى ما يفعل الصبي ففعلت (اضغاث احلام) اخلاط احلام مثل اضغاث النبات يجمعها الحشيش

غير زمن الشيخوخة لان قلع أصول الهوى بعد استحكامها وضعف النفس ...
جدا ولا في زمن سكر الشباب لقلة العقل المحارب للهوى مع التزين بصفرة الصلاح وه
التى تسر الناظرين وعلى المعاد بعود الحية الى القتيل وسائر ما فى السورة مقدما
أو مقدمات لهذه الامور

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اى باسم الله الذى تجلى بذاته وصفاته فى كتابه الشامل على بيان كمالاته الرحمن بنفى الريب
عنه بجعله معجز الكل الرحيم بجعله هدى للمتقين (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى) اى
الاصل الالزم المستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله لجمعه ما فى الكتب ال...
رفعه كل ريب باقامة الحجج ورفع الشبه مؤيدا بالاعجاز وتصديق الكتب الالهية قبله
وكشوف الاولياء بعده بل انما يعرف صدق الجميع به والادلة العقلية المحضة فلا تقاوم
معارضة أو مناقضة أو نقض والنقلية المحضة من سائر الكتب تحتمل التحريف وقد ارتفع
من هذا الكتاب ماذكر مع كمال هدايته لما لا يتناهى من المطالب العلمية والعملية أو أعلى
لامع ماح لظلمات ذلك الكتاب لان فيه أدلة قاطعة مؤيدة بما ذكر مع رفع ما يوقع فى الر...
حتى يفيد الهداية الكاملة أو أتم لطف مفيد للكمالات لانه أفاد بالفاظ قليلة ما لا يتناهى م...
العلوم مؤيدة بنفى الريب وتكميل الهداية أو أساس لب للمطالب العالية لان فيه الا...
الاولية التى لا ريب فيها مع انتاجها أكثر الغوامض التى هى لب المطالب العالية أو غير ذلك
عما يناسب المقام (للمتقين) المتقى من وقى نفسه عما يضرها فى الآخرة من اعتقاد وخلق
وعمل كملت هدايتهم لانهم لما اتقوا لم يعطلوا النظر ولم يقصروا فيه ولا الجواب...
يتركوا الاخلاق الردية فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات الداعية الى التعطيل والتقصير ...
الاعتقادات فلانهم (الذين يؤمنون بالغيب) الايمان هو التصديق بما علم ...
ونه من دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عدى بالباء لتضمنه معنى الوثوق أو الاعترا...
... رح عن ادراك الحواس الظاهرة والباطنة كالصانع والملائكة واليوم الآ...
القدر والكتب والرسل من حيث اضافتها الى الله اعتبر ليبقى اختيار المكلف والهداية
فى ذلك الاطلاع على حقائق وتفاصيل من ذلك (و) أما الاعمال فلانهم الذين (يقيمون
الصلوة) اى يحفظونها من كل خلل فى عمل القلب واللسان والجوارح فريضة أو عزي...
أو بعضا أو هيئة أو شرطا أو أدبا بكل حال بحيث يتدبرون فيها الاسرار كدلالة الطهر على ...
والحبث على الطهر عن علائق الحوادث من جهة تشبهه المناسب الحق المنزه فيما ...
وتوجه الظاهر الى القبلة التى هى منشؤه على توجه الباطن الى جناب الحق الذى ...
ويزيده شغل اللسان بدعاء الاستفتاح ودلالة القيام على الاستقامة والتكبير على ...
ما سواه الاعراض عنه ويزيده رفع اليدين ودلالة الثناء باللسان الذى ...
ميله بالكلية اليه ويزيده الطلب والتخصيص بالعبادة والاستعانة والتضرع ...

الانسان فيحكون فيها
شروب مختلفة واحدها
منث وهو مل كمنه
(اعصر خمرا) أى استخرج
الخمر لانه اذا عصر العنب
فانما يستخرج الخمر ويقال
الخمر العنب بعينه حكى
الاصمعى عن معتمر بن

الهداية وبالتعوذ من طريق أهل الغضب والضلال ودلالة الركوع على الانكسار لعظمته والاعتدال على الاستقامة فيه والسجود على التذلل بعد الانكسار والجلوس على التقرب بالسجود والسجود الثاني على رفع التكبر بالتقرب (و) أما الاخلاق فلانهم الذين (مما رزقناهم ينفقون) الرزق ما ساقه الله الى الحيوان لينتفع به ونسبه الى عظمته ليدل على عظم فيضه تسهيلا للانفاق منه ويدخل فيه انفاق المال تطهيرا للنفوس عن البخل وتحصيلا للسخاء يدل الزكاة والفطرة وصدقة التطوع والوقف وبناء المساجد والمدارس والقناطر وفي الحج والجهاد وأشار الى منع الاسراف في الانفاق على النفس والاهل وغيرهم بمن التبعيضية وبذل الروح في سبيل الله تطهيرا للغضبية عن الجبن وتحصيلا للشجاعة فاستكمل بذلك القوتين بعد استكمال الحكمية بما مر (و) كيف لا يكون هذا الكتاب هدى الى ما لا يتناهى وهو يوجب الايمان بكل ما أنزل اليك منه ومن السنة وبما أنزل على الانبياء من كتبهم وسننهم من قبلك فلا شك أن (الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أساسوا بالهدايات كلها كيف (و) تزداد أهل هذا الكتاب بمزيد تفصيل وتحقيق للامور الاخروية فلا شك أنهم (بالآخرة هم يوقنون) فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك أن (أولئك) مستولون (على هدى) عظيم (من ربهم) الذي ربى الامم كلها بتلك الهدايات بالايمان بها اجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها (و) ليست شاملة على ما فيه فلا شك أن (أولئك هم المفلحون) بالهدايات كلها بل لا هداية لهم أصلا لان الكفر بهذا الكتاب يستلزم الكفر بها على انه ضلال لا يوازيه تلك الهدايات (ان الذين كفروا) بهذا الكتاب لم يكن كفرهم لشبهة عرضت لهم في اعجازه بعد النظر فيه بل لتركهم النظر أو لعنادهم ولا يكادون ينظرون أو يتركون العناد وان خوفتهم من ذلك وعرفوا صدقك بل (سواء عليهم) انذارك وعدمه بحيث يشك فيه (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) لانهم سواء ظهر لهم الدليل أم لا (لا يؤمنون) والكفر انكار شيء مما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام بأن لا ينقاد له عرف حقيته أو اعترف بها أم لا ثم أشار الى أن الدلائل وان كانت قطعية فانما تفيد من فتح الله عليه باب النظر وهؤلاء (ختم الله على قلوبهم) أي جعلها كالمستوثقة بالختم فلا يستدلون بأنفسهم (و) لا يسمعون الى المستدلين لان الله ختم (على سمعهم و) لا يبالون بكل المستدلين اذا رأوه اذ (على أبصارهم غشاوة و) ليس لهم أن يعتذروا بعدم اطلاعهم على حقيته بل (لهم عذاب عظيم) لان ذلك كان من تقصيرهم وعنادهم وكان من وجوه كثيرة ثم ان الختم والغشاوة لم يكونا لخفاء الاعجاز لانه ختم عليهم وغشي بالنسبة الى أظهر الاشياء وهو الله تعالى وحكمته المقتضية للجزاء وان ادعى بعضهم ظهورهما له (و) ذلك أن (من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) بهما في الباطن مع غاية وضوحهما ثم من شدة ختمهم وغشاوتهم انهم يتمنون أنه لو تحقق الله والجزاء لتمسكا عليه بايماننا في الظاهر

سلمان قال لقيت اعرابيا ومعه عنب فقلت له ما معك فقال خمر (آوى اليه أخاه) ضمه اليه وأوى اليه انضم اليه (آثرك الله علينا) فضلك الله علينا ويقال له علينا أثرة أي فضل (أناب) تاب والانابة الرجوع عن منكر (أشق) أشد (أصنام) جمع صنم والصنم ما كان

كما تمسك به على المؤمنين فى حقن الدماء والاموال فهم فى زعمهم (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم) لان الله تعالى أعلى من أن ينخدع ويظهره على المؤمنين وان أبروهم مجرى أنفسهم ويقع خداعهم بأنفسهم اذ يرونها ذلك كالدائم فى تركهم النظر بالكلية (وما يشعرون) بخداعهم لانفسهم مع غاية ظهوره وانما لا يظهر لهم اذ (فى قلوبهم مرض) هو تفريطهم فى القوة الحكمية فيما ألفوه من دين آبائهم وافراطهم فى الشهوية والقرآن وان كان شفاء الا أنهم لما أبغضوه لم يستعملوا النظر فيه (فزادهم الله مرضا) بافراط العضبية (و) عدم النظر لو صلح عذرا فى عدم الايمان فليس بعذر فى التكذيب فلا محالة (لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) لانه تكذيب بلا دليل بل مع الدليل على صدقه وهو الاعجاز (و) لعدم شعورهم بالمرض (اذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض) من افراطكم فى الشهوية والعضبية وتفريطكم فى الحكمية بترك الانقياد لشرائع التى بها انتظام أمر الدارين وتحقق الانسانية (قالوا انما نحن مصلحون) أى مقصورون على الاصلاح لانا نرجع الامر الى ما كان عليه فى الازمنة الماضية (ألا انهم هم المفسدون) لان ذلك الامر كان فسادا مستمرا ازاله الله ببعثة الرسل فلما استرجعوه كانوا مفسدين بعد الاصلاح وهو أتم من ترك المستمر (ولكن لا يشعرون) من مرض قلوبهم انه مخل بانتظام أمر الدارين وبتحقق الانسانية مع ظهوره (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) الذين قصدوا اصلاح نظام الدارين وتحقق الانسانية اذ به الانقياد لقواعد العدل التى بها الانتظام والتحقق (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) الذين من خفة رأيهم لم يستوفوا فوائد الشهوية والغضبية (ألا انهم هم السفهاء) بترك تعديلهما واتباعهما الحكمية وهو أتم استيفاء لمن تأمل حق التأمل (ولكن لا يعلمون) لتركهم التأمل بالكلية ثم أشار الى أن قولهم أنؤمن كما آمن السفهاء ليس بطريق التصريح بل مقتضى عباراتهم (و) ذلك انهم (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بالجملة الفعلية الماضية من غير تأكيد لعلمهم بقبولهم له عن سفاهتهم اذ يعتقدون بمجرد ذلك دماءهم وأموالهم مع ظهور افسادهم (واذا خلوا) أى مضوا خالين عن حضور مؤمن معهم (الى شياطينهم) أى الذين ماثلوا الشياطين فى التمرد (قالوا انا) وان أظهرنا الايمان لهم حينا مستمرون على الكفر (معكم) فى أعلى مراتبه فأكدوا لهم بالجملة الاسمية لاعتقادهم كمالهم بحيث لا يقبلون منهم ذلك القول مع اظهارهم الايمان من غير تأكيد ومع ذلك يعتقدون فيهم انهم يعترضون عليهم بلسان الحال ما لكم تظهرون الايمان لهم فيقولون (انما نحن مستهزؤن) أى مستخفون بهم لاغترارهم بمجرد قولنا المخالف لفعلنا فقال عز وجل ان كان المؤمنون محل استهزائهم حينا مع غاية جهلهم فهم محل استهزاء الله علام الغيوب استهزاء مستمرا بتجدد الامثال اذ (الله يستهزئ بهم) بحقن دمائهم وأموالهم ليزدادوا اثما فيزدادوا عذابا هو أشد بلاء من ذهاب الاموال والدماء المؤلم أيام الحياة الدنيا (و) يدل

مصورا من حجر أو مدر أو نحو ذلك والوثن ما كان من غير صورة (أصفاد) أغلال واحدها صفد (أسقيناكموه) تقول لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلت له شربا أو عرضته لأن يشرب بفيه أو يسقى زرعه قلت أسقيته ويقال سقى وأسقى بمعنى واحد قال

عليه انه (يمدهم) بالنعم مستغرقين (في طغيانهم) مجاوزة الحد في الضلال (يعمهون) أي يترددون مع حدوث الدلائل يوما فيوما فهذا دليل على مزيد عذابهم الذي هو أشد وجوه الاستخفاف وسيفتح لهم في النار بابا الى الجنة كلما صاروا اليه سد عليهم وكيف لا يستهزئ الله بهم وهم أسفه الناس معاملة معه اذ (أولئك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الضلالة) أي النفاق (بالهدى) أي الايمان الذي أنطق الله به ألسنتهم وفيه ربح الدارين وفي الضلالة خسرانهما فان لم يكن خسران الدنيا (فما ربحت تجارتهم) أي ما كانت سبب ربح الدنيا وقد خسروا الآخرة اذ ضيعوا رأس مالها (و) هو الهدى لانهم (ما كانوا مهتدين) بمجرد النطق بالايمان وان كان هدى في نفسه كيف وقد استبدلوه بتكذيب الباطن فلم يربحوا شيأ وقد خسروا سعادة الابد التي لو استبدلوها بسعادة الدنيا كان عين الخسران العظيم فكيف اذا لم يحصل أيضا وأي سفه أعظم من ذلك (مثلهم) أي صفتهم العجيبة الشأن في اشتراء الضلالة المظلمة بالهدى المنير (كمثل الذي استوقد نارا) أي طلب الوقود ليرتفع لهب النار ويزيد الانارة اذا ادعوا الانفسهم قوة الايمان التي هو في الانارة المعنوية مثل النار في الحسية أو أشد (فلما أضاءت) النار (ما حوله) أي حول المستوقد فابصر ما به اطفأ النار على ظن انه لم يبق له اليها حاجة كذلك اطفأ هؤلاء مصباح الايمان من باطنهم على ظن انه لا يحتاج اليه الا في حقن الاموال والدماء مما حول النفس وقد حصل كالابصار للمستوقد فلما ماتوا (ذهب الله بنورهم) أي بما تنفذه من حقن الدماء والاموال (وتركهم في ظلمات) ظلمة الكفر وظلمة أهوال يوم القيامة وظلمة غضب الله وعقابه بحيث (لا يبصرون) خلاصهم عنها فهذا مثلهم لو سمعوا ولكنهم (صم) ولو سمعوا لم يتلفظوا بما يزيله من الايمان الخالص لانهم (بكم) ولو أمكنهم النطق به لم يتلفظوا اذ لا يرون حسن الايمان وقبح النفاق لانهم (عمي فهم) وان أمكنهم الاقالة (لا يرجعون) عن ضلالتهم الى هداهم (أو) مثلهم في اشتراء الضلالة بالهدى (كصيب من السماء) أي كمثل مستبدل مكان مطر كثير من السماء وهو نظير الاسلام الذي هو مكان مطر العلوم النافعة بمكان لا صيب فيه وهو نظير الكفر الذي ليس في مكانه مطر علم نافع استبدلوا مكان الصيب بما فيه من أذيات اذ (فيه ظلمات) ظلمة تتابع القطر وظلمة الغمام وظلمة الليل (ورعد) هو الصوت المسموع من السحاب باصطكاك أو خرق (وبرق) ما يخرج منه من الاجزاء المحترقة الدخانية التي فيها دهنية بالخرق ولا شيء من ذلك في مكان لا صيب فيه كذلك في الاسلام أذيات مطاعن الجهال والجهاد والهجرة عن الاهل والاموال ورعد الوعيد على المعاصي وبرق الدلائل المانعة من استيفاء الشهوات وامضاء الغضب بل كأن الهاربين من مكان المطر (يجعلون أصابعهم) أي أناملهم (في) صماخ (آذانهم) خوفا (من) تأثير أصوات (الصواعق) جمع صاعقة نار تنزل من السحاب يجعلونها فيها (حذر الموت) من تأثيرها كذلك هؤلاء يجعلون أصابعهم

لبيد
سقى قومي بني مجد وأسقى
نميرا والقبائل من هلال
(أرذل العمر) الهرم الذي ينقص قوته وعقله وبصره
الى الخرف ونحوه (أثاث) متاع البيت واحدها
أثاثة (أكنان) جمع كن
وهو ما ستر ووقى من الحر
والبرد (أنكاث) جمع نكث

فى آذانهم من سماع الوعيد لئلا يلجئهم الى اخلاص الايمان الذى يرونه موتا بفوات ما اتفقوا
من دين آبائهم (و) هؤلاء وان هربوا من سماع الوعيد فلا يفوتونه اذ (الله محيط بالكافرين)
محيط بهم قهره أينما هربوا فانه كما يخاف الهاربون من المطر لاجل البرق اذ (يكاد البرق
يخطف) أى يعمى (أبصارهم) كذلك هؤلاء يخافون من برق الدلائل أن تخطف أبصار
شبهاتهم وكان الهاربين من المطر (كلما أضاء) العالم بالبرق (لهم مشوا فيه) كذلك هؤلاء
المنافقون اذا رأوا غلبة نور الاسلام مشوا فيه (و) كان الهاربين (اذا أظلم) العالم (عليهم)
بذهاب البرق (قاموا) كذلك هؤلاء اذا ظهرت لهم أدنى شبهة قاموا فى كفرهم ظاهرين فهذا
مثالهم لكنهم لا يسمعونه ولا يبصرون ما فيه لذهاب سمعهم وأبصارهم الباطنة (ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وأبصارهم) الظاهرة أيضا كما لو شاء لذهب بسمع الجاعلين أصابعهم فى آذانهم
من الصواعق وأبصار الخائفين من البرق بل لو شاء لذهب بهما من غير صاعقة ولا برق (ان الله
على كل شئ قدير) فلا يحتاج الى سبب ولا يمنعه مانع ثم أشار بان هذا التمثيل لا يفيدهم الا
بمعارض الدليل القاطع على وجوب عبادة الله بالاسلام له والانقياد لاحكامه فقال (يا أيها
الناس) أى يا من نسى الاصل الذى تمسك به فى مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل
الضعيف (اعبدوا ربكم) فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا وحقيقة العبد أن
يكون عابدا سيما اذا أنعم عليه بأجل النعم وهو الايجاد وما يتوقف عليه اذ هو (الذى خلقكم
والذين من قبلكم) من مقدمات وجودكم نهذا الخلق يقتضى أجل وجوه الشكر وهو
العبادة (لعلكم تتقون) سخطه بترككم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم واهمالكم شكر
أجل نعمه ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه وهو أن ما جعلتموه مشابها للهرب عن
الاسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته ومبدئه ومنتهاه وما يحصل منه اذ هو (الذى
جعل لكم الارض فراشا) أى وطاء قرركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع
اقتضاء طبعه الاحاطة بها وجمع فيها بين الصلابة واللطافة لتقدروا على التمكن عليها كالفراش
(والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار الملائكة العلوية (وأنزل من)
بعض أوضاع (السماء) فى حال حركاتها (ماء) لايات النبات الحامل مواد الثمرات (فأخرج به
من الثمرات) اذ جعل فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع النبات
والثمار لكونه (رزقا لكم) ولما تفرد بهذه الانعامات أفردوه بالعبادة (فلا تجعلوا لله أندادا)
أى أمثالا فى استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك فى الالهية أو الصفات الكمالية (وأنتم
تعلمون) انه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء ولا الارض ولا أنزل الماء ولا أخرج
وهذا هو الاسلام الذى يقتضيه المطر ولواحقه ولم يمنع طاعة الغير اذ هى امتثال أمر من
الامر كالرسول والحاكم بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من
ولما كانت العبادة مقتضى ذات الرب والعبد ومقتضى انعامه عليه لم يكن

وهو ما نقض من غزل
الشعر ونحوه وغيره (ان
تكون أمة هى أربى من
أمة) أى أزيد عددا ومن
هذا سمى الربا (أمرنا
مترفيها) بمعنى واحد أى
كثرنا وأمرنا بالتشديد
جعلناهم أمراء ويقال
أى أمرناهم من الامر
أمرناهم بالطاعة اعذارا
وانذارا وتخويفا ووعيدا

الحكمة ولما كانت امتثال الامر وهو اما بالكتاب أو بالسنة أو بالاجماع أو بالقياس وأصل الكل الكتاب لم يكن منه بد ولما لم يتم شان هذا الا بنفي الريب عنه نفى عنه باعجازه فقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) يشير الى أنه لا ينبغي ان يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة فان فرض فلا ينبغي ان يدوم لوجود ما يزيله لحقه المضى فان دام فلا ينبغي أن يحيط بالجوانب احاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه فان كان فغايته أن يكون نوعا أو فردا منه فان كنتم فيه مع انا جعلناه معجزا لسان تفرقه في الانزال فحال الاجتماع أشد اعجازا ودل اعجازه على انه من مقام عظمتنا ولا يبعد لكون المنزل عليه عبدا منسوبا اليه لغاية كماله فان كنتم في ريب منه (فأتوا بسورة) طائفة من القرآن مترجمة أقلها ثلاث آيات من سور المدينة لاحتوائها على علوم واحكام احتواء السور على ما فيه (من مثله) أى مما يماثله بعض المماثلة (وادعوا) ان اتيتم بشئ وزعمتم انه من مثله (شهداءكم) أى من يشهد لكم فالعاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بما ظهر اختلاله (من دون الله) أى مجاوزين شهادته التى يأتى بها العاجز (ان كنتم صادقين) فى ان للريب دخلا فيه (فان لم تفعلوا) أى لم تأتوا بعد هذه المبالغة فى التحدى مع كثرتكم واشتهاركم بالفصاحة والبلاغة وتهالككم على العناد (ولن تفعلوا) والا لاشتهر لان الطاعنين فيه أكثر ودواعيهم الى التشهير أوفر فيمتنع خفاء المعارضة عادة وقصد البيان الى جلاء الوطن وبذل المهج ظهر عنادكم مع الله ورسوله (فاتقوا النار التى) هى أثر غضب الله (وقودها) أى ما تتقد به ابتداء (الناس والحجارة) مع انهما سيدا انطفاء نيران الدنيا فذلك من غاية شدة حرارتها ولا يتراخى التعذيب بها عن موتكم لانها (أعدت) أى هيئت (للكافرين) أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم ومعاصيهم لانه غضب عليهم فى الازل لخرقهم به (وبشر) أخبر خبرا يغير بشرة الوجه وغلب فى الخير حتى عد وقوعه فى الشر تهكما (الذين آمنوا) بالكتاب المعجز (وعملوا الصالحات) التى أمرهم بها هو أو أسند فروعه من السنة والاجماع والقياس (أن لهم جنات) جنة الفردوس وجنة عدن وجنة المأوى ودار الخلد ودار السلام ودار المقامة وعليون وجنات معارفهم من الكتاب (تجرى من تحتها) أى من تحت اشجارها (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع مما أجروا من أنهار الحكمة الى ألسنتهم ثم الى العالم (كلما رزقوا منها) أى من تلك الجنات (من ثمرة رزقا) حقيقيا حسيا أو عقليا أو خياليا (قالوا هذا) جزاء (الذى رزقنا من قبل) من المقامات والاحوال التى هى ثمرات الايمان والاعمال (و) لما كانت لكل عمل ثمرات متشابهة ويفضل بعضها بعضا (أتوا به متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصور مع التفاوت فى الذات (ولهم فيها) على ما تخلقوا باخلاق الله فى الكتاب (أزواج مطهرة) من الاخلاق الرديئة (وهم فيها خالدون) لغلبة الروحانية على أجسامهم وبقاء هيئات الايمان والاعمال على أرواحهم وقلوبهم ولما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع الانسان باصلاح معاشه ومعاده بارسال

نفسه وأى نفر جراءعن أمرنا عامين لنا لحق عليها القول فوجب عليها الوعيد (أوابين) توابين (اجلب عليهم) اجمع عليهم (أسفا) غضبا يقال حزنا (أبصر به وأسمع) أى ما أبصره وأسمعه (أعثرنا عليهم) أطلعنا عليهم (أساور) جمع اسورة واسورة جمع سوار

الرسل وذكر النحل والنمل لبيان عظيم عنايته بأحقر الاشياء حتى الهم الاول طريق تحصيل العسل والثانى شأن سليمان عليه السلام وذكر الذباب والعنكبوت لتحقير الاصنام حتى كأنهم قالوا لو دل اعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه اذ لا يليق لعظمته رد الله عليهم بقوله (ان الله لا يستحيى) أى لا يترك ترك المستحيى اذ هو لازم الحياء الذى هو انقباض النفس عن القبح مخافة الذم (أن يضرب مثلا ما) أى ان يجعل شيأ ما مثلا لآخر أو يبادر باجراء (بعوضة فما فوقها) فى الصغر مثلا لاحقر الاشياء اذ لا ذم فى ذلك اذ اللائق به أن يكون على وفق الممثل له من جهة التمثيل الذى يبرز المعنى المعقول فى صورة المحسوس تخليصا للعقل عن منازعة الوهم لكن السامعون قسمان مؤمنون يعتبر بقولهم لجعل رفق العقل وكفار لا يعتبر بقولهم لجريهم على خلافه عنادا (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) أى الثابت الذى لا يمكن تبديله اذ لا يمكن بيان خسة الشئ بتمثيله بأعظم الاشياء (من ربهم) أى الذى رباهم بما بين لهم من مراتب الاشياء ليضعوا كل شئ فى مرتبته (وأما الذين كفروا فيقولون) مع علمهم بحقيته (ماذا أراد الله) مع غاية عظمته (بهذا مثلا) أى بجعل هذا الحقير مثلا مع انه لا يناسب عظمته (يضل به) مع كونه سبب الهداية (كثيرا) برد تمثيل أحقر الاشياء لبيان حقارته بالشئ العظم وأشار بقوله كثيرا الى أنه لا يغتر بكثرتهم لا يحمل قراءهم على الصواب فيعتبر ذمهم (ويهدى به كثيرا) بعرفهم حقارة بعض الاشياء ليجتنبوا فضلا عن أن يعبدوه (و) ليس بطريق التحكم اليه لانه (ما يضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حد العقل لما مر وعن حد الشرع لانهم (الذين ينقضون عهد الله) فى التوراة أن يبينوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وينصروه استعار لابطاله النقض الذى هو ربطه أحد المتعاهدين بالآخر كفتل الحبل (من بعد ميثاقه) أى من بعد تحقق وثاقة من المعجزات التى تكفى فى الالزام لولا العهد (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهى وصلة الرسل أن لا يفرقوا بتصديق البعض وتكذيب البعض (ويفسدون فى الارض) بتعويق الناس عن الايمان وحثهم على القتال حفظا على الرشا (أولئك هم الخاسرون) اذ خسروا ديارهم وأموالهم والعقل ونور الكتاب والآخرة

ثم أ... بكتاب الله لبيانه حقارة ما دونه بطريق التمثيل بأحقر الاشياء اللازم بعدو... الحث على عبادته تعجب من كفرهم بالله لاستدعائه عبادة الغير دون عبادته على ... الله وتكذيب فأبين من كمال معرفته فأنكر الحالة التى يكون عليها الكفر ... له بطريق برهانى فقال (كيف تكفرون بالله) فى الجملة ... يعبد ولعظمة عنايته بأحقر الاشياء الحث على عبادته (و) ... اذ (كنتم أمواتا) أى أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطفا أو مضغا ثم أمو... (فأحياكم) بنفخ الارواح فيكم وانزال الكتاب عليكم (ثم ...

وهو الذى يلبس فى الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه قلبة وان كان من قرون أو عاج فهو مسكة وجمعها مسك (أرائك) أسرة فى الحجال واحدها أريكة (أجاها الماضى) جاء بها وبشال أيضا (أهش بها على غنمى) أضرب بها الاغصان ليسقط ورقها على غنمى

بمقتضى الكتاب وبالموت الطبيعى لالاعدامكم بل لينقلكم الى دار أكمل من داركم (ثم يحييكم) بعد فنائه بمقتضى الكتاب وبالنشر ولا يكون كالاحياء الاول مع الحجاب (ثم اليه ترجعون) بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب وفى الموت الطبيعى للجزاء الفارق بين الولى والعدو ولا يترك ذلك لانه قد خلق لكم جميع النعم فلا بد ان يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها من أجله أم لا اذ (هو الذى خلق لكم) أى قدر لنفعكم (ما فى الارض جميعا) حتى السموم والقاذورات اذ ينتفع بها فى بعض الادوية وقد خلق فيكم اسرار جميعها (ثم استوى) أى توجه (الى السماء) لتضمنها أسباب تحصيلها (فسواهن سبع سموات) أى جعلهن سبع سموات معتدلة لا عوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الاشياء المكونة فى الارض وخلق فيكم اسرارها أيضا وانما خص السبع لغلبة تعلق الآثار السفلية بكواكبها وليس فى الآية نفى الزائد (و) ذلك لعله بربط كل شئ بسببه اذ (هو بكل شئ عليم) فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع اسرارها فى الانسان ويعلم اجزاء الميت فيسهل عليه جمعها للاعادة ويعلم مقدار ما يقتضى كل عمل من الجزاء وما يقتضيه شاكر هذه النعم وكافرها فلا يهمل الحكمة من رعايتها فى هذه الاشياء بترك الجزاء فهذا كالمجئ الى ترك الكفر به ولو فى ضمن الكفر بهذا الكتاب ثم أشار الى انه انما خلق له ما فى الارض جميعا وسوى له السموات السبع لانه جامع لاسرار الله وأسرار العالم صالح لخلافته عليهم (و) اذكر لهم ذلك (اذ قال ربك) أى وقت قول ربك اظهارا لفضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة أصلا (للملائكة) وهم اجسام لطيفة خيرة قادرة على التشكل باشكال مختلفة عند جمهور المتكلمين وجواهر مجردة خيرة مخالفة للنفوس الناطقة تتصور بصور خيالية عند الفلاسفة (انى جاعل فى الارض) أى التى هى محل الكون والفساد فهو محل التصرف من عناصرها ومن الروح السماوى (خليفة) نائبا عنى عليهم والهاء للمبالغة (قالوا أتجعل فيها) لعمارتها واصلاحها (من يفسد فيها) لكونه من العناصر المختلفة الداعية الى اللذات السفلية (ويسفك الدماء) اذ فيه قوة غضبية من النار (ونحن) وان لم يكن لنا جهة (نسبح) ذاتك ملتبسا (بحمدك) على كمالاتها (ونقدس) أى ننزه صفاتك فنقول انها مستحقة (لك) دون غيرك (قال انى أعلم) من قصور تسبيحكم وتقديسكم وعدم صلاحيتكم للخلافة على الكل وانتفاء ظهور أسمائى اللطفية والقهرية (ما لا تعلمون) لما لم يكن للخليفة بد من العلم بحقائق المستخلف والمستخلف عليه ليؤثر بها فيها على أكمل الوجوه (علم آدم) بخلق علم ضرورى فيه (الاسماء كلها) أى الالفاظ الدالة على الحقائق اذ هى أول ما يفيد التمييز بينها (ثم عرضهم) أى المسميات (على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء) أى بأقل مميزاتها حتى يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم ودعواكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم أنكم تسبحون الله على الاطلاق أى بجميع أسمائه وتقدسونه بها (قالوا

قناكله (أزرى) عونى وظهرى ومنه تآزره أى ساعانه (آناء الليل) ساعاته واحدها انى وانى وانى (أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا عند نفسه (أمتا) ارتفاعا وهبوطا ويقال نبكا النبك الرابى من الطين (آذنتكم) على سواء أعلمتكم فاستوينا فى العلم فقال الحرث بن

سبحانك) أى تنزهك تنزيها عن أن يقصر علمك أو نشاركك فيه أو نعبث فى
استفسار او استرشاد الا انه (لا علم لنا الا ما علمتنا) وانما لم نعلمها ابتداء اذ (انك أنت العليم)
بان حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة وقد جعلت الوسايط مع قدرتك على الافعال
لانك أنت (الحكيم قال يا آدم أنبئهم) وان كنت دونهم فى التجرد الذى به الاطلاع (باسمائهم)
أى باسماء المسميات المعروضة عليهم فأنبأهم بجميعها (فلما أنبأهم بأسمائهم)
المصر من غير غلط فيها (قال ألم أقل لكم انى أعلم) ما لا تعلمون قاصدا به انى أعلم
السموات) أى العالم العلوى مع كونكم منه (و) غيب (الارض) أى العالم السفلى
ظهوره للحس فنفى كل منهما من الخفايا ما لا يبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجرد
(وأعلم ما تبدون) من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ايجاده ليظهر أثر الاسم القهار والغفار ونحوهما (وما كنتم تكتمون) من كونكم أحق
بالخلافة منه ثم ألزمهم الاعتذار لما فاتهم والتذلل لما رأوا فيه من عظيم
الآيات (و) اذكر لشكر ذلك (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بجعله قبلة
اكرامه واستلزم أمر الملائكة أمر من دونهم من الجن سيما من لحق بهم كابليس
أى المأمورون بالسجود (الا ابليس أبى) أى امتنع عن السجود (و) انما
(استكبر) أدى استكباره الى انكار وجوبه لذلك (كان من الكافرين)
وجوب امتثال أمر قطعى من أوامره وفيه اشارة الى أنه اذا كان انكار واجب كفرا
فكيف لا يكون انكار واجبات القرآن كلها كفرا به ثم أشار الى أن ترك امتثال الامر
غير انكار الوجوب كان سبب هبوط آدم الى متاعب الدنيا الباقية فى نسله الى يوم
(و) ذلك انا زدناه اكراما اذ (قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) تكميلا لا كرامك
بصحبتك دار كرامتنا (الجنة و) أكملنا استيلاءهما عليها اذ قلنا (كلا منها) أى من
(رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى من أى مكان شئتما (و) من اكرامنا اياهما
لم نكلفهما بشئ سوى أن قلنا (لا تقربا) فضلا عن تناول شئ منها فضلا عن الاكل اذ القرب
من الشئ يأخذ بجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل (هذه الشجرة) من
بين الاشجار الفائتة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة (فتكونا من الظالمين)
أنفسكم بتفويت الكرامات والتعرض للعقاب والعتاب فكان هذا
(فأزلهما) أى أصدر زلتهما (الشيطان عنها) أى عن تلك الشجرة (فأخرجهما مما كانا
فيه) من الكرامات قيل أتى باب الجنة فمنعته الخزنة فجاءته الحية فسألها الدخول
فأدخلته فوقف بين يدى آدم فقال هل أدلك على شجرة الخلد فلم يقبل فقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين فاغترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل
نسيانه يوم النهى بتغرير ابليس وانسائه قوله فتكونا من الظالمين (وقلنا)

حلاوتهم
آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء
(أوثان) جمع وثن وقدم
تفسيره (أترفناهم)
نعمناهم ووسعنا لهم فى
الملك والمترف المتقلب فى
لين العيش (أحاديث) أى
جعلناهم أخبارا وعبرا
يتمثل بهم فى الشر لا يقال
جعلته حديثا فى الخير
(أيابى) الدين

عن حده (اهبطوا) من دار كرامتنا الى دار الابتلاء وأول العداوة والمضرة في الدنيا والدين اذ (بعضكم لبعض عدو) يعاديكم ابليس بالاضلال والحية باللدغ (و) لا رجوع لكم الى الجنة عن قريب اذ (لكم في الارض مستقر) أي مدة استقرار يوقع في الامل (ومتاع) يوقع في الشهوات و ينسي نعيم الجنة (الى حين) أي القيامة على ظهرها أو في بطنها واذا لم يكن معصية آدم كفرا وكان معتنى به ألهمه الله كلمات (فتلقى) أي تقبل (آدم من) الهام (ربه كلمات) هي ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فاستغفر منها وتاب عن امثالها (فتاب) الله (عليه) أي قبل توبته وان لم يمكنه اتيان مثل ذلك الذنب لاقراره رحمته به (انه هو التواب الرحيم) ومع فضل رحمته به لم يرفعه الى الجنة في الحال بل (قلنا اهبطوا) أي استقروا بعد ما كان الهبوط (منها) أي من أثر تلك المعصية (جميعا) أي مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لان المقصود بالذات من الاهباط الى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف (فاما يأتينكم مني هدى) أي فان تحقق لكم اتيان هدى علمتم بالدلائل العقلية والمعجزات القولية والفعلية انه مني (فمن تبع هداي) أي ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى في نفسه لا يصح نسبته الى مضل (فلا خوف عليهم) بكونه تلبيسا مني أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الامور السماوية أو الارضية اذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة (ولا هم يحزنون) لما يفوتهم من الدنيا بعده (والذين كفروا) أي أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات البعيدة بل الباطلة بكونه هدى في نفسه (وكذبوا بآياتنا) الواقع صدقها في القلوب بالضرورة فلا يرفعون الى الجنة ولا يتركون في محل الهبوط المذكور بل يهبطون عنه الى أسفل سافلين اذ (أولئك أصحاب النار) اى لا انتقال لهم عنها كأهل الاهباط الاول بل (هم فيها خالدون) اذ لا يتم الابتلاء الا بايعاد العذاب الخالد ولا يتم الا بالابقاء به (يا بني اسرائيل) اى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطلعين على قصة آدم وعهده (اذكروا نعمتي التي أنعمت) على اسلافكم فكانت في معنى الانعام (عليكم) من لدن آدم بقبول توبته الى زمن موسى بفلق البحر لكم واغراق أعدائكم وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى عليكم وانزال التوراة فانها كرامات مثل كرامات آدم باسجاد الملائكة له وادخاله الجنة (وأوفوا بعهدي) بالايمان بكل هدى تحقق بجيئه مني سيما هدى محمد صلى الله عليه وسلم المأخوذ فيه ميثاق الانبياء عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم في الشجرة وما أخذ عليه في ذريته بعد الهبوط (أوف بعهدكم) بازالة الخوف والحزن وتكفير السيآت وتضعيف الحسنات و رفع الآصار والاغلال (و) لا تخافوا فوات جاهكم ورشاكم بل (اياي فارهبون) في كل ما تأتون وتذرون والرهبة خوف مع تحرز ثم أشار الى أنه لو لم آخذ عليكم العهد بالايمان به لوجب عليكم أيضا فقال (وآمنوا بما أنزلت) اى بما علمتم انزاله مني باعجازه وعلم كونه هدى لكونه (مصدقا لما معكم) في القصص والاعتقادات والنسخ ليس بتكذيب بل بيان لانتهاء الحكم

لأزواج لهم من الرجال والنساء واحدتهم أيم (أشتاتا) فرقا الواحد شت (أصيل) ما بين العصر الى الليل وجمعه أصل ثم آصال ثم أصائل جمع الجمع (أحسن مقيلا) من القائلة وهي الاستكنان في وقت انتصاف النهار وجاء في التفسير انه لا ينتصف الماء يوم القيامة حتى يستقر أهل

باتيها مصلحته التى شرع لها (ولاتكونوا أول كافر به) يتبعكم من بعدكم فيكون عليكم
اثمكم مع اثمهم (ولاتشتروا) اى ولاتستبدلوا (با آياتى) اى بالايمان با آيات التوراة الدالة على
وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) اى حظا يسيرا من الرشوة لتزدادوا بذلك اثما
الى تلك الآثام (واياى فاتقون) اذ لم تخافوا ذهاب الآخرة لاعتقاد كم انه لن تمسكم النار الا
اياما معدودات فلاتأمنوا غضبى فى استبدال آياتى (ولاتلبسوا) على عوامكم (الحق) من
تأويل تلك الآيات (بالباطل) من تأويلاتكم حيث لاتغيرون ألفاظ التوراة (و) لا (تكتموا
الحق) من ألفاظ التوراة أو تأويلها (وأنتم تعلمون) اى عن التعمد منكم لا الخطاء الاجتهادى
نرجى عفوه (و) لايكفيكم العمل بالمنسوخ من التوراة وان لم تغيروه ولم تلبسوا فيه ولم تكتموا
بل (أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) بمقتضى هذا الكتاب (و) اعملوا بفضائله وان لم تكن ناسخة
لما فى كتابكم لذلك (اركعوا مع الراكعين) اى صلوا بالجماعة اذ فضلت على صلاة الفذ فى هذه
الملة بسبع وعشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها انتظام النفوس على
الخيرات ثم أشار الى انهم لايأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال
(أتأمرون الناس بالبر) وهو التوسع فى الخيرات أى من اعانة الاقارب أو حسن معاملة الناس
(وتنسون أنفسكم) اى تتركونها ترك المنسى فلاتأتون بشئ من الخيرات فضلا عن الفضائل
(وأنتم تتلون الكتاب) اى التوراة فحقكم أن تسبقوا الناس بالعمل بما فيه ليقتدى الناس
بكم ويعتمدوا على أقوالكم (أ) رضيتم بهلاك أنفسكم مع صلاح غيركم (فلاتعقلون) والعقل
فى اللغة الحبس سمى به الادراك الانسانى لمنعه عن القبائح وليس المراد منع الو...
بل حثه على تزكية النفس وتكميلها أولا (واستعينوا) على الوان شق عليكم (بالصبر) عن
الشهوات المانعة عنه (و) استعينوا على هذا الصبر باقامة (الصلاة) الجاذبة الى الله تعالى
(و) لكن الاستعانة بها شاقة (انها لكبيرة) اى شاقة فى نفسها تقتضى الصبر على
(الا على الخاشعين) الخائفين السالكين الى الله فانها لاتشق عليهم فلاتشق الاستعانة بها
... صبر عن الشهوات لذلك كانت فى حقهم تنهى عن الفحشاء والمنكر كيف وهى
فى حقهم قرة أعينهم لمشاهدتهم الحق فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم (الذين يظنون)
اى يعتقدون اعتقادا راجحا (أنهم ملاقوا ربهم) فيشاهدهم (و) ان لم يكونوا على هذا
الاعتقاد فلا أقل من أن يعتقدوا (أنهم اليه راجعون) فيتوقعون فى مقابلتها اما...
مشاقها ويستلذ حتى تنقص الشهوات عندهم فأى استعانة للصبر عنها أعظم منها
حقهم ثم أشار الى أنه اذا شق عليهم الصبر استعانوا بالشكر الموجب لنعمة المقيدة التى
هى أكمل من لذات سائر المشتهيات فقال (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم
فحقكم ان تشكروها بأعمال البر عقدا ما أنعمت به عليكم (وأنى فضلتكم على العالمين)

الجنة فى الجنة وأهل النار
فى النار فتعين القائلة وقد
فرغ من الامر فيقول
أهل الجنة فى الجنة وأهل
النار فى النار (أناسى
كثيرا) أناسى جمع انسى
وهو واحد الانس جمعه
على افعلة مثل كرسى
وكراسى والانس جمع
بالانس يكون مطرح ياء
النسبة مثل روى وروم
ويجوز أن يكون أناسى

اى على عالمى زمانكم بتكثير الانبياء والملوك العدول والعلماء العاملين فيكم فحقكم أن تتشاغلوا اللائق بفضائل الاعمال واذا عسر عليكم الصبر والشكر استعينوا بالحرف (واتقوا) اذا تركتم البر بأنفسكم اكتفاء بأمر غيركم (يوما لا تجزى نفس) أنت بالبر المأمور فى حق الآمرة به (عن نفس) اى أمرتم بالبر اذا تركته (شيأ ولا يقبل منها) اى من نفس أنت البر المأمور (شفاعة) فى حق الآمرة به (ولا يؤخذ منها عدل) اى لا يقبل من النفس الآتية بالبر فدية تماثل نفس المفدى عنه لو وجدت عندها أو من النفس الآمرة به فدية عن نفسها (ولا هم ينصرون) بدفع العذاب عنهم قهرا فالآية الكريمة نفت دفع العذاب عنهم من كل وجه لانه اما بالقهر وهو النصر أم لا فاما مجانا وهو الشفاعة أم لا فاما بأداء ما كان عليه وهو الاجتزاء واما باعطاء البدل وهو الفدية ولا متمسك للمعتزلة فى الآية على نفى الشفاعة لاختصاصها بمن لا يرى وهو الكافر (و) اذكروا من جملة تلك النعم (اذ نجيناكم) اى وقت انجائنا اياكم (من) أشد عذاب (آل) اى أهل (فرعون) هو لقب من ملك العمالقة ككسرى وقيصر والنجاشى لمن ملك الفرس والروم والحبشة والمراد مصعب بن قابوس أو مصعب بن زياد أو وليد بن مصعب كان بعد فرعون يوسف الريان بن الوليد بأكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) اى يذيقونكم (سوء العذاب) اى افظعه (يذبحون أبناءكم) اى يكثرون ذبح ذكور أولادكم (ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء يستفرشهن اعداؤكم (وفى ذلكم) المذكور (بلاء) اى امتحان (من ربكم) بتسليطهم عليكم (عظيم) ليكون انجاؤكم بعدها أعظم نعمة واشعارا أن من صبر على أشد البلاء نال أعظم الجزاء سيما فى دار الجزاء ثم هذا الانجاء يقتضى من الشكر ما يتصبر معه كل عبادة شاقة وقد تحمل أوائلكم هذه المشاق من اعدائهم فما لكم لا تتحملون مشاق عبادته وقد خففها عليكم فى هذه الشريعة (و) اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى أفردت بالذكر بعد التعميم (اذ فرقنا) اى فصلنا (بكم) اى بسبب وصولكم (البحر) حين أمر موسى عليه السلام ان يسرى بكم فوصلتم اليه والماء فى غاية الزيادة ورأيتم فرعون خلفكم فقلتم ياموسى أين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق وأرسل اليه الريح والشمس حتى يبس فخضتم فيه كل فرقة فى سكة (فأنجيناكم) من آل فرعون ومن كل شبهة فى وجود الصانع الحكيم القدير أو فى نبوة موسى فوصل فرعون فاقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم (وأغرقنا آل فرعون) لئلا يبقى لكم خوف منه ولا حزن من خروجكم من دياركم فملككم ديارهم وأموالهم ولم تترك لكم شكا فى ذلك اذ أغرقناهم (وأنتم تنظرون) فكان اغراق عدوكم بنظركم أعظم نعمة عليكم يوجب أعظم شكر فحقكم أن تخوضوا بحر عبادته فى سلك أنواعها وتغرقوا أعداءها فى بحر التزكية بنظركم الطائفة من

جمع انسان وتكون الياء بدلا من النون لان الاصل اناسين بالنون مثل سراحين جمع سرحان فلما ألقيت النون من آخره عوضت الياء بدلا منها (أثاما) عقوبة والاثام الاثم أيضا (الارذلون) أهل الضعة والخساسة (ازلفنا ثم الآخرين) أى جمعناهم فى البحر حتى غرقوا ومنه ليلة المزدلفة

تلبيس أنفسكم ثم أشار الى انه أنجاهم من جريمة اتخاذهم العجل وقد أخذ عادونه آل فرعون فقال (و) اذكروا (اذ واعدنا موسى) بعد هلاك فرعون انزال كتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون بعد ثلاثين ليلة يقومها ويصوم نهارها فلما تمت أنكر رائحة فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك أبطلتها بالسواك فأتمها بصوم عشر آخر فتم (أربعين ليلة) فجاء جبريل على فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيي ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامري وكان منافقا من قوم يعبدون البقر قال ان لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافره وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فقال لهم السامري ان الحلى المستعارة لا تحل لكم فادفنوه وها حفرة حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه فلما اجتمعت صاغها السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة التي أخذها من تراب حافر فرس جبريل فأخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة فقال السامري هذا الهكم واله موسى تركه ههنا وخرج يطلبه ولذلك تأثر فشككتم في أمره (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) اى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون والاوثان (وأنتم ظالمون) مثل ظلم آل فرعون بل أشد لانه بعد الايمان (ثم عفونا عنكم) اى تجاوزنا عن مؤاخذتكم (من بعد ذلك) الاتخاذ بعد الايمان (لعلكم تشكرون) عفونا بتحمل المشاق في عبادتنا وقد خففنا أكثرها في هذه الشريعة فما لكم تعرضون عنها (و) اذكروا (اذ آتينا موسى الكتاب) الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون (والفرقان) اى الفرق بين الحق والمبطل (لعلكم تهتدون) لما هو شكر الحق والمبطل (و) من تمام الهداية التوبة فهذه التوبة من شكر الحق لانه عرف قدر نعمة احق آثرها على الحياة الدنيا حتى الانفس حداء على اتخاذ العجل فاذكروا (اذ قال موسى لقومه) من [illegible] (يا قوم) انى من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم (انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) الذى هو أبعد من فرعون عن الالهية (فتوبوا الى بارئكم) الذى خلقكم برآ من الشرك والمعاصى ويرجى تبرئتكم عن هذا الظلم الذى لا يمحى هيئته عن قلوبكم لا قرارا [illegible] اياه (فاقتلوا أنفسكم) لانه وان كان شرا عند أنفسكم لكن (ذلكم خير [illegible]) اذ يبرئكم عن جريمته التى تخلدكم فى النار ففعلتم (فتاب عليكم) اى قبل توبتكم وان [illegible] جريمتكم أعظم لكفركم بعد الايمان (انه هو التواب) اى البالغ فى قبول التوبة حتى انه قبلها على عمل أهلك عادونه آل فرعون وانما تاب عليكم لانه (الرحيم) الذى رحم على تعذيب ساعة بكرامة الابد وهذه من الهداية الفارقة بين الحق والمبطل قد أخذتموها اذ ما كم و لا تسمعون بمجرد القول ولا بالاعمال السمحة من هذه الشريعة مع وفور فضائلها ثم أشار الى انهم لم يؤمنوا بهدى موسى وفرقانه بعد سماعه من الله بلا واسطة لشبهة واهية من

أى ليلة الازدلاف أى الاجتماع ويقال أزلفناهم أى قربناهم من البحر حتى أغرقناهم فيه ومنه أزلفنى كذا عند فلان أى قربنى منه (أعجمى) أيضا جمع أعجم وأعجمى اذا كان فى لسانه عجمة وان كان من العرب ورجل عجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا ورجل اعرابى اذا كان بدويا

كونه من الشيطان واستحقوا بذلك ما هو أشد من القتل فقال (واذ قلتم يا موسى) حين اختار سبعين من خياركم بأمر الله لتعتذروا اليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم والتطهر فانطلق بهم الى طور سيناء فوقع عمود الغمام فدخل وأدخلهم وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى فلما فرغ وانكشف الغمام قالوا (لن نؤمن لك) اى لقولك انه مسموع من الله (حتى نرى الله جهرة) اى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر فغضب الله عليكم عن قولكم لن نؤمن لك لا عن طلب رؤيتكم اياه اذ لا يستحيل كرؤيته ايانا (فأخذتكم الصاعقة) نار من السماء (وأنتم تنظرون) اليها ولا يمكنكم الفرار عنها فأحرقتكم فدعا موسى وبكى وتضرع وقال يا رب ماذا أقول لبنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم (ثم بعثناكم) اى أحييناكم (من بعد موتكم) المحقق لا السكتة (لعلكم تشكرون) نعمة الانجاء من الهلاك بعد تحققه وهو فوق الانجاء السابق (و) لكنكم لم تشكروها كما لم تشكروا أنظارها اذ (ظللنا عليكم الغمام) فى التيه انجاء من حر الشمس بدعوة موسى عليه السلام اذ شكوتم اليه فأرسل غماما أبيض وهذا أعظم اذ كان حال الغضب الموجب كونكم فى التيه (و) زدناكم انعاما فيه اذ (أنزلنا عليكم المن) الترنجبين (و) قلتم لموسى قد قتلنا حلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزلنا عليكم (السلوى) السمانى أو طائرا يشبهه ولم يكن معه كلفة ولا مؤنة شكر بل قلنا لكم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) فلا تدخروه ولا تستبدلوه فانه مناف للشكر (وما ظلمونا) بالكفران المنافى للشكر وان كان ما نعامن فيضنا الذى هو رحمتنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفران المانع من الفيض عليهم الذى لا مؤنة معه ولا حساب ولا عذاب فعادتكم الكفران فلذلك كفرتم نعمة رحمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تأتوا بأعمال الشكر على دينه وان كانت أخف مما فى دينكم ثم أشار الى أنهم لم يشكروا نعمة الاكل ولا تكلف فيها بترك الادخار والاستبدال أدنى وجوه الشكر الذى كلفوا به من السجود وطلب المغفرة مرة مع ما وعدوا عليه من عموم المغفرة ومزيد الثواب فقال (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) أريحا أو ايليا أو بيت المقدس (فكلوا منها) اى من مطاعمها (حيث شئتم) اى من أى مكان وزمان شئتم (رغدا) اى أكلا واسعا (و) يكفيكم من الشكر عليه أقل شئ (ادخلوا الباب سجدا) جمع ساجد (وقولوا) طلبا لعموم المغفرة (حطة) اى حط عنا خطايانا (نغفر لكم خطاياكم) كلها (و) لا نقتصر عليه بل (سنزيد المحسنين) ثوابا فوق ثواب غيرهم (فبدل الذين ظلموا) الاستغفار بالسخر كفرا اذ قالوا (قولا غير الذى قيل لهم) لفظا ومعنى وهو حنطا سمقاثا أى حنطة حمراء (فأنزلنا على الذين ظلموا) دون غيرهم (رجزا) ما يعاف منه والمراد الطاعون (من) أعظم الاماكن (السماء بما كانوا يفسقون) أى يخرجون عن أمر الله خروجا فاحشا فهذه عادتهم فى كفران نعم الله وتبديل أوامره فلذلك كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيروا نعته

وان لم يكن من العرب ورجل عربى منسوب الى العرب وان لم يكن بدويا وقال الفراء الاعجمى منسوب الى نفسه من العجمة كما قالوا للاحمر أحمرى وكقوله وهو العجاج

شيخ كبير

أطربا وأنت قنسرى
والدهر بالانسان دوارى

الماهر دوار (الايكة) الغيضة وهى جماع من

ثم أشار الى أن النعم الالهية لولم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة
فقال (واذ استسقى موسى) أى دعا بالسقى (لقومه) اذ عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب
بعصاك الحجر) وكانا من الجنة حملهما آدم فتوارثهما الانبياء عليهم السلام حتى وصل
الى شعيب فأعطاهما موسى عليه السلام وكان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل
كل عين فى جدول ولا يبعد من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقلبا له بقوة تبريد
(فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) عدد قبائلهم (قد علم كل) قبيلة (أناس مشربهم)
المعين اذ لا يجتمعون على مشرب واحد ذلك بحياة موسى الجامع لهم على
واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة فقيل لهم (كلوا) من المن و
(واشربوا) من المشارب حال كونهما (من رزق الله) فلا تستعينوا به على معصية الله
فاجعلوه عونا على طاعته واستدلوا به على عنايته بكم (ولا تعثوا) أى لا تفسدوا افسادا
(فى الارض) حال كونكم (مفسدين) بالتفرقة فلا تزيدوا واعلموا أن نعم الله لا تزيد
سببا لمزيد فسادهم لذلك زادوا افسادا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى
المذكورة انما كانت فى حقهم أسباب الكفر أو التفرقة لكونها أمورا سماوية
عليهم لميلهم الى الامور الارضية فقال (واذ قلتم يا موسى) نادوه باسمه من قلة أدبهم (لن
على طعام واحد) وهو المن والسلوى لكونه سماويا (فادع لنا) أى لتيسيرنا (ربك يخرج
لنا) أى لاطعامنا (مما تنبت الارض) أى بعض نباتات الارض (من بقلها)
من غير استطار شئ من خبز أو ثمرة (وقثائها) الثمرة المنتفع بظاهرها (وفومها)
الحبة المنتفع بلبها (وعدسها) الحبة المعينة فى أكل الخبز من الحنطة (وبصلها)
للاصول المعينة فيه أيضا (قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير)
الاشياء قدرا ونفعا ولذة بل أعلاها ولذلك استبدلوا الانبياء الآخرة وشرعوا
الشريعة (اهبطوا مصرا) أى انزلوا بلدا (فان لكم) فيه (ما سألتم) من غير دعا
بل يقى أن أدعو لتزيلكم (و) لما مالوا الى الادنى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)
جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الاحاطة بهم فلا يكاد ترى بهم ودنيا الاذليل
قسمة أو فيما يظهر من حالة مخافة أن يستزاد فى الجزية وفيه اشارة الى أنهم ليس
هذا الدين أصلا (و) ليس تذللهم ومسكنتهم محمودا يفيد رضا الله بل لذلك (باؤوا)
رجعوا الى ذلة أنفسهم ملتبسين (بغضب) عظيم (من الله)
الكفر ومنعهم الايمان وليس بمجرد استبدالهم الطعام الملل لهم بل
كانوا يكفرون بآيات الله) التى من جملتها المن والسلوى (و) لكفرهم كانوا (
النبيين) شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه (بغير الحق) أى الم

الشعر (أرزعوا) الهوى يقال فلان موزع بكذا ومولع به ومغرى به بمعنى واحد (أثاروا الارض) قلبوها للزراعة (أهون عليه) أى هين كما يقول فلان أوحد أى وحيد وانى لأوجل أى وجل وفيه قول آخر أى وهو أهون عليه عندكم أيها المخاطبون لان الاعادة عندهم أسهل من الابتداء

ثابت شرعا وكذلك بالآيات الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله (ذلك) الكفر والاجتراء على قتل الانبياء (بما عصوا) فان العاصى تجر الى الكفر لانهم أصروا على صغائر أورا كتسبوا كبائر على الندور (و) لكن لانهم (كانوا يعتدون) أى يتجاوزون الى الاصرار على الكبائر وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاصرارهم على أخذ الرشوة ثم أشار الى أن الاصرار على الكبائر وان كان يجر الى الكفر فالايمان بالله واليوم الآخر يمحو كل ما مضى من ذلك والعمل الصالح يزيل الخوف والحزن فقال (ان الذين آمنوا) باللسان دون القلب وان خادعوا الله والمؤمنين (والذين هادوا) وان كثرت قبائحهم (والنصارى) وان قالوا بالهية المسيح (والصابئين) وان عبدوا الكواكب (من آمن) منهم خالصا (بالله واليوم الآخر) الذى لا يتم الايمان بالله بدونه اذ به الايمان بدوام ربوبيته لهم وعموم قدرته وحكمته وعدله وأما الايمان بالكتب والرسل والملائكة فلازم للايمانين اذ لا يعرفان الا بهذه الامور فلم يصرح به لقوة دلالة الايمانين عليه (وعمل صالحا) ولا بد فيه من الاخذ بالناسخ وترك المنسوخ (فلهم أجرهم) الكامل الذى لو استمروا على الايمان والعمل الصالح من وقت مولودهم (عند ربهم) الذى يربى لهم ايمان أقل المدة على ما يبلغه مبلغ ما كان مدة العمر كله (ولا خوف عليهم) من تأثير الكفر السابق فى نقص الاجر لان العمل اللاحق جبر هذا الايمان (ولا هم يحزنون) لفوات العمل مدة الكفر لان هذا العمل استدرك ما فاته ثم أشار الى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال (واذ أخذنا ميثاقكم) أى عهدكم الوثيق بعمل الاحكام الشاقة من التوراة فاستر فشددنا عليكم (ورفعنا فوقكم الطور) أى رفع جبريل بأمرنا جبلا قلعه على قدر عسكركم فوق رؤسكم قائلا (خذوا ما آتيناكم) من التكاليف التى هى بالحقيقة عطايا (بقوة) تعملون بها مشاق اكتساب الدنيا ولذلك لا تنجرون الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الا بالقتل والاسر والاجلاء (و) لا تقتصروا على ظاهر العمل بل (اذكروا ما فيه) من الاسرار والفوائد (لعلكم تتقون) أى رجاء ان تبلغوا بذكرها رتبة المتقين (ثم توليتم) أى أعرضتم عن ظاهره وباطنه (من بعد ذلك) التشديد البليغ فلذلك تعرضون عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم (فلولا فضل الله عليكم) بامهالكم (ورحمته) بتمكينكم من التوبة من غير قتل الانفس (لكنتم من الخاسرين) أى لمضى حكم خسرانكم فلم يقبل التبديل فلا تحققوا خسرانكم بالموت على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكيف تستبعدون مضى حكم خسرانكم على ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد خسر من أعرض عما هو أدنى منه بكثير (و) هو انه (لقد علمتم الذين اعتدوا) بالصيد (منكم فى السبت) الذى أمرتم فيه بالتجرد للعبادة وكانوا بأيلة قرب الساحل فاذا كان يوم السبت اجتمعت الحيتان مخرجة

وأما قوله الله أكبر فالمعنى الله أكبر من كل شئ (أنكر الاصوات) أقبح الاصوات وانما يكره رفع الاصوات فى الخصومة والباطل ورفع الصوت محمود فى مواطن منها الاذان والتلبية (ادعياءكم) (أقطارها) من تنبيه واحدة أقطارها جوانبها الواحد قطر وقتر (أشحة) جمع شحيح أى بخيل (أولى)

خرطوموها هنالك وإذا مضى تفرقت فقال لهم الشيطان إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت
فعمد رجال إلى حفر الحياض حول البحر وشرع الأنهار منه إليها فإذا كانت عشية الجمعة
فتحوا الأنهار ليقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فإذا كان يوم الأحد أخذوها وهكذا
أدت بهم الحال إلى زمان ثم أخذوا يصطادونها يوم السبت واجترؤا عليه (فقلنا لهم) على
لسان داود (كونوا قردة) سود الوجوه (خاسئين) أى مهانين ولذلك قلبت بواطن هؤلاء
واسودت وجوههم وهانت على الله لاصطيادهم حيتان الرشا في أيام الحاكمة (فجعلناها) أى
تلك العقوبة (نكالا) أى عبرة (لما بين يديها وما خلفها) أى القرى القريبة منها والبعيدة
عنها (وموعظة للمتقين) الذين يسمعونها إلى يوم القيامة فلو صح دعواهم التقوى
لاعتبروا وغيروا وأبدلوا حالهم في ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى أن إعرا
عن أمر الله لم يتأخر إلى عصر المعتدين في السبت بل كان في عصر موسى مرارا في أمروا
قصدوا إذلاله وإن فعلوا آخر امتثال (وإذ قال موسى لقومه) حين قتل رجل منهم ابن عمه
أصبح يدعى على الناس بالقتل جحدوا فسألوه أن يدعو الله ليبين لهم (إن الله يأمركم أ
تذبحوا بقرة) تضربون ببعضها الميت فيحيا فيخبر من قتله (قالوا) من سوء محاورتهم (أ
هزوا) أتجيب سؤالنا عن القاتل بذبح البقرة (قال أعوذ) أى أمتنع (بالله) من (أن أكو
من الجاهلين) بالجواب على خلاف السؤال وبالاستهزاء في طلب القصاص فلما علموا أنه عزم
من الله وأرادوا التخلص بادعاء أنها بأوصاف لا توجد بقرة تتصف بها أصلا (قالوا ادع
ربك يبين لنا ما هي) أى ما حالها التي جعلت فيها هذه الخاصية تصيرها ماهيتها متمايزة عن
ماهية سائر البقور (قال إنه يقول) ليست هذه الخاصية فيها باعتبار
أو صفة سوى كمال السن (إنها بقرة لا فارض) أى مسنة انقطعت سنها (ولا بكر) فتية ولا تمـ
إلى إحدى الجانبين بل (عوان بين ذلك) أى متوسطة بين المذكورين لا تنظروا إلى الخواص
بل إلى أمر من يوجدها بمحض مشيئته (فافعلوا ما تؤمرون قالوا) كأن الكمال يكون بالسـ
يكون باللون (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) حتى نعلم أنه كمال أم لا (قال إنه يقول إنها بـ
صفراء فاقع لونها) أى شديد صفرتها وهو أكمل الألوان إذ به (تسر الناظرين) أى
والسرور في الأصل لذة في القلب تحدث عند حصول نفع أو توقعه (قالوا) إنه وإن
لكنه كمال مشترك فيه ولا يصلح مرجحا لإيجاده هذه الخاصية (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي)
ماهيتها المخصصة التي رجحت بها فيها إيجاد هذه الخاصية على الخصوص (إن البقر تشابه علينا
إذ ليس في شيء مما ذكرت ما يرجح إيجادها فيه على الخصوص (وإنا) إذا وجدنا ذلك المر
(إن شاء الله لمهتدون) بالاطلاع على مبدإ هذه الخاصية والمتابعة (قال إنه يقول) المر
عزتها في ذاتها وسلامتها عن العيوب (إنها بقرة لا ذلول) أى غير مذللة (تثير الأرض) أ

معه) سبحي معه والتأويب
سير النهار كله فكأن المعنى
سبحي معه نهارك كله
كتأويب السائر نهاره
كله وقيل أوبي سبحي
بلسان الحبشة (أسلنا)
أذبنا من قولك سال الشيء
وأسلته أنا (أسلنا) شبيه
شبيه بالطوفان إلا أنه أعظم
منه (أسروا الندامة)

تقلبها للزراعة (ولا) عاملة (تسقى الحرث مسلمة) من العيوب (لاشية فيها) لايخالط لونها بشئ من الالوان الاجنبية (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالسبب الثابت لايجادهذه الخاصة بحيث لانتردد فيه (فذبحوها) بعدما اشتروها بل مسكها ذهبا (وما كادوا يفعلون) لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل ولغلاء الثمن روى أن الشيخ الصالح كانت له عجلة أتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكانت وحيدة بهذه الصفات فساوموها اليتيم وكان يراجع أمه وتقول لاتبع حتى تراجعنى فلم يزالوا يساومونه ويراجعها حتى اشتروها بالثمن المذكور وكانت البقرة يومئذ بثلاثة دنانير ثم أشار الى أن اعراضهم عما ذكر انما كان آخرا واما أولا فقد كانوا مستبعدين أن يكون له وحى يطلعه على الغيب فقال (واذ قتلتم نفسا فادارأتم) أى تدافعتم (فيها) لاستبعادكم أن يوحى الى موسى فى ذلك (والله مخرج) عن قلوبكم (ما كنتم تكتمون) من أمر القاتل وانه لو سماه موسى لكذبوه (فقلنا) اذبحوا بقرة و (اضربوه ببعضها) فان الله يحييه عنده لابه (كذلك يحيى الله الموتى) عند نفخ الصور لابه ولا بسبب آخر يؤثر فى ذلك (ويريكم آياته) الدالة على قدرته على الاشياء بغير سبب مؤثر (لعلكم تعقلون) كمال قدرته (ثم) انه يقدر على خلاف مقتضى السبب فانه (قست) أى صلبت (قلوبكم من بعد ذلك) الاحياء الدال على الاحياء الاخروى الموجب لخوف الملين القلوب لقبول الخيرات (فهى) فى الصلابة (كالحجارة) لا كالحديد الذى يلين بالنار اذ لاتلين بنار التخويف (أو) هى (أشد قسوة) من الحجارة فلا تصلح لان يكون مشبها بها كيف (وان من الحجارة) كالجبال (لما يتفجر منه الانهار) بأن ينقلب بعض أجزائها هواء ثم يجذب الهواء من الجوانب ويقلبها بقوة تبريدها ماء (وان منها لما يشقق) بمدافعة الماء من خلفه (فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط) أى ينزل من الجبل (من خشية الله) أى من الريح العاصفة الموجبة خشية الله بالقهر عندها وقلوبكم لاتذوب ولاتشقق لدخول الوعظ فيها ولاتنزل عن كبرها وتعديها بالمصائب (وما الله بغافل عما تعملون) من ازدياد التعدى والتكبر عند ازدياد الآيات والزواجر (أ) تعلمون هذه القساوة منهم وازدياد التعدى والتكبر ومع ذلك تروتهم الدلائل وتزجرونهم بالمواعظ (فتطمعون أن يؤمنوا لكم) أى لدلائلكم وزواجركم (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) من التوراة يدل على صدق نبيكم وصحة دينكم (ثم يحرفونه) بتغيير اللفظ أو بالتأويل الفاسد (من بعد ما عقلوه) أى فهموه فهما ساعده عقلهم فأتوا بلفظ يغايره من كل وجه أو معنى ليس له أصل (وهم يعلمون) ما فى تحريفه من شدة غضب الله تعالى ثم أشار الى أن هذا التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم والا فهم مبالغون فى الكتمان ويشددون على من أظهر (و) ذلك ان فريقا منهم (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أى صدقنا نبيكم فى الباطن لانه مذكور فى كتابنا لكن لانترك فى الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولانترك القبلة بالتوراة (واذا خلا بعضهم الى بعض) فاجتمع الكاتمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن

أظهروها ويقال كنزها يعنى كتمها العلماء من السفلة الذين أضلوهم وأمر من الاضداد (الاذقان) جمع ذقن وهو مجمع اللحيين بفتح اللام وهما العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية (أغشيناهم) جعلنا على (فهم لايبصرون) أبصارهم غشاوة أى غطاء

المؤمنين (قالوا) أي الكاتمون المظهرون (أتحدثونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله عليكم) من
خزائن علمه (ليحاجوكم به عند ربكم) أي ليغلبوكم بالحجة ويشهدوا عليكم عند ربكم
(أ) فلقنتموهم الحجة عليكم (فلا تعقلون) فقال الله تعالى (أ) يزعمون أنهم لو كتموا لم يكن لكم
حجة عليهم ولأنه (ولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فلذات يحتج بنفسه ويظهرها
للمؤمنين ليحتجوا به عليهم ثم أشار إلى أن تحريفهم لا يتم على المؤمنين بل على من كان منهم
أميا فقال (ومنهم أميون) أي باقون على ما ولدتهم أمهاتهم (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) أي
أحاديث قدرها المحرفون في أنفسهم تقدير الأماني الكاذبة ولا يتخلصون بذلك عن الكفر
لأنهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الجزم بقولهم (وإن هم إلا يظنون) أي ما بلغ
اعتقادهم إلا هذا الظن الراجح إذ يظنون أنهم لا يجترئون على تحريف كتاب الله
فيقلدونهم ويتركون الأدلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين
(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) المحرفة (ثم يقولون هذا) هو النازل
(من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) أي ليأخذوا من الأميين بإعطاء المحرف لهم قليلا من
الرشا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) أي فلهم الويل الزائد على
عذاب الأميين من جهتين ليستأنهم من جهة كتابتهم المحرف ومن جهة اكتساب الرشا
عليه ثم أشار إلى أنهم إنما حملوا الويل من الجهتين لاعتقادهم أنه وإن كثرت جهاتهم فلا
يعذبون إلا قليلا (و) ذلك أنهم (قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) أربعين عدد أيام عبادة
العجل أو سبعة أيام لأن مدة الدنيا بزعمهم سبعة آلاف سنة يعذبون يوما لكل ألف سنة (قل
أتخذتم عند الله عهدا) من كتابه بذلك (فلن يخلف الله عهده) إن كان لكم عند الله عهد
(أم) لم تتخذوه ولكن (تقولون على الله ما لا تعلمون) صدقه من الخبر المروي عن يعقوب
عليه السلام أن الله تعالى عهد إليه أن لا يعذب بنيه إلا تحلة القسم فإن صح عنه فالمراد أولاد
صلبه لا ذريته النازلة المشتملة على مؤمن وكافر قال عز وجل ليس كما يقولون (بلى من
كسب سيئة) ولو صغيرة من دون تحريف الكتاب وأخذ الرشوة (و) لكن استباحها
(وأحاطت به خطيئته) بأن صارت كفرا محبطا للأعمال وأنتم باعتقاد تقليل مدة العذاب في
معنى المستبيحين وقد كفرتم بالدليل القاطع من هذا الكتاب (فأولئك أصحاب النار) أي
ملازموها (هم فيها خالدون) كيف وهم في مقابلة المؤمنين الصالحين (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فكما يدوم جزاء أحد الفريقين يدوم جزاء
الآخر إذ لا يتم نظام العالم منهم إلا بوعد الثواب الدائم أو العقاب الدائم ولا يتم إلا بالإيفاء
ثم أشار إلى أن في كتابكم ما يكاد ينفي كون العذاب أياما معدودة فإنه أخذ فيه موا
كثيرة يبعد أن يكون العذاب على نقض جميعها مدة يسيرة سيما إذا بولغ في توثيقها بما سيأ
صار النقض عادة فقال (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) على التوحيد في العبادة فقط
بطريق الإخبار الذي يرى المؤمن الخلف فيه تكذيبا (لا تعبدون إلا الله) قلنا (وبالوا

(اجداث) قبور واحدها
جدث (أملا) استملا
(ألفوا) وجدوا
لأمر الله
(الأحزاب) الذين تحزبوا
على أنبيائهم أي صاروا
حزبا (أوّاب) رجّاع أي
توّاب (أكفلنيها) ضمها
إلي واجعلني كافلها أي
الذي يضمها ويلزم نفسه
حياطتها والقيام بها

احسانا) بحذف العامل أى احسنوا وهو نوع من المجاز المفيد للمبالغة (وذى القربى) المشاركين لهم فى القرابة (واليتامى) محل الشفقة للضعف (والمساكين) محلها للفقر (وقولوا للناس حسنا) اكتفى فى الاجانب بالاحسان القولى لانه لا يتيسر الفعلى فى حق العامة قدم حق الآدمى على حقه سوى التوحيد لانه أشد فالنقض فيه أصعب ثم قال (وأقيموا الصلوة) العبادة الشاملة للقلب واللسان والجوارح (وآتوا الزكوة) المحسنة للاخلاق (ثم توليتم) عن هذه المواثيق كلها (الا قليلا منكم) فكيف يكون العذاب على نقض جميعها أياما معدودة كيف (وأنتم معرضون) أى عادتكم الاعراض ولو قالوا أكثر هذه أمور رهينة لا تقتضى طول مدة العذاب على نقضها أجيبوا بانكم تنقضون مواثيق لا يهون الامر فيها بل يقرب من التوحيد (و) ذلك (اذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) أى لا يريق بعضكم دم بعض فيه فيفضى الى اراقة دم نفسه قصاصا لها أو الى العذاب الاخروى الذى هو أشد منه بكثير (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره ولو باساءة جواره لانه يفضى الى اخراج المخرج من الجنة أوردهما بطريق الخبر كالتوحيد فيما تقدم ليعلم انهما قريبان منه (ثم أقررتم) أى اعترفتم بالتزام هذين الميثاقين (وأنتم تشهدون) به الآن أيضا وان نقضتموهما (ثم) بعد هذا الاقرار والشهادة (أنتم هؤلاء) أى المشار اليهم بالقرب لدناءة حالكم تنقضون الميثاقين الواردين بطريق الخبر فيشبه التكذيب اذ (تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) ولا يختص ذلك بالقاتل والمخرج بل بهم المظاهر وأنتم (تظاهرون عليهم) أى يعين بعضكم بعضا على القتل والاخراج (بالاثم والعدوان) أى بما هو معصية فى نفسه وتعد على أخيه وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل والاجلاء وقد أخذ عليكم الميثاق أيضا أن كل أسير وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه فلم تنقضون هذا الميثاق (و) هو قوله (ان يأتوكم أسارى تفادوهم) ولذلك لم يذكر فى المواثيق المنقوضة أولا فقيل لهم كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا أفديهم لانا أمرنا بذلك ونقاتلهم حياء أن تذل حلفاؤنا فقيل (وهو) أى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) والقتل أولى والمعاونة على القتل قتل وعلى الاخراج اخراج (أ) تعاونون بعض المواثيق وتنقضون البعض (تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أى تفعلون فعله (فما جزاء من يفعل ذلك) سيما (منكم الا خزى) هو ذل يستحيى منه (فى الحيوة الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير ونفيهم لاستهانتهم بمواثيق الله دون مواثيق حلفائهم (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) لا الى عذاب هين مدته معلومة لكثرة مانقضوا من مواثيق الله المؤكدة مع كونها معظمة فى نفسها حتى انه لو ترك هذه المبالغة فى شأنهم توهم فيه الغفلة (وما الله بغافل عما تعملون) وكيف لا يردون فى الآخرة الى أشد العذاب ولم يتركوا لانفسهم منها شيأ اذ (أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) حيث

(أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى وسميت الخيل الخير لما فيها من المنافع وفى الحديث الخير معقود بنواصى الخيل (الايد) القوة كقوله داود ذا الايد وأما قوله تعالى أولى الايدى والابصار فالايدى من

آثروا أمر حلفائهم على أمر الله فلم يتركوا شيئاً من خير الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب)
لأنه خير أخروي فلا يحصل لهم باختيار الهوى (ولا هم ينصرون) بدفعه قهراً ثم أشار إلى أنه
لو هان عليهم العذاب بالقتل والإخراج والمعاونة فكيف يهون على نقض ميثاق الإيمان
بالرسل الذي هو بمنزلة التوحيد وعلى قتلهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) المشتمل على
المواثيق كلها وآكدها الإيمان بالرسل الذين يأتون بعده (وقفينا من بعده بالرسل) فيكذبهم
البعض وقتلتم البعض (و) إن زعمتم أنهم لم يكونوا أولي معجزات قاهرة فقد (آتينا عيسى بن
مريم البينات) القاهرة كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وهي كآيات موسى أو أجل
(و) زدناه المعجزات القولية إذ (أيدناه بروح القدس) بتغليب ملكيته على بشريته
(أ) فنقضتم الميثاق في حقهم بلا سبب سوى مخالفتهم أهويتكم (فكلما جاءكم رسول بما لا
تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم) كمحمد وعيسى (وفريقاً تقتلون) كشعيا
وزكريا ويحيى عليهم السلام زيادة على التكذيب وإنما قال تقتلون لأنهم يقصدون قصده
لو وجدوا الآن (وقالوا) في الاعتذار إنما نعلم أنهم ذلك لأنه لم يظهر لنا صدقهم إذ (قلوبنا
غلف) أي كأنها مغشاة بالغلاف قال الله تعالى ليس كذلك (بل) لأنهم (لعنهم الله بكفرهم) فكان
كفرهم غلافاً لهم أكده الله باللعن (فقليلاً ما يؤمنون) حتى بموسى الذي زعموا الإيمان به
وكيف يهون عذابهم على تكذيبهم هذا النبي لو هان على تكذيب من سبق وقد كملت
معرفتهم به وعنادهم معه وحسدهم عليه (و) ذلك أنهم (لما جاءهم كتاب) علموا أنه (من
عند الله) لإعجازه وقد ثبت كذبكونه منه أنه (مصدق لما معهم) من كتاب الله من غير أن يكون
للمنزل عليه به خبر قبل نزوله (وكانوا من قبل) معترفين بنبوته وفضله على سائر الأنبياء إذ كانوا
(يستفتحون) أي يطلبون النصر به (على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا) قبل مجيئه بما
ذكر في كتابهم وبعده بمعجزاته القولية المصدقة لما معهم (كفروا به) عناداً وحسداً
فكيف يخفف في حقهم العذاب أو يجعل أياماً معدودة (فلعنة الله على الكافرين) أي
كلهم سيما من كفر عناداً وحسداً فإنهم (بئسما اشتروا به أنفسهم) وهو (أن يكفروا بما
أنزل الله) أي بئسما باعوا به حظ أنفسهم الأخروي إذ باعوه بالكفر بما أنزل الله لا ريب
فيه بل (بغياً) أي عناداً مع الله كراهة (أن ينزل الله) من وحيه الذي هو (من فضله على من
يشاء من عباده) سيما من رآه أهلاً له دونهم فعاندوا الله (فباؤوا بغضب) عظيم من الله على
عنادهم معه وتحكمهم عليه (على غضب) على كفرهم بآياته ورسله ونقضهم مواثيقه
فكيف يكون عذابهم هيناً وأياماً معدودة كيف (و) قد أذلوا بالقتل والتكذيب من
أعزهم الله بالتصديق فلا جرم يكون (للكافرين عذاب مهين) لا يتبدل بالإعزاز بعد أيام
معدودة ولا بالتخفيف (و) يدل على أن كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم إنما كان لحسدهم
على إنزال الكتاب على غيرهم وهو أنهم (إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزله
(قالوا نؤمن بما أنزل علينا) احترازاً عن المنزل على غيرهم كراهة إنزال الله على النبي

الاحسان بفضل له يد في التطهير وقلم في التصوير والابصار البصائر في الدين (اتراب) اقران اسنان واحدها ترب (أشرقت الارض) أي أضاءت (أمتنا اثنتين) وأحييتنا اثنتين مثل قوله تعالى وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم

وحسد اللمنزل عليه (ويكفرون بما وراءه) مع تحقق الموجب للايمان به (وهو) أنه (الحق) فى نفسه وكونه (مصدقا لما معهم) من الكتاب الذى يؤمنون به (قل) ان صح ايمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق الايمان بكل نبى فما لكم لا تؤمنون بالانبياء وان منعكم التمسك بالتوراة عن الايمان بنبى لنسخه بعض أحكامها (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أى ان صح دعواكم فعلم أنكم لا تؤمنون بها أيضا ثم أشار الى أن كفرهم لم يتأخر الى عصر الانبياء الذين قتلوهم بل كفروا فى عصر موسى عاهوا أشد منه (و) ذلك انه (لقد جاءكم موسى بالبينات) الدالة على تخصيص الله بالالهية والعبادة له (ثم اتخذتم العجل) الها معبودا (من بعده) أى من بعد تقررها عندكم (و) لا يبعد منكم اذ (أنتم ظالمون) أى عادتكم الظلم كقولكم سمعنا وعصينا حين رفع عليكم الطور (و) ذلك (اذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) خذوا (ما آتيناكم بقوة) تحملون بها الميثاق (واسمعوا) كل ما نقول لكم لئلا يفوتكم شئ من ذلك (قالوا سمعنا وعصينا) انما قالوا عصينا فى تلك الحالة لانهم (أشربوا) أى تداخلهم حب العجل تداخل الشراب فى أعماق البدن فاستقر (فى قلوبهم العجل بكفرهم قل) ان كان قولكم عصينا واشراب العجل صادرا عن أمر ايمانكم (بئس ما يأمركم به ايمانكم) من هذه القبائح وغيرها مما ذكرنا (ان كنتم مؤمنين) أى ان صدقتم فى دعوى الايمان بالتوراة (قل) ان كان كفركم بما وراء التوراة لزعمكم انه لم ينزل بعدها كتاب لكانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة و (ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله) سيما اذا كانت (خالصة) لا بمعنى اختصاصكم بأرفع الدرجات منها بل (من دون الناس) أى مجاوزة عنهم لكان الموت أحب اليكم وان علمتم انه يحصل لكم بالحياة أعمال رافعة للدرجات الا انه يتأخر بها الوصول الى المحبوب وبالموت يحصل بسرعة والانقطاع عن المحبوب أشد وان علم انه يحصل بعد مدة أكمل ذلك فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى وحصل لكم متمناكم لانه موعود به عند التمنى قال عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى (ولن يتمنوه أبدا) أى ماداموا فى هذه الحياة لعلمهم أنه يحصل به متمناهم واذا حصل جازاهم الله (بما قدمت أيديهم) أى كسبت أنفسهم أطلقت على العامل آلة أكثر الاعمال تجوزا وهو من الاخبار بالغيب اذ لو تمنوه بالقلب لاظهروه باللسان دفعا للمقالة ولو أظهروه لاشتهر وكيف لا يجازيهم مع ظلمهم (والله عليم بالظالمين) فهم وان لم يتمنوه بينهم الله ثم يجزيهم وأشار الى أن تمنى الموت لا يصير محبوبا لهم وان تركوا طبعهم فقال (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) أى نوع من الحياة وهى المتطاولة مع الرفاهية (و) زاد حرصهم على الكل حتى على من لا يعرف الآخرة (من الذين أشركوا) وقد بلغ من حرصهم أنه (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وان علموا أنه لا يبقى للمسن شئ من القوى ولا يتمتع بعيشه لكنهم يتباعدون بذلك من العذاب (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) أى وما التعمير بمبعده من العذاب وان بلغ أن يعمر مدة

ثم يحييكم فالحياة الاولى كونهم نطفا فى اصلاب آبائهم لان النطفة ميتة والحياة الاولى احياء الله تعالى اياهم من النطفة والموتة الثانية اماتة الله اياهم بعد الحياة والحياة الثانية احياء الله اياهم للبعث فهاتان موتتان وحياتان ويقال الموتة

الحياة الدنيا ان طالت فهي قريبة وهو يزداد بتأخره معصية فلا يبعد تبعيدا واعمال المعد المتيقن ما يعمله تمنينا (والله بصير بما يعملون) فلا يخفف عنهم بل يزيدهم بزيادتهم اعمالهم
ولو قالوا لا نكفر بما وراء التوراة لانه نزل على غير نبينا بل لانه نزل به عدونا وهو جبريل كما
قالوا لعمر رضي الله عنه حين دخل مدارسهم فقالوا اما صاحب محمد الذي يأتيه بالوحي فقال
جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف (قل) ان
جبريل لا يعاديكم بل تعادونه لانه أنزل القرآن على غيركم (من كان عدوا لجبريل) انما ذلك فلا
وجه لعداوته (فانه نزله على قلبك باذن الله) لا باستقلال من نفسه لانه رسول الله فلا يفعل
الا بامره واظهاره أسرار اليهود بامر الله أيضا لا بعداوته على أنه لو كان عدوا فلا وجه
لترك الايمان بالمنزل لكونه (مصدقا لما بين يديه) فرده رد لما بين يديه (وهدى) أكمل من
هداه (و) لكم رد ولكونه (بشرى للمؤمنين) ولو آمنوا لدخلوا في تلك البشرى أيضا فلا
وجه لعداوته على أنهم اعداء الله أن ينزل من فضله على غيرهم (من كان عدوا لله) لانزاله
فضله على من يشاء أو لامر آخر (وملائكته) الذين ليسوا برسل (ورسله) الذين ليسوا
بملائكة فانه أيضا من عداوته لان عداوة المحبوب عداوة المحب (وجبريل وميكال) الجامعين
بين الملكية والرسالة فانه أولى بان تكون عداوتهما عداوة الله فمن عادى الله بذاته وعادى
هؤلاء من خواص أحبابه فعداوة الله منعكسة عليه (فان الله عدو للكافرين) بوجه من
الوجوه فكيف لا يعادي من جمع هذه الوجوه كلها (و) عداوة جبريل لانزال القرآن على
غيرهم عين عداوتنا لانا منزلون بالحقيقة (لقد أنزلنا اليك آيات) أي معجزات لا قدرة لغيرنا
عليها وليست للاضلال لكونها (بينات) أي واضحة الهداية لموافقتها كتب الاوائل
والعقل (وما يكفر بها الا الفاسقون) أي الخارجون عن مقتضى العقل والنقل
(أ) ينكرون فسقهم (وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) عهد بني قريظة والنضير الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعاونوا المشركين على قتاله نقضوه ولم يفسقوا بمجرد
نقض العهد (بل) بكفرهم أيضا اذ (أكثرهم لا يؤمنون) بكتابهم أيضا في الحقيقة (و) يدل
عليه أنه (لما جاءهم رسول) علموا مجيئه (من عند الله) بمعجزاته مع أنه (مصدق لما معهم)
ومقتضاه أن يزدادوا ايمانا بكتابهم ويؤمنوا به وهم قد عكسوا الامر اذ (نبذ فريق من
الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) الذي يعترفون بحقيته كأنهم جعلوه (وراء ظهورهم)
لا يلتفتون حتى صاروا (كأنهم لا يعلمون) فاختاروا الجهل المطلق على علم الكتاب الالهي
(و) لم يقتصروا على ذلك التبديل (اتبعوا ما تتلوا الشياطين) أي كتب السحر التي تتلوها
شياطين الانس والجن يفترون (على ملك سليمان) أنه حصل لهم ذا العلم فسخر به الانس
والجن والريح فكذبهم الله عز وجل بان أكثر أعماله كفر (وما كفر سليمان) فما
اعتراكم نبوته ووجوب عصمة الانبياء عن الكفر (ولكن الشياطين) من بطلانهم في
أنفسهم (كفروا) أي مضوا على كفرهم بحيث يعتقدون تأثير الاسباب وزاد كفرهم

الاولى التي تنعم بهم في الدنيا
الاولى بعد الحياة والحياة الاولى
احياء الله تعالى اياهم في
القبر لسؤاله منكر ونكير
والموتة الثانية اماتة الله
تعالى اياهم بعد المسألة
والحياة الثانية احياء الله
تعالى اياهم للبعث أسباب
الموات أرواحا أقوات
أرزاق يجلبونها احتياج اليه

بأنهم (يعلمون الناس السحر) باستعمال أعماله (و) ما اقتصروا على سحر الشياطين الذى خالط فيه الكفر وغيره بل اتبعوا أيضا ما هو محض الكفر (ما أنزل على الملكين النازلين (ببابل) من أرض الكوفة يسميان (هاروت وماروت) ابتلاء من الله للناس بتعليم السحر ليميزوا بينه وبين المعجزة (و) ما يقصدان بذلك اضلال الناس وتكفيرهم بل (ما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة) أى ابتلاء من الله (فلا تكفر) باعتقاد تأثير الكواكب أو الشياطين أو بعبادتهم ولا كفر فى تعليم ما يؤدى الى الكفر ولا فى تعلمه كان يقول المعلم اذا عبد الكوكب الفلانى أو الشيطان الفلانى حصل كذا فيتعلمه وانما يكفر من عبدهما أو اعتقد تأثيرهما (فيتعلمون منهما) ما غايته اضرار الناس اذ من جملته علم (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) مما يفضى الى قطع السبب الموجب لتخريب العالم وأشار الى أن من الكفر فى السحر اعتقاد الضرر بدون اذن الله فقال (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله و) لو لم يكن فيه كفر ولا فى العمل به ولا فى اعتقاد تأثير الكواكب أو الشياطين لكان حق العاقل أن يحترز منه اذ (يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) لا كالفلسفة التى تضر تارة وتنفع أخرى (و) ليس اختيارهم اياه من جهلهم بضرره فو الله (لقد علموا لمن اشتراه) أى أخذ السحر بدل كتاب الله فاترك العمل به (ما له فى الآخرة من خلاق) أى نصيب (و) لا يقتصر فى حقه على قطع النصيب بل (لبئس ما شروا به أنفسهم) أى بئس ما باعوا به حظهم الاخروى حتى كأنهم أتلفوا نفوسهم (لو كانوا يعلمون) أن لهم بدل السعادة الابدية الشقاوة الابدية لكنهم يزعمون أنه ينقطع عذابهم عن كتابهم فتراهم أنهم لن تمسهم النار الا أياما معدودة (ولو أنهم آمنوا) بكتابهم وبما أمروا بالايمان به مما نزل بعده (واتقوا) عن متابعة المنسوخ بعد نزول الناسخ ومتابعة كتب السحر (لمثوبة) ما (من عند الله خير) من الدنيا وما فيها فضلا عن رشاهم وما يحصل لهم من السحر لكنهم لا يعلمون ذلك (لو كانوا يعلمون) الحقائق أن المثوبة خير من الرشا فعرفوه ولكنهم يؤثرون السعادة الدنيوية على الاخروية ثم أشار الى أنهم اعتادوا التلبيس فى كلامهم وهو مما يشبه السحر فهم جامعون بين السحر وما يشبهه اذ يقولون راعنا ويوهمون أنهم يطلقونه بمعنى راقبنا اطلاق المؤمنين ويقصدون معنى الاحمق اسم فاعل من الرعونة على أنه منادى نكرة فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) وان لم تقصدوا به المعنى الباطل اذ يصير ذريعة للمبطلين وكما أن الايمان يقتضى ترك السحر يقتضى ترك التلبيس وان لم يقصده المؤمن (وقولوا) بدله (انظرنا) اذا خاطبكم الرسول لتفهموا كلامه (واسمعوا) سماعا لا تحتاجون معه الى شئ من القولين (وللكافرين) الذين آذوهم بذا التلبيس (عذاب أليم) أشد ايذاء لهم من هذه المخاطبة ثم أشار الى أن أهل الكتاب انما خاطبوكم بذلك ليوهموا الناس حماقتكم المنافية للانزال عليكم لانه (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) فاذا عجزوا عن منع الله عن الانزال قصدوا هذا الايهام ولا يتم لهم الا بمنع الانزال (و) لكن لا ينافى لهم

واحدها توت (أردا كم) أهلككم (أكامها) أوعيتها التى كانت فيها مستترة قبل تفطرها واحدها كم وقوله تعالى والنخل ذات الاكمام أى الكفرى قبل أن تتفتق (آدم) اعمال (أكواب) أباريق لا عرا لها ولا خراطيم واحدها كوب (أغضبونا) أسخطونا

المراد (والله يختص برحمته من يشاء) بل ربما يرحم غيرهم بأكمل مما يرحمهم كيف (والله ذو الفضل العظيم) ومن الفضل العظيم النسخ وهو بيان انتهاء التعبد بالقراءة أو الحكم أو كليهما فأنا (ما ننسخ من آية أو ننسها) أى نؤخرها ونبعدها عن الذهن فلا يبقى اليه لفظها ولا معناها (نأت بخير منها) أى أسهل فى العمل أو أوفق لمصلحة الفاعل أو العصر أو أكثر فى الاجر (أو مثلها) أن يكون المتأخر فى عصر مثل المتقدم فى عصره فى الامور المذكورة واذا فعلنا ذلك بآيات الكتاب المعجز فلا يبعد أن نفعل مثله بغيره ولو لم يتم فضل الناسخ أو مثليته لغيرهم لا يتقادون له اذ لا بداء فيه بل التخفيف أو رعاية المصالح أو اعطاء الفاضل لتفاضل ولا يبعد من الله (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) فيقدر على التخفيف ورعاية المصالح واعطاء كل ذى حق حقه ولا يبعد منه تفضيل الامم بعضها على بعض (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فكما فضل السموات على الارض فضل بعض عباده على بعض وبعض أحكامه على بعض (و) ان لم يتقادوا لله فى تفضيله (ما لكم من دون الله من ولى) يجرى أموركم على أكمل مما يعطيكم وأصلح (ولا نصير) يدفع عنكم النقائص والمفاسد أتستقرون على حكم الله فى كل عصر (أم) لا بل (تريدون أن تسئلوا رسولكم) بتبديل حكم الله (كما سئل موسى من قبل) فى أمر البقرة المطلقة أن يبدلها بالمقيدة بالقيود الصعبة وفيه رد على اليهود بأنه لا نسخ فى حكم الله على أن هؤلاء يرون تبديل الناسخ بالمنسوخ كفرا (ومن يتبدل الكفر بالايمان) فانه وان ظن أنه اهتدى (فقد ضل سواء السبيل) اذ لم يبق هدى بعد النسخ ثم ان أهل الكتاب يعاونون وقوع النسخ فى دينهم فى أمر البقرة وأن شبههم واهية ولكن (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) بالقاء الشبه (من بعد ايمانكم كفارا) كما كفروا (حسدا) لا موجب له من قبلكم بل (من عند أنفسهم) ولا بقاء شبهة عندهم بل (من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا) أى تجاوزوا عن الالتفات الى قولهم وشبههم (واصفحوا) أى أعرضوا عن قتالهم (حتى يأتى الله بأمره) بالقتال ولم يؤخره لعجزه (ان الله على كل شئ قدير) لكن لحكمة لئلا يقال اذا غلب عن قلة واستمر عليه أنه انما يغلب بقوة نصره (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) ليكون جهادا على أنفسكم بدل الجهاد عليهم واجعلوهما على وفق الناسخ الخير دون المنسوخ (وما تقدموا لانفسكم من خير) وان كان المنسوخ (تجدوه عند الله) وهو أن منعه التعبد بالمنسوخ (ان الله بما تعملون بصير) فيقبل من عمل بالناسخ ويرد من عمل بالمنسوخ على عكس ما عند عادم ابصاره ثم قال (و) هذا القول منهم كما (قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) أى قالت اليهود لا يدخل الجنة الا يهودى وقالت النصارى لا يدخلها الا نصرانى قال عز وجل (تلك أمانيهم) أى ارادتهم التى يتمنونها على الله (قل هاتوا برهانكم) عليه من نص أو عقل (ان كنتم صادقين) فى هذا القول (بلى) لا نص عليه ولا عقل بل على أن (من أسلم وجهه لله) أى جعله منقادا لآياته وأحكامه فى كل عصر (وهو محسن) لتطرفه او العمل بمقتضاها (فله أجره

ا (أبو والمرا) احكموا امرا (انا أول العابدين) مقتضاه ان كنتم تزعمون ان للرحمن ولدا فانا أول من يعبده على أنه واحد لا ولد له ويقال فانا أول الآنفين والجاحدين لما قلتم (أثرة) وأثارة من علم أى بقية من علم يؤثر عن الاولين أى يسند اليهم

عند ربه) وان لم يكن عند هؤلاء (ولا خوف عليهم) من قول هؤلاء (ولاهم يحزنون) من التردد من قولهم (و) كيف لا يطلب البرهان منهم وقد ضلل كل فرقة صاحبتها اذ (قالت اليهود ليست النصارى على شئ) من الدين والهداية بل على محض الضلال فى الاعتقاد والعمل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ و) لا ترجيح لفرقة باختصاصها بالعلم اذ (هم) بأجمعهم (يتلون الكتاب) وترجيح عالم على آخر انما يكون بالدليل ولا دليل لهم بل (كذلك قال الذين لا يعلمون) من قبلهم من جهال الامم فلو جاز تقليد احدهم لجاز تقليد احد القدماء لانهم انما قالوا (مثل قولهم) بلا فرق فان أصروا على قولهم بلا دليل ولم يبالوا الادليل على خلافه (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) بما يجازيهم (فيما كانوا فيه يختلفون) اذ يجازى كلا على وفق اعتقاده وعمله وكيف يؤخذ بقولهم وهم بمنع النسخ أظلم الناس (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) أن يصلى فيها بمقتضى الناسخ ليتمكن ذكر الله بجميع الاجزاء من القلب واللسان والجوارح فكأنه منع (أن يذكر فيها اسمه) اذ امنع لهم تم اعمارتها فكأنما (سعى فى خرابها) لكنه انما يتأتى لو سلطوا عليها والله تعالى لا يسلطهم بل (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) من المؤمنين اذ ليس لهم بعد الاسلام دخولها الا باذن المؤمنين بل (لهم فى الدنيا خزى) قتل وأسر وجزية لاهانتهم الناسخ الفاضل (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) لمنع الله اعطاء الثواب على العمل بالناسخ ثم أشار الى أنهم وان منعوا عن الصلاة فى المسجد الحرام والاقصى فقد جعل الله لكم الارض كلها مسجدا فقال (ولله المشرق والمغرب) أى الارض كلها (فأينما تولوا) أى وليتم وجوهكم شطر القبلة (فثم وجه الله) أى الجهة التى أمرهم بالقربة اليها فى الصلاة وانما جعل جميع الارض مسجدا لكم لسعة رحمته بكم وعلمه بمصالحكم (ان الله واسع عليم) ولعلمه بمصالحكم لا يمنع اعطاء الثواب على العمل بالناسخ ثم العمل بالمنسوخ اما عن قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرضونه أو عن قولهم (و) لا اعتماد عليهم اذ صاروا مشركين كيف اذ (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) من أن يجانس شيأ والولد من جنس الوالد أبدا فلو فرض له مجانس فليس مما فى السموات والارض (بل له ما فى السموات والارض) ملكا على أن ولده يجب أن يكون خارجا عن العبودية وهؤلاء (كل له قانتون) ولا متشبث لهم فى ولادة عيسى بلا أب ولا فى علم عزير بالتوراة بلا تعلم اذ هو (بديع السموات والارض) فلا يبعد أن يوجد بلا أب أو يعلم بلا واسطة بشر كما انه لا يحتاج فى ايجاد الاشياء الى مادة ومدة بل (واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) والولد من الحوادث المقتضية لجعل بعض ما حصل بالامر ولدا دون البعض تحكم محض (وقال الذين لا يعلمون) لما رأوا بعض الانبياء أتى بحكم وآخر بخلافه ولكل آية تصدقه (لولا يكلمنا الله) بان الحق ما أتى به فلان (أو) لولا (تأتينا آية) ملجئة بأن الحق حكم فلان ومنشأ هذا جهلهم بأنهم لم يبلغوا رتبة المكالمة مع الله لاختصاصها بالملائكة والانبياء عليهم السلام ويجوز تعدد أحكام الله بحسب الاشخاص أو الازمنة فبقى الاشتباه على هؤلاء مع كونهم من أهل

(آنفا) أى الساعة من قولك استأنفت الشئ اذا ابتدأته وقوله تعالى ماذا قال آنفا أى الساعة أى فى أول وقت يقرب منا (أحقاف) رمال مشرفة معوجة واحدها حقف (أضل أعمالهم) أبطل أعمالهم (أكننتم) أخفيتم وهم

الكتاب كما بنى على المشركين من قبلهم فكما قال هؤلاء (كذلك قال الذين من قبلهم) بلا تفاوت بل (مثل قولهم) وان كان هؤلاء من أهل العلم دون من قبلهم لكن (تشابهت قلوبهم) بالكفر فصاروا امثالهم فى الجهل فأنكروا الآيات الدالة على حقية كل من الناسخ والمنسوخ فى عصره ولكنه (قد بينا الآيات) الرافعة لشبهة امتناع تعدد حكم الله بحسب الاشخاص والازمنة بتعدد المصالح (لقوم يوقنون) ثم انهم يريدون فى الآيات البلوغ الى حد الالجاء وليست بشرط بل يكفى البلوغ فى صلاحية الانذار والتبشير وقد وجد ذلك فى آيات محمد صلى الله عليه وسلم كما قال (انا أرسلناك بالحق) أى بالدلائل الثابتة التى لا تتزلزل بشبهة (بشيرا ونذيرا) ولا يضر فى صحتها انكار هؤلاء لها الا انه عن عناد لانهم اختاروا الانقسام (ولا تسئل عن) انكار المعاندين (أصحاب الجحيم) ولو قيل ان صلحت آياتك للتبشير والانذار لقبلها أهل العلم وان عاند فيها الجهال لكن اليهود والنصارى لا يقبلونها قيل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) فيقبلوا آياتك لانهم لاشتهارهم بالعلم يريدون أن يكونوا متبوعين على الاطلاق فلا يرضون عنك وان بلغت ما بلغت (حتى تتبع ملتهم قل) لا يتبع رسول الا الهدى و(ان هدى الله) فى كل عصر (هو الهدى) الذى جاء به رسول ذلك العصر وغيره وان كان قبل النسخ هدى فانه بعده هوى (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم) القطعى بأن هدى هذا العصر ما جئت به لا غير (ما لك من الله من ولى) يقويك (ولا نصير) بدفع عنك العذاب حتى موسى وعيسى باتباع ملتهما على أن أهل الكتاب قسمان قسم هم (الذين آتيناهم الكتاب) بالحقيقة وهم الذين (يتلونه حق تلاوته) من غير تحريف لفظا أو معنى (أولئك يؤمنون به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكمال آياته وصلوحها للتبشير والانذار (ومن يكفر به) وهو القسم الآخر (فأولئك هم الخاسرون) للايمان بمحمد وبكتابه جميعا وللآخرة وبكل فضيلة حصلوها وان حصلوا الرئاسة وجامع سائر أموالهم وديارهم (يا بنى اسرائيل) الزاعمين استحقاق مطلق المتبوعية حتى لأكمل الرسل صلى الله عليه وسلم (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) حتى ادعيتم هذا الاستحقاق من ذلك (و) من (أنى فضلتكم على العالمين) اى على عالمى زمانكم فليس مقتضى تلك النعمة وذلك التفضيل أن تتكبروا على آياتى ورسلى وتكفروا بى بالكفر بهما (واتقوا) فى ذلك (يوما لا تجزى نفس) فضلتم من نسبتكم اليها (عن نفس) نسبتها اذا تكبرت على آياتى فكفرتم بى او برسلى (شيئا ولا يقبل منها عدل) اى فدية لو فادوكم باعمالهم الصالحة أو بأنفسهم (ولا تنفعها شفاعة) منها وان نفعت فى حق الاجانب (ولا هم ينصرون) بدفع العذاب قهرا من قوة نسبتهم اليها أو غيرها (و) كيف تستحقون متبوعية أكمل الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وليس فيكم من يستحق متبوعية العوام لظلمكم فاذكروا (اذ ابتلى ابراهيم) اى كلفه (ربه بكلمات) اى بمحنات النار والهجرة وذبح الولد والختان أو والشمس والقمر والكواكب او عشر فى براءة التائبون العابدون الآية وعشر فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون الآيات وعشر فى الاحزاب ان المسلمين

فيهم التسل (آسن) وآسن تغير الريح والطعم (أشراطها) علاماتها ويقال أشرط نفسه للامر اذا جعل نفسه علما به ولذا يسمى اصحاب الشرط لما يكون علامة لهم والشرط فى البيع علامة للمتبايعين (أول لهم) وأولى لك قاربك ما يهلكك

والمسلمات الآية وقيل خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك
وفرق الرأس وخمس فى البدن قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء
(فأتمهن) اى فاحسن الصبر أو النظر أو العمل (قال انى جاعلك للناس اماما) اى قدوة ان
بهذا فى هذه الكلمات وغيرها (قال و) اجعل (من ذريتى) اماما فى كل عصر (قال) فى بعض
الاعصار لا يبقى منهم الا ظالم و (لا ينال عهدى) بالامامة (الظالمين) وقد تحقق ظلمكم بتحريف
التوراة وقتل الانبياء واتخاذ العجل وغير ذلك (و) ان قالوا لا نريد المتبوعية لكن أحكام الله
لا تتعدد فلا بد من الرجوع الى أحكام التوراة اجيبوا بأن التوراة قد نسخت أحكام ملة
ابراهيم فلم لا يكون لمن بعدها نسخ أحكامها فاذكروا (اذ جعلنا البيت) اى الكعبة (مثابة
للناس) اى موضع ثواب لهم بالحج فى دين ابراهيم ثم نسخ فى دينكم (و) جعلناه لك (أمنا) لئلا
يؤذى أمنه الحجاج (و) جعلناه فى دينه قبلة اذ قلنا (اتخذوا من مقام ابراهيم) وهو الحجر الذى
فيه أثر أصابع رجليه (مصلى) وليس بقبلة فى دينكم (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا
بيتى) من الانجاس (للطائفين) اى الدائرين حوله وليس فى دينكم (والعاكفين والركع) ولا
ركوع فى دينكم (السجود) فقد نسختم من دينه ودين أولاده هذه الامور (و) كيف لا يكون
محل الحج فى عهد ابراهيم وأولاده وقد دعا بذلك ابراهيم فاذكروا (اذ قال ابراهيم رب اجعل
هذا بلدا آمنا) أى ذا أمن لئلا ينقطع عنه الحجاج (وارزق أهله من الثمرات) لئلا يضطروا
الى نهب الحجاج وخص دعاء الرزق (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) لئلا يعمه الكفار
بمضموا فيه أو حول الاحجار (قال) لا أميز بين الفريقين بما يكون ملجئا الى الايمان بل
أرزق المؤمنين (ومن كفر) لكن من كفر (فأمتعه) بالامن والثمرات (قليلا) أى أيام حياته
(ثم اضطره الى عذاب النار) لا أخفف عنه بتعميره بل يكون (بئس المصير) مصيره لانه
الحد فى بيتى فأضاعف عذابه (و) كيف تنكرون كونه محل الحج والقبلة وقد دعا بذلك
ابراهيم ايماء تارة وتصريحا أخرى فاذكروا (اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل)
أى بنيان أساسه بما يرفعه قائلين (ربنا تقبل منا) هذا البناء الذى بنيناه للحج والتوجه اليه
فى الصلاة (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا فهذا ايماء وأصرح منه قوله (ربنا
واجعلنا مسلمين لك) بأن نقصد بالحج والتوجه اليه عبادتك لا عبادته (و) اجعل (من ذريتنا
أمة مسلمة لك و) أصرح من ذلك قوله (أرنا مناسكنا) أى متعبداتنا فى الحج بأسرارها (وتب
علينا) فيما قصرنا من المناسك وأسرارها (انك أنت التواب الرحيم) وكيف تنكرون بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم ناسخا لما تمسكتم من ملته وقد قال ابراهيم (ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم) وليس فيهم غير محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليهم آياتك) الدالة على تعظيمك وتعظيم
رسولك ونبيك (ويعلمهم الكتاب) أى علم الظاهر لئلا يغلوا بالباطن لو تجرد (والحكمة)
أى الباطن المطلع لهم على أسرار الحج والتوجه اليه فى الصلاة (ويزكيهم) عن سوء الاعتقاد
فيما بعد من أفعاله عن العقل وعن الالتباس بأفعال الكفرة فانه قد كثر فيه ذلك (انك أنت

تهليلا وتعبيدا أى تذليلك
شرفا حذره (أملى لهم)
أطال لهم المدة مأخوذة
من الملاوة والملاوة وهو
الحين أى تركهم حينا
ومنه قولهم تمليت حينا
أى عشت معه حينا
(أضغانكم) أحقادكم
واحدها ضغن وحقد
وهو ما فى القلب مستكن

(العزيز) أى الغالب بتيسير هذه الاسرار (الحكيم) فى تخصيص اظهارها بمن يستحقه فيكفى فى محمد صلى الله عليه وسلم هذا المقدار فلا يحتاج معه الى تعيين اسمه وهيئته وزمانه ثم أشار الى أن محمدا عليه السلام لما كان مبينا الآيات البيت وأسرار المناسك كانت ملتمسة ابراهيم وانما نسخت فى حق اليهود لقصورهم لانهم أهل الظاهر المحض فلما أهل الكمال الجامعون بين الظاهر والباطن عاد ذلك المنسوخ فالميل عنه ميل عن الكمال الذى فى ملة ابراهيم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) بعد حصول الاستعداد لها (الا من سفه نفسه) أى جهل كمال استعدادها المقتضى للتعبد بأكمل الملل وهى ملة ابراهيم كيف (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) بالرسالة والنبوة والولاية والامامة وتكثير الانبياء من نسله واعطاء الخلة واظهار المناسك وأسرارها عليه وجعل بيته أستاذا آيات بينات الى يوم القيامة (وانه فى الآخرة) وان انقطعت نبوته ورسالته وامامته (لمن الصالحين) بولايته الخاصة التى هى أفضل من النبوة والرسالة وان كانتا أفضل من ولاية من تمحض وليا وقد حصلت له هذه الكمالات بمجرد اسلامه (اذ قال له ربه) بالوحى الظاهر أو الخفى (أسلم قال أسلمت لرب العالمين) فأسلم بجميع أسمائه وأحكامه فى كل عصر فجذبه ربه بجميعها اليه وبقى أثرها فى أولاده الى أن كمل مع كمالات أخر فى محمد صلى الله عليه وسلم (و) ذلك لانه (وصى بها ابراهيم بنيه) اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة وعشرون والتوصية التقدم الى الغير بقول فيه صلاح وقربة (و) وصى بها (يعقوب) ابن اسحق بنيه أيضا روبيل وشمعون ويهوذا وسوزخور وزبولون ودوان ونفتولى وكداد وأوشير وبنيامين ويوسف قائلين (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) أى الاسلام الذى لا يسمى غيره معه دينا ولا يقبل اعتقادا وعمل بخالفه (فلا تموتن) أى لا تكونن قبيل الموت على حالة وان تيتم فى الله أو بقيتم به (الا وأنتم مسلمون) لا تدعون الالهية لانفسكم ولا تعتقدونها المخلوق باعتبار الذات أو باعتبار صفات الكمال أو استحقاق العبادة له ولم يوص فى التزام أحكام اليهودية أو النصرانية أو أحكام ملته بل تركها على الانقياد لرسول كل زمان على أنه لم يوص هو ولا يعقوب بعبادة عزير وعيسى أكنتم غائبين غيبة مطلقة بأن لم يصل اليكم قصة وصية يعقوب بنيه (أم كنتم شهداء) أى حاضرين اذ بين لكم فى كتابكم قصة وصيته (اذ حضر يعقوب الموت) فوصى بنيه بعبادة الله وترك عبادة الغير (اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك) أى اسلافك لا من أشرك منهم بل (ابراهيم واسمعيل واسحق) ولما أوهم تكرير الاضافة التعدد أزالوه فقالوا (الها واحدا) لم يتقيدوا باحكام نبى دون آخر بل قالوا (ونحن له مسلمون) أى منقادون لاحكامه فى كل عصر يأتى به رسول ذلك العصر وأنتم يا أهل الكتاب وان كنتم من أولادهم فليس فيكم من ذلك شئ فكأنها فى حكم (تلك أمة) أى جماعة (قد خلت) أى مضت مع وصاياها وآثارها فى حقكم (لها ما كسبت) من الاعتقادات والاعمال والاخلاق (ولكم ما كسبتم) مما لم تزالوا منهم (و) لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذ (لا تسئلون عما كانوا يعملون)

من العداوة (أنابهم) جازاهم (آزره) اعانه (ألقى السمع وهو شهيد) استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه (ألفيا في جهنم) قيل الخطاب لمالك وحده والعرب تأمر الواحد والجمع كما تأمر الاثنين وذلك أن الرجل أدنى

قوله روبيل الخ سقط من هذا العدلاوى وبه تتم الاثنا عشر وقد وقع فى كتب التفسير والتاريخ اضطراب شديد فى ضبط تلك الاسماء والذى ذكره بعض المؤرخين مانصه وأما أسماء آباء الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب فهم روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر بكسر الياء المثناة التحتية وتشديد السين المهملة وفتح الخاء المعجمة ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى بفتح النون وسكون الفاء وفتح التاء المثناة فوق وكسر اللام ثم كان ثم أشاراه

لو عملوا السيئات فكذا لا ينفعكم حسناتهم اذا لم تكونوا على وصاياهم وآثارهم ثم أشار الى أنهم لا يعتزون بكمال ملة ابراهيم بل يكادون يجعلونها ملة ناقصة ل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) لان الهداية منحصرة فيهما (قل) لا انحصار للهداية فيهما (بل) نتبع (ملة ابراهيم) فانها أكمل من اليهودية والنصرانية سيما التي اليوم لكونه (حنيفا) أى مائلا عما سوى الله اليه وأنتم تميلون الى عزير أو المسيح (وما كان من المشركين) باعتقاد استحقاقهما العبادة فان قالوا جعلتم اليهودية والنصرانية شركا كنتم كافرين بما أوتي موسى وعيسى (قولوا) ما كفرنا بشئ يجب الايمان به بل (آمنا بالله) المستلزم للايمان بجميع آياته وأحكامه المستلزم للايمان بجميع الرسل (و) لكن نقدم الافضل ونقدم من تبعه أفضل تبعيته فالافضل ومن تبعه فنقول آمنا بجميع (ما أنزل الينا) من الآيات والاحكام التي هي غاية الكمال (وما أنزل الى ابراهيم) مما يشبه هذا الكمال (و) الى (اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) ممن هو تابع أو كالتابع لهذا الكمال (وما أوتي موسى وعيسى) أنهما وان فضلا بعض من تقدم فأوتيا الاقدار استعداد أممهما ودون ما تقدم فأخرناهما لكن لكمالهما جعلنا الايمان بهما مستقلا (و) كذلك آمنا بجميع (ما أوتي النبيون من ربهم) وان كان فيه تفاوت ولكن (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض دون البعض كيف (ونحن له مسلمون) أى منقادون لجميع أحكامه في الاعصار وان تفاوتت فضلا بتفاوت الامم (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى المعاصرون للهداية في ملتهم (بمثل ما آمنتم به) من المتقدم عليهم والمتأخر والمعاصر لهم (فقد اهتدوا) أى صدق عليهم لفظ الهداية وان لم ينحصر فيهم (وان تولوا) فهم وان وافقوا موسى أو عيسى في الظاهر (فانما هم) بالحقيقة (في شقاق) أى خلاف معهما فان حاربوك أو قاتلوك على ذلك أو غيره (فسيكفيكهم الله وهو السميع) لاقوال الفريقين (العليم) بمن هو على الحق منهم وقد بينه لنا بيانا واضحا حتى صار صبغة لقلوبنا (صبغة الله) أى صبغ قلوبنا بالهداية والبيان صبغة كاملة لا ترتفع بماء الشبه ولا تغلب صبغة غيره عليه كيف (ومن أحسن من الله صبغة) وكيف تذهب عنا صبغته (و) نحن نؤكدها اذ (نحن له عابدون) والعبادة تزيل رين القلب فينطبع فيها صورة الهداية بمزيد وضوح (قل أتحاجوننا في) دين (الله) اذ لا يتعدد (و) لا يتعدد اذ (هو ربنا وربكم) وله باختلاف نسبه أسماء مختلفة تقتضي أحكاما مختلفة عند ظهور سلطنتها (و) كذلك يكون (لنا أعمالنا) التي نعملها على وفق أمره الآن (ولكم أعمالكم) التي عملتموها على وفق أمره حين أمرتم بها وأما الآن فلا يحصل لكم أجرها (و) يحصل لنا اذ (نحن له مخلصون) العمل باتباع أمره وأنتم تتبعون أهواءكم بعد نسخ أمره أتقولون ديننا أكمل من دين ابراهيم وأولاده (أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (كانوا هودا أو نصارى) لان دين الله لا يتبدل (قل أأنتم أعلم أم الله) الذي حكى لكم في كتابكم أن في دينه وجوب الحج وكون الكعبة قبلة ووجوب الركوع في الصلاة وقد

أعوانه في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة أدلى ما تكون ثلاثة تجري كلام الواحد على صاحبيه (ادبار السجود) ذكر عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال ادبار السجود الركعتان بعد المغرب

رح بنه بتكثير الانبياء من أولاده وذكره في كتابكم أيضا وذكر أيضا حقية هذه الملة
ولنها أنزلت في الاكثر ملة ابراهيم لكنكم تكتمون هذه الشهادات كلها (ومن أظلم ممن كتم
شهادة) واحدة صحت (عنده) أنها (من الله) بل زدتم على الكتمان بالتحريف (وما الله بغافل
عما تعملون) من كتمانكم وتحريفكم ولا يمنع اعمال أسلافكم من مجازاتكم على وفق
اعمالكم بل (تلك أمة قد خلت) باعمالها لم تترك لهم من أعمالهم شيأ (لها) جزاء (ما كسبت)
من الصالحات (ولكم) جزاء (ما كسبتم) من الصالحات وكيف يكون لكم جزاء أعمالهم
(ولا تسألون عما كانوا يعملون) والجزاء انما يكون عقيب السؤال وسؤال الشخص
عن عمل الغير غير معقول في العدل ولما كانت ملة الخليل عليه السلام أكمل كانت قبلتها
أكمل فلا يتكرر التحويل اليها الا سفيه كما قال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها) بعد الكعبة والنسخ انما يكون بالخير (قل لله المشرق والمغرب) أي
الجهات كلها فله أن يولي عباده الى أي جهة شاء لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة
بينهما مع اجتماع الخلائق الى جهة واحدة ليتفق بواطنهم في استفاضة الانوار وله أثر عظيم
لذلك شرعت الجماعة في الصلاة ليتفق أهل محلة ووجبت في الجمعة ليتفق أهل بلد ووجب
الحج ليتفق أهل الآفاق ولا يتأتى تعيين الجهة الا بأمر سماوي نخص ابراهيم عليه السلام
بأكمل الجهات وهي الكعبة لانها المبدأ الترابي للانسان اذ بسطت الارض من تحتها فاذا
توجه اليه الظاهر توجه الباطن الى مبدئيته جناب الحق وقد كان فيها الدرة المحمدية التي
أجابت الحق من الارض وما قابلها من السماء اذ قال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا
أتينا طائعين ثم جعلت لليهود حضرة بيت المقدس لان منها عروج بعض الانبياء الى السماء
فالتوجه اليها يشعر بمعراج الصلاة ثم جعلت لمحمد صلى الله عليه وسلم ليكون جامعا لجهات
الكعبة أولا لكمال نشأته ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق معراجه ليزداد عروجا حين تحول الى
المدينة فصلى اليها ستة عشر شهرا يتألف بها اليهود ثم عاد الى الكعبة لان النهاية هي الرجوع
الى البداية فكانت غاية الكمال لان توجه الظاهر اليها لما استلزم توجه الباطن الى الحق
لم يكن غير مسافة والمعراج يشعر بالمسافة وهي انما تعتبر في حق البعداء فلذلك قال عز وجل
(يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) أي الى أقرب الطرق وذلك لقربكم من الله بكمال
الاعتدال في الاعتقاد والاخلاق والاعمال ثم أشار بانا كما جعلناكم معتدلين لتقربنا جعلناكم
معتدلين لتكميل العدالة فقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي معتدلة في الاعتقادات
والاخلاق والاعمال (لتكونوا شهداء على الناس) لكمال عدالتكم لعدم ميلكم الى طرف
مع أن هذا الاعتدال بعد التزكية والتصفية يفضي الى كشف الامور على ما هي عليه
اذ لم يحتمل بالرياضة المزاج لم يفض الى الجنون (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اذا أنكر
الشهود عليهم أن يكون لكم هذه الرتبة فيبينها لهم الرسول ببيان الشاهد عند الحاكم ثم قال
اعتذارا عن الانتقال من الكامل الى الناقص في النسخ (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها)

وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر الادبار جمع دبر والادبار مصدر أدبر ادبارا (أيان يوم الدين) متى يوم الجزاء (ألتناهم) نقصناهم يقال ألت يألت ولات يليت لغتان (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت في جوف الكعبة

أي بيت المقدس بعد الكعبة التي هي أكمل منها (الا لنعلم من يتبع الرسول) أي ليتميز بمقتضى علمنا باليهود من يتبع الرسول منهم لرؤية تاليفه (ممن ينقلب على عقبيه) فيزعم انه عليه السلام تبعهم (وان كانت لكبيرة) أي وان تلك القبلة كانت ثقيلة على أرباب النظر لما فيها من الانتقال من الاعلى الى الاسفل (الا على الذين هدى الله) للحكمة الالهية في تاليف اليهود فان هداهم بتجبير قصبها ولما كان هذا كالإلى حق الرسول عليه السلام دون الصحابة توهموا اضياع صلاة من صلى اليها ازاله الله عنهم بقوله (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي أعمالكم التي عملتموها بمقتضى ايمانكم بالله انقياداً لامره فانه أتم في العبودية من اتباع ما يطابق العقل اذ فيه انقياده والله تعالى يكمل لمنقاده نقص الجهة (ان الله بالناس لرؤف رحيم) ثم أشار الى أن الله تعالى وان كمل أجر المتوجهين الى الصخرة من فضله لامتثالهم لكنها لما كانت دون الكعبة الكاملة بالذات أراد الكامل بالذات أن يؤمر بالجهة الكاملة ليكمل أجره باعتبار الذات وباعتبار الفضل من امتثال الامر فقال (قد نرى تقلب وجهك في السماء) تنتظر الوحي الآمر بالكعبة (فلنولينك قبلة ترضاها) فانه وان كملت العبودية في الصخرة نراعي رضاك باعطاء الكامل الذات (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي الذي يحرم على الكامل النظر الى غير الله ولا يختص ذلك بك لغاية كمالك بل يكون لاتباعك بتبعيتك حتى قيل لهم (وحيثما كنتم) من المراتب (فولوا وجوهكم شطره) فانكم تنالون بتبعيته من الكمال ما لم ينله من هو أفضل منكم من قدماء الانبياء (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) أي توجه هذه الامة الى الكعبة وان كانت دون الانبياء المتوجهين الى الصخرة هو الحق الذي جاءهم (من ربهم) الذي رباهم باعطاء هذه الفضيلة بتبعية أكمل الرسل لكنهم يكتمون فضائل هذه الامة ويحرفون الكلم عن مواضعه في نعوت محمد صلى الله عليه وسلم (وما الله بغافل عما يعملون) من الاعمال ثم أشار الى أن هذا آية لكونه من أخبار الغيب عما بالغوا في ستره من كتبهم موجبة لمتابعة قبلتك (و) لكن (لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) اذ يريدون أن يصيروا لك متبوعين لا تابعين (و) لكن (ما أنت بتابع قبلتهم) الآن وان تبعتها أولا لانك رجعت الى كمال مبدئك في منتهاك (و) لا يتبعون الدلائل لانه (ما بعضهم بتابع قبلة بعض) وان كان لهم دليل من نص كتبهم لكنه لم يبق دليلا بعدما نسخ بل صار هوى (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) بان قبلتهم نسخت بما هي أكمل منها نسخاً مؤبداً (انك اذاً لمن الظالمين) بترجيح الادنى على الاعلى مخالفاً لامر الله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أي اتباعك قبلتهم بعد نسخها معرفة لا التباس فيها (كما يعرفون أبناءهم) من غير لبس اذ لا يخفى عليهم جواز النسخ (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق) من جواز النسخ (وهم يعلمون) حقيته وان الكعبة أعلى من الصخرة وان كانت معراج بعض الانبياء فان سلم علوها فاتباع أمر الله هو (الحق) الآتي (من ربك) دون اتباع مقتضى ذوات الاشياء على خلاف أمره (فلا تكونن من الممترين) من هذه الشبهة فقد

من حجارة كانوا يعبدونها
(أكدى) قطع عطيته
ويئس من خيره مأخوذ
من كدية الركية وهو
أن يصادف الحافر فيبلغ الى
الكدية وهي الصلابة من
حجر أو غيره فلا يعمل

رفعت بالكلية (و) يدل على أن الواجب متابعة أمر الله لا غير أنه (لكل وجهة هو موليها) أي لكل ممثل من عباد الامم جهة هو مول وجهه اليها امتثالا لامر الله اذ هو الخير عند تعارضه مع الفضل الذاتي (فاستبقوا الخيرات) أي فبادروا الى تحصيل الخيرات من امتثال أوامر الله المفيد للسعادات الابدية (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) أي ففي أي جهة تكونوا من الجهات المأمورة يأت بكم الله الى مقام قربه ولا يستبعد ذلك في الجهات الناقصة (ان الله على كل شيء قدير) ثم أشار الى أنه عز وجل وان أتى الى مقام قربه كل متوجه الى جهة أمر بها فلا تتوجه الى أي جهة شئت مما أمر بها الاولون اذ لم تبق جهة بل (ومن حيث خرجت) أي ومن أي مقام أولئك الانبياء خرجت من عهدته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) لانه الجهة الجامعة لفضائلها (وانه للحق من ربك) الجامع ففيه فوائد سائر الجهات بل لم تبق جهات في حق أحد يأتي به الى مقام قربه اذ صارت منهية (وما الله بغافل عما تعملون) من الاعمال المخالفة لامره الحاضر لموافقتها ما مضى من أمره ثم أشار الى أنكم كيف لا تؤمرون بجهة الكعبة مع انكم على ملة ابراهيم فلو خالفتم قبلته لالزمكم الناس بمخالفتكم ملته فقال (ومن حيث خرجت) عن كمال عهدة ملة ابراهيم (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) من مراتبكم (فولوا وجوهكم شطره) بمتابعة نبيكم (لئلا يكون للناس عليكم حجة) بمخالفة ملة ابراهيم (الا الذين ظلموا منهم) فانهم لا يعتبرون عليكم بذلك اذ يزعمون ان البيت قبلته بل قبلته الصخرة لكونه يهوديا أو نصرانيا في زعمهم (فلا تخشوهم) أن يقولوا خالفتم قبلة ابراهيم لان هذا القول منهم مخالف ما تواتر من قبلة ابراهيم (واخشوني) فلا تخالفوا أمري بطعنهم ترجيحا له على أمري (و) لو صح قولهم انه ليس قبلة ابراهيم فانما أمرتكم بها (لأتم نعمتي عليكم) بالتوجه الى أكمل الجهات المتضمنة للآيات البينات والامن (ولعلكم تهتدون) للصراط المستقيم بالتوجه اليه لاستلزامه التوجه الى الباطن فتهتدون بهذه القبلة هداية كاملة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أي كهدايتكم بارسالنا من مقام عظمتنا فيكم أيها الكمل رسولا كاملا (يتلوا عليكم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا مما تدل على ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا واسرارنا (ويزكيكم) أي يزكي نفوسكم اعتقاداتها وأخلاقها وأعمالها (ويعلمكم الكتاب) الجامع للعلوم الظاهرة والباطنة (والحكمة) التي يتوصل بها الى الحقائق (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) بالنظر الجامع والاستدلال ويعلم سائر الكتب الالهية فالكعبة تتضمن هذه الاشياء ان كوشف بحقيقتها وهي انما تحصل بالتوجه الى الله والاستغراق في ذكره (فاذكروني أذكركم) باعطاء هذه الامور (واشكروا لي) لازيدكم منها (ولا تكفرون) بدعوى الكمال لا تنقصكم اذا حصلت لكم تلك الاشياء ثم أشار الى أن الذكر والشكر وترك الكفران انما يتم بالصبر والصلاة اللذين هما مقتضى الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) لتحصيل تلك الامور (بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات (والصلوة) الجامعة لطاعة القلب واللسان والجوارح والباطنة

معوقتا بالناس ويقطع ل أكدى فهو المفر يقال مكد (اتقى) جعل لهم قنية أي أصل مال (ازفت الآزفة) قربت القيامة الموصوفة بها بالقرب يقال ازف شخوص فلان أي

عن الفحشاء والمنكر بل الصبر كاف في ذلك بل في تحصيل جميع الكمالات (ان الله) الجامع للكمالات (مع الصابرين و) لما كان معهم وأجلهم الصابرون في الجهاد والله تعالى مستجمع للكمالات التي من جملتها الحياة (لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) من الصابرين على الجهاد (أموات) لا يحصل لهم الترقي في الكمالات (بل أحياء) يحصل لهم الترقي فيها (ولكن لا تشعرون) بحياتهم اذ لم يظهر منها شيء في أبدانهم وان حفظ بعضها عن التلف (و) اذا كان في القتل في سبيل الله أتم وجوه الحياة وهي نتيجة الصبر فلا يخلو عن افادة حياة في شيء كان ذلك (لنبلونكم) لننظر هل تصبرون (بشيء من الخوف) من عدو لننظر هل تصبرون معه على الاسلام (والجوع) لننظر هل تصبرون على ملازمة ديار الاسلام (ونقص من الاموال) بايجاب الزكاة (والانفس) بايجاب الجهاد لننظر هل تصبرون عليه مما أنتم تزدادون من أجلها (والثمرات) بموت الاولاد وانقطاع التجارات لننظر هل تصبرون أم تجعلون ذلك من شؤم الاسلام فتكفرون وقدم الخوف المؤدي للعبادة في الحال ثم الجوع المؤدي بعد حين ثم الاموال المفضية الى الجوع ثم الجهاد المحتمل للافضاء الى الموت ثم الثمرات لانه في معنى موتهم بانقطاع نسلهم وأموالهم (وبشر الصابرين) عليها بأن الله معهم سيما (الذين اذا أصابتهم مصيبة) مما ذكر (قالوا انا لله) أي عبيده فلا ينبغي أن نخاف غيره لان سيدنا غالب على الكل أو نبالي بالجوع لان رزق العبد على سيده فان منع وقتا فلا بد أن يعود اليه وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له فله أن يتصرف فيها بما يشاء (وانا اليه راجعون) فيحصل لنا عنده ما فوته علينا (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أي أنواع الرحمة الخاصة التي لا يبالي معها بالمصيبة في الآخرة (ورحمة) عظيمة في الدنيا عوض مصيبته كيف (وأولئك هم المهتدون) بوفاء حق الربوبية والعبودية فلا بد أن يوفي الله عليهم صلواته ورحمته ثم أشار الى أن من المصائب التي لا بد من الصبر عليها مصائب الطعن في الدين كطعن اليهود وغيرهم في السعي بين الصفا والمروة اذ كان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويتمسحون بصنمين كانا عليهما اساف على الصفا ونائلة على المروة فلما جاء الاسلام كسرا فقال الطاعنون هؤلاء يعظمون مكانهما فقال عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أي اعلام متعبداته والسعي بينهما من جملة التعبدات لتحقق بصفاته السبع بعد التحقق بها بالطواف في حق الكامل والقاصر يتشبه به ولا يبالي بمطاعن الاعداء في اقامة العبادات (فمن حج) أي قصد (البيت) من عرفة (أو اعتمر) فقصده من الميقات أو أدنى الحل (فلا جناح عليه) أي لا ضيق عليه من مطاعن الاعداء في (أن يطوف بهما) أي يسعى بينهما فانه كبد الطواف كيف (ومن تطوع خيرا) أي أطاع الله بنافلة (فان الله شاكر) له فكيف لا يشكره في الواجبات وكيف يبالي مع شكره بمطاعن أعدائه (عليم) بمقاصد الاعداء فيجازيهم ويكفي به مكافأة ثم أشار الى أنهم انما كانوا طعن اليهود لان عادتهم كتمان الحق فهم يكتمون السعي بين الصفا والمروة في دين ابراهيم فيقولون يعظمون مكان الصنمين ويفعلون أفعال الجاهلية ولكن لم يبق لهما تعظيم بعد

قريب وقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة يعني يوم القيامة (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع وأعجاز نخل خاوية أصول نخل بالية (أشر) مرح متكبر وربما كان المرح من النشاط (الانام) الخلق (الاعلام) الجبال

كسرهما واعتاه وبه علم ما عظم الله على لسان ابراهيم بل الطاعنون مطعونون (ان الذين
يكتمون ما أنزلنا) • (من البينات) الدالة على شعائر الله وغيرها (والهدى) فيها (من بعد ما بيناه
للناس) من غير الناس اذ حملناه (فى الكتاب) ليتواتر ولا يمكن اخفاؤه فيسعون فى اخفاء
المتواتر (أولئك يلعنهم الله) أى يطردهم عن رحمته لسدهم طريقه (ويلعنهم اللاعنون) من
الملائكة والناس والحيوانات والجمادات لان كتمانهم سبب خراب العالم (الا الذين تابوا)
من الصفات الشبيهة بالغة فى الكتمان (وأصلحوا) ما أفسدوا بالتبيين أظهر من الموهم اليهم (وبينوا)
ما كتموا (فأولئك) وان بقى فى اضلال من أضلوهم (أتوب عليهم) أى أخرجهم من اللعنة
(و) ذلك لانى (أنا التواب الرحيم ان الذين كفروا) بكتمان هؤلاء عليهم (وماتوا وهم كفار)
بعد بلوغ البيان أو قبله (أولئك عليهم لعنة الله) لاختيارهم تقليد الكاتمين مع علمهم بكذبهم
وصدق الانبيا (و) لعنة (الملائكة والناس أجمعين) فاذا لعن المكتوم عليهم لكفرهم
فكيف لا يلعن الكاتمون اذا أصروا عليه لكنهم بمجرد التوبة يخرجون عن اللعن والمكتوم عليهم اذا لم يتوبوا يبقون (خالدين فيها) أى فى اللعنة فلا يستدل عليهم بوجه من
الوجوه (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يمهلون ساعة مع العود الى التشديد
عقيب اذا التصبب والانظار نوع اخراج عن اللعنة (و) اعا لعن المكتوم عليهم لعلمهم ان
حال المعجزات واحداد (الهكم اله واحد) فالذى أظهر المعجزات على يدى من آمن به
الكافرون هو الذى أظهر المعجزات على يدى من كفر به المكتوم عليهم تأسيس الكاتمين
وليس الاختصار فى وحدانيته من حيث انه الاله الاعظم ودونه آلهة صغار يقدرون على
اظهار المعجزات بل (لا اله الا هو) ولا يفيد عليه ارشاد المتأخرين بارسال رسول لانه (الرحمن
الرحيم) وارشادهم رحمة عامة والارسال خاصة بمن لم يؤمن بعد أخرج نفسه عن رحمة الرحمانية
فلحقه اللعنة من الله ومن خواص عباده من الملائكة والناس الخواص بتبعيته والعوام
لانهم يتعدون بهم أو يتأذون بعدلهم وكيف ينكرون وجود الله وتوحيده ورحمانيته
ورحيميته ويدل عليها دلائل العلويات والسفليات وعوارضهما والمتوسطات (ان فى خلق
السموات والارض) أى العلويات والسفليات (واختلاف الليل والنهار) من عوارض
حركات السموات بالكواكب والشمس ثم قدم من المتوسطات الماء لكونه مبدأ الاشيا
وابتدأ منه بالبحر الذى هو الاصل واعتبر من عوارضه تحريكه الفلك فقال (والفلك التى تجرى
فى البحر بما ينفع الناس) اذ هو كتحريك السموات للشمس المفيد اختلاف الليل والنهار ثم
ذكر ماء السماء الحاصل من بخار البحر ومن عوارضه احياء الارض وبث الدواب فقال (وما
أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) ثم ذكر الهوا
وتحريكه للسحاب كتحريك البحر للفلك فقال (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لآيات) أى دلالات على كل ما ذكر (لقوم يعقلون) أى يستعملون العقل اما دلالة
السماء والارض على وجود الاله فلانهما حادثان لان اجزاءهما مفتقرة اليها فلا بد لهما من

واحدها علم (أعلام)
واحدها ساير (أول
أعمان) أول من حشر
المشر) وأخرج من داره وهو
الجلاء (أو حسم) من
الانعاف وهو السير
السريع (أسعار) كتب
واحدها سفر (الذى)
واحدها التى والذى جميعا

محدث ليس بعض أجزائهما الا به دخله التركيب الحادث والقديم لا يكون محلا للحوادث والحدث لابد ان يكون قديما قطعا للتسلسل وعلى التوحيد فلان اله السموات لو كان غير اله الارض لم يرتبط منافع أحدهما بالآخر وعلى الرحمتين لانه عز وجل جعل في الارض مواد قابلة للصور المختلفة وأفاضها واحدة بعد أخرى بتحريك السموات وأما دلالة اختلاف الليل والنهار على وجود الاله فلحدوثهما من حركات السموات ولابد لها من محرك فان كان حادثا فلابد له من محدث وعلى التوحيد فلان اله الليل لو كان غير اله النهار لامكن كل واحد أن يأتي بمأموله في وقت اتيان الآخر بمأموله فيستلزم اجتماعهما وهو محال فان امتنع لزم عجز أحدهما أو كليهما وعلى الرحمتين فلان الاعتدال الذي به انتظام أمر الحيوانات انما يكون من تعاقبهما اذ دوام الليل مبرد للعالم في الغاية ودوام النهار مسخن له في الغاية وأما دلالة الفلك على وجود الاله فلانها أثقل من الماء فخفتها الرسوب فيه فاقامتها كها فوق الماء من الله ودخول الهواء فيها وان كان من الاسباب فلا يتم عند امتلاء الفلك بالامتعة الكثيرة اذ يقل الهواء جدا فيضعف أثره في امساك هذا الثقيل جدا فلا ينبغي أن ينسب الا الى الله تعالى من أول الامر وعلى التوحيد فلان اله الفلك لو كان غير اله البحر لربما منع أحدهما الآخر من التصرف في ملكه وهو يفضي الى اختلال نظام العالم لاختلاف المنافع المنوطة بالفلك وعلى الرحمتين فلانه رحم المسافرين بالتجارات والمسافر اليهم بالامتعة التي يحتاجون اليها وأما دلالة انزال الماء على وجود الاله فلانه أثقل من الهواء فوجوده في مركزه لا يكون الا من الله وعلى التوحيد فلان اله الماء لو كان غير اله الهواء لمنع من التصرف في ملكه وعلى الرحمتين فلانه أحيا به الارض معاشا للعمرانات وبث به الدواب تكميلا لمنافع الانسان وأما دلالة تصريف الرياح على وجود الاله فلانها حادثة تحدث هذه مرة وهذه أخرى وقد يعدم الكل فلابد من محدث فان كان حادثا افتقر الى قديم وعلى التوحيد فلانه لو كان لكل ريح اله لامكن لكل أن يأتي بماله فيلزم اجتماع الرياح المختلفة وهو مخل بالنظام وعلى الرحمتين فلانها تحرك الفلك والسحب وتربي الاشجار والثمار وأما دلالة السحاب على وجود الاله فلانه لو كان ثقيلا لنزل أو كان خفيفا لصعد لكنه يصعد تارة وينزل أخرى فهو من الله تعالى وأما على التوحيد فلان اله السحاب لو كان غير اله السحاب الآخر لامكن لكل واحد أن يجعل سحابه في مكان سحاب الآخر فيلزم تداخل الاجسام أو العجز وعلى الرحمتين فلان منها الامطار وله وجوه أخر من الدلالات وفوائد غير محصورة تنفعنا بما ذكرنا ثم ان الله تعالى انما أظهر هذه الآيات الدالة على وجوده وتوحيده ورحمته ليخصه الخلق بالمحبة والعبادة (و) لكن (من الناس من يتخذ من دون الله) أي مجاوزين الله (أندادا) أي أمثالا مع ان الآيات منعت من أن يكون له ند واحد فضلا عن جماعة ايعبدونهم و بين الله اذ (يحبونهم كحب الله و) ليس حبهم لله من ايمانهم بالله حتى يفيدهم عنده اذ مقتضى الايمان تفضيل حبه على حب كل ما سواه (الذين آمنوا أشد حبا لله) لانهم يعلمون ان جميع الكمالات

والاذقى واحدها التي لا غير (ارجائهم) نواحيها وجوانبها واحدها رجا مقصور يقال ذلك لحرف البئر ولحرف القبر وما أشبه (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم (أوعى) جعل في الوعاء يقال أوعيت المتاع في الوعاء اذا جعلته فيه

لموضه والواسطة انما يكون سببا ولامنة له كالقلم والمداد فى عطاء الملك وانما اتخذوها ليستمدوا منها اذ يرون فيها قوة الامداد (ولو يرى) الآن (الذين ظلموا) باتخاذهم أندادا مايرونه (اذ يرون العذاب) من (أن القوة لله جميعا) ليس لغيره قوة الامداد أصلا (و) ان كانت فلا يستمد منها باتخاذه ندا لان الله تعالى يغار من ذلك فلو رأوا الآن ما يرونه حينئذ من (أن الله شديد العذاب) من شدة غيرته لتبرؤا منهم الآن لكنهم انما يرون ذلك حين يرون العذاب فيتبرؤن من محبة الانداد (اذ تبرأ الذين اتبعوا) وهم الآمرون باتخاذ الانداد (من الذين اتبعوا) فلا يتحملون من عذابهم شيأ (و) لكن (رأوا العذاب) من جهة اضلالهم أيضا (وتقطعت بهم الاسباب) أى أسباب الخلاص منه فلا يكون تبرؤهم من أسبابه (وقال الذين اتبعوا) غضبا لكمال أتهم فى التبرى منهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم) لو وقع عليهم مايشقهم وان أمكننا تحمله (كما تبرؤا منا) ولكن لا يفيدهم التمنى بل يزيدهم تحسرا ولا يكتفى بهذا التحسر بل (كذلك يريهم الله أعمالهم) كلها (حسرات عليهم) ولا ينقطع تحسيرهم لانه بانقطاع العذاب (وما هم بخارجين من النار) ثم أشار الى أنه ليس مقتضى محبة الله ترك الطيبات فضلا عن تحريمها فقال (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض) أى بعض ما فيها وهو مالم يرد الشرع بتحريمه (حلالا) ليس فيها حرمة غصب أو رشوة (طيبا) لا شبهة فيه (ولا تتبعوا) بالتحريم (خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) يجركم الى الكفر بالتحريم قد عمت عداوته فى كل شئ لانه (انما يأمركم بالسوء) فى الاعمال (والفحشاء) فى الاخلاق (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) فى الاعتقادات أو يقال انما يأمركم بالسوء فى ترك الطيبات اذ فيه ترك الشكر والفحشاء فى تحريمها وأن تقولوا على الله مالا تعلمون من انه حرمها على احبائه وأباحها للعوام (و) انما يأمرهم الشيطان بذلك بما يزينها من كونها من دين آبائهم فيرونها أرجح من شرع الله حق (اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) أى آمنوا به واتبعوه (قالوا) لا نؤمن به ولا نتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) يتبعون آباءهم (ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ) من الحسن والقبح (ولا يهتدون) للوصول الى شئ منهما اذ جهلاه ثم أشار الى أنه انما يأتى لهم اتباع ما أنزل الله لو سمعوه سماع الانسان المدرك لما فى الكلام من المنافع والمضار باكتساب المحاسن والقبائح (و) لكن (مثل الذين كفروا) فى فهم ما أنزل الله (كمثل) الحيوان (الذى ينعق) أى يصوت له (بما لا يسمع) أى لا يدرك من معانيه (الا دعاء ونداء) أى الا أنه يدعوه الى فعل كذا يطلب اقباله عليه ولا يفهم وراء ذلك شيأ فهم بالنسبة الى سماع الفهم (صم) والى النطق بمقتضاها لو سمعوا (بكم) وذلك لانهم بالنظر الى حقيقة الامر (عمى) والتعقل فرع هذه الامور فاذا فقدوها (فهم لا يعقلون) مقاصد التنزيل ثم أشار الى أنه ليس مقتضى الايمان والمحبة ترك الطيبات بل أكلها مع شكر الله عليها فقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) اذ مقتضى الايمان ابلاغ حكمة الله غايتها اذ خلق لا كل غايتها الاكل (واشكروا لله) ففيه مزيد حبه بل خصوصه (ان كنتم اياه تعبدون) فلا ترك ولا منة المتوسط

(أمروا) آمنوا على المعنية (أطوارا) ضروبا وأحوالا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ويقال أطوارا أصنافا فى الوانكم ولغاتكم والطار والحمل والطور التارة والمرة (أشد وطأ) أثبت قياما يعنى ان ناشئة الليل وهى

اذهو كالقلم والمداد ثم أشار الى أنه انما يقطع محبته أ كل ما حرم وهو (انما حرم عليكم الميتة) لانه اخبث بنزع الروح منها بلا اسطهار من الذبح باسم الله تحقيقا او تقديرا فتتعلق ارواحكم بالخبيث فتخبث فينقطع عنها محبة الله وانما أبيح ميتة السمك لان أصله الماء المطهر فكأن لا يؤثر فيه الصاعقة لا يؤثر نزع الروح فيما حصل منه والجراد لانه حصل من غير تولد ولا خبث في ذاته كسائر الحشرات (والدم) لانه متعلق الروح بذاته فلا يقبل الطهر (ولحم الخنزير) لان خبث اخلاق روحه انما كان من تعلقها بالدم فكان خبيثا بذاته يؤثر خبثه في اخلاق الآكل (وما أهل به لغير الله) لانه زاد خبثه فلا رخصة في أ كل شيء منها وان زعم الآكل أنه تبقى محبته لله ولا يؤثر فيه خبثها وانما تحصل للمضطر (فمن اضطر غير باغ) اى خارج على الامام (ولا عاد) أى متعد بقطع الطريق ونحوه فاكله (فلا اثم عليه) وان بقيت حرمته لانه اذا تناوله حال الاضطرار لا يؤثر فيه الخبث لانه كاره بالطبع (ان الله غفور) ساتر لخبثه في حقه (رحيم) برعاية حق ابقائه ثم أشار الى أنه تعالى حرم الرشا أشد من تحريم ما ذكر لانه حرمها المضطر وغيره سيما التي تؤخذ بدل كتمان ما أنزل الله فقال (ان الذين يكتمون ما أنزل الله) لا من اسرار العلوم التي لا تبلغها فهوم العامة بل مما جعله (من الكتاب) لتعميم الهداية به (ويشترون به ثمنا قليلا) من الرشا (أولئك ما يأ كلون) أ كلا مستقرا (في بطونهم الا النار) فلا يجدون منها راحة في الباطن (و) لا من سماع كلام الله بالتخفيف حال التعذيب اذ (لا يكلمهم الله يوم القيامة و) لا من جهة كون التعذيب للتزكية اذ (لا يزكيهم) ليدخلوا الجنة طاهرين من الغواشي الظلمانية كيف (ولهم عذاب أليم) من كل جهة في كل وقت اذ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى استبدلوا الضلال أنفسهم وغيرهم عن الكتمان والتحريف بالاهداء (والعذاب بالمغفرة) اى أسبابه بأسبابها (فما أصبرهم على النار) اذ تحقق الاسباب بمنزلة تحقق المسبب (ذلك) أى تنزل تحقق الاسباب منزلة تحقق المسبب (بأن الله نزل الكتاب بالحق) اى بالجد لا بمجرد التخويف (وان الذين اختلفوا في الكتاب) هل هو لمجرد التخويف أو على الجد (لفي شقاق بعيد) أى خلاف مع مراد الله بعيد عن موافقته هذا في حق المتردد فكيف في حق من جزم بذلك واجترأ لاجله على تحريفه فقد تحققت فيه عداوة الله وهي أجل أسباب النار وان قالوا ما اشترينا الضلالة بالهدى ولا العذاب بالمغفرة بل نحن أهل البر لصحة قبلتنا أجيبوا بأنه (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) أى ليس الثبات على ما يقبل النسخ بعد تحقق نسخه بالتحويل من المشرق الى المغرب وبالعكس مع ترك ما لا يقبل النسخ وهو الايمان (ولكن البر) ايمان (من آمن بالله) ومنكم من اتخذ العجل وقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وأ كثر اليهود مجسمون (واليوم الآخر) ومنكم من يقول لن تمسنا النار الا أياما معدودة (والملائكة) ومنكم من يقول جبريل عدونا (والكتاب) وأنتم لا تؤمنون بالقرآن واليهود بالانجيل ٢ (والنبيين) وأنتم لا تؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنكم من

ساعاته أو طال القيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لان النهار خلق لتصرف العباد فيه والليل خلق النوم والراحة والخلوة من العمل فالعبادة فيه أعمل وجواب آخر أشد وطأ اى أشد على المصلي من

٢ قوله واليهود بالانجيل كذا في النسختين بأيدينا والمناسب اسقاط اليهود لان الكلام معهم كما هو ظاهر اه مصحح

كذب عيسى وقتل نبيا زكريا ويحيى هذا في باب الاعتقاد (و) أما الاعمال فالبر بر من
(آتى المال) غالبا (على حبه) اياه لترجيحه جانب الله على جانب هواه (ذوى القربى) ليكون
صدقة وصلة (واليتامى) الصغار الذين مات آباؤهم لاحتياجهم مع عجزهم من الكسب
والسؤال (والمساكين) من أسكنهم الحاجة (وابن السبيل) اى المسافرين وان كان لهم مال
في أوطانهم (والسائلين) وان لم يعرف بواطن أحوالهم يكتفى فيهم بظواهرها (وفى الرقاب)
لانهم وان لم يحتاجوا الى النفقة يحتاجون الى تخليصهم عن الرق فهذه حقوق الخلق قدمهم
لانها أشد ثم ذكر حقوق الله فقال (وأقام الصلوة) الشاغلة جميع الاجزاء بالعبادة وأنتم لا
تقيمونها على الكمال الذى فى هذا الدين (وآتى الزكوة) أداء لحق الله وان كفى بدونها الصرف الى
المذكورين وأنتم تأخذون الرشا هذا ما ألزمه الله الناس من غير التزام منهم (و) أما ما الزموه
عن التزام فالبر (الموفون بعهدهم اذا عاهدوا) أى اذا وعدوا أنجزوا واذا حلفوا أو نذروا
وفوا واذا ائتمنوا أدوا ومنكم من لا يؤدى الامانة ولو دينارا ما لم يقم على طلبه صاحبه
(و) خص الله (الصابرين) بأكمل البر اذ صبروا (فى البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض
(وحين البأس) القتال وأنتم لم تصبروا عن الرشا ولا على طعام واحد وقلتم اذهب أنت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون وانما هم البرار (أولئك الذين صدقوا) فى الاعتقاد (وأولئك
هم المتقون) فى الاخلاق والاعمال فيتم برهم فى الظاهر والباطن ولم يصح لكم اعتقاد ولا خلق
ولا عمل ثم أشار الى أن من البر القصاص الذى لا يقول به النصارى فقال (يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص) اى فرض عليكم اقامة القود بالتسوية (فى القتلى) فيقتل الحر
(بالحر) أى يقتل الحر ويدخل فيه الانثى الحرة لاستوائهما فى الحرية (والعبد بالعبد) وبالحر
بطريق الاولى لا الحر به لعدم الاستواء بالحرية ولا بالانسانية لانه ملحق بالحيوانات باعتبار
كونه محلا للتصرف ولا بالاسلام لعدم كماله فيه لبقاء أثر الكفر وهو الرق (والانثى بالانثى)
وبالذكر بطريق الاولى وقتل الذكر بها ليس الا للاستواء بالحرية والانسانية والاسلام ثم
بعد نقيصة الانوثة جعلت المذكورة للرجل كسائر الفضائل ولم يعتبر سائر الفضائل لئلا
يؤدى الى سد باب القصاص ويفهم من اعتبار المساواة انه لا يقتل المسلم بالكافر لان العبد
المؤمن خير من المشرك فاذا لم يقتل الحر بالعبد فبالكافر أولى (فمن عفى له) حق (من أخيه
شئ) بأن عفا بعض الاولياء حقه أو جزأ من حقه (فاتباع بالمعروف) أى فالواجب على ولى
الدم طلب الدية بالطريق المعروف من غير استزادة واستعجال (وأداء اليه باحسان) أى
الواجب على الجانى أداء الدية من غير بخس ولا مماطلة (ذلك) المذكور من القصاص والدية
عند العفو (تخفيف من ربكم) باسقاط القصاص بعد العفو وقد ألزم القصاص اليهود
(ورحمة) بايجاب القصاص قبله بعد ان ألزم العفو النصارى (فمن اعتدى بعد ذلك) المذكور
بأن قتل جماعة لقتل الواحد واحدا أو قتل بعد العفو أو ماطل فى أداء الدية أو بخس

صلاة النهار لان الليل
خلق للنوم فاذا أزيل عن
ذلك ثقل على العبد
فما يكابده فيه وكان
الثواب أعظم من هذه
الجهة وقرئت أشد وطاء
اى مواطأة اى أجدر أن
يواطئ اللسان القلب
والقلب العمل وقرئت

أيضا (فله عذاب أليم) فى الآخرة (و) انما كان القصاص يراعى كونه اتلافا للجانى اذ (لكم فى القصاص حيوة) للقاتل والمقتول بالزجر عن القتل وللقاتل فى الآخرة ولا قاربه بالاقتصار عليه تدركونها (ياأولى الالباب) أى ياأهل النظر فى البواطن دون المقتصرين على الظواهر الذين لايدركون فيه سوى الاتلاف شرع لكم (لعلكم تتقون) أى رجاء تحفظكم عن الافراط فى الغضبية وعن غضب الله على هدم بنيانه بلا وجب ثم أشار الى ان من البر الوصية وأخرها عن القصاص لانها من أسباب بقاء الحياة والقصاص كنفيها فقال (كتب عليكم) أى فرض عليكم وكان قبل آية الميراث فلما نزلت نسخت فرضيتها فى حق الوارث ووجوبها فى حق الكل ولم يقل ههنا ياأيها الذين آمنوا لانها من مقتضيات طبع الانسان فلا تتوقف على الايمان (اذا حضر أحدكم الموت) أى ظهرت اماراته (ان ترك خيرا) أى مالا فاضلا عن مؤن تجهيزه وديونه (الوصية للوالدين والاقربين) أى ان وجدتهم ولم يكونوا يورثونهم (بالمعروف) فلا يفضل الغنى على الفقير واذا أوصى صار ذلك (حقا) لازما تقريره (على المتقين) وان لم يبال به الفاسقون فليس لاحد تغييره (فمن بدله) أى غيره من الاولياء والاوصياء والشهود (بعد ماسمعه) من المحتضر وان لم يكن به شهود (فانما اثمه على الذين يبدلونه) لا على من حكم بقولهم (ان الله سميع) لاقوال المبدلين (عليم) بمقاصدهم فلو قصدوا بالتبديل خيرا فلا اثم عليه كما قال (فمن خاف من موص جنفا) غلطا (أو اثما) حيفا (فأصلح بينهم) أى بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه) لانه بدل الباطل بالحق بل يرجى غفران ذنب الموصى (ان الله غفور رحيم) ثم أشار الى ان من البر الذى يقتضيه الايمان الصيام التى فيها قتل النفس واحياء الروح فقال (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) وهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مدة معلومة (كما كتب على الذين من قبلكم) أى على الامم من تحريم الطعام والشراب والجماع بعد العشاء الاخيرة (لعلكم تتقون) المعاصى التى منشؤها الشهوات اذ يكسرها الصيام لكنها جعلت فى حقكم (أياما معدودات) عاشوراء وثلاثة من كل شهر والامم مختلفة فى الايام ووجوب الاداء يختص بالصحيح المقيم (فمن كان منكم مريضا) يضره الصوم (أو) راكبا (على) ظهر (سفر) فشق عليه الصوم فافطر (فعدة) أى فالواجب عدد أيام تساوى أيام الافطار (من أيام أخر) غير المعدودات المذكورة (و) يجب (على) المفطرين (الذين يطيقونه) اى الصوم اذا أفطروا (فدية) هى (طعام مسكين) مد عند الحجازيين ونصف صاع من بر أو صاع من غيره عند العراقيين لانه اذا أعطاه كان ممسكا عنه فكان كالصائم (فمن تطوع) أى زاد فى الفدية تطوعا بالزيادة (خيرا فهو خيرله) من الاقتصار على ماأوجبه الله (وان تصوموا خيرلكم) من الفدية وان زيد فيها (ان كنتم تعلمون) فضيلة الصوم وفوائده وهذا كله فى أول الاسلام اذ لم يعتادوا الصوم ثم أشار الى نسخ صيام تلك الايام بصيام رمضان ونسخ الفدية على المطيقين بالقضاء فذكر فضيلة هذه الايام أولا ليعلم انها خير من المنسوخة فقال (شهر رمضان) هو (الذى أنزل فيه القرآن) أى

اشدوطا وقيل هو به فى الوطء وقال الفراء لايقال الوطء وماروى عن أحمد ولم يجز (أقوم قيلا) أصح قولا لهدوء الناس وسكون الاصوات (انكالا) قيودا وقال

فى ليلة القدر منه من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض وذلك لانه الشهر التاسع من شهر الهجرة يشعر بهجرة الكامل من العالم السفلى الى العلوى بصعوده سماء بعد سماء الى أن يبلغ التاسع وهو العرش المجيد الذى فوقه اللوح المحفوظ المشتمل على القرآن فيكاشف به (هدى للناس) فى نفسه من اعجازه (وبينات) أى شواهد (من الهدى) أى الدلائل القطعية (والفرقان) رفع الشبهة فاذا كوشف بالقرآن ظهر له اخلاق الله التى يتجلى بها نفسه ومن جملتها الصوم اذ هو تخلق بالصمدية لانه استغنى عن الطعام والشراب والنكاح (فمن شهد) أى علم (منكم الشهر) باستكمال شعبان أو برؤية عدل الهلال (فليصمه) فهذا ناسخ لما ذكر أولا لكن بقى منه حكم المريض والمسافر فقيل (ومن كان) منكم (مريضا أو على سفر) فافطر (فعدة من أيام أخر) لا من رمضان آخر وانما أتى ذلك لانه (يريد الله بكم اليسر) هو وان والى عليكم الشهر (ولا يريد بكم العسر) اذ فى التوالى لا تختلف العادة والافطار بل فى سنة واحدة مرة (و) أمركم (لتكملوا العدة) فيكمل تأثرها بالتصفية (و) لمزيد التصفية أمركم الله به (لتكبروا الله) بمشاهدته بعد استكمالها ليلة العيد وغيرها شكرا (على ما هداكم) لمزيد التصفية (و) أيضا خفف عليكم اذ كانت سبعة وثلاثين يوما بثلاثين (لعلكم تشكرون) هذا التخفيف فيجبر الشكر ما نقص من تلك الايام بالاجر ثم أشار الى أن هجران العالم السفلى وان أفاد التقريب بالاصعاد الى سماء بعد سماء فليس بشرط فيه فقال (واذا سألك عبادى عنى) أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه (فانى قريب) أرافع أصواتهم بما يتقربون به الى فاقربهم اذ (أجيب دعوة الداع) منهم بالبيك أو باعطاء المسؤل (اذا دعان) من غير تأخير وهو من خواص القرب لكنه مشروط باجابتهم لى واعلم بى (فليستجيبوا لى) فيما أدعوهم الى عبادتى (وليؤمنوا بى) بتصحيح الاعتقاد واذا أجابوا لى وآمنوا بى (لعلهم يرشدون) لما يرشده الصاعدون الى السموات ثم أشار الى أن التقرب الى الله لا يتأتى التلذذ بغيره ولو كان بالصوم الذى هو الامساك عن المشتهيات فيختص ذلك بوقت الامساك لا دائما (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) هو الافصاح عما يجب أن يكنى عنه كالنيك وان أوجب لكم الميل الكلى (الى نسائكم) فانه بالميل كالطعام والشراب واتم بالتبع مع ما فيه من مزيد الميل الى غير الله لصعوبة الصبر عند المعانقة اذ (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أى يشتمل كل واحد صاحبه اشتمال الثوب وكان حقه أن يمنع منه بعد العشاء الاخيرة اقربه من الصوم كما كان فى أول الاسلام ولكن (علم الله أنكم كنتم تختانون) اى تفعلون خفية فعل الخائن فتظلمون (أنفسكم) بتعريضها للعقاب ونقص حظها من الثواب باشر عمر رضى الله عنه بعد العشاء فندم واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقام رجال واعترفوا بما فعلوه ثم ندموا عليه (فتاب عليكم) أى قبل توبتكم (وعفا عنكم) اى تجاوز عنكم تحريمه بلا كراهة (فالآن باشروهن) اى الزقوا بشرتكم ببشرتهن وهو كناية عن الجماع (وابتغوا) لا بطال الميل الكلى اليهن تحصيل (ما كتب الله لكم) من الولد لا قضاء الشهوة (و) كذلك

أغلالا واحدها تكل (اسفر) الصبح اى أضاء (أمشاج) اخلاطا واحدها مشج ومشيج وهو هنا اختلاط النطفة بالدم (أسرهم) خلقهم (ألفافا)

(كلوا واشربوا) بعد العشاء الاخيرة وان قرب من وقت الصوم جوز جميع ذلك (حتى يتبين لكم) ابتداء ضوء الصبح فى ظلمة الليل كانما يتميز لكم (الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) الصادق الذى لا تعقب نوره ظلمة (ثم أتموا الصيام) اى صوم كل يوم (الى الليل) اى الى غروب الشمس من ذلك اليوم مع ظهور الظلمة من قبل المشرق لا الى غيبوبة الشفق لان ابتداء الظهور موجب للتخلق باخلاقه وابتداء البطون رد الى عالم السفل ثم أشار الى انه وان احل لكم ليلة الصيام الرفث لم يبح مع الاعتكاف فقال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون) وان خرجتم عن المساجد وأنتم فى حكم المستقر (فى المساجد) والصائم قد خرج عن الصوم بالليل ثم قال ان لم تفهموا معانيها يكفيكم فيها أن (تلك حدود الله) الحاجزة بين ما أحل وحرم (فلا تقربوها) لئلا تدعوكم الى تخطيها (كذلك) اى مثل ذلك البيان الرافع للشبه (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أى يتحفظون عن غضبه ثم أشار الى أن المقصود من الصوم الكف عن الشهوات المباحة والمحرمة يجب الصوم عنها أبدا لا سيما حقوق الخلق فقال (ولا تأكلوا أموالكم) أى بعضكم مال بعض بل يجب عليه حفظ ماله كانه مال نفسه ولا يجوز بذلك أكله كانه مشترك (بينكم) سيما (بالباطل) أى بالطريق الذى لم يشرعه الله فانه لا يجوز لاحد فى مال نفسه فكيف فى مال الغير (وتدلوا بها) أى ولا تتوسلوا بتلك الاموال (الى الحكام) بجعل بعضها رشوة لهم (لتأكلوا) بواسطة حكمهم الفاسد (فريقا) أى طائفة عظيمة (من أموال الناس) من غير ان تخرج عن اضافتها اليهم لكونهم مالكيها (بالاثم) أى بواسطة حكمهم الفاسد فانه لا يفيد الحل ولا يشترط لهذا علم من تأكلون ماله بل يحرم عليكم اذا أكلتموه (وأنتم تعلمون) انه ليس لكم بخلاف ما اذا وهبه المورث ولا علم للوارث به فانه لا يأثم باكله الوارث لكن اذا علم وجب عليه رده ثم أشار الى ان من أخذ مال الغير لا يبقى عليه ويبقى ظلمة الاثم كالقمر يأخذ نور الشمس فلا يبقى عليه ويعود مظلما فقال (يسألونك عن الأهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم لا يزال يزيد حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا (قل) بعد الاشارة بالترتيب على أكل مال الغير الى الجواب الحقيقى انه بقدر محاذاته للشمس فاذا حاذاها طرف منه استنار ذلك الطرف ثم تزداد المحاذاة والاستنارة حتى اذا تمت بالمقابلة امتلأ ثم تنقص المحاذاة والاستنارة حتى اذا حصل الاجتماع أظلم بالكلية لكن لم يصرح به لانه اشتغال بعلم الهيئة الذى لا ينتفع به فى الدين وصرح بالاسلوب الحكيم اشعارا بان الاولى السؤال عن الحكمة فيه فقال (هى) أى الزيادات والنقائص (مواقيت للناس) اى دلائل أوقات خاصة لآجال الناس وتعليقاتهم فى الايمان والنذور من غير افتقار الى حفظ الحساب ومراجعة المنجم الفاسق بما يحكم على الاشياء باختلاف القرانات فانه لكثرة خطئه فيما يدعى علم الغيب وان أصاب فى الحساب (والحج) والصوم لان مراجعة المنجم فيهما أشد ثم أشار الى ان سؤالكم عما يتعلق بعلم الهيئة على اعتقاد انه علم نافع كاعتقاد أهل الجاهلية البر فى اتيان المحرم البيوت من

أى ملتفة من الشجر واحدها لف والفيف ويجوز أن تكون الواحد لفا واحدها الف وجمع الجمع الفاف (قوله تعالى أحقابا) جمع حقب والحقب ثمانون سنة وقوله لابثين فيها أى كلما مضى حقب تبعه حقب آخر أبدا (قوله

ظهورها الا أن يكون من الحمس كنانة أو قريش أو الى ان أكل مال الغير من غير الوجه المشروع
في القيم كدخول الدار من ظهرها وان استحسنه الراغبون في الدنيا بكملهم ذلك الشر افتال
(وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كان الرجل منهم اذا أحرم لم يدخل دارا ولا
حائطا من بابه بل نقب في ظهر بيته أو يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من أهل الوبر خرج من خلف
الخيمة والفسطاط (ولكن البر من اتقى) ما حرم الله في الاحرام ومن أموال الناس (وأتوا
البيوت من أبوابها) فانه لا كراهة فيها انطلاقا عن الحرمة بل يحرم مراعاة أمر الجاهلية فكلوا
أموال الناس من الوجوه المشروعة (واتقوا الله) في شرع الاحكام أو تغييرها (لعلكم
تفلحون) بكل بر وما يترتب عليه ثم أشار الى أن دخول بيوت الدين من أبوابها الغاية رفع
الشبهات التي تدخل البيوت من ظهورها (و) هو انما يتم بقتال الكفار باقامة الحجج مرة
والسيف أخرى فقال (قاتلوا) بالسيف (في سبيل الله الذين يقاتلونكم) دون الشيوخ
والنساء والصبيان (ولا تعتدوا) بالمثلة والمفاجأة من غير دعوة وقتل المعاهد (ان الله لا يحب
المعتدين و) ليس من الاعتداء قتلهم في الحرم (اقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي أبصرتموهم
من حل وحرم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) من حل وحرم وبجواز الاخراج اثباتا
دليل جواز القتل لان الاخراج فتنة أي محنة يفتتن بها الانسان (والفتنة أشد) أي أصعب
(من القتل) لدوام تعبها انكم (و) ان أمرتم بالقتال في الحرم (لا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام) لان حرمته لذاته وحرمة سائر الحرم من أجله (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه
فلا تفتقرون الى الفرار عن الحرم (فاقتلوهم) فيه اذ لا حرمة لهم لهتكهم حرمة المسجد
الحرام (كذلك جزاء الكافرين) لا يترك لهم حرمة كما لم يتركوا حرمة الله في آياته (فان انتهوا)
عن الكفر بعد القتل لم يطالبوا به (فان الله غفور رحيم) وان كان حق الآدمي لا يكون
مانعا من الاسلام لكنه لم يرحمهم حال الكفر فقال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي
لا يوجد كفر وشبهة (ويكون الدين) كله (لله) أي يصير جميع الاعمال لله بلا عائق لكن
يرحمهم بمجرد انتهائهم حتى انه يغضب من أجلهم على من ظلمهم لذلك فقال (فان انتهوا فلا
عدوان الا على الظالمين) أي فلا سبيل الا على من قتلهم ولو قصاصا ثم أشار الى انهم كما
يقاتلون عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فيه يقاتلون في الشهر الحرام اذا قاتلوا فيه فقال
(الشهر الحرام بالشهر الحرام) أي تهتك حرمته بهتكهم حرمته (والحرمات قصاص) أي
متساوية فلا يفضل شهر حرام على آخر بحيث يمنع هتك حرمته لهتكهم حرمة ما دونه على
انا لا نهتك حرمة الشهر والمسجد الحرام والحرم بل نهتك حرمة من هتك حرمة أحدها (فمن
اعتدى عليكم) وهتك فيه حرمة مكان أو زمان (فاعتدوا عليه) لا على الزمان والمكان (بمثل
ما اعتدى عليكم) لا بأزيد منه (واتقوا الله) في هتك حرمة الشهر والمسجد والحرم بدون
هتكهم وفي زيادة الاعتداء (و) ان خفتم غلبتهم في المستقبل فالله يكفيكم (اعلموا أن الله
مع المتقين) وليس من الاعتداء الاستعانة على الكفار بمن لا يقاتلهم بأنفسهم بل

تعالى اغطش ليلها) أظلم
ليلها (قوله تعالى أدحيه)
أي جعله ذا تبروار فيه
وسائر الاشياء تلقى على
وجه الارض يقال أقبره
اذا جعل له قبرا وقبره اذا
دفنه (قوله تعالى أنشره)
أحياه (قوله عز وجل
أبا) هو ما رعته الانعام
ويقال الاب قبيا ثم

استعينوا عليهم ولو بالاستنصار (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا) بترك الانفاق المفضي الى غلبتهم أنفسكم في التهلكة كأنكم (بأيديكم) القابضة عن الانفاق تفضون بها (الى التهلكة وأحسنوا) الظن بربكم في الانفاق بأنه يعوضه عليكم في الدنيا والآخرة (ان الله يحب المحسنين) الظن به ومن أحبه الله لا يفوته شئ (وأتموا) ولو بالقتال في الشهر الحرام فانه ليس من الاعتداء بل يكاد يكون من الواجبات لتوقف الواجب عليهما (الحج والعمرة) أى اعمالهما بعد احرامهما اذ وجبا (لله) دون عاق عنهما عاق الله عن حقوقه وذلك لان البيت لكونه أول متعبد لله نازل منزلة بيت الملك الذى يقصده الزوار من بعد وهو الاحرام يحقون للزيارة تارة على قنا سريحه وهو الوقوف بعرفة في الحج وكذا أكثر اعماله ويفترقون تارة وهو العمرة فيطوفون حوله على عدد صفاته السبع التي يتخلقون بها المتقربون اليه ويسعون لتأكيده النازل منزلة التحقق بهم او يحلقون لقطع علائق ماسواه (فان أحصرتم) أى فان حبسكم العدو ولم يمكنكم قتالهم أو تركتم فأردتم التحلل (فما استيسر من الهدى) أى فالواجب ما تيسر من ذبح بدنة أو بقرة أو شاة لان الابتلاء بالاحصار من خيانة النفس ولا يمكن افنازها اختيارا فافني ما يناسبها من الحيوانات (ولا تحلقوا رؤسكم) للتحلل (حتى يبلغ الهدى محله) أى حتى تعلموا بلوغ الهدى مذبحه من الحرم ان أمكن ايصاله اليه والا فحيث أحصر على ما نقله الماوردى عن جميع أصحابنا البصريين وذكر أن الشيخ أبا حامد نقله عن نص الشافعى قال ومن أصحابنا البغداديين من جوز نحره في الحل وان قدر على ايصاله الى الحرم انتهى وهذا هو المشهور في المتأخرين وتأويل الآية حينئذ حتى يذبح الهدى فيستقر في محله وذلك لان الهدى يقوم مقام الافعال السابقة على الحلق واذا لم يجز الحلق قبل البدل فقبل المبدل أولى بالامتناع الا لضرورة مع فدية (فمن كان منكم مريضا) يتضرر بالشعر (أو به أذى من رأسه) من قمل أو صداع (ففدية من صيام) ثلاثة أيام لانه تعدى على الاحرام والطواف والسعي فيصوم لكل تعديوما (أو صدقة) ثلاثة آصع يتصدق بها على ستة مساكين زيدت على قوت اليوم لانها أخف على النفس من الصوم وقد كملت الجناية (أو نسك) أى ذبح بدنة أو بقرة أو شاة وهو لكماله لم يتعدد (فاذا أمنتم) أى كنتم آمنين من أول الامر أو صرتم بعد الاحصار (فمن تمتع) باستباحة محظورات الاحرام (بالعمرة) أى بالفراغ من أعمال العمرة (الى الحج) أى الى وقت الاحرام بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فالواجب عليه انما هو الجزاء الكامل لانه احياء النفس فلا بد من قبيل بدلها (فمن لم يجد) هديا (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أى بعد الاحرام قبل الفراغ من اعماله والاولى سادس ذى الحجة وسابعه وثامنه جبرا للنقص في أعماله الثلاثة الوقوف والطواف والحلق (وسبعة اذا رجعتم) الى أوطانكم ابتداء للصفات السبع التي تخلق وتحقق بها بعد الرد الى عالم السفل (تلك عشرة كاملة) في العوض عن الهدى لانه يجبر ما نقص جبرا مؤبدا بالاضافة مع الاستقلال في حق الكامل (ذلك) أى

كالنسا كرة الناس (وقوله أذنت لربها وحقت) أى ممتثلة لربها وحق لها أن تسمع (قوله تعالى والارض ذات الصدع) أى تتصدع بالنبات (قوله تعالى أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أى ظفر من طهر نفسه بالعمل الصالح وفات الظفر من أخفاها

وجوب دم التمتع (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) أى لمن لم يكن وطنه دون مسافة القصر من الحرم لان من دونها فى حكم القرب من الله فالله تعالى يجبره بفضله (واتقوا الله) فى الجناية على احرامه (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن جنى على احرامه أكثر من شدة الملوك على من أساء الادب بحضرته وكيف لا تعظم الجناية على أفعال الحج وهى معظمة عظم لها أوقاتها اذ (الحج) أى أوقات أعماله (أشهر معلومات) بكثرة الفضائل عند أهل الحقائق شوال يطلع على أحوال الحق وذو القعدة على صفاته وذو الحجة على ذاته والمراد عشرها الاول نزل منزلة الكل لغاية فضله (فمن فرض) أى أوجب على نفسه (فيهن الحج) باحرامه ولو بنية النفل (فلا رفث) أى فيقتضى احرامه ان لا يوجد جماع (ولا فسوق) بارتكاب محظورات الاحرام وغيرها (ولا جدال) أى مماراة أحد من الرفقة والخدام (فى الحج) أى فى أيامه بل ينبغى أن يوجد فيها كل خير مع خيرات الحج (وما تفعلوا من خير) ولو أدنى (يعلمه الله) فيعطى الجزاء عليها بانضمامها الى خيرات الحج (و) ليس من الخيرات ترك التزود وان أشعر بالتوكل بل (تزودوا) اتقاء السؤال فانه خير من التوكل (فان خير الزاد) أى زاد الآخرة الذى يترك له زاد الدنيا عند تاركه (التقوى) فانها خير من الاعمال الثالثة بل لا ينفع عمل بدونها وهى تنفع بدون الاعمال (واتقون يا أولى الالباب) أى يا أهل الحقائق الباطنة فان كل يا من يخالف التقوى مردود وكيف تمنعون من التزود ولا تمنعون من التجارة اذ (ليس عليكم جناح) أى ضيق فى (أن تبتغوا فضلا من ربكم) من الربح ليريح قلوبكم عن اهتمام الرزق لعبادته ومعرفته واقصدوا لعبادته ومعرفته الاجتماع بعرفات (فاذا أفضتم من عرفات) أى دفعتم منها بكثرة دفع الماء عند صبه (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أى فصلوا المغرب والعشاء جمعا لتذكروا الله بالجمع بين الظاهر والباطن لاطلاعكم على ذلك عند الوصول الى مبادى حرمة المشعر الحرام وهو جبل قزح أو ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى محسر (واذكروه كما هداكم) بدلائل الكتاب والكشف والعقل (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى وانكم كنتم من قبل أن هداكم الله بذلك لمن الضالين باعتقاد الهية المظاهر والهية من ذكر الله حتى نفى فيه أو بقى به (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) اى افيضوا من المشعر الحرام الذى أفاض منه الحمس الذين زعموا انهم الناس فلم يخرجوا من حرمه الى عرفة لبقية اعمال الحج طواف الركن والسعى والحلق والرمى (واستغفروا الله) عند الترقى اليها عما ظهر من المعاصى حال وصولكم الى بعد الذكر السابق فانه أقرب الى القبول (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر ويرحم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) أى فرغتم من اعمال الحج (فاذكروا الله) عما رباكم بها ولا تعجبوا بما حصل لكم من الكمال (كذكركم آباءكم) اذ منوا عليكم بالتربية (أو) كذكر قوم (أشد ذكرا) لله منكم لا بآبائكم لان منة الله بالاعداد والتوفيق والتعريف أجل من كل منة واقصدوا بذكره دون غيره لئلا تجعلوه واسطة (فمن الناس) أى الذين نسوا حق عظمته (من يقول ربنا آتنا) مرغوباتنا (فى الدنيا) لا نطلب غيرها لهذا

بالكفر والمعاصى ويقال أفلج من زكا الله وتاب من أشلاله (قوله أفيض من ظهرك) أى أنزل ظهرك ظهرك أى سوته حتى يجمع نقيضه وهذا مثل ويقال أنقض ظهرك أثقله حتى يجعله نقضا والنقض البعير الذى قد أذهبه السفر والعمل فنقض لحمه ويقال

(و) ان ذكر الله (ماله فى الآخرة من خلاق) أى نصيب على ذكره لانه استوفى نصيبه فى الدنيا بتخصيص دعائه به (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) صحة وكفافا وتوفيقا (وفى الآخرة حسنة) ثوابا ورحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة (أولئك) وان اساؤا الادب معه بتوسيطه (لهم نصيب) من حسنات الدنيا والآخرة (مما كسبوا) من هذا الدعاء وسائر الاعمال يحاسبهم الله فى أسرع الاوقات ليوصلها اليهم بسرعة (والله سريع الحساب) واما من دعا الله لذاته ولم يطلب منه سواه فلا حساب لعطائه (واذكروا الله) لذاته لا لطلب شئ منه فان لم يتيسر أيام عمركم فلا أقل من ان تذكروه لذاته (فى أيام معدودات) هى ايام التشريق بالتكبير ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار والسر فى الرمى الاستعانة بالشيطان بذكر الله وتعظيمه والجمرات الثلاث بمنزلة مداخله من القوة النظرية والشهوية والغضبية وأيام التشريق بمنزلة مراتب النفس الامارة واللوامة والمطمئنة ورمى جمرة العقبة يوم العيد لتزكية الامارة لتعود الى الفطرة وأمرها اهم فقدم والتزكية انما تكون بذكر الله فاذكروه فى هذه الايام سيما الاولين (فمن تعجل فى يومين) أى نفر فى اليوم الثانى بعد رمى الجمار قبل الغروب (فلا اثم عليه) بترك مبيت ليلة الثالث بمنى ورميه اذ لا يحتاج الى تزكية المطمئنة (ومن تأخر فلا اثم عليه) وان زاد عملا يشبه زيادة ركن فى الصلاة لانه احتياط بتزكية المطمئنة احترازا عن تلبيس الامارة بأنها صارت مطمئنة لكنه (لمن اتقى) أن يأتى بمحرم (واتقوا الله) أن تدعوا لانفسكم كمال هذه التزكية (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فلو ادعيتم الكمال لانفسكم كنتم مدعين مشاركته فى الكمالات فيكون حشركم اليه حشر من ادعى الشركة معه ثم اشار الى انه لا يغتر باظهار النفس الكمال ايها الروح ثم لا يبالغ فى تزكيتها وتوليها أمرها فتظهر عداوتها الكامنة وتفسد عليها ميلها الى الله وتملك اعمالها وأسوالها ومقاماتها حتى تصير لا تبالى بالله وترد الى جهنم البعد والفراق فتستقر فيها فتصير كالاخنس بن شريق اذ قال عز وجل فى حقه (ومن الناس من يعجبك قوله) اى يعظم فى نفسك حلاوته وفصاحته (فى الحيوة الدنيا) التى هى مبلغ علمه وحفظها على نفسه يظهر محبته لك (ويشهد الله على ما فى قلبه) من الايمان بك والمحبة لك لئلا يتفرس فيه الكفر والعداوة (وهو ألد الخصام) أى أشد فى العداوة اذ لا اثر فى العداوة الظاهرة يعتد به (و) لذلك (اذا تولى) اى صارت له قوة استيلاء على ثقيف (سعى فى الارض ليفسد فيها) بالقتل والاسر والنهب (ويهلك الحرث) أى الزرع بالاحراق (والنسل) أى المواشى الناتجة فقعل ما لا يفعله مؤمن أو محب لله ورسوله لانه مفسد كيف (و) هو مما لا يحبه الله تعالى اذ (الله لا يحب الفساد) فيصير فاعله مبغضا مسقطا عن حبه كيف (و) لا يبالى بالله حتى (اذا قيل له اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة) أى غلبته عزته فتمنعه عن قبول قول الناصح وأمره (بالاثم) واذا لم يكفه النصح بتقوى الله (فحسبه) أى كافيه (جهنم) اذا استقر فيها أبدا (ولبئس المهاد) أى الفراش الذى يستقر عليه بدل فرش عزته ثم أشار الى أن التزكية انما

له حينئذ ثقيض (قوله عز وجل أثقالها) جمع ثقل واذا كان الميت فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها (قوله عز وجل أوحى لها) وأوحى اليها واحد أى ألهمها وفى التفسير أوحى لها أمرها (قوله عز وجل الهاكم التكاثر) شغلكم

ثم بيع النفس لطلب مرضاة الله تعالى فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) اى يبيعها
حتى كأنه بناها (ابتغاء) أى طلب (مرضات الله) لا تخلص حظوظها بعبيده لا أنه لا للدنيا
ولا للآخرة (والله رؤف بالعباد) الذين اعرضوا عبادته لم يكونوا ابراء سوى حجهم باعطه
حظوظهم فى الدنيا والآخرة اذ يتلذذون به فوق تلذذ أهل الدنيا بدنياهم وأهل الجنة بجنتهم
وكثيرا ما يفيض عليهم حظوظها أيضا ثم أشار الى ان بيع النفس ابتغاء مرضاة الله انما
يتم بالانقياد لله ظاهرا وباطنا ولا يتم مع طلب حظوظ النفس لانه يعارض فيه ارادته بارادة
الحق فقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) فان مقتضى الايمان الانقياد له بالكلية فان لم
يتم فلا يمن الدخول فيه فادخلوا فيه (كافة و) لا مانع من الدخول فيه سوى اتباع خطوات
الشيطان (لا تتبعوا خطوات الشيطان) فانه وان جاءكم بلذات دنيوية أو أخروية يفوت
عليكم لذات أهل الله (انه لكم عدو مبين فان زللتم) باتباع خطوات العدو (من بعد
ما جاءتكم البينات) على عداوته وعلى عظم لذات أهل الله ثم أهل الجنة واعتمدتم على حلمه
وكرمه وجوده (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) فاذا أخللتم بمقتضى عزته بترك الانقياد له فلابد
ان يفعل بكم ما هو مقتضى حكمته من الفرق بين من قام بمقتضى عزته ومن أخل بها وكأنه
جواد كريم لطيف فهو مانع منتقم شديد العقاب ثم أشار الى انه لا يكفى فى الدخول فى السلم
الانقياد الظاهر مع انكار الباطن فانه مكر مع من يطلع على مكر الخلائق ولا يطلعون على
مكره فقال (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) بقهره مختفيا له (فى ظلل من الغمام) أى السحاب
الابيض الموهم كونه ماطرا اخفاءهم النفاق (و) تأتيهم (الملائكة) الذين لا يبصرون
بالقهر الذى لا شعور به أصلا بخلاف الذى فى الغمام (و) لا وجه لانتظارهم اذ (قضى الامر)
فى حق المنافقين بذلك والانتظار مشعر بالتردد وكيف يتردد فيه (والى الله ترجع الامور)
فاذا لم ينقادوا باطنا يكون رجوعهم اليه رجوع العبد الخارج على الملك اذا رد عليه قهرا
ثم أشار الى انه لا ينبغى لمن ينقاد لله ان يغتر بما ظهر عليه من الخوارق فقال (سل بنى اسرائيل
كم آتيناهم) على رهبانيتهم على خلاف شرعهم (من آية بينة) فصرفوها وهى نعمة الى
معاصيه فأهلكناهم (و) هكذا (من يبدل نعمة الله) بمعصيته (من بعد ما جاءته) اشتد غضبه
عليه (فان الله شديد العقاب) ثم أشار الى ان الخوارق اذا لم تقارن بالانقياد لله لم تدل على
القرب من الله بل على البعد منه حتى يكتسبها الدنيا فيشبه الكفرة اذ (زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا) كيف (و) يكون سبب ازدرائه بالمؤمنين فيشبه الكفرة اذ (يسخرون من
الذين آمنوا) بما فاقوا عليهم بأمور الدنيا كذلك أهل الخوارق يسخرون من العوام بما فاقوا
عليهم بالخوارق بل على المتقين الذين لا خوارق لهم (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) وان لم
يفوقوا بالخوارق فى الدنيا بل رزقهم الله الخوارق كرزق الكفرة الاموال (والله يرزق من
يشاء بغير حساب) فمجرد التقوى أدل على القرب من الخوارق ثم أشار الى انهم كيف عظموا
بالخوارق انفسهم ولم يعظموا الانبياء بمعجزاتهم التى هى أعظم الخوارق مع اقترانها بالدعوة

(قوله أبابيل) التكاثر جماعات فى تفرقة أى حلقة حلقة واحدها ابالة وابول وابيل ويقال هو جمع لا واحد له (قوله تعالى الابتر) الذى لا عقب له (قوله تعالى أحد) بمعنى واحد وأصل أحد وحد فابدلت الهمزة من الواو

العامة الى الخيرات بل كانت سبب تفرقهم لظهورها على يد غيرهم وذلك انه (كان الناس أمة واحدة) متفقين على الاسلام فيما بين آدم وادريس وعلى الكفر فيما بينه وبين نوح (فبعث الله النبيين) بالمعجزات القاهرة والبراهين القاطعة مقرونة بالدعوة الى الخير في العموم اذ بعثهم (مبشرين) لمن آمن وأطاع (ومنذرين) لمن كفر وعصى (وأنزل معهم الكتاب) الجامع لما يحتاجون اليه في باب الدين على الاستقامة والهداية التامة التي لا يحتاج معها الى خارق لكونه ملتبسا (بالحق) من جميع الوجوه (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) من الاعتقادات والاعمال ومعجزاتهم مؤيدة له (وما اختلف فيه) مع كونه واندا للاختلاف (الا الذين أوتوه) أى علموه ولم يكن اختلافهم لالتباس عليهم من جهته بل (من بعد ما جاءتهم البينات) أى الدلائل الواضحة بكون الشبهة بازائها شبهة في مقابلة البديهيات فكان اختلافهم (بغيا بينهم) أى حسدا وقع بينهم لكنه لم يبق شبهة في حق من آمن (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق) أى للحق الذي اختلفوا فيه (باذنه) أى بتيسيره لا بمراجعتهم المختلفين ولا بيده مع اقامته الدلائل الواضحة (والله يهدي من يشاء) بغير دليل ظاهر ولا معلم بشرى (الى صراط مستقيم) كذلك خوارق أهل الضلال سبب الالتباس عليهم وقد هدى الله المؤمنين فميزوا بين المعجزات والكرامات وبين سائر الخوارق ولو قيل كيف يميز الحق من المبطل مع انه يعطى الخوارق والشبه أجيب بانه البأس ضعيف اذ المعجزة غير مقدورة للبشر مقرونة بالدعوة الى الخير في العموم لكن قد يبتلى به كما يبتلى الضعفاء بالبأساء والضراء في الاسلام اذ لولاه لا تفق الكل على الحق لانه طالبه ولا مانع منه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة من غير ابتلاء في تمييز المعجزات أو الدلائل عن الخوارق والشبه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أى من غير أن يأتيكم الشأن العجيب الذي كان للماضين قبلكم فكان سنة الله التي لا تتبدل (مستهم البأساء) أى أصابهم الفقر والشدة (والضراء) أى المرض والزمانة (وزلزلوا) أى أزعجوا من خوف العدو (حتى يقول الرسول) الداعى الى الصبر الواعد بالنصر (والذين آمنوا معه) العازمون على الصبر الموقنون بوعد النصر (متى نصر الله) استبطاء له فقال لهم (ألا ان نصر الله قريب) فكذلك التمييز بين المعجزات وسائر الخوارق وبين الدلائل والشبه قريب وان استبعده البعض ثم أشار الى أن السؤال المذكور بعد وضوح الرد كالسؤال عما ينفقون (يسألونك ماذا ينفقون) يستبعدونه مع وضوحه (قل) الالتباس في المصرف أكثر فحقكم ان تسألوا عنه أولا وتجابوا بأن (ما أنفقتم من خير) فيه اشارة الى أن كل خير صالح للانفاق (فللوالدين) قبل غيرهما ليكون اداء لحق تربيتهما مع كونه صلة وصدقة (والاقربين) بعدهما ليكون صلة وصدقة (واليتامى) بعدهم لان فيهم الفقر مع العجز (والمساكين) بعدهم لاحتياجهم (وابن السبيل) بعدهم لانه كالفقير لغيبة ماله ثم صرح بجواب أصل السؤال تنبيها على غباوتهم مع مزيد تعميم فقال (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) فيجازيكم عليه وفيه اشارة

المفتوحة كما أبدلت من المضمومة في قولهم وجوه وأجوه ومن المكسورة في قولهم وشاح وإشاح ولم يبدلوا من المفتوحة الا في حرفين أحد وامرأة أناة وأصلها وناة من الونى وهو الفتور

• (باب الالف المضمومة) •

الى أن ما يأتى به صاحب المعجزة خبر فى نفسه فلولا تميز المعجزة عن سائر الخوارق فعلكم ان
تعملوا ما هو الخير بكل حال ولو قالوا ان أمر الشبه صعب لا يكاد يسهل أجيبوا انما صعب
لكراهتكم اياها لنفرتكم من الدين المألوف لكم فيكون حملها على أنفسكم بمنزلة القتل
اياها فالكره فيها كالكره فى الجهاد اذ (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم) ومنه الجهاد اذ به ظهور الاسلام وتيسير اعماله بلا مانع وحل الشبه اذ به
الوصول الى الحق المفيد للسعادة الابدية المنجى عن الشقاوة الابدية (وعسى أن تحبوا شيئا
وهو شر لكم) ومنه ترك الجهاد القالع للاسلام المانع من أعماله وحب الشبه الباطلة المفوتة
للسعادة الابدية المفضية الى الشقاوة الابدية ثم قال (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فاذا اشتبه
عليكم شئ فعليكم بكتاب الله وسنة رسوله ثم أشار الى ان مما اشتبه عليهم أمر قتالهم فى
الشهر الحرام مع قول الله بحرمته وهو أيضا مما يورث الردة فقال (يسئلونك عن الشهر الحرام) أيحرم
أم لا فتقول انه حرام فيسألونك عن (قتال فيه قل قتال فيه كبير) من المعاصى الكبائر كيف
(و) هو (صد عن سبيل الله) أى عن التجارة التى جعلها الله سبيل الرزق لعباده (و) واشتمل
هذا القتل فهو (كفر به و) صد عن (المسجد الحرام) اذا قتل الحجاج الخارجون فى الشهر
الحرام فهذا وجه تحريم القتال فى هذا الشهر (و) لكن (اخراج أهله) أى اخراجهم أهل
المسجد الحرام وهم النبى والمؤمنون (منه أكبر عند الله) جرما من قتلهم اياهم لان الاخراج
فتنة (والفتنة أكبر من القتل) فقد فعلوا بكم فى المسجد الحرام ما هو أكبر من القتل فيه
وحرمة المسجد كحرمة الشهر على ان قتالهم لكم ليس كقتالكم اياهم لانكم تقاتلونهم لدفعهم عن
أنفسكم وعلى أن يؤمنوا فيفوزوا بخير الدارين (و) هم يقاتلونكم لطلب الردة بل (لا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) أى قدروا على ردتكم وهى أشد من
القتل الذى تدفعونه لان نهاية القتل الموت وهو حاصل للمرتد وان لم يقتل (و) انما كانت
الردة أضر لانه (من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) أى نفت
جميع مساعيهم النافعة لهم (فى الدنيا) اذ رفع الامان عن أموالهم وأهليهم (والآخرة) اذ
يسقط ثوابهم (و) لا يقتصر عليه بل (أولئك أصحاب النار) وهى أشد من القتل مما لزمهم
فيها خالدون ان الذين آمنوا) بحرمة الشهر فى نفسه وجواز قتال المخرجين أهل المسجد الحرام
منه (والذين هاجروا) اذ أخرجوا من المسجد الحرام (وجاهدوا فى سبيل الله) ولو فى الشهر
الحرام للدفع عن أنفسهم أو للدعوة الى الاسلام المفيد لهم فى الدارين (أولئك) وان باشروا
القتال فى الشهر الحرام (يرجون رحمة الله) على ايمانهم وهجرتهم وجهادهم للدفع
أو لايمان المقتول (والله غفور) لهتكهم حرمة الشهر (رحيم) بما رخص فى القتال مع
قيام دليل الحرمة ومما اشتبه عليهم أمر الخمر لانها تقوى وتفرح وتؤدى سكرها الى التشاتم
والتضارب والتقاتل وأمر الميسر لانه يحصل لواحد مالا ويضيعه على آخر فقال (يسئلونك
عن الخمر والميسر) أيباحان لمنافعهما أو يحرمان لمفاسدهما (قل فيهما اثم كبير ومنافع

للناس)

(قوله تعالى وأتوا به متشابها) أى يشبه بعضه بعضا لجواز أن يشتبه فى اللون والخلقة ويختلف فى الطعم وجاز أن يشتبه فى البدل والجودة فلا يكون فيه ما يتوى ولا ما ينفصل غيره (قوله عز وجل أسبون) الذين

للناس) يرون فيهما سماع ارضة فيستشكلونه (و) ليس بمشكل مع ظهور رجحان جانب الاثم اذ (اثمهما أكبر) نائيا (من نفعهما) لان الضرر الاخروى لا يحتمل للنفع الدنيوى بل يراه نفعا من نفى ذلك الضرر (ويسئلونك ماذا ينفقون) فان رجحان الامر الاخروى على النفع الدنيوى يقتضى انفاق الجميع (قل) لم يأمركم باخلال الامر الدنيوى للنفع الاخروى وانما منع النفع الدنيوى للضرر الاخروى فانفقوا (العفو) أى الفاضل الذى يمكن التجاوز عنه لعدم الاحتياج اليه كما فى الخمر لا يحتمل بترك أمر دنيوى بل فى مشربه أنواع من الخلل الدنيوى فالاثم انما كان لاختلال الامر الدنيوى بذهاب العقل فلذلك قال عقيبه (كذلك) هكذا (يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى وهوان الدنيا (لعلكم تتفكرون فى الدنيا) انها فانية (والآخرة) انها باقية وفى أمورهما لتصلحوهما ولا تهملوا فساد تمام فلا تتركوا اللذائذ الباقية للذائذ الفانية (ويسئلونك عن اليتامى) بان الضرر الاخروى اذا كان مانعا من النفع الدنيوى وفى أكل مالهم ضرر أخروى ولا يؤمن منه أوجب التحرز عنهم وهو مضيع لهم (قل) لا ضرر أخروى فى اصلاحهم بل (اصلاح لهم خير) دنيوى لهم وأخروى لكم (و) خطرا كل مالهم ليس بمانع من مخالطتهم بل (ان تخالطوهم فاخوانكم) ولا بأس بمخالطة الاخوان اذا لم يكن على وجه الافساد (والله يعلم المفسد) و يميزه (من المصلح) فى الجزاء فاحترزوا عن الافساد ولا تتركوا الاصلاح فان تركه يشق عليهم (ولو شاء الله لاعنتكم) أى لشق عليكم بما تشقون عليهم ولا يمنعه من ذلك شئ (ان الله عزيز) أى غالب على ما أراد (حكيم) وقد اقتضت حكمته ذلك فلا يتركه ثم أشار الى أن الخطر الاخروى وان أمر بتحمله فى أمر اليتامى لا يجوز تحمله فى مناكحة أهل الشرك فقال (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوى بنكاح الامة المفضى الى رقية الولد (ولامة مؤمنة خير من مشركة) فان نقصان الرقية فيه مجبور بالايمان الذى هو أجل كمالات الانسان (ولو أعجبتكم) بسائر الفضائل فان نقصان الكفر لا يجبرها (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوى بفوات الكفاءة (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) بكثرة الفضائل فان ذهاب الكفاءة بالكفر غير مجبور بشئ منها وأشار الى وجه الخطر بقوله (أولئك يدعون الى) أسباب (النار) ويؤثر قولهم لافراط المحبة بينهم (والله) يمنع مناكحتهم وأمر بمناكحة الارقاء لانه (يدعوا الى) أسباب (الجنة و) أسباب (المغفرة) المنجية من النار ويتيسر ذلك (باذنه) أى بتوفيقه (ويبين آياته للناس) ليتذكروا لا على القطع بل بطريق الرجاء (لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض) هل يجب ابعادهن عن مكان الفراش للخطر فى الاجتماع (قل) لا خطر فى ذلك بعتد به اذ (هو أذى) يأباه الطبع السليم وغايته اعتزال النساء فى محل الحيض (فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى الفرج (و) الخطر فى ذلك (لا تقربوهن) بمباشرة حريم الفرج وهو ما بين السرة والركبة (حتى يطهرن) أى يحصل لهن النقاء عن الدم بل حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أى اغتسلن (فأتوهن) أى أبيح لكم اتيانهن (من حيث

لا يكتبون واحدهم أمى منسوب الى الامة الامية التى هى على أصل ولادات امهاتهم لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها (قوله عز وجل وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى حب العجل (قوله عز وجل وما أهل به لغير الله) ذكر عند ذبحه اسم غير الله وأصل الاهلال رفع

أمركم الله) أى من القبل الذى أباحه الله لكم وتوبوا لو أتيتم قبل التطهر أو فى غير المأتى فان التوبة طهر (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) لانهم يرجعون اليه ويشابهونه فى التنزه وانما أمركم باتيان القبل لان الحرث انما يكون من جانبه اذ (نساؤكم حرث لكم) تلقون فى أرحامهن بذر الولد وهو النطفة ومنع اتيان الدبر لا يمنع اتيان القبل من جهته (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم فلا تبالوا بقول اليهود ان من جامع فى القبل من جهة الدبر كان الولد أحول (وقدموا) على الاتيان قصد طلب الولد فانه يفيد الثواب (لانفسكم واتقوا الله) أن تضيعوا بذره بوضعه فيما لا يحل (واعلموا أنكم ملاقوه) فيسألكم عن بذره (وبشر المؤمنين) الواضعين بذره فى محل أمره بما يجازيهم على تعميرهم للعالم ثم أشار الى أن قضاء الشهوة لا يمنع من تأثير قصد الخير كما أنه لا يمنع تأثيره نقض اليمين فقال (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أى حاجزا يمنكم لاجل يمينكم به على أن لا تبروا أو على أن تفعلوا محرما أو على أن لا تدخلوا فى الاصلاح وبين (أن تبروا وتتقوا) فعل المحرم (وتصلحوا بين الناس) فانقضوا أيمانكم وكفروا عنها يحصل لكم أجر الخير (والله سميع) لاعتذاركم عن يمينه اذا نقضتموه لتعظيم أمره (عليم) بأنكم قصدتم به تعظيم أمره لا هتك حرمته فلا يؤاخذكم بنقض اليمين بعد التكفير كأنه (لا يؤاخذكم الله باللغو) أى بالكلام الذى لم يقصد بأيمانكم بل دخل (فى أيمانكم) بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) من هتك حرمة بنقض اليمين المقصودة أو جعلها وسيلة الى اكتساب حرام (و) انما لا يؤاخذكم باللغو لانه مباح لكم اذ (الله غفور حليم) ثم أشار الى أنه كما لا يؤاخذكم بنقض اليمين اذا اقتضت البر والتقوى والاصلاح وكفرت لا يؤاخذ بيمين المولى وهو من حلف لا يجامع امرأته فوق أربعة أشهر أو مطلقا اذا كفر فقال (للذين يؤلون) أى يحلفون للامتناع (من نسائهم تربص أربعة أشهر) أى انتظار نسائهم مضى أربعة أشهر اذ لا يحتملن الصبر فوق ذلك (فان فاؤا) أى رجعوا عن اليمين بالجماع فنقضوا اليمين وكفروا عنها (فان الله غفور) لحنثه (رحيم) على النساء بما رخص لهم فى الحنث (وان عزموا الطلاق) أى حققوا موجبه وهو ترك الفىء كأنهم قصدوه بيمينهم (فان الله سميع) لقصدهم (عليم) بما يجب عليهم من تطليقها من أنفسهم أو على لسان الحاكم (والمطلقات) ولو موليات انتظرن المدة المذكورة وفى معناهن المفارقات حال الحياة بردة أو خيار اذا كن من ذوات الاقراء مدخولات غير حاملة (يتربصن بأنفسهن) أى ينتظرن بحمل أنفسهن عليه قهرا (ثلاثة قروء) أى مضى ثلاثة أطهار يجتمع الحيض فيها فى أرحامهن اجتماعا كاملا وحين تنتقل الى الحيض لان هذا الانتقال يدل على براءة الرحم بحسب الغالب اذ حيض الحامل نادر ولو كثر فلا يكاد يخفى الحمل بعد هذا العدد وجعل لهن ذو الطلاقات توسيع المدة الرجعة على من راعى سنتها اذ لا يذهب عن قلبه فى هذه المدة ما كرهها فيراجعها وعلى من استكمل ليذوق وبال فراقه لو عاد بعد العدتين (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الحيض أو الولد استعجالا للعدة أو ابطالا لحق الزوج فى الرجعة

الصوت (قوله عز وجل اضطر) أى ألجئ (قوله عز وجل أمة) وهى على ثمانية وجوه أمة جماعة كقوله عز وجل أمة من الناس يسقون وأمة أتباع الانبياء عليهم السلام كما تقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأمة رجل جامع للخير يقتدى به

(ان كن يؤمن بالله) انجرين على مقتضى الايمان به الخوف من ذاته (واليوم الآخر) الخوف من جزائه (وبعولتهن) أى أزواجهن (أحق بردهن) ان كان الطلاق رجعيا (فى ذلك) أى فى زمان التربص (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لا اضرارا (و) الاصلاح انما يتم باداء كل حق الآخر اذ (لهن) على الرجال من المهر والكفاف وترك الاضرار (مثل الذى عليهن) للرجال من الاطاعة والتعفف وحفظ البيت (بالمعروف و) ليس لهن التحكم على الرجال من الاعتراض بتزوج أخرى أو بالتسرى اذ (للرجال عليهن درجة والله عزيز) اى قادر على انتقام من منع حق صاحبه (حكيم) ينتقم منه بمقتضى حكمته (الطلاق) أى التطليق الذى يستحق الزوج الرد فى عدته (مرتان) فى كل مرة له الرد والتطليق فان رد (فامساك بمعروف) أى فالواجب امساكها باقامة حقوق الزوجية ولا يجوز اضرارها بذلك بتطويل العدة (أو) طلق فالواجب (تسريح باحسان) أى لا يأخذ منها شيأ (و) ذلك لانه (لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) من المهر والنفقة فضلا عن سائر أموالها فى كل وقت (الا) وقت (أن يخافا ألا يقيما حدود الله) أى حقوق الزوجية ثم هذا الخوف يجب أن يكون بحيث لو رفع الى الحكام يقع فى قلوبهم (فان خفتم) أيها الحكام لو رفع أمرهما اليكم (ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) أى لا حرج على المرأة فى الاعطاء وعلى الزوج فى الاخذ (فيما افتدت به) نفسها عن ضرره ولو زائدا على قدر المهر والنفقة ولا يكون حينئذ تسريحا باحسان بل خلعا (تلك) الاحكام (حدود الله فلا تعتدوها) فلا يحل للزوج أن يأخذه ان اختص به خوف عدم اقامة الحدود ولا للمرأة أن تعطيه ان اختصت بذلك (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) فى الاخذ والاعطاء وان صح عقد الخلع واذا خيرناه بعد المرتين بين الامساك والتسريح (فان طلقها فلا تحل له) برجعة ولا بنكاح جديد (من بعد) لانه قطع محبتها من نفسه وقلبه وروحه فلم يبق له علقة يمكنه جذبها بها (حتى تنكح زوجا غيره) أى حتى تذوق وطء زوج آخر بنكاح صحيح وذلك لئلا يكثروا التطليق والعود مع أنها لما نكحت زوجا آخر ووطئها صارت كأنها لم تكن امرأة الاول أصلا فكأنها لم تكن بينهما محبة انقطعت يحتاج وصلها الى علقة بل صارت لا تعرفه ولا يعرفها على ان القطع اذا كان من البعض كان كقطع الشجرة لا من أصلها يمكن عودها وان كان من الاصل فلا تعود الا بغرس جديد ويحتاج الى غارس آخر لئلا يكون القاطع غارسا مرة أخرى فيلزمه السفه (فان طلقها) الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوج الاول والمرأة (أن يتراجعا) الى الزواج بتجديد النكاح (ان ظنا) أى اعتقدا اعتقادا راجحا اذ لا يمكن الجزم بالامور المستقبلة (أن يقيما حدود الله) أى حقوق الزوجية (وتلك) أى اصابة الزوج الثانى وتطليقه وظنهما اقامة حقوق الزوجية. (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) ان من قطعت محبته يحتاج فى تجديدها الى حيلة (واذا طلقتم النساء) أيها الازواج الثوانى (فبلغن أجلهن)

كقوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وأمة دين وملة كقوله عز وجل انا وجدنا آباءنا على أمة وأمة حين وزمان كقوله عز وجل الى أمة معدودة وكقوله وادكر بعد أمة أى بعد حين ومن قرأ أمه أى نسيان وأمة أى قامة يقال فلان حسن القامة

أي فبلغ انتظارهن ما يقرب آخر مدتهن فأنتم كالأزواج الأولين (فأمسكوهن بمعروف)
أي بقصد إقامة حقوق الأزواج (أو سرحوهن بمعروف) أي اتركوهن مسرحات من غير قصد
العضل (ولا تمسكوهن ضرارا) بهن بتطويل العدة (لتعتدوا) عليهن بجعلها كالمعلقة (ومن
يفعل ذلك) فهو وإن ظلمها في الظاهر (فقد ظلم نفسه) بالحقيقة لأنه يعطيها أعماله الصالحة
أو يتحمل أعمالها الطالحة ويحبس في النار بحبسها في العدة (ولا تتخذوا آيات الله) أي
مواعيده التي بينها بآياته (هزوا) فيدوم حبسكم في النار (واذكروا نعمت الله عليكم)
إذ جعلهن بأيديكم ولو جعلكم بأيديهن لأضررن بكم فلا تتوسلوا بنعمته إلى معصيته
(و) اذكروا (ما أنزل عليكم من الكتاب) أي العلم الظاهر (والحكمة) أي العلم الباطن
لإصلاح شأنكم إذ (يعظكم به) فلا تفسدوا عليكم ما أصلح الله لكم بآياته وظواهر علومه
وبواطنها وزواجره (واتقوا الله) في إفسادها أصلح بذلك (واعلموا أن الله بكل شيء) من
إصلاحكم وإفسادكم (عليم) وكفى بعلم الملك القدير العدل الحكيم زاجرا عن مخالفته ثم أشار
إلى أنه كما لا يجوز إضرارهن بالإمساك عند تقارب انقضاء العدة لا يجوز إضرارهن بعد
انقضائها بمنع التزويج فقال (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي فبلغ انتظارهن آخر
أجلهن (فلا تعضلوهن) أي لا تمنعوهن أيها الأزواج (أن ينكحن أزواجهن) أي من أردن
من الأزواج إذ لم تبق لكم زوجيتهن بل صار غيركم أولى بهذه الإضافة (إذا تراضوا بينهم
بالمعروف) أي بطريق النكاح (ذلك) النهي عن العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله) بقدرته وعدله وحكمته (واليوم الآخر) يوم جزائه (ذلكم أزكى لكم) لنفوسكم من
الميل إليهن (وأطهر) لقلوبكم من وسوسة الشيطان (والله يعلم) ما في العضل من ضرركم
عند الله (وأنتم لا تعلمون) ما على أهل العضل من الشدة عنده (والوالدات) ولو مطلقات
مأمورات بأن (يرضعن أولادهن) ولو في بيوت المطلقين إذا لم يكن لهن الحضانة لعدم
أهليتهن وإن خيف ميلهم إليهن سيما بطول المدة المساكنة لكونها (حولين كاملين) يحتمل
ذلك لحفظ الأولاد عن التلف وهذه المدة غاية (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلا يحتمل إسكانهن في
بيوت المطلقين أكثر من ذلك (و) الولد وإن كان للوالدة (على المولود له) أجرتها وإن يقل على
الوالد لتربيته بنسبه إليه لا إليها ولذلك كان عليه مؤنته لا عليها بأجرة المثل (رزقهن)
أي طعامهن (وكسوتهن بالمعروف) أي بقدر ما الحاكم هذا إذا كان الوالد
موسرا إذ (لا تكلف نفس إلا وسعها) وأما إذا كان الوالد معسرا فحينئذ يسير على الوالدة إذا كانت
معسرة (لا تضار والدة بولدها) بمنع إرضاعه ولو عند إعسار الأب (ولا مولود له بولده) عند
إعساره وإن كان لها الحضانة فتذهب به إلى بيتها عند المفارقة إذ ليس عليها مؤنته (وعلى الوارث
مثل ذلك) أي ويجب على الصبي إذا ورث مالا أيضا أجرة المرضعة ولو أمه هذا إذا احتاج
الصبي إلى الرضاع (فإن أرادا) أي الأبوان (فصالا) أي فطاما صادرا (عن تراض منهما)
لا لكراهة أحدهما للآخر (و) لا لعسر الاتفاق ولا لتعب التربية بل عن (تشاور) وهو

الأمة أي القامة وأمة
وجل منفرد بدين لا يشركه
فيه أحد قال النبي صلى الله
عليه وسلم يبعث زيد بن
عمرو بن نفيل أمة وحده
وإمام يقال هذه أمة زيد
أي أم زيد (قوله عز وجل
أحصرتم) أي منعتم من
السير بمرض أو عدو أو

استخراج الرأى (فلا جناح عليهما) فى منع الارضاع وأجرته (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) من غير أمهاتهم لكراهة ظهرت فيهن (فلا جناح عليكم) ولو بعد استئجارهن لمدة (اذا سلمتم) اليهن (ما آتيتم) أى ما عينتم لهن من الاجر (بالمعروف) أى بالوجه المستحسن شرعا بخلاف ما اذا كانت الاجارة فاسدة فانه يجب فيه أجرة المثل لمدة الرضاع (واتقوا الله) فى الميل الى المرضعات اذا كن مطلقات أو أجنبيات وفى منع شئ من حقوقهن عند ارادة الاسترضاع من غيرهن (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) وان لم يبصره غيركم ولما ذكر عدة المفارقة حال الحياة وحكمها فى الارضاع فى أثناء العدة وبعدها عقبها بعدة المتوفى عنها زوجها فقال (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن) أى ينتظرن أزواجهم بعدهم (بأنفسهن) أى بحملها على الصبر (أربعة أشهر وعشرا) أى مضى الثلاثة لا يعارض فى قلبها حب المتوفى وحب الجديد فأخذت مدة صبرها وهو أربعة أشهر وزيد عليه العشر اذ بذلك ينقطع صبرها فتميل الى الجديد ميلا كاملا منقطعا عن قلبها حب المتوفى على أنه يظهر فى حق المدخول بها حركة الحمل اذ تكون بعد أربعة أشهر لكنه ابتدى ضعيفة وتتقوى بمضى عشر آخر ولم يكتف بالاقراء الدالة على عدمه ههنا بخلاف الفراق حال الحياة لان الفراق الاختيارى شاهد عدمه مع شهادة الاقراء فثمة شاهدان وههنا واحد وعدم الحركة بعد هذه المدة يقوى شهادة الاول فيكون كشاهد مع اليمين (فاذا بلغن أجلهن) أى بلغ انتظارهن آخر عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء المتوفى (فيما فعلن فى) حق (أنفسهن) من التزويج قبل الحول (بالمعروف) أى بالوجه المشروع من حضور الولى والشهود (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على لومكم اياهن على الامر المشروع (و) كما لا جناح عليهن فى التزويج بعده (لا جناح عليكم) أيها الخاطبون (فيما عرضتم به) أى أوردتموه بطريق التعريض وهو ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا (من خطبة النساء) بأن تقولوا لها انك جميلة أو صالحة أو رب راغب فيك أو من يجد مثلك (أو) فيما (أكننتم) أى أضمرتم من نكاحهن (فى أنفسكم) وان كان فيه التصميم فضلا عن التعريض باللسان لكن أباحه الله لكم اذ (علم الله أنكم ستذكرونهن) بعدم صبركم عنهن فلا تعتد وا ما أباح لكم الى ما وراءه (ولكن لا تواعدوهن) حال العدة بلو (سرا الا أن تقولوا) بطريق التعريض (قولا معروفا) يدل على النكاح لا السفاح ولا باستعمال النكاح فانه زيد اباحته لانه يخاف سبق الغير عند كمال العدة بخطبتها (ولا تعزموا) أى لا تقصدوا ابرام حال العدة (عقدة النكاح) بعد العدة لانه يفيد من بد تحرك من الجانبين بحيث لا يطاق معه الصبر الى انقضاء العدة (حتى يبلغ الكتاب) أى ما قدر من العدة (أجله) أى آخره (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من الميل اليهن قبل الاجل (فاحذروه واعلموا أن الله غفور) ذلك الميل اذ لم يتعد العزم عقدة النكاح لانه (حليم لا جناح) أى لا ضيق (عليكم) من لزوم المهر عليكم ولا على نسائكم من لزوم

سائر الدوائى (قوله عز وجل أخراكم) أى آخركم (قوله عز وجل أجورهن) أى مهورهن (قوله عز وجل ابتلوا) أى ارتهنوا (قوله عز وجل واحلوا الهلكة) (قوله عز وجل أجاج) اى مالح مر شديد الملوحة (قوله عز وجل أكله) ثمره (قوله عز وجل أملى لهم) اى

العدة عليهن أو الاضرار بهن (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي
قبل الوطء وقبل فرض المهر وأما اذا طلقها بعد الوطء وقبل الفرض يلزم مهر المثل وبعد
الوطء والفرض يلزم المسمى (و) حيث لا مهر عليكم (متعوهن) جبرا لوحشة الفراق وهي
مفوضة الى رأي الحاكم كم يتطرق حال المطلق (على الموسع قدره) أي يجب على الموسر قدر
ما يليق بيساره (وعلى المقتر قدره) أي على المعسر قدر ما يليق باعساره (متاعا بالمعروف) اي
بالوجه المستحسن فلا يزاد الى نصفه مهر المثل ولا ينقص الحاكم الا بعذر به (حقا) اي ثبت ذلك
ثبوتا مستقرا (على المحسنين) اي الناظرين الى الله فلا يليق بهم ايحاش خلقه بالكلية (وان
طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) اي قبل الوطء (وقد فرضتم لهن) في العقد أو بعده
(فريضة) ولو أقل من مهر المثل (فنصف ما فرضتم) اي فالواجب نصف المسمى (الا أن
يعفون) فلا شيء على المطلقين (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) اي الزوج المالك عقدة
النكاح عن استرداد النصف فانه لكونه مالكا للنكاح يستحق رده مع حقها (وأن
تعفوا) عن استرداد النصف (أقرب للتقوى) ليكون جبرا للاساءة اذ النصف الآخر انما
هو لحق نصفه موجبه اذ موجبه العقد والوطء وقد تحقق العقد (ولا تنسوا الفضل) اي
التفضيل بالزيادة لتذهب بالوحشة (بينكم ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع تفضلكم ثم
أشار الى أن اساءة التطليق وان لم تكن بجعة وأدى فيها المتعة أو المهر لا يذهب الا بكتاب
الحسنات سيما الصلاة لا كيف كانت بل المحافظة (حافظوا على الصلوات) برعاية فرائضها
وسننها وأوقاتها (و) لا تكتفي المحافظة على صلاة ما بل لابد من المحافظة على (الصلاة الوسطى)
وهي الصبح الواقعة بين صلاتي الليل والنهار المشهودة للملائكة النازلين والصاعدين وقيل
العصر لكة ولقوله عليه السلام شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا
(وقوموا لله قانتين) أي خاشعين أو ذاكرين له وهذه المحافظة في غير شدة الخوف (فان خفتم)
واشتد خوفكم (فرجالا أو ركبانا) أي فصلوا راجلين أو راكبين فيعفى عن كثرة الافعال واتمام
الركوع والسجود واستقبال القبلة (فاذا أمنتم) اي زال خوفكم ولو في أثناء الصلاة
(فاذكروا الله) اي فصلوا ذاكرين (كما علمكم) من فرائضها وسننها (ما لم تكونوا تعلمون)
مما أفادكم الله أسرارا وعلوما ولما ذكر متعة المطلقات وما يتشبه باساءة المطلقات الكلية
أشار الى المتعة المتوفى عنها فقال (والذين يتوفون منكم ويذرون) أي يتركون (أزواجا)
الزمهم الله (وصية لأزواجهم) أن يمتعوهن بالنفقة والكسوة (متاعا) ممتدا (الى آخر
الحول غير اخراج) اي غير مخرجات من مساكن الفراق وكان هذا في أول الاسلام ثم
سقطت النفقة والكسوة بتوريثها الربع أو الثمن والحول بأربعة أشهر وعشر وبقي لها
السكنى لكنها كانت في أول الاسلام الى سنة وكانت على سبيل الاختيار لها (فان خرجن فلا
جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن في) معاش (أنفسهن من) كسب (معروف) جائز
شرعا (والله عزيز) اي غالب على مجازاة ما فعلن من غير المعروف جملة لأنه (حكيم) ثم الزم

أطيل لهم المدة وأتركهم
ملاوة من الدهر والملاوة
من الدهر والملوان الليل
والنهار (قوله عز وجل
احصروهم) احبسوهم
وامنعوهم من التصرف
(قوله عز وجل أذن خير
لكم) يقال فلان أذن
أي يقبل كل ما قيل له

ملازمة السكنى أربعة أشهر وعشرا وذلك لانه لم تكن من عادتهن ملازمة البيوت تم الزمن محافظة على ماء الرجل ثم أشار الى أنه كما يكون للمتوفى عنها زوجها نفقة وسكنى مع أخذها كل المهر يكون للمطلقات بعد الفرض والمس أيضا فقال (وللمطلقات) غير من طلقت قبل المس بعد الفرض لانه لما نقص الفرض فى حقها لم تستحق الزيادة (متاع بالمعروف) جبرا لوحشة الفراق والهرحق بنعمها (حقا على المتقين) أى ثبت ثبوتا مستقرا على من يتق اللقاء على الاساءة (كذلك) اى مثل ذلك البيان الشافى (يبين الله لكم) فى جميع المواضع (آياته) الدالة على أحكامه الحكمية (لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقولكم لاستنباط وجه الحكمة فيها ثم أشار الى أنكم لو منعتم المهر والمتعة بعد ما أمر الله بهما لم يبعد ان يسلبكم الاموال والحياة التى تجمع لها وان اعطيتم لم يبعد ان يعوضها لكم بل لا يبعد منه تعويض الحياة فقد عوضها قوما غير محصورين (ألم تر) أيها المنكر لذلك (الى) أهل داوردان (الذين خرجوا من ديارهم) اذ وقع بها الطاعون الى واد أفيح (وهم ألوف) ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو بضعة وثلاثون أو أربعون أو سبعون (حذر الموت فقال لهم الله موتوا) اذ ناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه ان موتوا فماتوا جميعا فبليت أجسادهم وعريت عظامهم (ثم أحياهم) اذ مر بهم حزقيل بن بوزى فجعل يتفكر فيهم فأوحى الله اليه تريد ان أريك آية قال نعم وقيل دعا ان يحييهم فأحياهم ليستوفوا آجالهم تفضلا عليهم وعلى من بلغهم خبرهم ليعتبر وافيه ويزدا (ان الله لذو فضل على الناس) يتفضل عليهم ليشكروه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ثم أشار الى أنه لا يبعد من الله أن يأمركم باعطاء المهر والمتعة (و) قد أمركم ببذل المهج اذ قال لكم (قاتلوا فى سبيل الله واعلموا) ان أنكرتم أمره أو قصدتم عصيانه (أن الله سميع) لانكاركم وقصدكم (عليم) بمقتضاهما من الجزاء ثم أشار الى أن بذل المهج والحقوق ليس اتلافا للنفوس والاموال بل تعويض عما هو أجل (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) على سبيل الاخلاص امتثالا لامره لا لحاجته بل لتضعيفه بمقتضى عظمته (فيضاعفه له) بتكثيره الحياة والاموال فى الآخرة أو الدنيا أيضا (أضعافا كثيرة و) لا يبعد ان يقبض عمن لا يقرضه ويبسط لمن يقرضه اذ (الله يقبض ويبسط و) لو لم يعدكم الاضعاف لوجب عليكم امتثال أمره اذ (اليه ترجعون) وكيف ينكر بسط الله وقبضه وهو الذى يعطى الفقير الملك ويسلبه من أهله ويقوى الضعفاء من الجمع القليل ويضعف الاقوياء من الجمع الكثير (ألم تر الى الملا) أى الاشراف (من بنى اسرائيل) الذين كمل شرفهم فى عهد موسى ثم زال ثم عاد (من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم) هو اشمويل بن بال أو ابن هلقايا أو شمعون بن صفية حين ظهرت العمالقة قوم جالوت على كثير من أرضهم وأسروا من أبنائهم لوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وأخذوا توراتهم (ابعث لنا ملكا) اى أقم لنا أميرا (نقاتل) معه عن رأيه (فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) اى هل قرب تركهم القتال ان فرض عليكم (قالوا وما لنا ألا نقاتل) اى اى

(قوله عز وجل ألوف) واحدهم ذو الارحام) واحدها ذات (قوله (الات) واحدها ذات (قوله تعالى أتزفوا) أى نعموا وبقوا فى الملك والترف التمول يفعل ما يشاء وانما قيل للمنعم مترف لانه لا يمنع من تنعمه فهو مطلق فيه (قوله عز وجل اجاذات) (قوله معناه استوصلت (قوله

شيء عرض لنا يكون سبب أن لا نقاتل (في سبيل الله وقد) تحقق فينا موجبه اذ (أخرجنا من
ديارنا و) أولادنا (فلما كتب عليهم القتال) بعد الحاحهم في طلبه (تولوا) اي
أعرضوا عنه جبنا (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر (و) لم يجعل الله المولى جزاء
الا له بظلمهم اذ (الله عليم بالظالمين و) دل على ظلمهم اعتراضهم على نبيهم في تعيينه بأمر الله
الملك الذي طلبوا تعيينه اذ (قال لهم نبيهم) الذي عرفوا صدقه بالمعجزات (ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا) فاعترضوا عليه بل على الله اذ (قالوا أنى يكون له الملك علينا) وهو من
أولاد بنيامين (ونحن) لكوننا من أولاد يهودا (أحق بالملك منه و) غير المستحق ربما يصير
ملكا لسعة المال لكنه (لم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم و) لا يتوقف
اصطفاؤه على ارث أو مال وليس بطريق التحكم بل لانه (زاده بسطة في العلم) أي علم المملكة
(والجسم) فجعله عظيم الجسم جميل الصورة مهيبا (و) ان كان لا يشترط شيء من ذلك في حق
الله اذ (الله يؤتي ملكه من يشاء و) لا يمكن التضييق عليه اذ (الله واسع) لكنه لا يتحكم لانه
(عليم و) من ظلمهم انهم لم يكتفوا بهذا البيان من نبيهم بل طلبوا منه الآية حتى (قال لهم
نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) صندوق التوراة (فيه سكينة من ربكم) اي سكون
قلوب بني اسرائيل يتقوون به على الحرب (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) وهي
أولادهما عصا موسى ونعليه وعمامة هرون فلما فسدوا غلب عليهم العمالقة وكان عندهم
الى ان أصابهم الدواهي فتشاءموا بالتابوت فأخرجوه الى الصحراء فأخذته الملائكة فأتت به
(تحمله الملائكة) بين السماء والارض وأنتم تنظرون فتضعه بين يدي طالوت (ان في ذلك
لآية لكم) على ملكه وعلى صدق لكم العاقبة دلالة اعجدكم (ان كنتم مؤمنين) بآياته
وأنبيائه ولما اعترضوا على نبيهم فيما سألوه وسألوا منه الآية عليها ابتلاهم الله فيما سألوه من
النهر لعطشهم (فلما فصل طالوت) فصل عن البلد (بالجنود) أي معهم وكانوا أغنياء الناس
الشبان الفارغين عن التجارة والدهقنة وغيرهما (قال ان الله مبتليكم) أي معاملكم
معاملة المختبر (بنهر) سال لخروجكم وقت القيظ (فمن شرب منه فليس مني) أي من
أشياعي الذين يقاتلون معي (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه (فانه مني) وليس من الشاربين أحد مني
(الا من اغترف غرفة) واحدة (بيده) الواحدة فانه لا يخرج بذلك عن كونه مني لانه في معنى
من لم يذقه (فشربوا منه) الى حد الارتواء (الا قليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر عدد أهل بدر
اقتصروا على الغرفة فكفتهم للشرب والارواء ومن لم يقتصر غلب عليه العطش واسودت
شفته (فلما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) فصدقوه اذ
لا ابتلاء (قالوا) أي المفرطون في الشرب (لا طاقة لنا اليوم) قبل رؤية جالوت (
وجنوده) اذ سلب الله شجاعتهم (قال الذين) اعترفوا بعزة بأيديهم لا بالى لهم مع أمر الله على
انا ان قتلنا لقينا الله اذ كانوا (يظنون أنهم ملاقوا الله) مع انا نرجو نصره لمتابعتنا
اذ (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) أي كثر غلبة الجماعة القليلة على الجماعة الـ

عروجبل احنف) وجنبي عفي واحد (وقبلهما ولا تم رهما) الاف وبخ الادو واف وبخ الاطعام ثم يقال لما يتنصل ويعبر منه اف وبعله (وقوله تعالى أف لكم ولما تعبدون) أي تبا لكم (قوله ثما لله أمرا ربع عليه)

لا لافراط قوة القليلة بل مع ضعفهم (باذن الله) أى بتيسيره (و) يرجى ذلك للصابرين اذ (الله مع الصابرين و) كما لم يجبنوا عند مجاوزة النهر لم يجبنوا لرؤية جالوت وجنوده ولم يعجبوا بشجاعتهم أيضا بل (لما برزوا) أى ظهروا (لجالوت وجنوده) اذ دنوا منه (قالوا ربنا أفرغ) اى أفض (علينا صبرا) فى قتالهم فلا نجزع للجراحات فلا نطلبه أولا لانه ملاك الأمر (وثبت أقدامنا) فى مكان الحرب فلا نهرب منه وهو سبب الصبر ثم طلبوا النصر المرتب عليهما فقالوا (وانصرنا) لانا مؤمنون بك (على القوم الكافرين) بك (فهزموهم) أى هؤلاء القليلون اولئك الكثيرين (باذن الله) اذ شجع القليلين وجبن الكثيرين (وقتل داود) الذى كان أضعف عسكر الضعفاء (جالوت) الذى هو رأس الاقوياء وروى انه عز وجل أوحى الى شمويل ان جالوت يقتله أصغر أولاد ايشى وكان مع أولاده السبع فى عسكر طالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته فى الطريق ثلاثة أحجار انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله فخص بهذه الشجاعة العظيمة التى قوى بها جماعة الضعفاء المحصورين وضعف بها جماعة الاقوياء الغير المحصورين (و) لم يقتصر فى حقه عليها بل (آتاه الله) مع ذلك (الملك) الذى استولى به على الاقوياء والضعفاء (والحكمة) التى لا نسبة لخير الملك الى خيرها الكثير (و) مع ذلك (علمه مما يشاء) من اسرار العلوم (و) انما قوى الله هؤلاء الضعفاء وأعطى بعضهم الملك والحكمة ومن سائر العلوم ليدفع فساد الاقوياء بالسيف والشبهات وسوء العشيرة اذ (ولولا دفع الله الناس بعضهم) من أهل الشر (ببعض) من أهل الخير (لفسدت الارض) أى مضى فسادها ولم يعد الى صلاح فهو وان قهر البعض ولم يقصد به عموم القهر بل دفع عموم الفساد للاوقات كيف وانما يتركه من لا يعم فضله (ولكن الله ذو فضل على العالمين) ولذلك انما قهر من قهر بعد اظهار الآيات على ألسن الرسل وقد أراد الآن ازالة الفساد العام أيضا بارسالك مع الآيات اذ (تلك) المذكورات من اماتة الالوف واحيائهم وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام جالوت وقتل داود اياه وتملكه (آيات الله) اذ هى أخبار غيوب تدل على كمال قدرته وحكمته ولطفه (نتلوها عليك بالحق) الثابت عند أهل الكتاب والتواريخ (وانك لمن المرسلين) بتلك الآيات وآيات أخر تفوق آيات الاولين ثم أشار الى انه عز وجل وان كان ذا فضل عام على الناس لم يكن رافعا للفساد من أصله لانه أوجب التفاوت فى الناس حتى الرسل الذين لهم غاية الكمال الانسانى اذ (تلك الرسل) جبرئيل واسمويل وموسى وهرون وداود ومحمد عليهم السلام ليسوا بالسوية بل (فضلنا بعضهم على بعض) اذ (منهم من كلم الله) كموسى عليه السلام بلا واسطة (ورفع بعضهم درجات) كداود آتاه الله النبوة والرسالة والخلافة والملك والحكمة فلا يبعد ان يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم درجات كتكليمه ليلة المعراج ورؤيته وتقريبه قاب قوسين وتعميم دعوته وتعظيم آياته وتحجيه وتكثيرها وتكثير فضائله العلمية والعملية (و) لا يمنع التفضل على موسى وداود (آتينا عيسى ابن مريم البينات) التى هى أكمل من آيات موسى وداود كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى

أى أصيب عليه مساسا مذابا (قوله عز وجل اخفيها) استرها وأظهرها أيضا وهو من الاضداد من اخفيت واخفيها أظهره الاغير من خفيت (قوله عز وجل ازلفت الجنة) قربت وادنيت (قوله تعالى اضمم يدك الى جناحك) أى اجمع يدك

(و) قد آتيناه مع الآيات الفعلية الآيات القولية أيضا اذ (أيدناه بروح القدس) ولابد
اختلاف اهل الكتاب فى عيسى بعد اتفاقهم على موسى وداود على نص عيسى اذ لم يكن ...
... نقلا من جهة بل عن عناد محض قدره الله عليهم ليهلكهم اذ بالغوا فيه حتى اقتتلوا
(ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أى من بعد اعلامهم بموسى وداود وغيرهما ...
ظهرت عليهم (من بعد ما جاءتهم البينات) على يدى عيسى ومحمد عليهما السلام ...
اياتهم فكان حقهم الاتفاق عليهما (ولكن اختلفوا) ولم يقتصروا على هذ ...
فى حقهما بل وقع فى حق الاولين (فمنهم من آمن) بموسى وداود وغيرهما اذ آمن بعيسى
عليهم السلام (ومنهم من كفر) بالكل ولم يقتصروا على الاختلاف بطريق ...
اذلم يردهم الله الى ذلك لعدم كونهما على التردد بل ردهم الى الجزم بالكفر لاقرا ...
(ولو شاء الله ما اقتتلوا) مع علمهم بانهم على الباطل (ولكن الله) رد عنادهم الى الجز ...
لانه (يفعل ما يريد) ولا يريد الا مقتضى استعداد المحل ولذلك أوقع التفاوت بين الناس
أشار الى ان الله تعالى وان خلق الناس متفاوتين فلا ينافى عموم تفضله اذ ... لهم
لتحصيل الفضائل وهيأ لهم أسبابه كالمال ينفق فى سبيل الله فيشترى به فى الدنيا فضيلة
وفى الآخرة رضوانه وجنته ويحصل به خلة الفقراء وشفاعة الاولياء منهم فقال (يا أيها ...
آمنوا انفقوا مما رزقناكم) لتشتروا منا الرضوان والجنة ولتحصلوا خلة الفقراء ...
اوليائنا (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) فيشترى الجنة والرضوان (ولا خلة) تسامحهم ...
(ولا شفاعة) فتخلص من النار (و) لم يمنع فضله الكافرين بابطال القابلية أو ...
الاسباب لهم بل (الكافرون هم الظالمون) بابطال القابلية وصرف الاسباب الى ...
بشراء أمتعتها وتحصيل خلتها او التوسل به الى شفاعة خواص الملوك اليهم وبالجملة صرف
المال فى غير مصرفه ثم أشار الى ان ظلمهم لا يختص بذلك بل وقع فى حق الله من جهات ...
... ينكر وجوده ومنهم من ينكر توحيده ومنهم من يقول بحلوله أو اتحاده ومنهم ...
ينكر كمال علمه ومنهم من ينكر كمال قدرته ومنهم من يشرك غيره فى صفات الكمال ...
... (الله) الواجب الوجود الذى له الوجود الحقيقى لا لغيره لا يشاركه فى ...
كماله ولا فى استحقاق العبادة غيره اذ (لا اله الا هو) وكيف يستحقها غيره وهو ميت لذاته ...
الحى) لذاته وحياة الغير من ظهور حياته فيه بل الغير معدوم فى ذاته اذ هو (القيوم) ...
القائم بذاته المقوم لكل ما عداه فوجود الكل من ظهور نور وجوده فيه ومن كان ...
... (لا تأخذه سنة) فتور تتقدم النوم (ولا نوم) حالة تعرض للحيوان من ...
... رطوبات أبخرة متصاعدة تمنع الحواس الظاهرة من الاحساس ...
... لانهما من التغيرات المنافية لوجوب الوجود الذى للقيوم ولو ...
النوم أو لا التزاما مع صريحا البدل كالتنبيه على ثبوت كمال ما ينافيه ومن ...
اختصاصه بملك العلويات والسفليات المشار اليه بقوله (له ما فى السموات) من ...

الجيب والجناح ما بين أسفل العضد الى الابط وقوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب يقال الجناح ههنا اليد ويقال العصا (قوله عز وجل اسلك يدك فى جيبك) أى ادخلها فيه ويقال الجيب ههنا القميص

والشمس

والشمس والقمر والكواكب (وما فى الارض) من الاصنام وغيرها حتى انه لا حكم لغيره بطريق الشفاعة يدفع بها ما يريده بل من افراط هيبته (من ذا) من الانبياء والملائكة فضلا عن الاصنام (الذى يشفع عنده) فضلا ان يقاومه أو يناصبه (الا باذنه) تحقيقا للعبودية على ان الشفيع انما يشفع بعد ان يعلم ذنب المشفوع له لكنه لا يعلم الا باطلاع الله اياه وهو بذاته (يعلم ما بين ايديهم) اى ما قدموا من الطاعات أو المعاصى (وما خلفهم) اى ما أخروا منهما (ولا يحيطون بشئ من علمه) الذى به مؤاخذته (الا بما شاء) وبمجرد اطلاعهم لا يمكنهم من الشفاعة اذا احاط ملكه بالكل لانه (وسع كرسيه) الذى به تصرفه فى العالم مما دون العرش (السموات والارض) فله ان يتصرف كيف شاء بلا معارض فلا يمكن للشفيع ان يشفع بدون اذن مالكه ومالك المشفوع له (و) كذلك أحاطت قدرته حتى انه (لا يؤده) اى لا يشقه (حفظهما) اى السموات والارض فلا يمكن للشفيع مقاومته ولا ان يحفظ عليه ما يريد اهلاكه أو تعذيبه وفيه اشارة الى انه لا يفتقر الى شريك ولا ولد وكيف يشق عليه (وهو العلى) اى الغالب على الكل كيف وهو (العظيم) الذى لا عظمة لغيره اذا اعتبر معه وإعلاؤه وعظمته لا يعلها الحوادث ولا يعلمها ولا يحدها وكيف لا يكون انكار هذه الامور أعظم ظلم منهم مع انها تكاد تكون ضرورية حتى انه (لا اكراه) على العقول فى التزامها بل (فى) جميع امور هذا (الدين) لان استفادة الدلائل ان لم يعقها التعصب أو عناد وقد ظهرت دلائله حتى انه (قد تبين) بهذه الآية وأمثالها (الرشد) منحصرا فى هذا الدين متميزا (من الغى) فى سائر الاديان تميزا لم يبق معه شبهة الا من جهة تسويل شيطان يأمر بالطغيان على الله أو وهم أو خيال يطغى على العقل (فمن يكفر بالطاغوت) اى بجميع ما يدعو الى الطغيان (ويؤمن بالله) الذى يدعو اليه العقل السليم والكشف المستقيم (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى بالحلقة القوية (لا انفصام) اى لا انقطاع (لها) بشبهة فان عرضت استعان عليها بالله (والله سميع) لدعوة من يستعين به (عليم) بما يقطع الشبهة من قلبه (الله ولى الذين آمنوا) اذا توجهوا عند تواردالشبهات على قلوبهم (يخرجهم من الظلمات) اى ظلمات الشبهات (الى النور) اى نور الدلائل المفيدة لليقين الماحى للشبهات بالكلية (والذين كفروا) انما تبقى شبهاتهم لرجوعهم فى دفعها الى شياطين الانس والجن فهؤلاء (أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور) اى نور الدلائل القطعية (الى الظلمات) اى ظلمات الشبهات (أولئك) لرجوعهم الى الطاغوت واتباعهم الشبهات دون الانبياء والاولياء والعلماء والدلائل القاطعة (أصحاب النار هم فيها) وان كانوا مجتهدين مع المعاندين (خالدون ألم تر الى) اخراج الطاغوت نمرود (الذى حاج ابراهيم) اى جادله (فى ربه) من نور نسبة الاحياء والاماتة اليه الى ظلمات نسبتهما الى نفسه واستعان الطاغوت على هذا الاخراج (أن آتاه الله الملك) الذى أقل شكره ان يعترف به (اذ قال ابراهيم) حين سأله من ربك الذى تدعونا اليه وذلك حين أخرجه من السجن للاحراق (ربى الذى يحيي ويميت) وأنت عاجز عنهما فلا تستحق الربوبية (قال)

(قوله اغمض من صوتك) أى انقص منه ومنه قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم أى ينقصوا من نظرهم عما حرم عليهم فقد اطلق لهم سوى ذلك (قوله عز وجل اركض برجلك) اضرب الارض برجلك والركض الدفع بالرجل ومنه ركضت

لست بعاجز بل (أنا أحيي) بمباشرة المرأة (وأميت) بالقتل (قال ابراهيم) أريد ا…
والاماتة بنفخ الروح واخراجه وأنت عاجز عن تحريك بعض الاجسام المتحركة الى…
بتحويلها الى أخرى مع ان أصل التحريك من آثار الحياة فاذا عجزت عن أثر من آ…
وجود مثله فأنت عنها في غاية العجز (فان الله يأتي بالشمس) بتحريك فلكها على
حركته الخاصة (من المشرق) الى المغرب (فأت بها) بتحريك فلكها على حركته الخاصة (…
المغرب) الى المشرق ان قدرت على مقاومته (فبهت الذى كفر) اى غلب بالحجة من ثبت ك…
الكمه لم يخرج من ظلمته لاصراره على العناد الذى هو أجل وجوه الظلم (و…
بالحجج والدلائل (القوم الظالمين) بالعناد (أو) ألم تر الى (كالذى) اى مثل عزير…
أو ارمياء … ليخرج من الظلمات الى النور بطريق لا تطلبه حين (مر على قرية)…
ت المقدس (وهي خاوية) اى حيطانها ساقطة (على عروشها) اى سقوفها السقوطها…
خربها بختنصر (قال) استعظاما لقدرة المحيي واستصغارا لنفسه عن معرفة…
الاحياء (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) اى كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها…
كالوقوع في الظلمات فأراه الدليل على الاحياء الحقيقي في نفسه مبالغة في قلع…
… ايا له منها الى النور (فأماته الله) وتركه ميتا (مائة عام) ليندرس بالكلية (ثم بعثه)
… روحه الى بدنه وبعض اجزائه الى بعض بعد تفرقها ولما التبس عليه أمر…
وم سأله عن مقدار لبثه لعلمه ان اللبث في النوم لا يمكن هذه المدة وذلك اذ (قال…
كان قد مات ضحى وبعث بعد المائة قبل غروب الشمس (قال) قبل النظر الى الشمس…
وما) ثم التفت فرأى بقية فقال (أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) فان ترددت…
طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير اذ لو لم يكونا معادين لكانا بطول الزمان متغير…
…) لو امكن بقاؤهما على حالهما (انظر الى حمارك) كيف صار عظاما ولا…
… ليكون لك آية على البعث (ولنجعلك آية للناس) على البعث…
… ابك وحمارك (و) لو أردت معرفة كيفية…
(انظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف ننشزها) أى نرفع بعضها على بعض ونركـ…
(ثم نكسوها لحما فلما تبين له) اعادته مع طعامه وشرابه وحماره بعد التلف الكلي…
كيفية الاحياء (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) نخرج من الظلمات الى النور (و) اذ
لتقبل قصة المار على القرية في الاخراج من الظلمات الى النور بالاحياء قصة ابراهيم (…
ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال) مع علمه بأنه اكمل الناس ايمانا ليظهر…
في الجواب فيعلمه السامعون (أ) تشك في قدرتي على الاحياء ووعدي به (ولم تؤمن قال بلى
آمنت (ولكن) سألت (ليطمئن قلبي) برؤية الاحياء فوق طمأنينته بالوحي…
(قال) ان أردت الطمأنينة (فخذ أربعة) أى أربعة افراد (من) اجناس (الطير)
هو أعلى من الحيوانات الارضية والمائية (فصرهن) أى اضممهن…

الدابة اذا ضربتها برجلك
ويقال اركض برجلك
ادفع برجلك (قوله تعالى
أولى اجنحة مثنى وثلاث
ورباع) أى لبعضهم
جناحان ولبعضهم ثلاثة
ولبعضهم أربعة (قوله
عز وجل أم القرى) اى
أصل القرى لان الارض
دحيت من تحتها يعني مكة

تلتبس

يلتبس عليك بعد الاحياء (ثم) اذبحهن وجزئهن و(اجعل على كل جبل) بحضرتك وكانت اربعة أو سبعة (منهن جزأ ثم ادعهن) بتعالين (يأتينك سعيا) أى مسرعات فأخذ طاوسا وديكا وغرابا وحمامة أونسرا فذبحهن ونتف ريشهن وأمسك رؤسهن وخلط سائر أجزائهن ووزعها على الجبال ثم ناداهن فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صرن جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضممن اليها وفيه اشارة الى ان من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه بقتل حب الشهوات والزخارف الطاوسية والصولة الديكية والخسة والامنية الغرابية ومسارعة الهوى الحامية والاقبال على القوى البدنية بقتلها أو من جهة التنكر صورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع (واعلم ان الله عزيز) لا يعجزه مراد (حكيم) لا يحيى قبل القيامة فى مستمر العادة لئلا يكون الجاء الى الايمان بالبعث واعتبارا كما لسبق ايمانك الذى قصدت الطمأنينة فيه ثم أشار الى أن هذا الاحياء كما يخرج عن ظلمات الاعتقادات الى نورها يخرج عن ظلمات الاخلاق والاعمال الى نورها اذ يعتقد انه كما يحصل الاحياء بطريق الاثبات يحصل الجزاء بطريق الاثبات أيضا حتى ان الاعمال المالية كذلك فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) القيت فى الارض ثم (أنبتت) ساقا انشعبت سبع شعب خرج من كل شعبة سنبلة فصارت (سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) أى عدد كثير من الحبات وهذا فى الذرة والدخن كثير وفى البر فى الاراضى المغلة فالمال حبة وسبيل الله أرض المزرعة وقبول الساق وتربيته الشعب على عدد صفاته السبع والسنابل تجلى تلك الصفات فى العبد والحبات آثار ذلك التجلى فى العبد (والله يضاعف) هذا التضعيف أو أكثر منه (لمن يشاء) بحسب النيات والاستعدادات (و) لا يعدم فضله اذ (الله واسع) لا يتضيق عليه ما يتفضل به لكن لا يتسع فى حق الكل لانه (عليم) بالنيات والاستعدادات ولو قيل اذا كان الانفاق كالقاء البذر وهو محل الآفات الكثيرة فهو تضييع للحاضر لامر مشكوك اجيب بأن آفات الانفاق ليست سماوية بل من المنفق فعليه ان يحفظ نفسه من المن والاذى والرياء (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) لا فى سبيل غيره كالرياء (ثم لا يتبعون) أى لا يعقبون (ما انفقوا منا) أن يعتد باحسانه على من احسن اليه (ولا أذى) أن يتطاول عليه بالانعام (لهم أجرهم) المضاعف (عند ربهم) ادخر لهم الصدقة (ولا خوف عليهم) من آفة سماوية فى الاستقبال (ولا هم يحزنون) لها فى الحال وانما منع تعقيبهما لان منع الصدقة مع عدمهما خير من الصدقة مع أحدهما اذ (قول معروف) أى رد جميل للسائل (ومغفرة) بنيلها من الله بذلك القول (خير من صدقة يتبعها أذى) اذ لا يحصل للصدقة ثواب ولا به مغفرة ويحصل اثم الاذى والمن قريب منه وان لم يحصل به اثم (والله غنى) عن طلب صدقة لعبده مع الاذى لهم أو المن عليهم (حليم) عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة ولو قيل كيف يكون منع الصدقة مع عدم الاذى خيرا من الصدقة معه أمع ان ثواب الصدقة أعظم فلو اجتمع سيئة الاذى فلا أقل من ان تبقى فى

(قوله عزوجل أم الكتاب) أصل الكتاب يعنى اللوح المحفوظ (قوله عزوجل أولوا العزم من الرسل) نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى جميع الانبياء السلام (قوله عزوجل ازدجر) افتعل من الزجر وهو الانتهار (قوله عزوجل الحم

مـه حسنا دلايجوزها السيئة الدرعسة أجيب بانه يبطلها مادونها فضلا عنها (يا
الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فانهما اصابا ما شاءت الاحسان المعد
فى الصدقة والمال مبطل كالرياء فصار المنان والمؤذى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس
و) لايقبل لانه كالذى (لايؤمن بالله واليوم الآخر) ادمقتضى هذا الايمان العمل
وطلب اجر الآخرة وليس هذا من الصدقة الممثلة بالبذر المنبت سبع سنابل (فمثله) اى
هذا المنفق رئاء (كمثل) من ألق بذره على (صفوان) هو الحجر ألقى عليه اذ (عليه تراب) رجاء
انباته لو دام مع سبب الانبات وهو الماء لكن لايدوم معه اذا ألقى عليه البذر (فاصابه
وابل) لم يبق عليه تراب ولا بذر (فتركه صلدا) أى املس لاشئ عليه فالمرائى لم ينفق
فى سبيل الله وان توهم انه سبيله نظرا الى المصرف وكان سبيل الشيطان لبس عليه والمان
والمؤذى قد انتقلا من سبيل الله اليه ما ازال نوال العدل الالهى فكما لايقدر الزارع
على الصفوان على تحصيل الغلة قليلها أو كثيرها (لايقدرون) أى المرائى والمان والمؤذى
(على) تحصيل (شئ مما كسبوا) اى من ثواب ما عملوا اذ لم ينظر والى الثواب الاخروى
فاشبهوا الكفار (والله لايهدى القوم الكافرين) الى تحصيل الثواب الاخروى فكذا
اشباههم ثم أشار الى ان الزرع ليس مثال كل صدقة بقوله أيضا بل منها ما يثمر اضعافا
(ومثل الذين ينفقون اموالهم) لا لرياء ولا للاجر الدنيوى ولا الاخروى بل (ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم) فى محبته بقطع محبة ما سواه فهو فى تضعيف مراتب القرب (كمثل
غارس (جنة) أى بستان (بربوة) أى موضع مرتفع فان عظم عليه الفيض الالهى
تربه فصار كأنه (أصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان) لم يعظم فلا يتمنى فيض ما كان
الجنة ان (لم يصبها وابل فطل) ليس التفاوت بالتحكم بل بحسب حال العمل فانه يتما
وان قصد به طلب رضا الله وتثبيت النفس بل هو أشد تماوتا من الذى طلب به الاجر اذ (الله
بما تعملون بصير) ولو قيل ينبغى ان لايبطل بالمن والاذى ما قصد به طلب رضا الله وتثبيت
النفس اذ ليس مثاله الزرع أصلا حتى يكون كالزرع على الصفوان بل مثاله الجنة بالربوة
التى لاتضيع بوابل ولا بطل اجيب بانه كما انقلب المثال فى حق المنان والمؤذى من الزرع
المنبت سبع سنابل الى الزرع على الصفوان انقلب هنا الى البستان المحترق (ايود أحدكم
ان تكون له جنة من نخيل واعناب) هما مثالان للمراتب الشريفة (تجرى من تحتها الانهار)
هو مثال ازدياد الشرف المترتب بالمعارف ونحوها (له فيها من كل الثمرات) هو مثال نور
القرب (وأصابه الكبر) هو مثال العجز عن اكتساب ما زال عنه من الدرجات العالية (وله
ذرية ضعفاء) هو مثال شدة احتياجه الى ما ليس عنه الا ايالى بالنزول عنه او اختير
(فأصابها اعصار) أى ريح هو مثال المن والاذى (فيه نار) هو مثال غضب الله (فاحترقت)
أى الجنة (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم) بجميع (الآيات

بطواهرها

اصلت (قوله عز وجل
اجلت) احرقت (قوله
تعالى الاخدود) هو شق فى
الارض وجمعه اخاديد
(باب الالف المكسورة)
(قوله تعالى اهدنا) اى
ارشدنا (قوله عز وجل
استوقد) بمعنى أوقد (اذ)
وقت ماض (واذا) وقت
مستقبل (ابليس) افعيل

بظواهرها (لعلكم تتفكرون) فى اسرارها ثم أشار الى انه انما يمثل بالزرع المنبت سبع سنابل أو بالجنة بربوة ما انفق من الجيد فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى الايمان الانفاق من الجيد سيما ما يطلب به رضا الله وتثبيت النفس (انفقوا من طيبات) أى جيدات (ما كسبتم) بتجارة أو صناعة (ومما) أى ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعدنيات (و) لو وقع الردى فى مخرجكم من غير قصد أو اختلط فربما يربى فيه القبول ولكن (لا تيمموا) أى لا تقصدوا (الخبيث) وحده (منه تنفقون) أى تخصونه بالانفاق منه (و) لو كان لكم دين على أحد فاعطاكم فيه (لستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) بالمسامحة عليه (واعلموا) انكم انما تأخذونه عند المسامحة لحاجتكم و (أن الله غنى) كيف يقبل الردى وهو ذم والله (حميد) من كل وجه وكيف يقبله الله وانفاقه بأمر الشيطان اذ (الشيطان يعدكم الفقر) فى الانفاق (و) ان أصررتم على الانفاق (يأمركم بالفحشاء) أى بغاية القبح وهو قصد الردى وكذلك يأمركم بسائر أنواع الفحشاء من الرياء والانفاق فى المعاصى من غير تذكير للفقر فيها بل يوهم فيها تحصيل الجاه الجاذب للاموال (والله يعدكم) بالانفاق سيما من الجيد (مغفرة منه) للذنوب حتى يسقط البليات من أجلها فى الدارين (وفضلا) بتعويض الاضعاف أو تعظيم الدرجات ولا يتوهم عليه خلاف الوعد لانه انما يكون بالضيق (والله واسع) وانما ضيق على من ضيق لانه (عليم) باستعداده ثم أشار الى انه انما لا يغتر بوعد الشيطان ويوقن بوعد الله من آتاه الله الحكمة ولكنه عز وجل انما (يؤتى الحكمة) وهى اتقان العلم والعمل (من يشاء) لا كل أحد كيف (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) انتظام أمر الدارين فتكون موجبة لاهلها لكمال قوتيه النظرية والعملية (وما يذكر) غوائل وعد الشيطان وفوائد وعد الله وجوبا حتى يجانب الاول ويلازم الثانى (الا أولوا الالباب) أى الاسرار ثم أشار الى ان من دواعى التذكير فى غيرهم النظر الى علم الله فقال (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر) يؤل الى الانفاق (فان الله يعلمه) فلا حجة للعوام بانهم لم يكن لهم ما يتذكر به من الاطلاع على الاسرار ويجب على الكل الاكتفاء به (و) بالجملة (ما للظالمين) وهو من لا يكتفى بعلم الله أو ينفق من الردى أو يمن أو يؤذى (من أنصار) أى حجج تنصرهم ثم أشار الى ان اظهار الصدقات لا ينافى الاكتفاء بعلم الله اذ يكفى ترك المبالاة بنظر الخلق بل (ان تبدوا) أى تظهروا (الصدقات) غير مبالين بعلم الخلق (فنعما هى) أى نعم شيأ هى أى احسن من كل وجه لانه يجمع المستحقين ويرفع التهمة ويدعو له كل من يسمع من محتاج وغيره ويفيد اتباع الناس اياه (وان تخفوها) مخافة الرياء وسترا لعار الفقراء (و) مع ذلك (تؤتوها الفقراء) أى جميع المستحقين (فهو خير لكم) لا يتعداكم الى الاتباع الحاصل لكم من الاخلاص الذى عجزتم عنه مع الابداء (و) استركم عار الفقراء (يكفر عنكم من سيئاتكم و) لا تضركم التهمة اذ (الله بما تعملون خبير) فربما يزيل عنكم التهمة وان ابقاها فلا تضركم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر

من أبلس أى يئس ويقال هو اسم أعجمى فلذلك لا ينصرف (قوله ارهبون) انما حذفت الياء فاتقون وانما حذفت الياء لانها رأس آية ورؤس الآيات ينوى الوقف عليها والوقوف على الياء يستثقل فاستغنوا عنها بالكسرة (اسرائيل) يعقوب عليه السلام (قوله عز وجل اهبطوا)

التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة أفضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ثم أشار الى انه وان بينت لهم فوائد الصدقتين ودرجاتهما فليس لك ايصالهم اليها اذ
(ليس عليك هداهم) ايصالهم الى الله والى ثوابه ودرجات قربه (ولكن الله يهدي) عقيب
بيانك باجراء سنته بخلق الاشياء عقيب أسبابها الاعلى سبيل الوجوب بل على سبيل الاختيار
(من يشاء) بخلق الهداية فى قلبه (و) هى أن (ما تنفقوا من خير) صدقة أو صلة أو غيرهما
(فلأنفسكم) بالحقيقة لان المنفق عليه انما يقضى بها حاجته الفانية ويحصل لكم بها الثواب
الابدى (و) ليس ما تنفق لطلب الاجر نفعة يعتد بها بل (ما تنفقون) نفقة كاملة (الا)
ما تنفقونه (ابتغاء وجه الله) اذ يحصل بها القرب من الله ولا نسبة للاجر الى القرب (و) تقرب
ليس بمانع من الاجر بل (ما تنفقوا من خير) ابتغاء وجه الله (يوف اليكم) بفوائد
القرب والثواب الاخروى والدنيوى (و) بالجملة (أنتم لا تظلمون) فى المعاملة مع الله مهما
اذا كان عطاؤكم (للفقراء) أى المحتاجين الى النفقة ليتفرغوا الى العبادة لانهم (الذين
احصروا) أى حبسهم قصد العبادة (فى سبيل الله) حتى انهم (لا يستطيعون) من فرط
اشتغالهم بالعبادة (ضربا) أى ذهابا (فى الارض) لا كتساب أو سؤال ولتركهم اياه مع
قيامهم بالعبادة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء) لا من اشتغالهم فى المآكل والملابس بل
(من التعفف) عن السؤال مع عدم الاكتساب (تعرفهم بسيماهم) وان سألوا عن الضرورة
(لا يسألون الناس الحافا) أى الحاحا بالازمة (و) لا يختص هؤلاء بالانفاق عليهم بل
(ما تنفقوا من خير) ولو على المطين وعلى من لم يتحقق فقرهم أو لم تشتد حاجتهم (فان الله)
يجازيكم عليه بقدر استحقاقكم اذ هو (به عليم) ثم أشار الى أنه كما لا يختص الا ...
بالكامل من المستحقين لا يختص بالكامل من الاوقات والاحوال بل (الذين ينفقون
أموالهم بالليل) وان عسر فيه اجتماع المستحقين (والنهار) وان خيف فيه الرياء (سرا)
ولوفى الليل (وعلانية) ولوفى النهار (فلهم أجرهم) أكمل مما يستحقونه لكونه (...)
الذى ربى صدقتهم فيهما (ولا خوف عليهم) من التشبه بفعل المرائى فى النهار مع ...
ولا من عدم استيعاب المستحقين أو من التهمة فى الليل مع السر (ولا هم يحزنون) ...
لهم من النقص الضرورى بهذه العوارض ثم أشار الى أن الخوف والحزن ...
بالانفاق من مال الربا فى سبيل الله اذ لا يملكه صاحبه و ...
بالتعويض من غير عوض فى الواقع فالبيع مقابلة عين أو منفعة بعين أو ...
من تحقق العوضين بجميع أجزائهما حالا أو مآلا ولا تحقق لبعض أجزاء أحد العوضين
فى الربا لانه بيع نقد بنقد أو مطعوم بمطعوم الى أجل أو بيع أحدهما ...
والمقابلة فى غير الجنس تقع بمجموع أحد العوضين لمجموع الآخر لا باعتبار الاجزاء
الجنس باعتبار الاجزاء فلا يبقى للزائد مقابل لكنه عفى عنه فى غير الربويات لقلة الحاجة
... كليا والفاضل فى الربوبين المتفقين باعتبار الاجل خارج عن ...

(منها) الهبوط الانحطاط من علو الى سفل بالضم والكسر جميعا (قوله تعالى اهبطوا مصرا) اى انزلوا مصرا (قوله عز وجل ادارأتم) أصله تدارأتم اى تدافعتم واختلفتم فى القتل اى ألقى بعضكم على بعض فادغمت التاء فى الدال لانهما من مخرج واحد فلما أدغمت سكنت

المجموع

المصروع لانه لولا الاجل لم يؤخذ الفاضل فهذا خبط فى المقابلة لذلك كان مآلهم الى الخبط كما قال (الذين يأكلون الربوا لا يقومون) من قبورهم (الا كما يقوم) المصروع (الذى يتخبطه الشيطان) أى يوقعه فى الخبط وهو ضرب على غير اتساق (من المس) أى من مس الشيطان اياه على ما يزعمون أن اختلاط العقل انما يكون من مسه فيكون ثم وضعهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم بل لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوا فأثقلهم (ذلك) القيام الخبط (بأنهم) ضموا الى قبيح المعاملة قبح الكفر حتى (قالوا) أولا انما الربا مثل البيع فى تحصيل الربح ثم جعلوا المشبه به مشبها للمبالغة فقالوا (انما البيع مثل الربوا) فجعلوا الربا أصلا يقاس به البيع (و) هو قياس باطل لانهم ردوا به النص اذ (أحل الله البيع وحرم الربوا) فكانوا قائلين ان المحرم الله بقياسهم مع ظهور الفرق اذ ليس فى البيع اعتبار مقابلة مع عدمها فى الواقع بخلاف الربا الكريم لا يؤاخذون به قبل النص (فمن جاءه موعظة) أى زجر (من ربه فانتهى) أى تبع نهيه (فله ما سلف) لا يسترد منه ما أخذ لانه كالمجتهد المخطئ (وأمره الى الله) ان شاء آخذه لظهور الفرق وان شاء عفا عنه لان الفرق وان ظهر لارباب النظر يجوز أن يخفى على العوام (ومن عاد) الى تحليل الربا بعد النص (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لكفرهم بالنص وردهم اياه بقياسهم الفاسد بعد ظهور فساده ثم أشار الى أن الربا كما يتضمن الضرر الاخروى ففيه ضرر دنيوى والصدقة كما تتضمن النفع الاخروى تتضمن النفع الدنيوى أيضا اذ (يمحق الله الربوا) أى يذهب بركته ويهلك المال الذى يقع فيه (ويربى الصدقات) وانما يمحق الربا لان صاحبه ان استحله فكافر والا فأثيم (والله لا يحب كل كفار أثيم) وانما يربى الصدقات لانه نتيجة الايمان والاعمال الصالحة (ان الذين آمنوا) فرجح ايمانهم أمر الله الانفاق على حبهم للمال (وعملوا الصالحات) المنبعثة عن الاخلاق التى من جملتها الجود (وأقاموا الصلوة) التى تنهى عن الفحشاء والمنكر التى من جملتها الاخلاق الذميمة التى من جملتها الشح (وآتوا الزكوة) التى هى أجل أسباب فضيلة الجود (لهم أجرهم) الكامل من كل وجه لكونه (عند ربهم) فيكمل فى الدنيا والآخرة (ولا خوف عليهم) من منع الاجر الدنيوى من الاخروى (ولا هم يحزنون) من نقص الاجر الاخروى بالدنيوى ثم أشار الى أنه انما يمحق الربا بغضبه على صاحبه لابطاله حكمة الله فى خلق الاموال فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) ابطال حكمته فانه مقتضى الايمان به (وذروا ما بقى من الربوا) على الغرماء فانه أقل مقتضى التقوى بل مقتضى الايمان فتركونه (ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا) ترك ما بقى كنتم متهاونين بأمره ومن تهاون بأمر ملك حاربه (فأذنوا) أى اعلموا (بحرب) عظيم (من الله ورسوله) التابع لامره باوصلها (وان تبتم) من الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس) أى أصول (أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقص والمطل هذا اذا كان المديون موسرا (وان كان ذو عسرة) بالكل أو البعض (فنظرة) أى فالواجب امهال بقدر ما أعسر (الى ميسرة) بذلك القدر (وأن

فاجتلبت لها ألف الوصل للابتداء وكذلك اداركوا واثاقلتم واطيرنا وما أشبه ذلك (قوله تعالى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) اختبره بما تعبده به من السنن قيل وهى عشر خصال خمس منها فى الرأس وهى الفرق فرق الشعر وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى البدن الختان وحلق

تصدقوا) بابراء المدين أو بعضه (خير لكم) لانه ربما لايحصل البدل فى الحال فيأخذ ما يساويه فى الآخرة والصدقة تتضاعف الاضعاف المذكورة (ان كنتم تعلمون) حقائق الاعمال ثم أشار الى أن الدائن ان لم يتصدق فحقه أن لا يضيق على المديون باستيفاء جميع حقه والى أن حق المديون أن يوفى حق الدائن لئلا يستوفى منه الباقى بالقاضى فقال (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت) فان استوفى الدائن حقه بالتضييق على المديون استوفى الله منه حقه بالتضييق وان سامحه فالله أولى بالمسامحة والمديون ان لم يوف حق الدائن مع قدرته على الاداء استوفى الله منه حقه وأما من لا يقدر فيرجى أن يعفو الله عنه ويرضى خصمه بعوض من عنده فان زعم الدائن أنه بالاستيفاء بالتضييق غير ظالم أو زعم المديون أن اعطاء الباقى بالقاضى غير ظالم قيل (وهم لا يظلمون) أما الدائن فلان الله استوفى حقه منه غير ظالم وأما المديون فلانه انما استوفى منه الباقى بالقاضى لتقصيره فى الاداء ولا سبيل الى تعطيل الحقوق فى العدل الالهى ثم أشار الى أن استيفاء الحقوق فى الدنيا انما يتيسر بالكتابة سيما فى الديون المؤجلة لغلبة النسيان بعد طول المدة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الداعى الى الايفاء والاستيفاء بلا زيادة و بلا نقص للولى والوصى والوكيل اكم (اذا تداينتم بدين) وان قل سيما اذا كان (الى أجل مسمى) بالايام والشهور ولا المعلوم وقدوم الحاج (فاكتبوه) استحبابا (وليكتب بينكم) مبالغة فى قطع النزاع بينكم (كاتب) شرط لا يميل الى جانب لانه متصف (بالعدل ولا يأب) أى ولا يمتنع (كاتب) من (أن يكتب كما علمه الله) من شرائط الاقرار والدعوى وليس هذا مما يتسامح فيه بل هو كالواجب (فليكتب وليملل) المديون (الذى عليه الحق) على الكاتب لانه المقر الملتزم وعليه (وليتق) الكاتب (الله ربه) الذى رباه بتعليم الكتابة والعبارة أن يغير على المملى بالزيادة عليه أو بالنقص فى مال صاحبه (ولا يبخس) أى لا ينقص (منه) أى مما عليه (شيئا) من صفات الدين وشروط الاقرار والدعوى هذا اذا كان المديون رشيدا قويا فى نفسه مستطيعا على الاملاء (فان كان) المديون (الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل (أو ضعيفا) لمرض أو هرم يشق عليه الاملاء (أو لا يستطيع أن يمل هو) لجهله باللغة أو بالشرع (فليملل وليه) أى من يقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم فانه وان لم يكن لنسبة الاقرار فلنيابته عن الكتابة ثم يراجع الصاحب ان أمكن والا فالولى ملتبسا (بالعدل) لا يميل الى المديون ولا الى الدائن ثم أشار الى أن الكتابة وان روعى فيها ما ذكر لا يؤمن معها النزاع [illegible] لقطعه من الاستشهاد فقال (واستشهدوا) ندبا (شهيدين) لان ولاية [illegible] ن تقويتها (من رجالكم) المسلمين اذ لا ولاية للمرأة وان صلحت للتقوية ولا عدالة [illegible]) أى الشاهدان (رجلين فرجل وامرأتان) فانهما يقومان مقام الر[illegible] تقوية ولاية الشاهد الرجل لكنه يختص بالاموال بشرط أن يكون الكل (ممن ترضون من الشهداء) لاتصافهم بالاسلام والعدالة وعدم العداوة والغفلة والتهمة وا[illegible]

العامة والاستفتاء وتعليم الاطفال ... أى نصلحهم ... وليدع ... من شيئا (وقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما) أى يأتم بك الناس فيتبعونك ويأخذون عنك وبهذا سمى الامام اماما لان الناس يؤمون أفعاله أى يقصدونها ويتبعونها ويقال للطريق امام لانه يؤم أى يقصد ويتبع (ومنه قوله عز وجل وانهما

مع ذلك فى المرأة التعدد كراهة (أن تضل احداهما) لقصور عقلها (فتذكر) عند التعدد (احداهما الاخرى) الضالة ثم أشار الى أنه وان ندب الاستشهاد حرم على الشهود الاباء فقال (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاقامة الشهادة اذ به يتلف الحق جزما وكان بترك الاستشهاد محتملا ثم أشار الى أنه لا يتيسر الشهادة للشهداء بعد طول المدة الا بالكتابة فقال (ولا تسأموا) لا تملوا أيها الشهداء (أن تكتبوه) أى الحق الذى تحملتم الشهادة فيه (صغيرا) كان (أو كبيرا) وان كان مؤجلا كتبوه (الى أجله ذلكم) أى المذكور من الكتابة (أقسط) أى أكثر قسطا من الاجر للشهداء (عند الله) لانهم أعانوا المتداينين بتحمل الشهادة والكتابة (وأقوم) أى أعون (للشهادة) أى لاقامتها اذ بها يتم الاعتماد على الحفظ (وأدنى) أى أقرب فى (ألا ترتابوا) أى لا تشكوا فى جنس الدين وقدره وأجله بتشكك أحد المتداينين (الا أن تكون تجارة حاضرة) أى حالة (تديرونها) أى تكثرون ادارتها (بينكم) فتصعب عليكم كتابتها مع قلة الحاجة اليها (فليس عليكم جناح) فى (ألا تكتبوها) وان كان قد يقع فيها النزاع فذلك نادر (و) لكن (أشهدوا) استحبابا (اذا تبايعتم) شيأ خطيرا وان كان العوضان مقبوضين مبالغة فى قطع النزاع (ولا يضار كاتب) بمنع جعله (ولا شهيد) بمنع مؤنة مجيئه من مسافة (وان تفعلوا) الضرار (فانه فسوق) أى خروج عن طاعة الله ضار (بكم واتقوا الله) ان يأخذ بافيكم بفقائكم ويعذبكم بالخروج عن طاعته وكيف تخرجون عن طاعة الله (ويعلمكم الله) مصالحكم فان لم تعلموا وجه المصلحة فيه فيكفى فيها كونه من الله (والله بكل شئ عليم) ثم أشار الى أنه انما يكتب اذا تيسر فان لم يتيسر فالأولى الارتهان فقال (وان كنتم) راكبين (على سفر ولم تجدوا كاتبا) وان وجدتم الشهود (فرهن) أى فالذى يستوثق به رهن (مقبوضة) يقبضها الراهن هذا اذا لم يأمن البعض البعض بلا وثيقة (فان أمن بعضكم بعضا) واستغنى عن الارتهان (فليؤد الذى اؤتمن) دينه الذى جعله الدائن (أمانته وليتق الله ربه) فى منع حقوق عبيده (ولا تكتموا) أيها الشهود سيما عند عدم الكتابة (الشهادة ومن يكتمها) كانت معصية أعظم من معاصى اللسان والجوارح المؤثرة فى القلب بواسطتها (فانه آثم قلبه) بلا واسطة لان الكتمان فعله (والله بما تعملون) بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم (عليم) وان لم يعلم الناس بعضها ولا يبعد على الله تأثيم القلب اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) والقلب من جملة ما فيهما وخواطره وان كانت من غير اختيار فله أعمال اختيارية بعضها يتوقف تمامه على فعل اللسان أو الجوارح وبعضها لا يتوقف كالنفاق وكتمان الشهادة والحسد (وان تبدوا) أى تظهروا (ما فى أنفسكم) من الافعال الاختيارية بالسان أو الجوارح (أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) فى غير الكفر (ويعذب من يشاء) فيما أبدى أو أخفى مما لا يتوقف تمامه على فعل اللسان والجوارح (و) لا يبعد من الله تعذيب القلب وان كان مجردا اذ (الله على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبه بما يضاده لقدرته على ايجاد ضده مع

للامام مبين) أى لطريق واضح يمرون عليه فى أسفارهم يعنى القريتين الهالكتين قوم لوط وأصحاب الايكة فيرونهما ويعتبرون بهما من خاف وعيد الله تعالى (والامام) الكتاب أيضا (ومنه قوله عز وجل يوم ندعوا كل أناس بامامهم) اى بكتابهم ويقال بدينهم (والامام) كل ما ائتممت به واهتديت به (قوله عز وجل اصطفى)

تجرده ولما كان قه أن يغفر ويعذب لم يكن بد من اعلام ما يعذب عليه وهو ...
يكون من تكليف الفاعل واعلام الكل بلا واسطة يكاد يكون ملجئا الى ...
فلابد من واسطة هو الرسول ولابد من ايمانه أولا ليتبعه المرسل اليه لذلك (آمن الرسول بما
أنزل اليه) من التكليف (من ربه) بمقتضى ربوبيته (والمؤمنون) آمنوا بذلك اذ ...
... أصل التكاليف الايمان وأصله الايمان بالمكلف ثم بالوسائط على ترتيب
(كل آمن بالله) المكلف (وملائكته) الآتين بالتكليف منه الى عباده (وكتبه) المشتملة
على تفصيل ذلك التكليف (ورسله) الواصل اليهم التكليف أولا ثم أشار الى أن ...
الكتب والرسل في بعض الفروع لا يوجب التفريق لذلك قالوا (لا نفرق بين أحد من رسله)
بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لاتحاد موجب الايمان وهو ظهور المعجزة بلا معارض
ما يكذبه من دعوى المحال وخيانة النفس ثم أشار الى المقصود من ...
اعتقادا وعملا فقال (وقالوا سمعنا وأطعنا) ولما علموا أنهم لا يخلون عن ...
الرب يغفر ان يشاء قالوا (غفرانك ربنا) كيف لا نستغفرك اذ (اليك) باليوم الآخر
(المصير) أي مصيرنا بعد الموت وهذا ايمان باليوم الآخر وقد كان هو الأولى ...
أولا لكن لما أشبه العلة الغائية أخر في الوجود تأخيرها ثم أشار الى أن ...
لم يكن لأن الله كلفهم بما لا طاقة لهم اذ (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) بل قصروا ...
ما يطيقونه من الطاعات أو فعل ما يطيقون تركه من المعاصي اذ علموا أن كل نفس
(لها ما كسبت) من الطاعات (وعليها ما اكتسبت) من المعاصي أو رد الا ...
النفس تشتهيه وتنجذب اليه نفسها احتيال بخلاف الخير ولما علموا أن الخطأ والنسيان ...
وان كان غير معذور بين منشؤهما تفريطه وقلة مبالاته قالوا (ربنا لا تؤاخذنا ...
أمرك ونهيك (أو أخطأنا) بالتباس المأمور بالمنهي أو بالعكس ولما علموا أن في ...
ما يصعب على النفس كقتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب ...
وصرف ربع المال في الزكاة قالوا (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أي عبأ ثقيلا يحبس ...
في مكانه (كما حملته على الذين من قبلنا) من الأمم السالفة ولما فرغوا من الدعاء ...
الى التكليف دعوا في دفع شدائد البليات فقالوا (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)
بليات الدنيا والآخرة ولما علموا أنها بسبب الذنوب قالوا (واعف عنا) أي امح عنا ذنوبنا ...
... يرسل علينا بلية في الدنيا ولا في الآخرة (واغفر لنا) أي استرلنا ذنوبنا فلا ...
... من أشد البلايا ثم قالوا (وارحمنا) أي تفضل علينا بالرحمة مع كوننا مقصرين ...
... من هو أشد تقصيرا منا وهم الكفار وقد مر البنا بالايمان فاذن ...
... الا لمن أراد تمييزه عن الأعداء وأولاه النصر عليهم (فانصرنا) لانا ...
(على القوم الكافرين) الذين هم أعداء أوليائك والله الموفق الملهم والحمد لله رب العالمين ...
... الارض وملء ما شاء الله من شيء بعد حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وصلى ...

(استجاب) أي
اختار (اعتمر) أي زار
أجاب (اعتمر) أي زار
البيت والمعتمر الزائر قال
الشاعر
وراكب جاء من تثليث
معتمرا
ومن هذا سميت العمرة
لأنها زيارة البيت ويقال
اعتمر أي قصد ومنه قول
العجاج
لقد سما ابن معمر حين
اعتمر
مغزى بعيدا من بعيد
وضبر (قوله عز وجل
إصرا) أي ثقلا

على سيدنا محمد وآله أجمعين

•(سورة آل عمران)•

•بتسمم الآن اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحيى ومريم وأمها نزل فيه منها مالم ينزل في غيره
اذ هو بضع وثمانون آية وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وجعله متبوعا للكل محبا لله ومحبوبا له وتسمى الزهراء لانها كشفت عما التبس على أهل
الكتابين من شأن عيسى عليه السلام والامان لان من عمل بما فيها أمن من الغلط في شأنه
والكنز لتضمنها الاسرار العيسوية والمجادلة لنزول نيف وثمانين آية منها في مجادلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران اذ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون
راكبا منهم فيهم العاقب والسيد فكلما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما عليه السلام
أسلما قالا أسلمنا قبلك قال كذبتما انه يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب
فقالا ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا ويشبه أباه
قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم
تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ
قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل
يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف
شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة
ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي ولدها كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله لتصديقه بضعا وثمانين آية
من صدر آل عمران وتسمى سورة الاستغفار لما فيها من قوله والمستغفرين بالاسحار وطيبة
لجمعها من أصناف الطيبين في قوله الصابرين والصادقين الى آخره (بسم الله) الجامع
للكمالات اللطفية والقهرية اذ لطف بعيسى قوما آمنوا برسالته وقهر به قوما كذبوه
أو جعلوه الها أو ولده (الرحمن) بافاضة الحياة وافادة القوام وارسال الرسل وانزال الكتب
(الرحيم) بافاضة العلم والتوفيق للايمان بالكل والعمل بالمتأخر (الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم) أي الاله اللازم الوجود لذاته المنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها والاتحاد بها
هو الله اذ الاله من له غاية الكمال والا جاز أن يكون كل عال الها للسافل ومن لا يلزمه الوجود
لذاته كان ناقصا اذ أصله العدم الذي هو غاية النقص وحلول الحوادث يوجب التغير وليس
من غاية كمال الى غاية كمال لان المتساويين لا يبطل أحدهما الآخر فضلا عن غاية العلو عليه
فلا تعدد لغاية الكمال فلذلك لم يتعدد الاله ولو كان من نقص لزم أن لا يكون الها قبله ولو كان
الى نقص لزم أن لا يبقى الها بعده والحلول ان كان حلول الظروف لزم كونه محاطا وهو نقص
ولو كان حلول العرض أو الصورة افتقر الى المحل الحادث وهو أنقص من الافتقار الى
القديم وفي الاتحاد ان لم يبق أحدهما لزم اتحاد الموجود بالمعدوم وان لم يبقيا لزم فناء القديم

(قوله تعالى الم) أي الالم (قوله استبشر) أي تبسم وتهلل (قوله تعالى انفصام) أي انقطاع (قوله عز وجل اعصار) أي ريح عاصف ترفع ترابا الى السماء كأنه عمود نار (قوله تعالى الحافا) أي الحاحا (قوله عز وجل فأذنوا بحرب من الله) أي اعلموا ذلك واسمعوا وكونوا على اذن منه ومن قرأ فآذنوا أي فأعلموا غيركم ذلك (قوله تعالى الانجيل) الانجيل من النجل وهو

ولعله كونه المقتضى صفات الكمال التى أولها الحياة المترتبة لتوقف العلم والارادة والقدرة
والسمع والبصر والكلام عليها ولما كان وحده كاملا بالذات كانت كالات سائر الاشياء
مستفادة منه فكان قيوما وعيسى لم يكن واجب الوجود اذ لم يوجد قبل أمه ولا فى تمامه
الكمال اذ انما كمل منه ولا منزها عن الحلول فى الحوادث اذ كان فى السموات والارض
ولا عن حلول الحوادث فيه اذ كان آكلا شاربا ولا حيا اذ انما تقابلته الموت ولا قيوما
لكل ماعداه اذ كان قبله أشياء والازلى المطلق المثبت هو الله اذ لا يتجدد ادث من
اذ لا وجود لها من ذواتها ويجب أن لا يكون فذلك المبدأ ابتداء اذ لا بد من الرجوع
من الوجود والكمالات اليه ويجب أن لا يشارك فى كالاته لان الكمالات بالذات يجب أن
تكون فى الغاية والاجاز أن يكون فوقه ذات تقتضى كالات فائقة تسلم جواز أن يكون كا
مال الها بالنسبة الى السافل ولا بد أن يكون لطيفا اذ الكثافة من التركيب
بالاجزاء ولا بد أن يكون منافيا لاقامة الكمال لانه لما لم يكن لغيره بالذات فلو لم يفض ا
كمالا أصلا فمن اقامة الحياة التى يتوقف عليها سائر الكمالات بعدما التصف بها الدات
صار قيوما لها لان الحياة مقومة للاشياء تفيضها أولى بالتقويم ولم يكن عيسى أزليا
مولودا ولا لطيفا لظهور الكثافة فى جسمه ولا مفيضا على الكل لسبق كثير من الاشياء
والا تم ذاته ولطفه وتجده هو الله لاختصاصه بصفات الكمال بحيث لا يشارك فيها
الحياة هى أصل الالطاف لتوقف الاتصاف بسائرها عليها و
اختصاصه بالقيومية بحيث لم يظهر بها فى غيره وعيسى لم يتم ذاتها بالاختصاص بصفات
منه الحياة على العموم ولا قيوميته اذ لم يكن قائما بذاته مستقلا
وجوده والاحد الذى له صفات الكمال هو الله اذ لا اله الا هو وقد ملك صفة الكمال
لكونه محيا لذاته بل وجود الكل وسائر صفاتهم مفاضا منه لكونه قيوما الكل وعيسى لم
يا حد لتركيبه ولم يملك حياة الكل ولا وجوده أو غير ذلك عما يليق بالمقام ثم أشار
أن القيومية اما بظهور آثار الاسماء والصفات الالهية أو بظهور
الظاهر فالظاهر الكامل بقتضى ظهور صور ها ذلك (نزل عليك) يا أكمل
(الكتاب) الذى هو صورة كلامه المفيدة كمال الحياة ودوام المعانى والمعادن
بالتنزيل نجما بعد نجم للاشعار بأنه وان كان صورة صفة قديمة فهو حادث لكن
كالحوادث التى هى آثار بل ملتبس (بالحق) مناسب لصفات كماله ولذلك
ولا يخفى أنه كان (مصدقا لما بين يديه) أى معرفا صدق الكتب السالفة (و) انما كان
لانه (أنزل التوراة والانجيل من قبل) وانما أنزلا دفعة لانهما كانا (هدى للناس)
بدفعة بخلاف الامة فانهم انما تحصل بدفعات كشفا بعد كشف (أ)
الفرقان) أى اقامة الدلائل ورفع الشبه فى الكتب السالفة فوق هذا
أيضا فى لاجتماعها فى طور العقل بخلاف المعانى الكشفية التى فوق طور العقل

الاصل والانجيل أصل
لسلام وحكم ويقال
هو من نحلت الشئ اذا
استخرجته وأظهرته
والانجيل مستخرج به
علوم وحكم (قوله عز
وجل اصر) ثقل وعهد
أيضا (قوله تعالى افترى)
اختلق (قوله عز وجل
استكانوا) خضعوا
(اسرافنا) افراطنا (قوله
تعالى انفضوا) تفرقوا

لست: فعة لانها أمور غير متناهية فمن هنا كان احياء محمد صلى الله عليه وسلم الاحياء المعنوى أتم من احياء عيسى عليه السلام الاحياء المعنوى وكذلك الحسى لان تكليم الممى أعظم من احياء الموتى فلو كان عيسى بذلك الها فمحمد صلى الله عليه وسلم أولى بها لكنه أقر بالعبودية فعيسى أولى بها ولافادة الهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه كان كل آية منه معجزة فكان الكفر بها أشد من الكفر بالكتب السابقة لذلك قال (ان الذين كفروا بآيات الله) التى هى آيات من جهات شتى (لهم عذاب شديد) فوق عذاب من كفر بالتوراة والانجيل لانه ظهر فيها بكمال عزته فالكافر بها مستهين لعزته ولم يبطل بذلك عزته بل صارت موجبة لقهره كما قال (والله عزيز ذو انتقام) وانما كان هذا الكتاب معجزا مفيدا للهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه لان الله عز وجل لم يخف عليه وجوه الاعجاز التى يعجز بها أهل الارض وأهل الظاهر وأهل السماء أهل الكشوف كما قال (ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء) ولذلك جمع فيه العلوم الظاهرة والباطنة التى لا تتناهى من باب المعاملة والمكاشفة ويدل على عدم خفاء شىء عليه أنه (هو الذى يصوركم فى الارحام) صورا جامعة للاسرار الارضية والسماوية تارة وغير جامعة أخرى (كيف يشاء) وقد جعل آيات كتابه صورا جامعة لمعانى صفة كلامه فى أرحام الالفاظ وصورا فى أرحام المعانى معانى أخر وهلم جرا والكمال المعنوى ان بلغ هذا الحد لم يدل على الهيته اذ غايته أنه صورت الكمالات فى رحمه كما أنه صور جامعا فى رحم أمه وقد شاركه كثير من الانسان فى ذلك فكما لا يدل التصوير فى الارحام الحسية جامعا على الالهية لم يدل فى الارحام المعنوية على ذلك بل كمال هذا التصوير انما يدل على أن الله هو الجامع للكمالات لانه (لا اله الا هو) كيف وليس لغيره جمعيته لانه راعى عزته فى ظهوره فلم يظهر على ما هو عليه فى شىء بل ظهر فى كل شىء بقدار استعداده رعاية للحكمة فهو (العزيز الحكيم) ويدل على كمال عزته وحكمته انه (هو الذى أنزل عليك) بمظهر العزة والحكمة الالهية (الكتاب) الجامع الذى لا يتأتى جمعيته مع اختصاره الا أن يجعل بعض ألفاظه محتملا لوجوه كثيرة لكنه لعزته جعلها بحيث تفضى الى احتمالات توقع فى الضلال لكن جعل للتحفظ عنها ألفاظا لا تحتمل الا وجها واحدا فكان (منه آيات محكمات) لا تحتمل الا وجها واحدا (هن أم الكتاب) أى الاصل الذى مرجع معانيه عند الاشكال ترد اليه (وأخر متشابهات) تحتمل وجوها بعضها من العلوم الخفية وبعضها كفر أو بدعة وتميزان بالرد الى المحكمات وفيه رد على نصارى نجران اذ تعلقوا بقوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فدخلوا فى جملة (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) أى ميل الى كفر أو بدعة (فيتبعون ما تشابه منه) أى الوجه الذى تشابه فيه الحق والباطل (ابتغاء الفتنة) أى طلب الايقاع فى الكفر أو البدعة أو ايهام التناقض (وابتغاء) حصر (تأويله) فيما يناسب رأيهم الفاسد (وما يعلم تأويله) على سبيل الحصر (الا الله والراسخون فى العلم) لما رأوا الوجوه الكثيرة فى تأويله ومنها ما يؤدى الى الكفر

واصل الفض الكسر

(قوله تعالى ادرأنا) (قوله تعالى ادرؤا) (اناثا) فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا أى مواتا مثل اللات والعزى ومناة واشباهها من الآلهة المؤنثة ويقرأ أثنا جمع وثن فقلبت الواو همزة كما قيل فى اقتت وقتت ويقرأ أنثا جمع اناث

(قوله عز وجل استهوته الشياطين) أى هوت به

أو البدعة أو التناقض لم يردوا المصروف لم يردوها الى ما يؤدى الى المحذور بل (يقولون آ
على ما أراد من تلك الوجوه أو غيرها ولا محذور فيها اذ (كل) من المحكم والمتشابه (من عندربنا
العزيز الحكيم فلا يبعد ان يرد البعض الى البعض ولا يمكن رد المحكم الى المتشابه اذ لا يحتمل
الا وجها واحدا (وما يذكر) الوجوه الكثيرة المبرأة من المحذور (الا أولوا الالباب) أى
أرباب العلوم ومع ذلك يخافون من كثرتها الوقوع في المحذور فيقولون (ربنا لا تزغ
قلوبنا) أى لا تملها الى محذور (بعد اذ هديتنا) بان الهمتنا التأويلات الصحيحة الموافقة
للمحكمات (وهب لنا من لدنك رحمة) تطلعنا على ما عندك من تأويلاتها
من المحذور (انك أنت الوهاب) أى المبالغ في الهبة حتى انك تهب ما عندك من اسرار
كتابك بعض خواص عبادك ولا يعسر عليك جمع تأويلاتها في قلوب عبادك مع
عندك كما انك تجمع المتفرقات يوم القيامة (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه)
جمعها في قلوب بعض عبادك مع نفي الريب عنها كيف وقد وعدت بذلك اذ قلت والذ
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويهدى اليوم من يتيب كما وعدت بالحشر (ان الله لا يخلف الميعا
ولخطر الضلال في تأويلها منع السلف عن الخوض فيه ولكون الله واهب البعض عباده
اسرارها وتأويلاتها الصحيحة رخص الخلف في الخوض فيه ثم أشار الى أن الهبة المعتبرة هي
هذه الاسرار دون الاموال والاولاد بل هي مع الكفر سبب مزيد العذاب والى ان المتمس
كالمتمسك بقياس أمر الآخرة على أمر الدنيا في افادة الاموال والاولاد فقال (ان
الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان اغنت المؤمنين
صرفوا الاموال في سبيل الله والاولاد الى عبادته (وأولئك) أى الكفار وأمو
(هم وقود النار) وكيف تنفعهم هنالك ولم تنفع آل فرعون في الدنيا لم تمنعهم من الغرق
كانت سبب مزيد عذابهم فسنة كفرة العصر فيها (كدأب) أى سنة (آل فرعون و
من قبلهم) وان لم يكن سبب أصل العذاب لكن سبب مزيده لانهم (كذبوا بآ
فصرفوها في غير مصارفها فاجتمعت عليهم معاصي الكفر ومعاصي صرف النعم
(فأخذهم الله بذنوبهم) ان ربهم بالاموال والاولاد أولا اذ (الله) كما هو الر
الرحيم فهو أيضا (شديد العقاب) ولو قالوا انما أخذ الله آل فرعون ومن
معه ونحن متدينون بدين موسى (قل للذين كفروا) بهذا الدين كفركم به ككفر
فرعون بموسى وقد فعل قريش لكفرهم به ما رأيتم فسيفعل بكم ما فعل بهم (ستغلبون
كما غلبوا وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وسيفعل
ما فعل بآل فرعون آخرا (و) هو أنكم (تحشرون الى جهنم) ولا تتخلصون
بل مهدت لكم على الابد كما مهدت لهم (وبئس المهاد) لكم كما انها بئس المهاد
كفركم بآيات محمد عليه السلام ككفرهم بآيات موسى اذ (قد كان لكم آية) كا
(في فئتين) أى فرقتين (التقتا) للحرب ولا يتصور النصر بعد الالتقاء اتفاقا

و(فئة)

وأرهب (قوله جل وعلا اقتراء عليه) الافتراء العظيم من الكذب يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه انه ليفرى الفرى (قوله عز وجل املاق) فقر (قوله عز وجل ادارّكوا فيها) أى اجتمعوا فيها (قوله عز وجل افتح بيننا) احكم بيننا (قوله عز وجل استرهبوهم) استدعوا رهبتهم أثاروا هم من الرهبة (الأشك)

و (فئة) منهما (تقاتل فى سبيل الله) وهى أبعد من السحر (وأخرى كافرة) هى ان تكون ساحرة أقرب من ان تكون مسحورة وتلك الآية ان المشركين كانوا تسعمائة وخمسين رجلا مع مائة وتسعين فرسا (يرونهم) أى المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وسبعين بعيرا وستة أدرع وثمانية سيوف (مثليهم) أى مثلى المشركين لا بطريق التخييل بل (رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) من غير احتياج الى اراءة ذلك لكنه أراهم لتكون عبرة (ان فى ذلك) التكثير والتقليل وغلبة القليل مع عدم العدة على الكثير شاكى السلاح (لعبرة لاولى الابصار) لكن يمنع من الابصار الاخذ بالشهوات اذ (زين للناس) فرجع عندهم على مقتضى العقل من الابصار (حب الشهوات) أى الميل الى أخذها التجزها مع الجهل بعواقبها (من النساء) اذ يحصل منهن أتم اللذات (و) النفس تدعى فيهن العاقبة الجيدة من تحصيل (البنين) لقيامهم مقامه من بعده (و) لحبهم بقاء أنفسهم ونسائهم وبنيهم يحبون تحصيل (القناطير) أى الاموال الكثيرة المضاد بعضها فوق بعض (المقنطرة) أى المضعفة فوق الاضعاف (من الذهب والفضة و) لمحافظة الاموال عن الاعداء يحبون تحصيل (الخيل المسومة) أى بارعة الجمال اذ هى أهيب (و) لا كلها الاموال يحبون تحصيل الاموال النامية من (الانعام) أى الابل والبقر والغنم (و) لغذاء الانفس والخيل والانعام يحبون تحصيل (الحرث) ثم أشار عز وجل الى غلط النفس فى ترجيح ميلها اليها على مقتضى العقل من الابصار بأن (ذلك متاع الحيوة الدنيا) الخسيسة الفانية (والله عنده) للناظر فى آياته (حسن المآب) الذى لا غاية لشرفه وبقائه وكثيرا ما يكون اصحاب الشهوات شر المآب فيفوته اللذات الى أبد الآباد (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) الذى ملتم اليه فى اللذة الخسيسة حاصل (للذين اتقوا) الله فنظروا فى آياته ولم ينهمكوا فى شهواتهم (عند ربهم) الذى رباهم بالنظر فى الآيات وعدم الانهماك فى الشهوات (جنات تجرى من تحتها الانهار) فى باب المطعوم والمشروب ولا حاجة لهم الى الاموال والاولاد والخيول والانعام والحرث لكونهم (خالدين فيها و) لهم بدل النساء الدنيا (أزواج مطهرة) عن الخبث فى البدن والخلق مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالبا (و) تحصل لهم مع هذه اللذات الجسمانية لذة روحانية هى (رضوان) عظيم (من الله و) انما رضى الله عنهم اذ (الله بصير بالعباد) الذين يتقونه مع مبالغتهم فى عبادته لانهم (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) فان لم يكن لنا عبادة أخرى مقبولة فالايمان وحده سبب جواز المغفرة (فاغفر لنا ذنوبنا) فان لم تغفرها فعذبنا بمصائب الدنيا (وقنا عذاب النار) وليس هذا الانهماك فى الشهوات المانعة عن الطاعات الموقعة فى المعاصى لكونهم (الصابرين) على الطاعات وعن المعاصى (و) ليس صبرهم بطريق الرياء لكونهم (الصادقين و) لا يتركون النوافل خوف الرياء لكونهم (القانتين و) لا يقتصرون على الطاعات البدنية ولا يبخلون بتحصيل الاموال لكونهم (المنفقين) منه فى سبيله (و) لا يعجبون بأعمالهم بل يرون فيها التقصير لكونهم (المستغفرين) سيما (بالاسحار) جمع

(قوله تعالى يذرؤكم فيه) أى يكثركم فى قراءته من فسرا و يذرك والاهتك أى عبادتك (قوله تعالى انسلخ منها) خرج منها كما ينسلخ الانسان من ثوبه والحية من قشرها أى من جلدها (قوله عز وجل الا ولا ذمة) الال على خمسة أوجه الال الله عز وجل والال العهد والال القرابة والال الحلف والال الجوار (قوله عز وجل اقترفتموها) اكتسبتموها (قوله اثاقلتم) تثاقلتم الى الارض (قوله عز وجل ارصادا) ترقبا

سحر آخر الليل وهو لكونه وقت نوم الغفلة أقرب الى القبول والاجابة قيل المداومة مع
الله اما بمنع النفس من الرذائل وحبسها على الفضائل وهو الصبر أو بعمل اللسان وهو
الصدق أو الجوارح وهو الصلاة والصوم والحج أو تفريق المال في سبيل الخير واما بطلب
وهو الاستغفار وتوسيط الواو للدلالة على الاستقلال لكل واحد من هذه الامور
ثم أشار الى انه كيف لا يرضى عن هؤلاء وقد شهدوا توحيده اذ (شهد الله أنه لا اله الا هو)
أى دل دلالة قطعية على انه لا موجود حقيقى سوى ذاته فوجودات الاشياء ظلال
وجوده وصفات كمالها ظلال صفاته وأفعالها آثار ارادته وقدرته (و) ان لم يصلوا الى
وصلوا الى توحيد الملائكة وأولى العلم اذ شهدت (الملائكة وأولوا العلم) اذ أراد في
حال اعتدالهم لانه شهد الله بذلك (قائما بالقسط) من غير ميل ولا جور في ذلك اذ ظهور الاله
نعم اذ (لا اله الا هو) كيف ولم يظهر في شئ على ما هو عليه في نفسه لانه (العزيز) بل بحسب
استعداد المحل لانه (الحكيم) واذا لم يكن من حصل له التجلي الشهودي الهاتفين ان بطل
(ان الدين عند) تجلى (الله الاسلام) الذى هو الانقياد لله باقرار ربوبيته وربوبيته ما سواه
فبطل بذلك الهية عيسى وابنيته وابنية العزير ولو قيل لو شهد أهل العلم بالتوحيد لم يقل
أهل الكتاب بالهية عيسى ولا بثالث ثلاثة أجيب بانهم لم يتفقوا عليه فلم يكن ذلك متفقا
عليهم لكنهم اختلفوا الى قائل بثالث ثلاثة وقائل بالحلول وقائل بالاتحاد وقائل بالرسالة
(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) في عيسى (الا من بعد ما جاءهم العلم) من الكتاب ومن
دلائل العقل بان الدين هو التوحيد ولم يكن اختلافهم لشبهة يعتد بها عندهم بل (بغيا)
حصل من مجادلة وقعت (بينهم) فافضت الى الكفر بآيات الله الدالة على التوحيد (ومن
يكفر بآيات الله) بشبهات قابلها الله بتلك الآيات الدالة على الحساب أهل ترجيح عليها أم
الآيات وهو وان طال على الخلق لا يطول على الله (فان الله سريع الحساب) وقد ابتنى
لا يقابلها شبهة أصلا (فان حاجوك) بعد اقامة تلك الآيات (فقل) لم يبق مني وبينكم
مجادلة لانى (أسلمت وجهى لله) أى انقدت لآياته المنزلة على وعليكم (ومن اتبعن) وان لم
يتبع أهل ملتكم ما اتبعه أنبياؤكم فقد اتبع أهل ملتى آياتى وآيات أنبيائكم فليس فينا
من يتبع مجادلتكم الباطلة (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين) عند تمارى آياتى في
الظهور للفريقين (أأسلمتم) لآياتى التى هى أجل من آيات أنبيائكم (فان أسلموا فقد
اهتدوا) هدى لا يعترضه شبهة من شبهاتهم لاتفاق آياتى بآياتهم على نصه (وان تولوا) عن
هداك وأصروا على القول بالهية عيسى أو بكونه ثالث ثلاثة (فانما عليك البلاغ) أى
تبليغ دلائل الاسلام ورفع الشبهة عنه لا الاكراه عليه اذا عاندوك (و) هم وان عموا في
عنادهم لم يعموا البصرائهم ولو تم تلبيسهم على البعض العماة لم يتم على الله اذ (الله بصير
بالعباد) ثم أشار الى انه كما أمر بتبليغ الدلائل أمر بتبليغ ما يترتب على انكارها لاسيما ان
أنكرها بغيا سيما اذا أفضى البغى الى قتل الانبياء فقال (ان الذين يكفرون بآيات الله)

يقال أرصدت الشئ اذا
جعلته عدة والارصاد
فى الشر وبقال رصدت
وأرصدت فى الخير والشر
جميعا (قوله عز اسمه إى
وربى) إى توكيد للاقسام
للمعنى نعم وربى قال أبو عمرو
إى وربى تصديق (قوله
عز وجل اقضوا الى ولا
تنظرون) أى امضوا ما فى
أنفسكم ولا تؤخرون
كقوله فاقض ما أنت قاض
أى فامض ما أنت ممض
(قوله عز وجل المص)

التي يعلمون انه لا يقدر عليها الا الله (و) لا يقتصرون على الكفر بها بل مع ذلك (يقتلون النبيين) الذين ظهرت على أيديهم وقد آمنوا بمن ظهرت على أيديهم امثالها فهم يقتلونهم مع علمهم انهم يقتلونهم (بغير حق) اذ لم يدعوا بهم المحال ولم يظهر منهم خيانة نفس تدل على انه مصر مع خروجه عن مقدرة البشر (و) ان زعموا انهم انما قتلوهم لكذبهم في دعوى النبوة فمالهم (يقتلون الذين يأمرون بالقسط) على انهم (من) جملة عوام (الناس) فعلم ان بغيهم انما هو على القسط الذي أنزله الله فبغيهم عليه بغيهم على الله (فبشرهم) بما تبشر به الكافرين بالله وبجميع أنبيائه (بعذاب أليم) وان زعموا انهم ليسوا امثالهم لتمسكهم بدين عيسى أو موسى وقيامهم بأعماله فقل (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا) فلا يحقن بها دماؤهم ولا أولادهم ولا أموالهم وان حقن بها من المنافق والمرائي (والآخرة) فلا يخفف بها عنهم العذاب فضلا عن النجاة (و) ان زعموا ان من تمسك بدينه يشفع لهم أو يحتج لهم فقل (وما لهم من ناصرين) ثم أشار الى انه كيف لا يحبط أعمالهم وهم لا يقتصرون على الكفر بكتابك بل يكفرون بكتابهم اذ لا يرون اعتقادهم به ولا وجوب العمل بأحكامه فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله) أي يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التوراة (ليحكم) بما يقطع النزاع (بينهم) في ان ابراهيم هل كان يهوديا أم لا وهل عندهم الرجم أم لا فيقرون بانه كتاب الله النازل لقطع النزاع (ثم يتولى فريق منهم و) لا يقتصرون على التولي في محل النزاع بل (هم معرضون) أي مستمرون عليه اتخذوه عادة (ذلك) الاستمرار على الاعراض لتساهلهم بأمر الدين وتهاونهم به (بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) فلا تأثير والاهتمام بأمر الايمان والعمل انما يكون باعتقاد دوامه أو طول مدته (و) ليس ذلك لنص وجدوه في كتابهم بل (غرهم) فأوقع الخلل (في دينهم ما كانوا يفترون) من ان الله وعد يعقوب ان لا يعذب أولاده الا تحلة القسم واذا اغتروا بهذا المفترى في الدنيا (فكيف) يصنعون لفضيحتهم عليه (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) لنفضحهم في الاولين والآخرين (و) لا يقتصر على تلك الفضيحة بل (وفيت كل نفس) جزاء (ما كسبت وهم) وان تمسكوا بهذا المفترى (لا يظلمون) في توفية الجزاء لظهور كونه مفترى اذ يرفع الاهتمام بأمر الشرائع بالكلية ويوجب التهاون بها ثم أشار الى انهم انما لا ينقادون لحكم الله في كتابه الذي يعترفون بصدقه لدلالته على انتقال الملك والنبوة منهم اليك وهم يريدون ان تتذلل لهم (قل) لا أتذلل لكم في ذلك فضلا عن التذلل بل أقول (اللهم مالك الملك) أي المتصرف في الملك الظاهر والباطن وهو النبوة لا تصرف في اعطائهما وسلبهما لغيرك بل (تؤتي الملك من تشاء) ولو من الاميين (وتنزع الملك ممن تشاء) ولو من أهل الكتاب ولا يبعد منك ذلك لان ايتاء الملك اعزاز ونزعه اذلال (و) أنت (تعز من تشاء وتذل من تشاء) لكنك لا تفعل ذلك على سبيل التحكم اذ (بيدك الخير) الذي هو الحكمة فلا تفعل خلاف مقتضاها وان لم يجب عليك بل (انك على كل شيء قدير) ولا يبعد منك قلب

أي امح أي أذهبه من قولك امحى الطريق اذا عفا
طمس ودرس (قوله عز وجل
أبراى) مصدر أبرمت
ابراما (قوله تعالى اعتراك
بعض آلهتنا بسوء) أي
عرض لك بسوء ويقال
قصدك بسوء (قوله
استعمركم فيها) جعلكم
عمارا لها (قوله ارتقبوا
الى معكم رقيب) انتظروا
الى معكم منتظر
(استعصم) أي امتنع
(قوله عز وجل استيأسوا)

الاعزاز بالادلال وبالعكس لانك تقلب بعض اجزاء الليل المظلمة باجزاء النهار المنير وبالعكس اذ (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل و) لو قيل لا قلب هناك لان الزمان أمر متوهم فلا شك انك (تخرج الحى من الميت) أى الحيوان من النطفة (وتخرج الميت من الحى) أى النطفة من الحيوان واعطاء الملك والنبوة احياء ونزعهما اماتة بل لا قلب ههنا فان اعطاء الملك والنبوة رزق (و) انت (ترزق من تشاء بغير حساب) فغاية أمر النبوة انها فضيلة بلا نهاية ثم أشار الى انه لما كان من شأن الله قلب المنير بالمظلم والحى بالميت وهو بالمصاحبة أقرب وجب ترك تلك المصاحبة فقال (لا يتخذ المؤمنون) أولو الانوار الاحياء (الكافرين) أولى الظلمات الاموات (أولياء) سيما (من دون) أى مجاوزين موالاة (المؤمنين) الذين هم سبب ازدياد النور والحياة والجبر لما نقص بصحبة الكفار (ومن يفعل ذلك) فى وقت من الاوقات (فليس من) موالاة (الله) مفيض الحياة والانوار (فى شئ الا) وقت (أن تتقوا منهم تقاة) أى تخافوا منهم محذورا فاظهروا معهم الموالاة فعيها (ويحذركم الله) فى موالاتهم بالباطن (نفسه) التى هى أولى بالخوف لانهم انما يؤثرون تمكينه ويعجزون بتعجيزه (و) ان أثروا فهو منقطع والخوف من الله لا ينقطع اذ (الى الله المصير قل) كيف لا تخافون منه مع شمول علمه وقدرته (ان تخفوا ما فى صدوركم) من موالاة أعدائه (أو تبدوه) زاعمين أنكم انما توالونهم بالظاهر خيفة منهم (يعلمه الله) وان أخفيتم عليناً فى الاخفاء والاظهار وكيف (و) هو (يعلم) جميع (ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) فيقدر على ما لا يقدر عليه الاعداء وهم انما يقدرون باقداره على أمور معدودة ويعجزون عما بتعجيزه ولا يعجز الله بحال فليس تركه المجازاة لعجزه بل لانه أخرها الى يوم القيامة فيجازيكم بعد اعلامكم (يوم تجد كل نفس) بجميع (ما عملت من خير محضرا) بصور يناسبها وهيا ت فى بدنها أو نفسها أو قلبها أو روحها أو فى صحف الملائكة وكفى بذلك تلذذا مع انه يجازى عليها بمقتضى فضله وجوده الكامل (و) تجد (ما عملت من سوء) أيضا محضرا بصور بحيث يتألم بمجرد حضورها حتى انها (تود لو أن بينها وبينه) أى عملها السوء (أمدا بعيدا) لا يصل أحدهما الى الآخر ثم انه عز وجل يجازى عليها بمقتضى قهره وغضبه (و) لذلك (يحذركم الله نفسه و) لا ينافى ذلك رحمته ورأفته لانه انما حذرهم برأفته اذ (الله رؤف بالعباد) ليرحمهم اذا خافوه فاذا لم يخافوه فكأنما أخرجوا أنفسهم من دائرة رحمته ورأفته ولو قالوا انما نحبهم لكونهم عباد الله فحبهم محبة الله ولا يحذرنا الله على محبته ومحبة ما ضحبه من أجله (قل) انما يفيد كم محبتكم لله اذا أحبكم عليها وهى محبتكم أولياءه الذين يستعملونكم اعمالا يحبها ويجنبونكم اعمالا يكرهها وأجلهم انا (ان كنتم تحبون الله) أى تميلون اليه لرؤية الكمال المطلق فيه (فاتبعونى) فى الاعمال المحبوبة له الكاشفة من جماله وترك الاعمال المكروهة له الحاجبة عنه (يحببكم الله) أى يقربكم من جناب قربه ويؤنسكم فى جوار قدسه ويكشف الحجب عن قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) الحاجبة عنه

(قوله استعملوا من بيت) اى فرق اصدع (قوله تؤمر) لانه وامضه ولم يقل به وأراد ذهب به الى المصدر (استغرق) فاصدع بالامر (قوله عز وجل) أى استخف اصبر نفسك مع الذين (يدعون ربهم) أى احبس نفسك عليهم ولا ترغب عنهم الى غيرهم (قوله عز وجل استبرق) هو ثخين الديباج وهو فارسى معرب (قوله

من اقراط محبته لكم اذ لايبالى لذنوب المحبوب كيف (والله غفور رحيم) ان يكمل محبته له ثم قال (قل) لاتغتروا بغفرانه على مجرد المحبة منكم بل (أطيعوا الله) الذى تدعون محبته فان المحب لمن يحب مطيع (و) أطيعوا (الرسول) الذى هو محبوبه فان المحب كما يطيع المحبوب يطيع محبوب المحبوب (فان تولوا) زاعمين انه لاحاجة للمحب الى اطاعتهما فلا يحبهم الله لانهم كفروا بانكار وجوب اطاعتهما والكفر عداوة منافية للمحبة (فان الله لايحب الكافرين) ثم أشار الى انه لايبعد ان يجعل الله بعض عبيده محبوبا بالمحبة يحب من يتبعه ويطيعه ويبغض من خالفه وعصاه فذلك من سنته فيما مضى (ان الله اصطفى ادم) فأحب من سجد له من الملائكة وأبغض من لم يسجد له وهو ابليس ومن عصاه وهو قابيل (ونوحا) فنجى من اتبعه فى السفينة وأغرق من عصاه حتى ابنه كنعان (وآل ابراهيم) اذ جعل فيهم موسى جاوز بمن اتبعه البحر وأغرق من عصاه (وآل عمران) اذ جعل فيهم عيسى أبرأ من اتبعه من العمى والبرص وجعل من خالفه خنازير (على العالمين) أى على عالمى زمانهم ثم ان اصطفاء الله لآل ابراهيم وآل عمران انما كان لكونهم (ذرية) ورثت الاصطفاء (بعضها من بعض و) لايبعد اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وسلم لدعوة ابراهيم مع كونه من ذريته وقد اصطفى آل عمران لدعوة امرأته لذريتها بمجرد القبول والاعاذة من الشيطان اذ (الله سميع) لمن يدعو (عليم) بمن يستحق اجابة الدعوة (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقوذ حين حملت بعد ما أمسك عنها الولد حتى أسنت فبينا هى تحت ظل شجرة أبصرت طائرا يطعم فرخا فتحركت وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) أى خالصا لخدمته لاأشغله بشئ من امورى (فتقبل منى انك انت السميع العليم) فقال لها زوجها ما صنعت أرأيت ان كان فى بطنك شئ لايصلح لذلك (فلما وضعتها) أى الانثى التى حملتها (قالت) تحزنا وتحسرا أو اعتذارا (رب انى وضعتها أنثى) وكنت رجوت ان يكون ذكرا انما تحسرت أو اعتذرت اذ جهلت قدرها (والله أعلم بما وضعت) أى بعظم شأن ما وضعت لايحيط به علم غيره (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت اذ فضلت كثيرا من كمل الاولياء من الرجال (و) قالت جبرا لما توهمت من النقصان (انى سميتها مريم) أى العابدة والخادمة ليطابق اسمها فعلها ثم طلبت عصمتها فى ذلك الفعل وغيره فقالت (وانى أعيذها بك) أى اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) أى المطرود لمخالفتك فلا تجعل عليها وعلى ذريتها له سلطانا يكون سببا لطردهما (فتقبلها ربها) بسبب تحريرها وتسميتها واستعاذتها (بقبول حسن) بجعلها فوق كثير من الاولياء (وأنبتها نباتا حسنا) بجعل ذريتها من كبار الانبياء (و) من كمال تربيته لها (كفلها زكريا) حين حملتها حنة الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وكانوا سبعة وعشرين فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها اذ كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها وهى

عز وجل ارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا بقصان الاثر الذى جاآ فيه (قوله إمرا) أى عجبا ويقال داهية (قوله تعالى انتبذت من أهلها) أى اعتزلتهم ناحية ويقال نبذ نبذة ونبذة أى ناحية (قوله عز وجل الحاد) ميل عن الحق (قوله عز وجل اخسؤا فيها) ابعدوا وهو ابعاد بكره (قوله عز

ايشاع بنت فاقوذ فأبوا الا القرعة وانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم على ان من ثبت قلمه في
الماء وصعد فهو أولى بها فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فبنى لها بيتا وجعل لسبعة أبواب يغلق
عليها اذا خرج عنها انها ارت في صغرها بحيث (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أي الغرفة
التي بنى لها (وجد عندها رزقا) فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال
يا مريم أنى لك) أي من أين لك (هذا) الرزق الآتي في غير أوانه والابواب مغلقة (قالت هو
من عند الله) ينزلها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) ولا يكون ذلك على العمل
المحصور فهو منه تفضل فكذا التفضل على هذا اصطفاء لآل عمران ثم بنبوة عيسى عليه
السلام ثم أشار الى ما حصل لزكريا من تربيتها ورؤية كمالها فانه لما رأى رزق مريم قال ان
الذي قدر على ان يأتي بفاكهة في غير أوانها بلا سبب لقادر على ان يهب لي ولدا في غير أوانه
بلا سبب يعتد به أو يصلحني وزوجتي للولادة (هنالك دعا زكريا ربه) ليريه بابقاء علمه وعمله
ونبوته بعده (قال رب هب لي) مناسبا للحالي (من لدنك) بغير سبب يعتد به (ذرية طيبة) أي
طاهرة عن الاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة (انك سميع) أي مجيب (الدعاء) فأجابه الله
فارسل اليه الملائكة (فنادته الملائكة) جبريل واشياعه (وهو قائم) في مناجاة الله فلا دخل
للشيطان في ذلك الوقت اذ كان (يصلي) وهو انما يأتي وقت الغفلة وليست وقت الغفلة
والوسوسة في حق الانبياء عليهم السلام سيما وقد كان (في المحراب) أي في المسجد فكانت
صلاته كاملة (أن الله يبشرك) على ألسنتنا (بيحيى) أي يسمى به لانه يحيا به ذكره وعمله
فلا ينقطع عوته شيء من ذلك بل يكمل به أمر عيسى الذي طلب هذا من رؤية كرامة أمه اذ
يكون (مصدقا) بعيسى الذي حصل (بكلمة من الله) بلا واسطة أب فيصير معلما الكلمة الله
(و) انما يكمل به أمر عيسى لانه يكون (سيدا) يتبعه قومه وكيف لا (و) هو ان يكون
(حصورا) أي مبالغا في حبس النفس عن الشهوات بحيث لا يهم بمعصية أصلا (و) لغاية
كماله يكون (نبيا) ولا شك في نبوته اذ يكون (من الصالحين) فلا يتوهم منه الدعوى الكاذبة
(قال) زكريا (رب أنى) أي كيف (يكون) أي يحصل (لي غلام وقد بلغني الكبر) أي أدركني
الكبر الكامل المانع من الولادة تسع وتسعون سنة فهل أرد الى الشباب (وامرأتي عاقر)
أي مستمرة على العقر لم تلد في شبابها فكيف بعدما كبرت وبلغت ثمانا وتسعين سنة (قال)
جبريل (كذلك) يكون لك الولد على الحال التي أنت وزوجتك عليها فلا تلد بعيد لان الله
تعالى لا يحتاج الى سبب بل (الله يفعل ما يشاء قال) زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة
أعرف بها الحمل لاستقبله بالبشاشة والشكر واستريح من مشقة الانتظار (قال) الله على
لسان جبريل (آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على مكالمتهم (ثلاثة أيام) مع قدرتك على
تسبيح الله وذكره لا لاستغراقك بالله لانك تشتغل بهم الا انك لا تكلمهم (الا رمزا) اشارة بعضو
بيد و رأس (واذكر ربك كثيرا) لتستفيض منه الانوار وتفيضها على ولدك (وسبح) طهر
نفسك من الاخلاق الرديئة وقت ظهور النفس (بالعشي) من العصر الى الغروب

(والابكار)

وجل افك) أسوأ الكذب
(افتراء) افتعله واختلاقه
(قوله عز
(الاربة) الحاجة
وجل اطيرنا) أصله تطيرنا
ومعنى تطيرنا تشاءمنا
(قوله عزوجل اقصد في
مشيك) اعدل ولا تتكبر
ولا تدب دبيبا والقصد ما بين
الاسراف والتقتير (قوله
عزوجل اسوة) ائتمام
واتباع (قوله عزوجل اناه)
بلوغ وقته ويقال انى يانى

(والابكار) من الفجر الى الضحى ثم أشار الى مزيد اصطفاء مريم فقال (واذ قالت الملائكة يامريم) فيه اشارة الى جواز تكليم الملائكة الولى و يفارق النبى فى دعوى النبوة (ان الله اصطفاك) بالتقريب والمحبة (وطهرك) عن الرذائل لتدوم مناسبتك له الجاذبة لك اليه (واصطفاك) بالتفضيل (على نساء العالمين) وفيهن وليات (يامريم اقنتى) أى اعبدى شكرا (لربك) على اصطفائه (واسجدى) أى كثرى له السجود بتكثير الصلاة لتزدادى قربا بغاية التذلل له (واركعى مع الراكعين) أى وصلى بالجماعة لينضم انكسارهم لعظمته الى انكسارك فتزدادى قربا وأشار بتقديم السجود وتأخير الركوع مع الراكعين الى ان الركوع وان كان أقل افادة للتقريب فهو اذا كان مع الراكعين أكثر افادة له من السجود حال الانفراد ثم أشار الى ان كرامات مريم صارت آية لنبينا عليه السلام اذ (ذلك من أنباء الغيب) لا تذكره اليهود لانكارهم فضلها ولا النصارى لدلالته على عبوديتها وهم يزعمون ربوبيتها (نوحيه اليك) مطابقا لما فى كتبهم مع اخفائهم اياه بل لا تعلم ما يظهرونه اذ لم تسمع من أحدهم شيأ وهم معترفون بذلك فطريق الا الوحى أو تكون لديهم (و) لكن (ما كنت لديهم) معاينا لقصصهم (اذ يلقون) فى النهر (أقلامهم) ليعلموا (أيهم) تخرج قرعته فهو (يكفل مريم) كيف (وما كنت لديهم) فى ابتداء شأن هذه القرعة (اذ يختصمون) فى كفالتها فمن أين لك الاحاطة بجميع أحوالها الا بالوحى ولا يبعد الوحى اليك وقد أوحى الى مريم وليست بنبية (اذ قالت الملائكة يامريم) ازالة لما عنها من تهمة الولادة بلا أب (ان الله يبشرك) بمولود يحصل (بكلمة منه) بلا واسطة أب (اسمه) الذى يميزه لقبا (المسيح) وعلما (عيسى) وصفة (ابن مريم) اذ لا أب له ولو كان له الهية أو ابنية لكان فى اسمائه ما يدل على ذلك ولا يكون مذلا بنسبته الى الام بل يكون (وجيها فى) أهل (الدنيا) يعظمونه غاية التعظيم (و) أهل (الآخرة) كيف (و) هو (من المقربين و) يدل على قربه ظهور الارهاصات عليه قبل النبوة اذ (يكلم الناس) كلام الانبياء وهو (فى المهد و) يستمر عليه الى ان يصير (كهلا) فلا يتوهم فيه انه كان فى حال الصبا من الشيطان لانه استمر عليه الى حال كمال العقل وكيف يتوهم فيه (و) هو (من الصالحين) والشيطان انما يداخل الفساق (قالت) مخاطبة لله الذى بعث اليها الملائكة كأنها شاهدته (رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال) لها جبريل (كذلك) أى على الحالة التى أنت عليها من عدم مس البشر اذ (الله يخلق ما يشاء) ولا يحتاج الى سبب بل (اذا قضى أمرا) أى حكم بايجاد شئ (فانما يقول له كن فيكون) من غير توسيط حادث (و) يرفع عنك التهمة بما يظهر عليه من الكمالات اذ (يعلمه) بلا واسطة معلم من البشر (الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن (و) يكلمهما فيه اذ يعلمه (التوراة) المشتملة على الظواهر (والانجيل) المشتمل على البواطن (و) كيف تبقى التهمة ويجعله (رسولا الى بنى اسرائيل) الذين يعلمون انه يجب ان يكون كاملا وولد الزنا

وآن يدنى بمنزلة حان يحق (قوله عز وجل امتازوا اليوم أيها المجرمون) اى اعتزلوا من أهل الجنة وكونوا فرقة على حدة (قوله عز وجل اصلوها) اى ذوقوا حرها يقال صليت النار وبالنار اذا نالك حرها ويقال اصلوها أى احترقوا بها (قوله عز وجل فاستبقوا) أى ساهم (قوله عز وجل البأساء) بمعنى البأس وأهل دينه بجهدهم

ماقس وتكونه معجزات قاهرة اذ بعثناهم (آية جئتكم بآية) قاهرة تعاون بالضرورة كونها (من ربكم) لعجزكم عنها وهي (أني أخلق لكم) أى لاجلكم صورة (من الطين كهيئة) أى كصورة (الطير فأنفخ فيه) أى فيما أخلق (فيكون) أى يصير (طيرا) حقيقيا ذا حياة (باذن الله) أى أمره لا باستقلال مني (وأبرئ الاكمه) الممسوح العين (والابرص) الذي لا يقبل الدواء بمجرد الدعاء وافعل ما هو أبلغ من ذلك (و) هو أني (أحيي الموتى باذن الله) لا باستقلال مني نفيا لتوهم الالهية فهذه معجزات قاهرة فعلية (و) من معجزاتي القولية اني (أنبئكم) أى أخبركم (بما تأكلون وما تدخرون) لا ولادكم والمستقبل فتتركونه (في بيوتكم ان في ذلك لآية) أى دلالة (لكم) على صدقي (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بآيات الله فانها لم تنتف فيلمضي على ذلك (و) ليست معجزاتي لاضلالكم حتى تشكوا انها بل لاحدائكم اذ كنت (مصدقا لما بين يدي من التوراة) المشهورة بالاهداء (و) لكني نسخت بعض أحكامها الاني جئتكم (لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فيما قبلكم كأكل الشحوم والثروب ولحوم الابل والعمل في السبت (و) ليس ذلك من الاضلال لاني (جئتكم بآية من ربكم) تدل على وجه تحريمها في ذلك العصر وتحليلها في هذا العصر (فاتقوا الله) في تحريم ما أحل ولو بعد التحريم (وأطيعون) في تحليل ما حرم في ذلك العصر فدلالة معجزاتي على صدقي ولم يظهر لي من خيانة النفس ما يشكك في تلك المعجزات اد ادعوكم الى عبادة الله (ان الله) هو (ربي) ان تجلى في بهذه الامور فانا عبده كما انكم عبيده (و) هو (ربكم فاعبدوه) بمقتضى أمره في كل عصر (هذا) المذكور من تحليل الشيء في عصر وتحريمه في آخر بمقتضى مصالح الازمنة (صراط مستقيم) بايصال الحكمة غايتها في أقرب المسافات ولو وصلت على خلافه بعدت المسافة ولما رأوه ينسخ بعض أحكام التوراة كفروا به (فلما أحس عيسى) أى أدرك ادراك المحسوسات (منهم الكفر) عند اظهارهم ايابا بذلك لهم (قال) مع ما له من معجزة الاحياء الذي القدرة عليه بالاستقلال قدرة على الاماتة بدا له تحتبر ايمان المخلصين ولذلك لم يكتف بنصر الله (من) الجمع الذين هم (أنصاري) ولا بصبر عليهم كثرة المؤذين لانهم ينصرون أنفسهم (الى الله) في نصره الكافي وحده (قال الحواريون) اى المنسوبون الى الحور وهو البياض لاستنارة قلوبهم (نحن) أنصارك لانا (أنصار الله) ونصرك نصره لانك داع اليه بأمره وكيف لا تنصر الله وقد (آمنا بالله) ومقتضاه نصره والانقياد لاوامره فانقدنا لاوامره التي بلغتنا منه (واشهد) أيها الداعي الى الايمان المبلغ للاحكام لننقاد لها (بأنا مسلمون) اى منقادون من كل وجه في الظاهر والباطن ثم اشهدوا الله الآمر بما أنزله من الايمان به وبأوامره المقتضي لاتباع رسوله في العمل بمقتضاها فقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) فاشهدنا الله على ما نحن عليه لمصدقنا في دعوانا (فاكتبنا) جزاء على اشهادنا اياك (مع الشاهدين) على ايمان الخلائق وكفرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة بالكشف عن بواطنهم بزيادة انارة قلوبنا فوق انارتها بالايمان والانقياد للاحكام

بغير اضافة بالياء والنون ... على العدد كون كل واحد ... احمد الناس وقال بعض العلماء بجوز ان يكون الياس والياسين بمعنى واحد كما يقال ميكال وميكائيل ويقرأ على آل ياسين أى على آل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عز وجل اشمأزت) معناه نفرت والمشمئز النافر (قوله عز وجل اصفح عنهم) أى أعرض عنهم

أو مع الشاهدين للمنافق (و) لما قصدوا ايذاء عيسى وخافوا من دعوته وقتال حواريه (مكروا) فوكلوا عليه من يقتله (ومكر الله) بالقاء شبهه على بعضهم وجعله بحيث لا يصلون اليه أبدا وجعلهم مضطرين بأتباعه دائما وهو أشد عليهم من أن يضرهم به (و) ذلك اذ (الله خير) أى أغلب (الماكرين اذ قال الله يا عيسى) اعلاما بمكره بالاعداء وتخليصه عن مكرهم (انى متوفيك) أى آخذ بكليتك (و) لا أدع للشيء وطعام ولا شراب فتحتاج الى مساكنة الارض لانى (رافعك الى) أى الى سمائى (و) انما أرفعك لانى (مطهرك من) جوار (الذين كفروا) لئلا يصل اليك من آثارهم شيء (و) كما أجعلك فوق أهل الارض فأنا (جاعل الذين اتبعوك) من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك من اليهود يعلونهم (الى يوم القيامة) فقبل لم يبق لليهود بعد ذلك ملك ودولة (ثم) لا أقتصر في حقهم على ذلك بل (الى مرجعكم) للتحاكم (فأحكم) لقطع النزاع (بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من الايمان والكفر وغيرهما (فأما الذين كفروا) بك فانهم وان آمنوا بموسى وسائر الانبياء (فأعذبهم عذابا شديدا) كعذاب من كفر بالكل (في الدنيا) بالقتل والاسر والجزية (والآخرة) بالنار والحيات والعقارب وضرب الزبانية والسلاسل والاغلال وغير ذلك (و) هم وان آمنوا بالانبياء الماضين (ما لهم) أحد منهم (من ناصرين) بالشفاعة أو الاستصحاب أو الدفع قهرا (وأما الذين آمنوا) بك وبكل من آمنتم (وعملوا الصالحات) وان كان فيها ما نسخ بعض أحكام التوراة (فيوفيهم أجورهم) مثل أجور من عمل بما في التوراة قبل النسخ ولا يعطى العامل بما نسخ منها شيئا بعد النسخ لانه ظالم (والله لا يحب الظالمين) بمنع النسخ أو بالقول بالهية عيسى أو ابنيته أو بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون منكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ظالما بعد ظهور آياته التي من جملتها (ذلك) المذكور ولانا (نتلوه عليك) من غير أن يكون لك اطلاع سابق عليه مع انه (من الآيات) المعجزة بذاتها (و) بجمعها وجوه الحكمة لانه من (الذكر الحكيم) المفيد شرف القائل به لتذوقه بوجوه الحكمة وكيف لا يكون القائل بابنية عيسى ظالما بجعله فوق آدم لتولده بلا أب مع انه دون آدم (ان مثل عيسى) اى شأنه العجيب الموهم ابنيته مطابقا (عند الله كمثل آدم) في الحدوث بلا أب بل دونه لان الله تعالى (خلقه من تراب) محدث بلا أبوين (ثم قال له) أى لتكوينه انسانا بنفخ الروح فيه (كن) انسانا حيا وأمره يفيد قوة التكوين (فيكون) هذا هو المثل (الحق) أى الثابت الذى لا يقبل التأويل جاء (من ربك) الذى رباك بالاطلاع على الحقائق (فلا تكن من الممترين) بما ورد في الانجيل من اطلاق لفظ الاب على الله فانه اطلاق مجازى لانه لما حدث منه كان كأبيه واذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام (فمن حاجك) أى جادلك (فيه) لاثبات ابنيته بظواهر الانجيل (من بعد ما جاءك من العلم) القطعى الموجب لتأويله (فقل) اليق بيننا وبينكم مناظرة ولكن نزيل عنادكم بطريق المباهلة (تعالوا) أى هلموا بالعزم (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل

وأصل الصفح أن تصرف عن الشيء بتوليه صفحة وجهك أى ناحية وجهك وكذلك الاعراض هو أن تولى الشيء عرضك أى جانبك ولا تقبل عليه (قوله القوافيه) يهوين اللهو وهو الهجر والكلام الذى لا نفع فيه (قوله عز وجل اعتلوه) أى قودوه بالعنف (قوله تعالى ان تلقى الاظفار) معناه ما تلقى الاظفار

منا ومنكم أعزة أهله وألصقهم بقلبه ممن يخاطر الرجل بنفسه لهم ويحارب دونهم ويدع نفسه
يفنا (ثم نبتهل) اى نتضرع الى الله تعالى فى دعاء اللعنة (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا
ومنكم ليهلكهم الله وينجى الصادقين فلا يبقى العناد الباقى عليكم بعد اتفاق الدلائل
العقلية والنقلية روى أنه عليه السلام قرأ الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة فقالوا
حتى ننظر فلما تخلوا فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل
فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم فان أبيتم الا الف
دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم اذا أنا دعوت فأمنوا
فقال أسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله عز وجل أن يزيل جبلا
من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا (ان هذا) اى خلق عيسى بأمر الله لا بجامعته
مريم (لهو القصص الحق) كيف يجامعها ولا جزء له ينفصل بجامعته اذ (ما من اله الا الله)
فكما لا يتعدد أفراده لا يتعدد أجزاؤه والا لوجب اتصاف كل جزء منه بالكمالات الموجبة
لالهية ذلك الجزء (و) لو كان له جزء لم يتذلل بجامعة امرأة أرضية لانه (ان الله لهو العزيز)
ولو انتهى ذلك لنقصت حكمته لانه (الحكيم) فحكمته تحفظ عليه عزته (فان تولوا) اى
أعرضوا عن القول بعبودية عيسى عليه السلام فهم مفسدون اعتقادهم واعتقاد غيرهم
فى الله فلا يعرفونه (فان الله عليم بالمفسدين) يجازيهم بمقدار افسادهم (قل يا أهل الكتاب)
المطلعين على الاعتقادات الصائبة لا وجه لاعراضكم عن دعوتى الى القول بعبودية عيسى
(تعالوا الى كلمة سواء) اى قول معتدل لا يميل الى التعطيل ولا الى الاشراك متفق عليها (بيننا
وبينكم) وهى (ألا نعبد الا الله) اى لا نرى غيره مستحقا للعبادة فنعبده (ولا نشرك به شيئا)
فى كمال صفاته الذى به الهيته (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) اى آلهة مصدرا بما علينا بكونهم فى
الكمال (من دون الله) والالهية أعلى نهاية الكمال (فان تولوا) عن هذه الكلمة السواء
المتفق عليها (فقولوا) خرجتم عن دين الله الذى هو الاسلام ولكن (اشهدوا بأنا مسلمون)
لتكون شهادتكم سبب نجاتنا وهلاككم ولما قالوا لا اختلاف فى هذه الكلمة ولكنك تزعم
انك على ملة ابراهيم وتخالف اليهود والنصارى وكان ابراهيم يهوديا أو نصرانيا قال لهم
عز وجل (يا أهل الكتاب) الذين حقهم أن لا ينطقوا الا بالعلم (لم تحاجون) اى تجادلون
(فى ابراهيم) انه كان فى أحد الفريقين ولا شك أن اليهودية بعد انزال التوراة والنصرانية بعد
انزال الانجيل (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) التوراة بعده بألف سنة والانجيل
بعده بألفى سنة (أ) تجعلونه على شريعة كانت بعده بهذه المدة (فلا تعقلون ها أنتم هؤلاء) اى
تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة لقلة عقولهم (حاججتم فيما لكم به علم) من أمر محمد
صلى الله عليه وآله وسلم انه مذكور فى كتابكم فأمكنكم تغييره لفظا أو معنى (فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم) من أمر ابراهيم اذ لا ذكر له فى كتابكم فلا يمكنكم فيه التغيير (والله يعلم) نبيه

لا يؤدى الى يقين انما
يؤدى الى ظن مثله (قوله
عز وجل انشزوا) أى
ارتفعوا عن مواضعكم
حتى توسعوا الغير كما قال
قعد على نشز من الارض
أى مكان مرتفع ونشز ٣
(قوله استحوذ عليهم
الشيطان) أى غلب عليهم
الشيطان واستحوذ مما
أخرج على الاصل ولم يعل
ومثله استروح واستنوق
الجمل واستصوبت رأيه

٣ (قوله ونشز) بتحريك
الشين مصحح

لنبيه

انبيه (و) ان لم يبلغكم ذلك (أنتم لا تعلمون) وان كنتم منتسبين اليه (ما كان ابراهيم) لو كان على شريعة التوراة والانجيل (يهوديا ولا نصرانيا) اى معتقدا اعتقادهم اليوم فى عزير وعيسى (ولكن كان حنيفا) اى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة (مسلما) اى منقادا للاعتقادات الصحيحة (و) لو كان له شئ من اعتقاداتهم اليوم فلا شك انه (ما كان من المشركين) بالقول بابنية عزير أو عيسى أو بالهيتهما ثم ما زعمتم انكم أولى به لان شريعته كانت موافقة لشريعة التوراة والانجيل ممنوع بل (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) قبل نزول التوراة والانجيل اذ لم يتغير عليهم شئ من شريعته (وهذا النبى) الناسخ الناسخ التوراة والانجيل من شريعته (والذين آمنوا) به لعملوا بشريعته الموافقة لشريعة ابراهيم ثم قال (و) لو كنتم موالين له بالعمل بشريعته وكانت منسوخة بهذه الشريعة لم يفدكم موالاته اذ لا يواليكم الله اذ (الله ولى المؤمنين) ثم أشار الى ان اهل الكتاب انما ادعوا يهودية ابراهيم أو نصرانيته لانكم تزعمون انكم على ملته فأرادوا ان يلزموكم اليهودية أو النصرانية لانه (ودت) اى أحبت (طائفة من أهل الكتاب) الذين حقهم محبة الاهداء (لو يضلونكم) بالفاشية يهودية ابراهيم أو نصرانيته لكنها انما تتم لو صحت يهوديته أو نصرانيته (و) اذ لم تثبت اضلالهم فى هذه الدعوى فهم (ما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) أنه يعود اضلالهم الى أنفسهم اذا عجزوا عن اثبات هذه المقدمة ثم قال انكم انما تدعون الناس الى اليهودية والنصرانية لظهور الآيات على يدى موسى وعيسى عليهما السلام (يا أهل الكتاب) المؤمنين بآيات موسى وعيسى (لم تكفرون بآيات الله) الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم مع انها اجل من آياتهما (وأنتم تشهدون) آياته وقد سمعتم آيات موسى وعيسى والمشهود أولى بالترجيح من المسموع ثم أشار الى أن هذه الآيات لو لم تكن اجل فلا تكون أقل الا عن تلبيسكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) فتجعلون تكليم الحصى وشق القمر من السحر دون احياء الموتى وشق البحر (و) قد صدقه كتابكم لكنكم (تكتمون الحق) اى الثابت فى كتبكم (وأنتم تعلمون) ما هو مراده وان غيرتموه بتأويلكم الفاسد (و) من تلبيسهم الحق بالباطل أنه (قالت طائفة من أهل الكتاب) اثنا عشر منهم ودخير (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) من نسخ التوراة (وجه النهار) اى أوله (واكفروا آخره) تقولوا نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى فى كتابنا (لعلهم) اى أصحاب محمد (يرجعون) عن دينه اذ يتوهمون أنهم بعد تركه العناد انما رجعوا لانهم علموا حاله (و) من كتمانهم الحق أنهم قالوا (لا تؤمنوا) اى لا تظهروا تصديقكم بمحمد لكونه فى كتابكم (الا لمن تبع دينكم) اى ان علمتم استقراره على اليهودية (قل) كأنكم تم دون الناس باليهودية لكم لم يبق هدى بعد مجئ محمد صلى الله عليه وسلم (ان الهدى هدى الله) وليس هدى الله بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم بمقتضى التوراة التى

(قوله تعالى امتحنوهن) أى اختبروهن (قوله عز وجل اسعوا الى ذكر الله) بادروا بالنية والجد ولم يرد العدو والاسراع فى المشى (ائتمروا بينكم بمعروف) أى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف (قوله استغشوا ثيابهم) تغطوا بها (قوله التفت الساق بالساق) آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة ومعنى التفت أى التصقت من قولهم امرأة لفاء اذا

حصرتم هدى الله في الاعداء لكنكم تكتمون انه هدى الله بعد تجينه كان التوراة اداه
قبل مجيئه كراهة (ان يؤتى احد من هدى الله (مثل ما اوتيتم) فضلا عن الفاضل في التقريب
من الله وافادة الثواب (او) كراهة اظهار أن (يحاجوكم) اى يغلبوكم بالحجة (عند ربكم)
فانكم تكرهون ظهور ذلك لما فيه من ذهاب رياستكم ورشاكم (قل ان) الاخفاء انما ينفع
الاتباع لو كان الفضل بيدكم لكن (الفضل بيد الله) ولا يمكنكم منعه فانه مع منعكم اياه
(يؤتيه من يشاء) كيف (و) منعكم تضييق عليه ولا يمكن اذ (الله واسع) وان أمكنكم
التضييق فهو (عليم) بدفعه عن نفسه فيزيده اخفاؤكم ثم ان اخفاءكم فضل المؤمنين انما يأتي
لو ساووكم في الفضل أو قصروا لكن الله (يختص برحمته من يشاء) فيزيده فضلا عليكم كيف
(و) فضله ليس مقصورا فيما أعطاكم اذ (الله ذو الفضل العظيم) ثم أشار الى أنه لا يبعد منهم
التلبيس وقد ظهرت فيهم الخيانة في أقل شئ ويبعد من مؤمنهم وقد ظهرت فيهم الامانة في شئ
عظيم فقال (ومن أهل الكتاب) عبد الله بن سلام أودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية من
الذهب فاداه اليه فهو (من ان تأمنه بقنطار) مال منضد بعضه على بعض (يؤده اليك) وان لم
تطالبه فيبعد منه التلبيس لان أمانته مع الخلق تدل على امانته مع الله فلا يفترى عليه انه
ما ذكر في كتابه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم من) فنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي دينارا فلم يؤده اليه فهو (ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) لكونه في غاية الخيانة بحيث
يخون في غير شئ (الا ما دمت عليه) اى على رأسه (قائما) بالمطالبة والترافع واقامة البينة
فلا يبعد منه الخيانة مع الله بكتمان ما أمر باظهاره طمعا في ابقاء الرياسة والرشا عليه (ذلك)
اى الدليل على خيانتهم مع الله انهم يعتذرون عن الخيانة مع الخلق اذا ظهرت بالافتراء على
الله لان اعتذارهم (بأنهم قالوا ليس علينا في) مال (الاميين) الذين ليسوا من أهل الكتاب
(سبيل) الذم وعتاب فهم يخونون مع الخلق (ويقولون) في الاعتذار عنه (على الله
الكذب) فيخونونه ايضا (وهم يعلمون) أنه كذب محض ليس لهم فيه نص قطعي ولا ظني مبينا
ولا دلالة (بلى) النص الالهي أن (من أوفى بعهده) أوفى الله عهده ومن نقض عهده نقض
الله عهده واداء الامانة من وفاء العهد بل من التقوى (و) قد نص على ان من (اتقى فان الله
يحب المتقين) فلو لم يكن عليهم سبيل لكانت حقهم ان يستأثر واحبة الله على كل شئ ثم أشار
الى أنهم متى يبالون بعهد الناس ولم يبالوا بعهد الله اذ يستبدلونه وكيف يتقون الله في أمانات
الخلق ولم يتقوه في أماناته وهي وجوب تعظيمه اذ يهتكونه بالايمان الكاذبة فقال (ان الذين
يشترون بعهد الله) اى يأخذون بدله بتغييره (وأيمانهم) اى وبأيمانهم الكاذبة يبدلونها
فيأخذون (ثمنا قليلا) اى شيئا حقيرا من الدنيا الحقيرة التي لا نسبة لجمعها الى أدنى ما تؤتون
(أولئك لا خلاق) اى لا نصيب ثواب (لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يرضيهم (ولا ينظر
اليهم يوم القيامة) نظر الرضا (ولا يزكيهم) عما يوجب العقاب (ولهم عذاب أليم) بالنار
والتوبيخ ونظر الغضب والهيئات الظلمانية وذلك لانهم انما أخذوه بعدم رؤيتهم في ابقاء

الصقت عنه اهاويقال هو من التغابن ساق الرجل عند السباق يعني عنده وندوح الصدال ربه ويقال التفت الساق بالساق مثل قولهم شمرت الحرب عن ساقها اذا اشتدت (قوله تعالى انكدرت) انتثرت وانصبت ومنه قول العجاج أبصر خربان فضاء فانكدر (وهو طائر واحده خرب) ونحوه ذكره البخاري

عهدهم

عهده وبرعاية تعظيمه نصيبا من ثواب الآخرة ولا من مكالمة الله بما يرضيهم ولا بالنظر بالرضا
اليهم ولم يريدوا التزكية عن موجب العذاب وكيف لا يكون كذلك (وان منهم لفريقا)
لا يقتصرون على تغيير العهد بمجرد التأويل بل (يلوون) اى يحرفون (ألسنتهم) فيظهرون
أكاذيبهم ملتبسة (بالكتاب لتحسبوه) اى لتتوهموا انه (من) ألفاظ (الكتاب وما هو من
الكتاب) لفظا ولا تأويلا (و) لا يقتصرون على الايهام بل يصرحون اذ (يقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله) تنصيصا ولا استنباطا (و) بالجملة لا يبالون بالله اذ (يقولون على
الله الكذب) فى كتابه وغيره (وهم يعلمون) أنهم يكذبون ثم انهم كما كذبوا على الله كذبوا على
رسله اذ زعموا أن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فرد الله تعالى عليهم بأنه (ما كان) يصح من
الله الذى لا يعطى مرتبة النبوة الا لمن علم أنه يقوم بحقها أن يجمع هذه الفضائل (لبشر) مع
بقاء بشريته التى لا بد من بقائها أبدا (أن يؤتيه الله الكتاب) اى علم الاعتقادات والاخلاق
(والحكم) اى الشريعة (والنبوة) ليدعو الى الله (ثم يقول للناس) الذين بعثه الله اليهم
ليدعوهم الى عبادته وحده (كونوا عبادا لى) فاتخذونى ربا (من دون الله) لان ذلك
استنقاص لهم (ولكن) يستكملهم اذ يقول لهم (كونوا ربانيين) اى منسوبين الى الرب
بالتخلق بأخلاقه أو بالتحقق بها أو بالفناء فيه والبقاء به (بما كنتم تعلمون الكتاب) الناس
فان ثواب تعليمه ينير قلوبكم فيبدل أخلاقه أو ينزل بهم انوار التجلى الشهودى (وبما كنتم
تدرسون) اى تقرؤن فانه يجركم الى الله تعالى وهذا لو كان التعليم والقراءة لله تعالى وحده
(ولا يأمركم) أيها المأمورون بالربانية بما هو غاية النقص (أن تتخذوا الملائكة والنبيين)
الذين هم وسائط ما بينكم وبين الله (أربابا) استنزالا لكم عن عبادة الله الى عبادتهم على انه
رد الى الشرك الذى بعثوا لمحوه (أيأمركم بالكفر) اى بالعود اليه (بعد اذ أنتم مسلمون)
اى بعد استقراركم على الاسلام الذى تحملوا فيه المتاعب الكثيرة ثم ذكر انهم كما قالوا على
الله ورسله ما لم يقولوه كتموا على الله ورسله ما بالغوا فى الامر ببيانه من أمر كل رسول جديد
مؤكدا بالايمان به والنصر له فقال (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) اى العهد الوثيق من كل نبى
صادق أن يقولوا لاممهم عن لسانى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) اى ان الذى آتيتكم
من الكتاب وأسراره فانما آتيتكم لتعرفوا طريق الهداية وتجعلوه أصلا ترجعون اليه
اذا أشكل عليكم الامر فاذا جعلتموه أصلا (ثم جاءكم رسول) بالمعجزات (مصدق لما معكم)
وان كان ناسخا لبعض أحكامكم بما دلت الحكمة على اقتضاء زمان ذلك (لتؤمنن به) لانه
اجتمع فيه شاهدان المعجزات والهداية (و) لا تقتصرون على الايمان بل (لتنصرنه) أيضا
مبالغة فى تشهير أمره ثم بالغ فيه على الانبياء بمراجعة أممهم اذ (قال أأقررتم) اى هل أخذتم
اقرار قومكم بقبوله (وأخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى الثقيل (قالوا أقررنا) اى أخذنا
اقرارهم مع المبالغة (قال فاشهدوا) عليهم لتلزموهم اذا أنكروا (و) انا لم يحتج الى

(قوله انفطرت) أى انشقت (قوله تعالى انسق القمر) اذا تم وامتلأ فى الليالى البيض ويقال اتسق استوى (قوله بايديهم) بجوعهم (قوله عز وجل ارم) أبو عاد وهو عاد بن ارم ابن سام بن نوح ويقال ارم اسم بلادهم التى كانوا فيها (قوله اقتحم العقبة) هى عقبة بين الجنة والنار والاقتحام الدخول فى الشئ والمجاوزة له بشدة وصعوبة (وقوله عز وجل فلا اقتحم

شهادتكم سوى المبالغة اذ (أنا معكم من الشاهدين) واذا بالغ الله تعالى هذه المبالغة في أخذ الانبياء ميثاق أتوامهم على هذا النهج البليغ (فمن تولى بعد ذلك) اى اعرض عن هذا العهد فلم يؤمن بالرسول المذكور ولم ينصره (فأولئك) وان كانوا من أهل الكتاب (هم الفاسقون) اى الخارجون عن دائرة أهل الحقيقة فلا عبرة بشهادتهم ولا باخبارهم فان قالوا هذا الرسول ليس مصدقا لهم لانهم دعوا الى ربوبية انفسهم قيل لهم (أ) يطلب الانبياء من الناس اتخاذهم أربابا وهذا دين المشركين (فغير دين الله) الذى هو التوحيد (يبغون) اى يطلبون لاتباعهم (و) ليس هذا مقتضى كلامهم في التجلى الشهودى اذ (له أسلم من في السموات) من أهل الفناء والبقاء (والارض) من عوام المؤمنين والكفار (طوعا) ان كان من أهل البقاء أو مؤمنا (وكرها) ان كان من أهل الفناء او كافرا فلا يدعى الالهية إلا لله لا لنفسه وكيف (واليه يرجعون) في التوحيد فلا مساغ لغيره في دعوى الالهية أصلا ولو قالوا أنتم تطلبون بترك اليهودية والنصرانية غير دين الله (قل) لهم (آمنا بالله) ديهود هذا الزمان ونصاراه أشركوا به (وما أنزل علينا و) ان كان فيه ما ينسخ بعض أحكام التوراة والانجيل فهو موافق (ما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) فلو اخذ نسخنا التوراة والانجيل لاشتمل نسخكم لما أنزل على هؤلاء (و) مع ذلك أيضا صدقنا (ما أوتي موسى وعيسى والنبيون) وان اختلفت شرائعهم لكونها (من ربهم) اى الذى ربى كلا على مصلحته وهم وان تفاوتت شرائعهم كمالا ونقصا (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لان التفاوت فيها بتفاوت استعدادات الامم (و) لا نجعل بعضهم أربابا لبعضهم عبيدا بل (نحن له مسلمون) فهذا هو الاسلام الذى هو الانقياد لربوبية الله وأوامره في كل عصر (ومن يبتغ) اى يطلب (غير الاسلام دينا) فاتخذ البعض أربابا وصدق البعض دون البعض وآمن بالمنسوخ دون الناسخ (فلن يقبل منه) اذ لم ينقد لامر الله في عصره واب انقاذ لما أمر به من قبله (و) لا يحصل ثواب من عمل بالدين المنسوخ قبل نسخه بل (هو في الآخرة من الخاسرين) للأجر على الناسخ والمنسوخ جميعا وكذا أجر ما صح من الاعتقادات والاعمال والاخلاق لان الكفر محبط للكل وكيف لا يكونون خاسرين في الآخرة وقد خسروا وجوه الهداية في الدنيا اذ (كيف يهدى الله قوما كفروا) بالرسول بعد مجيئه (بعد ايمانهم) به قبل مجيئه اذ رأوه في كتبهم (و) ليس هذا الكفر بمجرد نقضهم الميثاق بالايمان بكل رسول يأتيهم مصدقا لما معهم بل مع ذلك (شهدوا أن) هذا (الرسول حق و) هو وان لم يعين زمانه ومكانه وقبيلته وسائر مشخصاته بكتبهم انه (جاءهم البينات) التى آمنوا لمثلها والمادون بها من موسى وعيسى عليهما السلام فقالوا بحقيقه الثابت ببيناته وتصديقه الكتب السماوية (والله لا يهدى القوم الظالمين) فلا يجازيهم بجزاء أهل الهداية وان اهتدوا بالايمان ببعض ما في كتبهم بل (أولئك جزاؤهم) بجزاء الظالمين بالكفر الكلي

(المفيد) أى لم يقصها ولم يجاوزها ولا تكون مع الماضى بمعنى لم مع المستقبل كقوله ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما أى أى عبد لك لم يلم بذنب أخذه من اللمم وهو من الصغائر (قوله عز وجل انبعث أشقاها) انفعل من البعث والانبعاث هو الاسراع في الطاعة للباعث وأشقاها هو قدار بن سالف عاقر الناقة (قوله

وهو (أن عليهم لعنة الله) الذى بعث الرسل وأعطاهم البينات ووافق بالايمان بكل رسول
جاءهم بالبينات مصدقا لما معهم ونص على الرسول (والملائكة) الذين جاؤا بالرسالة أوشهدوها
(والناس أجمعين) من المؤمنين الذين آذوهم والكافرين الذين وقعوا فى الكفر بسببهم
يتسلطون عليهم مجتمعين ويغرقون فى اللعنة (خالدين فيها) لاينقص عنهم أصلا لذلك (لايخفف
عنهم العذاب) وان آمنوا ببعض ما فى كتبهم (ولاهم ينظرون) لينتفعوا بثواب ذلك البعض
لوحصل ثوابه (الا الذين تابوا) فانهم لايبقون فى اللعنة ولو (من بعد ذلك) الكفر بعد الايمان
(وأصلحوا) ما أفسدوا من أضلوهم بازالة الشبهات عنهم (فان الله غفور رحيم) لانه لما سقطت
الشبهات عن المضلين سقطت عن المضلين أيضا اذ كانوا سبب اسقاطها أيضا (ان الذين كفروا
بعد ايمانهم) فيه اشارة الى أن اضلال الكافر الاصلى ساقط بالتوبة وان مات المضل كافرا
(ثم ازدادوا كفرا) باضلال غيرهم (لن تقبل) فى حق من أضلوهم (توبتهم) اذلم يزيلوا شبهاتهم
(وأولئك) بترك شبهاتهم (هم الضالون) وفيه اشارة الى أنهم لو أمكنهم ازالتها بالموت أو
بالغيبة البعيدة يرجى عفوها وكيف تقبل توبتهم ولا يبقى باضلالهم حسناتهم لومات
المضلون كفارا (ان الذين كفروا) باضلالهم (وماتوا وهم كفار) لتركهم الشبهات عليهم
(فلن يقبل من أحدهم) فضلا عن جمع منهم (ملء الارض ذهبا) لو تصدق به المضل وأعطى
المضل عوضا عن اضلاله فانه لاينتفع به (و) كذا (لو) وجده و (افتدى به أولئك) لو أعطوا
ثوابه لم ينتفعوا به اذ (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) من ثواب بدنى أو وجه أو شفاعة
ثم أشار الى أن انفاق المال وان لم يقع فداء للكافر بل هو فى نفسه شريف اذ (لن تنالوا البر)
اى بر الله رحمته ورضوانه (حتى تنفقوا) فى سبيله (مما تحبون) اى بعض محبوباتكم من
المال أو الجاه أو النفس (و) ليس المطلوب انفاق النصف أو الثلث أو الربع بل (ما تنفقوا
من شئ) حقير أو عظيم (فان الله به عليم) يجازيكم بقدره وانما كان انفاق المحبوب سبب نيل
البر لان ترك المحبوب من أجله من أسباب التقرب اليه لذلك تقرب يعقوب عليه السلام بترك
أحب الطعام اليه اذ كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل أحب الطعام اليه وهو لحم
الابل ولبنه فدل هذا على أنه (كل الطعام) أى الحلال فى دين محمد عليه السلام (كان حلا لبنى
اسرائيل) فى عهد ابراهيم وبنيه عليهم السلام قبل ظلمهم ولم يحرم عليهم بعد ظلمهم (الا ما حرم
اسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام (على نفسه) بنذره فكان تحريم يعقوب (من قبل أن
تنزل التوراة) ولم يكن تحريم ابراهيم كما قالت اليهود واعترضوا بذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان لا يأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكلها
فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان حراما على نوح
وابراهيم حتى انتهى الينا (قل) ان كذبتمونى (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فى
أنها كانت محرمة فى دين ابراهيم وان التوراة لم تنسخ شيأ من أحكامه فاذا لم تأتوا بها علم أنكم

(قوله تعالى انحر) أى اذبح
ويقال انحر ارفع يدك
بالتكبير الى نحرك

• (باب الباء الموحدة) •

(قوله ببلاء) أى نعمة
أو جهة نعمة واختبار
ومكروه (وقوله عزوجل
بارئكم) خالقكم (قوله
عزوجل باؤا بغضب من
الله) انصرفوا بذلك ولا
يقال باء الا بشر ويقال باء
بكذا اذا أقر به أيضا
(قوله عز وجل بديع) أى
مبتدع (قوله بث فيها)
أى فرق فيها (قوله بالغ)

تفترون على الله بأنه قال بامتناع النسخ مع انه لا يمتنع عقلا (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أى ظهور نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم (فأولئك هم الظالمون) بالحكم على الله ومنعه من رعاية مصالح الازمنة واذا كانت التوراة ناسخة لبعض أحكام ملة ابراهيم (قل صدق الله) فيما ذكر فى هذا الكتاب من جواز النسخ وانه نسخ به مانسخ التوراة من أحكام ملة ابراهيم (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهو مقتضى امتناع النسخ أيضا كيف وليس فى ملته مافى يهودية اليوم ونصرانيته من الاعتقادات الفاسدة اذ كان (حنيفا) أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة كيف وفى يهودية اليوم ونصرانيته شرك اثبات الولد أو الهية عيسى (وما كان من المشركين) وكيف تزعمون أنكم على ملة ابراهيم وقد كانت قبلته الكعبة بل قبله آدم وكيف تنكرون نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم وقد نسخت القبلة بصخرة بيت المقدس (ان أول بيت وضع للناس) أى لتوجههم اليه فى الصلاة لتجتمع قلوبهم فى تلك الجهة مع تفرقهم فى العالم (للذى ببكة) أى مكة لان الارض دحيت من تحتها فهى مبدأ الجسم الترابى فتوجهه اليه يوجب توجه الروح الى مبدئه واعتبار المبدئية يقتضى الاولوية بل تكون الصخرة قبلة ابراهيم ومن قبله اتفاقا ولدحو الارض من تحتها كان (مباركا) لان بركات الارض انما ترجت ببسطها فكانت فى الاصل تحتها فيرجى للمتوجه اليه البركات المعنوية (و) لكون التوجه اليه توجها الى الله كان (هدى للعالمين) كيف وقد كوشف بالتوجه اليه فى الصلاة وبالطواف حوله الحقائق الالهية والكونية كيف و (فيه آيات بينات) رمى الطير أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وتعجيل عقوبة من عتا فيه واجابة دعاء من دعا تحت ميزابه واذعان النفوس لتوقيره من غير زاجر ومن أعظمها النازل منزلة الكل (مقام ابراهيم) الحجر الذى قام عليه عند رفعه قواعد البيت كلما علا الجدار ارتفع الحجر فى الهواء لين فغرقت فيه قدماه كأنهما فى طين فبقى أثره الى يوم القيامة (و) من آياته أن (من دخله كان آمنا) من نهب العرب وقتالهم وقد أمن صيده وأشجاره وكيف تنكرون كون الحج من دين ابراهيم وقد نسخته التوراة فنسخ بعضها هذا الكتاب فقال (ولله) أى يجب للتقرب اليه (على الناس حج البيت) أى قصد زيارته من عرفات لنزوله منزلة بيت الله لو كان له مكان ولكن انما يجب على (من استطاع اليه سبيلا) اى قدر على الذهاب اليه والرجوع الى وطنه وجدان الزاد والراحلة مع نفقة الاهل (ومن كفر) بفرضية الحج فلا يبالى به كما لا يبالى بفرضيته وهو أولى بعدم المبالاة لغناه على الاطلاق (فان الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب) الزاعمين انهم يؤمنون بجميع آيات الله (لم تكفرون بآيات الله) فى بيته وآيات التوراة الدالة على وجوب الحج فى ملة ابراهيم وآيات محمد عليهما السلام ولا تقتصرون على الكفر بها بل تحرفونها لفظا أو معنى (والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم) لا تقتصرون على انكار فرضية الحج بل مع ذلك (تصدون) الناس (عن سبيل الله) الذى جعله سبيلا لابراهيم ومحمد عليهما السلام وقومهما فتمنعون عن الحج (من آمن تبغونها) بالقاء

(قوله غير باغ ولا عاد) أى لا يبتغى الميتة أى طالب لها وهو يجد غيرها ولا عاد أى لا يعدو شبعه (قوله عز وجل باشروهن) أى جامعوهن والمباشرة الجماع سمى بذلك لمس البشرة البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنها (قوله بسطة فى العلم) أى سعة من قولك بسطته اذا كان مجموعا ففتحته ووسعته (وقوله وزادكم فى الخلق بسطة) أى طولا وتماما كان أطولهم

الشبهات (عوجا) لا يليق المؤمن به على ايمانه (وانتم شهداء) انهم على الحق بنصوص كتابكم لكنكم تحرفونها (وما الله بغافل عما تعملون) من تحريفها والقاء الشبه على من يأخذ بمقتضاها (يا ايها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا تقلدوا أحدا ولو أهل الكتاب لانكم (ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) بحسن اعتقادكم فيهم لكونهم أهل الكتاب (يردوكم بعد ايمانكم) بالتوحيد والنبوة (كافرين) الكفر الذى كنتم عليه من الشرك وانكار النبوة اذ يرضون بالرد اليه دون البقاء على التوحيد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وكيف تكفرون) بالله لقولهم (وانتم تتلى عليكم آيات الله) التى هى أجل من الآيات المتلوة عليهم (و) ان لم تدركوا اعجازها فارجعوا الى رسوله اذ (فيكم رسوله و) من لم يجد رسوله يكفيه الاعتصام به فانه (من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) فى ادراك اعجاز آيات الله ورفع الشبه عنها ثم أشار الى أنه انما يتم ادراك الحجج ورفع الشبه بكمال التقوى المفيدة تزكية النفوس وتصفية القلوب فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) باستفراغ الوسع فى القيام بالواجبات والمستحبات واجتناب المحرمات والمكاره ولا تغفلوا عن الشبهات فانه يخاف معها الموت على الكفر (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى وقد رفعت شبهاتكم ثم أنه يقع بالتزكية والتصفية أنواع من الخلل كانحراف المزاج وتلبيس الشيطان (و) لدفعها (اعتصموا بحبل الله جميعا) أى بكتابه فى اعمال التصفية والتزكية وفى المكاشفة ثم الاعتصام بالكتاب انما يتم بالاجتماع على طلب الحق لا بالجدل الباطل الداعى الى الافتراق (و) لذلك قال (لا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم) بتأليف قلوبكم لتجتمعوا على طلب الحق (اذ كنتم اعداء) فقلب عداوتكم بالمحبة (فألف بين قلوبكم) وأزال افتراقكم المشتت لاموركم (فأصبحتم) اى صرتم (بنعمته اخوانا) متحابين فى الله مجتمعين على الخيرات متعاونين على البر والتقوى (وكنتم) بتلك العداوة (على شفا) اى طرف (حفرة من النار) بالقتال والنهب والاسر (فانقذكم منها) قيل كان الاوس والخزرج أخوين ووقع بين أولادهما العداوة والحروب مائة وعشرين سنة ثم رفعت بالاسلام (كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) فى كل مكان لانقاذكم عن الضلال فيه (لعلكم تهتدون) لرشدكم الدينى والدنيوى فيه ثم أشار الى انه كما انقذكم من النار والضلال بارسال الرسل وانزال الآيات فليكن فيكم من ينقذ اخوانه فقال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) اى الايمان (ويأمرون بالمعروف) اى بكل معروف من واجب ومندوب يقربهم الى الجنة ويبعدهم من النار (وينهون عن المنكر) اى عن كل منكر من حرام ومكروه يقربهم الى النار ويبعدهم من الجنة (وأولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الفائزون بأجور أعمالهم واعمال من تبعهم (ولا تكونوا كالذين) قربوا أنفسهم واخوانهم من النار لانهم (تفرقوا) بالمجادلة الباطلة (واختلفوا) فى الاعتقادات

طوله مائة ذراع وأقصره طوله ستون ذراعا (بكة) اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها اى يزدحمون ويقال بكة مكان البيت ومكة سائر البلد وسميت مكة لاجتذابها الناس من كل أفق يقال امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيأ (بيت) أمدر بليل يقال بيت فلان رأيه اذا فكر فيه ليلا ومنه قوله بياتا

الواجبة (من بعد ما جاءهم البينات) القاطعة التى لا يدمن فى باب الاعتقادات (وأولئك)
وان زعموا ان اختلافهم وقع عن اجتهادهم (لهم عذاب عظيم) فوق عذاب المعاصى
الفرعية لانهم اتبعوا الشبهات وتركوا اتباع الادلة التى لا مجال للاجتهاد فى مقابلتها (يوم
تبيض وجوه) لاتباعها الادلة القاطعة التى هى الانوار الساطعة (وتسود وجوه) لاتباعها
الشبهات المظلمة ليستدل بذلك على ايمانهم وكفرهم ليجازى كل بمقتضى حاله (فأما الذين
اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) باتباع الشبهات فى باب الاعتقادات (بعد) وجوب
(ايمانكم) من الدلائل القاطعة فانتم وان احترزتم ذلك عن اجتهاد (فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون) اذ لا يعذر بالاجتهاد لانه اقيمت الادلة القاطعة فى مقابلة شبهها (وأما الذين
ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) لاتباعهم الادلة القاطعة التى أقامها برحمته من
اتبعها لرحمة مؤبدة لذلك (هم فيها خالدون تلك) المذكورات واجبة لاعتقاد لانها (آيات
الله) لا لمجرد التخويف بل (نتلوها) من مقام عظمتنا المقتضية كمال الصدق (عليك)
يا أكمل الرسل فلا ينزل عليك ما فيه شبهة الكذب لمجرد التخويف بل (بالحق) اى الثابت
وكيف يكون لمجرد التخويف وهو ظلم بالتسوية بين المحسن والمسيء وليس من المظالم الجزئية
بل الكلية (وما الله يريد ظلما للعالمين) هو وان كان متصرفا فى ملكه اذ (لله ما فى السموات
وما فى الارض و) لكن (الى الله ترجع الامور) وهو حكيم يرى مخالفة الحكمة ظلما لانه
من وضع الشئ فى غير موضعه فلا يفعل خلاف الحكمة بمقتضى السنة وكيف لا تبيض
وجوهكم ولا تخلدون فى رحمة الله ولا تقطعون وقد (كنتم خير) كل (أمة) كانهم (أخرجت)
أى استنبتت من الناس (للناس) لانتظام أمورها (تأمرون بالمعروف) فتكملونهم
(وتنهون عن المنكر) فتسدون عنهم النقائص (و) قد كملتم فى انفسكم اذ (تؤمنون بالله
و) لمجرد كنتم خيرا من أهل الكتاب اذ (لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وان لم يتعد
خيرهم الى غيرهم اذ لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولهم ضيريته (منهم المؤمنون)
كعبد الله بن سلام (و) لا ينافى ذلك كفر الا كثرين به اذ (أكثرهم الفاسقون) فى الفرعيات
فلا يعدفسقهم فى الاعتقادات لغلبة الهوى فى حقهم على مقتضى علمهم لذلك يقصدون
اضراركم لكن (لن يضروكم) لكونكم خير خلق الله فيعينكم الله (الا أذى) باللسان
(وان يقاتلوكم) بالسيف أو المناظرة (يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) أى لا يكون لهم الكرة
عليكم أبدا وكذلك كان حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر وبكاءهم مع الله
العزيز ومع أعزة عباده من خيار المؤمنين الا مرين بالمعروف والناهين عن المنكر (ضربت
عليهم الذلة) أى جعلت عليهم كالقبة المضروبة فى الاحاطة (أينما ثقفوا) اى فى أى مكان
وجدوا وبحيث لا يمكنهم السكون فيه (الا) معتصمين (بحبل من الله) وهو الايمان بالله ورسوله
فى الظاهر (وحبل من الناس) أى وبعقد ذمة أو هدنة أو أمان من الناس (و) هو لا يفيدهم
عند الله لانهم (باؤا) أى رجعوا عن الايمان برسوله قبل مجيئه بعد مجيئه فالتبسوا (بغضب من

الله

باستيانها أى لللاوكذلك
يتهم العدو (وقوله تعالى
بحيرة) كل ما كان من
الحيوان غير ما يعقل
ويقال البحيرة ما انتهم
عن الجواب اى استفاق
(قوله تعالى بحيرة) وهى
الناقة اذا انتجت خمسة
أبطن فان كان الخامس
ذكرا نحروه فأكله الرجال
والنساء وان كان الخامس
أنثى بحروا أذنها اى شقوها
وكانت حراما على النساء

القدر) لا يمكنهم العود الى عزتهم لانهم (ضربت عليهم المسكنة) المستلزمة الذلة (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة والغضب (بأنهم) استكبروا على الله اذ (كانوا يكفرون بآيات الله و) زادوا عليه اذ عاندوا مع الله اذ كانوا (يقتلون الانبياء) عالمين بانه (بغير حق) موجب ظنى ولا قطعى (ذلك) أى الكفر وقتل الانبياء (بما عصوا) أى كما مضى الجمهور ولانهم (كانوا يعتدون) أى يجاوزون التوسط الى الغاية فغضب الله عليهم فجرهم الى الكفر ثم انهم وان كان فيهم الاعتداء الموجب للغضب (ليسوا سواء) أى مستوين حتى لا يعتد بايمان من آمن منهم ويحمل على النفاق بل (من أهل الكتاب) الذى شأنه التأثير فاذا فيهم فلابد من نوع منه تأثير به (أمة قائمة) بمعانى التوراة على أكمل الوجوه حتى يتدبروا دين محمد صلى الله عليه وسلم الناسخ لبعض أحكامها (يتلون آيات الله) المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم (آناء) اى ساعات (الليل وهم) يصلون صلاة التهجد (يسجدون) فيها وان لم يكن فى دين اليهود فيفيدهم مزيد تقرب وقت عموم الغفلة فهذا يدل على أنهم (يؤمنون بالله) فينقادون بجميع آياته (و اليوم الآخر) فيهابون الغفلة ثم لا تقتصر خيراتهم على أنفسهم بل تتعدى الى العموم (و) لذلك (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و) ليست لطلب الرياسة لانهم (يسارعون فى الخيرات) وطالب الرياسة يتبع هواه فلا يمكنه المسارعة الى الخيرات فى عموم الاوقات (و) ان صحت لهم المسارعة الى الخيرات فلا يظهر عليهم أثرها وقد ظهر على هؤلاء فعلم أن (أولئك من الصالحين) وانما ميزهم و بين اخوانهم حيث غضب على اخوانهم وجعل هؤلاء من الصالحين لانهم مسارعون فى الخيرات كيف (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) بفعل الاخوان (والله) وان غضب على اخوانهم جعلهم من الصالحين لتقواهم لانه (عليم بالمتقين) واذا كانت التقوى كافية فى ذلك فالمسارعة الى الخيرات زيادة على الكفاية ولو قيل كيف غضب على اخوانهم وقد أنعم عليهم بالاموال والاولاد أجيبوا بانهم ما ليسا من الانعام فى حق الكفار فى الآخرة اذ لا يدفعان غضبه عليهم فقيل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان كان التصدق بالاموال يطفئ غضب الرب فى حق المؤمنين ويفقرون بموت أولادهم أو استغفارهم (وأولئك) اى الكفار وأموالهم وأولادهم (أصحاب النار) اى ملازموها يزدادون بها عذابا ولو كانت مفيدة لهم لم يتأت لهم الاستمتاع بها اذ (هم فيها خالدون) ولا يفيدهم التصدق بها التخفيف اذ (مثل ما ينفقون) مع أن الغالب أنهم ينفقونه (فى) استجلاب فوائد (هذه الحيوة الدنيا) من طلب الثناء أو دفع البليات فان كان للآخرة فهو حرث أصابه الكفر وهو شديد فى اهلاك ما أصابه (كمثل ريح فيها صر) أى برودة شديدة (أصابت حرث قوم) فاهلكته فكذا ريح الكفر اذا أصابت حرث انفاق قوم (ظلموا أنفسهم فاهلكته) فصار الظلم ريحا لحصوله من هوى النفس ذات برودة شديدة لكونه ظلم الكفر الذى هو الموت المعنوى فاهلكت (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم

لحمها ولبنها فاذا ماتت حلت للنساء والسائبة البعير بسبب نذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك فلا يحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبه احد والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركت فى الغنم وان

بارسال الريح من عنده (ولكن) كانوا (أنفسهم يظلمون) بارسال ريح الظلم الكفرى على حرثهم الاخروى ثم أشار الى أن الكفر لما كان ريحا مهلكا لحرث أعمال أربابه فلا يبعد منه اهلاك حرث أعمال من صحبهم مع امكان اجتنابهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك صحبتهم فان لم تتركوها عليكم ان (لا تتخذوا بطانة) اى صحبة باطنة معرفة للاسرار (من دونكم) أى مجاوزة بطانة المؤمنين وكيف لا يؤثر ريح كفرهم فى حرثكم وهم (لا يألونكم خبالا) اى لا يقصرون فى افساد عقائدكم لاحباط أعمالكم ولا يبعد منهم لانهم (ودوا ما عنتم) اى تمنوا ما يهلككم فضلا عن أعمالكم ويدل على هذا التمنى انه (قد بدت البغضاء) أى ظهر البغض الباطن حتى خرج (من أفواههم) اذ لا يتمالكون أنفسهم من افراط بغضهم وان قصدوا امرا عاتكم (و) هذا يدل على أن (ما تخفى صدورهم أكبر) مما ظهر (قد بينا لكم الآيات) الدالة على سوء اتخاذكم اياهم بطانة تحذيرا منها (ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء) أى تنبهوا أيها الحق المشار اليهم بالاشارة القريبة (تحبونهم ولا يحبونكم) فعدم محبتهم كاف فى امتناع اتخاذهم بطانة لو لم يظهر بغضهم (و) ليس فيكم ما يوجب بغضهم لانكم (تؤمنون بالكتاب كله) فلا تنكرون من كتابهم شيأ (واذا لقوكم) بعد ظهور البغضاء من أفواههم خافوا أن تقطعوا مودتكم فلا يصل اليهم أسراركم لذلك (قالوا آمنا) بكتابكم ونبيكم سرا ولا تظهروه خوفا من قومنا (و) لكنه ايمان نفاق معكم لانهم (اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) أن لا يجدوا الى التشفى منكم سبيلا (قل) زادكم الله غيظا زيادة ظهورنا (موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) فكيف لا يعلم عضكم الانامل فان لم نطلعوا مؤمنهم على هذا الغيظ لكونه فى خلواتهم فلا بد أن تطلعوا مؤمنهم على أنهم (ان تمسسكم حسنة) بظهوركم على العدو ونيلكم الغنيمة وخصب معاشكم وتتابع الناس فى دينكم (تسؤهم وان تصبكم سيئة) باصابة العدو منكم أو اختلاف بينكم أو جدب أو بلية (يفرحوا بها) واذا امتنعتم من موالاتهم فغاية ما يكون منهم انهم يؤذونكم (وان تصبروا) على ايذائهم (وتتقوا) الله فى موالاتهم (لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط) لا يمكنه ان يصل اليكم (و) اذكر اهم فى دفع الله كيد أعدائهم عنهم يوم أحد (اذ غدوت) أى خرجت بالغدوة (من أهلك) أى حجرة عائشة فتركت الاستراحة فى وقتها لاهتمامك لقتال العدو بأحد (تبوئ) أى تنزل (المؤمنين) وكانوا زهاء ألف (مقاعد) أى أماكن (للقتال) فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن أبى فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فكان هذا كيدا منه (والله سميع) لقوله (عليم) بكيده الذى كاد به لك بعض المؤمنين (اذ همت) أى قصدت (طائفتان) بنو سلمة وبنو حارثة (منكم أن تفشلا) أى تجبنا فتضلا مع ابن أبى (و) لكن عصمهم الله اذ (الله وليهما) ولاهما فتوكلا عليه (وعلى الله) لا على قوة النفس أو المدد (فليتوكل المؤمنون) فلا تخافوا قوة الاعداء وعدتهم وكثرة عددهم وكيف لا تتوكلون على الله (ولقد نصركم الله) لتوكلكم عليه

كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبح وكان لحومها لذكرانا وكان حراما على النساء ولبن الانثى حرام على النساء الا أن يموت منها شئ فيأكله الرجال والنساء والحامى الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا انتج من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلا (قوله تعالى بغتة) اى بغتة (قوله عز

(ببدر) موضع بين مكة والمدينة أو بئر منه (وأنتم أذلة) لا قوة لكم ولا عدة ولا كثرة إذ كنتم ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرس وعامتهم رجالة ثم أدرع (فاتقوا الله) أن تولوا أعداءه عن دينه أو ولية (لعلكم تشكرون) تقويته وإعزازه لكم ونصره لكم ودفعه أعداءكم كما في يوم بدر (إذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم أو بدل ثان (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم) ليقوي سكم ونصركم ودفع أعدائكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من سمائه لقتال أعدائه وجعل عدد المدد لأنه أضعاف عدد الكفار كأنهم لأنه أضعاف عدد المسلمين (بلى) يكفيكم ولكنه يريدكم (إن تصبروا) على قتالهم (وتتقوا) الفرار عنهم (ويأتوكم من فورهم) أي ساعتهم (هذا) فلا تبرحوا لضعفاتهم (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) أي معلمين بأنهم ملائكة لا سيما لمن يزداد ولا قوة أعدائكم شرفا وحصل الزيادة ضعف عدد الكفار مع أنهم لو كانوا ضعف عدد المسلمين لوجب على المسلمين قتالهم فكيف إذا انعكس الأمر ولا ينافي هذا ما مر من رؤيتهم المسلمين ضعفهم لأنه غيرهم الملائكة (وما جعله الله) أي هذا الإمداد (إلا بشرى) مرية (لكم و) ما جعله إلا (لتطمئن) أي لتسكن (قلوبكم به) فلا تفزع من رؤية كثرة عدوهم وعددهم وقوتهم (و) لم يكن الحاجة لأنه (ما النصر) ولو مع الإمداد (إلا من عند الله) وحده (العزيز) أي الغالب على الأسباب بحيث يحكم بالنصر على خلافها (الحكيم) في استعمالها وقد اقتضت حكمته أن ينصركم مع قلتكم وذلتكم (ليقطع طرفا من) جملة (الذين كفروا) لا باستئصال كفرهم بعض قومهم ووقتهم (أو يكبتهم) أي يحزنهم (فينقلبوا خائبين) منقطعي الآمال لكن (ليس لك من الأمر) أي أمرهم من القطع أو الإكبات (شيء) حتى لا شوق سببه الله إلا أن يفعل أحدهما (أو يتوب عليهم) أي يوفقهم للإيمان (أو يعذبهم) لإصرارهم بعد رؤيته لا به ولا يبعد (فإنهم ظالمون) لإصرارهم على الظلم ثم أشار إلى أن ظلمهم وإن كان سبب العذاب فلله أن يزيله أو يديمه كيف (ولله ما في السموات وما في الأرض) ومن جملته ما فيه ظلمهم (يغفر لمن يشاء) بإزالة الظلم (ويعذب من يشاء) بإدامته (و) لا يبعد أن يغفر للظالم إذا تاب إذ (الله غفور رحيم) ومع غفرانه ورحمته له شدة في حق الظالم بالكفر أو بالإصرار على الكفار أو بتضييع سائر الحقوق حتى حق الجمادات (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى إيمانكم ترك الظلم ولو على الجمادات (لا تأكلوا الربا) فتظلموا الأموال بجعلها مما له لا لا وجود له فإن ذلك ترك الرحمة والغفران في الشرع ولا سيما (أضعافا مضاعفة) أي زيادات مكررة (واتقوا الله) إن لم تتقوا واستطعتم (لعلكم تفلحون) بالنجاة وبفوزكم عن أعدائكم كما في سائر الأشياء (واتقوا) في أكل أضعاف مضاعفة الإفضاء إلى الكفر الذي يوجب لكم (النار التي أعدت للكافرين) ولو لم يكن للأموال حقوق (وأطيعوا الله والرسول) في ترك الربا (لعلكم ترحمون) بالتفضل عليكم دون حقوقكم فلا عن الإضافة إلى شيء من

وجعل نارها) أي ظالما
(قوله تعالى يمددكم) أي
وصلكم والمتقبض الإمداد
يكون الوصال ويكون
الفراق (قوله عز وجل
بخمسة من ربكم) تعارفها
بما ترى من ربكم
صحيح بعينه واحدة [illegible]
(قوله عز وجل أو يكبتهم)
(قوله عز وجل
أو يكبتهم) أي شديد [illegible]
ناس) أي شديد [illegible]
أيضا [illegible]
(بئيس) شديد (خائب)
أصابع واحد [illegible] (قوله

حقوقكم ثم أشار الى أن النار المعدة للكافرين كما يخاف على آكل الربا أضعافا مضاعفة يخاف على كل مصر على المعاصي فقال (وسارعوا الى) أسباب (مغفرة) فانها وان كانت (من ربكم) من غير تأثير للاسباب فيها فسنته جارية بالفعل عندها وهي الاستغفار والندم والعزم على أن لا يعود (و) لا يتم الا بالمسارعة الى أسباب (جنة) هي الاعمال الصالحة لانها تمحو المعاصي اذ يدخل صاحبها في سعة الرحمة لذلك (عرضها السموات والارض) لو وضع بعضها بجنب بعض فهي من أسباب الصيانة عن الاعداء والبليات بل أسباب المغفرة أيضا أسباب الجنة لان المغفورة لاحق بالمتقين والجنة (أعدت للمتقين) لان المسارع الى أسباب المغفرة ينظر الى الله كنظر المتقين (الذين ينفقون) أموالهم اتقاء محبتها (في السراء والضراء) أي فيما يجلب مسرة للمؤمن أو يدفع مضرة عنه اتقاء تشبيه بهاتم في الاثم وبه (والكاظمين) اي الكافين (الغيظ) عن امضائه مع القدرة عليه اتقاء التعدي فيه الى ما وراء حقه (والعافين عن الناس) ما يغيظ للتلاجح ثم في الغضبة فانهم أعدت لهم الجنة لانهم محسنون آثروا اجابة الحق على شهوتهم وغضبهم (والله يحب المحسنين) لانهم لا ينظرون الى ما سواه فصلا عن محبته ويقرب منهم في النظر الى الله المسارعون الى المغفرة (و) هم (الذين اذا فعلوا فاحشة) اي فعلة بليغة في القبح متعدية (أو ظلموا أنفسهم) بغير التعدي (ذكروا الله) فاتقوا والمحسنين من وجه لكن رأوا معاصيهم حجبا (فاستغفروا لذنوبهم و) انما استغفروا لعلمهم انه (من يغفر الذنوب) فيرفع حجابها (الا الله و) كانوا استحكام الحجاب بالاصرار لذلك (لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) انه ذنب بخلاف ما لو لم يعلم الاثم عليهم أو لكونه في محل الاجتهاد فانه لا يخاف حجابيته عليهم اذا لم يقصروا (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) اي ستر لذنوبهم لقصير المحسنين (و) اذ صاروا والمحسنين فجزاؤهم (جنات) جزاء على مشاهدتهم اياه (تجري من تحتها الانهار) جزاء على اجرائهم أنهار المعارف في قلوبهم بمسارعتهم في رفع الحجب عنها (خالدين فيها) لبقاء احسانهم دائما فهذا أجر المسارعين الى المغفرة وفوقه أجر المسارعين الى الجنة وهم العاملون (و) لذلك قال (نعم أجر العاملين) فانه اتسع جنتهم الى أن صار عرضها السموات والارض ثم أشار الى أنكم ان أصررتم على المعاصي ولم تبادروا الى الاستغفار فلا يقتصر في حقكم على ابقاء الحجاب بينكم وبين ربكم الموجب للعذاب الاخروي بل (قد خلت) اي مضت (من قبلكم سنن) من أنواع المؤاخذات والدنيا سيما في حق المكذبين الذين يتخذون منهم بطانة ليضروا عن أديانكم فلا تبعدون عن شدة المؤاخذة اني عليهم لموافقتكم اياهم (فسيروا في الارض) التي فيها ديارهم الخربة وآثار اهلاكهم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقيسوا عليها عاقبة لاحقيهم (هذا) من مؤاخذة المذكور (بيان للناس) الذين نسوا مؤاخذتهم فاتخذوهم بطانة لتصنعاتهم ونسوا ما على لاحقيهم من مؤاخذة الله (وهدى) الى التحفظ عنهم بالتوكل على الله (وموعظة) أي تخويف نافع (للمتقين) الذين منهم التحفظ الكلي الذي لا يتم الا بالتحفظ من

عز وجل بيانا) اي ايلا والبيان الايقاع بالبيل (قوله عز وجل براءة) اي خروج من الشيء ومفارقة له (قوله عز وجل تراءت أرذالهم) اي اسافلهم ويقال أرذالنا لهم سوأ وهو المترل المذموم (قوله عز وجل بادئ الرأي) اي أول الرأي مهموز وبادي الرأي غير مهموز اي ظاهر الرأي (قوله عز وجل بل)

الله بل بطانتهم عن الخوف ولا خوف منهم فى الواقع واغاظوا من ومنكم (ولا تهنوا) اى
ولا تضعفوا فى انفسكم لتفتقروا الى اتخاذهم بطانة ومنشأ هذا الضعف الحزن من أذيتهم
(ولا تحزنوا) اذ لا تصل أذيتهم الى اتلافكم بل هم التالفون (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون
لكن انما تغلبون (ان كنتم مؤمنين) مخلصين لانه انما وعد النصر للمؤمنين ولا تضعفوا عن
الجهاد بمس القرح فانه (ان يمسسكم قرح) يوم أحد (فقد مس القوم) العدو يوم بدر (قرح
مثله) ولم يضعفوا ولم يحزنوا انا انتم أولى لانكم موعودون بالنصر دونهم (و) المس مرة لا يدل
عليه فى كل مرة اذ (تلك الايام) اى أيام النصر (نداولها) اى نصيرها فنجعلها دولة لطائفة
مرة ولاخرى أخرى فنقسمها (بين الناس) لئلا يحتجبوا (وليعلم الله الذين آمنوا) اى وليتميز
الثابتون على الايمان فى علم الله عما سواهم اذ لو دام النصر للمؤمنين لكان ملجأ الناس الى
اعتقاد حقيتهم (ويتخذ منكم شهداء) ولو دام النصر للمؤمنين لقل الشهداء منهم لكن الله
تعالى يريد تكثيرهم لانه يحبهم لكونهم مظلومين (والله لا يحب الظالمين) فيجعل محبته لهم
لو ابطلوا ايمانهم مع محبته لهم لايمانهم (وليمحص) اى يطهر (الله الذين آمنوا)
بالشهادة عن معاصيهم (ويمحق الكافرين) بالقتال اذ لو دام النصر للمؤمنين لدام صلحهم
معهم فكانوا باقين اضعفتم عن أعمال الجنة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) اى ولم
يتميز ما علم الله من (الذين جاهدوا منكم) عمن علم ضعفهم عن الجهاد (ويعلم الصابرين) على
الشدائد حفظا للايمان عمن يجزع فينقلب (و) كيف ضعفتم الآن وانتم قد كنتم تمنون
الموت) على الشهادة (من قبل أن تلقوه) أى أسبابه (فقد رأيتموه) اى معتناكم (وأنتم تنظرون)
شدائده وتضعفون ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم وموته ليس من أسباب الضعف
بل هو كالقرح فقال (وما محمد الا رسول) والرسل منهم من مات ومنهم من قتل فلا منافاة بين
الرسالة والقتل والموت اذ (قد خلت من قبله الرسل) بل الضعف عن الجهاد حينئذ مشعر
بالردة (أ) تؤمنون به فى حال حياته (فان مات أو قتل انقلبتم) اى ارتددتم كانكم انقلبتم (على
أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بابطال دينه فانه سيظهره على يدى من
يشكره (وسيجزى الله) بالنصر والغلبة فى الدنيا والثواب والرضوان فى الآخرة
(الشاكرين) نعمة الاسلام بالجهاد فيه روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه ذهب مصعب بن عمير وكان صاحب رايته
فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل محمدا صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صلى الله عليه
وسلم وصرخ ابليس الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال المنافقون لو كان نبيا
ما قتل ارجعوا الى اخوانكم وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان فقال
أنس بن النضر ان كان محمدا قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده
فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وأبرأ اليك منهم وسل سيفه
وقاتل حتى قتل فكان من الشاكرين ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم أو موته

زوجها ويجعل اسم صنم
أيضا قال الله عز وجل
أتدعون بعلا (قوله تعالى
بقية الله خير لكم) اى
ما أبقاه الله لكم من الحلال
ولم يحرمه عليكم فيه مقنع
ورضا فذلكم خير لكم
(قوله عز وجل بعدت ثمود)
اى هلكت يقال بعد يبعد
اذا هلك وبعد يبعد من
البعد (قوله تعالى بخس)
نقصان يقال بخسه

كما لا يكون سببا للردة لا يكون سببا للهزيمة فقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) وما يأذن الاعند انتهاء الاجل لانه كتب عمر الانسان (كتابا مؤجلا) اى منتهيا الى أجل ولا يغير ما كتب لموت رسول أو قتله (و) ليس مسقطا للثواب دنيوى ولا أخروى بل (من يرد ثواب الدنيا) وهو النصر والغنيمة (نؤته منها) اذ وعدناهما المؤمنين (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) وكيف لا وقد شكر نعمة الاسلام (وسنجزى الشاكرين) ثم ان قتل نبي لو كان موجبا للوهن لحصل للعلماء بالله العاملين من القدماء (و) لكن (كأين من نبي) أى كثير من الانبياء قتلوا حين (قاتل معه ربيون) اى المنسوبون الى الرب من العلماء العاملين (كثير) لا يخلو عمن يطلع على موجب الوهن لو خفى على القليل كيف ولم يحصل لهم تردد (فما وهنوا) اى ضعفوا (لما أصابهم فى سبيل الله) من القرح الظاهر مع الباطن بموت الرسول (وما ضعفوا) ولو ضعفوا لاستكانوا (و) لكنهم (ما استكانوا) للاعداء بل صبروا على قتالهم (والله يحب الصابرين) على قتال أعدائه سيما اذا قتل نبيهم لانه أشد (وما كان قولهم) مثل قول المنافقين والضعفاء ولا المعينين بقولهم بل ما كان (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فاضافوا الذنوب الى أنفسهم طلبوا الاستغفار لها لما علموا أنها أسباب الهزيمة والمصائب (و) لم يقتصروا على نسبة الصغائر الى أنفسهم بل قالوا (واسرافنا فى أمرنا) ومع قوتهم على الصبر لم ينسبوه الى أنفسهم (و) لم يعتمدوا عليها بل قالوا (وثبت أقدامنا) فى قتال أعدائك (و) قالوا (وانصرنا على القوم الكافرين) لئلا يذهبوا بنصر قتل الانبياء (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من الثناء الحسن والنصر والغنيمة لو ربحوا الحياة (وحسن ثواب الآخرة) أثم ثيبهم به قاعدين لانهم محسنون بالنظر الى الله (والله يحب المحسنين) ومحبته سبب كل نعمة وحسن ثم أشار الى أن علماء العصر من أهل الكتاب ليسوا كقدمائهم حتى يؤخذ بقولهم بل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) فتسمعوا أقوالهم (يردوكم) الى الشرك (على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) لدين الاسلام ودين أهل الكتاب حين كان حقا ومحبة الله ورضوانه وثوابه الدنيوى والاخروى فلا تعتقدوا أنهم يوالونكم كما توالونهم (بل الله مولاكم) فاستعموا له كيف (وهو) اذا استعمتم له (خير الناصرين) ينصركم خيرا من نصرهم لو نصروكم وكيف لا يكون خير الناصرين وهو ينصركم بغير قتال (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) بعد غلبتهم وذلك أن أبا سفيان لما رجع ندم ببعض الطريق فعزم أن يعود على المسلمين ليستأصلهم فألقى الله الرعب فى قلبه لغضبه عليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أى بكونه الها أو متصفا بصفاته أو مستحقا للعبادة (سلطانا) أى حجة قاطعة يبنى عليها الاعتقادات (و) لا يكتفى فى حقهم بهذا القدر بل (مأواهم النار) لظلمهم بالشرك (وبئس مثوى الظالمين) النار ثم أجاب عن هزيمة أحد مع وعده خير النصر وذلك انه عليه السلام أقام الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير على جبل عينين وجعله على يساره واستقبل

(قوله بئى اذا تنفسه وحزن) البث أشد الحزن الذى لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه اى ينشره (قوله والحزن أشد الهم) (قوله تعالى بصيرة) اى يقين تعالى الى الله على كونه أدعو الى الله على بصيرة اى على يقين (وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة) اى من الانسان بصيرة اى على نفسه عين بصيرة اى جوارحه يشهدن عليه بعمله ويقال الانسان

واستقبل المدينة وقال لهم احموا ظهورنا فإن رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا فلما أقبل المشركون فرشق الرماة خيلهم بالنبل وضربوهم بالسيف حتى قتلوا منهم اثنين وعشرين وولوا هاربين فقال بعض الرماة انهزم القوم فما مقامنا ها هنا فأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير في نفر دون عشرة فحمل عليهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل فقتلوهم وأقبلوا على المسلمين فاختلطوا على غير شعار فجعل بعضهم يقتل بعضا ونسل سيف من المسلمين وأرجف أن محمدا قد قتل فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم إلى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين فلما رجعوا قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أن ينصركم (إذ تحسونهم) أي تقتلونهم قتلا ذريعا (بإذنه) حين رشقهم الرماة وضربوهم (حتى إذا فشلتم) أي جبنتم عن القتال إلى الغنيمة (وتنازعتم في الأمر) في الإقامة بالمركز (وعصيتم) أمر الرسول عليه السلام أن لا تبرحوا من المركز (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر انقسمتم قسمين (منكم من يريد الدنيا) أي الغنيمة بترك المركز (ومنكم من يريد الآخرة) فثبت فيه (ثم صرفكم) أي كفكم (عنهم) بالهزيمة (ليبتليكم) بلاء الهزيمة (ولقد عفا عنكم) إذ لم يستأصلكم بعد مخالفة الرسول عليه السلام (والله ذو فضل على المؤمنين) لذلك تفضل بالعفو (إذ تصعدون) أي تبعدون في الفرار (ولا تلوون) أي لا تلتفتون بالوقوف (على أحد والرسول يدعوكم) إلى عباد الله (في أخراكم) أي ساقتكم (فأثابكم) أي جازاكم الله على فشلكم وعصيانكم (غما) متصلا (بغم) من القتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول عليه السلام وأعادل ذلك لتمرنوا على الصبر (لكيلا تحزنوا) فيما بعد (على ما فاتكم) من المنافع (ولا ما أصابكم) من المضار (والله خبير بما تعملون) ثم كان عاقبة الأمر أيضا النصر إذ (أنزل) الله (عليكم من بعد) إزالة (الغم) الكثير بتعين سلامة الرسول عليه السلام (أمنة) مع بقاء الحرب (نعاسا) أي نوما (يغشى) أي يعلو (طائفة منكم) هم المخلصون كانت تسقط سيوفهم من أيديهم مما حذرهم مرة بعد أخرى (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم) أي أوقعتهم في الهموم (أنفسهم) إذ (يظنون بالله غير الحق) أي إخلاف الوعد (ظن) الملة (الجاهلية يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم (هل لنا من الأمر) أي من أمر النصر الذي وعده (من شيء قل إن الأمر) أي أمر النصر (كله لله) أي لحزب الله إذ لا عبرة بالوسط بل لا بانية الهزيمة في الأول إيثار النصر لا يوجب سلامة الكل وهم يعلمون ذلك لكنهم لا يعتقدون نصركم في الآخر وإن رأوا انتقاسكم لذلك (يخفون في أنفسهم) عند قولك إن الأمر كله لله (ما لا يبدون لك) وهو أنهم (يقولون) في أنفسهم (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) فكأنهم يزعمون

الإنسان بصبر على محنة والهاء دخلت للمبالغة كما دخلت في علامة ونسابة ونحو ذلك (قوله تعالى بوار) أي هلاك (قوله عز وجل باخع نفسك) أي قاتل نفسك (قوله تعالى بشاهم) أي أحيياهم (قوله تعالى الباقيات الصالحات) الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (قوله تعالى بادرة) أي ظاهرة

أنهم لو أتبعهم المقتولون لم يخرجوا من ديارهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا (قل
لو كنتم في بيوتكم) وتبعكم المقتولون فلم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينبثوا
في ديارهم بل (لبرز) أي خرج (الذين كتب عليهم القتل) في مكان كذا ووقت كذا لأنه
يوقع في قلوبهم الخروج (إلى مضاجعهم) أي مكان قتلهم في زمانه إذ لا يقع خلاف المقدر
المعلوم والحكمة تقتضي هذا التقدير ليصبروا ويشهدوا فيتطهروا (وليبتلي) أي يمتحن
(الله) أي يعامل فعل الممتحن ليستخرج (ما في صدوركم) من الإخلاص والصدق ليجعله حجة
عليكم (وليمحص) أي وليظهر النفاق (ما في قلوبكم) التي تنقلب من الإيمان إلى النفاق
(و) لا يبعد على الله إذ (الله عليم بذات الصدور) أي الضمائر الملازمة لها ثم أشار إلى أن
الانهزام الذي كان في الوسط لم يكن من الله تعالى ابتداء على خلاف ما وعد من النصر بل
من الشيطان فقال (إن الذين تولوا) أي انهزموا (منكم) مع علمهم بأن الانهزام (يوم التقى
الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين من الكبائر (إنما استزلهم الشيطان) أي حملهم
على الزلة بمكره مع وعد الله النصر (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض اكتسابهم كترك
المركز والميل إلى الغنيمة مع النهي عنه فمنعوا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم)
لندمهم وإخلاص توبتهم في الآخرة كما عفا عنهم في الدنيا إذ لم يستأصلهم (إن الله غفور
حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب فيغفر له ثم أشار إلى أن استزلال شياطين الإنس
كاستزلال شياطين الجن فقال (يا أيها الذين آمنوا) الإيمان ينافي الشيطنة لذلك (لا تكونوا
كالذين كفروا) فلحقوا بالشياطين (وقالوا لإخوانهم) استزلالا لهم عن أمر المعاش والمعاد
(إذا ضربوا) أي سافروا (في الأرض) لتجارة فأصيبوا بغرق أو قتل (أو كانوا غزى) فأصيبوا
باصطدام أو قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) ولا يفيدهم فإنما يقولونه (ليجعل الله
ذلك) القول (حسرة في قلوبهم) أي القائلين والسفر والغزو ليسا من أسباب الموت بل
يوجد بعض أسبابه هناك كما يوجد البعض الآخر في دار الإقامة والكل عند الله على أنه
لا أثر للأسباب (و) إنما (الله) هو الذي (يحيي ويميت) بالحقيقة (والله بما تعملون) أيها
المؤمنون في زعمهم من مشابهتهم في هذا القول (بصير) إذ تنسبون الفعل إلى الأسباب
حقيقة ثم أشار إلى أن الموت في سبيل الله ليس مما يوجب الحسرة بل مما يوجب التمني
(و) ذلك لأنكم (لئن قتلتم في سبيل الله أو متم) من غير قتال بعد الخروج له (لمغفرة من الله)
لذنوبكم التي لو لم تغفر عظمت عليكم حسرة (ورحمة) لو فاتتكم عظمت حسرة أيضا (خير
مما يجمعون) إذ لا تندفع تلك الحسرة بأموال الدنيا كلها بل ترك الجهاد هو الموجب للحسرة
(و) ذلك لأنكم (لئن متم أو قتلتم) لا في سبيله (لإلى الله تحشرون) فتعرفون من غضبه عليكم مع
رضاه عمن قتل أو مات في سبيله ما يوجب عليكم أعظم وجوه الحسرة وقدم القتل أولا لأنه
أعظم للأجر وأخره ثانيا لأنه أمر عارض والموت حتف الأنف لا بد منه وكيف ينكر الحشر
إلى الله لمن مات أو قتل وقد حشر من جاهد في سبيله من غير موت ولا قتل وكيف لا يعتبر الميت

أي ترى الأرض ظاهرة ليس فيها مستظل ولا متفيأ ويقال الأرض الظاهرة البراز (قوله عز وجل بغيا) يعني فاجرة (قوله تعالى بال) حال (قوله عز وجل بهيج) أي حسن يبهج من رآه أي يسره والبهجة الحسن والبهجة السرور أيضا (قوله عز وجل باد) أي من أهل البدو كقوله عز وجل سواء العاكف فيه والباد

والمقتول فى سبيله وقد غفر للمجاهد ورحم دونهما (فبما رحمة من الله) أى فبشئ حصل بالحشر الى الله من التخلق بأخلاقه لا بطريق الاتصاف بصفات الالهية حقيقة بل برحمة عظيمة من الله مفيدة للاتصاف بما يناسب صفاته التى من جملتها الغفران والحلم (لنت لهم) أى للذين تولوا عنك وأنت تدعوهم وللقائلين لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ومن هذه الرحمة جمعتهم (ولو كنت فظا) أى سيئ الخلق (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا) أى تفرقوا ولم يجتمعوا (من حولك) فلا تتم دعوتك وكمال الدين فى العفو (فاعف عنهم) كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) لئلا ينقص بها رتبتهم فى الآخرة (وشاورهم فى الامر) لتتوقد اذهانهم ويبنوا على رأيهم ولا يعترضوا عليك ولا تبالغ فى المشورة بل اعزم على أمر (فاذا عزمت) فبعد الاعتراض (فتوكل على الله) فى امضاء ما عزمت (ان الله يحب المتوكلين) فيصلح شأنهم ويهديهم الى الصواب وكيف يلتفت الى الاعتراض بعد التوكل على الله مع انه (ان ينصركم الله) وهو ناصر للمتوكل عليه اذا صدق فى توكله (فلا غالب) عليكم بل تكون الغلبة لكم (وان يخذلكم) ولا يخذله لانه لمن توكل على رأيه وقوته (فمن ذا الذى ينصركم) أى يعصمكم من قوتكم ورأيكم (من بعده) أى بعد خذلانه (وعلى الله) لا على الآراء والقوى (فليتوكل المؤمنون) الذين يعلمون أنه لا تأثير لشئ دونه ولما كان النصر بالايمان والتوكل على الله ويبعد من الخائن فلا يتصور عن نبأ الله من المفاق قال (وما كان لنبى أن يغل) أى يخون فى غنيمة كما قال المنافقون فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وكما ظن الرماة يوم أحد فقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له (و) كيف يكون ذلك فى شأن من رفع الله قدره وهو موجب للاذلال لان (من يغلل يأت بما غل) حاملا له على ظهره ليفتضح فى المحشر (يوم القيامة ثم) لا يقتصر على ذلك الاذلال بل يجازى على غله جزاء كاملا اذ (توفى كل نفس) جزاء (ما كسبت) فلا ينقص من حق من غل لانه حق الملك (وهم لا يظلمون) بابطال حقوقهم بالعفو عمن غل عليهم ولو قيل انه عز وجل يرضى خصوم أوليائه بتعويض من عنده يقال أولياؤه هم الذين اتبعوا رضوانه (أ) يغل وليه (فمن اتبع رضوان الله) لا يكون (كمن باء) أى كالغال الذى رجع (بسخط من الله و) السخط على أهل الغلول أشد اذ (مأواهم جهنم) وانما يعوض لاوليائه لان لهم الى ربهم المصير ونعم المصير وهؤلاء مصيرهم جهنم (وبئس المصير) وانما كان السخط على قوم أشد منه على غيرهم اذ (هم درجات) أى متفاوتون (عند الله) والغال أدنى درجة والنبى أعلى درجة فكيف يجعل الله فى أعلى الدرجات من عمل عمل أدناها (والله بصير بما يعملون) ثم أشار الى أنه كيف يكون الرسول غالا وقد من الله ببعثه فكيف يمن ببعث الخائن فقال (لقد من الله على المؤمنين) وان كان سبب تعذيب الكافرين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى منتسبا الى جميع أحيائهم قيل الا بنى تغلب ليكون رحيما عليهم وهو ينافى الغلول (يتلوا عليهم آياته)

(قوله البيت العتيق) بيت الله الحرام وسمى عتيقا لانه لم يملك ويقال سمى عتيقا لانه أقدم ما فى الارض ويقال ان الله عز وجل أعتق زواره من النار اذا توفاهم على توحيده وما عليه نبيه صلى الله عليه وسلم (قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يعنى القبر لانه بين الدنيا والآخرة وكل شئ بين شيئين فهو برزخ وبينه وجعل بينهما برزخا أى

ولا يظهر الا على يدى الكامل ولا يتسلم ما لم يؤمن به لكميل ولا يتصور كون الكامل المكمل ضالا (ويزكيهم) وتزكية الغير بعد تزكية النفس وبها تزكى عنه الضلول (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن وهو من دلائل كمال النفس المنافى للضلول وكيف لا يكون بعثه منة وقد هداهم الله به فى القوة النظرية والعملية (وان كانوا من قبل) أى وانهم كانوا قبل بعثه (لفى ضلال مبين) ظاهر (أ) تنكر ون منة الله فى بعثه اذ تزعمون أنكم قتلتم بسببه (و) ذلك أنكم (لما أصابتكم مصيبة) باحد فقتل منكم سبعون (قد أصبتم مثليها) يبدر اذ قتلتم من المشركين سبعين وأسرتم سبعين (قلتم أنى) أى من أين لنا (هذا) الواقع ونحن مسلمون ورسول الله فينا (قل هو من عند أنفسكم) اذ أخذتم فداء سبعين من أسراء بدر برأيكم فتركتم قتلهم الذى هو الصواب فقتل منكم سبعون (ان الله على كل شئ قدير) فكما قدر على مجازاة الكفار يوم بدر قدر على مجازاتكم يوم أحد ثم قال (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) ليجازيكم على فراركم يوم الزحف فى الدنيا ليسقط عنكم عذاب الآخرة (وليعلم المؤمنين) أى وليميزهم بين الناس على وفق علمه بهم (وليعلم الذين نافقوا) اذ تميزوا اذ (قيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) مباشرة (أو ادفعوا) العدو بتكثير سوادكم (قالوا لو نعلم) أنه يصح أن يسمى (قتالا لاتبعناكم) لكنه ليس الا القاء النفس فى التهلكة (هم) بهذا القول (للكفر) فى الظاهر (يومئذ) قبل هذه المصيبة (أقرب منهم للايمان) فى الظاهر مع أنه لا ايمان لهم فى الباطن أصلا اذ (يقولون بأفواههم) من كلمتى الشهادة (ما ليس فى قلوبهم و) لولا تظاهر امارات الكفر عليهم فى الظاهر فلا يعتد بايمانهم فى الظاهر اذ (الله أعلم بما يكتمون) وهو اعلم بما يتبع علمه وقد ظهرت أمارتهم من امارات الكفر عليهم لانهم (الذين قالوا لاخوانهم) أى من أجل أقاربهم من قتلى أحد (و) قد صدق هذه الامارة قولهم اذ (قعدوا لو أطاعونا) فى القعود (ما قتلوا) كما لم نقتل (قل) كأنكم تزعمون أنهم لو أطاعوكم دفعتم عنهم الموت (فادرؤا) أى ادفعوا (عن أنفسكم الموت) فانها أقرب اليكم من أنفسهم (ان كنتم صادقين) فى أنكم تقدرون على دفع أسبابه ثم أشار الى أن قتلكم باحد لم يكن من أخذكم الفداء من أسراء بدر ولا من ميلكم الى الغنيمة على خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من فراركم بل من سبب الرسول فلا ينافى المنة ببعثه صلى الله عليه وسلم اذ به صار الشهداء فى حكم الاحياء فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) تعطلت أرواحهم (بل أحياء) فوق أحياء الدنيا لانهم مقربون (عند ربهم) اذ بذلوا له أرواحهم لا بمعنى بقاء أرواحهم ورجوعها اليه لمشاركة أرواح غيرهم فى ذلك بل بمعنى أنهم (يرزقون) رزق الاحياء لا بطريق التخيل الذى لسائر أهل البرزخ بل بطريق التحقيق كما روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة تحت العرش وهو أجل من رزق أحياء الدنيا اذ لا يخلون عن غم وتعب وهم يرزقون (فرحين بما آتاهم الله) من غير تعب وكسب

حاجزا (قوله عزوجل بقى عليهم) أى ترفع عليهم وعلا وجاوز المقدار (قوله بيض مكنون) تشبه الجارية بالبيض بياضا وملاسة وصفاء لون وهى أحسن منه وانما تشبه الالوان ويكنون مصون (قوله البطشة الكبرى) يوم بدر ويقال يوم القيامة والبطش الاخذ بشدة (قوله البيت المعمور) بيت فى السماء الرابعة حيال

(من فضله) الذى لا ينقطع نعيمه بسلبه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) أى ويطلبون البشارة من الله بشهادة من بقى من اخوانهم فى الدنيا (من خلفهم) فنقصت عليهم لذاتهم اذ لا يخلون عن خوف الآخرة وقد علموا أن حق الشهداء (ألا خوف عليهم) من عقوبة الآخرة بعد الشهادة (ولا هم يحزنون) بما فاتهم من لذات الدنيا بل (يستبشرون بنعمة) عظيمة (من الله) أى من ثوابه (وفضل) من قربه وكيف لا يكون لهم ذلك (وأن الله لا يضيع أجر) عوام (المؤمنين) فكيف يضيع أجر الشهداء وقد اختاروا جناب الله على أنفسهم ثم أشار الى من بالغ فى ترجيح جنابه لقوة ايمانه فقال (الذين استجابوا) دعوة الله ورسوله الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقومه مرجحين (لله والرسول) على أنفسهم لانهم أجابوهما (من بعد ما أصابهم القرح) اذ قصد العود اليهم لاستئصالهم حين بلغ الروحاء فقال لقومه لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه ارهابا له فخرج معه سبعون رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد فمر به معبد الخزاعى وكان يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ثم خرج فلقى أبا سفيان بالروحاء فقال وما وراءك يا معبد فقال محمد قد خرج فى أصحابه لطلبكم فى جمع لم أر مثله يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه وندموا على صنيعهم قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى والله أنهاك عن ذلك فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا (للذين أحسنوا) نظروا الى الله تعالى لا الى نسبتهم الى الشجاعة وقوة الايمان (منهم واتقوا) اعتبار الخلق اليهم (أجر عظيم) لا ينقص عن أجر الشهداء بل لعله يزيد عليه وهؤلاء هم (الذين قال لهم الناس) أى الركب المستقبل لهم (ان الناس) أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا) أنفسهم وقصدهم (لكم) أى لاستئصالكم (فاخشوهم) ولا تخلصون منهم الا بالرجوع الى دينهم (فزادهم) قولهم (ايمانا) بأن الله هو الناصر القاهر المحيى المميت (وقالوا حسبنا) أى كافينا (الله) من غير عدة لنا ولا عدد وكيف لا يكفينا وقد وكلناه (ونعم الوكيل) هو فأرهب الله عدوهم (فانقلبوا) أى رجعوا من حمراء الاسد (بنعمة من الله) هى العافية وكمال الشجاعة وزيادة الايمان والتصلب فى الدين (وفضل) هو ربح تجارتهم فى الطريق (لم يمسسهم سوء) اذ لم يلقوا عدوا (و) انما كان لهم ذلك لانهم (اتبعوا رضوان الله) فأرضاهم وتفضل عليهم فوق ما استحقوه (والله ذو فضل عظيم) فلا ينحصر فضله فيما أعطاهم ثم أشار الى أنه لما كان منشأ هذه الفضائل فلا مانع منه سوى الشيطان فقال (انما ذلكم) القائل ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو (الشيطان) بما يخوفكم وهو انما (يخوف أولياءه) من دون الله (فلا تخافوهم) وان رأيتم لهم قوة وعدة وعددا (وخافون) أن تتقوا أعدائى تتركوا تقواكم دون تقواى (ان كنتم مؤمنين) بعظم شأنى وعموم قدرتى ونفاذها دون قدرتهم (ولا يحزنك)

الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه والمعمور المأهول والبحر المسجور المملوء (قوله تعالى بضا ولا رهقا) بخسا أى نقصا ورهقا ما يرهقه أى ما يغشاه من المكروه (قوله تعالى برق البصر) شق وبرق بفتح الراء من البريق اذا شخص بصره اذا فتح عينيه عند الموت (قوله باسرة) متكرهة (قوله عز وجل بردا ولا

فضلا عن الخوف معاونة المنافقين الكفار لاحقية دينهم بل لانهم (الذين يسارعون فى)
اظهار (الكفر) لصعوبة اخفائه عليهم (انهم) وان كانوا أعداء من داخل (لن يضروا)
أولياء الله لانهم يحميهم الله فلو أضروهم لاضروا (الله) بتعجيزهم اياه عن حمايتهم ولا يمكنهم
أن يعجزوه (شيأ) بل (يريد الله) أن يضرهم الضرر الكلى وهو (الا يجعل لهم حظا فى
الآخرة) مع غاية سعة رحمته ولا يبالى لما جعل لهم فى الدنيا من حقن الدماء والأموال
(و) لا يقتصر على حرمانهم بل (لهم) مع ايمانهم الظاهر (عذاب عظيم) أعظم من عذاب
من يظهر كفره ثم أشار الى أنه كما لا يضر المنافقون أولياء الله لا يضر المرتدون دين الله فقال
(ان الذين اشتروا) أى استبدلوا (الكفر بالايمان) عند ما رأوا هزيمة المسلمين
بأحد (لن يضروا) دين الله الذى يريد مع ايقاع الهزيمة تارة والنصر أخرى اظهاره فلو
أضروه لاضروا (الله) فى ارادته لكن لا يمكن اضراره فى ارادته (شيأ و) انما يضرون
أنفسهم فى الدارين اذ (لهم عذاب أليم) بذهاب أمانهم وطعن وردين أعدائهم وشوكتهم فى
الدنيا ورؤية درجات أعدائهم وشدة عذاب أنفسهم فى الآخرة وتقصهم محبوس بما لا ينحصر
الى يوم القيامة ولو قيل كيف يكون للمرتدين العذاب الاليم فى الدارين وقد أملى لهم فقال
عز وجل (ولا يحسبن الذين كفروا) من المرتدين وغيرهم (انما نملى لهم) أى أن املاءنا لهم
(خير لانفسهم) بل هو سبب مزيد عذابهم لانه (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) فيزدادوا عذابا
فكأنه نفس العذاب بل زيادة فيه وقد يخبر من عذابهم أنهم بالاثم مهانون (و) ان لم يهانوا
فى الدنيا لكن يهانون فى الآخرة اذ (لهم عذاب مهين) فى أسفل دركات النار ثم أشار
الى أن هزيمة المؤمنين ليس من اهانتهم حتى يكون عذابا مهينا لهم بل سببا كما لهم اذ تميزوا
بها عن المنافقين فقال (ما كان الله ليذر) أى ليترك (المؤمنين على ما أنتم عليه) من الالتباس
بالمنافقين بل لا يزال يبتليكم (حتى يميز) المنافق (الخبيث من) المؤمن (الطيب و) لا يميز
الا بهذا الابتلاء لانه (ما كان الله ليطلعكم) على ما فى قلوب الخلق من الايمان والكفر لان
الاطلاع (على الغيب) انما يصير الكل مجتبى (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) باطلاعه
عليه ليدل على اجتبائه ليقتدى به غيره (فآمنوا بالله) الذى يميز بينهما فى الدنيا ليدل على
تميزه بينهما فى الآخرة (ورسله) الذى اجتباهم للاقتداء بهم فى الاعتقادات والاعمال
(و) ليس ذلك على سبيل العبث بل (ان تؤمنوا) فتصححوا الاعتقادات (وتتقوا) فتصلحوا
الاعمال (فلكم) لا ينتفع غيركم به (أجر عظيم) كفى به تميزا عن المنافقين ولو لم يكن لهم مع ثوابه
عذاب عظيم ثم أشار الى أن حسبان الكفار املاءهم خيرا كحسبان البخلاء ابقاء أموالهم
خيرا من انفاقها فى سبيل الله فقال (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله) لينفقوا فى
سبيله اذ جعله (من فضله) زائدا على قدر حاجاتهم (هو خيرا لهم) ينتفعون به فى المستقبل
وأولادهم من بعدهم (بل هو) وان انتفع به أولادهم (شر لهم) لا يوازيه خير ولو حصل
لانه (سيطوقون ما بخلوا به) أى يلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق بل يصور مالهم بصورة

شرابا) بردا أى نوما ويقال
بردا أى
فى مثل منع البرد البرد أى
أصابنى من البرد ما منعنى
من النوم (قوله تعالى
البلد الامين) أى الآمن
يعنى مكة وكان آمنا قبل
مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يغار عليه
(بريه) خالق ما أخوذ من
برأ الله الخلق أى خلقهم
فترك همزها ومنهم من
جعلها من البرى وهو
التراب لخلق آدم عليه

شجاع يجعل فى أعناقهم (يوم القيامة و) هم وان لم ينفقوه فى سبيل الله فهو راجع اليه اذ (لله ميراث السموات والارض) أى يصير أملاك أهلهما به بعد فنائهم الى المالك ملكه كما يصير مال الموروث ملك الوارث وكذلك من حياتهم وان لم يقتلوا فى سبيل الله ثم ان الله أن يثابه علمهم أو على أولادهم لانه مقتضى أعمالهم (والله بما تعملون خبير) ولما رأوا أفضل شئ الانهم رأوا الانفاق اتلافا بلاعوض لكنه تضعيف كما قال عز وجل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ولما سمعت اليهود ذلك قالوا ان الله فقير يستقرض منا فقال عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) استهزاء بكلامه بحمله على خلاف مراده لانه أراد أنه ليس باتلاف بل هو نفع وبعض كنفع بعض المستقرض فحملوه على الاستقراض للحاجة مع أنه لادلالة للفظ الاستقراض عليه لكنه لما كثر وقوعه للحاجة صار كالمدلول الالتزامى له عرفا (سنكتب ما قالوا) بطريق الاستهزاء بكلامه الهاتك حرمته وحرمة المتكلم بحيث تبطل الهيبته أو تكاد وهو فى معنى القتل لذلك عقبه بقوله (وقتلهم الانبياء) مع علمهم أنه (بغير حق) كما أن هذا القول أيضا بغير حق (و) انما نكتب ذلك لتكون حجة لنا فى تعذيبهم اذ (نقول) لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى أدركوه ادراك اللسان بالذوق للمطعومات بوصول أثرها الى باطنكم فاذا نسبوا ذلك الى الظلم قيل لهم (ذلك بما قدمت أيديكم) من هتككم حرمة الله وحرمة كلامه وأنبيائه المبلغين له وأى ظلم أشد من ذلك فلا تنسبوا اليه المبالغة فى الظلم بل أنتم المبالغون فيه (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ولو قالوا ما بالغنا فى الظلم بقتل الانبياء بغير حق بل انما قتلنا الكذابين أجيبوا بانكم اعترفتم بكونهم أنبياء لانكم (الذين قالوا) فى الاعتذار عن ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول) أى لمدعى الرسالة وان جاء بمعجزات قاهرة (حتى يأتينا) بهذه المعجزة المعينة (بقربان تأكله النار) النازلة من السماء عليه (قل) مقتضى هذا القول بعد تساوى المعجزات فى الدلالة على صدق من ظهرت على يديه صدق كل من جاء بهذه المعجزات سواء أتى بمعجزات أخر معها أم لا لكن (قد جاءكم رسل) كثيرون (من قبلى بالبينات) القاهرة (وبالذى قلتم) فكذبتموهم فلو لم تكذبوهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى أنا ما قتلنا الا الكذابين وأما انما كذبناه لعدم اتيانه بهذه المعجزات المعينة (فان كذبوك) بعد بطلان عذرهم المذكور (فقد كذب رسل من قبلك) من غير عذر فى التكذيب لانهم (جاؤا بالبينات) أى المعجزات الفعلية (والزبر) معرفة كتب الانبياء السابقين عليهم من غير تعلم بشرى (والكتاب المنير) أى المزيل شبهات أهل الكتب السابقة ولو قيل ان كان الله مضاعفا للقرض أضعافا كثيرة فانا لانجدها مع كثرتها أجيب بانكم انما لاتجدونها لانها مما لاانقطاع عن غاية كثرتها والامور الدنيوية منقطعة اذ (كل نفس ذائقة الموت) فلو حصل لكم فيها بعض الاضعاف فلا يوفى فيها (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) على أن الاجور انما تتم بالابعاد

السلام من التراب
* (باب الباء المضمومة)
(بكم) خرس (قوله برهانكم) أى حجتكم يقال قد برهن قوله بينه بحجته (بهت) الذى كفر وبهت أيضا انقطع وذهبت حجته (قوله تعالى بروج مشيدة) حصون مطولة واحدها برج وبروج السماء منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجا (قوله تعالى بورا) هلكى (قوله

من النار وادخال الجنة بل ذلك جميع الأجر (فمن زحزح) أي أبعد (عن النار) التي هي مجمع
الآفات والشرور (وأدخل الجنة) الجامعة اللذات والسرور (فقد فاز) بكل هبة سنية
ونعمة هنية ثم ان الأضعاف لو تمت في الدنيا لكانت سبب مزيد الغرور المتضمن ضرر الآخرة
كيف (وما الحيوة الدنيا) وان خلت عن تلك الأضعاف (الا متاع الغرور) ولدفع
الغرور (لتبلون في أموالكم) باذهابها (وأنفسكم) باماتتها وقتلها (ولتسمعن) عند
الابتلاء في الأموال والأنفس (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وان كان حقهم ان
يبينوا ان الابتلاء لدفع الغرور ولكنهم ساووا المشركين اذ تسمعون منهم (ومن الذين
أشركوا أذى كثيرا) بأن دينكم لو كان حقا لما ذهبت أموالكم ولا قتلت أنفسكم (وان
تصبروا) عند الابتلاء وسماع الأذيات (وتتقوا) ترك الدين عند ذلك (فان ذلك من عزم
الأمور) أي من الأمور التي يعزم الله بالأمر بها ثم أشار الى ان أذى أهل الكتاب أعظم من
أذى المشركين لأنهم يغيرون ما في كتابهم وقد منعوا كتمانه فضلا عن التغيير فقال (واذ
أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه) أي الكتاب (للناس) وان لم يسألوهم (ولا
تكتمونه) ان سألوهم (فنبذوه) أي الميثاق (وراء ظهورهم) لا ينظرون اليه البتة بل
غيروه (واشتروا به) أي استبدلوا به (ثمنا قليلا) من الرشا الذي هو سبب العذاب الدائم
(فبئس ما يشترون) بتغيير كلام الله ونبذ ميثاقه وراء ظهورهم ثم أشار الى انهم لا يرون قبح
ذلك بل يفرحون به فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) من اشتراء الثمن القليل
بتغيير كلام الله انه سبب فرح بل هو سبب حزن كيف (و) لا يحبون ظهوره لانه يوجب
الذم بل (يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) من وفاء الميثاق من غير تغيير ولا كتمان فلا
تحسبن انه يدوم حمدهم بل يظهر شرهم فيذمون فان لم يظهر (فلا تحسبنهم بمفازة) أي
بنجاة (من العذاب و) لا ينتفعون بفرحهم وحمدهم في الدنيا حين يكون (لهم عذاب أليم
و) لا مانع منه اذ (لله ملك السموات والارض) فله تسليط ما يشاء منهما عليهم لتعذيبهم (و) له
ان يعذبهم بغير تسليط شيء اذ (الله على كل شيء قدير) ثم استدل على قدرته على الأشياء ابتداء
وحكمته في ترتيب الأشياء على أسبابها وعلى ان للأعمال آثارا توجب الجزاء فقال (ان في
خلق) أي ايجاد (السموات والارض) ابتداء من غير سبب (واختلاف الليل والنهار)
مسببين عن حركات الكواكب بتبعية حركات الأفلاك وافادتهما الاظلام والاضاءة
(لآيات) على القدرة والحكمة وآثار الأعمال (لأولي الألباب) أهل البواطن بالتزكية
والتصفية بملازمة الأذكار اذ هم (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) فلا يخلو
حال من أحوالهم عن ذكر الله المفيد صفاء الظاهر المؤثر في تصفية الباطن ولم يمنعهم القعود
ولا الاضطجاع عن خدمة الله وان منعا خدام الملوك عن خدمتهم (و) يعينهم في ذلك انهم
(يتفكرون) أولا (في) حكم (خلق السموات) اذ جعلها متحركة تختلف بها أوضاع كواكبها
صعودا وهبوطا واستقامة ورجوعا (والارض) اذ جعل فيها عناصر قابلة للكون

(قوله عز وجل بكيا) جمع باك واصله بكويا على فعول فادغمت الواو في الياء فصارت بكيا
(قوله عز وجل بدن) جمع بدنة وهي ما يجعل في الاضحى للنحر والنذر وأشباه ذلك فاذا كانت للنحر على كل حال فهي جزور (قوله عز وجل بشرى) وبشارة اخبار بما يسر (قوله بست الجبال بسا) فتتت حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس أي المبلول

والفساد

والفساد لتكوين المعادن والنباتات والحيوانات والانسان من آثار الاوضاع السماوية مع ما فيها من أنواع الحكم فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا) اى خاليا عن الحكمة (سبحانك) من ان تراعى الحكمة فى اجزاء العالم ولا تراعيها فى الانسان فقد خلقت نفسه الصعود والهبوط والاستقامة والرجوع وجعلت لروحه وقلبه ونفسه من أعماله هيئات مختلفة وآثارا متنوعة وجعلت بيديه ما يستكمل به الحكمة فيستوجب الثواب أو يقطعها فيستوجب العقاب ونحن مقصرون فى استكمالها (فقنا) بفضلك (عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) بابطال انسانيته اذ جعلته شرا من البهائم والنباتات والجمادات وليس ذلك منك ابتداء بل من ظلمنا (وما للظالمين من أنصار) فلا ينصرهم برد انسانيتهم تربيتك ولا رحمتك ولا عفوك فضلا عما سواك (ربنا انا) ليس تقصيرنا من جهلنا بل علمنا الحكمة من جهتك اذ (سمعنا مناديا) أى داعيا اليها وهو الرسول (ينادى للايمان) الذى هو رأس الحكمة يامرنا (أن آمنوا بربكم) الذى يربيكم بتكميل انسانيتكم بالايمان واعماله (فآمنا) طلبا للتربية به وبالاعمال (ربنا) ولكن صعب علينا الوفاء بمقتضى الايمان من اتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصى والمكاره (فاغفر لنا ذنوبنا) فلا تفضحنا بها (وكفر) أى امح (عنا سيآتنا) أى المكاره فلا تعاقبنا عليها ولا تجعلها سبب المعاصى ولا تجعل المعاصى سبب الكفر (وتوفنا مع الابرار) ثم قالوا (ربنا) انا وان لم نستوجب على الايمان والاعمال شيأ من الثواب اذ يكفى فى الايمان النجاة عن العذاب الخالد وفى الاعمال كونها شكر النعم السابقة (و) لكن (آتنا ما وعدتنا على) السنة (رسلك ولا تخزنا) بافساد ايماننا واعمالنا بحيث لا نستحق عليه الموعود من الثواب بل يلحقنا وعيد العقاب (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) أى ميعاد الثواب والعقاب ولما دعوا الله تعالى عن كمال المعرفة والتزكية استحقوا الاجابة (فاستجاب لهم ربهم) جميع دعواتهم بكلمة واحدة وهى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) لاستلزام الوفاة على الايمان وتكفير السيآت واعطاء الموعود وأشار الى انه كيف يضيعه مع انه يلحق الناقص بالكامل حتى يسوى بين كل عامل (من ذكر أو أنثى) لسريان النور من الكاملين الى الناقصين اذ (بعضكم من بعض) فى اتمام الاجر وان كان الكامل يعطى من الفضل ما لا يعطى الناقص ثم أعمال الناقصين ان لم تكن مكفرة بأنفسها فأعمال الكاملين لابدان تكون مكفرة بأنفسها (فالذين هاجروا) لتكميل ايمانهم فانهم (و) ان (أخرجوا من ديارهم) فاخراجهم لما كان سبب ايمانهم واختاروه كانت هجرتهم اختيارية (و) لو لم تكن اختيارية فلا شك انهم (أوذوا فى سبيلى) فتحملهم الاذى دليل كمال ايمانهم (و) قد زادوا على تحمله اذ (قاتلوا) لو كان قتالهم لدفع الاذى فقد وقع عليهم أعظم وجوهه اذ (قتلوا) فهذا كله دليل كمال الايمان المكفر اعمال صاحبه للسيآت لذلك (لأكفرن عنهم سيآتهم) فتستنير قلوبهم بحيث يسرى منها النور الى قلوب الناقصين (و) لو لم يكمل هذا النور فلا شك ان نور الاعمال يكمل

* وقال لص من غطفان وأراد ان يخبز فخاف ان يعجل عن الخبز فبل الدقيق وأكله عجينا فقال * لا تخبزا خبزا وبسا بسا *
(قوله عز وجل بنيان مرصوص) أى لاصق بعضه ببعض لا يغادر منه شيأ (قوله عز وجل بعثرت) أى القبور بعثرت وأثيرت فأخرج ما فيها

* (باب الباء المكسورة) *

(قوله عز وجل بسم الله) اختصار المعنى أبدأ باسم

فيهم لذلك (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) إذ صارت قلوبهم بساتين الأحوال والمقامات تجري من تحتها أنهار المعارف فلا بد وأن تجري منها أنهار الأنوار إلى قلوب أتباعهم كيف ولا يكون بقدر الأعمال إذ يكون (ثوابا من عند الله) فيعظم بقدر عظمته وكيف لا يكون ثوابه نورا (والله عنده حسن الثواب) ولكل حسن ونور ولو قال قائل لو كانت الحكمة في خلق السموات والأرض الدلالات الداعية إلى الإيمان والتقوى لكان كل من كفر في أسوإ الأحوال لابطاله الحكمة وكل من آمن في أحسنها لا فعاله الحكمة لكن كثيرا ما ترى الأمر بالعكس فقال له (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) بالتصرف فيها والاستيلاء عليها فإنه ليس من محاسن الأحوال في حقهم بل هو مكر عليهم إذ هو (متاع قليل) يترتب عليه الاستقرار عنهم إذ يتمتعون أيام الحياة (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقد أفضى إليه متاعهم بمعنى المتاع وما ترى من سوء حال المؤمنين فليس بسوء في الحقيقة إذ لم تترتب على معاصيهم (لكن الذين اتقوا ربهم) بصبرهم لسوء ليكمل جزاؤهم على صبرهم إذ (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله) وإذا كان هذا نزلهم درجات فوق ذلك بمجرد التقوى (وما عند الله خير للأبرار) العاملين مع التقوى ومن أعمال البر الصبر فإنهم عليه درجات كثيرة وسعة الاستيلاء فليس بسوء بالحقيقة ولو قيل لو كانت الحكمة الدلالات الداعية إلى الإيمان الذي يدعون إليه لكان أهل الكتاب أولى بهم لقيل إنما يكون أولى بهم لمن رجح جانب الله على جانب هواه لا بالعكس (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فيرجح جانبه على هواه (و) لذلك يصدق (ما أنزل إليكم و) ليس ذلك منه كفرا بكتابه بل يصدق أيضا (ما أنزل إليهم) ويدل على إخلاصهم كونهم (خاشعين لله) وإنما خالفوا سائر أهل الكتاب لأنهم يرجحون جانب الرشوة وهؤلاء (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) ولا يضرهم ترك ذلك الثمن إذ (أولئك لهم) منه (أجرهم) الكامل (عند ربهم) على الإيمان بالله وبالمنزل عليهم وعليكم وبالخشوع وترك الثمن القليل ولا يتأخر أجرهم إلى مدة مديدة يؤثر لأجله الرشا الحالة لأن الله يسرع حسابهم لإيصال أجورهم سريعا (إن الله سريع الحساب) ثم قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى إيمانكم الوقوف على حقائق الأشياء على ما هي عليه ولا يحصل بتقليد العلماء وإن صدقوا وإنما ما لم يعلموا لأحد لأنهم ولذلك يحتاج إلى الفكر والمناظرة والنظر في شرائط الاستدلال بحيث يرتبط المدلول بدليله وترك التعصب والتمسك بالشبهات لذلك (اصبروا) في التفكر (وصابروا) في المناظرة (ورابطوا) المدلولات بالدلائل (واتقوا الله) أن تتعصبوا أو تتمسكوا بالشبهات (لعلكم تفلحون) بالاطلاع على حقائق الأشياء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة النساء)

سميت بها لأن ما نزل منها في أحكامهن أكثر مما نزل في غيرها (بسم الله) المتجلي بجمعيته في

النمس

قوله وبذاتنا بما الله ٣ حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى واسأل القرية أي أهل القرية ويجوز أن يسمى الفاعل والمفعول بالمصدر كقولك رجل عدل ورضا فرضا في موضع مرضي وعدل في موضع عادل وعلى هذا يجوز أن يكون الحرف موضع الدار (قوله عز وجل بطانة من دونكم) أي دخلاء من

٣ قوله في الهامش حذف المضاف الخ هكذا في الأصل الذي بأيدينا ولعله سقط بعد قوله باسم الله (قوله عز وجل الرحمن الرحيم) أي البر من الذي تغذى الخ

النفس الواحدة (الرحمن) بخلق زوجها منها وبث الرجال والنساء منهما لعمارة العالم (الرحيم) بما أمر من التقوى فى رعاية حقوقه وحقوق خلقه (يا أيها الناس) أى يامن نسى التقوى التى هى حق الربوبية والتربية سيما فى الاموال التى رباكم بها سيما اذا قطعتم الارحام (اتقوا ربكم) الذى رباكم بالتمدن وهو الاجتماع مع ابناء الجنس اذهو (الذى) أوجد فيكم ما يوجب الائتلاف بينكم على أكمل الوجوه اذجعلكم راجعين الى أصل واحد اذ (خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (و) لاينافيه ما احتياجكم الى الابوين لانه (خلق منها) من ضلعها الايسر بعد انتزاعها منه فى النوم (زوجها) لذلك كان فيها اعوجاج وضعف وميل الجزء الى كله لذلك غلبت شهوتها وفيه ميل اليها ميل الكل الى جزئه (وبث) أى نشر (منهما رجالا كثيرا ونساء) ثم من الرجال والنساء رجالا آخرين ونساء أخر وهلم جرا الى يوم القيامة ولم يصف النساء بالكثرة لدلالة كثرة الرجال على كثرتهن لامتناع مشاركة رجلين فى امرأة مع جواز اشتراك امرأتين فى رجل واحد ووجه الاتقاء فى ذلك ان من قدر على اخراج أفراد غير محصور ومن أمر واحد يقدر على اخراج معان غير محصورة من فعل واحد منها مايدل على الكمال والاستقامة ومنها مايدل على الاعوجاج والنقص ثم أشار الى انه لولم يتق من جهة التربية لانها جهة اللطف فلابد ان يتق من جهة الالهية فقال (واتقوا الله) لكمال حكمته وقدرته وعظمته التى تقررت بقلوبكم اذهو (الذى تساءلون) أى يسأل (به) بعضكم بعضا وبالارحام فيقول أنشدك بالله (والارحام) اذ تقررت عظمتها أيضا فى ذاتها على قراءة الجر بحذف المعطوف من الاصل والمعطوف عليه من الفرع وعلى قراءة النصب واتقوا الارحام ان تقطعوها وليس الضرر من قطيعتها بعود بفاسخ لوم الخلق فقط بل من الله تعالى أيضا (ان الله كان عليكم رقيبا) ينظر هل تقطعون الرحم الذى جعله من الرحمن أم لا ثم أشار الى ان أجل مايؤمر فيه بتقوى الله على قطيعة الرحم أموال اليتامى الذين لايخاف من دعاويهم وتشنيعاتهم فقال (وآتوا اليتامى) جمع يتيم صغيرمات أبوه من اليتم وهو الانفراد (أموالهم) باتيان نفقتهم وكسوتهم فى الصغر ورد مابقى عند البلوغ (ولاتتبدلوا) بأن تعطوا (الخبيث) الردى من أموالكم (بالطيب) الجيد من أموالهم (ولاتأكلوا أموالهم) بضمها (الى أموالكم) للتوسعة (انه كان حوبا) أى ذنبا يوجب ضيقة فى الآخرة (كبيرا) لايوازى الضيق الدنيوى (وان خفتم ألا تقسطوا) أى ان لاتعدلوا (فى اليتامى) لكثرة عيالكم الموجبة الى أخذ شئ من أموالهم فلاتكثروا النكاح (فانكحوا ماطاب لكم) أى لنفوسكم من جهة الجمال او الحسب أو العقل أو الصلاح (من النساء) مقتصرين على سبيل الحصر فى هذه الاقسام (مثنى وثلاث ورباع) أى ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ذكر المكرر لئلا يكون كتقسيم الالف على درهمين ولم يذكر أولئلا يدل على ان الشكل مخير فى أحد الاقسام بحيث اذا اختار واحدة منها تعين على الجميع الاخذبه وفهم من الحصر فى الاقسام انه لايجوز جمع خمسة هذا اذا تكانوا

غيركم وبطانة الرجل ودخلاؤه وأهل سره ممن يسكن اليه ويثق بمودته (قوله عزوجل بضاعة) أى قطعة من المال يتجر فيها (بضع سنين) البضع مابين الثلاث الى التسع (قوله بدارا) أى مبادرة (قوله عز وجل بيع) جمع بيعة النصارى (قوله عزوجل بغاء) زنا كقوله عزوجل ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء أى على الزنا (قوله

الجور (فان خفتم ألا تعدلوا) فى حقوق الايتام أو النساء لعدم ثقة القناعة (فواحدة) أى فاختاروا والتناكح واحدة (أو) تسرى (ما ملكت أيمانكم) لقلة مؤنتهن وليس هذا شرطا بالخوف بحيث لولاه وجبت الزيادة لان الغرض منع الزيادة عند الاحتياج لا وجوبها عند عدمه (ذلك) العدد من الازواج تناكح أو الاقتصار على واحدة أو على التسرى (أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من ان لا تكثر عيالكم فيمكن معه القناعة بحيث لا يضطر الى الجور فى أموال اليتامى (وآتوا النساء صدقاتهن) أى مهورهن فانهن كالايتام (نحلة) أى عطاء غير مسترد بحيلة تلجئهن الى الرد (فان طبن) أى رضين (لكم) أى بطلبه ودعتكم بالعفو (عن شئ منه نفسا) لا لحياء عرض لهن منكم أو من غيركم (فكلوه هنيئا) سائغا (مريئا) محمود العاقبة وكانوا يتأثمون من ذلك لما زعموا انه أخذ البضع بلا عوض وقد أسقطته بعد تمكنهن لياء ولا تأثم فى استقاطهن من قلة عقلهن كالايتام لانهن كل عيال فى التصرفات والتبرعات (و) المال المعطى عن رضا نفس وان كان ملكا للمعطى له (لا تؤتوا السفهاء) من أزواجكم وأولادكم وغيرهم وإن كبروا (أموالكم) فانهم ان ينفقوها فى معاصى الله مع أنها (التى جعل الله لكم قياما) أى سبب استطاعة على طاعته (و) لكن (ارزقوهم) أى اطعموهم بقدر الحاجة (فيها واكسوهم) مما يليق بهم (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل ان تقولوا ان الذى عندى هو مالكم احفظه عليكم اذا رأيت رشدكم أعطيتكم (و) كيف تعطونهم أموالكم وقد قيل لكم احكم اذا أردتم أداء أموال اليتامى اليهم (وابتلوا) أى اختبروا (اليتامى) ان يكونوا اليهم مقدمات العقل قبل البلوغ (حتى اذا بلغوا النكاح) أى صاروا بالغين بالاحتلام أو استكمال خمس عشرة سنة (فان آنستم) أى أبصرتم (منهم رشدا) أى صلاحا فى الدين واهتداء الى حفظ المال (فادفعوا اليهم أموالهم) بلا مطل (و) اذا منعتم ان تدفعوا اليهم أموالهم قبل الاختبار مخافة أكلهم اسرافا فبالاولى أن (لا تأكلوها اسرافا) ولا تبادروا بأكلها (بدارا) كراهة (أن يكبروا) فيأخذوا أموالهم (و) أما الاكل بغير اسراف ففيه تفصيل (من كان غنيا فليستعفف) عن أكلها بالكلية (ومن كان فقيرا) يمنعه اشتغاله بمال اليتيم عن الكسب واهماله يفضى الى تلفه عليه (فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه ثم أشار الى انه كما لا تتلفون ما عليهم لا تتلفون ما على أنفسكم بترك الاشهاد فقال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) اذ لا تصدقون فى الدفع اليهم بعد البلوغ وان صدقتم فى دفع قدر النفقة قبله ثم انكم (و) ان حاسبتموهم وأخذتم أقاريرهم لا يكفيكم عند القبول (وكفى بالله حسيبا) ثم أشار الى أن السفهاء وان لم تدفع اليهم أموالهم فلهم نصيب من التركة اذ يستوى فى الارث الكامل والناقص اذ (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) وان لم يلحقوا الوالدة اذ ليس بالمناسبة بل بالقرابة (و) لذلك يكون لهم نصيب مما ترك (الاقربون) والقرابة كما توجد فى الكامل توجد فى الناقص (و) لذلك يكون (للنساء نصيب مما ترك الوالدان) وان قصرن عن مناسبة الوالد كيف (و) لا يمنع نقصهن ان ترث مما ترك (الاقربون) وليس

لحل

(قوله عز وجل وما كنت بدعا من الرسل) أى ما كنت أول أحد بعث من الرسل قد كان قبلى رسل

•(باب التاء المثناة الفوقية)•

(قوله عز وجل تلقى آدم من ربه كلمات) أى قبل وأخذ (قوله عز وجل تواب) أى قد يتوب على العباد والتواب من الناس التائب (قوله عز وجل تجزى) أى تقضى وتغنى كقوله لا تجزى نفس عن

لحل الكل ونكاية العدوّ رات كانا كتساب المال لما ثلاثه انما يتصوّر فى المال الكثير
وههنا لا عبرة بالكثرة بل (مما قل منه أو كثر) على انه لو كان كذلك لكان بمقدار ما يحتاج اليه فى
ذلك المعنى لكن ليس كذلك بل يؤخذ (نصيبا مفروضا) روى انه أتت امرأة أوس بن
الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وأخذ ابنى عمه سويد وعرفجة جميع ماله
فقالت مات زوجى وترك مالا حسنا وله ثلاث بنات وأنا امرأة ليس عندى ما اطعمهن
واكسوهن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله لا يركبن فرسا ولا ينكين
عدوّا ولا يعملن كلا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال لهما لا تقربا شيأ من ماله فان الله جعل
لهن ولم يبين حتى أنظر فأنزل الله تعالى يوصيكم الله الى آخره فأرسل اليهما اعطى الزوجة
الثمن والبنات الثلثين والباقى لهما وانما أجمل أوّلا لانه أراد اثبات ما نفوه وانما قال نصيبا
مفروضا لئلا يعمل باطلاقه ولم يقل للرجال والنساء نصيب لئلا يتوهم انهن اعتبرن مع
الرجال لا منفردات ثم أشار الى انه وان كان لهما نصيب مفروض فللمريض ان ينقص
منه بالوصية بل يندب لذلك سيما فى حق الحاضرين سيما أولى القربى فقال (واذا حضر
القسمة) أى وقت قريبا (أولوا القربى) الذين لا ارث لهم قدمهم لان اعطاءهم صدقة
وصلة (واليتامى) الضعفاء بفقد الآباء (والمساكين) الضعفاء بفقد ما يكفيهم من المال
(فارزقوهم منه) أى اعطوهم بعضه وحمل على أقل من النصف لئلا يساوا من عظم فرضه
فيكون كأنه قطع نصيبه بالكلية (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل استقلال اعطائكم
لهم والدعاء لهم وترك المن عليهم (وليخش الذين) حضروا المريض ان يقولوا له ما يبطل
حقوق الورثة وان كانوا أقرباء فى أنفسهم أجانب للحاضرين وليس للحاضرين أولاد أو لهم
أولاد أقوياء فليفرضوا انهم (لو) ماتوا و (تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) هل (خافوا
عليهم) الضياع أم لا فليفرضوا مثل ذلك فى ورثة المريض فان لم يتقروا أحدا من الورثة لومة
أو شتمة (فليتقوا الله و) ليس هذا امتناعا عن قول الخير بل (ليقولوا قولا سديدا) لا يبطل
الحقوق فلا يمنع الوصية ولا يأمر بتضييع الوصية الورثة واذا منع المريض من
التصرف فى ماله لحق الورثة ولو أقوياء والحاضرون من أمره بالتضييع فالآكلون أولى
بذلك (ان الذين يأكلون) من الحكام أو الاوصياء أو الورثة (أموال اليتامى ظلما) ولو
بوصية الميت على سبيل الاسراف بخلاف أكل الفقير الناظر فى ماله بقدر أجرته (انما
يأكلون) ما ينقلب (فى بطونهم نارا) عقلية أو خيالية يعذبون بها فى قبورهم (وسيصلون)
فى القيامة ظاهرا وباطنا (سعيرا) ولما حذر من الظلم فى أكل أموال اليتامى أشار الى العدل
فى قسمته وقدم ميراث الاولاد لانهم قائمون مقامه من بعده كأنهم عينه فقال (يوصيكم
الله) أى يأمركم ويعهد اليكم باعتبار اسمه الجامع لجمعه وجوه الحكمة البالغة (فى أولادكم)
لمزيد رحمته عليهم (للذكر مثل حظ الانثيين) أى للابن مع البنتين مثل نصيبهما ولابن الابن
مع بنتى الابن مثل نصيبهما وهكذا فى السافلين لانه لو كمل نصيبها مع انها ناقصة العقل

نقص شيأ) أى لا تنقضى ولا
تغنى عنه شيأ يقال جزى
فلان دينه اذا قضاه
وتجازى فلان دين فلان
أى تقاضاه والمتجازى
المتقاضى (قوله عز وجل
تلبسون) أى تخلطون
(قوله عز وجل تعثوا)
العثو والعيث أشد
الفساد (قوله عز وجل
تعقلون) العاقل الذى
يحبس نفسه ويردها عن
هواها ومن هذا قولهم

كثيرة الشهوة لا تلتفت في الشهوات اسرافا ولانها لا تنفق على غيرها وهو على نفسه
وزوجته ولم يقل للذكر ضعف نصيب الانثى لان الضعف يصدق على المثلين فصاعدا فلا يكون
نصا ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر ولا للانثى نصف حظ الذكر تقديما للذكر ولم يقل للذكر
مثلا نصيب الانثى لان المثل في المقدار لا يتعدد الا بتعدد الاشخاص ولم يعتبر ههنا هذا اذا
كانوا ذكورا وانا ثاوان كان ذكرا أخذ الكل لانه ضعف نصيب البنت الواحدة المنفردة
وهو النصف (فان كن نساء) محضة فانهن وان كن (فوق اثنتين) لا يحزن الكل رعاية
لنقص الذاتي (فلهن ثلثا ما ترك) فكما تأخذ الواحدة الثلث مع أخيها تأخذه مع أختها
وليس دون الاخوات في القرابة وقد جعل الثلثين لاثنتين منهن فالبنتان أولى (وان كانت
واحدة) فلا يكون لها الثلث فيكون نصيبها بلا شريك كنصيبها معه (فلها النصف) أي
نصف ما ترك ولم يكمل لها الانها ناقصة ولذلك لم يجعل لها الثلثان اللذان هما نصيب الابن
معها وذكر بعد ميراث الاولاد ميراث الوالدين لانهم مثلهم في الجزئية فقال (ولابويه لكل
واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) لانه ان كان ابنا أخذ نصيب الاب لتقدمه في
العصوبة التي هي أصل الاب فشارك الاب الام في الثلث الذي لها في الاصل وان كانت بنتا
قدمت بنصفها وأخذ الاب السدس بالعصوبة وشارك الام في ثلثها لئلا ينحط الذكر عن
درجة الانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) والباقي للاب للذكر مثل حظ
الانثيين لكن قررلها الثلث تنزيلا لها منزلة البنت مع الابن لا منفردة حطا لها عن درجتها
لقيام البنت مقام الميت في الجملة هذا اذا انفردت الام عن كثرة الاخوة والاخوات (فان
كان له) معها (اخوة) أو اخوات متعددة (فلامه السدس) لان الواحد منها اذا كان من
جهة الام أخذ السدس فاذا تعددوا شاركوا الام في ثلثها مع ذلك ولو كانوا من جهة الاب
أو الابوين فهم اولى بالنقص من حقها والفروض المذكورة انما هي لأصحابها (من بعد
وصية) لا رجوع عنها بل (يوصي بها أو دين) لانه يقدم على الوصية فكيف لا يقدم على
الفروض ثم أشار الى أن ترتيب الورثة لم يفوض الى رأيكم لتعطوا من رأيتموه أنفع لكم
فقال (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون) في أغلب الاحوال (أيهم أقرب لكم نفعا) فاعتبرت
قوة القرابة فصارت (فريضة من الله) بمقتضى علمه بالمراتب وحكمته في الترتيب (ان
الله كان عليما حكيما) ولما فرغ من ميراث النسب المتحقق فيه الجزئية شرع في ميراث
السبب وقدمه على النسب الذي لا جزئية فيه لانها بالواسطة فقال (ولكم نصف ما ترك
أزواجكم) جعل ارث السبب نصف ارث النسب (ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن) جعله شريكا في نصيب ذي السبب لانه في الاصل حائز فكمل
نصيبه بتشريكه وهذا أيضا مع نقصان النصيب (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن
الربع مما تركتم) ليكون للانثى نصف حظ الذكر (ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم) تشريكا للولد في نصف نصيبهن مع قلته وهذا أيضا مع غاية قلته (من

اعتقل لسان فلان اذا
حبس ومنع من الكلام
(قوله تستنكرون) أي
تستبرون (قوله عز وجل
تظاهرون عليهم) أي
تعاونون عليهم (قوله تهوى
أنفسكم) أي تميل ومنه
قوله أفرأيت من اتخذ
الهه هواه أي ما تميل اليه
نفسه وكذلك الهوى في
المحبة وهو ميل النفس الى
ما تحبه (قوله تشابهت
قلوبهم) أي أشبه بعضها

بعد وصية توصون بها أو دين) ولما فرغ عن ميراث من ورث بنفسه شرع فى ميراث من ورث بالواسطة فقال (وان كان رجل يورث كلالة) اى من غير جهة الاب والفرع (أو امرأة) تورث كذلك صرح بها اشعارا بانه كما يستوى منه بالنظر الى المأخوذ منه يستوى منه بالنظر الى الآخذ لان جهة الآخذ جهة الانثى فلو رجح الاخ بذكورته رجحت الانثى بمزيد المناسبة (وله أخ) من الام (أو أخت) من الام (فلكل واحد منهما السدس) الذى هو أقل نصيب الام التى أخذها بواسطتها (فان كانوا) اى اولاد الام (أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) الذى هو أعظم نصيب الام وأما الاخ والاخت من الاب أو الابوين فسيأتى حكمهما فى آخر السورة ولما قل نصيبهم ههنا قال (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) لوارث آخر ولو بوصية الميت لكون المذكور (وصية من الله) لا يكون الا بمقتضى علمه وحكمته اذ (الله عليم) يعلم الاشياء والحكمة التى فيها فيحكم بمقتضى الحكمة وبه يقبح من يترك حكمته ولكن لا يعجل اذ هو (حليم) فلا يخالف بالرأى الفاسد ثم أشار الى ان الاحكام المذكورة لو لم تكن على مقتضى العلم والحكمة لم يجز تغييرها اذ (تلك) الاحكام (حدود الله) وأقل ما فيها ان مراعيها مطيع الله ورسوله ومغيرها عاص لهما (ومن يطع الله ورسوله) فانه وان نقص حظه الدنيوى (يدخله) بدله (جنات تجرى من تحتها الانهار) ولو حصل له حظه لم يبق عليه وهذا باق لكونهم (خالدين فيها) ولو بقى فهو حقير (وذلك الفوز العظيم) الذى لو لم يبق لوجب ايثاره على الحقير الباقى (ومن يعص الله ورسوله) سيما (ويتعد حدوده) فانه وان وجد شهوته وجاهه فى الدنيا (يدخله نارا) تحول بينه وبين ما يشتهيه لا يبقى له ما حصل ويبقى عذابه اذ يصير (خالدا فيها) ولو بقى لا يوازى عذابه شهوته وجاهه اذ (له عذاب مهين) ولما فرغ عن أحكام الموتى حسا شرع فى أحكام الموتى معنى فقال (واللاتى يأتين الفاحشة) اى الخصلة البليغة فى القبح وهى الزنا حال كونهن (من نسائكم) أيها المسلمون (فاستشهدوا عليهن) اى فاطلبوا من القاذفين لهن (أربعة منكم) أى من المسلمين (فان شهدوا فامسكوهن) اى احبسوهن حبس الميت فى القبور (فى البيوت) ليحبسن عن الزنا (حتى يتوفاهن الموت) أى يستوفى أرواحهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهو رجم المحصنة وجلدها مع تغريب عام فكان الحبس فى أول الاسلام لكثرة الزنا وافضاء الرجم الى الارتداد ثم نسخ (و) الرجلان (اللذان يأتيانها) أى الفاحشة وهى اللواطة (منكم) أيها المسلمون (فآذوهما) بالتعيير والجلد (فان تابا) قبل ايذائهما (وأصلحا) بالقرائن (فأعرضوا عنهما) بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) وقد نسخ أيضا ثم ان الله تعالى وان كان توابا رحيما فلم يلتزم قبول كل توبة بل (انما التوبة) التى يكاد قبولها يجب (على الله) هى الحاصلة (للذين يعملون السوء) فاحشة أو غيرها (بجهالة) بضررها ولو اعتمادا على كرم ربه وعفوه (ثم) لا يصرون عليه بل (يتوبون من قريب) قبل ان يصير رينا على قلوبهم (فأولئك) وان كثرت سيئاتهم وعادوا الى المعاصى والتوبة (يتوب الله عليهم) فى كل مرة لعلمه بانه أتى بذنب بجهالة دعته الى ترجيح

ايضا فى الكفر والفسوق (قوله تصريف الرياح) أى تحويلها من حال الى حال جنوبا وشمالا ودبورا وصبا وسائر أجناسها (قوله تعالى تهلكة) أى هلاك (قوله تعالى تختانون أنفسكم) تفتعلون من الخيانة (قوله عز وجل تربص أربعة أشهر) أى تمكث أربعة أشهر (قوله تعضلوهن) أى تمنعوهن من التزوج وأصله من عضلت

دوامه على عقله واقتضاء حكمته قبول عذر من صدق فى اعتذاره (وكان الله عليما حكيما) ولو لم يكن عن جهالة أو لم يتب عن قريب فهى جائزة القبول مالم يؤخر الى وقت العجز وهو وقت حضور الموت (و) ذلك لانه (ليست التوبة) حاصلة (للذين يعملون السيآت) اى المعاصى الفرعيات ويصرون عليها (حتى اذا حضر أحدهم الموت) المعجز عن العود الى مثلها (قال انى تبت الآن) فان قبول التوبة حينئذ ممتنع بمقتضى الحكمة لكنه فى المعاصى الفرعية وأما الاعتقاديات فيجوز التوبة عنها مالم يكاشف عن عالم الآخرة بالغرغرة أو الموت فلا توبة لاهل الغرغرة (ولا الذين يموتون وهم كفار) لانهم بمجرد الموت يعاينون العذاب اذ (أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) يصلون اليه بمجرد الموت ويكاشف لهم عنه عند الغرغرة ولو لم يكن معدا لهم لربما جازوا بعد الموت أيضا ولما فرغ عن بيان حكم الفواحش التى اعترفوا بها شرع فى بيان حكم الفواحش التى لم يعترفوا بها وهى انهم كانوا اذا مات أحدهم ولعصبته ألقى ثوبه على امرأته أو خبائها فيصير أحق بها فى زعمهم فيتزوجها بلا صداق لزعمه أن صداق الميت صداقه أو يزوجها من غيره ويأخذ صداقها أو يمنعها من التزوج لتفتدى بما ورثت أو تموت هى فيرثها فقال (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) من ميتكم أنفسها أو صداقها أو فداءها أو مالها بموتها (كرها) اى حال كونها كارهة كيف وهو تضييق على الاجنبيات (و) قد منعتم من التضييق على أزواجكم اذ قيل لكم (لا تعضلوهن) اى لا تمنعوهن عن الحقوق حتى تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) فى المهور والنفقات ليتخلصن به عنكم (الا أن يأتين بفاحشة) اى زنا أو نشوزا أو سوء خلق (مبينة) لا متوهمة فيحل للزوج أن يسألها الخلع ولكن بعد حسن عشرته اذ قيل لكم (وعاشروهن بالمعروف) اى بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول حتى لا تكونوا سبب الزنا بتركهن أو سبب النشوز أو سوء الخلق فلا يحل لكم حينئذ (فان كرهتموهن) فلا تلجؤهن الى الخلع ولا تعضلوهن بل اصبروا عليهن (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) فى الدنيا والآخرة وكانوا اذا أراد أحدهم نكاح جديدة بهت امرأته بزنا أو سوء خلق أو نشوز حتى يلجئها الى الافتداء ليصرفه فى تزوج الجديدة أو مهرها أو نفقتها فقال الله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج) جديدة (مكان زوج) تطلقونها اذ يتعذر الجمع أو يتعسر (وآتيتم احداهن) اى احدى نسوتكم التى تريدون تطليقها ونكاح جديدة مكانها (قنطارا) اى مالا كثيرا من كرمائكم على بعض فى مهرها ونفقتها (فلا تأخذوا منه شيئا) ليصير مهر الجديدة أو نفقتها أو مؤن تزوجها سيما بالبهتان عليها (أ) يحل لكم وأنتم (تأخذونه) باهتين عليها (بهتانا) لم ينشأ عن ظن (و) لكن أنتم فيه (اثما مبينا) فكيف يحل لكم شئ أثمتم فى سبب تحصيله وهو البهتان (وكيف تأخذونه وقد) تقرر اذ (أفضى) اى وصل (بعضكم الى بعض) فأخذ عوضه (و) قد (أخذن منكم) بقول العاقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان (ميثاقا) اى عهدا وثيقا (غليظا)

المرأة اذا نشب ولدها فى بطنها وعسر ولادته ويقال عضل فلان أيمه اذا منعها من التزوج (قوله عز وجل تعمدوا) اى (قوله عز وجل تعمدوا (قوله تسامروا) اى عاروا (قوله عز وجل ترانوا) تنكحوا (التوراة) معناها الضياء والنور وقال البصريون أصلها ووربة فوعلة من ورى الزند وورى لغتان اذا خرجت

مؤكدا مزيدا تأكيده بحرمة نفسه كالثوب الغليظ بحرمة رقة ثم أشار الى أنه انما يحل امرأة المورث طوعا اذا لم تكن امرأة أحد الاصول فقال (ولا تنكحوا) اى ولا تطؤا بنكاح او ملك يمين (ما نكح) اى وطئ بأحد الوجهين (آباؤكم) اى أحد أصولكم (من النساء) وان لم يكن أمهاتكم وكذا ان لم تزوجهم لاختلاف الدين فهن محرمات عليكم (الا ما قد سلف) فانها غير محرمة عليكم بمعنى أنكم لا تؤاخذون بها ان لم تقرر (انه كان فاحشة) اى خصلة قبيحة جدا لانه يشبه نكاح الامهات (و) لذلك كان (مقتا) اى أشد بغض عند الله وعند ذوى المروآت حتى سموا ولد الرجل من امرأة أبيه مقتيا كيف (و) قد (ساء سبيلا) اى هتك حرمة الاب ولما حرمت أزواج الاصول لما فيه من هتك حرمتهم (حرمت) بطريق الاولى (عليكم أمهاتكم) اى وطء أصولكم لانه استهانة واستهانة الاصول قبيحة (وبناتكم) اى فروعكم لانهن كالاصول فى الجزئية (وأخواتكم) من أم او أب او منهما لانهن بعض اجزاء الاصول فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصول (وعماتكم) لانهن فروع اصل الاب فهتكهن هتك بعض اجزاء أصل الاصل (وخالاتكم) لانهن فروع أصل الام (وبنات الاخ) لانهن فروع فروع الاصل وجزء الجزء جزء فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصل (وبنات الاخت) كذلك (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) لان الرضاع جزء منها وقد صار جزءا من الرضيع فصار كانه جزؤها فاشبهت أصله (وأخواتكم من الرضاعة) لانها جزء ما أشبهت أصله فاشبهت جزء أصل وأشار بلفظ الامهات والاخوات الى اعتبار جهات قرابة المرضعة (وأمهات نسائكم) اى أصول أزواجكم لانهن أصول فروعكم تحقيقا او تقديرا فهن كاجزاء اجزائكم (وربائبكم) اى فروع أزواجكم لانهن يشبهن البنات اذ هن (اللاتى فى حجوركم) كالبنات الا انه انما يتحقق الشبه اذا كن (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) لانهن حينئذ بنات موطوآتكم كبنات الصلب (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لان كونهن فى حجوركم حينئذ ككون الاجنبيات فيها (وحلائل أبنائكم) اى موطوآت فروعكم بنكاح او ملك يمين لانهم أشبهوا الاصول فى الجزئية فاشبه أزواجهم بأزواجهم وقيدهم بكونهم (الذين من أصلابكم) احترازا عن زوجة المتبنى وزوجة ابن المرأة (و) حرم عليكم (أن تجمعوا بين الاختين) فى الوطء بنكاح او ملك يمين لما فيه من قطيعة الرحم وفى معناهما كل امرأتين أيتهما فرضت ذكرا كان بينهما محرمية (الا ما قد سلف) فانه معفو عنه وان لم يقرر (ان الله كان غفورا رحيما و) حرمت عليكم (المحصنات) اى المزوجات من الغير (من النساء) حرائر او اماء لئلا تختلط المياه فيضيع النسب (الا ما ملكت أيمانكم) بالسبى على أزواج الكفار فانه يرفع نكاحهن ويفيد الحل بعد الاستبراء ولو لم تعقلوا معانى حرمتهن فلا تستبيحوهن بل الزموا (كتاب الله) فانه يجب متابعته (عليكم و) لا ضرورة لكم فى استباحتهن أبدا لانه (أحل لكم ما وراء ذلكم) المذكور لفظا او معنى وان كان فيهن فرع جزئية الاصول لو اعتبر لسد باب النكاح وخص من ذلك نكاح المطلقة ثلاثا قبل التحليل ونكاح الملاعنة والمعتدات

تاء والكن الواو الاول قلبت تاء كما قلبت فى تولج وأصله وولج من ولج اى دخل والياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكوفيون توراة أصلها تورية على تفعلة الا ان الياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجوز أن يكون تورية على وزن تفعلة فنقل من الكسر الى الفتح كما قالوا جارية وجاراة وناصية وناصاة

والمشركات وذوات الارحام وليس حلهن بطريق الهبة بل بطريق (أن تبتغوا) اى تطلبوا
(بأموالكم) تصرفونها فى مهورهن تحقيقا وتقديرا او ثمنهن او أجورهن حين جازت
المتعة (محصنين) اى متعففين عن الاثم والعقاب بنكاح أو متمتعين حين جازت أو ملك يمين (غير
مسافحين) زانين فانه وان طلب بالمال محرم لعدم تعيين المدة بخلاف المتعة (فما استمتعتم به
منهن) اى فمن جامعتموهن ممن نكحتموهن نكاح المتعة (فآتوهن أجورهن) فانه انما يلزم فى
الجماع بخلاف المهر فانه يجب نصفه قبل الوطء بالفراق حال الحياة وانما يجب المسمى اذا كان
(فريضة) والالزم أجرة المثل (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من الزيادة على المسمى او
النقصان منه (من بعد الفريضة) فانه يجوز فيه التغيير بالتراضى (ان الله كان عليما حكيما)
فى تزويج المتعة حين الحاجة وبتحريمها بعد انقطاعها لانه يلتبس بالزنا فى نظر العامة
ويفضى الى اختلاط المياه قال الشافعى لا أعلم شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة ونقل
ابو عبيدة الاجماع على نسخها ثم أشار الى نكاح ما يستباح للضرورة كنكاح المتعة لكنها
ضرورة مستقرة لا تنقطع بكثرة الاسلام فقال (ومن لم يستطع) اى لم يقدر (منكم) أيها
الاحرار بخلاف العبيد أن يحصل (طولا) اى غنى يمكنه به (أن ينكح المحصنات) اى الحرائر
المتعففات بخلاف الزوانى اذ لا عبرة بهن (المؤمنات) اذ لا عبرة بالكوافر (فمن ما ملكت
أيمانكم) اى فله أن ينكح بعض ما ملكه أيمان اخوانكم (من فتياتكم) اى اماتكم حال الرق
(المؤمنات) لا الكتابية لانه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر بل عار الكفر أشد لذلك جوز
بعض أصحابنا نكاح الامة مع القدرة على نكاح الحرة الكتابية ويخاف فيه مخالطة الكفار
وموالاتهم وهو أشد من خوف رق الولد (و) لا يشترط الاطلاع على بواطنهن بل يكتفى بظاهر
ايمانهن وان كن مكرهات كما لا يشترط الاطلاع على بواطن ايمان الحرائر والاحرار بل (الله
أعلم بايمانكم) ويحمل عار الرق للضرورة اذ (بعضكم من بعض) فى الرجوع الى آدم
والرق عارض لكن لا يبطل حق المالك (فانكحوهن باذن أهلهن) لا استقلالا (وآتوهن)
باذنهن (أجورهن) وان لم يكن لهن (بالمعروف) بلا مطل وضرار اذا كن (محصنات) اى
متعففات ويكفى فى ذلك كونهن فى الظاهر (غير مسافحات) اى زانيات بكل من دعاهن
(ولا متخذات أخدان) اى اخلاء يختصصن بهم فى الزنا فلو كن احدى هاتين فلكم المفارقة فى
أدائه ورهن ليفتدين نفوسهن (فاذا أحصن) اى ظهر احصانهن وأدى مهورهن (فان
أتين بفاحشة) اى زنا (فعليهن) الآن ماكان عليهن قبل النكاح وقبل أداء المهر وهو (نصف
ما على المحصنات) اى الحرائر (من العذاب) وهو خمسون جلدة لا الرجم ولا استرداد المهر
لانهن من أهل المهانة فلا يفيد فيهن المبالغة فى الزجر ولمهانتهن خص (ذلك) اى اباحة
نكاحهن (لمن خشى) اى خاف (العنت) اى المشقة فى التحفظ من الزنا (منكم) ايها الاحرار
(وأن تصبروا) على تحمل تلك المشقة (خير لكم والله غفور) لما يخطر فى قلوبكم من دواعى
الزنا (رحيم) باعطائكم الاجر على الصبر مع تلك الخواطر (يريد الله) بتحريم ما حرم من النساء

(قوله عز وجل تأويلا)
اى مصيرا ومرجعا وعاقبة
(قوله عز وجل وابتغاء
تأويله) اى ما يؤول اليه
من معنى وعاقبة ويقال
تأول فلان الآية اى نظر
الى ما يؤول معناها (قوله عز
وجل تخلق من الطين)
اى تقدر يقال لمن قدر شيئا
وأصلحه قد خلقه وأما
الخلق الذى هو احداث الله
عز وجل (قوله تدخرون)
تفتعلون من الذخر (قوله

وتحليل

وتفصيل ما أحل بالشرائط (ليبين لكم) مقتضى حكمته (و) ليست مما يختلف باختلاف الامم والازمنة فهو يريد بيانها ان (يهديكم سنن) اى طرق الانبياء (الذين من قبلكم ويتوب عليكم) بالرد الى وجه الحكمة فيما أخطأتم فيه وكيف يترككم على الخطا (والله عليم) بخطائكم (حكيم) لا يرضى بترك الخطا (والله يريد أن يتوب عليكم) يمنعكم أن ترثوا النساء كرها وان تنكحوا ما نكح آباؤكم وان تجمعوا بين الاختين ايردكم الى مقتضى الحكمة (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن مقتضى الحكمة (ميلا عظيما) بالكره وهتك حرمة الاباء وافساد ذات البين ولو قيل انه قد أمركم بالميل فى نكاح بنات العمات والخالات مع انهن فروع أصولكم قيل (يريد الله) بالاحتراز (أن يخفف عنكم) بالرخصة فيما بعد فيه الاصل والفرع بجمعا الثلاثة يسد باب النكاح اذ لو اعتبر لوجب منع الانسان من شهواته (و) لكن (خلق الانسان ضعيفا) ولضعفه قد جوز له الامة ثم أشار الى أن من ميل متبعى الشهوات التصرف فى الاموال بالطريق الباطل كالزنا فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التحفظ من الباطل فى كل شئ (لا تأكلوا أموالكم) اى لا يأكل بعضكم أموال بعض ولو (بينكم) لا يخرج عنكم (بالباطل) من طرق التصرفات وكلها باطلة (الا أن تكون تجارة) اى معاوضة محضة كالبيع والاجارة أو غير محضة كالنكاح او أخروية كالصدقة ودنيوية صدرت (عن تراض) من جانب الآخذ والمأخوذ منه (منكم) أيها الاحرار (ولا تقتلوا) بتضييع المال سيما بصرفه فى الزنا (أنفسكم) أما تضييع المال فظاهر وأما بالزنا فلانه قتل معنوى للاولاد بابطال نسبهم وقتل لانفسكم اذ لا عقب لكم يقوم مقامكم (ان الله) بهذه التكليفات (كان بكم رحيما) اذ لا تعود الى عبادته (ومن يفعل ذلك) اى يأكل مال الغير (عدوانا) اى بطريق باطل تعدى فيه ما كان الله به (وظلما) بوضعه فى غير موضعه فقد خالف الله فيما أمر من اتمام الحكمة (فسوف نصليه نارا) وان لم يخل بشئ من عباداتنا لكنه أخل بأمرنا ونهينا وان كان ما ينفعه (و) لا يمنع من ذلك كمال رحمته بل (كان ذلك على الله يسيرا) ثم أشار الى أن رحمته لا تقتضى ترك صاحب الكبائر بل العفو عن صاحب الصغائر اذا اجتنب الكبائر فقال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وهى التى رتب عليها الحد أو أوعد عليها صريحا وقد قيل أكبر الكبائر الشرك بالله وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين (نكفر عنكم سيئاتكم و) من كمال رحمتنا (ندخلكم) مع اجترائكم علينا بالصغائر (مدخلا كريما) قيل من عن له أمران وذهبت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكب لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ثم أشار الى ان رؤية الشخص فضل الله أو حقارة ذنبه مما يخل باجتناب الكبائر فقال (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) بسبب ترجيح الحسنات أو حط السيئات كما قالت الرجال انا نرجو أن يفضلنا الله

وما فعلوا من خير فلن تكفروه) اى فلن تجحدوا ثوابه (قوله تمنوا) اى تشتهوا (قوله عز وجل تحسو نهم) اى تستأصلونهم قتلا (قوله عز وجل تعولوا) تجوروا وتميلوا وأما قول من قال الا تعولوا أن لا يكثر عيالكم فغير معروف فى اللغة (وقال) بعض العلماء انما أراد أن لا يكثر عيالكم أى ان لا تنفقوا على عيال وليس

على النساء بالحسنات في الآخرة كما فضلنا بالميراث وقالت النساء إنا لنرجو أن يكون وزرنا
نصف وزر الرجال كما لنا نصف ميراثهم فنزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من حسناتهم
لا يضعفه كالسيئات (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من سيئاتهن لا يضعفه كالحسنات فإن ترجيح
أحد الجانبين دون الآخر تحكم محض (و) لكن (اسألوا الله من فضله) أن يضاعف
حسناتكم وينقص من عقوبة سيئاتكم وليس ذلك بطريق التحكم بل (إن الله كان بكل شيء
عليما) فيتفضل على من هو مستعد للفضل عليه ثم أشار إلى أن إعطاء الفضل لا ينافي نصيب
الاكتساب فإن اكتساب الحسنات والسيئات كاكتساب الأموال يكون لكل مكتسب
نصيب منها (و) مع ذلك (لكل) من الأموال (جعلنا) من فضلنا (موالي) ولاة لا يكتسبون بل
يحصل لهم (مما ترك الوالدان و) مما ترك (الأقربون و) مما ترك (الذين عقدت أيمانكم)
وهم الذين دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتعقل عني وأعقل عنك (فآتوهم
نصيبهم) وهو السدس حفظا لأيمانكم لأنه حفظ عليكم ما وعدتكم من إعطاء الفضل بالسؤال
وكان هذا في أول الإسلام طلبا للتقوية بكثرة الناصرين فلما قوي الإسلام نسخ بقوله عز وجل
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (إن الله كان على كل شيء شهيدا) ينظر من يفي بعهده
فيفي له بفضله ثم أشار إلى أن تفضيل الرجال على النساء ليس لفضلهم في الآخرة بل لأن لهم
ولاية على النساء فقال (الرجال قوامون) أي لهم المبالغة في القيام بمصالح النساء وتأديبهن
فلهم ولاية (على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) أي بسبب تفضيل الله بعض خلقه على
بعض بكمال العقل ومزيد القوة والكامل بنفسه له حق الولاية على الناقص (و) كذلك
(بما أنفقوا من أموالهم) في مهورهن ونفقاتهن فصرن كالأرقاء الذين لا يملكون وإن
ملكهم السيد لكن لما لم يتحقق الرق اقتصر على نقص الحظ ولكونهم في معنى السادات
وجبت عليهن طاعتهم كما يجب على العبيد طاعة السادات (فالصالحات) من النساء (قانتات)
أي مطيعات للأزواج ومن طاعتهن أنهن (حافظات للغيب) أي لما غاب عن أزواجهن من
أموالهم وفروجهن مستعفيات (بما حفظ الله) أي بحفظه مخافة أن يطلب عليهن ومنهن
وإن فاتهن من الصلاح ما يليق (و) من قوامية الرجال أن (اللاتي تخافون) بظهور العلامة
(نشوزهن) أي عصيانهن (فعظوهن) أي خوفوهن بالقول كاتقي الله واعلمي أن طاعتك
فرض عليك (و) إن لم ينزعن (اهجروهن في المضاجع) أي ولوهن ظهوركم أو اعتزلوهن في
فراش آخر (و) إن لم ينزعن بذلك (اضربوهن) ضربا غير مبرح (فإن أطعنكم) في [illegible]
الأفعال (فلا تبغوا عليهن سبيلا) للإيذاء ولا للطلاق ولا تغتروا بعلوكم (إن الله كان عليا
كبيرا وإن خفتم) أيها الحكام (شقاق بينهما) أي مخالفة مفرقة بينهما واشتبه عليكم أمر
جهة من جهتها ولا يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة ولا تؤدي المرأة الحق ولا
الفدية (فابعثوا حكما من أهله) أي أقاربه لأنهم أعلم ببواطن الأحوال (وحكما من أهلها) لئلا
يميل الأول إلى جانبه وهذا على سبيل الاستحباب ويجوز هذا من جانب الأجانب (إن يريدا) أي

يتفق على عيال حتى يكون لا عيال فيكثر أولادك أدنى ألا تكثر عيالكم يقول
قوما (قال أبو عمرو وأخبرنا ثعلب عن علي بن صالح صاحب الكسائي قال المعلى من الكسائي قال من العرب من يقول عال يعول إذا كثر عياله وأخبرنا أبو عمرو عن الماوردي عن العباس مثله) (قوله عز وجل ألا تعولوا في دينكم) أي تجاوزوا الحد

الحكمان (اصلاحا يوفق الله) اى يوقع الله الوفاق (بينهما) و يستقلان بذلك و يتوكلان فى الخلع والطلاق و يجب عليهما أن يخلوا و يستكشفا عن حقيقة الحال فيعرفا ان رغبته فى الاقامة أو المفارقة (ان الله كان عليما خبيرا) بظواهر الحكمين و بواطنهما ان قصدا افسادا يجازيهم ما عليه والايجاز هما على الاصلاح ثم أشار الى أن الفضل الاخروى ليس بهذه القرابة ولا بسائر الفضائل الخيرية بل بعبادة الله مع توحيده و بالاحسان الى خلقه فقال (واعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تقربكم اليه (و) شرط تقريبها اليه أن (لا تشركوا به شيأ) من الشرك الجلى والخفى للنفس وشهواتها وما يتوصل به اليها من المال والجاه هذا مع الله (و) اما مع الخلق فاحسنوا (بالوالدين احسانا) يفى بحق تربيتهما فانه شكرا لهما يؤدى الى شكر الله المقرب اليه مع ما فيه من صلة أقرب الاقارب الموجب لوصلة الله وقطعها القطعه (وبذى القربى) اى الاقارب ليكون صلة مقربة اليه (واليتامى والمساكين) ترحما عليهم مستوجبا لرحمته عز وجل (والجار ذى القربى) اى الذى قربت داره (والجار الجنب) اى الذى بعدت داره لان لهما قربا حسيا فاشبها ذوى القربى (والصاحب) فى الخيرات (بالجنب) فانه كالجار (وابن السبيل) اى المسافر فانه كاليتيم لانقطاعه عن أهله (وما ملكت أيمانكم) فانهم كالمساكين اذ لا يملكون شيأ وكيف تكون الفضائل الدنيوية بدون عبادة الله والاحسان الى خلقه فضائل أخروية مفيدة للتقرب اليه موجبة لرحمته وهى موجبة للخيلاء والفخر ولا يتم الا بالبخل أو الانفاق رياء (ان الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا بانف عن عبادة الله (فخورا) لا يبالى بخلقه ولا يحسنون الى الخلق لانهم (الذين يبخلون و) لا يكونون سبب الاحسان أيضا اذ (يأمرون الناس بالبخل و) يبالغون فيه حتى انهم (يكتمون ما آتاهم الله من فضله) بل يكفرون بكونه من فضله أو ينسبونه الى اكتسابهم (وأعتدنا للكافرين) المستهينين بنا بنسبة الفضل الى غيرنا (عذابا مهينا والذين) لا يبخلون منهم انما (ينفقون أموالهم رئاء الناس) فلا يقبل احسانهم لان رياءهم يدل على تفضيلهم الخلق على الله ورؤيتهم على ثوابه (و) هو دليل انهم (لا يؤمنون بالله) الذى يتقرب اليه (ولا باليوم الآخر) الذى هو يوم الجزاء (و) كيف يقرب هذا الاحسان من الله وهو مقرب الى الشيطان (من يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا) اى أى ضرر من فوات تعظيم الخلق أو فوات حطام من جهتهم يغلب (عليهم لو آمنوا بالله) فلم يرجوا الخلق عليه (واليوم الآخر) فلم يرجوا تعظيمهم وحطامهم على ثوابه (وأنفقوا مما رزقهم الله) طلبا لرضاه وأجر آخرته وأى فائدة لهم فى علم الخلق (وكان الله بهم عليما) وأى ضرر فى فوات تعظيم الخلق وفوات حطامهم مع ايفاء الله تعالى ثوابهم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) فى محل الغضب بالافراط فى التعذيب (و) لكنه يفرط فى محل الرضا فانه (ان تك) ذرتهم (حسنة يضاعفها ويؤت) زيادة على الاضعاف (من لدنه) مما يناسب عظمته (أجرا عظيما) ولو كانوا مرائين من حيث الناس أو تاركين الايمان بالله ورسوله من ذلك (فكيف) حالهم فى الحياء (اذا جئنا من كل أمة

(قوله وتتنصروا من الحق (قوله عز وجل تستقسموا بالازلام) اى تستفعلوا من قسمت أمرى (قوله تعالى تنقمون منا) اى تكرهون منا وتنكرون (قوله تعالى تبوء باثمى واثمك) اى تنصرف بهما اذا قتلتنى وما أحب أن تقتلنى فان قتلتنى أحببت أن تنصرف باثم قتلى واثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك فتكون من أصحاب النار (قوله تصغى اليه) اى

(شهيد) يشهد على ابن الاولين والآخرين شاهدهم (وجئنا بك) اذا كنت سالم
الشهداء (على هؤلاء) الشهداء (شهيدا) يزكيهم ويصدقهم (يومئذ يود) من افراط الحياء
(الذين كفروا) حياء من قومهم (و) لم يستحيوا من الله بعد ارسال الرسول بامرهم
بل منه لم يستحيوا منه ولا من الرسول اذ (عصوا الرسول) الذي هو اولى بالاحتشام
والحياء منه وبسائر الناس الذين هم كالانعام (لو) صاروا ترابا بحيث (تسوى بهم الارض)
لكان اهون لهم عن تمنى الهوان الذي لحقهم من فضائحهم كيف (ولا يكتمون الله حديثا) من
احاديث انفسهم فضلا عن ظواهر افعالهم ثم اشار الى ان مما يستحيا من الله الصلاة حال
السكر او الجنابة او الحدث فقال (يا ايها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الحياء من الله ومن
الحياء منه ان (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) لا تعلمون ما تخاطبونه فالحياء من الله يوجب
ترك ذلك (حتى تعلموا ما تقولون) نزلت فيمن تقدم فصلى قبل تحريم الخمر فقرأ اعبد ما تعبدون
(ولا) تقربوا الصلاة ولا موضعها وهو المسجد الذي هي لها (جنبا الا عابري سبيل) مارين
لا لبث واقراره بالمسافر يوجب التكرار (حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او) ان كنتم
(على) ظهر (سفر) جنبا (او) محدثين (جاء احد منكم من الغائط) وفي معناه خروج شيء
من احد السبيلين (او لامستم النساء) اولمسكم بدليل لمستم في قراءة اخرى والمراد باللمس
الشرعي اذ هو سبب الخروج (فلم تجدوا ماء) اى ما لم تتمكنوا من استعماله فلا تستحيوا من
الله ان تعتذروا اليه بمزيد التذلل (فتيمموا) اى اقصدوا (صعيدا) اى ترابا ذا غبار وان
تيسر عاء على وجه الارض يقيده لقوله في المائدة (طيبا) اى طاهرا (فامسحوا
بوجوهكم وايديكم) اذ تذليل الرأس افراط وتذليل الرجلين تفريط (ان الله كان عفوا)
اى يتجاوز عنكم ترك الحياء في الصلاة جنبا او محدثين (غفورا) اى ساتر القبح مما بكم
وحدثكم ثم اشار الى ان ترك اهل الكتاب الحياء من اقبح وجوه فقال (ألم تر) اى ألم تعلم يقينا
كانه رأى العين بالنظر (الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) لتدعوهم الى الايمان
المستوجب للحياء من الله ومن الناس كيف لا يستحيون من الله اذ (يشترون الضلالة) اى
يستبدلون الرشا المضلة بهدى الله (ويريدون) من عدم حيائهم من الناس (ان تضلوا
السبيل) من قولهم بعد ما اراه الله اياكم (و) اضلكم بعد اوتيتم هداه (والله اعلم باعدائكم)
فلا بد ان يهلكم لئلا يؤثر قولهم فيكم (و) لو لم يهلكم (كفى بالله وليا) يلي امركم فلا
يؤثر فيكم تلبيسهم (و) لو جادلوكم او قاتلوكم (كفى بالله نصيرا) ولا يكفيكم ولاية الغير
ولا نصره لانهم (من الذين هادوا) اى المشهورين بالتقدم في العلم مع تلبيسهم اذ
(يحرفون الكلم) تصرفه (عن مواضعه) بالتأويل الباطل او بتغيير اللفظ (ويقولون)
حفظا لماء الذي ليوهموا انه لو كان ماء لم يحفظوا به (سمعنا) قولك (وعصينا) امرك
(و) يقولون ابلغ من ذلك وهو (اسمع) منا (غير مسمع) منك (و) يقولون ابلغ من ذلك وهو
(راعنا) يريدون اسم الفاعل من الرعونة وهو الحماقة ويحتالون انا اردنا الرعاية اى

عمل البر او لتباركه اسمه
(قوله تغتسلوا) تعمروا (قوله
تيمموا) دلقم وبلوغ معنى
واحد اى تبلغ وبقال
تلقفه والتمسه اذا اخذه
بما (قوله تعلى
عابري سبيل) اى طهر وباب
وبه النهار اذا على بمعناه
وسعه (قوله عابر ولا
طهر وباب) اى اعلم ارشدوا فعل أتى
بمعنى افعل كقوله
(قوله عن
مواضعها) عن اعارها
وجعل مقامها

اصرف سمعك الى كلامنا يقصدون (ليا) اى صرفا الكلام من وجه الى وجه (بألسنتهم) مع استقرارهم على الوجه الفاسد بالقلوب (و) يقصدون بذلك (طعنا فى الدين) اذية ولو لاصحابه بلحن نشتمه ولا يفهم ولو كان نبيا افهمهم لكنهم عاروا بقوته (و) علوا (لو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع) مناشيهم انما التريا ها (وانظرنا) بدل راعنا المحتمل للمعنى الفاسد (لكان خيرا لهم وأقوم) فى الدنيا بحقن أموالهم ودمائهم وعاقبتهم باحاطة الكتب السماوية وفى الآخرة بضعف الثواب (ولكن لعنهم الله) اى طردهم عن رحمته فمنعهم من التكلم عما يوجبها (بكفرهم) ببعض ما فى كتبهم وان ادعوا الايمان بها (فلا يؤمنون) بما فيها (الا قليلا) وهو ما رأوا أنه يثبت دون ما خالفها (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) لتؤمنوا به نظرا الى معجزات من أتى به (آمنوا بما نزلنا) اى بالعناق اعجازه بتنزيله مفرقا فعجز الكل عن الاتيان بمفرقاته مع تضمنه وجها آخر من الاعجاز وهو كونه (مصدقا لما معكم) وان جعلتموه مكذبا له بتحريفه (من قبل أن نطمس وجوها) نمحو تخطيط صورها (فنردها على) هيئة (أدبارها) جزاء على التحريف لبعض الكتاب (أو) نفعل بهم أبلغ من ذلك وهو أن (نلعنهم) اى نطردهم عن الانسانية بالمسخ الكلى جزاء على اعتدائهم بترك الايمان بما هو معجز فى نفسه مع ايمانهم بما ليس بمعجز (كما لعنا أصحاب السبت) بالمسخ الكلى جزاء على اعتدائهم على السبت الذى هو دون هذا الكتاب المعجز (وكان أمر الله مفعولا) لو استمروا على ترك الايمان به ومن لم يفعل به ذلك فى الدنيا مع اصراره على ترك الايمان به فلابد أن يفعل به فى الآخرة بشركه انحرف الكلم عن مواضعه ثم نسبه الى الله فكانه جعل نفسه الها اذ به الها ونسب خالق المعجزات التى ظهرت على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غير الله مع انه لا ينبغى الا لمن له قدرة كاملة وليس الا الاله (ان الله لا يغفر أن يشرك به) كما لا يغفر لمن لم يؤمن الدنيا من أشرك بهم ليملكهم (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجاز أن يغفر لكم ربنا كم لو آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتحريفكم لو رجعتم الى العدل وكيف يغفر للمشرك (ومن يشرك بالله فقد افترى) اى قصد (اثما عظيما) تقتضى الحكمة التعذيب عليه بأعظم الوجوه وهو التخليد فى النار ثم أشار الى انهم انما يجترؤن على التحريف وترك الايمان بالكتاب المبالغ فى اعجازه لزعمهم انه سيأتيهم مكفر فقال (ألم تر الى الذين يزكون) اى يطهرون من عند أنفسهم من غير نص الهى (أنفسهم) عن الذنوب اذ يزعمون أن أعمالهم بالليل تكفر بالنهار وبالنهار تكفر بالليل وليس لهم ذلك (بل الله يزكى) بالتنصيص (من يشاء) وقد نص على انهم (لا يظلمون فتيلا) اى مقدار فتيل وهو اسم لما فى شق النواة والقطمير القشرة التى على النواة والنقير النقطة التى على ظهر النواة وهو انما يدل على انهم لا يزاد عذابهم على قدر استحقاقهم لكنهم قالوا ما يخالف هذا النص ونسبوه الى الله افتراء على الله (انظر كيف يفترون) اى يتعمدون (على الله الكذب وكفى به) اى بافترائهم على الله (اثما مبينا) لكونهم صيرهم كمن مر جهة الله ثم أشار الى انهم كما اجترؤا على تحريف كتاب الله اعتمادا على

بالنكاح (قوله تصدية) اى تصفيق وهو أن يضرب احدى يديه على الاخرى (قوله فيخرج بهم ما صوت (قوله تعالى تفشلوا وتذهب ريحكم) اى تجبنوا (قوله وتذهب دولتكم (قوله تعالى تثقفنهم فى الحرب) اى تظفرن بهم (قوله عز وجل تفنى الا فى الفتنة سقطوا) اى توقعى الا فى الاثم وقعوا (قوله عز وجل تزدرى أنفسهم) تحتقر وتبذل

ما افتروا من كونهم من كبير احترزوا أيضا على عبادة الاصنام وترجيح دين عبدتهم على دين
الموحدين بدلك أيضا فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الداعى الى التوحيد
وترجيح أهله والكفر بالجبت والطاغوت (يؤمنون بالجبت) اى الاوثان (والطاغوت) اى
الشيطان الداعى الى الطغيان بتعلقه بالاوثان (ويقولون للذين كفروا) اى اشركوا بالله
(هؤلاء اهدى من الذين آمنوا) بالله وحده (سبيلا) نزلت فى حيى بن أخطب وكعب بن
الاشرف خرجا بجماعة الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا أنتم أقرب الى محمد منكم الينا لانكم أهل الكتاب فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا وقال أبو سفيان لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون ولا نعلم أينا اهدى سبيلا
نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينك فقال نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى
الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ومحمد فارق دين آبائه وقطع
الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودينه الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما
عليه محمد (أولئك الذين لعنهم الله) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وجرهم الى عبادة
الاصنام وترجيح الشرك على التوحيد (و) ليدفع عنهم لعنة الله قراءتهم للتوراة لانه (من
يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه لعنة الله ألهم نصيب من الدين فأمرهم بعبادة الجبت
والطاغوت (ام لهم نصيب من الملك) يعطونه لعبادتهما (فاذا) أى فلو كان لهم ذلك
لافسدوا دينهم ودنياهم لانهم (لا يؤتون الناس) كلهم (نقيرا) أى واحدا وهو ما يوارى
نقرة ظهر النواة كما انهم لما كان لهم نصيب من الكتاب لم يعطوا الناس شيأ من الارشاد
مخافة ان يقطع عنهم الرشا أيحاربون الناس على ما آتاهم الله من فضله محاربة الملوك (أم
يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وهو النبوة والرشد فيتمنون زواله مع ان
الفضل الموروث لا يحسد عليه غالبا وفضل محمد صلى الله عليه وسلم موروث (فقد آتينا آل
ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب والحكمة) اى العلم الظاهر
والباطن (و) لو زعموا أنهم لا يحسدون ايتاء الكتاب والحكمة بل تملكه علينا المبطل
لرياستنا ورشانا فقد (آتيناهم ملكا عظيما) ليقوموا باصلاح العالم كله وكذلك آتيناه دا
الكل علم بذلك اليهود كلهم وان اختلفوا (فمنهم من آمن به) فادعى لعله (ومنهم من) بالغ
فى العناد حتى (صد) الناس (عنه) فكان عنادهم للعلم عنادا للحق موجبا لغضبه المسعر
جهنم عليهم (وكفى بجهنم سعيرا) اى مسعورة عليهم ان لم يهتدوا الى النار كيف لا وهى لكل
كافر (ان الذين كفروا بآياتنا) تحريفا أو تكذيبا للبعض لاستلزامه تكذيب الكل وان
لم يحسدوا الغير (سوف نصليهم نارا) ولا مدخل الا بتسعيرها وكيف لا تكفيهم وهم يتألمون بها
دائما لانهم (كلما نضجت جلودهم) أى احترقت احتراقا تاما (بدلناهم جلودا غيرها) أى
جعلنا جلودهم المحترقة غير محترقة كأن بدلناها جلودا اخر (ليذوقوا) أى ليصيروا بعد
الاحتراق المانع من الاحساس (العذاب) فيدوم لهم (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه

(قوله عز وجل تريغ) اى تميل
قلوب فريق منهم
(قوله نعيض)
من الحق
(قوله عز وجل
تسبيل) اى تمرا أو تتلوا اى
تتلوا (قوله عز وجل
تسع أيضا) اى تغير
(ترهقهم) تتلوا اى تغشاهم ومنه قولهم
غلام مراهق اى قد غشاه
الاحتلام (قوله عز وجل
تبديل) اى تبديل الشئ عن
حاله والابدال جعل الشئ
مكان شئ (قوله تحرصون)
تحدسون وتحزرون

ما يريد من جعله المنزل فيه ممتزق وغيره (حكيما) في هذا التبديل اذ لا يتم تخليد العذاب الموعود على الكفر الذي لا ينزجرون عنه بالعذاب المنقطع وعدا لابد من ايقاعه على انه لو جاز كون الوعيد تخويفا لجاز كون الوعد ترغيبا (و) ليس كذلك بل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) بمقتضى الوعد الذي لا مدخل للخلف فيه وفاقا (جنات تجري من تحتها الانهار) كما يجري من تحت نارهم انهار الدم (خالدين فيها أبدا) خلودهم بتجديد الجلود وهذا وان كان كذا في المقابلة بتفضل عليهم فيكون (لهم فيها أزواج مطهرة) تماما للتلذذ بالجنات والانهار (وندخلهم ظلا ظليلا) لا تنسخه الشمس فلا ينقص الحرارة شيئا من لذاتهم كما لا ينقص الاحتراق شيئا من آلامهم ثم أشار الى ان مما يوجب ادخال الجنات والازواج المطهرة والظل الظليل رد الامانات واقامة العدل فقال (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) اذ فيه ادخال السرور في قلوبهم وايصال خيرهم اليهم واطفاء حرارة قلوبهم (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) لانه وان كان فيه ادخال الالم في قلوب الظلمة وقطع خيرهم عنهم وايقاد نار غضبهم ففيه ادخال السرور على قلوب المظلومين وايصال خيرهم اليهم واطفاء نار الفتنة التي بينهم وبين الظلمة (ان الله نعما يعظكم) اي يخوفكم عن ضد ذلك (به) اي بهذا الامر المتضمن للنهي عن الضد (ان الله كان سميعا) لاقوالكم في الامانات والاحكام (بصيرا) بافعالكم فيها فان سمع ورأى خيرا اجازاكم عليه خير الجزاء وان سمع ورأى شرا اجازاكم عليه حقا لنفسه ورعاية حق الخلق ولما أمر الحكام بالعدل أمر الرعية بقبوله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم قبول العدل (أطيعوا الله) الذي أسس قواعد العدل (وأطيعوا الرسول) الذي بينها (وأولي الأمر) وهم الحكام وان كانوا (منكم) لا يظهر لهم مزيد فضل عليكم لقيامهم بالعدل (فان تنازعتم) انتم وأولو الامر (في شيء) من الاحكام (فردوه الى) كتاب (الله و) الى سنة (الرسول) لا الى ما تريدون ولا الى ما يريده الحكام (ان كنتم تؤمنون بالله) الواضع لقواعد العدل (واليوم الآخر) الذي يجازي فيه الموافق والمخالف لتلك القواعد (ذلك خير) لكم وللحكام (و) ان لم يتيسر في الحال فذلك (أحسن تأويلا) عاقبة لكم ولهم ثم أشار الى ان اطاعة الله واطاعة الرسول وأولي الامر انما تتم بالتحاكم اليهم لا الى من يدعو الى الطغيان فانه من علامات الكفر فقال (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) ومقتضى ذلك الانقياد لقواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك بالتحاكم اليك (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) اي الداعي الى الطغيان بالحكم على خلاف قواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك (وقد أمروا) في جميع تلك الكتب (أن يكفروا به) لانه يحاكم على خلاف ما أنزل الله في كتبه فيه يطيعونه (و) يطيعون الشيطان اذ (يريد الشيطان) من الجن والانس (أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن أديان جميع الرسل المنسوخ والناسخ جميعا نزلت في منافق خاصم يهوديا فدعاه الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشي ولا يجور والمنافق

(قوله عز وجل تلقفنا) ای تصرفنا والالتفات الانصراف (ع) كنت منه لا عليه (تزدری أعینکم) يقال ازدری به وازدراه اذا قصر به وزری عليه اذا عاب عليه فعله (قوله تتبيب) تفسير ای خسران ومعنى قوله (فما تزيدونني غير تخسير) ای كلما دعوتكم الی هدی ازددتم تكذيبا فزادت

الى كعب بن الاشرف من شياطين اليهود لعلمه انه يرتشى ثم انهما تحاكما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر فقال له اليهودى قضى لى محمد فلم
يرض بقضائه فقال للمنافق أهكذا قال نعم قال مكانكما حتى أخرج اليكما فأخذ سيفه فضرب
عنق المنافق وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فسمى الفاروق (و) يدل على بعد اضلالهم انهم (اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله) فى الكتب التى تدعون الايمان بها (والى الرسول) القائم بها (رأيت المنافقين يصدون)
أى يمنعون خصومهم فيبعدونهم (عنك صدودا) بليغا ليتمكنوا مما يريدونه بالرشوة ولو دفعوا
عن أنفسهم ضررها فى التحاكم اليك (فكيف) يدفعون ما يصيبهم فى التحاكم الى غيرك بل
غايتهم انهم (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
كقتل عمر المنافق تكلفوا الاعتذار كاذبا (ثم جاؤك يحلفون بالله) كذبا (ان اردنا) أى ما أردنا
بذلك التحاكم (الا احسانا) من الخصم الى صاحبنا (وتوفيقا) بالصلح بتناويه (اولئك)
بعداء عن هذه الارادة وان ذكروها لك بل فى قلوبهم أن يميل من يتحاكمون اليه الى جانبهم
بالرشوة وهم (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق والميل الى الباطل فهم وان ظهر اسلامهم
وأظهروا اعذارهم بحلفهم (فأعرض عنهم) اذ طلبوا القصاص (وعظهم) اى خوفهم من
أن يجرى عليهم أحكام الكفر (وقل لهم) ما يؤثر (فى أنفسهم قولا بليغا) فى التأثير ليصيروا
مجروحين بعد ما صار صاحبهم مقتولا وكيف لا يكون ترك الرضا بحكمه دليل النفاق وهو
مشعر بعدم وجوب طاعته (و) لكن (ما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) فطاعته
واجبة وانكار وجوبها كفر ثم أشار الى انه لغاية عظم هذا الكفر لا ينبغى لهم أن يعتمدوا
على استغفارهم بل لا بد لهم من طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا (و) لا
ينبغى لهم أن ييأسوا وان بلغ ذنبهم ما بلغ بل يجب ان يعتقدوا (لو انهم اذ ظلموا أنفسهم) هذا
الظلم العظيم غاية العظم (جاؤك) لطلب الاستغفار منك مع استغفارهم (فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول) فكان استغفاره عليه السلام شفاعة لقبول استغفارهم (لوجدوا) أى لعلموا (الله
توابا) أى قابلا لتوبتهم (رحيما) أى متفضلا عليهم بالرحمة وراء قبول التوبة لكنهم لا يبالون
باستغفارك ويستمرون على عدم رضاهم بحكمك (فلا) ايمان لهم فى الحال (وربك لا يؤمنون)
فى الاستقبال (حتى يحكموك) أى يجعلوك الحاكم لا غيرك (فيما شجر) أى اختلط (بينهم)
لتصفى قلوبهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم) اى باطنهم (حرجا) اى ضيقا (مما قضيت) اى من كراهتهم
حكمك (ويسلموا) اى يذعنوا لحكمك (تسليما) تاما فان النفاق انما يرتفع بالكلية حينئذ ولا
تبقى منه بقية فى قلوبهم تجرهم الى استكماله فيما بعد لرسوخه فى قلوبهم غاية الرسوخ ثم أشار
الى ان التسليم الكلى انما يكون بالاذعان لامر قتل النفس أو لامر الخروج من البلاد
(و) لكن (لو أنا كتبنا عليهم) جازمين (ان اقتلوا أنفسكم أو) أمرناهم بما يقرب منه وهو ان
(اخرجوا من دياركم ما فعلوه) بل المنافق من لا يشاق اليوم (الا قليل منهم) لكمال اخلاصهم

خسارتكم (قوله عز وجل
تركنوا الى الذين ظلموا)
اى تطمئنوا اليهم وتسكنوا
الى قولهم ومنه قوله عز
وجل لقد كدت تركن
اليهم (قوله عز وجل
تعبرون) اى تفسرون
الرؤيا (تأويل الاحاديث)
تفسير الرؤيا (قوله عز وجل
تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله) اى رغبت عنها والترك
على ضربين أحدهما

واذعانهم ولذلك لاتأمرهم الابما يسهل عليهم ومع ذلك لا يخرجون لمخالفة أهويتهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) أى يخوفون بالامر به عن تركه (لكان خيرا لهم) من حصول أهويتهم لانه سبب فوات الباقى الشريف بالفانى الخسيس (وأشد تثبيتا) لدينهم ودنياهم اذ يخاف من متابعة الهوى الجرة الى الكفر والحاكم اذا مال الى الرشوة ربما يكون الخصم أكثر اعطاء لها (و) لا نقتصر فى حقهم على حفظ الباقى من ثواب سائر الاعمال بل (اذا لآتيناهم من لدنا) مما يناسب عظمتنا (أجرا عظيما) فى الدنيا والآخرة على اذعانهم لاحكامنا (ولهديناهم صراطا مستقيما) بكونه سبب العلم الاجر من وجوه كثيرة ثم أشار الى انه يحصل لهم مع الاجر مراتب القرب فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بالتقرب منه (من النبيين) الذين أنبأهم الله أكمل الاعتقادات والاحكام وأمرهم بانبائها الخلق كلا بقدر استعداده وهذا لمن جاوز حد الكمال الى التكميل (والصديقين) الذين كملت مطابقة علمهم لتلك الاعتقادات والاحكام لمشاهدتهم لها فى مشكاة النبوة عن قرب وكملت مطابقة أعمالهم الظاهرة والباطنة لها وهذا لمن كان فى أعلى مراتب الكمال ولم يبلغ حد التكميل (والشهداء) الذين شاهدوا الحقائق عن بعد وهذا لمن كان فى أوسط درجات الكمال (والصالحين) الذين صلحت اعتقاداتهم وأعمالهم لافادة النجاة وهذا لعامة أهل الطاعة (وحسن أولئك رفيقا) فى قطع منازل مزيد القرب من الله (ذلك) الرفق هو (الفضل من الله) بعد انقطاع أسباب العمل (وكفى بالله عليما) بمقدار هذا الفضل لا يعلمه غيره لانه أمر غير متناه فلا يصل اليه علم الخلائق المتناهى ثم أشار الى ان اجل الطاعات الموجبة مرافقة المذكورين الجهاد الذى هو قتل النفس والخروج عن الديار الى مكان الاعداء وقدم التحرز عن القاء النفس فى التهلكة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم جهاد الاعداء وقدموا وقاية ابدانكم (خذوا حذركم) أى ما تحترزون به المطاعن من الدروع والتروس والاسلحة (فانفروا) أى اخرجوا (ثبات) أى متفرقين سرية بعد سرية اظهارا للجراءة (أو انفروا جميعا) ايقاعا للمهابة بتكثير السواد ومبالغة فى التحرز عن الخطر (وان منكم) يا جماعة المبالغين فى التحرز (لمن) والله (ليبطئن) اى ليتأخرن عن الخروج مع الجماعة أيضا زيادة عن حد التحرز لنفاقه (فان أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) معجبا برأيه (قد أنعم الله على) بهذا الرأى اذ لم يصبنى ما أصابهم (اذ لم أكن معهم شهيدا) اى حاضرا للحرب (ولئن أصابكم فضل) فتح وغنيمة (من الله ليقولن) تحسرا على رأيه بحيث لا يعارضه فرح ما حصل لاخوانه لانه لا يعتد بودتهم هل يرى (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز) بالغنيمة واسم الشجاعة (فوزا عظيما) فهؤلاء انما يقاتلون فى سبيل الغنيمة ويرونها كل الفوز فاذا افتقدوها أرموا حياتهم الدنيوية (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) أى يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) فيتحقق بيعه (أو يغلب) فانه وان لم يؤد المبيع الى الله تعالى لكنه لما قصده صار كالمؤدى (فسوف

مفارقة ما يكون الانسان فيه والآخر ترك الشئ رغبة عنه من غير دخول كان فيه (قوله تعالى تبتئس) اى تفتعل من البؤس وهو الفقر والشدة اى لا يلحقك بؤس بالذى فعلوا (قوله تالله) بمعنى والله قلبت الواو تاء مع اسم الله دون سائر أسمائه (قوله عز وجل تفتؤا تذكر

نؤتيه) على قصده بذل مهجته فى سبيل الله (أجرا عظيما) لانسبة لاجور الدنيا وحياتها ولا لاجور اكثر الاعمال اليها ثم أشار الى ان الله عز وجل لو لم يعدكم الاجر العظيم لوجب عليكم القتال فقال (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله) وهو بنفسه سبب التقرب اليه وهو أجل من جميع الاجور (و) فى استخلاص (المستضعفين) الذين هم كانفسكم وهم المساوون الذين بقوا بمكة لضعفهم عن الهجرة (من الرجال) الضعفاء بالمرض أو الهرم (والنساء والولدان الذين يقولون) من ايذاء أهل مكة واذلالهم اياهم (ربنا أخرجنا من هذه القرية) وان كانت أشرف البقاع (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا) يحفظ علينا ديننا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يدفع عنا اذيات اعدائنا (الذين آمنوا) لاقتضاء ايمانهم ملولاة سبيل الله وحفظه والترحم على أهله (يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان الآمر بغاية الطغيان كايذاء المستضعفين من المؤمنين وقتال أقويائهم بمحبة الشيطان (فقاتلوا) يا احباء الله (أولياء الشيطان) الذين يعادون الله اعداوته ولا تبالوا بكيده وان بالغ فى الكيد لاوليائه (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) لانسبة له الى كيد الله لكم ثم أشار الى انهم لم يكونوا يبالون بهم زمان ضعف حالهم فلما قويت حالهم ضعفوا فقال (ألم تر الى الذين قيل لهم) عند استئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال قبل الهجرة وهم بمكة (كفوا أيديكم) عن القتال فانكم لم تؤمروا به لضعفكم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فانهما جهاد أكبر (فلما كتب عليهم القتال) حين قوى حالهم (اذا فريق منهم) لرؤية ضعفهم الآن ولم يروه قبل ذلك (يخشون الناس) فى القتال (كخشية الله) ان تركه فيترددون بينهما (أو أشد خشية) فيرجحون تركه (وقالوا) معترضين على الله (ربنا لم كتبت علينا القتال) مع تضاعفنا واذ رأيت قوتنا تزداد يوما فيوما (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يكمل فيه قوتنا (قل) لكم قوة كافية ولكنكم تخافون فوات متاع الدنيا مع انه لا ينبغى لكم اثار الوالد عند أمر الله بالقتال اذ (متاع الدنيا قليل) مع انه يحصل بدله الحياة الاخروية (والآخرة خير لمن اتقى) الله فيرجح خشيته على خشية الناس (ولا تظلمون) اى لا تنقصون من أجوركم ولا من أعماركم ومتاعكم (فتيلا) اى مقدار شق النواة ولا يتوقف موتكم عند الاجل على القتال بل (أينما تكونوا) أى فى أى مكان تكونوا عند الاجل (يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج) اى حصون (مشيدة) مرفوعة مستحكمة لا يصل اليها القاتل الانسانى لكنه لا يمتنع القاتل الالهى وان أنكرتموه اذ لا تنسبون اليه الشر وانما تنسبون اليه الخير (و) ذلك لانهم (ان تصبهم حسنة) كخصب (يقولوا هذه من عند الله) اى من قبله (وان تصبهم سيئة) كقحط (يقولوا هذه من عندك) بشؤمك قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) ايجادا اذ الاله واحد فيجب أن يكون فاعل الخير والشر وقد عرفوا ذلك (فمال هؤلاء القوم) الذين يزعمون انهم

يوسف) اى لا تزال تذكر يوسف وجواب القسم لا محذوفة اى تالله لا تفتأ (قوله تحسسوا) اى تجسسوا بمعنى واحد اى تعرفوا وتخبروا (قوله تثريب) اى تعيير وتوبيخ (قوله تغيض الارحام) اى تنقص عن مقدار الحمل الذى يسلم معه الولد يقال غاض الماء اذا نقص وغيض اذا نقص منه (قوله تهوى اليهم) اى تقصدهم

يؤمنون

يؤمنون بوحدة الصانع (لا يكادون يفقهون حديثا) يفقهونه فلا يعارضون ما فيه من نقص
الاثر بوحدة الصانع ولو زعموا التناظر الى الاسباب فقل (ما أصابك من حسنة فمن الله)
ابتداء اذ الطاعات لا تكافئ نعمة الوجود فكيف تقتضي الزيادة (وما أصابك من سيئة فمن)
شؤم معاصي (نفسك) لا من شؤم معاصي الغير اذ هو خلاف مقتضى العدل الالهي ولو أثر
شؤم أحد في غيره فأين يتصور أثر الشؤم (و) قد (أرسلناك) نافعا (للناس) اذ جعلناك
(رسولا) داعيا في العموم الى الخيرات فأنت منشأ كل خير ورحمة (و) ان انكروا رسالتك
وزعموا ان السيئة من شؤم افترائك على الله (كفى بالله شهيدا) بصدقك اذ صدقك باظهار
المعجزات على يديك واذا ثبت رسالتك فاليمن في طاعتك والشؤم في مخالفتك لان (من يطع
الرسول فقد أطاع الله) والطاعة لله والرسول يمن (ومن تولى) كان له من الشؤمية ما لا يقدر
على دفعها فأنت وان أرسلناك لعموم الرحمة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) عن المعاصي المستلزمة
للشؤم (ويقولون) اى المنافقون لدفع شؤمهم من هذا الوجه الحاصل منا (طاعة) وهم انما
يقولونه اذا كانوا عندك (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك بيت) اى قدرت على اخفاء
منك (طائفة منهم غير الذي تقول) لا يقتصر على مخالفة القول بالقول أو باضمار الخلاف
بل (والله يكتب) اى يثبت (ما يبيتون) ليؤثر شؤمها فيهم واذا نسب الله اليهم الشؤم
ونسبوه اليك (فأعرض عنهم) فلا تبال لنسبتهم (وتوكل) في دفعها (على الله) لئلا تؤثر نسبتها
في قلوب الخلائق (وكفى بالله وكيلا) في دفعها وان بالغوا في اشاعتها (أ) ينكرون نبوتك
وينسبون اليك الافتراء على الله المستلزم للشؤم (أفلا يتدبرون القرآن) ليعرفوا اعجازه
الذي لا دخل للبشر فيه من موافقته للعلوم واشتماله على فوائدها وكمال حججه وبلاغته
العلماء وموافقة أحكامه للحكمة واخباره الماضية لكتب الاولين والمستقبلة للواقع
(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من مخالفة العلوم الكثيرة ومخالفة
فوائده لها والتناقض فيها وبلوغ بعض حججه حد التمام دون البعض وموافقة بعض
أحكامه للحكمة دون البعض وبعض أخباره الماضية لكتب الاولين دون البعض وبعض
أخباره المستقبلة للواقع دون البعض (و) لو وجدوا فيه اختلافا لأثروه لما علم من عادتهم
انهم (اذا جاءهم) من سرايا الرسول (أمر من الامن أو الخوف) تحدثوا به حتى (أذاعوا به)
اى أفشوه وكان مفسدة لهم (ولو ردوه الى) رأى (الرسول والى) كبار الصحابة (أولي الامر
منهم لعلمه) اى التدبير فيه (الذين يستنبطونه) اى يستخرجونه استخراج النبط وهو الماء
من البئر لو وجدوا في القرآن ما يوهم الاختلاف لوجب عليهم استفسار الرسول والعلماء
الذين هم أولو الامر ليعلمه (منهم) المجتهدون في استنباط وجوه التوفيق (ولولا فضل الله عليكم
ورحمته) بارسال الرسول وخلق أولي الامر المستنبطين للتدابير ووجوه التوفيق (لاتبعتم
الشيطان) من عجزكم مع الكفرة المحتالين وحيرتكم في مواضع توهم الاختلاف (الا قليلا)
فيضلون اذية الكفار ويفوضون في مواضع التوهم الامر الى الله ولم يأخذوا بالاوهام

وتهوى اليهم تحبهم
وتهواهم (قوله تسرحون)
اى ترسلون الابل غدوة
الى الرعي وتريحون تردونها
عشيا الى مراحها (قوله
عز وجل تميد) تحرك
وتميل (قوله تبارك اسمه
والقى في الارض رواسي
ان تميد بكم) اى لئلا تميد
بكم (قوله تخوف)
اى تنقص (قوله عز وجل

الفاسدة واذا عجزوا عن معارضة القرآن بما يلزمهم من كثرة الاختلاف ولم يظهر عجزهم عن
القتال مع ان في تركه متابعة الاكثرين الشيطان (فقاتل في سبيل الله) وان لم يساعدك احد
اذ (لا تكلف الا نفسك و) لكن (حرض المؤمنين) اى رغبهم فاحملهم على القتال (عسى الله
ان) يعجزهم كما عجزهم بالقرآن بان (يكف) اى يمنع عن التأثير (بأس) اى شدة (الذين
كفروا) مع بقاء شدتهم في انفسها (و) لو بقى لها اثر في انفسها لم يبق لها مع بأس الله اذ
(الله اشد بأسا) اى صولة (و) لا يبعد ان يشتد بأسه عليهم وهم قد استحقوا اشد العذاب وهو
(اشد تنكيلا) اى تعذيبا ثم اشار الى ان التحريض على القتال شفاعة في تكثير الاجر ورفع
الدرجات فقال (من يشفع شفاعة حسنة) كحمل المؤمنين على قتال الكفار (يكن له نصيب
منها) اى يحصل له مثل اجر المجاهد (ومن يشفع شفاعة سيئة) كحمل الكفار على قتال
المؤمنين (يكن له كفل منها) اى يحصل له مثل وزر من عمل بها (وكان الله) غالبا (على كل شيء
مقيتا) اى معطيا قوة كل واحد من العامل والحامل على العمل من الاجر او الوزر من غير ان
ينقص من اجر صاحبه او وزره شيئا ثم اشار الى انه كما يكون للشفيع نصيب من شفاعته
يكون للمحيي نصيب من تحيته لانه يتوصل بها الى المودة كالشفيع لنفسه فقال (واذا حييتم)
اى اذا دعا عليكم داع لسلامة حياتكم وصفاتكم التي بها كمال الحياة (بتحية) فقيل
السلام عليكم (فحيوا باحسن منها) بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ولو قالها المسلم
زيد وبركاته (او ردوها) فقولوا مثل ما قال اداء لحقه فانه محسوب عليكم لو لم تردوه ولو زدتم
حوسب في اجوركم (ان الله كان) ناظرا (على كل شيء حسيبا) معطيا الجزاء بحسب الحقوق
والزيادات اذ يقتضيه كمال جوده لكمال ذاته وصفاته لانه (الله) الجامع للكمالات بحيث
لا يشاركه فيها اذ (لا اله الا هو) وكماله يقتضي تكميل الاشياء بظهوره فيها ولا يتم الا بظهوره
بجمعيته ولا يظهر الا يوم القيامة لغاية سعته دون الدنيا الضيقة بها لكن القيامة مرتبة على الدنيا
والبرزخ فوالله (ليجمعنكم) في الدنيا والبرزخ (الى يوم القيامة) المقتضى ظهور جمعيته
لذلك (لا ريب فيه) هو وان لم ينته الى حد الايجاب لكن اوجبه اخبار الله عنه لانه (من
اصدق من الله حديثا) لانه عبارة كلامه الازلي الذي لا دخل للكذب فيه لانه نقص والعبر
واذ دلت الدلائل على صدقه فكذبه ممكن اذا لم يتطرق اليها ولما كان الامر الاخروي مرتبا على
الدنيا لم يحصل عن مظهر كامل كالرسول والولي ولا كمل مظاهره اكمل الرسل واكمل الامم في
الظاهرية امته فحقكم ان تكونوا اعلم ما في العالم وشهداء الله في ارض الله (فما) ذا عرض
(لكم) اذ افترقتم (في) حق (المنافقين فئتين و) كان حقكم الاجماع على قتالهم اذ (الله
اركسهم) اى ردهم الى الكفر منكوسين (بما كسبوا) من لحوقهم بالكفار وهم الذين
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلم يزالوا يرحلون
مرحلة بعد اخرى حتى لحقوا المشركين (اتريدون) بالقول بقتالهم على الاسلام (ان تهدوا
من اضل الله و) لو فرض انكم تقدرون على خلاف مراده لم يكن لكم سبيل الى هدايتهم لانه

يتفيؤا ظلاله) اى ترجع من
جانب الى جانب (قوله ولا تقف
ماليس لك به علم) اى تتبع
ما لا تعلم ولا يعنيك (قوله
تبذيرا) اى تفريق ومنه
قولهم بذرت الارض اى
فرقت البذر فيها اى
الحب والتبذير في النفقة
هو الاسراف فيها وتفريقها
في غير ما احل الله قوله عز
وجل ان المبذرين كانوا

(من

(من يضلل الله) مع كمال جوده (فلن تجد له سبيلا) الى الهداية والا لوجده الله فهداه
بمقتضى كمال جوده وكيف يكون لهم اليها سبيل وقد أرادوا دوام الضلالة لانهم (ودوا
لو تكفرون) اى احبوا كفركم (كما كفروا) اى مثل كفرهم بعد الايمان (فتكونون
سواء) لا تعارضون ولا تقاتلون واذا كانوا يودون كفركم (فلا تتخذوا منهم أولياء) لئلا
يفضى الى كفركم وان أظهروا لكم الايمان طلبا لموالاتكم (حتى يهاجروا) من دار الكفر
(فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان لقتال المسلمين (فان تولوا) عن الهجرة فانهم وان أظهروا
لكم الاسلام مع قدرتهم على الهجرة فافعلوا بهم ما تفعلون بالكفار لانه زال عنهم حكم النفاق
باللحوق بدار الكفر (فخذوهم) اى أسروهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) فى دار الكفر
أو خارجين عنها الا الهجرة الى دار الاسلام (ولا تتخذوا منهم وليا) وان أظهروا لكم الاتحاد
(ولا نصيرا) وان زعموا انهم يدفعون عنكم الكفار ثم استثنى عن اسر المرتدين وقتلهم
بقوله (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد بهدنة أو امان لئلا يفضى الى
قتال من وصلوا اليهم فيفضى الى نقض الميثاق كخزاعة وادع عليه السلام هلال بن عويمر
الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله
(أو) يصلون الى قوم لا عهد لهم ولكن (جاؤكم) تاركين للقتال مع قوتهم عليه لانه (حصرت)
اى ضاقت (صدورهم) لرؤيتهم عجزهم عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) من أجلكم
وهم بنو مدلج فمنع من قتال من وصل اليهم لانه يفضى الى قتالهم المظهر لقوتهم المخفية
(و) ذلك لكونهم أقوياء فى أنفسهم بحيث (لو شاء الله لسلطهم عليكم) ولو قاتلتموهم (فلقاتلوكم
فان اعتزلوكم) بعد لحوق المرتدين بهم وتقويتهم لهم (فلم يقاتلوكم) وان ظهرت لهم بعض القوة
(و) لم يعتزلوا مقاتلا بل (ألقوا اليكم السلم) الانقياد الذى كانوا عليه قبل ظهور القوة لهم
(فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فى الاسر والقتل اذ لا ضرر منهم فى الاسلام لا فى الحال ولا
فى الاستقبال وقتالهم يظهر كمال قوتهم بخلاف المتوقع منهم الضرر فى الاستقبال المشار اليهم
بقوله (ستجدون) أقواما (آخرين) هم أسد وغطفان وبنو عبد الدار (يريدون) باظهار الاسلام
لكم (أن يأمنوكم) على أنفسهم (و) باظهار الكفران (يأمنوا قومهم) وليس اظهارهم الكفر
لمحض التقية بل انما يظهرون الاسلام لذلك لانهم (كلما ردوا الى الفتنة) اى الارتداد
(أركسوا فيها) اى ردوا منتكسين كان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت فيقول
آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء (فان لم يعتزلوكم) اى لم يتركوا الطعن فيكم
فهم (و) ان (يلقوا اليكم السلم) اى الانقياد زعموا انا على دينكم (ويكفوا أيديهم)
عنكم فلم يقاتلوكم (فخذوهم) اى أسروهم (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى وجدتموهم
فى داركم أو دارهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اى حجة واضحة من جهة
طعنهم فلا يعبأ بدعواهم الاسلام ولا بالقاء الصلح ولا بكف الايدى لان الطعن ضرر بالغ

اخوان الشياطين الاخوة اذا كانت فى غير الولادة كانت المشاكلة والاجتماع فى الفعل كقولك هذا الثوب اخو هذا اى يشبهه ومنه قوله عز وجل وما نريهم من آية الا هى أكبر من اختها اى من التى تشبهها وتؤاخيها (قوله تعالى تخرق الارض) اى تقطعها اى تبلغ آخرها (قوله تجد) اى امر وهو حدتم (قوله تبيعا) اى .

واضيادهم لهم من العجز فيتوقع منهم الضرر في المستقبل اذا تقووا ثم أشار الى ان المؤمن لايجوز قتله الا بظنه و راطفة عليه من الطاعن أو العموق به او الحرب مع القدرة على الهجرة فقال (و) لولا ذلك (ما كان) يصح (لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا) قتلا (خطأ) وهو ما لا يضاف القصد الى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به شخص ذكرى مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه أو بفعل غير المكلف (ومن قتل مؤمنا خطأ) باحد هذه الوجوه فهو وان عفى عنه اكمه لايخلو عن تقصير في حق الله ولا يهدر دم المؤمن بالكلية (فتحرير رقبة مؤمنة) اى فالواجب عليه لحق الله اعتاق نفس محكوم عليها بالاسلام ولو صغيرة ليعتق الله عنه بكل جزء منها جزءا منه من النار (و) لحق ورثته (دية مسلمة) اى مؤداة (الى أهله) اى ورثته يقتسمونها اقتسام الميراث تجب على كل عاقلة القاتل وهم عصبة غير الاصول والفروع لانه لما عفى عن القاتل فلا وجه للاخذ منه وأصوله وفروعه اجزاؤه فالاخذ منهم أخذ منه ولا وجه لاهدار دم المؤمن فيؤخذ من عاقلته الذين يرثونه باقوى الجهات وهى العصبة لان الغرم بالغنم فان لم يكن له عاقلة أو كانوا فقراء فعلى بيت المال فان لم يكن ففي مال القاتل (الا أن يصدقوا) اى أن يعفو الورثة هذا اذا كانت الورثة مسلمين (فان كان) المقتول خطأ (من قوم عدو لكم) اى محاربين (وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) لحق الله وهو وان لم يكن مهدر الدم ديته ساقطة اذ لاحق للحربي (وان كان) المؤمن المقتول خطأ (من قوم) من الكفار (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد من هدنة أو أمان (فدية مسلمة الى أهله) اذ هم كالمسلمين في الخوف بل يقدم حقهم على حق الله لانه أخر قوله (وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد) رقبة ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين) بحيث لو صام تسعة وخمسين وتمم بافطار يوم استأنف الجميع لان الخطأ أفادنا من كدورة النفس وهذا القدر يزيلها او يفيد التزكية فكانت (توبة من الله) ماحية لاثر خطئه بالكلية (وكان الله عليما) بمقدار كدورة هذا الخطأ العظيم (حكيما) في دواء ازالتها واذا كان لخطا هذه الكدورة مع العفو عنه فاين كدورة العمد (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) بفعل يقتل غالبا بقصده والشخص (فجزاؤه) ليس ما ذكر ولا شئ آخر من شدائد الدنيا (جهنم) لا مدة يسيرة بل طويلة بحيث يقال مجازا انه كان (خالدا فيها) كيف (و) قد (غضب الله عليه) اذ قتل وليه عمدا (و) أثر غضبه اللعنة لذلك (لعنه) أى أبعده عن الرحمة فلا يكاد يصل اليها الا بعد مدة طويلة جدا (و) لم يقتصر في حقه على جميع ذلك بل (أعد له) وراء ذلك (عذابا عظيما) فوق عذاب سائر الكبائر سوى الشرك ولاحتراز عن قتل المسلم عمدا لايقتل كل من توهم فيه الكفر كما قال (يا أيها الذين آمنوا) ليس مقتضى ايمانكم من قتل توهمتم كفره بمجرد كونه في دار الكفر من غير لحوقهم بعد الايمان ولا طعن في الدين فقال (اذا ضربتم) أى ذهبتم (في سبيل الله) الى أرض العدو للغزو (فتبينوا) حال من تقاتلونه فمن تحققتم كفره فقاتلوه ومن توهمتم ايمانه فاتركوه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام)

تا بعا مطالبا (قوله عز وجل ثما بل ولا تنقول تزاور) لانه أميل عن الكسب زورا (قوله عز وجل تقرضهم) تعدلهم وتجاوزهم (قوله تعالى تذروه الرياح) تنفيه وتفرقه (قوله تعفت) نفذت (قوله عز وجل تنفد) تفنى (قوله تؤزهم أزا) اى تزعجهم ازعاجا (قوله عز وجل تجهروا بالقول) اى ترفع

أى الانقياد دعوتكم فقال لا اله الا الله أو سلم عليكم فحياكم بتحية الاسلام (لست مؤمنا) فى الباطن وانما قلته باللسان لطلب الامان (تبتغون) أى تطلبون بقتاله (عرض الحيوة الدنيا) أى ماله الذى هو سريع النفاد مع انه لا اضطرار لكم اليه (فعند الله) لكم (مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل أمثاله مع عدم اطلاعكم على البواطن ولو جوز قتله لكنتم جائزى القتل أول مادخلتم فى الاسلام اذ (كذلك كنتم) لا يعلم مواطأة قلوبكم لالسنتكم (من قبل) أى قبل ظهور علامات اخلاصكم (فمن الله عليكم) بحقن دماءكم وأموالكم فانه لوا بالداخلين فى الاسلام مثل مافعل الله بكم (فتبينوا) حاله بالتوقف الى ظهور علامة الكفر عليه بالرجوع اليهم أو الطعن فى دينكم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) هل تعملونه للاسلام أو لاجل المال روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه بعاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فنزلت وفيه دليل على أن المجتهد يخطئ وان خطأه معفو وعنه ثم أشار الى أن وجوب الاحتياط لا يفضى الى ترجيح ترك الجهاد فقال (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولى الضرر) لعمى والعرج والفقر فانهم اذا قصدوا الجهاد على تقدير السلامة ساووا المجاهدين بالنية ولا يعتد بزيادة أجر العمل لهم لعظم أمر النية (والمجاهدون فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان ولا رياء ولا طمعا فى الغنائم (بأموالهم) التى ينفقونها على أنفسهم فى الجهاد أو على مجاهد آخر (وأنفسهم) وان أنفق عليهم غيرهم اذا لم يكن عندهم مال وليس نفى التسوية لتفضيل القاعدين لاحتياطهم بل لانه (فضل الله المجاهدين) لانهم رجحوا جانبه (بأموالهم وأنفسهم) التى هى أعز عليهم من كل شئ (على القاعدين) غير أولى الضرر (درجة) فى القرب عمن رجحوا جانبه (و) لكن (كلا وعد الله الحسنى) أى الجنة (و) لكن لم يسوا بينهما بالتسوية اذ (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) زائدا أجر الايمان وسائر الاعمال حال كونه (درجات منه) من منازل الجنة أشير اليها بقوله عز وجل ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله كتب لهم (ومغفرة) لذنوبهم كالهاء بحقوق المسلمين (ورحمة) فوق الاجر ودرجاته بل درجة القرب المختصة بالجهاد كيف (وكان الله غفورا رحيما) لمن لم يجاهد فى سبيله بماله ونفسه فكيف لا يغفر للمجاهد بهما ولا يرحمه ولما أوهم ما فهم مما تقدم من تساوى القاعدين أولى الضرر والمجاهدين أن من قعد عن الجهاد لكونه فى دار الكفر محرما وبه منهم وان عجز عن اظهار دينه فان لم يحسب فلا أقل من أن يحسب من القاعدين غير أولى الضرر الموعود لهم الحسنى أزيل ذلك الوهم بأنهم بترك الهجرة من مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع امكان الخروج عنه صاروا ظالمين مستحقين لتوبيخ الملائكة بل لعذاب جهنم فقال (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع القدرة عليها (قالوا

صوتك (تردى) تهلك (قوله عز وجل تبا) خسارا (قوله تعالى تظمأ) أى تعطش (قوله عز وجل تضحى) أى تبرز للشمس وتصدا لحر (قوله تعالى تجسسوا) أى تبحثوا (قوله تعالى تقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الاعتقاد والمذاهب (قوله تبارك اسمه تذهل) أى تسلو وتنسى (قوله عز وجل تندث) أى تنظف

فيم كنتم) أى فى أى شئ من أمر دينكم كنتم (قالوا كنا) عاجزين عن اظهار الدين اذ كنا (مستضعفين فى الارض) أى أرض الاعداء (قالوا) لم يلجئكم الاعداء الى مساكنة ديارهم (ألم تكن أرض الله) التى يمكن فيها اظهار دينه (واسعة فتهاجروا) من مكان الاستضعاف المسكون (فيها) فاذا اختاروا مكان الاستضعاف (فأولئك مأواهم جهنم) لانهم الذين ضعفوا أنفسهم (وساءت مصيرا) بدل المصير الى دار الهجرة فهى واجبة على كل من لا يمكنه اظهار الدين بمكان الى مكان يمكنه فيه (الا المستضعفين من الرجال) لعمى أو عرج أو مرض أو فقر (والنساء والولدان) فانهم معذورون فى تركها لانهم (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريق دار الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) فيه اشعار بان ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر حقه أن يترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وان الصبى اذا قدر فلا رخص له عنه وان قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم ثم أكد الاطماع لئلا ييأسوا فقال (وكان الله عفوا غفورا) ثم أشار الى أنه ليس فى حكم الاستضعاف خوف الادراك فى الطريق أو الوصول الى مكان العدو أو ضيق الرزق فى المهاجر اليه أو بطلان الاجر بالموت فى الطريق فقال (ومن يهاجر فى سبيل الله) فيه اشارة الى أن المهاجر فى سبيل الشيطان ليس موعودا بهذه الاشياء (يجد فى الارض مراغما) أى طريقا يراغم فيه أنوف أعدائه القاصدين ادراكه لانه ليس واحدا بل (كثيرا وسعة) من الرزق (ومن يخرج من بيته) بخلاف من نوى الهجرة ولم يخرج (مهاجرا) أى مقدرا الهجرة (الى الله) أى الى مكان أمر الله به (و) أو لاه مكان (رسوله ثم يدركه الموت) فى الطريق فلا يخاف فوات أجره وغفران ذنبه (فقد وقع) أى ثبت (أجره) الكامل لانه نوى مع الشروع فى العمل ولا تقصير منه فى عدم اتمامه فكأنه وجب (على الله و) غفر ذنبه ورحم غفران الواصل الى دار الهجرة ورحمته اذ (كان الله غفورا رحيما) قيل لما سمع حبيب بن ضمرة الآية السابقة وهو شيخ كبير مريض قال ما أنا ممن استثنى الله لانى أجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرجوا به يحملونه على السرير حتى أتوا به الى التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك به رسولك ثم مات فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وقال المشركون ما أدرك ما طلب فأنزل الله هذه الآية ثم أشار الى أن من السعة فى حق المهاجرين بل فى حق كل مسافر قصر الصلاة فقال (واذا ضربتم) أى سرتم مد السير (فى الارض) وهو الذهاب مرحلتين (فليس عليكم جناح) أى اثم فى (أن تقصروا) أى تنقصوا شيأ (من) ركعات (الصلوة) ركعتين من الرباعية (ان خفتم) من اتمامها (أن يفتنكم) أى يقاتلكم (الذين كفروا) لانهم وان راعوا حرمة حرم مكة والاشهر الحرم لا يراعون حرمة الصلاة لعداوتكم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فاصل القصر كان مشروطا

من الوسخ وباقى التفسير، أنه أخذ من الشارب والاظفار ونتف الابطين وحلق العانة (قوله تعالى تنبت بالدهن) تأويلها كأنها تنبت ومعها الدهن لانها تغذى بالدهن وقرئت تنبت بالدهن أى ما تنبته كأنه والله أعلم يخرج ثمرها ومعه الدهن وقال قوم الباء زائدة انما يعنى تنبت الدهن أى ما تعصرون

بهذا الخوف ثم أسقط هذا الشرط واعتبر مشقة السفر لما روى مسلم عن يعلى بن أمية قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته أي رخصته ثم ذكر ما تم تخفيفات الصلاة للخوف العدو فقال (واذا كنت) أيها الكامل الذي يتوهم فيه انه لا يأخذ بالتخفيفات (فيهم) أي في جمع العدو (فأقمت لهم) أي لاصحابك الذين يحتاجون الى التخفيفات (الصلوة) بالجماعة التي لو فرادى بحصل مثالها ولا يخاف من النقائص معها (فلتقم) في الركعة الاولى (طائفة منهم معك) وتكون الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) التي لا تشغلهم من الصلاة ولا تؤذى الجار لانه أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا) سجدتي الركعة الاولى فارقوك وأتموا صلاتهم وتقوم الى الثانية منتظرا فاذا فرغوا (فليكونوا) يحرسونكم (من ورائكم) اذا صرت الاولى (ولتأت طائفة أخرى) وهم الذين (لم يصلوا) الركعة الاولى معك (فليصلوا) ركعتهم الاولى (معك) وأنت في الثانية فاذا جلست منتظرا قاموا الى ثانيتهم وأتموها ثم جلسوا ليسلموا معك (وليأخذوا) مع أنهم في الثانية (حذرهم) أي تيقظهم لان العدو يتوهمون في الاولى كون المسلمين قائمين في الحرب فاذا قاموا الى الثانية ظهر لهم انهم في الصلاة وجعله كالآلة فأمر بأخذه وعطف عليه (وأسلحتهم ود) أي تمنى (الذين كفروا لو) ينالون منكم غرة اذ (تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أي حوائجكم التي بها بلاغكم (فيميلون) أي يشدون (عليكم ميلة واحدة) فيقتلونكم روى ان المشركين لما رأوا المسلمين يصلون الظهر ندموا أن لا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم أي العصر فاذا قاموا اليها شدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام بالآية (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر) يثقل معه حمل السلاح (أو كنتم مرضى) يثقل عليكم حمله (أن تضعوا أسلحتكم و) لكن (خذوا حذركم) لئلا يهجم عليكم العدو وان كان المتوكل على الله لا يبالي بهم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) فلا يهدد انهم بنصر أعدائهم عليهم من غير حمل سلاح (فاذا قضيتم) أي أتممتم (الصلوة) اي صلاة الخوف (فاذكروا الله) بجبر النقائص استحبابا او الاولى على هيئة الصلاة (قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم) أي سكنت قلوبكم بالامن ولو في أثناء هذه الصلاة (فأقيموا الصلوة) كاملة وانما اغتفر فيها النقص مع الخوف رعاية لاوقاتها (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي واجبة في أوقاتها لا يجوز اخراجها عنها وان لزمها نقائص فى رعايتها (ولا تهنوا) أي ولا تضعفوا من شغلكم بالصلاة (في ابتغاء القوم) أي طلب القوم الكفار بالقتال مخافة كثرة الافعال اذ رخص لكم فيها فلا عذر من جهتها فلوا عتذرتم فانما هو من جهة تألمكم لكن (ان تكونوا تألمون) فلا ينبغي أن يوهنكم كما لم يوهنهم (فانهم يألمون) لا دون تألمكم بل (كما تألمون) على أنه لا تخفف لالمهم (و) ألمكم مخفف اذ (ترجون

فيكون دهنا (قوله وما تترى) وتقرأ على وزن لا من المواترة وهي المتابعة من لم يصرفها جعل ألفها للتأنيث ومن صرفها جعلها ملحقة بفعلل وأصل تترى وترى فابدلت التاء من الواو كما أبدلت في تراث وتجاه ويجوز في قول الفراء أن تقول في الرفع تترو في الخفض تترى وفي النصب تترا الالف بدل من التنوين (قوله

من الله) من القرب منه واستحقاق الدرجات من جنانه والظهار دينه (ما لا يرجون وكان الله عليما) بأنكم لا تضعفون معهم ان صبرتم (حكيما) في أمركم بترك الوهن معهم ثم أمر بترك الوهن في الانتصاف من الظالم للمظلوم فقال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) بطريق التسوية بينهم ولم نكاملك الاطلاع على الواقع بل (بما أراك الله) ولم تفعل ونه كس (ولا تكن للخائنين) أي للذب عنهم (خصيما) مع البراء (و) ان هممت به (استغفر الله) لان هم ك بالمعصية معصية (ان الله كان غفورا رحيما) روى ان طعمة بن أبيرق سرق درع جاره قتادة بن النعمان وكانت في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع من طعمة فحلف بالله ما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوها منه فقال دفعها الى طعمة فجاء قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عنه وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي فأنزل الله هذه الآية ثم قال (ولا تجادل) اعتمادا على غفران الله ورحمته (عن الذين يختانون) اي يتعمدون الخيانة فظاهرون (أنفسهم) للستر عليهم لان الله لا يريد سترهم (ان الله لا يحب من كان خوانا) أي مبالغا في الخيانة بالتعمد (أثيما) بالحلف الكاذب ورمى البرىء (يستخفون) أي يستترون بهما (من الناس) الذين لا نسبة لهم الى عظمة الله (ولا يستخفون من الله) فلا يستحيون منه مع جلالة قدره (و) لا يمكنهم الاستتار منه اذ (هو معهم) بعلمه (اذ يبيتون) أي يزورون (ما لا يرضى من القول) الحلف الكاذب ورمى البرىء وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) فيمكنه أن يفضحكم بظواهركم وبواطنكم بين الخلائق الذين كنتم تستخفون من أقل القليل منهم (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم يا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة بان ستركم عليهم لا يمنع من فضيحة الله اياهم لانها تكون بما كسبتم (جادلتم عنهم) للستر عليهم فانما يكون ساترا (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم) ليدفع فضيحته بمقتضى علمه المحيط الذي يظهره به (يوم القيامة) بين الاولين والآخرين أيكون هنالك من يستر عليهم (أم من يكون عليهم وكيلا) يدفع عنهم ثم أشار الى ان المعاصي لا تستر بالمجادلة بل بالاستغفار فقال (ومن يعمل سوأ) أي معصية يسوء بها غيره (أو يظلم نفسه) يفضحها (ثم يستغفر الله) أي يطلب سترهما من الله (يجد الله غفورا) أي بالغا في الستر (رحيما) بالمحو ثم أشار الى أن المجادلة لو سترت فلا تستر ذا رمى بها بريئا عنها فقال (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فيجوز ان يستره الله عليه ولو بالمجادلة (وكان الله عليما حكيما) وأما (من يكسب خطيئة) أي سهوا (أو اثما) عمدا (ثم يرم به بريئا) فلا يليق بعدل الله سبحانه وتعالى ستره (فقد احتمل بهتانا) على صاحبه (واثما) صارت خطيئته به عمدا فلا بد في مقتضى العدل الالهي ان يكون (مبينا) له ولو في القيامة (ولولا فضل الله عليك) بالهداية الكاملة (ورحمته) بالعصمة التامة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أي انك قصدت قصدا كاملا طائفة عظيمة ممن يدعي محبتك أن يضلوك برمي البرىء والمجادلة عن

تعالى تجأرون) أي ترفعون أصواتكم بالدعاء (قوله تعالى تنكصون) أي ترجعون القهقرى بمعنى الى خلف وقوله تهجرون من الهجر وهو الهذيان وتهجرون أيضا من الهجرة وهو الترك والاعراض وتهجرون بتشديد الجيم تعرضون اعراضا بعد اعراض وتهجرون من الاهجار وهو الافحاش في المنطق (تلقونه) أي

الخائنين (وما يضلون) بهذا الهم (الا أنفسهم) باعتقادهم انهم يتمكنون من اضلالك مع ما عندك
من الفضل والرحمة وكيف يضلونك بمثل هذه الكبائر (وما يضرونك من) تحصيل (شئ) لك
من الصغائر كيف (و) قد (أنزل الله عليك) لارشاد الخلق الى يوم القيامة (الكتاب
والحكمة) أى العلم الظاهر والاسرار الباطنة (وعلمك) من الغيبيات (ما لم تكن تعلم)
بالاكتساب ولا بالمجاهدة (و) ذلك لانه (كان فضل الله عليك عظيما) اذ جعل رسالتك ونبوتك
وولايتك فوق ما لغيرك فكيف يتمكنون من اغوائك بمثل هذه الامور الشنيعة ثم أشار الى
أن منشأ اجتماعهم على هم اضلالك انما كان بنجواهم فقال (لا خير فى كثير من نجواهم) بل
فى شئ منها (الا) فى نجوى (من أمر) بخفية عن الحاضرين (بصدقة) ليعطيها سرا يستر به عار
المتصدق عليه (أو معروف) لئلا يأنف المأمور عن قبوله لو جهر به (أو اصلاح بين الناس)
بالوطء أولا وعمالم يتم قيل فى الحصر النافع اما نفع جسمانى وهو فى الامر بالصدقة أو روحانى
وهو فى الامر بالمعروف واما دفع وهو فى الاصلاح ويمكن أن يقال الخير اما نفع متعد من
المأمور وهو الصدقة أو لازم له وهو المعروف أو دفع ضرر متعد أو لازم له وهو الاصلاح
(و) انما يتم خيريتها لو ابتغى بها رضا الله تعالى فان (من يفعل ذلك ابتغاء) أى طلب (مرضات
الله) أى وجوه رضوانه (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يساوى أجر الفاعل أو يفوقه وكيف
لا يعظم وهو يقابل عذاب مشاقة الله التى أوعد على مادونها بغاية الشدة وهى مشاقة
الرسول بل مخالفة المؤمنين فقال (ومن يشاقق الرسول) أى يصير فى شق ويجعله فى آخر (من
بعد ما تبين له الهدى) فى شق الرسول دون ما اختاره (و) كذا من (يتبع غير سبيل المؤمنين)
الذين أجمعوا عليه (نوله) أى نجعله واليا مرجعا (ما تولى) من المشاقة ومتابعة غير سبيلهم
فنزينه عليه تزيين الكفر على الكفرة ليكون دليلا على شدة العقوبة فى الآخرة (ونصله جهنم)
تطبيقا للدليل مع المدلول (وساءت مصيرا) وان توهم المزين له انه يحسن مصيره وفى الآية
دليل على حرمة مخالفة الاجماع لانه عز وجل رتب الوعيد الشديد على مشاقة الرسول
ومخالفة الاجماع فهو اما الحرمة أحدهما وهو باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر وأكل
الخبز استوجب الحد اذ لا دخل لاكل الخبز فيه أو لحرمة الجمع بينهما وهو أيضا باطل لان مشاقة
الرسول حرام وان لم ينضم اليها غيرها أو لحرمة كل واحد منهما وهو المطلوب ثم أشار الى أن
وعيد مشاقة الرسول جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو
مستلزم للشرك بالله اذ خالق المعجزات لا يكون الا الكامل القدرة ولا يكون الا الاله فاذا نفاها
عن الله فقد أثبت له شريكا (ان الله لا يغفر أن يشرك به و) مخالفة الاجماع يجوز أن تكون
مغفورة لانه (يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) اذ لا تنتهى الى الشرك وكيف يغفر أن يشرك به
(و) هو أعظم وجوه الضلال فان (من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) فترك جزائه يستلزم
التسوية بينه وبين الهداية الكاملة وكيف لا يكون ضلالا بعيدا مع انهم (ان يدعون) أى
ما يعبدون (من دونه الا اناثا) اما لفظا كصور الاسماء الالهية أو الملائكة أو الجنة أو

يقبلونه وقرئت تلقونه من الولق وهو استمرار اللسان بالكذب (قوله عز وجل تبارك) تفاعل من البركة وهى الزيادة والنماء والكثرة والاتساع أى البركة تكتسب وتنال بذكرك ويقال تبارك تقدس والقدس الطهارة ويقال تبارك تعالى الذى يبيده الملك (قوله تعالى تغيظا وزفيرا) التغيظ الصوت الذى

مشايخهم وهى مؤنثة اقتضاؤا مانعـنى لان معبوداتهم منفعلة عن الله تعالى لحدوثها ثم ان الملائكة وأرواح مشايخهم لاتتعلق بتلك الصور ولايظهر بها الاسماء الالهيـة ظهورا كاملا (و) انما تتعلق بها الشياطين وتظهر فيهم (ان يدعون الاشيطانا) يتكلم بالسنتهم ويتراءى لهم ولايتقرب بعبادته الى الله لكونه (مريدا) أى خارجا عن طاعته بحيث (لعنه الله) أى أبعده عن رحمته فاراد ابعادمن أبعد بسببه (وقال) حين أبعد (لاتخذن من عبادك) الذين أبعدتنى بسببهم (نصيبا مفروضا) أى مقدرا من عباداتهم بأن يعبدوا غيرك أو يراؤا فيها أو يعجبوا بها أو يتلفوها فى المظالم أو يحبطوها بالكفر بعدها (ولاضلنهم) بايهام ان فى عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره فما يعبد فيها غيره (ولامنينهم) بقبول الاجر منك على عبادة الاصنام أو بانكار البعث والجزاء أو بانه يحصل لهم أحسن وجوه الجزاء أو بطول بقائهم فى الدنيا المؤثر ودها على الآخرة وبالحث على المعاصى وتسويف التوبة عليه (ولامرنهم) على خلاف أمرك اضلالا لهم بانه أمرك وايقاعا لهم فى أمنية الثواب عليه (فليبتكن) أى فليشقن (آذان الانعام) أى البحائر والسوائب ليحرموها بعدما أحلت لهم (ولامرنهم) بتغيير مقتضى العقل الذى فطر الله عليه الخلق وبتغيير ظواهر الخلقة بالوشم والوصل والخصى وتشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (فليغيرن خلق الله) باحد هذه الوجوه التى فيها امرالى (ومن يتخذ الشيطان وليا) يأتى بما يدعو اليه (من دون الله) أى مجاوزا ولايته بترك ما يدعوا اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) اذلم يجد ماوعده ولاما وعده الشيطان لانتفاية أمر الشيطان انه (يعدهم) وعد البس بيده (و) لكنه (يمنيهم) ان ما يسألونه من الله وانما يسألونه لوصدق (و) لكن (مايعدهم الشيطان الاغرورا) ايهام نفع ما ليس فيه سوى الضرراذ (أولئك) المبعداءعن وعدالله (مأواهم جهنم) بوعيده (و) وعيده وان كان قد يتخلف فى حق غيرهم فهم (لايجدون عنها محيصا) أى معدلا (و) كيف لايكون خسرانهم مبينا وقد خسروا الجنة الموعودة للمؤمنين العاملين للصالحات اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات) وكفى بفواتها خسرانا لو لم تجر من تحتها الانهار لكنها (تجرى من تحتها الانهار) أيضا ولولم تابد ولكنها تابد اذيكونون (خالدين فيها أبدا) وليس كوعد الشيطان الذى هو غرور بل (وعد الله حقا) وكيف لايكون وعد الله حقا (ومن أصدق من الله قيلا) لانه دال على المعنى النفسى الذى لايتصور فيه نقيصة الكذب واذا صدق وعد الله صح انه (ليس) الامر (بامانيكم) أيها المشركون انه لاجنة ولانار فان كانتا كنا أحسن حالا (ولاأمانى أهل الكتاب) انه لن يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وان لن تمسنا النار الاأياما معدودة اذليس فى كتبهم ذلك بل الذى فيها (من يعمل سوأ يجزبه) ولو حرفوا كتاب الله وغيروا انعت رسوله وكذبوا بآياته (ولايجد له من دون الله) من الانبياء والاولياء (وليا) يرفع درجته فيرفع عنه السوء (ولانصيرا) يدفع عنه السوء (ومن يعمل من الصالحات) وان لم يستوعبها (من ذكر أوأنثى) أى كامل أوناقص (وهو مؤمن) بجميع

يمهم به المشافة والرفير صوت من الصدر (قوله عزوجل تبرنا) أى أهلكا (قوله عزوجل تبسم ضاحكا) التبسم أول الضحك وهو الذى لاصوت له (قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه) أى حلفوا بالله لتكنه ليلا (قوله تعالى تأجرنى) أى تكون أجيرالى (قوله عزوجل تذودان) أى تكفان غنمهما وأكثر ما يستعمل

الكتب والرسل (فأولئك) لعلو رتبتهم بالايمان الصحيح وبعض الاعمال الصالحة (يدخلون الجنة) المناسبة لعلوهم وان لم يكونوا هودا أو نصارى (ولا يظلمون) أى لا ينقصون (نقيرا) أى مقدار نقرة ظهر النواة فضلا عن ابطال الاجر بالكلية ولو قالوا كيف لا ينقص أجركم عن أجرنا وديننا سابق وكذا نبينا رد عليهم بانه لا فضل للسبق بل للحسن (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) فانقاد لجميع أوامره وآياته (وهو محسن) أى ناظر الى الله لا الى دين سبق اليه آباؤه (و) لو اعتبرتم سبق دينكم فدين ابراهيم أسبق والمسلم قد (اتبع ملة ابراهيم حنيفا) أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة الباطلة التى لكم (و) قد اشتهر بالفضل اذ (اتخذ الله ابراهيم خليلا) لانه تخلق صفاته بصفاته أى ناسبه امناسبة تامة بقدر الطاقة البشرية والدين المحمدى اشتمل على ملته وزيادات شريفة (و) لا بأس بنسخه لبعض الاحكام اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) فله أن يتصرف فيهما بما يشاء (و) لكنه راعى مصالح أهل كل عصر وان لم يدركوها اذ (كان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء) كيف تورثهن مع ان قريشا لم تورث الا من شهد القتال وحاز الغنيمة وقد ورثوا من ملة ابراهيم فكيف تخالفها (قل الله يفتيكم فيهن) فى صحف ابراهيم وموسى وعيسى (و) يفتيكم أيضا (ما يتلى عليكم فى الكتاب) من الله (فى يتامى النساء اللاتى) هن أحوج الى المال من الرجال وان كنتم (لا تؤتونهن) بالنظر الى حاجتهن ولا الى (ما كتب لهن و) لا تراعون فى ذلك مصالحهم اذ (ترغبون) فى (أن تنكحوهن) لتأكلوا أموالهن (و) يفتيكم أيضا فى (المستضعفين من الولدان) الذين هم أحوج الى المال لعجزهم عن الاكتساب اذ تمنعونهم حقوقهم لعدم شهودهم القتال (و) يفتيكم ان عليكم (أن تقوموا لليتامى) من النساء والولدان (بالقسط) فلا تجعلوا حظهم دون حظ الكبار (وما تفعلوا من خير) سيما فى حق الضعفاء من حفظ أموالهم والقيام بتدبيرهم (فان الله كان به عليما) يفعل بكم خيرا كما فعلتم بهم (وان خافت امرأة) مخالفتكم أمر الله بايفاء حقوقها بان (خافت من بعلها) أى زوجها (نشوزا) أى تجافيا عنها ومنعا لحقوقها (أو اعراضا) أى تطليقا (فلا جناح) أى لا اثم (عليهما) وان أعانته على مخالفة أمر الله (أن يصلحا) بما يجمع (بينهما صلحا) بحط شئ من المهر أو النفقة أو هبة شئ من مالها أو قسمها وكيف يكون عليهما جناح (والصلح خير) من الفرقة التى يلزمها تحرزا من جهة وقوعها ومن الخصومة وسوء العشرة (و) انما صار خيرا مع كرهها ومخالفته لامر الله لانه (أحضرت الانفس الشح) فلا تتكاسل المرأة تسمح بالنشوز والاعراض ولا الرجل فى امساكها مع القيام بحقوقها (و) هذا وان رخص لكم فيه لكن (ان تحسنوا) العشرة (وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان الله كان بما تعملون) من تحمل المشاق من أجله (خبيرا) فيعظم أجركم (و) انما رخص فى الصلح بعدما أمر بالقسط لما علم انكم (لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) بحيث لا يقع ميل الى احداهن يدعو الى منع حقوق الاخرى (ولو حرصتم) أى بالغتم لان الميل يقع بلا اختيار فى القلب لكنكم مختارون فى تنفيذه (فلا تميلوا

فى الغنم والابل وربما استعمل فى غيرهما ويقال سنذردكم عن الجهل علينا أى نكفكم وغنمكم (قوله تعالى نصطلون) (قوله تعالى أى يضطنون) أى تنهض تنوء بالعصبة) معناه من القلوب بها وهو يرهن ثقله لتنوء بالعصبة ما ان أى ينهضون بها يقال ناء بحمله اذا نهض به متثاقلا وقال الفراء ليس هذا من المقلوب انما معناه ما ان

عن امرأة (كل الميل) فتتركوا المستطاع من القسط (فتذروها) أى تتركوها (كالمعلقة)
بين السماء والارض لاتستقر فى احدى الجهتين لاذات بعل ولا مطلقة (وان تصلحوا)
نفوسكم عنها اما تميل اليها (و) لا اقل من أن (تتقوا) نقص شئ من حقوقها مع عدم الميل
(فان الله كان غفورا) عليكم (رحيما) باثابتكم (وان يتفرقا) أى اختارا الفرقة (يغن الله
كلا) من الزوج والزوجة بامرأة أخرى وزوج آخر (من سعته) أى سعة جوده (وكان
الله واسعا) فى الجود وانما يقبض عمن يقبض لانه كان (حكيما) كيف لا يكون واسعا و
(لله ما فى السموات وما فى الارض) فله أن يعطى ما شاء منهما لمن شاء من عبيده (و) لكن
بمقتضى الحكمة (لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فعاروا سعة رحمتنا الجرئة لهم
على المعاصى (واياكم) وان كنتم أمة مرحومة (أن اتقوا الله) فان الحكمة لاتتم
الابتقواه (و) ليس المراد أن حكمة الله لاتتم دون تقواكم فانكم (ان تكفروا فان لله ما فى
السموات وما فى الارض) يتم حكمته فيهما (وكان الله غنيا) فى اتمام حكمته عن تقواكم
(حميدا) أتممتم حكمته بتقواكم أم لا (و) انما أمركم بالتقوى مع غناه فى اتمام حكمته عنكم
لانه أراد افاضة الكمالات عليكم من كل جانب اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) يمتع من
شاء بما شاء منهما ويضر من شاء بما شاء منهما فاذا أمر عباده بامر فتفعلوه سخرهما لهم
فانتفعوا بكل شئ فيهما ولم يضرهم شئ منهما اذ يصير وكيلهم (وكفى بالله وكيلا) ولكون أمره
اياكم بعبادته مع غناه عنها وعنكم لافاضة الكمالات عليكم عن استعدادكم لها بالعبادة اذا
تركتموها (ان يشأ يذهبكم) أى لايظهر فيكم كمالاته التى خلقكم لظهورها فيكم (أيها الناس)
الذين نسوا مرتبة خلقهم (ويأت بآخرين) لانه وان كان غنيا عن اظهار كمالاته فانه لعناية كماله
شأنه التكميل (و) لامانع له من هذه المشيئة اذ (كان الله على ذلك قديرا) ولا يمنعكم
عن عبادته اشتغالكم بطلب الدنيا لشدة حاجتكم اليها فان (من كان يريد ثواب الدنيا) فانه
يحصل له من عبادة الله كثواب الآخرة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة و) غاية طلب العابد
الدعاء والاولى الاكتفاء بعلمه اذ (كان الله سميعا) لدعاء من يطيعه (بصيرا) بحال من يكتفى بعلمه
ثم أشار الى أنهما انما يحصلان للمستقيم على أمر الله اذ يقيم لجميع حقوقه فقال (يا أيها
الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم المبالغة فى القيام بالقسط (كونوا قوامين بالقسط) أى
العدل والاستقامة اذ به انتظام أمر الدارين الموجب لثوابهما ومن أشد القيام بالشهادة
على وجهها كونوا (شهداء) مقيمين للشهادة مؤدين لها (لله ولو) كانت (على أنفسكم)
فاقروا بالحق عليها (أو الوالدين) أى الاصول (والاقربين) أى الاولاد والاخوة وغيرهم
(ان يكن) من تشهدون عليه (غنيا) تخافون منعه ما كان يعطيكم أو اضراره بكم (أو فقيرا)
ترحمون عليه بترك الشهادة عليه أو تخافون من الشهادة عليه أن يلجئكم الى ان تعطوه
ما يكفيه (فالله أولى بهما) من المشهود عليه فاذا التجأ اليه يجعل الشهادة صلاحا لهما وكذا

مفاتحه لتنوء العصبة أى تثقلهم بثقلها فلما انفتحت التاء دخلت الباء كما قالوا هو يذهب بالبؤس ويذهب البؤس واختصار تنوء بالعصبة أى تجعل العصبة تنوء أى تنهض متثاقلة كقولك قم بنا أى اجعلنا نقوم (قوله تعالى لا تفرح) ان الله لا يحب الفرحين أى الاشرين وأما الفرح بمعنى السرور فليس بمكروه (وقوله تعالى

اذا نظرتم اليه بما فيها صلاح لكم (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (أن تعدلوا) عن أمر الله الذى هو مصلح أموركم وأمور المشهود عليهم لو نظرتم ونظروا اليه (وان تلووا) أى تحرفوا ألسنتكم عن الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) عنها بكتمها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا يبعد أن يوقع بكم المكروه ويبطل عليكم المطلوب مع ما يجازيكم عليه فى الآخرة ثم أشار الى أن اقامة العدل والشهادة لله تكميل للايمان بالله والرسول والكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترجيح جانب من آمنتم به والتعظيم لرسوله والعمل بمقتضى كتابه (آمنوا بالله) أى كملوا ايمانكم به باقامة العدل الذى فيه ترجيح جانبه (ورسوله) الذى بعثه باقامة العدل (والكتاب الذى نزل) لتقرير قواعد العدل واحدة بعد أخرى (على رسوله) لتأسيسها على أكمل الوجوه وأحسنها (والكتاب الذى أنزل من قبل) لتقرير قواعد عدل زمانه فكمالها بكون برعاية مصالح كل زمان ثم أشار الى أن ترك العدل والشهادة لله يشبه الكفر بجميع ما يجب الايمان به فيشبه الضلال البعيد فقال (ومن يكفر بالله) الآمر بالعدل (وملائكته) الآتية به من عند الله (وكتبه) الموضوعة لتقرير قواعده (ورسله) المبينين لها (واليوم الآخر) الموضوع للجزاء على اقامته وتركه (فقد ضل ضلالا بعيدا) أما الكفر بالله فظاهر وأما بالملائكة فلأنهم المقربون اليه وأما بالكتب فلأنها الهادية اليه وأما بالرسل فلأنهم الداعون اليه وأما باليوم الآخر فلأن فيه نفع اقامته وضرر تركه فاذا أنكروا لزم انكار النفع الحقيق والضرر الحقيقى فهو الضلال البعيد ثم الكفر بالملائكة كفر بمظاهر باطنه وبالكتب كفر بمظاهر صفة كلامه وبالرسل كفر بأتم مظاهره وباليوم الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله ثم الكفر بالملائكة يدعو الى الايمان بالشياطين وبكتب الله الى الايمان بكتب الكفرة وبالرسل الى تقليد الآباء وباليوم الآخر الى الاجتراء على القبائح وكل ذلك ضلال بعيد ثم أشار الى أن الكفر لما كان ضلالا بعيدا لم يفد الايمان السابق عليه ولو مكررا الاهداية ولا مغفرة فقال (ان الذين آمنوا) بموسى (ثم كفروا) بعبادة العجل (ثم آمنوا) عند عوده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) فيفيدهم أدنى فوائد الايمان لايمانهم السابق ولو مكررا (ولا ليهديهم سبيلا) الى التحقيق ولا ينفع وان بقوا على الايمان بموسى اذ الكفر اللاحق ناسخ للايمان السابق ولا ينفع تكراره سيما اذا عورض بمزيد الكفر وكيف ينفع السابق ولا ينفع المقارن سيما فى حق المنافقين (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) ويدل على مقارنة ايمانهم للكفر ترجيحهم جانب الكفرة فى المحبة اذهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى مجاوزين موالاة المؤمنين فان زعموا أنهم اغتروا بوالوهم تقيتمن اذلالهم يقال لهم (أيبتغون) أى يطلبون (عندهم العزة) مع أنها ليست عندهم (فان العزة لله جميعا) وهم أعداؤه فلا يعطيهم منها شيئا ولو كانت لهم وجب على المؤمنين الصبر على الذلة بمقتضى الايمان كيف (وقد نزل عليكم فى الكتاب) الذى تدعون الايمان به (أن) أى أن الشأن (اذا سمعتم

تخلفون افكا) أى تختلقون كذبا (قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع وتتنحى عن الفرش (قوله تعالى تبرجن) أى تبرزن محاسنكن تظهرنها (قوله تناوش) أى تناول تهمز ولا تهمز والتناؤش بالهمز التأخر أيضا قال الشاعر
تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى
وقد حدثت بعد الامور أمور

آيات الله) من ذلك الكتاب أو غيره (يكفر بها) لا سيما اذا كانت (يستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم) أى مع الكافرين سيما المستهزئين فضلا عن موالاتهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره)
لان قعودكم معهم يدل على رضاكم بالكفر بها والاستهزاء (انكم اذا) أى اذا رضيتم بكفرهم
واستهزائهم (مثلهم) فاجتماعكم بهم ههنا سبب اجتماعكم فى جهنم (ان الله جامع المنافقين
والكافرين فى جهنم جميعا) وكيف لا يجتمعون بهم وأقل أحوالهم انهم ان لم يرجحوا الكفر
على الايمان يترددون فى الترجيح بينهما اذ هم (الذين يتربصون) أى ينتظرون وقوع أمر
من الغنيمة أو الهزيمة (بكم فان كان لكم فتح) ولا يكون مع ضعفكم الا (من الله) ولا دخل
لهم فيه (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) فلنا دخل فى فتحكم فليكن لنا شركة فى غنيمتكم
(وان كان للكافرين نصيب) من الفتح لئلا يطلبهم دوام الفتح للمؤمنين الى الايمان (قالوا)
لهم (ألم نستحوذ) أى ألم نستول (عليكم) فأمكنا قتلكم (و) لكنا نقتلكم ومنعنا المؤمنين
أن يقتلوكم ألم (نمنعكم من المؤمنين) فهذا دليل على أن التردد فى قلوبهم لا يزول بهذه الدلائل
(فالله يحكم بينكم) بازالة ترددهم (يوم القيامة و) ليس باعطاء الحجة لهم لانه (ان يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا) بالحجة فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم قال (ان المنافقين) من ترددهم
فى ترجيح أحد الجانبين على الآخر مع وضوح دلائل ترجيح الايمان وفقد دليل على ترجيح
الكفر (يخادعون الله) أى يريدون مخادعته بان يدعوا لانفسهم أرجح الجانبين اذا رأوا
رجحان أحدهما عنده (وهو خادعهم) بالحقيقة اذ لا يريهم الارجح مع وضوح دلائله (و) من
مخادعته لهم انه لا يمكنهم من اتمام الصلاة حتى انهم (اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى)
لانهم يقومون لا تمامها بل لا يريدون الصلاة بالحقيقة وانما (يراؤن الناس و) لذلك (لا يذكرون
الله) فيها لتقربوا اليه (الا قليلا) ليسمعوا الناس فيوهموهم انهم يتقربون اليه ولو أكثروا
ذكره لم يتأت لهم الاخلاص لانه بترجيح جانب الايمان ولبسوا امر بعين أحد الجانبين لكونهم
(مذبذبين) أى مضطربين اضطرابا تاما (بين ذلك) أى ترجيح أحدهما بحيث (لا) يميلون (الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء) وهذا من خداع الله بهم اذ لم يرد بهم أحد السبيلين (و) مع ذلك لا ظلم من
جهته اذ لا استعداد لهم فيكون لهم سبيل الى الهداية فان (من يضلل الله فلن تجد له سبيلا)
فهذا دليل التردد وما سبق دليل ترجيحهم لجانب الكفر على الايمان (يا أيها الذين آمنوا)
أقل ما يقتضيه ايمانكم ترجيحه على الكفر وترك التردد فانى يكون لكم ترجيح الكفر
(لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) انه يصير دليلا على ترجيح جانب الكفر
(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أى حجة ظاهرة على كفركم تبيح أموالكم
ودماءكم ولا يفيدكم التردد تخفيف العذاب فضلا عن النجاة (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من
النار) ولا تخفيف فيها ولا نجاة لاهلها (و) لا يفيدهم الجهل برجحان أحد الجانبين لظهور
حجج الايمان مع انه لا حجة فى جانب الكفر أصلا فلذلك (لن تجد لهم نصيرا) من الحجج وغيرها
(الا الذين تابوا) عن النفاق (و) هى انما تتم اذا (أصلحوا) ما أفسدوا من اعتقادات المنافقين

(قوله عز وجل نتق) أى نزلوا من المراتب) أى نزلوا من الحراب) ارتفاع ولا يكون النقود الامن فوق (قوله عز وجل توارت بالحجاب) أى استترت الشمس أضمرها بالليل بمعنى ولم يجر لها ذكر والعرب تفعل ذلك اذا كان فى الكلام ما يدل عليه (قوله عز وجل تفتر) أى تضعف (قوله تعالى تقلبهم فى البلاد) أى تصرفهم فيها بالتجارة أى فلا يغررك

وأموالهم (و) هو انما يتأتى اذا (اعتصموا بالله) بترك موالاة الكفار (و) هو انما يتيسر
اذا (أخلصوا دينهم لله) فلم يبق لهم فيه تردد (فأولئك) لطهورتهم بهذه الامور لا يكونون
فى درك من النار فضلا عن الاسفل بل (مع المؤمنين) المستمرين على الايمان بلا نفاق
فى الجنان (وسوف يؤت الله المؤمنين) المستمرين على الايمان (أجرا عظيما) فوق أجر من تاب
عن النفاق ويحتمل أن يقال وسوف يؤت الله المؤمنين بهم ادخال الجنان أجرا عظيما يشاركهم
فيه التائبون عن النفاق ثم أشار الى أنه انما استثنى التائبين من المنافقين مع كونهم مخادعين
لله مستحقين لعذاب أشد من عذاب الكفار لان الله تعالى لا يعذب أحدا ليشتفى به غيظا أو
يدفع به ضررا أو يجر نفعا بل انما يعذب من يعذبه لانه حصل له مرض من جهله بالمنعم وعدم
شكره له فاذا شكر المنعم وآمن به زال سببه (ما يفعل الله) من جر نفع له أو دفع ضر عنه
(بعذابكم) الذى كان يعذبكم به لعدم شكركم وايمانكم (ان شكرتم وآمنتم) كيف
(و) مقتضى جوده الانعام على من عرف قدر النعمة وأقر بالمنعم اذ (كان الله شاكرا) أى
مجازيا على الشكر بالمزيد (عليما) باستعداده للانعام عليه فلا يبعد عليه أن يلحق التائب من
الكفر والنفاق بالمستمر على الايمان والاعمال الصالحة وانما يعذب من لا يشكره لانه
كالشاكى عنه ولا يحب الشكاية عن مخلوق فكيف عن نفسه فانه (لا يحب الله الجهر) أى
الظهور (بالسوء) أى القبيح من الغير سيما اذا أظهره (من القول) وهو الشكاية (الا)
قول (من ظلم) بذلك السوء فتظلم به فانه يحبه حتى انه يجيب دعاءه (وكان الله سميعا) لدعائه
(عليما) بما يستحقه الظالم لو لم يدع المظلوم ثم أشار الى أنه وان أحب الشكاية فهو أشد حبا
للاحسان الى المسىء والعفو عنه فقال (ان تبدوا خيرا) أى تظهروا احسانا الى المسىء
قدمه لانه أعلى (أو تخفوه) أى الخير وهو الاحسان الى المسىء ووسطه لانه أوسط (أو تعفوا
عن سوء) وهو أدنى لكنه مع دناءته يفيد المناسبة مع الله الموجبة لشدة محبته من حيث العفو
مع القدرة (فان الله كان عفوا قديرا) ثم أشار الى أن الكفر بالله أشد من ترك شكره
ومن الشكاية عنه فالتعذيب عليه أولى (ان الذين يكفرون بالله) المنعم فضلا عن الاعتراف
بنعمه والشكاية عنه (ورسله) الذين هم أعظم وجوه نعمه مع ان فيه شكاية عن الله بانه لم يهد
طريقا الى معرفته وعبادته (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بانهم كذبوا على الله فهم
أهل الشكاية وانما أعطاهم الله المعجزات امتحانا للخلق مع انهم لم يجعل عليه دليلا فهو
مشكو عنه بتصديقهم بالمعجزات (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) فيشكون عن الله
بتسويته بين الصادق والكاذب فى اظهار المعجزات على يديه (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك
سبيلا) كأنهم يزعمون أن تصديق الكل افراط وتكذيب الكل تفريط وخير الامور
أوساطها وهو انما يتصور حيث يكون وسطه طرفان وههنا لما ساووا فى المعجزات والدعوة
الى الحق والقيام بالخيرات فى أنفسهم كان الكفر بواحد كفرا بالكل بل بالله اذ يعتقدون
فيه انه صدق الكاذب بخلق المعجزات (أولئك هم الكافرون حقا) يستهينون بالله بتصديق

تصرفهم وأمنهم وخروجهم
من بلد الى بلد وان الله
تعالى محيط بهم (قوله تعالى
التلاق) التقاء وقوله لتنذر
يوم التلاق أى يوم يلتقى
فيه أهل الارض وأهل
السماء ويوم التناد يوم
يتنادى فيه أهل الجنة
والنار وينادى أصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم والتناد بتشديد
الدال من ند البعير اذا
مضى على وجهه ويوم

الكاذبين وبالرسل بانه لا يميز صادقهم عن كاذبهم فهو أزيد من الشكاية (و) لذلك (أعتدنا
للكافرين عذابا مهينا) ثم أشار الى أن الايمان بواحد من الرسل يكون ايمانا بالكل والايمان
بهم ايمانا بالله فلكل واحد من الايمانين أجر فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين
أحد منهم) وان كان الايمان بواحد ايمانا بالكل لان الكفر بواحد كفر بالكل (أولئك
سوف يؤتيهم أجورهم) متعددة (و) يزيدهم المغفرة والرحمة اذ (كان الله غفورا رحيما)
واذ زعموا ان ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض اظهر والفرق اذ سمعوا الله يكلم موسى
فكأنهم رأوا نزول كتابه من السماء ولم يروا ذلك فى هذا الكتاب من هنا (يسألك أهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا) يرون نزوله (من السماء) ولا حاجة لهم الى طلب ذلك بعد رؤية
اعجازه المؤكد بالتفرق لكن عادتهم انهم لا يرون آية الا سألوا أكبر منها (فقد سألوا موسى)
حين سمعوا الله يكلمه فنزل منزلة رؤيتهم نزوله من السماء (أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله)
المتكلم (جهرة) أى رؤية ظاهرة فانا لا نؤمن بسماع كلامه ولا بنزول الكتاب المنزل
عليه (فأخذتهم الصاعقة) أى النار النازلة من السماء (بظلمهم) بانهم لا يرون آية الا يطلبون
أكبر منها حتى يروا آية ملجئة الى الايمان بحيث لا يفيد الايمان معها فلا يكادون يؤمنون
ايمانا يفيدهم أصلا ولا يبعد منهم الكفر بعد رؤية الآيات فانهم رأوا آيات موسى (ثم
اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى الدلائل القاطعة على نفى الشرك ثم تابوا عنه
(فعفونا عن ذلك) ثم انهم لم ينقادوا لاوامر موسى (و) ان رأوا أنا (آتينا موسى سلطانا مبينا)
أى استيلاء ظاهرا على اهلاك من خالفه (و) بالغوا فى عدم الانقياد لها حتى (ورفعنا فوقهم
الطور) ليقبلوا التكليف (بميثاقهم) أى بما كلفهم بعهد وثيق (و) مع ذلك لم يأتوا
بأسهل الاوامر اذ (قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) فدخلوا يزحفون على استاههم فأخذتهم
الصاعقة (و) لم يأتوا بأسهل منه اذ (قلنا لهم لا تعدوا فى السبت و) هو مع كونه أهون الامور
(أخذنا منهم) فيه (ميثاقا غليظا) فاعتدوا فيه فمسخوا قردة والذى فعلنا بهم (فبما نقضهم
ميثاقهم) بالمخالفة (وكفرهم) مع ذلك (بآيات الله) الظاهرة على أيدى بعض الانبياء
(وقتلهم) مع ذلك (الانبياء) مع علمهم انه (بغير حق و) لكن ستر عنهم حتى بسبب (قولهم
قلوبنا غلف) أى محجوبة لا يظهر لها الآيات ولم يكن ذلك لعدم ظهورها (بل طبع الله
عليها بكفرهم) فمنعها التدبر فيها (فلا يؤمنون) بما يزعمون الايمان به (الا قليلا) أى ايمانا
ضعيفا لاجترائهم على تحريفه وكتمانه (و) لو لم يكن كثرة عدم ايمانهم بالتوراة موجبة
طبع فلا شك انه طبع على قلوبهم (بكفرهم) بالانجيل بالكلية (و) لا يقتصرون عليه بل هو
مع (قولهم) الذى يجترئون به (على مريم) بعد ظهور كراماتها وارهاصات ولدها ومعجزاته
(بهتانا عظيما) وهم لا ينكرون هذا الكفر بل يفتخرون بهذا الكفر (وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فيفتخرون بقتله وبالاستهزاء برسالته (و) لا يصح
لهم ذلك الفخر لانهم (ما قتلوه و) لا اشتهر من صلبهم اياه لانهم (ما صلبوه

التغابن يوم يغبن فيه أهل النار أهل الجنة وأصل الغبن النقص فى المعاملة والمبايعة والمقاسمة (قوله عز وجل تباب) أى خسران (قوله تعالى تأفكنا عن آلهتنا) أى تصرفنا عنها (قوله تعالى تعسا لهم) أى عثارا لهم وسقوطا ويقال التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه (قوله تعالى تزيلوا) أى تميزوا

ولكن

ولكن) قتلوا وصلبوا من ألقى عليه شبهه اذ (شبه لهم) وذلك لان رهطا من اليهود سبوه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فقال لهم ان الله يرفعني فرفعه فدخل طاطانوس اليهودي بيتا هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فأخذ وصلب وذلك من معجزات عيسى لاضلال أعدائه ويدل على هذا الشبه اختلافهم اذ قال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال قوم من النصارى صلب الناسوت ورفع اللاهوت الى السماء لما سمعوا قوله (و) لم يرتفع الشبه بدليل قطعي في جانب بل (ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به) أى بما قالوا (من علم) أى مستمسك (الا اتباع الظن و) لم يكن لهم في اختلافهم قدر مشترك اتفقوا عليه من انهم قتلوه لانهم (ما قتلوه يقينا بل) اليقين انما هو في أنه (رفعه الله اليه) لما سمع منه (و) لا يبعد رفعه على الله اذ (كان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده وقد اقتضت الحكمة رفعه فلا بد ان يرفعه لكونه (حكيما) وفي حفظه لتقوية دين محمد صلى الله عليه وسلم حين انتهائه الى غاية الضعف بظهور الدجال فيقتله ثم أشار الى أن من كان يفتخر بقتله سيتذلل له قبل موته فقال (وان) أى وما أحد (من أهل الكتاب الا) والله (ليؤمنن به) أى بعيسى اذ يكاشف بصدقه (قبل موته و) لا يفيده هذا الايمان الا رفع العداوة المانعة من قبول الشهادة فلذلك (يوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم) أى فبشديد ظلم (من الذين هادوا) قبل من كفر به وقتلوا الظالم منهم وهو الذى من أجله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى لمن قبلهم ونسخ تحريمها على من آمن به منهم (و) بشديد أيضا (بصدهم عن سبيل الله كثيرا) بكفرهم به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن قتلوهم من الانبياء (و) بشديد على (أخذهم الربوا وقد نهوا عنه و) على (أكلهم أموال الناس بالباطل) من طرق المعاملة والرشوة فيعذب بهذه الامور اسلافهم الذين لم يدركوه (وأعتدنا للكافرين) به (منهم) وراء العذاب على هذه الامور (عذابا أليما) سيما اذا انضموا اليه الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وان زعموا انهم انما كفروا بهما لرسوخهم في العلم فليس الكفر من رسوخهم بل من عنادهم (لكن الراسخون في العلم منهم) أى من أهل الكتاب الذين جروا على مقتضى رسوخهم (والمؤمنون) من الامیين اللاحقين بهم في الرسوخ بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) لاطلاعهم على كمالات المنزل عليك وانه مصدق ما أنزل من قبلك فلا بد من الايمان به أيضا (و) لا سيما (المقيمين الصلوة) فانهم يكاشفون بأسرار اعجاز هذا الكتاب وغرائب نكته كيف (و) هم (المؤتون الزكوة) أى لتزكية أنفسهم كيف (و) هم (المؤمنون بالله واليوم الآخر) عن مشاهدة قلبية (أولئك) وان زعم هؤلاء انهم انما آمنوا بالكل من عدم رسوخهم فلا يجدون أجر المجتهدين (سنؤتيهم أجرا عظيما) فوق ما يتوهم هؤلاء لانفسهم وتتحقق لهم العذاب فوق ما يتوهمون لا ولئك اذ أجرهم بدفعه وعلمهم لم يرفعه عنهم ثم أشار الى أن الراسخين انما آمنوا بما أنزل اليك لانهم أحاطوا علما بالمنزل

(قوله تعالى تق) ترجع (قوله تبارك اسمه تلمزوا) (قوله تعالى ولا تلمزوا) تعيبوا وقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم لا تعيبوا اخوانكم المسلمين ولا تنابزوا بالالقاب لا تداعوا بها والانباز الالقاب واحدها نبز قال أبو عمرو نبز أيضا (قوله عز وجل تجسسوا) أى تحسسوا وتبحثوا عن الاخبار ومنه سمى الجاسوس (قوله تبارك اسمه تمور السماء

على الانبياء السابقين توحيده مثله فقال (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) فى تنزيه الحق وتوحيده (و) كما (أوحينا الى ابراهيم) فى التخلق بالصفات الالهية (واسمعيل) فى التحقق بما يناسبها (واسحق) فى لحوق الاشباه فى الظهور فى كل شئ بصورة (ويعقوب) فى التدبير بمقتضى الشرع والتصوف لتحصيل الكمالات (والاسباط) كيوسف فى تدبير القوة الخيالية للكشوفات الصورية (وعيسى) فى التأثير بالله فى الاشياء (وأيوب) فى استخراج أسرار الاشياء (ويونس) فى استتارة النفس بنور الحق (وهرون) فى الامامة (وسليمان) فى الظهور بالرحمتين (و) لا يبعد ذلك اذ (آتينا داود زبورا) جمعا فيه هذه الامور من الحكمة وفصل الخطاب فيكفيهم مطالعته (و) قد طالعوا كتبا آتيناها (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك و) ربما يحصل لهم بالالهام بلا مطالعة ولا يبعد ذلك اذ (كلم الله موسى تكليما) وقد طالعوا كتابه أيضا على أنه لا حاجة الى هذه الاحاطة فى الايمان بل يكفيهم كونه صالحا للتبشير والانذار فيكون كما آتينا (رسلا مبشرين ومنذرين) ويتم بالزام الحجة لانه انما أرسل (لئلا يكون للناس) الذين نسوا مقتضى الربوبية والعبودية عند معاقبتهم وتفويت الثواب عليهم (على الله) الذى لا الزام لاحد عليه لكن الجهال يحتجون عليه بالعدل فأراد أن لا يكون لهم (حجة بعد) ارسال (الرسل) المزيلين للعذر (وكان الله عزيزا) أى غالبا على دفعهم بوجوه كثيرة ولكن لكونه (حكيما) دفعهم بأوضح الطرق فى الالزام وان قالوا نحن الراسخون ولا نرى ما أوحى اليك كالذى أوحى الى من قبلك أجيبوا بانهم يرون ذلك ولا يشهدون للعناد (لكن الله يشهد) باعجازه (بما أنزل اليك) فان اعجازه يدل على انه (أنزله بعلمه) المحيط الذى لا يصل اليه علوم الخلائق (والملائكة يشهدون) عند من يكاشفونه (و) لو لم تسمعوا شهادتهم لانكم محجوبون (كفى بالله شهيدا) باعجازه لهم حتى لم يأتوا بمثله على ألسنة غيرك (ان الذين كفروا) مع اطلاعهم على اعجازه من رسوخهم (و) لم يقتصروا على الكفر بأنفسهم بل (صدوا) الخلائق عن الايمان به ومنعوا لانفسهم وغيرهم (عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) أعظم من ضلال الجهال الذين لا تسبق لهم تلك الكتب لانه يمكن لهم حصول هداية يعقبها مغفرة وهؤلاء لا يرجى لهم (ان الذين كفروا) والكفر لا يغفر (وظلموا) الخلائق باضلالهم وظلم الغير لا يغفر (لم يكن الله ليغفر لهم) كيف والمغفرة فرع الهداية (ولا) كان الله (ليهديهم طريقا) من طرق الاخرة (الا طريق جهنم) لا طريق الخروج عنها فيبقون (خالدين فيها أبدا وكان ذلك) فى حق الراسخين المعاندين مع الله (على الله يسيرا) أيسر من أن يفعل بالمعتذرين بجهلهم اذ لا عذر لهم (يا أيها الناس) الذين نسوا أن الواجب النظر الى الدلائل لا تقليد الراسخين اذا عاندوا (قد جاءكم الرسول) بمعجزات آمن بما دونها الراسخون بأنبيائهم وعاندوه ولا وجه لعنادهم لانه جاء (بالحق) أى بالدين الصواب الذى يجب قبوله بدون المعجزات وقد علم بها أنه (من ربكم فآمنوا) واقصدوا (خيرا لكم) من تقليد المعاندين (و) ان كانوا راسخين لا تخافوا التلبيس

موارا) أى تدور وتجىء وقيل تموج تكفا أى تذهب وتجىء (قوله تعالى وتسير الجبال سيرا) أى تسير كما يسير السحاب (قوله تعالى تأثيم) أى اثم (قوله تعالى تماروا بالنذر) أى شكوا فى الانذار (قوله عز وجل تطغوا فى الميزان) أى تجاوزوا القدر والعدل (قوله تعالى تحرثون) الحرث اصلاح الارض والقاء البذر فيها (قوله تعالى تفكهون) أى

منه في اظهار المعجزات على يدي الكاذب لانه اما لتحصيل خير من جر نفع أو دفع ضرر لاستحالة ذلك في حقه فانكم (ان تكفروا) فهو غني عن الكل فلو فرضت له حاجة الى شئ فلا يحتاج اليكم (فان لله ما في السموات والارض و) اما للجهل بقبحه واما للعبث لكنهما لا يتصوران في حق الله تعالى اذ (كان الله عليما حكيما) فتعين ان اظهارها لتحصيل الخير لكم لا غير ان آمنتم وتحصيل الضرر لكم ان كفرتم اذ لا يتصور العكس من الحكيم وكيف تقلدون هؤلاء لرسوخهم وقد أدى بهم رسوخهم الى الغلو الذي حقكم ان تنهوهم عنه لا أن تقلدوهم فيه فقولوا لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) بتعظيم عيسى فوق حده (و) لو بالغتم في تعظيمه (لا تقولوا على الله الا الحق) فلا تثبتوا له شريكا أو ولدا (انما المسيح) اسمه (عيسى) لا الله (ابن مريم) لا ابن الله وبالنظر الى معجزاته هو (رسول الله و) الى ولادته من غير أب (كلمته) لا جزؤه (ألقاها) أي وصل صورتها (الى مريم) هذا من جهة تكوين جسده (و) من جهة تكوين روحه غايته انه (روح) وصل منه لا من سائر العقول والسموات فلو قلتم انه الله أو ابنه كنتم كافرين بالله (فآمنوا بالله و) ليس هذا مانعا من الايمان به فآمنوا بكونه من (رسله و) لكن (لا تقولوا) الاقانيم أي الجواهر (ثلاثة) أقنوم الاب وهو الذات وأقنوم الكلمة وهو العلم وأقنوم الحياة وهو الروح القدس ولو قلتم بها (انتهوا) عن القول بحلول بعضها في عيسى أو اتحاده به واقصدوا (خيرا لكم) وهو أنه المتصف بالكمالات ظهر ظهور الصورة بالمرآة في عيسى ولا تقولوا بالحلول المخل بالالهية لجعل الاله تابعا للغير وهو ينافي وجوب الوجود ولا بالاتحاد لانه اذا اتحد بالمخلوق لا تبقى الالهية ويتكثر بتكثير المتحد به (انما الله اله واحد) ولا بالابنية المستلزمة للتشبه بالحيوانات (سبحانه أن يكون له ولد) ولو فرض لم يكن من جملة ما في السموات وما في الارض اذ (له ما في السموات وما في الارض) ملكا ولا يتصور كون الولد ملكا للوالد ثم هو مشعر بالحاجة (و) لا حاجة لله اذ (كفى بالله وكيلا) في القيام بجميع الشؤن ولو قالوا نحن لا نغلو في ديننا ولكنكم تنقصون حق عيسى اذ تجعلونه عبد الله مع انه كان يفعل أفعال الله من الاحياء والابراء أجيبوا بان هذا لو كان نقصا لكان عيسى مستنكفا منه لكن (لن يستنكف) أي ان يأنف ولن يتعظم (المسيح) من (أن يكون عبدا لله ولا) من هو أقوى منه في فعل الخوارق وهم (الملائكة المقربون) من أن يكونوا مع غاية علو رتبتهم عبيدا له كيف (و) قد علموا انه (من يستنكف) من ملك أو جن أو انس (عن عبادته) أي امتثال أوامره ونواهيه (ويستكبر) عن عبوديته (فسيحشرهم) أي المستنكفين وغيرهم (اليه جميعا) ليرى كل ما يفعل به وبغيره من الاعزاز والاذلال فيزداد المعزز بعزته وذلة مخالفه ويزداد المذل حزنا بذلته وعزة مخالفه (فأما الذين آمنوا) فلم يستكبروا عن عبوديته (وعملوا الصالحات) فلم يستنكفوا عن عبادته (فيوفيهم أجورهم) على ما تحملوا الذلة فيه لينقلب عزة (ويزيدهم) على أجورهم شيئا عظيما (من فضله) المضاف الى عظمته

تعجبون ويقال تفكهون
وتمكرون أيضا بالنون
امرء كل أى تندمون (قوله
تعالى تجعلون رزقكم
أنكم تكذبون) أى
تجعلون شكركم التكذيب
ويقال المعنى تجعلون شكر
رزقكم التكذيب فحذف
الشكر وأقيم الرزق مقامه
كقوله واسئل القرية أى
أهل القرية (قوله تعالى
تشتكي) أى تشكو (قوله
تعالى تحاوركما) يحاوركما
أى مراجعة القول (قوله

مبالغة في اعزازهم (وأما الذين استنكفوا) عن عبادته (واستكبروا) عن عبوديته
(فيعذبهم عذابا أليما) بذلهم به أشد من التذلل بالعبادة والعبودية (ولا يجدون لهم من
دون الله وليا) يعزهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم ذلتهم ثم هؤلاء ادعوا ان في الاستنكاف كمال
الذلة التي يهربون عنها وفي الانقياد كمال العزة التي يطلبونها وأنتم ترون كمال العزة في
الاستنكاف وكمال الذلة في الانقياد مع انكم تدعون انكم راسخون وأدى بكم رسوخكم
الى القول بأن التعزز عزة والتذلل ذلة مع انهما انما يكونان من اعزاز الله واذلاله ثم أشار
الى انه انما أخذ العوام بقول الراسخين فيما لم يظهر لهم برهان قطعي على خلاف قولهم
(يا أيها الناس) أي الذين نسوا البرهان القطعي من عقولكم (قد جاءكم برهان من ربكم)
الذي ربي بالدلائل النقلية مقتضى عقولكم فأيدها (و) ليس من المقدمات النظرية لكن
ما خفيت عليكم لعدم التفاتكم اليها (أنزلنا اليكم) من مقام عظمتنا (نورا مبينا) من
المقدمات البديهية لاعمائكم بها من الكواذب حتى ظهر لكم بذلك كفر الراسخين من
غلوهم حتى صار واحل غضبه لمكابرتهم مع القطعيات في حق الله (فأما الذين آمنوا بالله) ولم
ينتصروا لشيء في حقه باثبات الشريك أو الولد (واعتصموا به) أي ببرهانه ونوره (فسيدخلهم في
رحمة منه) مع ترك الراسخين من هؤلاء في غضبه (و) لو تخاصم لان غلطهم من اجتهاد
فيدخل هؤلاء في (فضل) منه يتفضلون به على الراسخين منهم في زعمهم كيف وقد ضلوا واضلوا
(و) هؤلاء (يهديهم) هداية توصلهم (اليه) أي الى مقام قربه اذ يسلكهم بحكمه البرهان
والنور المبين (صراطا مستقيما) مع اضلال الراسخين في زعمهم من غلوهم ومن هداية الله
تتبع برهانه ونوره الاطلاع على احكام المواريث التي حارت فيها عقول الخلائق نبه
(يستفتونك) في المواريث سيما ميراث الكلالة (قل الله) لا من تزعمون رسوخهم (يفتيكم)
أيها الحيارى في الميراث سيما (في الكلالة) وهو من لا ولد له ولا والد وله اخوة أو اخوات
أو كلاهما فيقول (ان) مات (امرؤ هلك) أي تحقق موته (ليس له ولد) ولا والد ولكن
لم يذكره لظهور حجبه للاخوة لانه أقرب حائز والولد قد لا يكون حائزا كالبنت ولا حجبه
ظاهرا لان الاخوة ليست مدلية بهم والام لاحيازة لها (وله أخت) من الابوين أو من
الاب (فلها نصف ما ترك) تنزيلا للفرع أصله منزلة فرعه عند عدمه (وهو) أي المرء (يرثها)
أي الاخت حائزا (ان) هلكت ولم (يكن لها ولد) لانه فرع أصلها فنزل منزلة فرعها الذي
عند عدمه لانه ذكر والاصل فيه الحيازة وان كانت لها بنات أخذ الباقي وان كان لها ابن
حجب بالكلية (فان كانتا) أي الوارثتان من أولاد الابوين أو الاب اثنتين (فلهما
الثلثان مما ترك) اذ لا حيازة لهما وكذا ما فوق الاثنتين اذ لا مزيد لهن على بنات الصلب (وان
كانوا) أي الوارثون من أولاد الابوين أو الاب (اخوة) ذكر ليعلم ان الوراثة الذ
لا للذكورية ولم يقل واخوات ليعلم ان التفضيل ليس من جهة الاخوة بل من جهة
اجتماعهم (رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) كاجتماعهم في أولاد الصلب (يبين الله

تعالى تمسوا) تمسوا
(قوله تعالى تحرير رقبة) أي عتق رقبة يقال حررت المملوك فحر أي أعتقته فعتق والرقبة ترجمة عن الانسان (قوله تعالى تبوؤا الدار) أي لزموها واتخذوها مسكنا أي تمكنوا في الايمان واستقر في قلوبهم (قوله تعالى تعاسرتم) أي تضايقتم (تفاوت) أي اضطراب واختلاف وأصله من الفوت وهو أن يفوت شيء شيئا

لكم) هذه الامور وان كانت دنيوية كراهة (أن تضلوا) نهاية كيف يترك بيان الامور الاخروية التي الضلال فيها أشد (والله بكل شيء عليم) فلا يبين الا بمقتضى ما أحاط به علمه الكامل فلا يؤخذ في مقابلة بيانه بيان غيره وان زعم انه راسخ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

•(سورة المائدة)•

سميت بها لان قصتها أعجب ما ذكر فيها لانه دالة على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن وعنف شديد على من كفر فهو أعظم دواعي قبول التكاليف المفيدة عقدة المحبة من الاتصال الايماني بين الله وبين عبيده (بسم الله) الجامع بين اللطف والعنف في أحكامه التي كلف عباده بها بمقتضى أسمائه وصفاته (الرحمن) بجعلها مناط مصالح العباد في معاشهم ومعادهم (الرحيم) بجعلها عائدة بمحبة من اتصال ايماني بينه وبينهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الذي هو الاتصال المعنوي لكم بالله تقويته باحكامه التي تقويه تقوية العقود الحسية للاتصال الحسي (أوفوا بالعقود) أي كملوا القيام بالاحكام التي تقوي الاتصال الايماني بالانقياد لها سيما ما لا يعقل الجمهور معناها كتحليل الانعام بذبحها (أحلت لكم بهيمة الانعام) أي ما لا يعقل من الحيوان فأشار الى سر تحليلها بأن قوتها لما أبهم عليها عواقب الامور فتبديلها بالنفوس الانسانية انعام عليها (الا ما يتلى عليكم) تحريمه أو اعتبار قول من يحرمه أي الرسول عليه السلام وانما أحل لكم غير المستثنى مطلقا حال كونكم (غير محلي الصيد) أي غير صائدين أو ذابحين للصيد أو دالين عليه أو معين بما دله فكل ذلك تحليل للصيد (و) انما استثنى هذا من غير المستثنى للكل اذ (أنتم حرم) وانما يتم انقياد كم اذا انقدتم لها من غير تعقل المعنى فقلتم (ان الله يحكم ما يريد) وان كان لا يريد شيأ الا وفيه الحكمة البالغة كما يأتي في مواضع الاستثناء (يا أيها الذين آمنوا) لما اقتضى ايمانكم تحريم الصيد عليكم لقصد كم شعائر الله فاقتضاؤه تحريم قتل الناس فيها بطريق الاولى (لا تحلوا شعائر الله) أي الاماكن التي هي أعلام النسك فلا تقتلوا فيها (ولا الشهر الحرام) لانه من الازمنة كالشعائر من الامكنة (و) كيف تستحلون هتك حرمة الشعائر مع انه يحرم هتك حرمة الهدي اليها بل حرمة ما ظن كونه هديا اليها (لا) تحلوا (الهدي ولا القلائد) أي التي قلدت بها النعل أو لحاء الشجر ليعلم كونها هديا (و) كيف تستحلون القتل فيها وقد يحرم قتل من قصدها ولم يصل اليها (لا) تحلوا قتل (آمين) أي قاصدين (البيت الحرام) للزيارة وان لم يكن فيهم احتمال حرمته ولكن لكونهم (يبتغون فضلا) أي ثوابا (من ربهم ورضوانا) فحقكم ان تعينوهم لا ان تقتلوهم (و) انما قلنا ان تحريم الصيد لحرمة البيت لانه أبيح لكم بعد الاحرام (اذا حللتم فاصطادوا) لا يرتفع تحريم قتالهم لكونهم أهل الحرب لكم (لا يجرمنكم شنآن) أي لا يحملنكم على الجريمة شدة عداوة (قوم) وان كانت ناشئة من (أن صدوكم عن المسجد الحرام) على (أن تعتدوا)

قمع الخلل (قوله تعالى (تكاد تميز من الغيظ) أي تنشق غيظا على الكفار (قوله عز وجل نعيها أذن واعية) أي تحفظها أذن حافظة من قولك وعيت العلم اذا حفظته (قوله تعالى ترجون لله وقارا) أي تخافون لله عظمة (قوله تعالى تبارا) أي هلاكا (قوله عز اسمه تحروا رشدا) أي توخوا وتعمدوا والتوخي التعمد الشيء (قوله تعالى تبتل

عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم بالصيد (و) لكن (تعاونوا على البر والتقوى) اذا قصدوها
(ولاتعاونوا) لقتالهم (على الاثم) بصدهم (و) ان كان بطريق (العدوان) المماثل
لعداوتهم (واتقوا الله) فى ايذاء قاصدى فضله ورضوانه وان آذوكم على ذلك (ان الله شديد
العقاب) لو اعتديتم عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم حين قصدوا طلب فضله ورضوانه والجمهور
على انه انتسخت بقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا و بالاجماع على حل قتال الكفار فى الاشهر الحرم والسر فيه انه فعل بهم ذلك اولا لعلهم
يتركون العناد فلما لم يتركوه بالكلية أمر المسلمين بمكافأتهم ولما وصف الله سبحانه وتعالى
ذاته بانه شديد العقاب عقبه بذكر ما استثنى من المحرمات اشارة الى انها تستحق عليها تلك
الشدة فقال (حرمت عليكم الميتة) أى مافارقه الروح بغير سبب خارجى لانها انتجست
بمفارقته من غير مطهر من ذكر اسم الله تحقيقا أو تقديرا كاسلام الذابح (والدم) لانه متعلق
الروح بلا واسطة فاشبه النجس بالذات لايؤثر فيه المطهر (ولحم الخنزير) لانه نجس فى
حياته بصفاته الذميمة وهى وان زالت بالموت فهو منجس ولم يقبل التطهير لانه لما كان نجسا
حال الحياة والموت أشبه النجس بالذات فكأنه زيد تنجيسه بالموت وانما ذكر اللحم اشارة
الى انه وان لم يكن موصوفا فى الحياة بالصفات النجسة لروحه كان متنجسا بنجاسة روحه
ثم بزوال الروح (وما أهل لغير الله به) فانه وان ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه
المنجس مع نجاسته بالموت وان لم يذكر فقد زيد فى تنجيسه (والمنخنقة) أى التى ماتت
بالخنق فانها وان ذكر اسم الله فى خنقها عارضه سريان خباثة الخانق اليها مع تنجسها
بالموت (والموقوذة) أى المضروبة بخشب فانه وان ذكر الضارب فيها اسم الله فهو أشد
خباثة من الخانق وكيف لاتؤثر خباثته (و) قد حرمت (المتردية) أى التى ألقت بنفسها من
علو ولو باغراء انسان ذكر اسم الله عليها لخباثة اغرائه سارية فيها كيف (و) قد حرمت
(النطيحة) وان أرسل انسان الناطح بذكر اسم الله لانه لما لم يكن بطريق الصيد المشروع
لم تخل من خباثة (وما أكل السبع) فانه وان أشبه الصيد لكنه لما أكله قصد بذلك نفسه
فسرت خباثته فيها (الا ماذكيتم) من هذه المذكورات بحيث ينسب موتها الى الذبح دون
غيره فانه يتحقق فيه المطهر ولا يؤثر فيه السابق لان اللاحق ينسخه بل هو واقع قبل تأثير
السابق اذ لايتم التأثير الا بالموت (و) حرم بلا استثناء (ماذبح على النصب) وان لم يسمع فيه
اهلال غير الله وزعم صاحبه انه ذبح لله فلا يسمع منه (و) حرم (أن تستقسموا) أى تأخذوا
القسمة من الجزور ونحوه (بالازلام) أى الاقداح فانه وان خلا عن الخباثة المذكورة لكن
(ذلكم فسق) خروج عن الاخذ بالطريق المشروع لما فيه من جهل النفى والمثبت (اليوم)
لظهور الاسرار الالهية فى دينكم (يئس الذين كفروا من) تغيير (دينكم) والطعن
عليه الا بطريق العناد (فلا تخشوهم) ان يعاندوكم (واخشون) فى خشيتكم اياهم مع
نهيى عن خشيتهم وكيف تخشونهم مع انى (اليوم أكملت لكم دينكم) باظهار هذه الاسرار

(قوله اليه) أى انقطع اليه (قوله عزوجل تعتدى) أى تعرض يقال تعتدى له أى تعرض له (قوله تعالى تلهى) اى تشاغل يقال تلهيت عن الشئ والهيت عنه اذا شغلت عنه وتركته (قوله عزوجل ترهقها قترة) أى تغشاها غبرة (قوله تعالى تنفس) اى الصبح انتشر وتابع ضوءه (قوله تعالى تسنيم) يقال هو أرفع شراب أهل الجنة ويقال تسنيم عين تجرى من

(وأتممت عليكم نعمتي) بتطييب المأكولات لتطييب الأعمال (ورضيت لكم الاسلام دينا)
بتكميل أعماله بتطييب ما يستعان به عليها لكن تحريم المذكورات انما هو حال السعة
(فمن اضطر) أي تناول محرما لوقوعه (في مخمصة) أي مجاعة (غير متجانف) أي متعرض (لاثم)
بالاكل فوق الضرورة أو بعصيان بالسفر فانه لا يؤاخذ به (فان الله غفور) لتناوله الحرام
(رحيم) باعطاء الرخصة فيه (يسألونك) اذا حرمت هذه الاشياء (ماذا أحل لهم) من بهيمة
الانعام فانه لم يبق لنا منها شئ (قل أحل لكم الطيبات) التي طهرت بالذبح الشرعي (و) أحل
لكم مقتول (ما علمتم من الجوارح) أي جوارح السباع والطير (مكلبين) أي مغرين لها
لا اذا انفلتت بأنفسها (تعلمونهن) ان تسترسل اذا أرسلت وتنزجر اذا زجرت وتجتنب عند
الدعوة ولا تفر عند الارادة تصير كأنها وكلاؤكم لتعلمهن (مما علمكم الله) ويدل على توكيلهن
امساكهن عليكم (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) تحقيقا أو تقديرا
فانه ينزل منزلة ذكرهن له (واتقوا الله) ان تأكلوا ما فقد فيه شرطا من هذه الشرائط
استعجالا اليها (ان الله سريع الحساب) أي المجازاة على كل ما جل ودق وكيف تسارعون
الى محرماته وقد وسع لكم في المباحات لانه (اليوم أحل لكم الطيبات) من الذبائح والصيد
(و) ما أشبه الطيبات اذ (طعام الذين أوتوا الكتاب) أي ذبائحهم وصيدهم (حل لكم)
وان لم يعتد بذكرهم اسم الله لكنهم لما ذكروه أشبه ما يعتد بذكره (و) انما أبيح لكم بمجرد
هذا الشبه اذ (طعامكم حل لهم) فلو استخبثتم طعامهم ربما عاندوا فاستخبثوا طعامكم
ولا عبرة باستخباث المشركين طعامنا اذ ليس لهم ما يوجب الشبه بالطيب ولا بد منه فانه أقل
ما يفيد الحل (و) لما اعتبر هذا الشبه في باب الطعام اعتبر في باب النكاح فأحل لكم
(المحصنات) أي الحرائر (من المؤمنات) بلا شرط بخلاف الاماء (والمحصنات) أي الحرائر
فلا يصح نكاح الامة الكتابية بحال اذ لا يحتمل عار الكفر مع عار الرق على انه يؤدي الى
استرقاق الكافر ولد المسلم (من الذين أوتوا الكتاب) ممن آمن أول آبائهم بذلك الكتاب
(من قبلكم) ويحتمل كفرهن لانه انما لم يحتمل كفر غيرهم لانهم يدعون الى النار وهؤلاء
لما اعترفوا بأصل النبوة ولا شبهة لهم في نفي أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن حجة
ضعفت دعوتهم اليها لم يعتضد بها على ان الرجل مستول على المرأة فلا تؤثر فيه تأثير
الرجل فلذلك لم يصح تزويج المسلمة بالكتابي على أن فيه اذلالا للمسلمة فلا يحتمل وتذليل
الكتابية لا ينفي مهرها بل انما تفرغ الذمة (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن بل
شغل الذمة بحق الآدمي أشد من شغلها بحق الله ولو بالزنا وليس هذا بطريق الاجارة فلا
تحل الا اذا كنتم (محصنين) أي عاقدين النكاح (غير مسافحين) أي زانين من غير تخصيص
فان اعطاء الاجر لا يفيد الحل (و) ليس هذا العلم التخصيص لقطعه النسب بل (لا متخذي
أخدان) أيضا لتوقف النسب على العقد ولا يحصل بمجرد التخصيص (و) هؤلاء وان أشبهوا
المؤمنين في حل الطعام والنكاح لا يشبهونهم في قبول الاعمال لان (من يكفر بالايمان) أي

فوقهم تسمهم في منازلهم
تنزل عليهم من عال يقال
تسنم الفحل الناقة اذا
علاها (قوله تعالى تخاف)
تفعلت من التلاوة (قوله
ترائب) جمع تريبة وهو
معاني الحلي على الصدر
(قوله عز وجل تزكى) أي
تطهر من الذنوب بالعمل
الصالح (قوله تعالى تردى)
تفعل من الردى وهو
الهلاك ويقال تردى سقط
على رأسه في النار من
قولهم تردى فلان من

بتذكر وجوب الايمان بشئ مما يجب الايمان به (فقد حبط عمله) لا يعتد بعبادته عند أهل ملة ما اذ (هو فى الآخرة من الخاسرين) ولما فرغ عن تطييب الطعام والنكاح أشار الى تطييب البدن عن آثارهما من الاحداث فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان تناسبوا ربكم فى الطهارة فكما تنزه عن الحدوث فلابد لكم من التنزه عن الحدث لكنه مما يعسر التحفظ عليه فى جميع الاوقات فلابد منه (اذا قمتم) متوجهين (الى الصلوة) التى هى العبادة البدنية يتيسر فيها التحفظ عليه بخلاف الزكاة والحج والصوم فان كنتم محدثين محدثين متيمين بدليل وان كنتم جنبا الى آخره (فاغسلوا) والغسل امرار الماء (وجوهكم) والوجه ما بين منابت شعر الرأس غالبا الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا فيجب غسل جميعه وظاهر اللحية النازلة لدخوله فى المواجهة المفهومة منه ويجب غسل منبت الخفيف من لحية الرجل ومنبت لحية غيره مطلقا ويفهم منه النية عرفا أى لاستباحة الصلاة كما اذا قيل اذا رأيت الامير فقم أى لتعظيمه على انه عبادة لا تحصل بدون النية ولا يصلح مفتاحا للصلاة بدونها لان الحدث أمر معنوى لا يحصل التطهير عنه بدون قصد وانما وجب غسله لان فيه أكثر الحواس الظاهرة التى ينتفع بالمحسوسات بواسطتها فلابد من تطهيره عند ظهور آثار حدثت عنها او لسبق الاحساس على العمل قدم ما فيه أكثر الحواس الظاهرة أى غير السمع ثم أمر بتطهير الآلة الفاعلية للافعال التى منها تلك الآثار فقال (وايديكم) وهى من رؤس الاصابع الى الكتف أسقط ما وراء المرافق اذ جعلها غاية بقوله (الى المرافق) فبقيت داخلة وذلك لان العمل بالاصابع يحتاج الى تحريك الكف التى لا تتحرك غالبا الا بتحريك المرافق ثم أمر بمسح الرأس فقال (وامسحوا برؤسكم) والمسح الاصابة والباء للالصاق أى ألصقوا المسح بالرأس فيكفى فيه أقل ما ينطلق عليه اسم الالصاق وايجاب مسح جميع الوجه فى التيمم لكونه بدلا من غسل جميعه وانما أمر بمسحه لانه جامع للحواس الباطنة فاشبه جامع الحواس الظاهرة وأخره عن غسل اليدين لانه مخزن الصور المدركة بالحواس الظاهرة من أعماله وغيرها ولم يأمر بغسله لانه يضر بصاحب الشعر ولا بدنه فى الزينة سيما للمرأة فاكتفى بالمسح ثم أوجب غسل آلة السعى لمشابهة آلة العمل فقال (وأرجلكم) أى اغسلوها وهو على قراءة النصب وهى قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب ظاهر وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله (الى الكعبين) اذ المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الاسراف فيغسلها فلا يشبه المسح ولما كانت حركتها توجب حركة جميع البدن اقتصر على أدنى الغايات لئلا يبطل فائدة تخصيص الاعضاء وفى الفصل بين المغسولات بالممسوح ايماء الى وجوب الترتيب والسر فيه ما أشرنا اليه (وان كنتم جنبا) بخروج منى أو التقاء ختانين صحيحين مقيمين (فاطهروا) أى بالغ فى تطهير البدن لانه يتلذذ به الجميع تلذذا أعرق فى غير الله فأثر فيه بالحدث (وان كنتم) جنبا (مرضى) تخافون من استعمال الماء بطء البرء أو شينا

(قوله رأس الجبل اذا سقط (قوله تعالى تلظى) تلهب وأصله تتلظى فأسقط احدى التاءين استثقالا لالتهاب فى صدر الكلمة ومثله فانت عنه تلهى وتنزل الملائكة وما أشبهه (تزجر) أى تزجر (قوله تعالى تبت يدا أبى لهب وتب) أى خسرت يدا أبى لهب وقد خسر هو

* (باب التاء المضمومة) *

(قوله تعالى تغمضوا فيه) أى تغمضوا عن عيب فيه أى لستم بآخذى الخبيث

فاحشا على عضو طاهر (أو) كنتم (مسافرا) كبين (على) طهر (سفر أو) محدثين مرضى أو مسافرين بأن (جاء أحد منكم من الغائط) أى رجع من مكان البراز وفى معناه كل خارج من أحد السبيلين أو نقض تحت المعدة مع سد المعتاد (أو لامستم النساء) أى لمستموهن أو لمستكم فانه أقيم مقام خروج الخارج لانه سببه (فلم تجدوا ماء) فى السفر وفى معناه تعذر استعماله لعدم القدرة أو مرض أو برد فى الحضر (فتيمموا) أى اقصدوا (صعيدا طيبا) أى ترابا طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) بانتقال شئ (منه) اليهما تدليلا للعضوين الشريفين وبدلا الرأس اسقاطا وبدل الرجل عرفا واعتبارخص الله لكم فى التيمم لانه (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق فى تحصيل الماء ولا أن يترككم فى الحدث مانعا عن الصلاة (ولكن يريد ليطهركم) ليجعلكم فى حكم الطاهرين بالتدلل بالتراب فانه الرافع للتكبر كما رافع الحدث الذى ينشأ عن أمثاله (وليتم نعمته عليكم) بتمكينكم من عبادته بكل حال حتى حال الحدث (لعلكم تشكرون) هذه النعمة ويستتر بدون النعم الاخر به (واذكروا) مع هذه النعمة (نعمة الله عليكم) بتطييب المأكول والمنكوح والبدن عن الحدث لتزدادوا شكرا فتزدادوا نعما (و) هو اعانتم بالاعمال الظاهرة والباطنة التى سميها (ميثاقه) أى عهده الوثيق (الذى واثقكم به) أى أكد عليكم بقوله (اذ قلتم) لرسوله صلى الله عليه وسلم البارك بمنزلته (سمعنا وأطعنا) حين بايعتموه على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) ان تنقضوا شيأ من عهوده ولو بالقلب (ان الله عليم بذات الصدور) أى بالضمائر المخصوصة به ثم أشار الى أن الوفاء بالميثاق انما يكون بالاستقامة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الاستقامة (كونوا قوامين) أى مبالغين فى الاستقامة باذلين جهدكم فيها (لله) وهى اعانتم بالنظر فى حقوق الله وحقوق خلقه فكونوا (شهداء بالقسط) أى العدل لا تتركوه لمحبة أحد ولا لعداوة أحد وأشار الى ان رعايته فى حق الاعداء أشد فقال (ولا يجرمنكم شنآن) أى لا يحملنكم شدة عداوة (قوم على ألا تعدلوا) فى حقهم فانا لا نأمركم به من حيث ما فيه من توفية حقوق الاعداء بل من حيث ما فيه توفية حقوق أنفسكم فى الاستقامة (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى لحفظ الانفس ان تجاوز حد استقامتها (و) ان لم تتقوا الاعداء فى حقوقهم (اتقوا الله) ان تبطلوا حقوقه أو حقوق عباده ولو نظر فى توهمون فيه العدل (ان الله خبير بما تعملون) ثم انه ان لم يحصل لكم فائدة فى الاستقامة ولا فى العدل سيما فى حق الاعداء كفاكم ما وعده الله من المغفرة والاجر العظيم عليهما اذ قد وعده على ما دونهما فانه (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وان لم يبلغوا حد الاستقامة وكمال العدل المغفرة والاجر العظيم ووعده صدق ولا شك انه يحصل (لهم مغفرة وأجر عظيم) ولو لم تعتقدوا وجوب الاستقامة والعدل ولو فى حق الاعداء اذ تغيروهم على أهل الحرب كنتم فى حكم أهل الحرب

من الاموال بمن لكم قبله حق الا على انما من ومسامحة فلا تؤدوا فى حق الله عز وجل ما لا ترضون مثله من غرمائكم ويقال تغمصوا فيه أى ترخصوا فيه ومنه قول الناس للبائع اغمض وغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر (قوله تعالى يولج الليل فى النهار) أى يدخل هذا فى هذا ما زاد فى واحد نقص من الآخر مثله (قوله عز وجل

لكفركم بآيات الله وتكذيبكم بها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهي أشد من مقاساة تشدائد الاستقامة والعدل وتحمل من ايذائكم للأعداء ثم أشار الى ان الله تعالى لو لم يعد كم المغفرة والاجر العظيم على الاستقامة والعدل والمانية على تركهما لزمكم القيام بهما شكرا له على حفظه اياكم من اعدائكم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ملازمة شكره على ذكر نعمه (اذكروا نعمت الله عليكم) في حفظه اياكم عن اعدائكم (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) ليقتلوكم عند اشتغالكم بصلاة العصر بعدما رأوكم تصلون الظهر تندموا على ان لا أكبوا عليكم (فكف أيديهم عنكم) اذا نزل عليكم صلاة الخوف (واتقوا الله) عند رؤية رخصه أن تتركوا شيأ من الاستقامة المأمورة ترخصا من عند أنفسكم فاقل ما فيه مخوف تسلط الاعداء (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اذا شاروا الى الاستقامة أو العدل أشد فانه الكافي لمن توكل عليه وهو مستقيم على مقتضى الايمان (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أشد مما أخذ عليكم اذا مرهم ان يسيروا الى أريحا من أرض الشام لقتال الكنعانيين واخراجهم (و) لغاية شدته (بعثنا منهم اثني عشر نقيبا) يتوكلون عنهم بالوفاء اذ كان لا يمكن الوفاء به الا بالتوكل الكامل على الله (و) لذلك (قال الله) لهم (اني معكم) فلا يغلبونكم وان بلغوا من العظمة والقوة ما بلغوا لو توكلتم على (و) أنتم مؤمنون مستقيمون فانه يحصل لكم النصر عليهم مع ما أعد لكم على الايمان والطاعات (لئن أقمتم الصلوة) الجامعة عبادة الظاهر والباطن من جميع اجزاء الانسان (وآتيتم الزكوة) المطهرة من حب ما سوى الله (و) أقمتم بجميع الاوامر والنواهي في كل عصر بمقتضاه اذ (آمنتم برسلي و) دللتم على كمال الايمان بهم اذ (عزرتموهم) بالسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره (و) أكملتم سمعكم وطاعتكم في الاموال والانفس اذ (أقرضتم الله) أموالكم وأنفسكم (قرضا حسنا) لا تطلبون فيه ربحا دنيويا من رياء وسمعة (لأكفرن) أي لامحون (عنكم سيئاتكم) أي معاصيكم وهذا دون وعد المغفرة الكلية على مجرد الايمان والاعمال الصالحة (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) وهذا دون وعد الاجر العظيم على مجردهما (فمن كفر) بوعد الله النصر المستلزم للكفر به وبرسله (بعد ذلك) أي بعد قول الله اني معكم (منكم) أيها الذين لم يزالوا يرون آيات الله المتوالية فكأنه الموعود فليس بعجب (فقد ضل سواء السبيل) الموصل اليه والى كل مطلب عال ضلالا يوجب ملازمة الجحيم فسار موسى بهم فلما دنا من أرضهم بعث النقباء يتجسسون ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجساما عظاما فهابوهم وحدثوا قومهم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فنقضوا الميثاق (فبما) أي فبشيء عظيم صدر منهم من (نقضهم ميثاقهم) المؤكد الموعود عليه النصر والمغفرة والاجر العظيم (لعناهم) أي أبعدناهم عن رحمتنا فضلا عن وصول الموعود من أنزلها بقائهم في التيه (و) يدل على لعننا اياهم انا (جعلنا قلوبهم قاسية) لا تلين للجهاد برؤية الآيات والآفات الدالة على غضب الله عليهم وبقيت تلك القساوة واللعنة في ذريتهم

حسن الملى حسن الملت
ويخرج الميت من الحي) أي
يخرج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن وقيل
بعض الحيوانات من النطفة
والبيضة وهما ميتات من
الحي وترزق من تشاء بغير
حساب أي بغير تقدير
وتضييق (قوله تعالى تقاة)
وتقية بمعنى واحد (او لعز
وجل لتبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال) أي تتخذ
لهم مصاف ومعسكرا

لذلك (يحرفون الكلم) أى كلام الله فى التوراة بصرف ألفاظه أو معانيه (عن مواضعه) بمقتضى كمال الحكمة بحيث يعرف الماهر التغيير بمجرد النظر (و) انما اجترؤا على ذلك لانهم (نسوا) وان حفظوا ألفاظها وفهموا معانيها (حظا) كاملا (مما ذكروا به) من زواجر التوراة (ولا تزال تطلع على خائنة) أى خصلة منسوبة الى الخيانة وراء التحريف تجدد (منهم) يتفق عليها جميعهم (الا قليلا منهم) وهم المؤمنون واذا كثر الخائنون منهم وقل امناؤهم فلو نسبت الخيانة اليهم ونفيتها عن القليلين لا يبعد منهم ان يمكروا (فاعف عنهم) ما غيروا من نعتك (واصفح) عما غيروا من أحكام الله تكن محسنا الى من أساء اليك والى الله (ان الله يحب المحسنين) سيما الى المسيئين ولو الى الله ورسوله ونسخ بآية السيف بعد ماعلم انهم لا يتركون اساءتهم بالاحسان وخيف ضررهم ثم أشار الى ان نقض الميثاق قد أثر فى النصارى أكثر مما أثر فى اليهود فضاف مزيد تأثيره فيكم فقال (ومن الذين قالوا انا نصارى) وان لم ينصروا عيسى بعد أخذ الميثاق به عنهم (أخذنا ميثاقهم) ان يحفظوا دينه مع كثرة متشابهات كتابه وزبرناهم بأنواع المواعظ (فنسوا حظا مما ذكروا به) فاختلفوا وانشطر دينه يعقوبية وملكانية فكفر بعضهم بعضا (فأغرينا بينهم العداوة) فى الظاهر (والبغضاء) فى الباطن فحصل لهم مع لعنة الله لعن بعضهم بعضا وقست قلوبهم فلا تلين للاتفاق (الى يوم القيامة) يتعذبون بالقتل والاسر ونهب الاموال فهذا أثر بغضهم فى الدنيا (و) لا يقتصر عليه بل (سوف ينبئهم الله) فى الآخرة وكنى به لو لم يعذبهم (بما كانوا يصنعون) من القاء الشبهات والقتال على الباطل فلو نقضتم الميثاق يخاف عليكم أن يصيبكم فى الدنيا مثل ما أصاب أحد الفريقين وفى الآخرة ملازمة النار ولو زعموا ان أحدا من الفرق لا يقدر على ازالة شبهة الفرقة الاخرى يقال لهم (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) لاقامة الحجج وازالة الشبه عما خفى عليكم أو ظهر لكم ولكنكم تخفونه لئلا تلزموا به فاتاكم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) مما يقيم حجة أو يرفع شبهة (و) مقصوده بذلك اظهار الحق لا كشف فضائحكم لذلك (يعفو عن كثير) ولو لم يكن ما بينه من خفياتكم لوجب قبوله لانه (قد جاءكم من الله نور) من الادلة القطعية والعقلية (وكتاب مبين) لتلك الادلة تأييدا لها باعجازه وليس من اضلال الشيطان اذ (يهدى به الله من اتبع رضوانه) أى طلب الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال التى فيها رضاه لكمالها فى أنفسها (سبل السلام) أى سلامتها عن شوائب الكفر والبدعة (ويخرجهم من الظلمات) اى ظلمات الشبه (الى النور) اى نور الدلائل القطعية (باذنه) اى بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) فلا تميل فى تلك الابواب الى افراط ولا تفريط ثم أشار الى افراط بعض النصارى فى حق عيسى وتفريطهم فى حق الله فقال (لقد كفر الذين قالوا) ان ناسوت عيسى اتحد بلاهوت الله فكأنهم قالوا (ان الله هو المسيح) مع ان المسيح هو (ابن مريم) والله ليس بابن مريم (قل) لو كان عيسى متحدا بالله لكان واجب الوجود لكنه ممكن وكل

(قوله عز وجل تصعدون) الاصعاد الابتداء فى السفر والانحدار الرجوع (قوله عز وجل تبسل نفس) أى ترتهن وتسلم للهلكة (قوله تعالى تشمت بى الاعداء) أى تسرهم والشماتة السرور بمكاره الاعداء (قوله تعالى ترهبون) أى تخيفون (قوله تعالى تفيضون فيه) أى تدفعون فيه بكثرة (قوله تعالى تخرصون) أى تحزرون

ممكن داخل تحت قدرة الله تعالى (فمن يملك) أى يقدر ان يدفع (من) مرادات (الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح) من جهة كونه (ابن مريم و) هو يساوى نبيا (امه ومن فى الارض) وهو يقدر على اهلاكهم (جميعا) فضلا عن آحادهم وكذلك من جهة روحه لان غايتها انها سماوية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) فكل ذلك محل تصرفه بالايجاد والافناء فالله تعالى قادر على افنائهما كما هو قادر على ايجادهما ولكنه (يخلق ما يشاء) مما له ضد فيفنيه به وبما لا ضد له فلا يفنيه عادة لجريان سنته انه لا يفعل شيأ بلا سبب (و) لكن ذلك لا ينافى قدرته اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى انهم كما أفرطوا فى حق عيسى افرط البعض الآخر منهم فى حقه باثبات ابنيته واليهود فى حق عزير باثبات ابنيته وافرطوا فى حق أنفسهم والكل فرطوا فى حق الله تعالى فقال (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله) لانا اتباع ابنيه عزير وعيسى بالحقيقة والتابع فى حكم المتبوع (و) اذ لم نكن ابناء فلا أقل من انا (أحباؤه) لانا احباء ابنيه المحبوبين له ومحبوب المحبوب محبوب سيما اذا كان ابنا محبوب المحب (قل) ان الابن والمحبوب لا يعذبه الوالد والمحب (فلم يعذبكم) بالاسر والقتل والمسخ والنار وان زعمتم أياما معدودة وليس من الابتلاء اذ المحبوب لا يبتلى فهو (بذنوبكم) على ان تابع الابن لا يكون فى حكمه كيف وابنية الله خروج من البشرية ولستم بخارجين منها (بل انتم بشر) غاية ما يمكنكم من الانتقال عنها الانتقال الى الملكية وهى أيضا من الخلقية فانتم (ممن خلق) وابنية الله خروج من الخلقية بالكلية والمخلوق محل مشيئته فلا يتعين فى حقكم الغفران الذى يتعين فى حق الابن بل (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و) كيف تخرجون عن مشيئته مع دخولكم فى ملكه اذ (لله ملك السموات والارض وما بينهما و) لا يعسر عليه تفتيش نيته لبعدكم كما يعسر على بعض الملوك اذ (اليه المصير) اى مصير الكل ثم أشار الى انه لا عذر لهم فى عجزهم عن رد متشابهات كتابهم الى محكمه من اختلافهم فى كيفية الرد فقال (يا أهل الكتاب) العاجزين عن رد متشابهاته الى محكمه (قد جاءكم رسولنا) رده ولا تعذرون فى اختلافكم فى كيفية الرد لانه (يبين لكم) كيفيته وانما يرجى قبول عذركم لو بقيتم (على فترة من الرسل) لكن الله تعالى أزال عذركم بارساله كراهة (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) فى أخذ أحد الطرفين وترك الآخر فان اعتذرتم الآن لم يقبل منكم (فقد جاءكم بشير ونذير) بل لو لم يرسل اليكم كان لازالة عذركم اذ لا يتعذر لازالته ارسال الرسل (والله على كل شئ قدير) لكنه لما كان قطع العذر من أصله بارتفاع الطرق اختاره ثم أشار الى تفريطهم فى أمر الله الوارد على لسان موسى وتفريطهم فى حقه مع حثه اياهم على شكر الله ليسارعوا الى امتثال أمره فقال (واذ قال موسى لقومه يا قوم) ما لكم تفرطون فى أمر الله ولم يفرط فى حقكم (اذكروا نعمة الله عليكم) فوق نعمه على من سواكم (اذ جعل فيكم أنبياء) هم أكمل الخلائق ومكملوهم (وجعلكم) اى بعضكم الذين يجعلون الباقين فى حكم الملوك فكأنه جعل جميعكم (ملوكا) يتقدون أحكامهم (وآتاكم)

(قوله تعالى تتيهون) أى تتحيرون ويقال تحيرون فى الرأى وأصل الفند الخرف يقال أفند الرجل اذا خرف وتغير عقله ولم يحصل كلامه ثم قيل فند الرجل اذا جهل والاصل ذاك (قوله تعالى تسيمون) أى ترعون (قوله عز وجل تبذر تبذيرا) أى تسرف اسرافا (قوله عز وجل تجادل فيهم) أى تخاصم

من الفضائل والعلوم (ما لم يؤت أحدا من العالمين) من أهل عصركم فمقتضى هذه النعم المبادرة الى امتثال أوامر المنعم شكرا له ليزيد كم نعمه (يا قوم) أدعوكم الى ما تستزيدون به النعم (ادخلوا الارض) اى ارض اريحا (المقدسة) بسا كنة من مضى من الانبياء وقد تلوثت الآن بساكنة الاعداء من جبابرة الكنعانيين فاراد تطهيرها باخراجهم واسكانكم لانها (التى كتب الله) اى قدر مصيرها (لكم) لو قاتلتم من فيها (و) قد امركم بذلك أمرا جازما (لا ترتدوا) اى لا ترجعوا عن أمره فترجعوا عن منزلة قربه (على أدباركم) اى ظهوركم فيلحقكم غضبه (فتنقلبوا) اى فترجعوا (خاسرين) لا يبقى لكم مال ولا علم ولا عمل (قالوا يا موسى) نادوه باسمه استهانة له (ان فيها قوما جبارين) اى متغلبين ليس لنا مقاومتهم (وانا) وان وعدنا الله النصر (لن ندخلها) وان حصل لنا فيها ما حصل من المزيد (حتى يخرجوا منها) لرعب يقع فى قلوبهم من غير قتال منا (فان يخرجوا منها) بذلك الرعب (فانا داخلون) لا نبالى بتغليبهم بعد ذلك (قال رجلان) يوشع بن نون وكالب بن يوفنا (من الذين يخافون) الخسران على مخالفة أمر الله وترك الامر بالمعروف ولذلك (أنعم الله) بالنبوة المستدعية لسائر النعم (عليهما ادخلوا) متحزبين (عليهم الباب) فانه يخوفهم (فاذا دخلتموه) بامر الله بعد وعده النصر لكم (فانكم) مع غاية ضعفكم (غالبون) عليهم مع غاية قوتهم (وعلى الله) لا على قوة أنفسكم (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته ووعده النصر (قالوا يا موسى انا) وان وعدتنا النصر وأمرتنا بالتوكل على الله وجزمت تغليبنا عليهم (لن ندخلها أبدا ما داموا فيها) فان كان لربك قدرة على تضعيفهم وتقويتنا ولك اعتماد على تقويته اياك (فاذهب أنت وربك فقاتلا) فانكما تكفيان على قتالهم ولا حاجة لربك بنا فلا ندخل قريتهم ولا نقرب منها بل (انا ههنا) اى فى مكان بعيد عنهم (قاعدون قال رب انى لا أملك) أحدا ألزمه قتالهم (الا نفسى وأخى) اى ومن يؤاخينى ويوافقنى كهرون ويوشع وكالب ويجادلنى غيرهم (فافرق) اى فاحكم بما يميز بين المحق والمبطل لتفرق (بيننا وبين القوم الفاسقين) اى الخارجين عن أمرك (قال) فرق أن أضلهم ظاهرا كما ضلوا باطنا وأخرجهم عما آتيناهم من فوائد علمهم وفضائلهم وممالكهم كما خرجوا عن أمرى حتى أخرجهم عن أرضهم الموعودة لهم (فانها محرمة عليهم أربعين سنة) أربع عشرات اكل اعداد الافراد المكررة تكرار ابلغ عدده العشرة لاشتماله على واحد واثنين وثلاثة وأربعة ضالين خارجين عن ملككم وعن الملك الموعود لهم اذ (يتيهون) اى يترددون (فى الارض) التى اختاروا القعود فيها غير أرضهم وأرض عدوهم وهى ستة فراسخ يسيرون فيها من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا منه لا لذة ولا فرح لهم وان كان الغمام من الشمس يظلهم وعمود من النور يضىء بالليل لهم ومعاشهم من المن والسلوى ومأؤهم من الحجر الذى يحملونه واذا رأيتهم فى التيه لا يلتذون بشئ مما ذكر (فلا تأس) اى تحزن (على القوم الفاسقين) الخارجين عن أمرنا وأمرك فلا تشفع لهم وكان معهم موسى وهرون ويوشع وكالب غير انهم لا يتعذبون بل يتلذذون وكفى به

(قوله ترهقنى) تغشى
(قوله تصنع على عينى) اى
تربى وتغذى بمرأى منى
(قوله لا اشكال الى غيرى (قوله
تخبت له قلوبهم) اى تخضع
وتطمئن والخبت المكان الخاضع
المطمئن الى ما هى اليه
والخبت المطمئن من
الارض (قوله تستعرون)
تخدعون (قوله عزوجل
تلهيهم تجارة) اى تشغلهم
يقال الهانى عن اشتغالى
عنه (قوله تقعوا) اى
تعادوا (قوله تعالى تكن
صدورهم) اى تخفى

اى الكف من يمينهما ما أطلق عليه اليد اقيامها بنا نفعها أوجبها الان اليمين اقوى فاقامة مقام اليدين واتماما امر بقطعها (جزاء بما كسبا) بقطع الآلة الكاسبة (نكالا) اى عقوبة (من الله) على فعل السرقة المنهى عنه من جهته لا في مقابلة اتلاف المال فانه غير السرقة فاذلك لا يسقط بعفو المالك بخلاف العفو عن المال ولا يبالى فيه لعزة السارق (والله عزيز) لا يبالى مع عزته المرجبة لامتثال أمره عزة من دونه وكيف يخالف أمره وهو (حكيم) يختل أمر نظام العالم عند الله أمر اده فيه بفع عام للخلائق ولا يفيد في مقابلة ضرر السارق على ان له فيه نفعا لانه يكون سببا للتوبة (فمن تاب) اى رجع الى الله ولو (من بعد ظلمه) بمثل هذا الظلم العظيم (وأصلح) بالخروج عن التبعات (فان الله يتوب عليه) اى يرجع عليه بالتوفيق للخيرات (ان الله غفور رحيم) ولا يستبعد من الله ذلك اذ له التصرف الكامل في الكل (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) يتصرف فيهما بالاصلاح والخذلان لانه لا اراد ظهوره بالجلال والجمال على وجه الكمال (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) لا مانع له من الظهور بالجمال بعد الظهور بالجلال وبالعكس اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى المذكور في حق السعاة بالفساد في الارض وفي معناهم الزناة وفي حق السراق حدود الله وحق الرسول ان يقيمها من غير مبالاة بكفر من يسارع الى الكفر بها فقال (يا أيها الرسول) الذي شأنه القيام بامر المرسل من غير مبالاة أحد (لا يحزنك الذين يسارعون) الى الوقوع (في الكفر) بما فيهم من الحدود (من) المنافقين (الذين قالوا آمنا بافواههم) وليست متعلق الايمان (ولم تؤمن قلوبهم) وهي متعلق الايمان فغايتهم انهم يكفرون باللسان أيضا للاشتغال مع سبق كفرهم (ومن) سوام (الذين هادوا) روى ان شريفين محصنين زنيا فنكره رجمهما فارسلوهما مع رهط الى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم اى تسخيم الوجه بالفحم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فجعل عليه السلام عبد الله بن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه فهل تجد فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خشيت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر عليه السلام برجمهما فرجما عند باب المسجد وكيف يحزنك قولهم وغايتهم انهم (سماعون للكذب) اى المحكم الكذب ممن يفترى مثل فلان ترددوا في قولهم لظهور العداوة بينك وبينهم فهم (سماعون لقوم آخرين) اى لقول قوم آخرين لا يأتوهم ومن فيهم عداوتك لانهم (لم يأتوك) فلا يعلمون انهم من شدة عداوتهم لك (يحرفون الكلم) اى كلم التوراة في الاحكام (من بعد مواضعه) كما فعلوا في نعوتك (يقولون) لمن أرسلوه اليك من عوامهم (ان أوتيتم هذا) الذي نقول لكم (فخذوه) أى فاقبلوه (وان لم تؤتوه فاحذروا) من قبوله وقد ظهر كذبهم من قول عبد الله بن صوريا فكان يسعهم الرجوع عنه بعد ظهوره ولكن أراد الله فتنتهم بالتعذيب الابدى (ومن

(قوله عز وجل ويتلاق) (قوله عز وجل تورون) اى تستخرجون النار بقدحكم من الزنود
(قوله عز وجل تدهن) تنافق والادهان النفاق وترك المناصحة والصدق
(قوله عز وجل تراث) اى ميراث

(باب التاء المكسورة)

(قوله عز وجل تلقاء اصحاب النار) اى تجاه اهل النار وتجاه اهل النار وكذلك تلقاء مدين تجاه مدين وقوله من تلقاء نفسي اى من عند نفسي
(قوله عز وجل تبيان) أى تفعال من البيان

يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) في دفعها وهي انما تندفع بطهارة القلب في الدنيا ولكن (اولئك) البعداء في الضلال بعد ظهور تركهم (الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) فكيف تندفع عنهم فتنة الله بالتعذيب الابدي بل (لهم في الدنيا خزي) أي هوان بأخذ الجزية صاغرين لاستكبارهم على الله (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وكيف لا يعظم عذابهم وهم (سماعون للكذب) بعد ظهور تركهم مع انهم قد علموا من المخبرين انهم (اكالون للسحت) على تحريف الكتاب (فان جاؤك) اي السماعون للكذب من اكالهم السحت (فاحكم بينهم) ان شئت لانهم اتخذوك حكما (او اعرض عنهم) لانهم يسارعون الى الكفر بحكمك (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) نسبة الجهل اليك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذي في كتابهم وكتابك لا بما سمعوا من الكذب من أكلة السحت ولا تتق منهم لان الله تعالى يدفعها عنك (ان الله يحب المقسطين) وهذا التخيير في أهل الحرب وأما أهل الذمة فيجب الحكم لالتزامهم احكامنا (وكيف يحكمونك) أي كيف يسألونك الحاكم في حد الزاني المحصن (وعندهم) لا عندك (التوراة فيها) لا في غيرها في زعمهم (حكم الله) العدل (ثم) كيف (يتولون) عن حكمك (من بعد ذلك) الانقياد المشعر بتجويزهم النسخ (و) اذا لم ينقادوا لحكم التوراة ولا لحكمك علم انه (ما اولئك بالمؤمنين) بالتوراة ولا بك لان عدم انقيادهم لم يكن مع الاقرار بحكمها بل مع الانكار لما في التوراة أيضا ولا وجه له لانه انما ينكر الشيء اما لانه لم ينزل من الله أو لانه لا دليل فيه أو لوجود الشبهة أو لمخالفته جمهور العقلاء أو لاختصاصه بطائفة دون اخرى ولم يكن في التوراة شيء من ذلك (انا انزلنا التوراة فيها هدى) ذكر الدلائل (ونور) رفع الشبه (يحكم بها النبيون) الذين هم أعقل الناس (الذين أسلموا) أي انقادوا لحكم التوراة لا الذين نسخوا بعض أحكامها (للذين هادوا) لا لمن يأتي بعدهم (و) لم يختص به الانبياء بل يحكم به (الربانيون) اي الاولياء (والاحبار) اي العلماء ولم يكن حكمهم بآرائهم بل (بما استحفظوا) أي أمروا بحفظه من التحريف لكونه (من كتاب الله) وكيف يحرفونه (وكانوا) مانعين من التحريف اذ كانوا (عليه شهداء) فان انكرتم ما اتفق عليه هؤلاء من خشية الناس (فلا تخشوا الناس واخشون) ليس خشية الناس الا من فوات رشا (ولا تشتروا) اي لا تستبدلوا (بآياتي ثمنا قليلا) احكموا بالمحرف على انه حكم الله (ومن لم يحكم بما انزل الله) وحكم بالمحرف على انه الذي انزله الله (فاولئك هم الكافرون) وقد حكموا بخلاف ما انزل الله اذا أخذوا بقتل واحد من بني النضير على بني قريظة دية اثنين وهي كقتل اثنين بواحد وواحد من بني قريظة لاثنين من بني النضير (و) قد (كتبنا عليهم فيها) اي في التوراة (ان النفس بالنفس) فلا تعتبر بها دية الواحدة (والعين بالعين) ولا ينافي في الانف (و) لذا أخذوا (الانف بالانف) مع اتيانه في الاذن والسن أخذوا (الاذن بالاذن والسن بالسن) لم يوسعوا الجروح على المفعول بل قالوا (والجروح

قال ابو محمد ليس في الكلام مصدر على وزن تفعال مكسور التاء الا حرفان وهما تبيان وتلقاء فانهما مصدران جاءا بكسر التاء واما الاسماء التي ليست بمصادر على هذا الوزن نحو تمثال وتجفاف وتبراك اسم موضع فهي مكسورة التاء وسائر المصادر ما يجيء على هذا المثال فهو مفتوح التاء نحو تهماء وترماء وما أشبه ذلك

قوله قال ابو محمد الى قوله وما أشبه ذلك كتب عليه في النسخة التي بايدينا ليس من الاصل اه مصحح

اى الكف من حيث ما أطلق عليها اليد اقيامها بمنافعها او جمعها لان اليمين لقوتها اقامة مقام اليدين واتما امر بقطعها (جزاء بما كسبا) بقطع الآلة الكاسبة (نكالا) اى عقوبة (من الله) على فعل السرقة المنهى عنه من جهته لا في مقابلة اتلاف المال فانه غير السرقة فلذلك لا يسقط بعفو المالك بخلاف العفو عن المال ولا يبالى فيه لعزة السارق (والله عزيز) لا يبالى مع عزته الموجبة لامتثال أمره عزة من دونه وكيف يخالف أمره وهو (حكيم) يختل أمر نظام العالم بمخالفة أمره اذ فيه نفع عام للخلائق ولا يفيد في مقابلة ضرر السارق على ان له فيه نفعا لانه يكون سببا للتوبة (فمن تاب) اى رجع الى الله (من بعد ظلمه) بمثل هذا الظلم العظيم (وأصلح) بالخروج من التبعات (فان الله يتوب عليه) اى يرجع عليه بالتوفيق للمبرات (ان الله غفور رحيم) ولا يستبعد من الله له ذلك اذ له التصرف الكامل في الكل (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) يتصرف فيهما بالاصلاح والخذلان لانه لا راد لظهوره بالجلال والجمال على وجه الكمال (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) لا مانع له من الظهور بالجمال بعد الظهور بالجلال وبالعكس اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى ان المذكور في حق السعاة بالفساد في الارض وفي معناهم الزناة وفي حق السراق حدود الله وحق الرسول ان يقيمها من غير مبالاة بكفر من يسارع الى الكفر به فقال (يا أيها الرسول) الذى شأنه القيام بامر المرسل من غير مبالاة أحد (لا يحزنك الذين يسارعون) الى الوقوع (فى الكفر) بما فيهم من الحدود (من) المنافقين (الذين قالوا آمنا بافواههم) وليست متعلق الايمان (ولم تؤمن قلوبهم) وهى متعلق الايمان فغايتهم انهم يكفرون باللسان أيضا للانتقال مع سبق كفرهم (ومن) عوام (الذين هادوا) روى ان شريفين محصنين زنيا فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط الى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم اى تسخيم الوجه بالفحم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فجعل عليه السلام عبد الله بن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه فهل تجد فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر عليه السلام برجمهما فرجما عند باب المسجد وكيف يحزنك قولهم وغايتهم انهم (سماعون للكذب) اى للحكم الكذب عمن يقرب منك فان ترددوا في قولهم لظهور العداوة بينك وبينهم فهم (سماعون لقوم آخرين) اى لقول قوم آخرين لا يتوهمون فيهم عداوتك لانهم (لم يأتوك) فلا يعلمون انهم من شدة عداوتهم لك (يحرفون الكلم) اى كلم التوراة فى الاحكام (من بعد مواضعه) كما فعلوا فى نعوتك (يقولون) لمن أرسلوه اليك من عوامهم (ان أوتيتم هذا) الذى نقول لكم (فخذوه) أى فاقبلوه (وان لم تؤتوه فاحذروا) من قبوله وقد ظهر كذبهم من قول عبد الله بن صوريا فكان حقهم الرجوع عنه بعد ظهوره لكن أراد الله فتنتهم بالتعذيب الابدى (ومن

ويتلاق (قوله عز وجل تنصرون) اى تنصرون من الزنود النار بقدحكم (قوله عز وجل تدهن) ... تناق والادهان التملق وترك المناصحة والصدق (قوله عز وجل تراث) اى ميراث

• (باب التاء المكسورة) •

(قوله عز وجل تلقاء اصحاب النار) اى تجاه اهل النار وكذلك تلقاء وجهه وتلقاء مدين تجاه مدين وقوله من تلقاء نفسى اى من عند نفسى (قوله عز وجل تبيان) أى تفعال من البيان

يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ) في دفعها وهي انما تندفع بطهارة القلب في الدنيا ولكن (أولئك) البعداء في الضلال بعد ظهور كذبهم (الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) فكيف تندفع عنهم فتنة الله بالتعذيب الابدي بل (لهم في الدنيا خزي) أي هوان بأخذ الجزية صاغرين لاستكبارهم على الله (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وكيف لا يعظم عذابهم وهم (سماعون للكذب) بعد ظهور كذبه مع انهم قد علموا من المخبرين انهم (أكالون للسحت) على تحريف الكتاب (فان جاؤك) أي السماعون للكذب من أكلهم السحت (فاحكم بينهم) ان شئت لانهم اتخذوك حكما (أو أعرض عنهم) لانهم يسارعون الى الكفر بحكمك (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) بنسبة الجهل اليك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذي في كتابهم وكتابك لاباحتهم من الكذب من أكلة السحت ولا تتق تهمتهم لك لان الله تعالى يدفعها عنك (ان الله يحب المقسطين) وهذا التخيير في أهل الحرب وأما أهل الذمة فيجب الحكم لالتزامهم احكامنا (وكيف يحكمونك) أي كيف يجعلونك الحاكم في حد الزاني المحصن (وعندهم) لا عندك (التوراة فيها) لا في غيرها في زعمهم (حكم الله) بالعدل (ثم) كيف (يتولون) عن حكمك (من بعد ذلك) الانقياد لك المشعر بتجويزهم النسخ (و) اذا لم ينقادوا لحكم التوراة ولا لحكمك مع أنه (ما أولئك بالمؤمنين) بالتوراة ولا بك لان عدم انقيادهم لم يكن مع الاقرار بحكمه ما بل مع الانكار لما في التوراة أيضا ولا وجه له لانه انما ينكر الشيء اما لانه لم ينزل من الله أو لانه لا دليل فيه أو لوجود الشبهة أو لمخالفة جمهور العقلاء أو لاختصاصه بطائفة دون اخرى ولم يكن في التوراة شيء من ذلك (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) ذكر الدلائل (ونور) رفع الشبه (يحكم بها النبيون) الذين هم أعقل الناس (الذين أسلموا) أي انقادوا لحكم التوراة لا الذين نسخوا بعض أحكامها (للذين هادوا) لا لمن يأتي بعدهم (و) لم يختص به الانبياء بل يحكم به (الربانيون) اي الاولياء (والاحبار) اي العلماء ولم يكن حكمهم بما حرفوه بل (بما استحفظوا) اي أمروا بحفظه عن التحريف لكونه (من كتاب الله) وكيف يحرفونه (وكانوا) مانعين من التحريف اذ كانوا (عليه شهداء) فان انكرتم ما اتفق عليه هؤلاء من خشية الناس (فلا تخشوا الناس واخشون) ليس خشية الناس الا من فوات الرشا (ولا تشتروا) اي لا تستبدلوا (بآياتي ثمنا قليلا) لتحكموا بالمحرف على انه حكم الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) وحكم بالمحرف على انه الذي أنزله الله (فأولئك هم الكافرون) وقد حكموا بخلاف ما أنزل الله اذ أخذوا بقتل واحد من بني النضير على بني قريظة دية اثنين وهي كقتل اثنين بواحد وقد أعطوا عن بني قريظة دية من بني النضير (و) قد (كتبنا عليهم فيها) اي في التوراة (ان النفس بالنفس) فديتها دية الواحدة (والعين بالعين) ولا ينافي في الانف (و) لذلك أخذوا (الانف بالانف و) مع اتيانه في الاذن والسن أخذوا (الاذن بالاذن والسن بالسن و) لم يوسعوا المجروح على المفضول بل قالوا (الجروح

قال ابو محمد ليس في الكلام مصدر على وزن تفعال مكسور التاء الا حرفان وهما تبيان وتلقاء فانهما مصدران جاآ بكسر التاء واما الاسماء التي ليست بمصادر على هذا الوزن فتمثال وتجفاف وتبراك اسم موضع فهي مكسورة التاء وسائر المصادر مما يجيء على هذا المثال فهو مفتوح التاء نحو تمشاء وترماء وما أشبه ذلك

قوله قال ابو محمد الى قوله وما أشبه ذلك كتب عليه في النسخة التي بايدينا ليس من الاصل اه مصحح

قصاص) على ان الفضل غير منضبط بالنسب بل فضل الفاضل معفو عنه كأنه متصدق به
(فمن تصدق به) نعفا عن الجانى (فهو كفارة له) اى لذنوب المجنى عليه كما يمحى ذنوب الجانى
فى حق نفسه فهذا مما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) بل أخذ الزائد من المفضول للفاضل
(فأولئك) وان راعوا الفضل (هم الظالمون) لانهم حكموا بخلاف حكم الله العدل (وقفينا)
اى اتبعنا هؤلاء الظالمين غالبا (على آثارهم) لرفع تلك الآثار الظالمة (بعيسى) لا على أنه
يحكم بخلاف حكم الله بل على انه موصوف بوصف (ابن مريم) وهو وان نسخ بعض أحكام
التوراة كان (مصدقا لما بين يديه) اى للحكم السابق عليه (من التوراة) بانه حكم الله فى ذلك
العصر (و) انما لم يحكم بما فيها لانا (آتيناه الانجيل) وهو مثل التوراة من حيث ما (فيه
هدى ونور و) لم يكن نسخه تكذيبا لها بل كان (مصدقا لما بين يديه) اى للحكم الذى نزل
قبله من حيث انه كان حكما قبله (من التوراة) حين لم ينسخ ولم يبق حكما حين نسخ (و) كان
(هدى) الى مصالح أهل كل زمان علم به ان المصلحة كانت فى زمن موسى الحكم بما
فى التوراة وفى زمن عيسى الحكم بما فى الانجيل هذا باعتبار المعاش (و) كان اختلاف
الحكم (موعظة) نافعة (للمتقين) بان أمر الدنيا ينعكس فى الآخرة بمقتضى اختلاف الزمان
كما اختلفت الاحكام فى الدنيا باختلاف الازمنة (و) لم يكن الحكم بالانجيل مخصوصا بعيسى
بل (ليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) لا بما فى التوراة وان تساويا فى الهدى ولكنه لم
يبق هدى بعد النسخ حتى صار الحاكم به حاكما بخلاف ما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله)
على رسوله فانهم وان حكموا بما أنزل الله على من قبله (فأولئك هم الفاسقون) اى الخارجون
عن حكم الله اذ لا عبرة بالمنسوخ ثم أشار الى ان الانجيل وان نسخ التوراة فهو منسوخ بكتابك
كالتوراة فى بعض الاحكام التى لم تنسخ فى الانجيل فقال (وأنزلنا) من مقام عظمتنا (اليك)
يا أكمل الرسل (الكتاب) الكامل الذى لا يستحق غيره ان يسمى كتابا (بالحق) اى بالحكم
الثابت الذى لا ينسخ بكتاب بعده الى يوم القيامة لاشتماله على مصالح زمانك ومصالح الازمنة
الآتية الى يوم القيامة ولكن لم يبطل مصالحه مصالح التوراة والانجيل فيما تقدم بل كان
(مصدقا لما بين يديه من) مصالح (الكتاب) السابق عليه (و) لم يعلم صدق هذا الكتاب من
موافقة تلك الكتب حتى يدل نسخه لها على كذبه بل كان هذا (مهيمنا عليه) اى شاهدا على
صدقه لاعجازه دونها واذا كان حكمه ثابتا الى يوم القيامة ولم يبق مصالح الكتابين مصالح
فى هذا العصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) اليك (ولا تتبع) ما فى كتبهم اذ صارت بعد النسخ
أحكامها (أهواءهم) تصرفك (عما جاءك من الحق) الذى لا ينسخ وانما صارت الآن
أهواءهم اذ (لكل) من أهل عصر (جعلنا منكم شرعة) اى طريقة موصلة الى الله
(ومنهاجا) اى طريقا واضحا الى مصالحهم (و) ليس هذا بطريق البداء بل بطريق
الابتلاء فانه (لو شاء الله لجعلكم) يا أهل الاعصار (أمة واحدة) متفقة على ملة (ولكن)
جعلكم أمما مختلفة (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تتركون ما ألفتم منها الى

(قوله عز وجل تسع آيات بينات) خروج يده بيضاء من غير سوء أى من غير برص والعصا والسنون ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

(قوله عز وجل والتين والزيتون) هما جبلان بالشام ينبتان التين والزيتون يقال لهما طور سينا وطور زيتا بالسريانية ويروى عن

أحدث بعدها أم لا ولم يفعل ذلك بطريق التحكم بل راعى فيها مصالح الازمنة (فاستبقوا) اى فابتدروا الشرائع (الخيرات) بلا تردد من جهة ترك المألوفات ولا عسر فى ترك المألوفات من حيث اختصاصها بالايصال الى الله دون المتجددة بل (الى الله مرجعكم جميعا) لايصال الشرائع كلها اليه مادامت باقية وأنتم وان جهلتم فوائد تلك الشرائع الآن فاذا رجعتم الى الله (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) اى بفوائد كل شريعة فى عصرها (و) ليجعل بعضها أكمل من بعض حتى يكون غاية الكمال لك بأمرك (أن احكم بينهم بما أنزل الله) اليك وان خالف ما ألفوه (و) ليقول لك (لا تتبع أهواءهم) اذ لم يبق لها كمال بعد ظهور شرعك (و) لغلبة الاهواء الفاسدة التى لا توافق ما أنزل اليك ولا بما أنزل اليهم (احذرهم أن يفتنوك) بالاطماع فى ايمانهم المطمع فى ايمان اتباعهم فيصرفوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) فى كتابك وكتابهم فى الحكم لاجابتهم على خصمائهم على خلاف المنزل روى ان بعض أحبارهم قالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وان اتبعناك اتبعك اليهود وان بيننا وبين قومنا خصومة فتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم فنصدقك فأنزل الله عز وجل هذه الآية (فان تولوا) عن الايمان لتوليك عن فتنتهم (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم) بالاهلاك الكلى (ببعض ذنوبهم) وهو أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ولاهلاكهم دينهم بتحريف كتابهم (وان كثيرا من الناس) وان لم يحرفوا كتابهم (لفاسقون) أى خارجون عن حكمه كتفضيلهم بنى النضير على بنى قريظة فى باب القتل وهؤلاء فى طلب الحكم منك مثلهم (أ) يفتنونك عن بعض ما أنزل الله (فحكم الجاهلية يبغون) منك كأنهم يرونه أحسن الاحكام (ومن أحسن من الله حكما) وان خالف اهواء المحكوم عليه لكنه أحسن (لقوم يوقنون) أى ينظرون بنظر اليقين الى العواقب (يا أيها الذين آمنوا) اذا كان تودد أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد افتتانه عن بعض ما أنزل الله مع غاية كماله فكيف حال من يتودد اليهم من المؤمنين (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) كيف وهى بالموافقة من كل وجه فلا تكون مع مخالفة الدين الموجبة أشد العداوة لذلك (بعضهم أولياء بعض) للموافقة من جميع الوجوه (ومن يتولهم منكم فانه) وان زعم انه مخالف لهم فى الدين فهو بدلالة الحال (منهم) لدلالتها على كمال الموافقة ولا يكون توليهم للاستهداء بما يصح منهم لانهم ظالمون بالتحريف فلو لم يحرفوا فالموالون لهم ظالمون بموالاتهم بعد النهى عنها فليسوا بقابلين للهداية (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) واذا بطل عذر الاستهداء فى موالاتهم ظهر المقصود من موالاتهم وهو السلامة من شرهم عند غلبتهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى شك فى وعد الله لاظهار دينه (يسارعون فيهم) أى فى مودتهم دفعا لشرهم عند غلبتهم من غير نظر فيما يلحقهم من الضرر فى دين الله والفضيحة بالنفاق (يقولون) فى عذرهم (نخشى أن تصيبنا دائرة) من الفلك

مجاهد نه قال تنكم الذى تا كارت وزينتكم الذى تدعون

(باب الثاء المثلثة)

(قوله عز وجل ثواب) أجر على العمل (قوله عز وجل تثقفنهم) أى ظفرتم بهم (قوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض) يعنى الساعة اى خفى علمها عن اهل السموات والارض واذا خفى الشئ ثقل (قوله عز وجل فثبطهم) أى حبسهم يقال ثبطه عن

فتكون الدولة لهم فنحن نحفظ من شرهم ولا يتفكرون فى ان الدائرة ربما تصيب من
يوالونهم من أهل الكتاب (فعسى الله) أى قرب ربه (أن يأتى بالفتح) أى النصر
للمؤمنين على أهل الكتاب (أو أمر من عنده) أو يأتيهم بآفة سماوية تهلكهم (فيصبحوا)
أى المنافقون (على ما أسروا فى أنفسهم) من الشك فى ظهور الاسلام (نادمين)
لافتضاحهم بالنفاق مع الفريقين (و) ذلك لانه (يقول الذين آمنوا) لليهود عند تباعد
المنافقين عنهم (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) وقد تباعدوا عنكم
فيظهر انهم لم يكونوا مع المؤمنين ولا مع اليهود فيتحقق انه (حبطت أعمالهم) من ترددهم
فى دين الاسلام ودين اليهود جميعا (فأصبحوا خاسرين) فى الدنيا اذ ظهر نفاقهم عند الكل
وفى الآخرة اذ ليس لهم ثواب لا على تقدير صحة دين الاسلام ولا على تقدير صحة دين اليهود
ثم أشار الى انه عز وجل كما لا يهلك هذا الدين بدائرة لا يهلك بارتداد ظاهر فضلا عن النفاق
فقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) لم يكن ارتداده سبب هلاك هذا الدين
(فسوف يأتى الله) لاظهاره (بقوم) من أهل الكمال بحيث (يحبهم) قيل معنى محبة الله
ثناؤه ورضاه وتوفيقه وانعامه (ويحبونه) اذ يرون كمالاتهم منه ومعنى محبة العبد ايثار
جنابه على ما سواه والمسارعة الى طاعته وطلب مرضاته وفيه اشارة الى أن من ارتد فانما
ارتد لبغض الله اياه لمحبته لما سواه (أذلة على المؤمنين) الذين يتذللون له من افراط محبتهم له
فيحبون محبيه ويتذللون لهم (أعزة على الكافرين) المستكبرين على الله كسرا لتكبرهم
الذى هو سبب عداوتهم له ويبالغون فى كسره عليهم اذ (يجاهدون فى سبيل الله) فيضربون
رقابهم ويأسرون أهليهم وأولادهم وينهبون أموالهم (ولا يخافون لومة لائم) فى الجهاد
بأنه القاء النفس فى التهلكة أو قطع رحم الآباء والاولاد والاقارب والمرتدون يتذللون
عند الفريقين ويجبنون عن الجهاد ويخافون لوم الكفرة (ذلك) المذكور من حب
الله اياهم وحبهم له وذلتهم للمؤمنين وعزتهم على الكافرين وجهادهم فى سبيل الله وعدم
مبالاتهم للوم اللوام (فضل الله) الذى فضل به أولياءه أما المحبتان فظاهر وكذا العزة على
الكفار والجهاد وأما الذلة على المؤمنين فلانه تواضع موجب للرفع وأما عدم خوف
الملامة فلما نشأ من تحقق المودة مع الله (يؤتيه من يشاء) ممن يريد به مزيد اكرام من
سعة جوده كيف (والله واسع) جوده لكنه لا يجود بهذه الفضائل على كل أحد لانه
(عليم) وقد علم ان هؤلاء أحق بالمزيد لما نهى عن موالاة اليهود والنصارى أشار الى من
يتعين للموالاة فقال (انما وليكم الله) المفيض عليكم كل خير (ورسوله) الذى هو واسطة
الفيض (والذين آمنوا) المعينون فى موالاة الله ورسوله بأفعالهم لانهم (الذين يقيمون
الصلوة) التى هى أجمع العبادات البدنية (ويؤتون الزكوة) القاطعة محبة المال الجالب
للشهوات (وهم راكعون) أى متذللون غير معجبين فانهم مؤتزرفين بواليهم بالعون
فى موالاة الله ورسوله (و) لا ينبغى لمن يواليهم ان يخاف شر الفريقين فان (من يتول الله) المفيض

(قوله الامر اذ حبسه عنه) (قوله تعالى ثمود) فعول من الثمد وهو الماء القليل ومن جعله اسم قبيلة أو أرض لم يصرفه ومن جعله اسم حى أو أب صرفه لانه مذكر (قوله عز وجل الثرى) ى التراب الندى وهو الذى تحت الظاهر من وجه الارض (ثانى عطفه) أى عادلا جانبه والعطف الجانب يعنى معرضا متكبرا أو لعز وجل ثاويا) أى مقيما (قوله تعالى ثلاث عورات)

بالقوة والنصر (ورسوله) المستفيض منه لهما (والذين آمنوا) الموعود لهم بهما كان من حزب الله وهو وان صار مغلوبا احيانا فله عاقبة الغلبة له (فان حزب الله هم الغالبون) في العاقبة ثم أشار الى أن موالاة غيرهم ان كانت لجلب نفع فضررها أعظم وان كانت لدفع شر رفع الضرر الحاصل بها الابقي بالمدفوع فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظا لعظم دينكم ولا تحفظا في موالاة غير من ذكر (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) الذي هو رأس مال كمالاتكم الذي به انتظام معاشكم ومعادكم وهو مناط سعاداتكم الابدية وسبب قربكم من ربكم ومواصلته (هزوا) أى شيأ مستخفا (و) بالغوا في الاستخفاف به حتى اعتبروه قول أهله (لعبا) وذلك مما يخاف سريانه الى من يواليهم لكونه (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) مع ان الواجب ان لا يبالى بهم لان وجوده منهم (و) من (الكفار) بالسوية من حيث انه لا يستند الى دليل ومع ذلك يخاف سريانه الى من يواليهم من العوام فلا تتخذوهم (أولياء) ان اعتقدتم انكم لا تتأثرون بهم (واتقوا الله) ان يؤثر فيكم عوالاتهم التى نهى عنها (ان كنتم مؤمنين) بأن مخالفته موجبة لتأثير ما يضر (و) ان كان مما لا ينبغي ان يؤثر في العقلاء كأنكم (اذا ناديتم الى الصلوة) التى هى أكمل القربات نداء راعيتم فيه المعالى الشريفة من تعظيم الله باعتبار ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومن ذكر توحيده باعتبار ذاته وباعتبار عدم مغايرة أسمائه وصفاته ومن تعظيم رسوله باعتبار قيامه بمصالح المعاش والمعاد ومن الصلاة من حيث هى وصلة ما بين العبد وبين الله ومن حيث افادتها معالى الدرجات ومن تعظيم مقصده وهو الفلاح فى الظاهر والباطن وما هو غاية مقصده من القرب من الله باعتبار عامة ظاهره وباطنه ومن الوصول الى توحيده الحقيقى (اتخذوها هزوا ولعبا) يقولون من أين لك صياح كصياح العير (ذلك) الاستهزاء بمثل هذه الامور (بأنهم قوم لا يعقلون) فكيف يبالى به وان كان من أهل الكتاب (قل يا أهل الكتاب) العالمين بالنقائص والكمالات التى يستحق على تحققها او فقدها الاستهزاء (هل تنقمون) أى تعيبون بالاستهزاء (منا) لنقص فينا او كمال فيكم فقدناه (الا أن آمنا بالله) وهو رأس الكمالات (وما أنزل الينا) وهو أصل الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات (وما أنزل من قبل) وهو يشهد لما أنزل علينا فجعلتم هذه الامور نقائص موجبة للاستهزاء (وأن أكثركم فاسقون) أى خارجون عن جميع ما ذكر لدعوة الولد والاتحاد بعيسى أو كونه ثالث ثلاثة وكفركم بما أنزل الينا وتحريفكم لما أنزل اليكم فجعلتم هذه الامور كمالات يستهزئ من اتصف بها عن فاتته وهذا الانتقام بالحقيقة مقلوب عليكم (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) الانتقام الذى لنا أن ننتقم به منكم ان انتقمتم به منا (مثوبة) أى انتقاما نافعا منكم ثابتا (عند الله) غير قابل للقلب علينا مثوبة (من لعنه الله) أى أبعده من رحمته منكم (و) لم يقتصر عليه بل (غضب) مع ذلك (عليه) فأعدله العذاب الشديد الخالد (و) لم يقتصر عليه بل عذبهم فى الدنيا ايضا بالمسخ اذ (جعل منهم القردة

أى ثلاثة أوقات من أوقات العورة (قوله عز وجل ثلاث) أى مضى (قوله تعالى نجاجا) أى متدفقا ويقال نجاجا سيالا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أحب الاعمال الى الله عز وجل العج والثج فالعج التلبية والثج اسالة الدماء من الذبح والنحر

(باب الثاء المضمومة)

(قوله عز وجل ثبات) أى جماعات فى تفرقة أى حلقة حلقة كل جماعة منهم ثبة

والخنازير) وهم أصحاب السبت والمائدة (و) جعل منهم (عبد الطاغوت) أى عباد العجل
فمن ان كان شرا عبادكم فلا شك ان (أولئك) البعداء فى مراتب الشر (شر مكانا) أى منزلة
منا كيف (و) هم (أضل عن سواء السبيل) الموصل الى الخير (و) من علامات كمال شرهم
وضلالهم انهم (اذا جاؤكم قالوا آمنا) اظهارا للايمان أول النهار والكفر آخره للتشكيك
على المسلمين (وقد دخلوا بالكفر) من قصد التشكيك على المسلمين (وهم قد خرجوا به)
مستمرين عليه فان كان هذا الدين باطلا عندهم فالهم تلبسوا به وان كان حقا فالهم
يلبسون على المسلمين وهذا الشر والضلال مما يدل عليه ظاهرهم (والله أعلم بما كانوا
يكتمون) مما يوجب تجاوزهم نهاية الشر والضلال (و) من دلائل الشر والضلال فيهم أنك
(ترى كثيرا منهم يسارعون) من غير مبالاة من الله ولا من الناس مستغرقين (فى الاثم) أى
المعصية المخصوصة بأنفسهم (و) لا يقتصرون عليه بل يسارعون فى (العدوان) أى الظلم
ايضا لاجل أنفسهم (و) لاجل غيرهم من (أكلهم السحت) أى الرشوة (لبئس ما كانوا
يعملون) من الجمع بين الكفر والتلبيس على المؤمنين وبين المعاصى المخصوصة والمظالم من
أجل أنفسهم ومن أجل من أكل منهم الرشوة ولا يختص هذا بجهالهم وحكامهم وابناء
الدنيا منهم بل يشاركهم فيها زهادهم وعلماؤهم فان لم يفعلوا بأنفسهم فهلا ينهونهم مع قدرتهم
عليه (لولا) أى هلا (ينهاهم الربانيون) أى الرهبان (والاحبار) أى العلماء (عن) افعالهم
الظاهرة مثل (قولهم الاثم) كدعوة الولد والقول بالاتحاد أو بثالث ثلاثة واظهار الايمان
بطريق المكر وتحريف الكتاب والاستهزاء بالدين (وأكلهم السحت) أى الرشوة المفسدة
أمر العالم كله (لبئس ما كانوا يصنعون) من تركهم وتعلمهم لغير دين الله (و) لم يقتصروا فى
ذلك على السكوت بل قال فنحاص بن عازورا وبعض وجماعة رضوا بقوله فكأنه (قالت
اليهود) كلاما لا يصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا (يد الله مغلولة) وأرادوا مقبوضة حين
قبض الله عنهم الرزق قال الله عز وجل فى الرد عليهم (غلت أيديهم) حقيقة فى الآخرة
ومجازا فى الدنيا لاتصافهم بغاية البخل (ولعنوا) أى ابعدوا عن الرحمة فلا يوفقون للتوبة
(بما قالوا) من الكلمة الشنيعة التى لا تصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا اذ لا بخل من جنابه
أصلا (بل يداه) أى اسماؤه المتقابلة فى الفيض (مبسوطتان) بأنواع العطايا المختلفة
والتقابل بين أسمائه حصل التقابل بين الحوادث حتى صار عطاء قوم حزنا لآخرين وهو
لا يبالى بهم بل (ينفق كيف يشاء) فيصير الخير فى حق قوم شرا فى حق آخرين (و) لهذا
(ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) من جوامع الخيرات (طغيانا) أى عدوانا على
الناس (وكفرا) فى أنفسهم بعد كفرهم وطغيانهم بالتحريف وأخذ الرشوة أولا (و) لا
يختص هذا بكتابك بل (ألقينا بينهم) باختلافهم فى كتابهم (العداوة) فى الظاهر (والبغضاء)
فى الباطن ولم ينفعا بكتابك الآن فى رفعهما بل استمرا مع الزيادة (الى يوم القيامة) لكن
لم يؤثر فيكم مع الزيادة وقد أثر فيما بينهم دونهما اذ (كلما أوقدوا نارا) فى قلوب الخلق من

(قوله عز وجل ثعبان) أى حية عظيمة الجسم (قوله عز وجل ثمر) جمع ثمار ويقال الثمر بضم الثاء المال والثمر بفتح الثاء جمع ثمر من اثمار المأكول (قوله عز وجل ثبورا) أى هلاكا وقوله عز وجل دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا واهلاكاه (قوله تعالى ثقفوا) أخذوا وظفروا بهم (قوله عز وجل ثلة) أى جماعة (قوله عز وجل ثوب)

الغضب (للحرب أطفأها الله) بأخلافك (و) لا ينقطعون برؤية اطفاء الله نارهم بل لا يزالون (يسعون في الارض فسادا) بالقاء الشبه (و) لكن لا يؤثر سعيهم اذ (الله لا يحب المفسدين) ولذا ضيق عليهم فضيق الرزق عليهم ليس من بخل الله بل من كفرهم ومسارعتهم الى الكبائر (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) مباشرة الكبائر (لكفرنا عنهم سيآتهم) أى صغائرهم فلا يبقى لهم معصية تكون سببا لقبض الرزق عليهم (ولأدخلناهم) في غاية السعة كأنهم الآن في (جنات النعيم) وسندخلهم فيها بلا عذاب وهذا بمجرد الايمان وترك الكبائر (ولو أنهم) مع ذلك (أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم) فعملوا بجميع ما فيها مما لم ينسخ (لأكلوا) من ثمار بساتينهم ما ينتثر عليهم (من فوقهم و) ما يلتقطون (من تحت أرجلهم) من غاية كثرتها ومن الرزق المعنوى الهبات السماوية من فوقهم وأجور الاعمال الصالحة من تحت أرجلهم هذا لو اتفقوا على اقامة الكتب لا يتفقون بل غايتهم أنه وجد (منهم أمة) أى طائفة (مقتصدة) غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد (و) لو كثرت هذه الطائفة أيضا لحصل ذلك أيضا لكن (كثير منهم ساء ما يعملون) فضلا عن مجرد الايمان واجتناب الكبائر فضلا عن اقامة الكتب الالهية ولكثرة مساوى الاكثرين مع عجز الامة المقتصدة من ارشادهم احتيج الى ارسال الرسول اليهم (يا أيها الرسول) الذى أرسل لبيان المساوى أجتنب (بلغ ما أنزل اليك من ربك) مما يفصل مساويهم (وان لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ الجميع بستر البعض مساويهم (فما بلغت رسالته) أى شيأ مما أرسلت به (و) لا تخفهم في تبليغ مساويهم اذ (الله يعصمك من) اساءة (الناس) اليك بل لا يهديهم طريق الاساءة اليك (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) طريق الاساءة اليك ثم أمره بتبليغ ما هو أشد عليهم من بين مساويهم فقال (قل يا أهل الكتاب) الزاعمين انهم الكاملون في أمر الدين المكملون فيه الناس (لستم على شئ) فضلا عن الكمال والتكميل ولا يحصلان لكم (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) من سائر الكتب السماوية فتعملوا بكل ما فيها وتكملوا الناس بها ولكنكم كافرون بأكثر ما أنزل اليكم فلستم على شئ مما أقمتم فضلا عما لم تقيموه (و) ستتركون اقامة ما كانوا يقيمونه من التوراة بسبب هذا القول فانه والله (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) فضلا عن مثل هذا القول (طغيانا) على كتابهم بالتحريف (وكفرا) بما فيه من نعوتك واذا بالغت في تبليغ ما أنزل اليك فرأيت مزيد طغيانهم وكفرهم (فلا تأس) أى فلا تحزن (على القوم الكافرين) لغاية خبثهم في ذواتهم وانما تحزن على ما كان قابلا لازالة الخبث عنه وليس ارسالك لازالة ما لا يمكن ازالته بل انما امتنع لسوء اختيارهم مع انه ممكن في ذاته كما قال (ان الذين آمنوا) باللسان (والذين هادوا) وان كان لهم ماذكر من الفضائح (والصابئون) كذلك وان كانوا أضل منهم (والنصارى) وان قيل فيهم ان الله هو المسيح أو انه ثالث ثلاثة (من آمن بالله) منهم بقلبه (واليوم الآخر) الداعى للايمان بالله (و) دل عليه بان (عمل صالحا) بمقتضى

أى جورى الكفار

(باب الثاء المكسورة)

(قوله تعالى وثيابك فطهر) فيه خمسة أقوال قال الفراء معناه وعملك فاصلح وقال غيره معناه قلبك فطهر فكنى بالثياب عن القلب وقال ابن عباس معناه لا تكن غادرا فان الغادر دنس الثياب وقال ابن سيرين معناه اغسل ثيابك بالماء وقال غيره وثيابك فقصر فان تقصير الثياب طهورها

الكتب الالهية (فلا خوف عليهم) من كفرهم ومساويهم السابقة (ولاهم يحزنون) على مافاتهم من الاعمال الصالحة حال الكفر فانه يبدل الله سيآتهم حسنات ويدل على قابليتهم لازالة الخبث عنهم اعطاؤهم الميثاق بذلك (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) بازالته (و) يدل على امتناعهم من سوء اختيارهم أنا (أرسلنا اليهم رسلا) كثيرين كل واحد منهم أعقل أهل زمانه وأولى باتباع قوله فمن غلبة خبثهم لم يقبلوا قول أحد منهم لانهم كانوا يدعون الى ترجيح امر العقل والشرع على الهوى الغالب عليهم بل (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم) مع ان وضع الرسالة الدعوة الى مخالفته لترجيح العقل والشرع عليه (فريقا كذبوا) مع ظهور دلائل صدقهم (وفريقا يقتلون) بعد التكذيب سد الدعوتهم الى مايخالف أهويتهم (و) انما اجترؤا على ذلك لانهم (حسبوا ألا تكون) في تكذيبهم وقتلهم (فتنة) أي ابتلاء بتعذيب مع أنهم قد رأوا آثار المكذبين قبلهم وسمعوا أخبارهم (فعموا وصموا) من غاية خبثهم (ثم) أي بعد هذا العمى والصمم (تاب الله عليهم) بالتوفيق للايمان بعيسى فابصرهم آياته الفعلية واسمعهم آياته القولية (ثم) أي بعد هذا الابصار والاسماع والتوفيق للايمان بعيسى (عموا) عن رؤية المعجزات الفعلية لمحمد صلى الله عليه وسلم (وصموا) عن المعجزات القولية لاجيعهم اذ آمن النجاشي وأصحابه بل (كثير منهم و) هم وان لبسوا على العامة بانصافهم مع عيسى لايمكنهم التلبيس على الله اذ (الله بصير بما يعملون) ثم أشار الى أن عماهم وصممهم كان قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم بما قالوا في عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله) اتحد لاهوته بناسوت عيسى فكانهم قالوا (هو المسيح) وان قالوا انه من حيث ناسوته (ابن مريم) نعموا أماني عيسى من امارات الحدث (و) صموا من مقالاته اذ (قال المسيح يا بني اسرائيل) أي يا أولاد المسمى بالعابد له (اعبدوا الله) ولم يقل اعبدوني ثم صرح بقوله (ربي) فلعل المادة توهم الاتحاد لو بقيت الربوبية مع الاتحاد فلابد من الفرق بين الربوبيتين لكنه نفى الفرق بقوله (وربكم) ولو صح هذا الاتحاد في حق عيسى لصح في حق غيره وقت اتحاده به وهو شرك وقد قال عيسى عليه السلام (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) ولا يحرم على من قال بأمر جائز وان حرم فلا يجعل مأواه النار فقد قال (ومأواه النار) كيف والشرك أعظم وجوه الظلم وقد ثبت بقول عيسى الذي قالوا به فيه (وما للظالمين من أنصار) فلا ينصرهم عيسى ولا غيره ولا حجة ولا شبهة يعتد بها ثم أشار الى من شركه أظهر فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) والباقيان عيسى ومريم أو أحد الاقانيم أو الجواهر الثلاثة الحياة والعلم وروح القدس (وما من اله) في نص الانجيل والتوراة وجميع الكتب السماوية ودلائل العقل والكشف (الا اله واحد) لايتعدد أفرادا ولا أجزاء (وان لم ينتهوا عما يقولون) بعد ظهور الدلائل القطعية متمسكين بمتشابهات الانجيل (ليمسن الذين كفروا منهم) بالدلائل القطعية (عذاب أليم) وان تمسكوا بالمتشابهات مثل عذاب من لايتمسك بشيء (أ)

●(باب الجيم المفتوحة)●

(قوله عز وجل جهرة) أي علانية (قوله جنفا) أي ميلا وعدولا عن الحق ويقال جنف علي أي مال علي (قوله الجار ذي القربى) أي ذي القرابة والجار الجنب أي الغريب والصاحب بالجنب أي الرفيق في السفر وابن السبيل الضيف (قوله عز وجل الجوارح) أي الكواسب بعقر الصوائد (قوله عز وجل جرحتم) أي (قوله عز وجل كسبتم

يكفرون بالقطعيات (أفلا يتوبون) عن التمسك بالمتشابهات بردها (الى) مراد (الله) اذا عجزوا عن ردها الى المحكمات (ويستغفرونه) التمسك بالمتشابهات فى مقابلة القطعيات وهم (و) ان الله وهاحتى صارت هيئة راسخة لقلوبهم فلا يبعد من الله سترها بمحوها عن القلوب اذ (الله غفور) بل (رحيم) تبديل ظلمتها بنور الصواب ثم أشار الى بطلان التمسك بمعجزاته وكرامات أمه على الهيتهما بل غايتهما الدلالة على نبوته وولايتها فقال (ما المسيح) المعلوم حدوثه من كونه (ابن مريم) بالخوارق الظاهرة على يديه (الا رسول قد خلت) أى مضت (من قبله الرسل) أولوا الخوارق القاهرة (وأمه) بخوارقها (صديقة) ولو استدل بخوارقهما على الهيتهما عورض بأنهما (كانا يأكلان الطعام) عن احتياجهما اليه (انظر كيف نبين لهم الآيات) على توحيد الله وبطلان الاتحاد والهية عيسى وأمه وبطلان شبهاتهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أى يصرفون الى الاصرار على التمسك بالشبهات الظاهرة البطلان (قل أتعبدون) المسيح وأمه مع انهما عندكم (من) جملة من هو من (دون الله) ولا الهية للأدنى ولو جعلتموهما من علة ضرا أو نفعا فهما من جملة (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) بل غايتهما شفاعة من عبدهما أو شكاية من لم يعبدهما (والله هو السميع) لشفاعتهما أو شكايتهما (العليم) بمن يستحق الاجابة من الشفاعة والشكاية ولو جعلتموهما مالكى النفع والضر فهو غلو (قل يا أهل الكتاب) الذى هو ميزان العدل (لا تغلوا) فى تعظيم عيسى وأمه فتدخلوا (فى دينكم) اعتقادا (غير الحق) بلا دليل عليه مع تظاهر الادلة على خلافه (ولا تتبعوا) تقليدا (أهواء قوم) تمسكوا بخوارقهما على الهيتهما فان نظروا الى سبقهم فغايتهم انهم (قد ضلوا من قبل و) الى كثرة أتباعهم فغايتهم انهم (أضلوا كثيرا و) الى تمسكهم بمتشابهات الانجيل فغايتهم انهم (ضلوا عن سواء السبيل) اذ لم يردوها الى المحكمات وكيف لا يتركون الغلو وقد أوجب ما دونه اللعن (لعن الذين كفروا) وان كانوا (من بنى اسرائيل على لسان) من هو دون محمد صلى الله عليه وسلم (داود) قال فى حق أهل ايلة لما اصطادوا فى السبت اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة (وعيسى ابن مريم) قال فى حق أصحاب المائدة اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ولم يكن كفرهم مثل غلوهم ولا مبدؤه مثل مبدئهم من ترك القطعيات للمتشابهات بل كان (ذلك) الكفر (بما عصوا) بصيد السمك فى السبت والتكبر على الفقراء المشاركين فى أكل المائدة (و) انما أفضى عصيانهم الى الكفر لانهم (كانوا يعتدون) وهو أنهم (كانوا لا يتناهون) اذا نهوا (عن منكر فعلوه) فلم يؤاخذوا به فلا يزالون يفعلونه مع النهى (لبئس ما كانوا يفعلون) من تكرر المنكر مع النهى وليس كالغلو لشبهة واهية مع الدلائل القاطعة على خلافه ثم الانتهاء انما يتم بموالاة الناهى وهم انما يتولون من هو أشد غلوا (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) وقد غلوا فى تعظيم الاصنام فهذا التولى أدى الى الغلو من عصيانهم الى الكفر (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) فعصيان الاولين سبب سخط الله

جبارين) أى أقوياء عظام الأجسام والجبار القهار والجبار المسلط كقوله عز وجل وما أنت عليهم بجبار أى بمسلط والجبار المتكبر كقوله ولم يجعلنى جبارا شقيا والجبار القتال كقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين أى قتالين والجبار الطويل من النخل (قوله تعالى جن عليه الليل) أى غطى عليه وأظلم (قوله تعالى جاعل الليل سكنا) أى يسكن فيه الناس والشمس يكون الراحة والنعيم

وهذا كله من (أن سخط الله عليهم) وسخطهم عذاب دنيوي منقطع (وفي العذاب هم
خالدون) كيف وقد والوا أعداء من زعموا الايمان بهم ليعادوا من يؤمن بهم (ولو كانوا
يؤمنون بالله) الذي بشر له باعدائه (والنبي) أي عيسى الذي يكذبه الأعداء (وما
أنزل اليه) فيرجحون ما أنزل عليه آباءهم (ما اتخذوهم أولياء) ليعادوا بهم أولياءهم فهم
وان ادعوا الايمان بهم ليسوا بمؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أي خارجون عما
ادعوه ويشاركهم اليهود في هذه الموالاة لعداوة المؤمنين (لتجدن أشد الناس عداوة
للذين آمنوا) لايمانهم بعيسى ومحمد عليهما السلام (اليهود) لتوحيدهم واقرارهم بنبوة
الانبياء (والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) النصارى لايمانهم بعيسى
وانما يعادونهم لايمانهم بمحمد ولذلك يوالون الكفار سيما (الذين قالوا) لعوامهم تقية (انا
نصارى) مع تصديقهم واقرارهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وهم النجاشي
وأصحابه رضي الله عنهم فانهم على صرف المودة معهم (ذلك) الصدق في المودة (بأن منهم
قسيسين) يعلمون كمال أمر محمد عليه السلام من كتبهم (ورهبانا) لا يريدون لانفسهم
ما لا يرونه لغيرها (و) قد ارتاضوا فحسنت أخلاقهم وأقلها (أنهم لا يستكبرون) على
آحاد الناس فكيف على أرباب المعجزات والعلم بكمال الشئ مع عدم الصارف من الميل
اليه من العناد والاستكبار موجب لكمال الميل اليه وهو المودة (و) بكمال قسيسيتهم
ورهبانيتهم ومودتهم الكمالات (اذا سمعوا ما أنزل) من الحضرة الجامعة الالهية (الى
الرسول) الجامع من الكلام الجامع بحار العلوم الحقيقية مع التبشير والانذار بالوجوه
الكثيرة الجامعة (ترى أعينهم تفيض) أي تنصب (من الدمع) الحاصل من اجتماع حرارة
الحب والخوف مع برد اليقين (مما عرفوا من الحق) من كتابهم أو وجدوا كمال منه
وأفضل (يقولون) من عدم استكبارهم (ربنا آمنا) بالذي سمعناه من آثار رحمتنا شفينا
بذاتك وأسمائك وصفاتك وأفعالك التي على أكمل الوجوه (فاكتبنا مع الشاهدين) لتجليك
فيه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وما لنا لا نؤمن بالله) الذي ظهر في العالم والانسان (وما
جاءنا) أي تجلياتك فيه وأسمائك (من) المجالي الكاملة كأنها أعين (الحق و) لا نطمع في
الرشاد والنجاة المانعين عنه بل (نطمع) بما يوجب الايمان من (أن يدخلنا ربنا) الذي رباه
بالقسيسية والرهبانية منازل قربه (مع القوم الصالحين) التابعين للقطعيات دون
الشبهات الواهية كمتشابهات الكتب السماوية (فأثابهم الله بما قالوا) فضلا عن سائر
الباطنة في تدبر كتابه وأعمالهم المرتبة عليه (جنات) من كمالات فوائد هذا الكتاب (تجري
من تحتها الانهار) من جزئيات تلك الفوائد (خالدين فيها) لا تعرض لهم فيه شبهة تزعجهم
عنه لاختصاصها بأهل الطباع (وذلك جزاء المحسنين) الذين يقرؤن كتاب الله كأنهم
يسمعونه من الله ثم يجازون بالجنة الحسية بعد الموت (والذين كفروا) أي ستروا أعظمية
هذا الكتاب (وكذبوا بآياتنا) منه ومن سائر المعجزات (أولئك) وان بلغوا أحد القسيسية

والثمر حسنا أي بجعلهما جيريان بجناب معلوم (قوله تعالى متكئين) عنه بعضهم على بعض وجالسين بعضهم على الركب أيضا باركين على الركب والطيب والمنوم للناس والطيب (قوله بمنزلة العروق للبعير) (قوله مزوج بخضر السلم) أي (قوله تعالى ماتوا الى الصلح) كان جهزهم بجهازهم كان لكل واحد ما يحبه والجهاز ما أصلح حال الانسان (جاسوا) أي عاثوا وقتلوا وكذلك حاسوا وهاسوا وداسوا (قوله تعالى جثيا)

والرهبانية

والرهبانية (أصحاب الجحيم) لايزالون في حرارة الشبهات الى ان يموتوا فيصيروا الى الجحيم الاخروي ثم أشار الى أن من أسباب كفرهم وتكذيبهم ان يحرموا على أنفسهم تحليل شئ حرم في كتابهم فنسخ تحريمه حتى انهم لو اسلموا لايزال تحريمه من أنفسهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لاتغيروا شيأ من أحكام دينكم وان كان مغيرا لما تقدم من الاديان (لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى الاشياء التي ليس فيها حق الغير وهي من جنس ما أحل الله لكم ولو بالنسخ فان تحريمها كفر بآيات الله وتكذيب بها (ولا تعتدوا) بمجاوزة الحلال الى الحرام فاحذروا الشبهات فانه وان لم يكن تكذيبا وكفرا فهو خروج عن محبة الله (ان الله لايحب المعتدين) من الاعتداء الذي يكرهه الله كراهة تناول مانسخ تحريمه نظرا الى حرمته السابقة فلا تكرهوا ذلك بل (كلوا مما رزقكم الله) ليتم اعتقادكم بكونه (حلالا طيبا) لايشوبه حرمة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) ان تعارضوا في أحكامه ولو بكراهة من أنفسكم ويمكن ان يقال لما مدح الترهب نهى عن الافراط فيه بتحريم اللذائذ من المباحات الشرعية وأشار الى انه اعتداء على النفس والاهل بمنع الحقوق وانه كما لايجوز الاعتداء في الترهب لايجوز في الترفه فلا يفرط في أكل المباحات وان كان حلالا بلا شبهة وأمر بتقوى الله في وضع قواعد تخالف قواعد الشرع بل غاية مايجوز أخذ معان من علم الشريعة مؤكدة لما اقتضاه ثم أشار الى ان تحريم الحلال باليمين ليس بكفر بل (لايؤاخذكم الله باللغو) أى بفعل شئ وقع بلا قصد (في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أى بفعل شئ علقتم به الايمان تعليقا وثيقا عن قصد منكم ومع ذلك ثم مؤاخذته ليست بجازمة بحيث لايمكن دفعها (فكفارته) أى فالخصلة الماحية لاثمه (اطعام عشرة مساكين) تمليك كل مسكين مدا وعند أبي حنيفة نصف صاع لانه بمنزلة الامساك عن الطعام عشرة أيام العدد الكامل الكاسرة للنفس المجترئة على الله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهليكم) لا من أجود ماتطعمونهم فضلا عما تخصونه بأنفسكم ولا من اردا ماتطعمونهم فضلا عن الذي تعطونه السائل (أو كسوتهم) يعطى كل مسكين ثوبا واحدا ازارا أورداء أوقميصا أوسراويل أوعمامة أوكساء أونحو ذلك اذ يجزى بستر العورة ستر المعصية (أو تحرير رقبة) اذ فيه فك رقبة عن الاثم وشرط الشافعي فيها الايمان قياسا على كفارة القتل (فمن لم يجد) شيأ منها (فصيام ثلاثة أيام) لانه لما كان ضرا بنفسه اكتفى فيه بأقل الجمع (ذلك) وان قل (كفارة أيمانكم) التي اجترأتم بها على الله تعالى (اذا حلفتم) أى نقضتم اليمين ويجوز عند ارادته (واحفظوا أيمانكم) عن الحنث اذا لم يكن ما حلفتم عليه خيرا لئلا يذهب تعظيم اسم الله عن قلوبكم (كذلك) أى مثل هذا البيان الكامل (يبين الله لكم آياته) أى اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمه بصرفها الى ماخلقت له ومن جملتها صرف اللسان الذي خلق لذكر الله وتعظيمه الى ذلك فاذا اتفق صرفه بعض ملكه

أى غضار بقال جنبا أى جنبا المرا (قوله عز وجل جان) أى جنس من الحيات وجان واحد الجن أيضا (قوله عز وجل بلايب) ملاحف واحدها جلباب (قوله عز وجل الجواب) أى الحياض يجبي فيها الماء أى يجمع واحدها جابية (قوله عز وجل الجواري في البحر كالاعلام) أى السفن في البحر كالجبال الواحدة جارية ومنه قوله عز وجل انا لما طغى الماء حملناكم في

الى بعض ما يجبره ليقوم مقام الشكر باللسان اذ به يتم تعظيمه فاذا لم يجد كسر هوى النفس من أجله فهو أيضا من تعظيمه فافهم ثم أشار الى سائر ما يهتك حرمة الله وحرمة مظاهره الكاملة عما يكثر فيه الحلف والى ما نسخ تحليله بتحريمه أو اشتبه بالحلال فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظ تعظيم الله وتعظيم أنفسكم وحفظ حرماته (انما الخمر) وان حل فى بعض الملل مقدار ما لا يسكر منها (والميسر) أى القمار وان أشبه المسابقة والمناضلة (والانصاب) أى الاصنام المنصوبة للعبادة وان أشبهت المحاريب التى جعلت علامة للقبلة (والازلام) أى القداح وان أشبهت القرعة (رجس) أى خبيث لان الخمر تضيع العقل وما دون السكر داع الى ما يسكر فلذا أقيم مقامه فى الشرع الكامل والميسر يضيع المال والانصاب تضيع عزة الانسان بتذلله لما هو أدنى منه والازلام تضيع العلم للجهل بالتمن والتيمن فاستطابتها (من عمل الشيطان) أى تزيينه فان زين لكم (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) أى رجاء أن تنالوا الطيبات الحقيقية وانما زينها الشيطان لكنها وان كان فى بعضها منافع فهو لا يريد بذلك بل (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة) المشاغبة والمضاربة والمقاتلة فى الخمر والميسر عند السكر وضياع المال وربما يقامر الرجل باهله وولده فاذا أخذه الخصم وقعت العداوة بينهما أبدا (و) لا أقل أن يوقع بينكم (البغضاء) القاطعة للتعاون الذى لابد للانسان منه فى معيشته (فى الخمر والميسر ويصدكم) أى يبعدكم (عن ذكر الله) اذ يغلب السرور والطرب على النفوس والاستغراق فى اللذة الجسمانية فيلهى عن ذكر الله والميسر ان كان صاحبه غالبا انشرحت نفسه ومنعه الغلبة والقهر عن ذكر الله وان كان مغلوبا فما حصل من الانقباض والاحتيال الى أن يصير غالبا لا يخطر بباله ذكر الله (وعن الصلوة) الجامعة لاذكاره بجميع الاعضاء واذا كان فيهما هذه المفاسد الدينية والدنيوية (فهل أنتم منتهون) عنهما أم مصرون على ما أنتم عليه (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فى نهيهما وان كان غير معقول (واحذروا) مخالفتهما وان كانت جامعة للمنافع خالية عن المضار (فان توليتم) أى أعرضتم عن اطاعتهما وعن حذر المخالفة فلا يتولى الرسول عقابكم حتى لا تبالوا له (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) أى ما كان غير تبليغكم الذى لا يعتريه شبهة وانما يتولاه من أرسله ولما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله كيف بحال اخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المأمور بها فى عصرهم (جناح) أى حرج (فيما طعموا) مما يحرم بعد أكلهم (اذا ما اتقوا) ما حرم عليهم قبل أكلهم (وآمنوا) بان الله أن يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء (وعملوا الصالحات) بعد أكله فلم يتركوا ذكر الله والصلاة ولم يقع بينهم العداوة والبغضاء (ثم اتقوا) تضييع الاعمال بالرياء والعجب (وآمنوا) أى أتوا بمقتضاه من الاخلاص وذكر المنة (ثم اتقوا) عن نسبة تلك الاعمال الى أنفسهم (وأحسنوا) بنسبتها الى الله تعالى فلم ينسألهم من

ما أسكرلهم

الجارية يعنى ... نوح قوله السلام (جاثية) باركة على الركب وللمجالسة المخاصم والمجادل ومنه قول على بن أبى طالب رضوان الله عليه أنا أول من يجثو للخصومة (قوله عز وجل الجوار المنشآت) يعنى السفن اللواتى انشئ أى ابتدئ بهن فى البحر والمنشآت اللواتى ابتدئت

ما كولهم شئ من المفاسد فلا حرج لهم فى ما كولهم بل صاروا محبوبين لكونهم محسنين (والله يحب المحسنين) ولما فرغ عن ذكر ما تقرر تحليله بعد التحريم أو تحريمه بعد التحليل ذكر ما يحرم تارة لعارض ويحل أخرى لزواله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى إيمانكم تحريم ما حرم ولو لعارض سيما إذا اشتد فيه الابتلاء (ليبلونكم الله بشئ من الصيد) وأنتم محرمون وذلك عام الحديبية كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم (تناله أيديكم) لتأخذوه (ورماحكم) لتطعنوه وإنما ابتلاكم بهذه البلية (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليميز عندكم من علم الله أنه يخافه مع غيبته لقوة إيمانه ممن لا يخافه وإذا جعل الله هذا مميزا بين الخائف وغيره (فمن اعتدى) بالصيد (بعد ذلك) التمييز (فله عذاب أليم) بسبب مثله من لا يخافه ثم أشار إلى مبدأ الابتلاء ومنتهاه فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى إيمانكم التذلل سيما حال الإحرام (لا تقتلوا الصيد) لأنه تجبر (وأنتم حرم) فى غاية التذلل (ومن قتله منكم) أيها المحرمون (متعمدا) أى ذاكرا لإحرامه (فجزاء مثل ما قتل من النعم) أى فعليه بطريق الجزاء إعطاء مثل ما قتله من الصيد حال كون المثل من النعم باعتبار الهيئة عند الشافعى والقيمة عند أبى حنيفة (يحكم به) أى بمماثلته مجتهدان (ذوا عدل منكم) أيها المسلمون حال كونه (هديا بالغ الكعبة) أى واصلا إلى الحرم (أو) عليه (كفارة طعام مساكين) يشترى بقيمة مثل النعم يعطى كل مسكين مدا (أو) عليه (عدل) أى مثل عدد أمداد (ذلك) الطعام (صياما ليذوق) هاتك حرمة الله (وبال) أى سوء عاقبة (أمره) من هتك حرمة الله بعد إعلامه (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد قبل الإعلام (ومن عاد) إلى القتل بعد الجزاء (فينتقم الله منه) بطلب الجزاء فى الدنيا والمعاقبة فى الآخرة وكيف يترك ذلك (والله عزيز) ومقتضى عزته الانتقام من هاتك حرمته ولا محالة (ذو انتقام) وكيف يترك الانتقام ممن اعتدى من غير ضرورة إذ وسع فى المأكولات إذ (أحل لكم صيد البحر) إذ ليس فيه التجبر المنافى للتذلل الإحرامى (و) أحل لكم (طعامه) وهو ما قذفه البحر أو نضب عنه وإنما لم يكن فيه تجبر إذ جعل (متاعا لكم) أيها المحرمون (وللسيارة) أى ولمن يسير من مكان إلى مكان (وحرم عليكم صيد البر) وإن لم تصطادوه إذا صيد لكم لأن فيه مزيد التجبر (ما دمتم حرما) فلو تركه الصائد عنده إلى تحللكم يحل لكم (واتقوا الله) فى تحليل ما حرم وتحريم ما أحل بالتلبيس إذ هو (الذى إليه تحشرون) ولا يمكن التلبيس عليه وإنما حرم الصيد على المحرم لأنه قصد الكعبة التى حرم صيد حرمها فجعل كالواصل إليه وإنما حرم صيد حرمها لأنه (جعل الله الكعبة) مثال بيت الملك لا يتعرض لمائده أو فى حرمه والله تعالى لما تنزه عن المكان والزائرون لا بد لهم من مكان يختص بالزيارة فجعل لهم الكعبة (البيت الحرام) فله إذ جعله (قياما) أى مقام زيارة الله والتوجه إليه فى عبادته (للناس) المتفرقين فى العالم ليحصل لهم الاجتماع الموجب للتآلف الذى يحتاجون إليه فى تدبير الدنيا به كمال معاشهم ومعادهم لاحتياجهم إلى المعاونة فيهما فصيرت الحرمة

(قوله عز وجل وجعل) (قوله عز وجل تعالى جد ربنا) أى عظمة ربنا يقال جد فلان فى الناس إذا عظم فى عيونهم وجل فى صدورهم ومنه قول أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم (قوله جابوا الصخر) أى خرقوا الصخر واتخذوا فيه بيوتا ويقال جابوا قطعوا الصخر فابتنوا بيوتا (جما) مجتمعا كثيرا

(المثنين) أى ما يحبنى منهما

الى مكان القاصد كيف (و) قد سرت الى زمان القصد اذ جعل (الشهر الحرام) قياما للناس أى زمان تصدهم للزيارة يحرم فيه القتال ليحصل فيه التالف (و) جعل (الهدى) أيضا قياما أى سبب قصد الزيارة اذ يأمنون بسوقه الى البيت على أنفسهم (والقلائد) فانهم اذا قلدوا أنفسهم بلحاء شجر عند الاحرام أمنوا (ذلك) لتجتمعوا كل سنة عنده وتتوجهوا اليه كل يوم مرات فتجتمعوا فى التوجه اليه (لتعلموا أن الله) يريد ربط الكل بعضه ببعض كما ربط أمر العالم الكبير وهو لا يتأتى الا بالعلم بكل جزئ منه ويدل على أنه (يعلم ما فى السموات وما فى الارض و) قد راعى فى ذلك مصالح معاشكم ومعادكم ولا يتأتى الا بعلم ما غاب لتعلموا (أن الله بكل شئ عليم) وقد كثر المحرمات بحرمة يتواعد ويشدد فى أمر الجزاء لتعلموا شدة عقابه لكنكم ذاهلون عن ذلك (اعلموا أن الله شديد العقاب) سيما اذا قصدتم ابطال حكمته فى الربط والقصد لانه يشبه تفريق المالكة على الملك (و) لا تغتروا بعدم معاقبته لبعض المفرقين فى الحال بل اعلموا (ان الله غفور رحيم) فأخر العقاب ليتوبوا فيغفر لهم ويرحمهم ولا تغتروا بمغفرته ورحمته بعد ارسال الرسل بالانذار ولم يكذبوا بعدم حصول المنذر به فى الحال اذ ليس بيدهم ولم يجعل علهم تحصيله بل (ما على الرسول الا البلاغ) بل هى بيد الله أخره ليكثر معاصيهم (و) لا يخفى عليه اذ (الله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وكيف يترك مقتضى علمه وفيه تسوية بين الخبيث والطيب (قل) انه وان كان غفورا رحيما فانه (لا يستوى) عنده (الخبيث والطيب) بل لا بد أن يرجح الطيب (ولو أعجبك كثرة الخبيث) بحيث يوهم ملك ترجيحه عند الله فلا يترجح عنده ما ليس براجح فى نفس الامر (فاتقوا الله) أن تغتروا بكثرة الخبيث أو بمغفرته ورحمته (يا أولى الالباب) أى المطلعين على الحقائق فانهم تأبى التسوية فان جعلت المغفرة والرحمة لاربابها فلا فلاح لهم فاتركوا هذه الجهة (لعلكم تفلحون) بمنازل القرب التى للطيبين عند الله وإذا سمعوا ذلك وقد خفى خبث بعض الاشياء وطيبه فأكثروا السؤال عن الاشياء قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اعتبار ما اعتبره الله لظهوره لا ما لم يعتبره لخفائه لكنه اذا ظهر صار معتبرا (لا تسألوا عن أشياء) خفى وجه خبثها أو طيبها (ان تبد) أى تظهر (لكم) فتؤمروا باجتنابها (تسؤكم) للحرج فيه (و) السؤال وقت الوحى موجب لاظهاره (ان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) ولم ينهكم عن السؤال عنها ليؤاخذكم على غفلة بل لانه (عفا الله عنها و) لا يستبعد من الله اذ (الله غفور) الخبث الظاهر (حليم) لمن أراد مؤاخذته به لا يعاجلهم بها وقد وجدت الحكمة فى عفوه اذ الحرج فيه ربما يفضى الى أعظم وجوه الخبث (قد سألها قوم من قبلكم ثم) لما أوقعهم فى الحرج (أصبحوا بها كافرين) لذلك قال عليه السلام ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من أجل مسئلته وذلك لانه صار سببا لكفر البعض

ومنهجة الماء اجتماعه

•(باب الجيم المضمومة)•

(قوله جل وعز جناح) اثم (قوله تعالى جنب) غريب وجنب بعيد وجنب الذى أصابته جنابة يقال جنب الرجل وأجنب واجتنب وتجنب من الجنابة (جرف) أى ما يجرفه السيول من الاودية (قوله جل وعز جهد) وسع وطاقة وجهد مشقة ومبالغة (قوله الجودى) اسم جبل (قوله جب) اسم ركية لم تطو واذا طويت فهى بئر (جفاء)

ولما كان التحريم بالسوائب هذه المثابة فكيف حال التحريم بالاستقلال (ما جعل الله من شئ تحرما بتحريم أهل الجاهلية (من بحيرة) وهى الناقة التى تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر و بحروا أى شقوا أذنها فخلى سبيلها لاتركب ولاتحلب وقاسوه على عتق الانسان مع ظهور الفرق لما فى عتق الانسان من تمليك التصرفات ولاتصرف للحيوانات العجم (ولا سائبة) وهى الناقة المخلاة بنذراذا لابعة متنذرمالى بعبادة (ولا وصيلة) وهى الشاة التى قالوا انها اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فلأصنامهم وان ولدتهما وصلت الاتى أخاها فلايذبح لاجلها (ولاحام) وهى التى اذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن لم يمنع من ماء ولامرعى و يحرم ظهره لانه حماه والاول كالعتق بلانذر والثانى كالعتق بالنذر والثالث شبيه بما يشبه العتق والرابع ملك النفس بلاتمليك ولامعنى للتمليك فى الحيوانات العجم فهذه الامور غيرمعقولة ظاهرا وباطنا فلا يفعلها الحكيم (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريمها (وأكثرهم لايعقلون) معنى التحليل والتحريم فضلا عما لاجله التحريم والتحليل وانما يقلدون قدماءهم (واذا قيل لهم) اتركوا تقليد القدماء المفترين على الله الكذب (تعالوا الى ما أنزل الله) من كتابه (و) لولم تجدوا فيه تعالوا (الى الرسول قالوا) لافراط جهلهم وانهماكهم فى التقليد لاحاجة بنا الى كتاب الله ولاالى رسوله بل (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يقلدون آباءهم (ولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ) من التحريم والتحليل وما لاجله بأنفسهم (ولا يهتدون) لبيان من بين لهم من الانبياء والعلماء (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اصلاح أنفسكم واخوانكم ما أمكن (عليكم) أى الزموا أن تصلحوا (أنفسكم) باتباع الدلائل من كتاب الله وسنة رسوله والعقليات المؤيدة بهما ودعوة الاخوان الى ذلك باقامة الحجج ودفع الشبه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما أمكن من القول والفعل لاتقتصروا فى ذلك اذ (لايضركم من ضل) فقال حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو أخذ بشبهة أو عاند فى قول أو فعل (اذا اهتديتم) بدعوتهم الى ما أنزل الله والى الرسول واقامة الحجج لهم ودفع الشبه عنهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما أمكن من القول والفعل ولاتقصروا فى ذلك اذ (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) من التقصير أو الايذاء قولا وفعلا فى حق أنفسكم أو غيركم وكيف يقصر فى اقامة حجج الدين ودفع الشبه عنه ولا يقصر فى اقامة الحجج على الاموال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظ أموال اخوانكم عند أوصيائهم بالشهود وحفظ الشهود من موافقتهم للاوصياء بشهود أخر (شهادة بينكم) أى شهادة ما يجرى بينكم وبين الاوصياء وبقطع النزاع بينكم (اذا حضر) أى قرب (أحدكم الموت) فأوصى الى أحد أن يشهد (حين الوصية) فيه اشارة الى أن الشهادة على قول الموصى وحده أو الوصى وحده غير تامة (اثنان ذوا) أى صاحبا (عدل) لاعدول الكفار فى اعتقادهم بل (منكم) أيها المسلمون (أو آخران من غيركم) من أهل الذمة

قوله فى تفسير الحام وهى التى الخ كذا فى الاصلين بايدينا والصواب وهو الفحل ينتج من صلبه عشرة الخ اه مصحح

مارمى به الوادى الى جنباته من الغثاء ويقال أجفأت القدر بزبدها اذا ألقت زبدها عنها (قوله جرز) وجرز أرض غليظة يابسة لانبت فيها ويقال الارض الجرز التى تحرق مافيها من النبات وتبطله يقال جرزت الارض اذا ذهب نباتها فكأنها قد أكلته كما يقال رجل جروز اذا كان يأتى على كل مأكول لايبقى شيأ وسيف جراز يقطع كل شئ وقع

وكان هذا فى أول الاسلام لقلة المسلمين ثم نسخ كتحريم الشهر الحرام وقتال آمين البيت الحرام والصفح عن أهل التحريف ولايم الاحوال كالاول بل يختص بالسفر كما قال (ان انتم ضربتم) أى سافرتم واشتد سفركم (فى الارض) بحيث بعدتم عن بلاد المسلمين (فاصابتكم مصيبة) أى مرض (الموت) فخفتم على الاموال والودائع والديون فاذا كان الشاهدان من أهل الذمة (تحبسونهما) أى تقفونهما عند المنبر (من بعد الصلوة) التى تعظمونها وهى العصر (فيقسمان بالله) لابشئ آخر يعظمونه (ان ارتبتم) أى شككتم فى شهادتهما لعدم اسلامهما فقبولهما ولان فى القسم (لانشترى به) أى بقسمنا (ثمنا) للمشهود عليه (ولو كان ذا قربى و) كالاثم بالزور (لانكتم شهادة الله) التى أعلمها وأمرنا باقامتها (انا اذا) أى اذا شهدنا بالزور أو كتمنا شهادة الله (لمن الآثمين) أى المعدودين من المستقرين فى الاثم (فان عثر) أى اطلع (على أنهما) أى الشاهدين (استحقا) أى استوجبا (اثما) بتزوير أو كتمان (فآخران) أى فيشهد آخران على الاثم (يقومان مقامهما) لكونهما من أهل الذمة وفيه اشارة الى اعتبار شاهد مع يمين المدعى لانه يقوم مقام الشاهد معه وسيصرح به فى آخر الآية بشهادتان (من) جهة الورثة (الذين استحق) أى جنى (عليهم) وان قرئ على بناء الفاعل فذاعله القسم فتقبل شهادتهما الاثم ما (الاوليان) اذ لم يظهر استحقاقهما الاثم لكن لكونهما من أهل الذمة (فيقسمان بالله لشهادتنا) من جهة الورثة (أحق من شهادتهما) من جهة الموصى (وما اعتدينا) أى وما تجاوزنا الحق أدنى تجاوز وتصيره شهادتنا أحق من شهادة من أفرط فى التجاوز (انا اذا لمن الظالمين) أى من المبطلين حق الموصى بالكلية (ذلك) الاقسام بعد الصلاة المعظمة عندهم وان لم يرفع الريبة الكلية عنهم لعدم اسلامهم لكنه (أدنى) أى أقرب (أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الواجب اما لان يخافوا من الله أو يخافوا الفضيحة من شهادة الآخرين مع يمينهما (أو يخافوا) الفضيحة من (أن ترد أيمان) على المدعى مع شاهد (بعد أيمانهم) منهم (واتقوا الله) أن يفضحكم أو يعذبكم ان شهدتم لا على وجهها أو تكتموا شهادة الله (واسمعوا) أمره بالتقوى وأداء الشهادة على وجهها ونهيه عن كتمانها والا كنتم فاسقين (والله لايهدى القوم الفاسقين) الى حجة تدفع عنهم الفضيحة أو العقوبة • روى أن تميم بن أوس الدارى وعدى بن بداء وكانا نصرانيين خرجا بالتجارة الى الشام ومعهما بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما بها ثم أوصى اليهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال فضة منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما قال تميم فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند

عليه ويهلكه وكذلك
السنة المرورز (قوله عز
وجل جثيا) أى على
الركب لا يستطيعون
القيام مما هم فيه واحدهم
جاث (قوله عز وجل
جسدا) أى قنانا ومنه
قيل للسويق الجلنبيبى
متناملينه بالكين وهو
جمع لاواحد له مثل المصاد
مسدد ويقال لجسد الله
دابرهم أى استأصلهم
(قوله جسد) أى مخلوط
وطرائق واحدها جسدة

صاحب

صاحبي متاعها فأتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فنزلت فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي رفاعة السهميان فحلفا فنزعت خمسمائة درهم من عدي بشهادة واحد ويمين المدعي ولو هدى الفاسقين اليوم الى ما يدفع تهمتهم فلا يهديهم (يوم يجمع الله الرسل) لالزام الكفرة (فيقول ماذا أجبتم) أي ماذا أجابكم من أرسلتم اليهم (قالوا) لتحيرهم من هيبته (لا علم لنا) وان علمنا ظاهر ما قالوا لا نعلم ما في قلوبهم لانه غيب وأنت مخصوص باحاطة المغيبات (انك أنت علام الغيوب) ولم يكن تحير الرسل لغضب الله عليهم بل مع تلطفه بهم (اذ قال الله) يوم جمعه للرسل (يا عيسى ابن مريم) ناداه باسم أمه لان النسبة اليها تشعر بالرحمة (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك) أي قويتك (بروح القدس) أي بجعل روحك طاهرة عن العلائق الظلمانية بحيث يعلم أنه ليس بواسطة البشر فيشهد ببراءتك وبراءة أمك ومن ذلك التأييد قويت نفسك الناطقة اذ أنك (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي في أضعف الاحوال وأقواها بكلام واحد لا تفاوت فيه وقد تكلمت ببراءة أمك (و) اذكر نعمتي من ذلك التأييد أيضا (اذ علمتك الكتاب) أي ظاهر العلم الذي يكتب (والحكمة) أي باطنه الذي لا يكتب بل يختص به أهله (و) كلاهما فيك اذ علمتك (التوراة) الشاملة على الظواهر (والانجيل) المطلع على البواطن (و) اذكر ما أثرت بذلك التأييد (اذ تخلق) أي تقدر (من الطين) صورة (كهيئة) أي كصورة (الطير) لا مع النهي عن التصوير بل (باذني فتنفخ فيها) أي في تلك الهيئة (فتكون) فتصير (طيرا) لحصول الروح من نفختك فيها (باذني و) كما أثرت بافاضة الروح أثرت بافاضة الصحة اذ (تبرئ الاكمه والابرص) وهو مع كونه دون الاحياء كان (باذني) فكون الاحياء باذني بطريق الاولى ثم أشار الى تأثيره في اعادة المعدوم فقال (واذ تخرج الموتى) من القبور احياء (باذني) فهذا ما نفعل به من جر المنافع ثم أشار الى ما دفع عنه من المضار فقال (واذ كففت) أي منعت (بني اسرائيل عنك) أي اليهود حين هموا بقتلك لا قبل ذلك بل (اذ جئتهم بالبينات) التي توجب انقيادهم لك لتعاليها عن قوى البشر فلا يتوهم فيها السحر (فقال الذين كفروا منهم) أي مضوا على كفرهم من بني اسرائيل (ان هذا الا سحر مبين) أي ظاهر لا يلتبس بالمعجزات فهذه كلها نعم لازمة ثم أشار الى المتعدية فقال (و) اذكر نعمتي التي عليك بالتكميل (اذ أوحيت) بطريق الالهام (الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) عن دعوته ليصل الى رتبة التكميل وثواب رشدهم (قالوا آمنا) وأكدوا ايمانهم بقولهم (واشهد) لتؤديها عند ربك (بأننا مسلمون) أي منقادون لكل ما تدعونا اليه ثم اذكر ما نورنا به ايمانهم واسلامهم من الانعام بالمائدة اليهم مع ما فيها من النعمة المنوية (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) ذكروه باسمه ونسبوه الى أمه لئلا يتوهم انهم اعتقدوا الهيته أو ولديته ليستقل بانزال المائدة (هل يستطيع) أي يجيب دعوتك (ربك) اذا

(قوله جبلا وجبلا وجبلا وجبلا وجبلة) أي خلقا (جزءا) أي نصيبا وقيل اناثا وقيل بنات ويقال أجزأت المرأة اذا ولدت أنثى قال الشاعر

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب ... قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

وجاء في التفسير أن مشركي العرب قالوا ان الملائكة بنات الله عز وعلا عما يقول ...

دعوته (أن ينزل علينا مائدة من السماء) التي يتوهم فيها أنه ليس بمحل السكون والضاد (قال اتقوا الله) أن توقفوا ايمانكم على رؤيتها (ان كنتم مؤمنين) به وبرسالتي (قالوا) آمنا لكنا (نريد أن نأكل منها) من غير كلفة تشغلنا عن عبادة الله (وتطمئن قلوبنا) فلا تعتريها شبهة لايؤمن من ورودها ولامثل هذه الآية (ونعلم أن قد صدقتنا) فيما تعدنا من نعيم الجنة مع أنها سماوية (ونكون عليها) أي على مثلها من مواعد الجنة (من الشاهدين) أي في حكم من شاهدها بالبصر لامن سمعها بالخبر (قال عيسى ابن مريم) نسبه الى أمه ليدل على مزيد تذلله (اللهم ربنا) أي يا الله المطلوب لكل مهم الجامع للكمالات المتعبد بآيائها (أنزل علينا) بمقتضى تلك الجمعية والتربية (مائدة من السماء) التي فيها مائدة دنا من نعيم الجنة (تكون لنا عيدا) سرورا (لأولنا) الذين يدركونها (وآخرنا) الذين يسمعونها فيثبتون في دينهم (وآية منك) على كمال قدرتك وصدق وعدك وتصديقك اياي (وارزقنا) النعم الاخروية الموعودة (وأنت خير الرازقين) اذ تعطي المزيدين بشكرك بنعمتك (قال الله اني منزلها عليكم) اجابة لدعوتكم وهي مستدعية لمزيد شكر وايمان (فمن يكفر) بي أو برسولي (بعد) أي بعد انزالها المفيد للعلم الضروري بي وبرسولي (منكم) أيها المنعمون بها (فاني أعذبه عذابا) أي نوعا منه (لا أعذبه) أي بمثل النوع (أحدا من العالمين) وهو مسخهم خنازير روى أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فقام عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية تسيل دسما لافلوس فيها ولاشوك وعلى رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماعدا الكراث واذا خمسة أرغفة على أحدها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فلم يأكل منها زمن ولامريض الاعوفي ولافقير الااستغنى فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولاتزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفئ طارت صعدا وكانت تنزل غبا ثم أوحى الله الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ثم أشار الى أنهم كما هلكوا بالتفريط في شكر تلك النعمة هلكوا في أشد منها في الافراط في حقه حتى استحق اللوم من جهتهم فقال (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) أشار بتسميته الى نفي الهيته وباضافته الى أمه الى نفي ولديته له (أأنت) أيها المرسل لدعوة الناس الى التوحيد (قلت للناس) بدل ذلك (اتخذوني وأمي الهين) لاتشابهكما (من دون الله) أي قربة تقربكم اليه (قال سبحانك) أي نزهتك تنزيهك الكامل

(جنة) ترس وماأشبه مما يستتر (بجمع الشمس والقمر) جمع بينهما في ذهاب النور

(باب الجيم المكسورة)

(قوله عز وجل جبت) كل معبود سوى الله قال أبو عمر وسمعت المبرد يقول الجبت الساكنة سبدالة من السنى وهو الكافر المعاند ويقال الجبت السحر (الجزية) الخراج المجعول على رأس الذمي

(مايكون لى) اى مايتصور منى بعد اذ بعثتنى لهداية الخلق (أن أقول) فى حق نفسى (ماليس لى بحق) اى ما استقر فى قلوب العقلاء عدم استحقاقى له مما يضلهم (ان كنت قلته فقد علمته) اى قبل ان اقول فكيف أرسلت للهداية من علمته مضلا لانك (تعلم ما فى نفسى) اى حقيقتى (ولا أعلم ما فى نفسك) حتى ما يتعلق بنفسى من علمك بخفاياها (انك انت علام الغيوب) فتعلم ما غاب عنى من صفات نفسى وضمائرها لكن لو كانت فى ما كنت مرسلى فدل ارسالك على أنى (ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن) أقول لهم (اعبدوا الله) لا معتقدا باعتبار ظهوره فى مظاهرى بل باعتبار كونه (ربى وربكم و) لا يتوجه على ما حدثوا بعدى لانى انما (كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) ينافى لى نهيهم عما أشاهد فيهم مما لا ينبغى (فلما) رفعتنى فصرت كانك (توفيتنى كنت أنت الرقيب) اى الناظر (عليهم و) كذا قبل ذلك اذ (أنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم) بما شهدت فيهم من اتخاذهم اياى وأمى الهين (فانهم) وان خرجوا عن خالص عبوديتك بالشرك (عبادك) فلك ان تتصرف فيهم بما شئت ولو لم يفعلوا ذلك أيضا ولا يمنعك من اتخذوه شريكا من ذلك (وان تغفر لهم) فليس من عجزك ولا من سفهك بل من عزتك أن لا تبالى بمعاصيهم ومن حكمتك أن لا تعاقب من توسل اليك بعبادة الغير أو عبدك بمظاهرك (ف) فى كل حال (انك أنت العزيز الحكيم) فالعزة والحكمة كما يقتضيان العذاب باعتبار كذلك يرفعه باعتبار آخر فاذا لم يعتبر فى التعذيب بل انما اعتبرت العبودية (قال الله) الغفران وان لم يبطل عزتى ولا حكمتى لكن سبق وعدى بانه (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فلو عملت بالكاذبين مثله لم يظهر نفع صدقهم وذلك النفع أنه يكون (لهم جنات) من غرس صدقهم (تجرى من تحتها الانهار) كما جرى لهم من صدقهم أنهار المعارف والاعمال الصالحة ولا يختص لهم ذلك بيوم دون يوم بل يكونون (خالدين فيها أبدا) لانهم (رضى الله عنهم) لصدقهم (ورضوا عنه) بحقيقة الصدق لهم فلم يسخطوا القضاء فى الدنيا وكيف يسقط التعذيب عن غيرهم وهو موجب لدخول تلك الجنات مع ان (ذلك الفوز العظيم) الذى لا ينالها أهل التكذيب سيما اذا كانوا اسماء بالفساد بل مقتضى قواعد الملك الانتقام منهم والانعام على أهل الصدق (لله ملك السموات والارض وما فيهن و) لا يمنعه ادامتهما على أهل الرضا الكلى والسخط الكلى اذ (هو على كل شئ قدير) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانعام)

سميت بها لان أكثر أحكامها وجهالات المشركين فيها فى التقرب بها الى اصنامهم مذكورة فيها وقد اشتملت على أكثرها الائمة وبها ظهور رجائها (بسم الله) الجامع للكمالات المستوجبة للمحامد من الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بايجاد السموات والارض

وسميت بجزيه لانهم انفسهم لما عليهم ومنه قوله جل وعز لا تجزى نفس عن نفس شيأ اى لا تقضى ولا تغنى (قوله عز وجل جدار) اى حائط وجمعه جدر (قوله عز وجل جبلة الاولين) اى خلق الاولين (قوله تعالى جذوة) وجذوة وجذوة من النار قطعة غليظة من الحطب فيها نار لا لهب لها (قوله عز وجل جنات)

والظلمات الحسية التي يتوقف عليها بعض المنافع والعقلية التي هي سبب عمارة العالم السفلي بحجبها عن الذات الالهية والصفات (الرحيم) بايجاد النور الكاشف عنهما وعن ايصال المكونات اليهما (الحمد لله) أي جميع الحامد بما حمد به نفسه أو خلقه أو حمده الخلق بهم أو بعضهم مخصوص به لانه (الذي خلق) أي قدر بمقدار تقتضيه الحكمة بحيث يستوجب الحمد (السموات) التي هي باوضاعها وحركاتها أسباب الكائنات والفاسدات التي هي مظاهر الكمالات الالهية وجمعها ليشعر بغاية كثرتها بحيث يكون لامر واحد أسباب كثيرة فلا ينقطع بانقطاع سبب معين (والارض) المشتملة على قوابل الكون والفساد التي هي المسببات ووحدها ليشير الى أن في قوابلها ما يقبل مع وحدته الصور الكثيرة من اختلاف الاسباب (وجعل) أي أوجد من غير تقدير اذ لا مقدار لهما في ذاتهما (الظلمات) الحسية وهي ظلال الاجسام الكثيفة الساترة من المحسوسات والمعنوية الوهمية أو الخيالية الحاجبة عن المعقولات ليتوقف بعض المنافع على ذلك وفيه استتار الحق بالصفات الجلالية بل تجليه بها وجمعها ليشعر بكثرتها كيف ومنها الشبهات الحاجبة عن ادراك الصواب وبرفعها يظهر فضل مدركه وجعلها بازاء السموات ليشعر بان بعض أسبابها مما يحجب عن المسبب (والنور) وهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ووحده مع كثرة أنواعه لان المراد ما يوجب ظهوره في المظاهر أو يوصل الى توحيده وأخرهما عن ذكر السموات والارض لانهما سببا الادراك وامتناعه وهما فرع المدرك والمدرك (ثم) صار انعامه بذلك سبب العدول عنه الى غيره أو التسوية بينه وبين غيره لاستغنائهم ببعض ما أنعم به أو احتجابهم به عن المنعم اذ (الذين كفروا) أي غطوا كفرهم وان أنكروه وثبت في الازل فستروا المنعم مع غاية ظهوره أو عبدوا مظاهره على اعتقاد كمال ظهوره فيها وهو اعتقاد النقص بالنظر الى ما هو كأنه هو ستر بالحقيقة (بربهم) الذي رباهم بهذه النعم ليلازموا بابه وعبادته ولا ينظروا الى غيره (يعدلون) يميلون عنه الى عبادة بعض ما أنعم أو يسوون بينه وبين بعض ما أنعم في اعتقاد الالهية أو استحقاق العبادة وتجديد النعم حتى في حال تعظيمهم للحق لانهم لا يعظمونه بحيث لا يشاركه الغير ولا يتوجهون اليه بحيث يخلون عن كل ما سواه ثم أشار الى انه وان توهم نسبة سائر النعم الى غير الله فلا يتوهم نسبة نعمة خلق الانسان الذي هو المظهر الجامع الى غيره لقصوره مع امتناع كون القاصر موجد الكامل فقال (هو الذي) علم بحيث لا يعارضه وهم لمضيه في العقول انه (خلقكم) خاطبهم ليشير الى اعزازهم بخطابه الازلي مع كونهم (من طين) في غاية الهوان ولا شعور له فهو غاية الانعام الموجب غاية ذم من مال عنه أو سوى بينه وبين غيره والطين هو التراب الممزوج بالماء فهم مخلوقون من الارض مع أثر سماوي (ثم) أي بعد ما تم خلقكم (قضى) أي قدر وكتب في جباهكم (أجلا) هو أجل الموت وهو أيضا أثر سماوي لكونه من الزمان الذي هو مقدار أسرع الحركات السماوية ونكره لابهامه وانما قدره

أي نضاع كبار واحدها جفنة وقصعة (جمالات صفر) أي ابل سود أي جمع جمالة وواحد الجمالة جمل وجمالات بضم الجيم قلوس سفن البحر (قوله تعالى جيدها) أي عنقها (قوله عز وجل جنة) أي جنون كقوله تعالى من الجنة والناس وجنة جنون كقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة

•(باب الجيم المفتوحة)•

لينتقل من دار القصور الى الكمال ليكون أجمع وليدل على أجل القيامة المشار اليه بقوله (وأجل مسمى) أى معين فى حق الكل (عنده) لا يعلمه غيره لانه ان قرب تعطلت الامور وان بعد لم يلتفت اليه ولم يذكر ههنا تقضى لانه لم يكتب فى الحياة لعدم اختصاصه بأربابها وجعلها جامعة للدلالة على ثبوته فى العقول اذ بدونه يلزم العبث فى خلقها وتفهيم الخطاب الازلى وفى الاجلين اقوال انتهاء حياة وابتداء حياة أو ابتداء موت وانتهاء موت أو ابتداء موت وابتداء حياة أو انتهاء حياة وانتهاء موت وهذا أظهر (ثم) أى بعد انعامه عليكم بخلقكم واعزازكم بخطابه مع غاية هوان أصلكم وبعد العلم بانتقالكم الى داره والى حكمه (أنتم تمترون) أى تثبتون على الشك أو المجادلة فى الحق بتقليد الافعال وكيف تمترون فيه (وهو الله) أى الظاهر بذاته وصفاته (فى السموات وفى الارض) ليراها براياها مفصلا ثم ظهر فيكم مجملا لتشاهدها كما كان يشاهدها فى نفسه فكل ما بكم ظهوره انه التى شاهدها فهو (يعلم سركم) مظهر باطنه (وجهركم) مظهر ظاهره (و) كما يعلم ما بكم باعتبار الظاهرية (يعلم ما تكسبون) باعتبار حقائقكم التى يختلف بها الظهور والواحد وهى جهة الجزاء اذ هى جهة الاعراض عن آيات الله (و) لذلك (ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) فلا يستدلون بها عليه والاعراض عن دلالتها تكذيب للحق الناطق بالدعوة اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فزعموا ان الآيات كمالات الحق ظهرت بتلك المظاهر ليعبد فيها وهذا استهزاء به اذ قالوا بظهور الالهية فيها فكأنهم جعلوها من الحوادث فهذا الاعراض والتكذيب والاستهزاء انباء مرجعها انباء الاستهزاء فان لم تظهر فى دار الابتلاء فلابد من ظهورها فى دار الجزاء (فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) وقد جاء المستهزئين قبلهم انباؤهم (ألم يروا) أى ألم يعلموا علما يشبه الرؤية بالبصر لسماعه وايا بالتواتر من اتيان المستهزئين الاولين انباؤهم مرارا كثيرة (كم أهلكنا) أى كثيرا من أهلكنا بحيث أفاد تجربة واستقرار عادة (من قبلهم من) أهل (قرن) أى زمان فكأنهم لم يبالوا بذلك اما لأنه أو امن تمكين الله فتوهموا انه مناف للاهلاك ومن توسيع الرزق عليهم فتوهموا انه مناف للتضييق بالانتقام منهم على انهم يتوهمون ان اهلاك من تقدم انما كان لذا ترة للكتهم لا لذنب صدر منهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (مكناهم) لم يقل لهم لقطع بعدم اتقائهم بخلاف المخاطبين اذ يتوقع لهم النفع قبل اهلاكهم (فى الارض) فيه اشارة الى أن التمكين فى العمارات هو الذى يكن به لمنافيا للاهلاك (ما لم نمكن لكم) فلم يمنع تمكينهم من اهلاكهم (وأرسلنا) هو أبلغ من أنزلنا فى الدلالة على الكثرة (السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى مغزارا (وجعلنا) فى وقت أو مكان لا مطر فيه (الانهار تجرى من تحتهم) فهذه التوسعة لا تنافى تضييقهم بالعذاب بل صارت ذنوبهم بعد ذلك سبب الاهلاك الكلى (فأهلكناهم) وقد ترتب على ذنوبهم فكان (بذنوبهم) اذ ترتب الشئ على سببه هو الاصل (و) اما أهلكناهم فى الدنيا على ذنوبهم مع

(حنيف) من كان على دين ابراهيم عليه السلام ثم سمى من كان يختتن ويحج البيت فى الجاهلية حنيفا والحنيف اليوم المسلم ويقال انحنف عن ابراهيم و... حنيفا لانه كان حنف عما يعبد أبوه وقومه من الآلهة الى عبادة الله عز وجل أى عدل عن ذلك ومال وأصل الحنف ميل فى ابهامى القدمين من كل واحدة على صاحبتها (قوله عز وجل حج البيت) أى قصد البيت ويقال حجيت الموضع

انه ليست دار الجزاء ليكون عبرة لمن بعدهم اذ (أنشأنا من بعدهم قرنا) خلائف لهم (آخرين) فلا تناسخ فيه يمنع من المبالاة بالاهلاك لعودهم عن قرب (و) لكن أمثال هؤلاء المشركين من بعدهم الاعتبار بحيث (لو نزلنا) من مقام عظمتنا على سبيل التعجيز الذى هو أتم فى الاعجاز (عليك) أيها الطوفى نفسه الداعى الى الخيرات فى العموم (كتابا) عظيم الشأن فى الالفاظ والمعانى (فى قرطاس) رأوا نزوله من السماء (فلمسوه بأيديهم) التى هى أعدل الاعضاء اللامسة مع انه لا دخل للسحر فى هذه القوة (لقال الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم بانكار امكان الارسال والمعجزات (ان) أى ليس (هذا) المعظم من الوجوه الدالة على انه لا يكون الامن الله (الا سحر مبين) لنفسه لا يحتاج الى بيان (وقالوا) لما كانت المعجزة من الحالات الصريحة فلا دليل على النبوة سوى شهادة الملك (لولا أنزل عليه ملك) يشهد بصدقه (ولو أنزلنا ملكا) فلو أنزلناه بصورته الملكوتية (لقضى الامر) أى انقطع أمر التكليف اذ لا ينفع الايمان بعد انكشاف عالم الملكوت (ثم) ان لم يقصر (لا ينظرون) أى لا يمهلون اذ الامهال انما كان للنظر فان المعجزة وان أفادت علما ضروريا لا تخلو عن خفاء يحتاج الى أدنى نظر ولا خفاء مع انكشاف عالم الملكوت فلا وجه للامهال للنظر ولم يقبل الايمان معه فلابد من المؤاخذة عقيبه (ولو جعلناه ملكا) بحيث يراه أهل عالم الشهادة (لجعلناه رجلا) أى على صورته ليدركه أهل عالم الشهادة (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم) من استحالة ارسال الشاهد امثل (ما يلبسون) على أنفسهم ومقلديهم من استحالة ارسال البشر ولو لم يكن شئ من الامرين فلا وجه لانزاله أيضا لانهم لما رأوا المعجزات من الحالات وانزال الملك غايته انه من المعجزات كان طلبهم ذلك استهزاء بهم يستحقون بذلك الاستهزاء من الله (و) قد فعل الله ذلك بمن قبلهم لانه (لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى أحاط من الجوانب (بالذين سخروا منهم) لا بالرسل (ما) أى الاستهزاء الذى (كانوا به يستهزؤن) اذا هلكوا فى الدنيا على أقبح الوجوه ثم ردوا الى أقطع العذاب أبدا الآبدين وجعل الرسل فى أعلى منازل القرب من رب العالمين فان أنكروا انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (قل) ان لم تصدقوه بما تواتر ولم تكتفوا بامارتهم فى مكان لعدم دلالته على استمرار هذه السنة ولو أبصرتم الكل ومكانكم لتسبقوه الى السحر فلابد أن (سيروا) سيرا ممتدا (فى) أطراف (الارض ثم) بعد تحملكم مشاق السير المذهبة رعونة النفس (انظروا) فى آثارهم الدالة على انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن لتعلموا (كيف كان عاقبة المكذبين) الذين تضمن تكذيبهم الاستهزاء وكان عاقبتهم استهزاء الله بهم فان زعموا انه لا دلالة بها على انها كانت لتكذيبهم اذ ليست بمعصية يعاقب بها صاحبها بمثل تلك العقوبة (قل) أى معصية أعظم من التكذيب والقول بانكار الرسالة والمعجزة وفيه تعجيز لله عن اقامة الدليل على صدق من أرسلهم وانكار رحمته وعدله وحكمته فان أنكروا قدرته على المعجزة سلهم (لمن ما فى السموات والارض) فان قالوا هو له لكن المعجزة ليست من فعله حتى تدل

أجمع ما اذا تصدق ثم يمنى الفقراء البيت يجادون والحج والحج ما سواه والحج والحج الصغر العمرة وقوله عز وجل يوم الحج الاكبر أى يوم النحر ويقال يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الاصغر (قوله تعالى حصورا) على ثلاثة أوجه الذى لا يأتى النساء والذى لا يولد له والذى لا يخرج مع الندامى شيئا (قوله عز وجل الحواريون) هم صفوة الانبياء عليهم السلام الذين خلصوا

على تصديقه (قل لله) هى أيضا لانه الماعين فعل أو فعل من أعطاء القدرة عليه لكنه لا يعطى أحدا قدرة تفضى الى عجزه عن شئ سيما تصديق الرسل الذين تقتضى الحكمة ارسالهم لانه من الرحمة وقد (كتب) ربكم (على نفسه الرحمة) وكمالها فى الجزاء اذ بدونه تضيع مشاق المعارف الالهية والاعمال الصالحة وتضيع المظالم ولا جزاء فى دار الدنيا لانه فرع التكليف ودار التكليف لا تكون دار الجزاء لان مشاهدته مانعة من التكليف فلذلك حلف (ليجمعنكم) فى القبور (الى يوم القيامة) واذا حلف فهو (لا ريب فيه) ولا يعرف الا بارسال الرسول فلا يكون تكذيبه الا بسبب خسران ما وعد على معارفه وأعماله الصالحة على ألسنتهم (الذين خسروا أنفسهم) فقدروا عليها ما وعد الله وألزموها قهره وغضبه الذين ظهرت آثار ذلك على بعضهم فى الدنيا (فهم لا يؤمنون) وكيف يرتاب فى يوم الجزاء والدنيان صلحت له فانما تصلح بجزاء ان يتلذذ بغير الله (و) أما من كان تلذذه بالله لا لانه ل (له) وهو (ما سكن) اليه (فى الليل والنهار) أى سائر الذكر والصحو فلا بد له من جزاء غير لذات الدنيا ولا يكفى تلذذه بالله فى الدنيا لانه ممزوج بالم شوقه (وهو السميع) لانينه (العليم) بحنينه فلا يتمحض تلذذه الا برؤيته ومكالمته ولا يتم الا يوم القيامة ولا يبعد اعطاؤه الجزاء على الاعمال الغير المحصورة لغير المحصورين لانحصار الكل له لانه من جملة ما سكن أى دخل فى الليل والنهار الحاصرين وهو السميع لنيات العاملين العليم بأعمالهم ومقاديرها ولا يبعد احياؤه الجمادات من ابدان الاموات لانها وان كانت دون الحيوان والنبات الساكنين بالليل المتحركين بالنهار لكن الكل من مظاهره حتى انه له ما سكن فى الليل والنهار من الجمادات فكما تقبل ظهوره فله قبول ظهور حياته وظهور سمعه لسماع خطابه وظهور علمه لادراك اعماله وجزائها فلا ينبغى ان يرتاب فى يوم الجزاء لهذين الامرين ثم انه كما لا يكفى نعم الدنيا الجزاء من سكن الى الله فلا يلتذ بغيره لا يكفى آفاتها الجزاء من أشرك به وان كان مرغوبا بالمجمع وحتى لاموا بتركه الانبياء لما فيه من ترك متابعة الآباء (قل) بطريق الانكار على نفسك امحاضا للنصح (أغير الله) الذى له الكمالات بالذات (أتخذ وليا) مع انه لا كمال له فى ذاته لغيره (فاطر) أى مخترع (السموات والارض) من غير مثال سابق وكمالات سماته وقد اشتمل على آيات ومنافع كثيرة أتم بها على العقلاء على ان الولى انما يتخذ لانعامه أو الحاجة اليه (وهو) كاف فيهما لانه (يطعم) ويحصل مقدماته وما يترتب عليه (و) لا حاجة له ولا انعام عليه ولا يطلب العوض لانه (لا يطعم) فيجب اتخاذه وليا معبودا شكرا على انعامه وكفايته الحوائج بلا عوض وكيف لا يعاقب على ذلك وفيه مخالفة أمره (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لاصير متبوعا للباقين فهم مأمورون بالاسلام ومخالفته ثم به اذ قد نهيت عن الشرك صريحا بعد النهى فى ضمن الامر وأكد ذلك تأكيدا فقيل (ولا تكونن من المشركين) ونهى المتبوع نهى التابعين والامر والنهى من الحكيم القدير سيما المتبوع لا يكون للعبث فأقل ما فيه الخوف حتى للمتبوع (قل انى أخاف ان

واخلصوا فى التصديق ونصرتهم وقيل انهم كانوا قصارين يحوروا الثياب ثم صار هذا الاسم مستعملا فيمن أشبههم من المصدقين وقيل كانوا صيادين وقيل كانوا ملوكا والله أعلم (قال ابو عمرو فيه ثلاث لغات صفوة وصفوة وصفوة والكسر أجودهن) (قوله تعالى حبل) عهد (حسرة) ندامة واغتمام على ما فات ولا يمكن ارتجاعه (قوله تعالى حسبنا الله) كافينا الله

عصيت) بمخالفة امرى أو نهى ولو فيما دون الشرك (ربى) المنعم بانى تبلغنى رتبة النبوة فذن عصيانه أشرف (عذاب يوم عظيم) تظهر فيه عظمة القهر الالهى وان كنى فيما دون الشرك الا ان ذات النبوة لكن لاختصاصه بما لغيره يضاعف عذابه لانه موضوع له بل صار لعومه بحيث (من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) بعظم عنايته كيف (وذلك الفوز المبين) الذى يفوق الفوز بدخول الجنة اذ ترتبه أهون من مقاماته فاذا عظم فوز النجاة يومئذ من عذاب مادون الشرك فما حال عذاب الشرك كيف ولا يرفعه عمل ولا شفاعة بل الآفات الدنيوية لا ترتفع بمعالجة ولا قوة ولى الا باذن الله (و) ذلك لانه (ان يمسسك الله بضر) ولو دنيويا (فلا كاشف له) من دواء ولا من والاة ذى قوة بل لا يكشفه اذا كشفه عقيب الدواء والرقى والعزوات (الاهو) اذ ليس لغيره قدرة بمعارضته ولذلك كثيرا مالا يفعله ويفعل عقيب دعواته أكثر ما يفعل عقيبها (وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير) فيقدر على اتمامه وان أراد الغير قطعه وأكثر ما يتم بالشكر فان أبى فلتبعه بعضه باجل منه وأكثر ما يقطعه بالكفر فان أتم فلاستدراج (و) لو فرض لغيره قدرة مستقلة فليس له معارضة الله تعالى اذ (هو القاهر فوق عباده) فان شاء أمضى تأثيرهم وان شاء قطع (و) ليس على سبيل التحكم بل (هو الحكيم) فلا يمضى الاحيث لا يضره الآخرة الا فى حق المستدرج (الخبير) بمن يحتاج الى الواسطة ومن لا يحتاج اليها فمن استغنى بالله أغناه ومن توسل بوسايط الخيرات مع بهارها الآخرة بآخرته وكانهم اذا سمعوا بذلك قالوا لا نعرف هذا العذاب الاعن قولك ولا نثبت الابشاهد عظيم (قل أى شئ أكبر شهادة) بحيث لا يمكن معارضته بما يساويه فان سووا بين شهادة الله وغيره (قل الله) أكبر شهادة اذ لا احتمال للكذب فى قوله أصلا وهو (شهيد) أى مبالغ فى الشهادة على نبوتى بحيث يقطع النزاع (بينى وبينكم) اذ شهد بالقول فى الكتب التى أنزلها على الاولين وبالفعل فيما ظهر على يدى من المعجزات (و) أعظم فى المعجزة القولية التى لا مجال لتوهم السحر فيها اذ (أوحى الى هذا القرآن) الجامع للعلوم التى يحتاج اليها فى المعارف والشرائع فى الفاظ يسيرة فى أقصى مراتب الحسن والبلاغة (لانذركم به) يا من بلغوا الغاية القصوى فى باب البلاغة (ومن بلغ) من عقلاء العالمين وفضلائهم ثم سمع اذ يعرفون اعجازه فيقع فى قلوبهم صدقه ولما أقام الشهادة على نبوته طلب منهم الشهادة على شركهم واشار الى انه لا شاهد له من الدلائل العقلية والنقلية والكشفية للرسل والاولياء واتباعهم واقوالهم فقال (أئنكم) من غير أصل (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل) انه وان كثرت الشهداء منكم عليه حتى تواتر (لا أشهد) لان التواتر انما يفيد العلم حيث كان عن مشاهدة ولا مشاهدة هنا ولا دليل بل أشهد على توحيده (قل انما هو اله واحد) لا يشارك فى الهيته ولا فى صفات كماله (واننى برىء مما تشركون) من عبادتكم لها واعتقادكم استحقاقها لها وكأنهم اعترضوا على شهادة الله فى كتب الاولين بانكار جهور واهل الكتاب اياه فأجيبوا بأنه انكار

(قوله تعالى حبلت) أى بطلت (حنظ) أم الوهم (حرق) بار تلهب نسيب (قوله عزوجل حلائل) جمع حليلة الرجل أى امرأته وانما قيل لامرأة الرجل حليلته وللرجل حليلها لانه يحل معها وتحل معه ويقال حليلة بمعنى محلة لانها تحل له ويحل لها (قال أبو عمرو ومنه قولها تركت عنترة وحليل ثمانية) (قوله عزوجل حسيبا) أى محاسبا (قوله عزوجل حسيبا) فيه أربعة أقوال كافيا وعالما ومقتدرا ومحاسبا (قوله عزوجل حاق بهم) أى

لما امروه كما عرف به من آمن منهم لاغراض كانت لهم وقد ظهرت ولا يعدمنهم لذلك
سترما لم يظهر في العموم ولا تغيير به فقيل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) لانه ذكر فيه
نعته وهو وان لم يفد تعينه باللون والشكل والزمان والمكان تعين بقرائن المعجزات
فبقاء الاحتمال البعيد فيه كبقائه في الولد بانه يمكن ان يكون غير ما ولدته امرأته او
يكون من الفجور مع دلالة القرائن على براءتها من التزوير والفجور ونحوه (كما يعرفون
أبناءهم) في ارتفاع الاحتمال البعيد بالقرائن على براءتها فانكاره خسران لما امروه ولما
أمروا بالتدين به (الذين خسروا أنفسهم) بتفويت ما أوتوا من الكتاب وما أمروا به
(فهم لا يؤمنون) وكيف لا يخسرون وهم ظالمون وكل ظالم خاسر وانما قلنا انهم ظالمون لانهم
يعزلون كتاب الله لفظا أو معنى فيفترون على الله الكذب ويكذبون آيات الله من كتابهم
ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وقد يسترون بعض ما في كتابهم وهو أيضا تكذيب
وطلوا مع ذلك لانه لا يتأتى لهم ترك الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم بدون أحد هذه
الامور (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) لانهم بالتحريف يدعون
الهية أنفسهم وبالتكذيب يريدون تعجيز الله عن تصديقه الرسل وينسبون ايجادها الى
غير الله مع افتقارها الى القدرة الكاملة وانما قلنا كل ظالم خاسر لان كل ظالم لا يفلح
(انه لا يفلح الظالمون) أى لا يفلحون في الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم
وفيه اشارة الى أن مدعى الرسالة لو كان كاذبا كان مفتريا على الله فلا يكون مفلحا ولا
يكون سببا لصلاح العالم ولا علا لظهور المعجزات ولما ذكر جواب الاعتراض على شهادة
الله بنسبة مال الافتراء على الله وتكذيب آياته اليه أشار الى جواب اعتراض الله على
شهادة المشركين ان مع الله آلهة أخرى بالكذب على أنفسهم بانكار شهادتهم وهو أيضا
ظالم على ظلم بالافتراء على الله بالشرك وقد شاركهم الاولون في الشرك أيضا فقال (ويوم
نحشرهم) أى انكم لا يفلحون في الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم لا يفلحون
يوم نحشرهم أى الانس والجن والشياطين والملائكة (جميعا) ليفتضح جميعا من لا يفلح
من الظالمين مزيد افتضاح ويظهر المفلحون بكمال العزة (ثم نقول للذين أشركوا) أى
مضوا على الشرك بان ماتوا عليه وهم الشاهدون أن مع الله آلهة أخرى وكذا المفترون
على الله بالتحريف والمكذبون بآياته بجعلها للغير (أين شركاؤكم) الذين جعلتموهم
شركاءنا وهم شركاؤكم في العبودية (الذين كنتم تزعمون) من عند أنفسكم بلا دليل
عقلي ولا نقلي ولا كشفي أصدتم بذلك فعل الفاتنين في المملكة بجعلها الغير من هي له
فيفتخرون (ثم لم تكن فتنتهم) أى جواب ما اعترض به على فتنتهم التي هي شهادتهم أن مع
الله آلهة أخرى (الا أن قالوا) معتذرين عنها بتجاهلهم مؤكدا بالقسم بالاسم الجامع مع
نسبة الربوبية اليه لا الى ما سواه (والله ربنا ما كنا مشركين) فكان هذا العذر ذنبا آخر
يؤكد الافتراء بالشرك الذي نفوه (انظر كيف كذبوا) مع علام الغيوب بعد كشف

أ...ق عليهم (موقد
يوم) أى ... ما حار
عز وجل حميم) أى ما
والحميم القريب في النسبة
كقوله عز وجل ولا يسئل
حميم حميما أى قريب قريبا
والحميم أيضا الخاص يقال
دعينا في الخاصة لا في العامة
والحميم أيضا العرق قال أبو
والحميم أيضا الماء البارد
والحميم الماء الحار يقال
وخاصة الابل الجياد يقال
لها الحميم يقال جاء المصدق
فاخذ حميمها أى خيارها
وجه آخر فاخذ شاتها أى
شرارها وأنشد
وساغ لى الشراب وكنت قبلا

عصيت) بمخالفة أمر أو نهى ولو فيما دون الشرك (ربى) المنعم بانى فبلغنى رتبة المتبوعية فان عصيانه أخوف (عذاب يوم عظيم) تظهر فيه عظمة القهر الالهى وان كنى فيما دون الشرك الآفات الدنيوية لكنه لاختصاصه بالتعذيب يخاف عذابه لانه موضوع له بل سار لعمومه بحيث (من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) بعظم عنايته كيف (وذلك الفوز المبين) الذى يفوق الفوز بدخول الجنة اذ قوتهم أهون من مقاساته فاذا عظم فوز النجاة يومئذ من عذاب ما دون الشرك فما حال عذاب الشرك كيف ولا يرفعه عمل ولا شفاعة بل الآفات الدنيوية لا ترتفع بمعالجة ولا قوة الا باذن الله (و) ذلك لانه (ان يمسسك الله بضر) ولو دنيويا (فلا كاشف له) من دواء ولا مواد الا ذى قوة بل لا يكشفه اذا كشفه عقيب الدواء والرقى والعوذات (الا هو) اذ ليس لغيره قدرة يعارضه ولذلك كثيرا ما لا يفعله ويفعل عقيب دعواته أكثر مما يفعل عقيبها (وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير) فيقدر على اتمامه وان أراد الغير قطعه وأكثر ما يتمه الشكر فان أبى فليعوضه باجل منه وأكثر ما يقطعه بالكفر فان أتم فلاستدراج (و) لو فرض لغيره قدرة مستقلة وليس له معارضة الله تعالى اذ (هو القاهر فوق عباده) فان شاء أمضى تأثيرهم وان شاء قطع (و) ليس على سبيل التحكم بل (هو الحكيم) فلا يمضى الا حيث لا يضر ولا تأثيره الا فى حق المستدرج (الخبير) بمن يحتاج الى الواسطة ومن لا يحتاج اليها ومن استغنى بالله أغناه ومن توسل بوسايط الخيرات مع جهاه والا أضر بآخرته وكانهم اذا سمعوا بذلك قالوا لا نعرف هذا العذاب الا من قولك ولا تثبت الا بشاهد عظيم (قل أى شئ أكبر شهادة) بحيث لا يمكن معارضته بما يساويه فان سووا بين شهادة الله وغيره (قل الله) أكبر شهادة اذ لا احتمال للكذب فى قوله أصلا وهو (شهيد) أى مبالغ فى الشهادة على نبوتى بحيث يقطع النزاع (بينى وبينكم) اذ شهد بالقول فى الكتب التى أنزلها على الاولين وبالفعل فيما ظهر على يدى من المعجزات (و) أعظم فى المعجزة القولية التى لا مجال لتوهم السحر فيها اذ (أوحى الى هذا القرآن) الجامع للعلوم التى يحتاج اليها فى المعارف والشرائع فى الفاظ بيرة فى أقصى مراتب الحسن والبلاغة (لانذركم به) يا من بلغوا الغاية القصوى فى باب البلاغة (ومن بلغ) من عقلاء العالمين وفضلائهم ثم سم اذ يعرفون اعجازه فيقع فى قلوبهم صدقه ولما أتم الشهادة على نبوته طلب منهم الشهادة على شركهم وأشار الى انه لا شاهد له من الدلائل العقلية والنقلية والكشفية للرسل والاولياء وانما هو أقوالهم فقال (أئنكم) من غير أصل (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل) انه وان كثرت الشهداء منكم عليه حتى تواتر (لا أشهد) لان التواتر انما يفيد العلم حيث كان عن مشاهدة ولا مشاهدة هنا ولا دليل بل أشهد على توحيده (قل انما هو اله واحد) لا يشارك فى الهيته ولا فى صفات كماله (واننى برئ مما تشركون) من عبادتكم لها واعتقادكم استحقاقها لها وكأنهم اعترضوا على شهادة الله فى كتب الاولين بانكار جمهور أهل الكتاب اياه فأجيبوا بأنه انكار

(قوله تعالى حبطت أعمالهم) أى بطلت (حطب) (حريق) أى تلهب تصيب (قوله عز وجل حلائل) جمع حليلة الرجل أى امرأته وانما قيل لامرأة الرجل حليلته وللرجل حليلها لانه يحل معها وتحل معه ويقال حليلة بمعنى محلة لانها تحل له ويحل لها (قال أبو عمرو ومنه قول عنترة وحليل غانية تركت مجدلا) (قوله عز وجل حسيبا) فيه أربعة أقوال كافيا وعالما ومقتدرا ومحاسبا (قوله عز وجل حاقبهم) أى

لما عرفوه، كما اعترف به من آمن منهم لاغراض كانت لهم وقد ظهرت ولا يبعد منهم لذلك
ستر ما يظهر في العموم ولا يعتبر بمثله فقيل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) لانه ذكر فيه
نعته وهو وان لم يفد تعينه باللون والشكل والزمان والمكان تعين بقرائن المعجزات
نبقاء الاحتمال البعيد فيه كبقائه في الولد بانه يمكن ان يكون غير ما ولدته امرأته أو
يكون من الغير ومع دلالة القرائن على براءتها من التزوير والفجور يعرفونه (كما يعرفون
أبناءهم) في ارتفاع الاحتمال البعيد بالقرائن على براءتها فانكاره خسران لما عرفوه ولما
أمروا بالتدين به (الذين خسروا أنفسهم) بتحريف ما ورثوا من الكتاب وما أمروا به
(فهم لا يؤمنون) وكيف لا يخسرون وهم ظالمون وكل ظالم خاسر وانما قلنا انهم ظالمون لانهم
يحرفون كتاب الله لفظا أو معنى فيفترون على الله الكذب ويكذبون آيات الله من كتابهم
ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وقد يحرفون بعض ما في كتابهم وهو أيضا تكذيب
وعملوا جميع ذلك لانه لا يتأتى لهم ترك الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم بدون أحد هذه
الامور (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) لانهم بالتحريف يدعون
الهية أنفسهم وبالتكذيب يريدون تعجيز الله عن تصديقه الرسل وينسبون ايجاده الى
غير الله مع افتقارها الى القدرة الكاملة وانما قلنا كل ظالم خاسر لان كل ظالم لا يفلح
(انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفلحون في الدنيا بقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم
وفيه اشارة الى أن مدعي الرسالة لو كان كاذبا كان مفتريا على الله فلا يكون مفلحا اذ لا
يكون سببا لصلاح العالم ولا عاملا لظهور المعجزات ولما ذكر جواب الاعتراض على شهادة
الله بنسبة ظلم الافتراء على الله وتكذيب آياته اليه أشار الى جواب اعتراض الله على
شهادة المشركين ان مع الله آلهة أخرى بالكذب على أنفسهم بانكار شهادتهم وهو أيضا
ظلم على ظلم بالافتراء على الله بالشرك وقد شاركهم الاولون في الشرك أيضا فقال (ويوم
نحشرهم) أي كما لا يفلحون في الدنيا بقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم لا يفلحون
يوم نحشرهم أي الانس والجن والشياطين والملائكة (جميعا) ليفتضح جميعا من لا يفلح
من الظالمين مزيد افتضاح ويظهر المفلحون بكمال العزة (ثم نقول للذين أشركوا) أي
مضوا على الشرك بان ماتوا عليه وهم الشاهدون أن مع الله آلهة أخرى وكذا المفترون
على الله بالتحريف والمكذبون بآياته بجعلها للغير (أين شركاؤكم) الذين جعلتموهم
شركاءنا وهم شركاؤكم في العبودية (الذين كنتم تزعمون) من عند أنفسكم بلا دليل
عقلي ولا نقلي ولا كشفي فصدتم بذلك فعل الفاتشين في المملكة بجعلها للغير من هي له
فتخيرون. (ثم لم تكن فتنتهم) أي جواب ما اعترض به على فتنتهم التي هي شهادتهم أن مع
الله آلهة أخرى (الا أن قالوا) معتذرين عنها بتجهيلها وكذا بالقسم بالاسم الجامع مع
نسبة الربوبية اليه لا الى ما سواه. (والله ربنا ما كنا مشركين) فكان هذا العذر ذنبا آخر
مؤكدا لاعترافهم بالشرك الذي نفوه (انظر كيف كذبوا) مع علام الغيوب بعد كشف

أحاط بهم (قال أبو عمر حاق
بهم) أي حق عليهم (قوله
عز وجل حميم) أي ماء حار
والحميم القريب في النسبة
كقوله عز وجل ولا يسأل
حميم حميما أي قريب قريبا
والحميم أيضا الخاص يقال
دعينا في الخاصة لا في العامة
والحميم أيضا العرق (قال أبو
عمر الحميم أيضا الماء البارد
وخاصة الابل الجياد يقال
لها الحميم يقال جاء المصدق
فأخذ حميمها أي خيارها
وجاء آخر فأخذ ناشها أي
شرارها وأنشد
وساغ لي الشراب وكنت قبلا

المطاعنهم بحضرة من لا يحصر من الشهود فنادوا به ضرارا (على أنفسهم و) لم يجدوا عنه تفصيا لانه (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من كونهم شركاء يشفعون لهم عند الله ويقربونهم اليه زلفى وهذا من عدم فلاحهم بافتضاحهم بافترائهم بالشرك الذى اعتذروا عنه بكذب آخر موكد له (و) منشأ ذلك عدم فلاحهم فى الدنيا بتدبر ما يسمعون منك من كلام الله المرشد لهم اذ (منهم من يستمع) أى يقصد سماع القرآن ناظرا (اليك) أى الى وجهك الذى يعرف من له أدنى بصيرة انه ليس بوجه كذاب (و) لكن لا يتدبر فيه حتى يطلع على اعجازه ويؤثر فيه الارشاد لانا (جعلنا على) بواطن (قلوبهم أكنة) أى حجبا من التعصب لدين الآباء أو حب الرياسة والمال تمنعهم من (أن يفقهوه) أى يفهموا بواطن قلوبهم بواطنه التى بها اعجازه وارشاده باقامة الدلائل ورفع الشبه بل التأثير فرع الوصول وطريق وصول المسموعات الآذان (و) قد جعلنا (فى آذانهم) التى هى طريق الوصول الى بواطن القلوب (وقرا) أى ثقلا مانعا من الوصول اليها لمعارضة مطالبهم المذكورة له (و) لا يختص هذا منهم بالقرآن لقصورهم فيه بل (ان يروا) بالأعين (كل آية) بحيث لا يخرج منها شئ مما يمكن ظهوره على يدى البشر عما يدل على صدق الرسول كانه مشاهد (لا يؤمنوا بها) وحملوها على السحر وقد بالغوا فى انكار المعجزة القولية التى لا يتوهم فيها السحر (حتى اذا جاؤك) يا من سرى نوره الى بواطن من يأتيك فلا يسرى منك نور اليهم لانهم (يجادلونك) فيبطلون استعدادهم لقبول نور منك ولما لم يمكنهم القول بأنه سحر (يقول الذين كفروا) أى ستروا اعجازه من كل وجه حتى من وجه اشتماله على أخبار الغيب (ان هذا الا أساطير الأولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (وهم) لرؤيتهم حلاوة نظمه فوق نثرهم وشعرهم مع متانة معانيه يعرفون ان التدبر فيه يفيد التطلع على اعجازه فيخافون تأثيره فى قلوب الخلائق فلذلك (ينهون عنه) أى عن قراءته واستماعه لئلا يدعوهم الى التدبر فيه فيفسد عليهم أغراضهم الفاسدة (و) يخافون على أنفسهم ذهاب تلك الاغراض بقوة تأثيره فلذلك (ينأون) أى يبعدون (عنه) يريدون اهلاكه (و) لكن لا يحصل لهم هذا المطلوب لان الله متم نوره ومظهر دينه ينعكس عليهم مرادهم فهم (ان) أى ما (يهلكون الا أنفسهم) بابطال نظريتهم وعمليتهم فى الدنيا واستحقاق العذاب الشديد الخالد فى الآخرة بل هم هالكون الآن لتحقق أسبابه فيهم (و) لكنهم (ما يشعرون) لاحتجابهم به لانوريتهم ولو شعروا لكانوا كالواقفين على النار (ولو ترى) أيها الناظر من بعد ما ابتلوا به (اذ وقفوا على النار) قبل دخولها لعظم عليك الامر فكيف حالهم بعد دخولها (فقالوا يا ليتنا) طلبا لتمنى المحال (نرد) من دار الآخرة مع ما فيها من سعة الرحمة لتضييعهم استعداد تحصيلها الى الدنيا ليحصل استعدادها بتكميل النظرية والعملية (و) مع ذلك (لا نكذب بآيات ربنا) لئلا يبطل ما حصل من الاستعداد (و) مع ذلك (نكون من المؤمنين) بكل ما يجب

أكالذا غمس بالماء الحميم أى البارد) (قوله عز وجل مرن) هو اصلاح الارض والقناه لتزرع ما يسمى الزرع المرن أيضا (قوله عز وجل حشرنا) جمعنا والمشر الجمع بكثرة (قوله عز وجل حيران) أى حائر ويقال حار يحار وتحير تحيرا أيضا اذا لم يكن لمخرج من أمره نحو عاد الى حاله (قوله عز وجل حمولة وفرشا) الحمولة الابل التى تطيق أن تحمل والفرش الصغار التى لا تطيق الحمل

الايمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وان لم يظهر لنا الكل واحد منها آية تظهر على يديه لئلا نصير مكذبين للآيات الظاهرة على يدى من أمر بالايمان بهم وانما نفعهم الرد الذى تمنوه لو كان تعذيبهم من خارج وليس كذلك (بل بدا لهم) بالصور القبيحة (ما كانوا يخفون من قبل) من الصفات الذميمة فيتعذبون بتلك الصور أيضا عند الرد فاذا لا يظهر عليهم معه خفة بل أسقط عنهم بالرد من العذاب الخارجى (ولو ردوا) مع اشتمالك الصفات فيهم ولابد منها اذ لا تكليف بدونها (لعادوا) فاعلين (لما نهوا عنه) لغلبة تلك الصفات على عقولهم المانعة عنه (و) لا يمنعهم عن العود وعدهم (انهم لكاذبون) لان تلك الصفات تدعوهم الى الخلف فى الوعد ولا مانع منه (و) كيف لا يعودون وهم يرون ما رأوه من البعث والوقوف على النار من أضغاث أحلام النائم وقعت فى أثناء الحياة الواحدة لذلك (قالوا ان هى) أى ليست الحياة التى يتوهم فيها البعث والتى يتوهم فيها الرد (الا حياتنا الدنيا) الاولة (و) ان متنا ووردنا بطريق التناسخ (ما نحن بمبعوثين) حتى يكون ذلك الوقوف على النار أمرا حقيقيا وانما رؤى حال تجرد الروح بطريق الرؤيا ثم تعلق بطريق التناسخ (ولو ترى) الذين لو ردوا بعد ما وقفوا على النار فقالوا انه رؤيا باطلة (اذ وقفوا على ربهم) فاطلعوا بالاطلاع عليه أنها نار حقيقية بعد البعث الحقيقى (قال) لهم تهكما بهم ورد المايتوهمونه من الرد (أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا) الكاشف لنا عن حقيقته (قال) لو رددتم عن هذا المقام احتجبتم تكفرتم المابرى بامثكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ولم يرفع عنهم لقاء الله العذاب وان اختص بأهل الحجاب لانه (قد خسر) النور الذى يمكن به رؤية الله (الذين كذبوا بلقاء الله) فحصلت لهم ظلمة التكذيب ولم يزالوا فى ظلمته (حتى اذا جاءتهم الساعة) الكاشفة عن نور الله (بغتة) قبل ان يألفوا نوره ليمكنهم رؤيته (قالوا) عند عماهم بفجأة النور بعد طول مدة الظلمة (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أى فى الدنيا اذ لم نكتسب من الاعتقادات والاخلاق والاعمال ما ينور الارواح ويؤنسها بنور الحق ولو أطاقوا النظر لمنعهم حجب المعاصى ولو لم تحجب فانما يراه من يكون قائما (وهم) يكونون راكعين اذ (يحملون أوزارهم) أى أثقال معاصيهم (على ظهورهم) بل يتكون لها (ألا ساء ما يزرون و) كيف لا يسوء الاوزار وقد ماء بجمع ما يعمل لحياة الدنيا مما ليس بوزر ولا عبادة فانه (ما الحيوة الدنيا) أى اعمالها (الا لعب) أى اشتغال بالامور الخسيسة (ولهو) أى هزل (وللدار الآخرة) أى أعمالها (خير) أى أتم لذة فى الدنيا (للذين يتقون) وان شقت على المشتغلين بلعب الدنيا ولهوها واللذات الاخروية المناسبة للذات الدنيا خير لهم أيضا لفضلها عن الروحانية (أ) تؤثرون الادنى الفانى على الاعلى الباقى الحاصل فى الحال لاهل الكمال (فلا تعقلون) وانما يؤثرون الدنيا لانهم لا يتلذذون لذة المتقين لانهم لا يستعملون العقول استعمالهم اياها فى أمور الدنيا حتى لا يصدقون الرسل

وقال بعض العلماء الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل ما يحمل عليه والفرش الغنم كذا قال المفسرون (قوله تعالى الحوايا) أى المباعر ويقال الحوايا ما تحوى من البطن أى ما استدار ويقال الحوايا بنات اللبن وهى متحوية اى مستديرة واحدتها حاوية وحوية وحاويا (قوله عز وجل حنيفا) أى مستقيما (حقيق على) أى حق على واجب على ومن قرأ حقيق

الذى لا يعرف وقوعها بدونه وان حسنها العقل ودل على صدق الرسول وانما عدم استماعهم
اياه فى حقه عليه السلام الموجب لتحقق الآخر مع وجوده عندهم كان يحزنه عليه
السلام ذلك فقال عز وجل (قد نعلم انه) أى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) قبلهم
أنك كاذب أو ساحر أو شاعر أو مجنون وكان ينبغى ان لا يحزنك تكذيبهم (فانهم لا يكذبونك)
فيما تخبر عن أمور الدنيا لعلمهم بصدقك مع انك لم تعط المعجزات الا لتصديق قولك فيها (ولكن
الظالمين) بتكذيبك فيما أعطيت المعجزات لتصديق قولك فيه (بآيات الله يجحدون) فلا
بد ان تزيل حزنك باهلاكهم لهذا الظلم العظيم فى حق آياته وليس امهالهم لاهمالهم بل
لجريان سنته عز وجل بتحقيق صبر الرسل وشكرهم (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا
على ما كذبوا وأوذوا) بأنواع الأذى ليزداد أجرهم (حتى أتاهم نصرنا) فشكروا فأعطوا
مع أجر الرسالة أجر الصبر والشكر وكلما طال الصبر كثر الاجر وعظم الشكر وعظم وزر
العدو واشتد عقابه (ولا مبدل لكلمات الله) من نصر الرسل واعطائهم أجر تبليغ
الرسالة والصبر والشكر وقهر الظلمة والمستهزئين (ولقد جاءك) بعض ذلك (من نبإ
المرسلين) لتعلم انه من سنة الله التى لا تتبدل فحزنك كالمنافى له (وان كان) الشأن (كبر)
أى ثقل (عليك) لمزيد شفقتك (اعراضهم) فلا ينبغى ان يكبر عليك مع مبالغتك فى تبليغ
الرسالة واظهار المعجزات واقامة الحجج ورفع الشبه وان لم يبلغ الى حد الالجاء المانع من
التكليف اذ لا يفيد معه الايمان وهم انما يعرضون لعدم ما يلجئهم الى الايمان (فان استطعت
أن تبتغى نفقا) أى سربا (فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم) من تحت الارض أو من
فوق السماء (بآية) ليست مما بين السماء والارض فأت بها لكن لم يجعل الله لك هذه
الاستطاعة اذ يصير الايمان ضروريا غير نافع ثم ان نفع كان موجبا لاجتماع الناس على
الهدى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لكنه شاء بمقتضى جلاله وجماله المتقابلة
قهره وغاية لطفه (فلا تكونن من الجاهلين) بما تقتضيه الصفات الالهية بل بما تقتضيه
عموم المملكة ثم انه لا وجه لان يكبر عليك اعراضهم لان غايتك التداعى والداعى (انما
يستجيب الذين يسمعون) وانما يسمع الاحياء وهؤلاء وان كانوا أحياء بالحياة الحيوانية
أموات بالنسبة الى الانسانية لموت قلوبهم بسموم الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الردية
(والموتى) انما يسمعون حين (يبعثهم الله) باحياء قلوبهم بموت الاعتقادات الفاسدة
والاخلاق الردية ولا يتصور الا بالموت الطبيعى الذى لا يكون بعده عود الى التكليف الذى
فيه الاجابة بل يبقون بعده مدة فى البرزخ (ثم اليه يرجعون) بعدما كانوا عنه معرضين
فيصيبون حين لا تنفعهم الاصابة (و) يدل على موت قلوبهم أنهم (قالوا) للآيات التى
لا يمكن معارضتها انها ليست من الله اذ لا الجاء فيها (لولا نزل عليه آية) ملجئة ليعلم انها (من
ربه قل ان الله) لا ينزل الآية الملجئة لان المقصود من انزالها طلب الايمان النافع ولا يتم
معها وليس ذلك من عجزه بل مع انه (قادر على أن ينزل آية) تلجئهم (ولكن) لا ينزل ما يخل

على أن لا أقول على الله الا
الحق فمعناه أنا حقيق بأن
لا أقول على الله (قوله تعالى
حفى عنها) معناه يسئلونك
عنها كأنك حفى بهم ويقال
تحفيت بفلان فى المسئلة
اذا سألت به سؤالا أظهرت
فيه العناية والمحبة والبر
ومنه انه كان بى حفيا أى
بارا معينا (وقال أبو عمرو)
صفات المخلوقين يقال فلان
معى أى تعب ولا يقال معى
من صفات الله عز وجل
فقلت ما يكون هذا مثل
المكر والعجب فقال هو جائز)

بفائدة الايمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها علة بفائدة الايمان فيطلبونها ويوقفون عليها الايمان (و) لا ينافى القول بموت فلو بكم مارى فيكم من الحياة فانه (ما من دابة) مستقرة (فى الارض) لا ترتفع عنها (ولا طائر) يرتفع عنها اذ (يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) فى الحيوانية بلا انسانية فمن خلا منكم عن علم وعمل فكالدابة ومن تحلى بهما فكالطائر وانما صورناه بصورة البشرية لانه (ما فرطنا فى الكتاب) أى لوح القضاء (من شئ) ناقص أو كامل من كل نوع ونعلمنا تابع له لكنهم مع نقصهم أعطيناهم من العقل مالو استعملوه اكملوا لذلك كانوا (ثم الى ربهم يحشرون) ليسئلوا هل استكملوا بها كانوا أم لا (والذين كذبوا بآياتنا) فانهم وان شاركوا الحيوانات فى السمع والانسان فى النطق والعقل فهم فى سماع آياتنا (صم و) فى الاعتراف بحقيتها (بكم) ومع وجود نور العقل فيهم (فى الظلمات) لعدم استنارة فطرتهم وعقليتهم بنور الشرع وهذه الامور وان كانت أسباب الهداية فلا تؤثر بل المؤثر المشيئة الالهية (من يشأ الله يضلله) فلا يعارضه أسباب الهداية (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) عند وجود الاسباب لا بها (قل) لبيان الصراط المستقيم ان أصل التوحيد اذ الشرك افراط بلا حاجة والتعطيل تفريط مخل بالحوائج (أرأيتكم) أى اخبرونى ما فائدة الشرك هل هى فى الرخاء الذى لا تبالون فيه بشئ أو فى حال الشدة فبينوا (ان أتاكم) أعظم وجوهها الذى هو (عذاب الله أو) مقدمته اذ (أتتكم الساعة) وانما اعتبر أعظم وجوه الشدة اذ لا حاجة فى الادنى الى الشرك بلا نزاع (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أى تخصون الغير بالدعوة الى رفع تلك الشدة لمزيد قوته بل لا تدعونه مع الله أيضا (بل اياه تدعون) أى تخصونه بالدعوة واستعدادكم تلزمه الاجابة حتى يتوهم ان الشرك بل هو على اختياره (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) اذ لم يكشف لا تدعون غيره بل (تنسون ما تشركون) لما كانت الفائدة العامة فى اتخاذ الاله الالتجاء اليه فى الشدائد (ولقد أرسلنا) بهذه الفائدة (الى أمم) مختلفة لاتفاقهم على الاعتراف بها (من قبلك) لتنبيههم أمتك لو أخذوا بها ونعتبرهم لو لم يأخذوا بها فاخذوا عليهم اقربيا والهاالكونهم فى الرخاء (فأخذناهم بالبأساء) أى الشدائد الخارجية (والضراء) أى الشدائد الداخلة (لعلهم يتضرعون) الى الله فيجيبون الدعوة بلا كلفة لكنهم لم يبالوا بها لم يستأصلهم وكان حقهم ان يبالوا بالشدائد الخارجية فضلا عن الداخلة (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فهل لا تضرعوا حين مجئ بأسنا وكذا الدلالة المعجزات (ولكن قست قلوبهم) فلم يكن فيها لين يوجب التضرع (و) لولا انت لم يعودوا الى التوحيد أيضا لانه (زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الشرك فلا يصح عندهم حتى يعملوا بمجئ البأس عليه فلما لم يفدهم البأساء التضرع الداعى الى التوحيد رفعه الله عنهم حتى نسوه (فلما نسوا ما ذكروا به) العذاب الاخروى من البأساء التى لم تستأصلهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من مطالبهم ورغائبهم استدراجا لهم بأن ذلك البأس

وقيل سائل حفى عنها كأنك كثير سؤالك حتى علمتها يقال أحفى فلان فى المسئلة اذا ألح فيها وتابع والحفى السؤل باستقصاء (قوله حملت حملا خفيفا) الملخفف على المرأة اذا حملت وقوله فمرت به أى فاستمرت أى قعدت به وقامت (قوله عزوجل مرض) وخفض وبحث بمعنى (قوله حنيفا) أى مستوى فى خلعه الارض بالرضف وهى الحجارة

لو كان على الشرك لم يكن معهذا الفتح ولم يزل ذلك (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من مطالبهم ورغائبهم مع الشرك فتأكد من يدنا كدورتين من يد ترين (أخذناهم) بالعذاب المستأصل (بغتة) أى بفجأة بلا تقديم مذكر اذلم يقدمهم فى المرة الاولى (فاذاهم مبلسون) أى قانطون اذلوانقطع صار كالاول فاستمر عليهم وان انتقلوا من نوع منه الى آخر ولما كان عذابهم مستأصلا عم صغارهم وكبارهم (فقطع دابر) أى نسل (القوم الذين ظلموا) وان لم يكن ظالما لانهم لو كبروا لتوارثوا الظلم من آبائهم (والحمد لله) على اهلاك الظالمين واهلاك نسلهم تبعيتهم (رب العالمين) اذربى الباقين بالعدل من غير تشويش ظالم وهم المقصودون من العالم فكأنما ربى الكل وان زعموا انا نلتجئ اليهم فى بعض الشدائد لتسترق بأسمائهم ويخبرونا بعض المغيبات والمعالجات (قل) لادلالة لالتجائكم على الهيتها حتى يصح الشرك وانما اعتبرناه لالزامكم اذ تعترفون به والرقى انما تدفع أذيات الشياطين وهى التى تخبر بعض المغيبات التى شهدتها والمعالجات ولاالهية بذلك بل بعموم القدرة والعلم وليس لها ذلك (أرأيتم) أى اخبرونى (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) فاذهبهما بالكلية بحيث لا يكون فيهما مجال للادوية (وختم على قلوبكم) فذهبها العلوم بالكلية بحيث لامجال فيه للادوية أيضا (من اله غير الله يأتيكم به) أى بذلك المأخوذ والشياطين انما تدفع أذياتها أوتعلم الادوية ولاترد ما أذهب الله منها بالكلية (انظر كيف نصرف الآيات) أى نوردها بطرق مختلفة (ثم) أى بعد وضوحهم تصريفنا الآيات (هم يصدفون) أى يعرضون ويستمرون عليه بتجديد الامثال فلايتأملون فيها عنادا وحسدا وكبرا وللاعتذار بجهلهم (قل) للمعرضين عنها بعد تصريفنا اياها الاخذ ماذكر (أرأيتكم ان أتاكم) على اعراضكم (عذاب الله) المستأصل لكم (بغتة) أى بفجأة من غير تقديم ما يشعر به اذلم يقدم ما تقدم (أوجهرة) بتقديمه مبالغة فى ازاحة العذر (هل يهلك) فيه أحدأم لابل لا (يهلك الا القوم الظالمون) بالاعراض عما صرف الله من الآيات وكيف يعم الكل مع انه منذر به على السن الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) لاهل الايمان والاعمال الصالحة (ومنذرين) لاهل الكفر والمعاصى ونصدقهم بالمعجزات فلابد أن يصدقوا فيما بشروا وأنذروا (فمن آمن وأصلح) الاعمال والاخلاق فهم أهل البشارة (فلاخوف عليهم) من ذلك العذاب قبل نزوله (ولاهم يحزنون) عند نزوله (والذين كذبوا بآياتنا) المصرفة فلم يؤمنوا ولم يصلحوا بها الاعمال والاخلاق (يمسهم العذاب) النازل بعد الانذار به لابطريق الاتفاق بل (بما كانوا يفسقون) عن أمر الله فى ترك الايمان ومباشرة الاعمال الطالحة واكتساب الاخلاق الرديئة ولوقيل لواختص العذاب بالمنذر به لكان المنذرون أصحاب خزائن العذاب ولولم يكونوا أصحابها فلاأقل من أن يكون لهم اطلاع على الغيب الكلى فان لم يعلموه فلاأقل من أن يكونوا ملائكة ينزلونه على من شاؤا أويصرفونه عمن شاؤا وأول الناس بذلك أكملهم (قل لاأقول لكم عندى خزائن الله) أخص من أشاء بفتح خزانة العذاب عليه (ولاأعلم الغيب) كله وان علمت ان كل كافر معذب أبدا (ولاأقول لكم انى ملك) أنزل العذاب

العماة (قوله تعالى حاشالله) وحاش لله قال المفسرون معناه معاذ الله وقال النحويون حاشالله معناه التنزيه والاستثناء واشتقاقه من قولك كنت فى حشى فلان أى فى ناحية فلان ولاادرى أى الحشى آخذ أى الناحية آخذ قال الشاعر يقول الذى أمسى الى الحزن أهله بأى الحشى أمسى الخليط المباين

على من أشاء وأصرفه عمن أشاء (ان أتبع) فيما أقول لكم (الا ما يوحى الى) من الغيب اذ يكشف لى عن الملائكة فيخبرونى وان أنكروا كشف الملائكة عليك (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فى المشاهدات الظاهرة فكذا فى مشاهدة الملائكة (أ) تنكرون الفرق بينهما بالنسبة الى الامور الباطنة مع ظهوره فى الظاهرة (أفلا تتفكرون) ولكنكم انما تتفكرون لو علموا انهم عماة وأما من اعتقد أنه بصير فلا يمكن ارشاده أبدا ومن علم انه أعمى لا يمكنه أن يهتدى بنفسه بل يحتاج الى الانذار لذلك قال (وأنذر به الذين) يعلمون انهم عماة فهم (يخافون أن يحشروا الى ربهم) قبل أن يسمعوا من بصراء الوحى فاذا سمعوا بذلك تيقنوا به تيقن الاعمى الظاهر بقول من يعتمد عليه من بصراء الظاهر ويخافون أيضا انهم اذا حشروا (ليس لهم من دونه ولى) من الآلهة بخلاف المشرك فانه ينكر الحشر ويزعم انه لو حشر فله ولى يدفع عنه العذاب (ولا شفيع) من الانبياء والاولياء كأهل الكتاب فهذان لا ينفعهم الانذار كالا يقطع الجازم بعدم الحشر (لعلهم يتقون) الاعتقادات الفاسدة والاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة فلا يستمرون على مقتضى عماهم (ولا تطرد) البصراء بقول العماة الذين يزعمون أنهم بصراء وانما البصراء هم (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) اذ يرونه فى تصريفهما (يريدون وجهه) أى رؤيته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار والعماة لكونهم أرباب شرف ومال يكرهون مجالستهم لقلة شرفهم ومالهم فقال عز وجل لأشرف الناس (ما عليك من حسابهم من شئ) أى ما يرد عليك من نقصهم فى الشرف والمال من شئ (وما من حسابك عليهم من شئ) أى وما يرد عليهم من كمالك فى الشرف والمال عليهم من شئ فاذا لم يلحقك نقصهم ولم يأخذوا كمالك بل لم يلحقهم كمالك بل لم يأخذ عنك فلا وجه لطردهم (فتطردهم) بلا سبب (فتكون من الظالمين) بطرد البصراء بقول العماة ومن غاية عماهم كرهوا مشاركتهم فى المجلس كما كرهوا مشاركتهم فى نفس الايمان وذلك من ابتلاء الله تعالى كما قال (وكذلك) أى وكما فتناهم فى مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع بحار الحياة الابدية المشتملة على جواهر الحكم تموج بها على كل أحد كذلك (فتنا بعضهم) وهم الشرفاء (ببعض) وهم الاخساء بمامننا عليهم بالايمان (ليقولوا) أى الشرفاء (أهؤلاء) الاخساء (من الله عليهم) بشرف الايمان تخصيصا لهم (من بيننا) طائفة الشرفاء مع ان الشرفاء أولى بكل شرف فلو كان شرفا لانعكس الامر فقال عز وجل انما مننا عليهم بنعمة الايمان لا بالعلم انهم يعرفون قدر هذه النعمة فيشكرونها حق شكرها والشرفاء لا يعرفون قدرها فلا يشكرونها (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فينعم عليهم النعمة أو يديم عليها غيرهم (و) كيف تطرد هؤلاء الخواص وليس لك طرد عوام المؤمنين وان كانوا عصاة بل (اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) فانه وان كان فيهم عصاة (فقل سلام عليكم) اكراما لهم على الايمان وأمانا لهم من هتك حرمتهم على المعاصى بل قل لهم (كتب) أى أوجب (ربكم) وان لم يجب عليه شئ (على نفسه الرحمة) لكل مؤمن تاب من المعاصى فقال (أنه) أى الشأن (من عمل

وقولهم حاشى فلانا أى أعزل فلانا من وصف القوم بالحشى فلا أدخله فى جملتهم ويقال حاشا لفلان وحاشى فلانا وحاشا لفلان [٢] فمن نصب فلانا أضمر فى حاشى مرفوعا والتقدير حاشى فعلهم فلانا ومن خفض فلانا بها أضمار الادم لطول صحبتها حاشا وجواب آخر لما شاة حاشى من الصاحب أثبت

[٢] قوله بالهامش وحاشى فلانا كتب عليه بالهامش قال أبو عمرو وسمعت المبرد يقول اذا قال حاشى زيدا فهم بمعنى حاشيت زيدا

منكم) أيها المؤمنون اذلا نية بالكافر عن المعاصي الفرعية مع بقاء كفره (سوأ بجهالة) أى غفلة عن الله لا بطريق الجراءة عليه فانه يخاف معه مقته المانع من التوبة أو من قبولها لكونها غير مستجمعة للشرائط (ثم) أى بعد الغفلة الداعية الى السوء (تاب من بعده) ولو بمدة مديدة (وأصلح) ما أفسده من حقوق الناس ومن حقوق الله التى لا تسقط بمجرد الاستغفار (فانه غفور) لذلك السوء (رحيم) بابدال الحسنة (و) كما فصلنا هذه الآية بذكر القيود (كذلك نفصل الآيات) لتستبين سبيل المؤمنين فتجر منافعه (ولتستبين سبيل المجرمين) فتجتنب مضاره فان زعموا أنه لا ضرر فى سبيلهم (قل) كفى بغاية التذلل لمن لا يخلو عن ذلة ضررا فان العقل والشرع تطابقا على كونه ضررا أما العقل فظاهر وأما الشرع فلورود النهى عنه (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون) أى تدعونهم آلهة مع اعترافكم بانهم (من دون الله) والدون لا يكون الها ولا مستحقا للعبادة لانها لما كانت غاية التذلل اختصت بمن له غاية العلو فان زعموا أنه لا يخالف العقل لاطباق من مضى من العقلاء عليه والواجب اتباعهم (قل) انما الواجب اتباع الامر الالهى فان لم يوجد فاتباع العقل وهم قد خالفوا الامرين لاتباع أهوائهم (لا أتبع أهواءكم) وهم وان اتفقوا على كونه هداية عن الضلال (قد ضللت اذا) لمخالفة الامر الالهى والعقل جميعا (وما أنا من المهتدين) باعتبار الدليل الكشفى أيضا لان ظهور الحق ليس باعتبار الهيته وما سوى ذلك الاعتبار لا يوجب استحقاق العبادة والعبادة لها وان رجعت الى الحق فقد تضمنت اعتقاد نقص فى الحق لانه لا يعبد فى المظهر ما لم يعتقد كمال ظهوره فيه وجعل ذلك كمال الحق عين اعتقاد النقص فيه وفيه اشارة الى انى كيف أطرد الذين يدعون ربهم وهم بذلك فى غاية الشرف اذ يتقربون الى من له غاية العلو للذين يدعون من دون الله وهم فى غاية الذلة ومن ذلتهم انهم مع كونهم عقلاء يتذللون لالهيتهم التى هى دون العقل على أن الشرف انما هو للحسن والضعة للقبح ولا أقبح من الضلال الذى هو ترجيح الاهواء على العقول وليس من ترجيح الكشف على العقول ولا يقابل هذا الشرف والدناءة ما هو من سعة المال والجاه وعدمهما لانهما عارضيان خارجيان والاولان ذاتيان وان زعموا ان آباءهم كشفوا عما تعبدناهم فيه فرجحوه على ما عقلوه (قل) اذ صح قولكم فالكشف الصحيح ما لا يكذبه العقل وقد كذب كشفهم وكشفى مصدق به أو بالمعجزات (انى على بينة) لا يمكن التشكيك فيها لكونها (من ربى وكذبتم به) تقليد الآباء بلا بينة من العقل ولا من المعجزات ولا يرجعون عنه الى التصديق ما لم يلجؤا اليه بالعذاب لكنه مؤخر فكأنكم تستعجلونه (ما عندى ما تستعجلون به) اذ لو كان عندى لكنت أنا الحاكم لكنه (ان الحكم الا لله) وقد حكم بتأخيره لكنه محقق الوقوع لانه (يقص الحق) فلا بد من تعذيب العاصى واثابة المطيع كيف وفعلهما يقتضى الفصل بينهما (وهو خير الفاصلين) فان قالوا يجوز أن يفوض اليك الحكم ليصدق قولك وقد قصد تصديقك (قل) يكفى فى تصديقى اظهار المعجزات على يدى والتفويض الى يبطل فائدة التكليف الذى

بعث

الاسم فاضيفت الى ما بعدها (قوله عز وجل يقص الحق) وضح وتبين (قوله عز وجل حرضا) الذى قد اذابه المرض الحزن والعشق قال الشاعر انى امرؤ لج بى حزن فأحرضنى حتى بليت وحتى شفنى السقم (قوله عز وجل من حما) جمع حماة وهو الطين الاسود (قوله عز وجل المسعير) (قوله عز وجل حفدة) أى خدما وقيل أختانا وقيل أصهارا وقيل أعوانا وقيل فى الرجل

بعثت لا بل فانه (لو ان عندى ما تستعجلون به) مع حرصى على تصديقكم اياى وقدرتى
على ذلك (لقضى الامر) أى لتم أمره قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) من غير أن يفيدكم
تصديقكم شيئا لوقوعه بعد زمان التكليف واذا أخر فقد يرجع البعض الى التصديق قبل
معاينته أو يحدث من نسل البعض من يصدق قبلها (و) الظالمون لا يفوتونه بل يزداد عليهم
شدته اذ (الله أعلم بالظالمين) وان قالوا لو كشفت لاطلعت على الغيوب كلها وأخبرت عن
وقت العذاب بعينه فقل انما كشفت بما فتح الله على ولا يطلع على كله الا من عنده مفاتح
الغيب (و) لكنه مخصوص بالله سبحانه وتعالى (وعنده مفاتح الغيب) أى فى علمه
استعدادات حقائق الاشياء التى تفتح فيها خزائن أسمائه وصفاته فيخرج ما فيها بالقوة من
الظهور بصورها وآثارها الى الفعل وقد اختصت به بحيث (لا يعلمها) على التفصيل التام
(الا هو) لا ينحصر علمه فى ذلك بل (يعلم ما) أخرج من خزائنه فأفاضه على ما (فى البر والبحر)
من الاجناس والانواع (و) لا ينحصر علمه فى الكليات والجزئيات التى لا تتغير بل (ما تسقط
من ورقة الا يعلمها) كيف (لا) وقد أوجدها بعد ما قدرها فما من (حبة) يحدث منها النبات
والثمار ولو (فى ظلمات) الطبقة السابعة من (الارض ولا رطب) يقبل صورا مختلفة (ولا
يابس) يلتزم صورة واحدة (الا فى كتاب) هو لوح القدر (مبين) لما فى القلم الاعلى الآخذ من
العلم الالهى فهو سابق على ما علم فى الازل حدوثه وما يحدث من أصول زوالها وتغيرها بتغير من
القوابل فلا يتغير علمه وانما يتغير اضافة المعلوم بالماضى والحال والاستقبال خص منه
البعض لذاته وبالبعض الآخر خواصه وبالبعض الآخر العوام لكن لم يطلعهم على تفاصيل
الجزئيات بأسرها وان بلغوا من القرب ما بلغوا ولما كان علمه تابعا للمعلومات من الحقائق
واستعداداتها كان حكم التابع له تابعا فتأخر العذاب الى يوم القيامة لاقتضاء استعدادهم
ذلك (و) ان تحقق من أسبابه الوفاة والبعث بعد اكتساب المعاصى من غير عجز فيه
ولا جهل اذ (هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالنهار) قبله (ثم يبعثكم
فيه) أى فى النهار بعده لا للجزاء اذ لم يجئ وقته الذى اقتضى استعدادكم وقوعه فيه بل
(ليقضى أجل مسمى) أى يتم مقدار حياة كل أحد لاقتضاء استعدادهم تأخيره عنه (ثم اليه
مرجعكم) بالموت (ثم) يأتى وقته بمقتضى استعدادكم فحينئذ (ينبئكم بما كنتم تعملون)
مبالغة فى عدله (و) فعله وان كان تابعا للاستعداد فليس للاستعداد او للحقائق التى لها
الاستعداد قهر على الله سبحانه وتعالى بل (هو القاهر) لانه (فوق عباده) ولا قهر للدون سيما
اذا كان عبدا أو من أحواله التبعية فعله للاستعداد كتبعية المسبب للسبب (و) لذلك (يرسل
عليكم حفظة) وان أمكنه الحفظ بدونهم فلا يزالون يحفظونه (حتى اذا جاء أحدكم الموت
توفته رسلنا) ليس توفيتهم بتقصير من الحفظة بل (وهم لا يفرطون) كما لا يفرط الرسل (ثم)
التوفى ليس ابطالا للحفظ بل رفع درجة اذ (ردوا الى الله) وهو أولى بالحفظ لانه (مولاهم)
لكن هذا الحفظ مقيد بعدم ابطال حكمة العدل الذى هو مقتضى صفته (الحق الا له الحكم)

من تبعه منهم وقيل بنو
المرأة من زوجها الاول
(قوله عز وجل حاصب)
أى ريح عاصف ترمى
بالحصباء وهى الحصى
الصغار (قوله تعالى
حففناهما بنخل) أطفناهما
من جوانبهما والمقافة
الحاف وجمعه أحفة
(قوله تعالى حمئة) مهموز
ذات حمأة وحمية وحامية
بلا همز أى حارة (قوله
تعالى حنانا من لدنا) أى
رحمة من عندنا (قال أبو عمر

ولذلك لم يؤخر عذابهم عن وقت اقتضائه استعدادهم بل أسرع حسابهم (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ورقم ولو أنكروا كونه أولى بالحفظ (قل) لم تخصونه بالالتجاء اليه عند الشدائد (من ينجيكم من ظلمات) أي من شدائد (البر) كخوف العدو والحريق وضلال الطريق (والبحر) كخوف الغرق والعدو والضلال وسكون الريح فلولا انه المنجي لم (تدعونه تضرعا) أي تذللا اليه تحقيقا للعبودية (وخفية) تحقيقا للاخلاص وتعدونه الشكر مؤكدا بالقسم اذ تقولون (لئن أنجانا من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) باعتقاد الملك المخصوص بكل انعام والثناء عليك وصرف الاعضاء الى ما أمرتنا به فان زعموا أنهم وان خصوا الله بالدعوة لكن قدمتم عبادة من عبدوه من قبل فانهم شفعوا عنده حين دعوه (قل الله) من غير شفاعة أحد ولا عون (ينجيكم منها) أي من تلك الشدة (ومن كل كرب) تتوجهون فيه اليه أو الى غيره اذ لا تتوجهون فيه الى أحد (ثم أنتم) بعد النجاة منها الموعود فيها بالشكر وعدا وثيقا بالقسم (تشركون) حتى انكم تنسبون النجاة الحاصلة بعد تخصيصه بالدعوة الى شفاعة الشريك فقد جعلتم الشرك مكان الشكر (قل) للمشركين بعد النجاة الموعود فيها بالشكر انما أشركتم لامنكم من الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشا الخوف وهو القدرة الالهية على أنواع الشدائد من الجهات كلها اذ (هو القادر على أن يبعث عليكم) سيما اذا أبدلتم وعد الشكر بعد النجاة بالشرك (عذابا) أعظم من تلك الشدة (من فوقكم) كامطار النار أو الحجارة أو اسقاط الكسف (أو من تحت أرجلكم) كالخسف والطوفان (أو) مما بين السماء والارض مثل أن يقوى أعداءكم حتى (يلبسكم) أي يخلطكم (شيعا) أي فرقا مختلفة في القتال (ويذيق بعضكم بأس) أي شدة (بعض) من قبيلة أو من قبيلة العدو لعدم النصار (انظر) أيها العاقل (كيف نصرف الآيات) نوردها على وجوه شتى (لعلهم يفقهون) أي فعل من يرجو فهمهم لبعضها الداعي المرجوء منهم للحق (و) لكن لم يفقهوه بل (كذب به قومك) الذين عرفوا صدقك فيما بينهم فلا يتصور منك الكذب على الله مع تصديقه اياك بالمعجزات (و) ليس تكذيبهم لظهور امارات الكذب عليه بل هو ولو لم يكن معه المعجزات لعلم أولو البصائر انه (هو الحق) لا يتعداه الى غيره فان قالوا لم تظهر حقيته لنا (قل) انه بعد ظهور حقيته في نفسه وتأكدها بتصريف الآيات المعجزة وسائر المعجزات لم يبق الا أن يلجئكم الى التصديق به لكني (لست عليكم بوكيل) ألجئكم الى التصديق به وانما ألجئكم اليه العذاب الموعود عليه لكنه لم يستقر بقلوبكم قبل وقوعه مع كثرة الدلائل عليه ووضوحه في نفسه لكن (لكل نبأ) أي لكل خبر (مستقر) أي وقت استقرار لصدقه أو كذبه (وسوف تعلمون) أنه لم يستقر بقلوبكم مع كثرة دلائل استقراره بتصريف الآيات الظاهر حقيتها مع اعجازها وتصديق سائر المعجزات لها ومن أسباب عدم استقرار أنباء القرآن بالقلوب مجالسة الخائضين فيه بالطعن (و) لذلك (اذا

من ثعلب عن ابن الاعرابي عن المفضل وحنانا من لدنا أي قال هيبة قال كل من رآه هابه ووقره (قوله تعالى حصيدا خامدين) معناه والله أعلم انهم حصدوا بالسيف والموت كما يحصد الزرع فلم يبق منهم بقية وقوله تعالى منها قائم وحصيد يعني القرى التي أهلكت منها قائم أي قد بقيت حيطانه ومنها حصيد قد امحى أثره

رأيت) أيها المؤمن (الذين يخوضون) بالطعن والاستهزاء (فى آياتنا) المنسوبة الى مقام عظمتنا الحقيقة أن تعظم بما يناسب عظمتنا (فأعرض عنهم) بترك مصاحبتهم ومجالستهم لئلا يقع شئ من مطاعنهم بقلبك ولا يحضره الرد لاحتجابه ببعض الاهوية أو القصور على أن حضور المنكر اذا لم يقدر على دفعه مشاركة لصاحبه (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى غير الخوض فى آياتنا (واما ينسينك الشيطان) أى وان ينسينك الشيطان الامر بالاعراض بأن يتهز وقت الفترة التى لابد من وقوعها المجالسة معهم فلا تؤاخذ به لكن اذا ذكرت (فلا تقعد) أى فلا تدم قعودك (بعد الذكرى) المخرجة لقعودك عن حكم النسيان معهم لظلمهم بالطعن فى الكلام المعجز بما يتوهمون فيه من التناقض أو اللحن أو عدم الارتباط أو الحشو والتكرار مع ان الواجب عليهم عند رؤية عجزهم عن مثله لفظا ومعنى فمن قدر على مثل لفظه كان باعتبار المعنى ركيكا ومن قدر على مثل معانيه الظاهرة كان باعتبار اللفظ ركيكا الرجوع الى علمائه فالقعود معهم قعود (مع القوم الظالمين) الذين من ركن اليهم مستهم النار (وما على الذين يتقون) أى يقدرون على التحفظ من شبهاتهم (من حسابهم) أى من خسرانهم بالخوض (من شئ ولكن) أمروا بالاعراض عنهم ليكون (ذكرى) لضعفاء المسلمين (لعلهم يتقون) يبلغون مبلغ المتوقى من شبهاتهم بالجلوس مع علمائه بدلهم وكيف يصح صحبة الطاعنين ولا تصح صحبة من لا يطعن ولكن اتخذ أعمال الدنيا دينه ولذلك ورد (وذر الذين اتخذوا) أعمال الدنيا (دينهم) لاعتقدوا أنها نهاية السعادة فكان (لعبا ولهوا) لان أعمال الدنيا لا تخرج عنهما فمن صحبهم مال الى طبعهم فلا يتأمل فى آيات الله ولا يلتفت الى أعمالها (و) ذلك لانهم (غرتهم الحيوة الدنيا) فظنوا ان السعادة كلها فى لذاتها فبين غرورها (وذكر به) أى ببيانها من أراد الميل اليها أو الى أهلها بانه سبب (أن تبسل) أى تسلم الى الهلاك (نفس بما كسبت) بهذا الغرور من انكار الآخرة فصارت (ليس لها من دون الله ولى) يقربها منه (ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل) أى تفد بما يقابلها (كل عدل) أى كل نوع من أنواع الفداء (لا يؤخذ) أى لا يقبل (منها) لبعدهم عن مقام الفداء اذ (أولئك) البعداء عن السعادة الحقيقية لاغترارهم بسعادة الدنيا التى غايتها اللعب واللهو هم (الذين أبسلوا) أى سلموا الى الهلاك بحيث لا يعارضه شئ (بما كسبوا) بهذا الاغترار من انكار الآخرة بها والانهماك فى الشهوات المحرمة (لهم شراب من حميم) جزاء على الاشربة المحرمة (وعذاب أليم) بما تلذذوا بالشهوات المحرمة لا وحدها بل (بما كانوا يكفرون) بالآخرة معها وان زعموا ان لذات الدنيا والاغترار بها ولو أفضى الى انكار الآخرة انما يضر من لم يتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا (قل أندعوا من دون الله) ليكون وليا أو شفيعا ولا يضر معه لذات الدنيا ولا انكار الآخرة (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) فى أمر الدنيا (ونرد) فى أمر الآخرة (على أعقابنا بعد اذ هدانا الله) للاقبال اليه فنصير كالمستمر على الضلال بل (كالذى استهوته) أى استمالته عن الطريق الواضح (الشياطين) أى الغيلان يتبعهم ويسير معهم

(قوله عز وجل حدب) نشز ونشز من الارض أى ارتفاع (قوله عز وجل حصب جهنم) حطب جهنم كل شئ ألقيته فى النار فقد حصبتها به ويقال حصب جهنم حطب جهنم بالحبشية قوله بالحبشية ان كان أراد أن هذه الكلمة حبشية وعربية بلفظ واحد فهو وجه رآه وان أراد أنها حبشية الاصل

سيراءنداً (في الارض) حتى يخرج من العمران لايدرى مقصده لكونه (حيران) فكذا من اتخذ من دونه ولياً أو شفيعاً يذهب به وليه وشفيعه الى المهالك ضلاله لايدرى مقصده الذى هو سائر اليه من أمر الآخرة وأشد من ذلك الضلال ما كان مع وجود من يهديه سيما اذا كفر كالمستهوى المذكور اذا كان (له أصحاب يدعونه الى الهدى) أى الطريق الواضح بقولهم (ائتنا) وهو لايسمع لهم فكذلك يدعونا الله وآياته فان زعموا أن ماهم عليه هدى جمهور العقلاء (قل ان هدى الله) الذى أرسل به رسله (هو الهدى) فان زعموا ان مشايخهم أنزل بهداهم من الله كالانبياء فقل لهم مشايخكم أمروكم بالشرك (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) فأى الامرين أحق بالنسبة اليه بل غاية أمر مشايخكم انهم أمروكم بالإسلام لله باعتبار بعض مظاهره والرسل انهم لو اعتبروا المظاهر فلا يخصون مظهراً من مظاهر فأى الامرين أتم (و) أيضاً أمرنا (أن أقيموا الصلاة) وهى العبادة الشاملة لانواع التذلل لله بجميع أجزاء الانسان وليست عندكم فكفى بها فضلا (و) أمرنا ان (اتقوه) ومشايخكم تأمركم بتقوى الاصنام والشياطين (و) لاوجه لذلك اذ لاحشر اليها بل (هو الذى اليه تحشرون و) كيف لايكون اليه الحشر وهو النهاية وقد كان منه البداية اذ (هو الذى خلق السموات والارض) كيف وفيه ظهور الحق ومن سنة الله ترجيح جانبه فى كل شئ لذلك كان خلقه السموات والارض (بالحق) وكيف لايتحقق الحشر اليه (ويوم يقول) للمحشور (كن فيكون قوله الحق) اذ لايعتبه العبث فلابد أن يقول الحق فى شأن المحق والمبطل (و) لايقتصر على القول اذ (له الملك) فلابد أن يفعل بالمطيع والعاصى فعل الملوك لمن يطيعهم أو يعصيهم وهو وان كان له دائماً فانما يظهر اختصاصه به (يوم ينفخ فى الصور) لان جمع الارواح فيه لايكون الا للمتفرد بالملك ولا يفعل بمقتضى الملك على سبيل التحكم بل يراعى العلم اذ هو (عالم الغيب والشهادة و) ليس ذلك أن يعذب أو يرحم من علم انه يعذبه أو يرحمه على سبيل التحكم اذ (هو الحكيم) وليس المراد احكام الفعل بل رعاية الخبرة الباطنة اذ هو (الخبير و) اذ كان اتخذ دينه لعباً ولهواً وأنكر الضلال فيه وأنكر كون من كان عليه كالذى استهوته الشياطين وزعم ان هدى الله ما كان عليه القدماء (اذ قال ابراهيم) الذى يزعمون انهم على دينه ويفتخرون به (لابيه) منكراً عليه وهم يشكرون انكارك على آبائك ولايشكر ون عليه الملقب (آزر) ومعناه المعوج أو المخطئ واسمه تارخ (أتتخذ أصناماً) أى صوراً مصنوعة كصور لعب الصبيان المسماة بأسماء الملوك والمشايخ فيعلم مثله فى حق الله ثم جعلتموه ديناً فاتخذتموها (آلهة) وليس هذا القول على طريق الهزل بل (انى أراك وقومك) وان كان فيهم حذاق بأمر الدنيا غرقى مستقرين (فى) بحر (ضلال مبين) باعتقاد الهيتها أو انسانيتها بسنائه أو استحقاقها العبادة لحلول الحق أو ظهوره بالالهية فيها أو لكونها مظاهر كلمة أو مخصوصة بظهوره ضلالة لان الالهية بوجوب الوجود بالذات وهى ممكنة مصنوعة ولو قبلها الاتصاف بصفاته وهى عاجزة عن النفع والضر خالية عن الحياة والسمع والبصر والعبادة تابـ

سمعتها العرب فتكلمت بها فصارت عربية فتفلد والا فليس فى القرآن غير العربية ويقرأ حضب بالضاد معجمة وهو ماهيجت به النار وأوقدت (قوله تعالى حسبانا) أى صوتها (قوله تعالى حول) ماحمل الامات فى بطونها والجول ما كان على ظهر أو رأس (قوله تعالى حدائق) ذات بهجة أى بساتين ذات

التذلل فلا يستحقها من لا يخلو من هذه الوجوه من الذلة وأغاية ذلتها ان كان فى غاية العلو وحلول الحق فيها ان كان حلول المظروف فى الظرف فهو من خواص الاجسام وان كان حلول العرض فى الجوهر أو حلول الصورة فى المادة فهو حلول افتقار ينافى وجوب الوجود ولا ظهور ولحق بالالهية التى هى بوجوب الوجود وأين كمال القاهرية مع النقائص المذكورة وأين الاختصاص ولا وجود لشئ بدون ظهوره فيه (و) كما أرينا ابراهيم وجوه الضلال فى اتخاذ الاصنام آلهة باعتبار صورها وأجسامها (كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ليعلم ان شيأ من روحانيات الافلاك والكواكب والمشايخ والشياطين لا يصلح للالهية (وليكون من الموقنين) بالتوحيد بالاستدلال بالادلة الكثيرة وبالسماع من تلك الارواح ولما رأى الملكوت وأيقن ان شيأ منها لا يصلح للالهية أراد الرد على قومه فى اعتقاد الهيتها انفسها باعتبار افتقارها فى أفعالها الى أجسامها الدالة على الافول وان كانت علوية وكذا فى اعتقاد الهية تلك الاجسام كما رد عليهم فى اعتقاد الهية الاصنام فلتظهر ظهور الكواكب التى كانوا يعبدونها (فلما جن) أى أظلم (عليه الليل رأى كوكبا) الزهرة أو المشترى (قال) لقومه ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم أولا ثم ابطال قولهم بالاستدلال لانه أقرب لرجوع الخصم (هذا ربى فلما أفل) وهو دلالة تنافى الالهية بل تمنع من الميل الى صاحبها فضلا عن اتخاذه الها أو معبودا فضلا عما يفتقر اليه (قال لا أحب الآفلين) ثم استطر نورا أعلى منه (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما أفل قال) مخبرا عن بعظمته عن الضلال اذ لا تكون عظمته مطلقة والاله لا بد وان تكون عظمته مطلقة فلا يصلح للالهية فضلا عن المفتقر اليه (لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) بجعل العظمة القاصرة مطلقة كاملة فاستطر نورا فى غاية العظمة (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) لم يؤنثه لئلا يعارض عظمته نقص الانوثة ولو غير حقيقية وهى وان كانت فى الواقع لم يأت بهم الفضلا لانه قصد بذلك مساعدة الخصم أولا (هذا أكبر) والالوهية لا تتجاوز الاكبر (فلما أفلت قال يا قوم) ليس بأكبر على الاطلاق بل لا يمكن جعله شريكا لما هو أكبر بالاطلاق (انى برىء مما تشركون انى) أى بعد ما برئت (وجهت وجهى) أى وجه قلبى وروحى فى المحبة والعبادة بل جعلته مصليا (للذى فطر السموات والارض) وأرواحهما ليست فاطرة لهما فانهما الآلة فلا ان الايهما (حنيفا) مائلا عن الالتفات اليهما والى أرواحهما وان كان فيهما ما هو من اسباب الحوادث اذ لا أثر للاسباب وانما هو قد معها لا بها ولا يفتقر اليها بل جرت بذلك سنته (وما أنا من المشركين) بأن الاثر لما ظهر منه فيهما أو فى أسبابهما (وحاجه) أى أرادوا مغالبته بالحجة (قومه) أى القائمون على العناد فزعموا أن الآثار الارضية منتسبة الى حركات الكواكب وأوضاعها لاختلافها باختلافها فهى المؤثر فيها وان كانت لامكانها مفتقرة الى الله تعالى (قال أتحاجونى فى) توحيد (الله وقد هدان) لاقامة الحجج ودفع الشبه على نفى الهية ما سواه

حسن واحدتها حديقة والحديقة كل بستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة (قوله عز وجل حق عليهم القول) أى وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب ومثله حقت كلمة ربك أى وجبت (قوله تعالى الحيوان) الحياة كقوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان أى الحياة والحيوان أيضا كل ذى روح (قوله عز وجل

وقد ثبت انها ناقصة فى ذواتها وكمالاتها من غيرها ولا الهية للناقص بالذات لان كماله لا يكون مطلقا (ولا أخاف) الضرر على نفسى من تأثير (ما تشركون به) لان تأثيرهم من كمالاتهم وهى لهم من ربى فلا يؤثرون (الا أن يشاء ربى) أن يجعل لهم (شيأ) من التأثير لكنه لا يشاء فى شأنى لانه (وسع ربى كل شىء علما) فعلم انه لو أوجد التأثير فيهم بما يضرون به من يعظمه لتوحيده صار مجبورا (أ) تنكرون هذه الامور مع وضوحها (فلا تتذكرون) فى هذه الامور التى لا يحتاج فيها الى تعمق (وكيف أخاف) عند التوحيد ضرر تأثير (ما أشركتم) أى ما جعلوه أيها المدعون من عند أنفسكم شريكا فى غاية الضعف للمالك الذى فى غاية القوة من اقرار جهلكم (ولا تخافون) ضرر تأثير الله فيكم من جهة (أنكم أشركتم بالله) المالك القوى (ما) أى مملوكا ضعيفا باستقلال منكم اذ (لم ينزل به عليكم سلطانا) أى حجة مع أنه انما يتصور جعل المملوك شريك المالك بجعله اياه شريكه فان كان لهذا المملوك الضعيف تأثير بالضرر فلمن أنكر شركه وللمالك القوى تأثير بالضرر لمن أنكر توحيده (فأى الفريقين) المشرك الآمن من تأثير الله أو الموحد الآمن من تأثير الشركاء (أحق بالأمن) لكن انما تسمعون هذا (ان كنتم تعلمون) مقدار تأثير الله وتأثير الشركاء وانهم لا يؤثرون الا باذن الله وانه لا يمكنهم من التأثير فيمن يغار عليهم له ثم أشار الى أن الاحقية انما تعتبر حيث كان للجانب الآخر احتمال مرجوح ولا احتمال ههنا اذ (الذين آمنوا) بالله فعرفوا انه المالك القوى (ولم يلبسوا) أى ولم يخلطوا (ايمانهم بظلم) أى بشرك من اعتقاد تأثير الغير وان كان سببا (أولئك) الكاملون فى رتبة الايمان (لهم الأمن) من جانب الله لاعتنائه بهم ومن جانب الشركاء لمنعه اياهم من تأثيرهم وكيف لا يعتنى بهم (وهم مهتدون) لاعمال واعتقادات توجب الاعتناء بهم وأما المشرك فلا يقدر شريكه على دفع غضب الله عنهم ولا على شفاعة عنده لمن لا يرتضيه (وتلك) أى الدلائل المشار اليها فى قوله أتتخذ أصناما آلهة الى هنا (حجتنا) التى لا يمكن الاعتراض عليها (آتيناها) بلا واسطة معلم من البشر (ابراهيم) ليغلب وحده (على قومه) الكثيرين ولا يبعد ذلك اذ (نرفع درجات من نشاء) بالحجج وفوقها بالسيف لانه انما يؤثر فى ظواهر البعض والحجج فى بواطن الكل وليست مشيئته على سبيل التحكم بل على نهج الحكمة (ان ربك حكيم) برفع درجة من استعد لرفعها لانه (عليم) بالاستعدادات (ووهبنا له) أى لابراهيم مبالغة فى رفع درجاته (اسحق) من صلبه (ويعقوب) من صلب ابنه ليكمل درجة والده فازداد كمال درجة جده لاختصاصهما بالهداية اذ (كلا هدينا و) لم يلحقه نقص من جهة أبيه اذ (نوحا هدينا من قبل) من اجداده ولم يزل نقصه ماما من لحوق نقص سائر آبائه به (و) لم يزل ترفع درجاته بعد ذلك اذ هدينا (من ذريته داود) الجامع بين النبوة والحكمة والخلافة الكاملة بالتنصيص عليها (وسليمان) وارث كماله المكمل له فهذان من أرباب الشكر (و) هدينا من أرباب الصبر (أيوب و) من أرباب ملكهما (يوسف وموسى وهرون و) كما جزينا ابراهيم بالمبالغة فى رفع درجاته لاحسانه وهو ترجيحه

حناجر) جمع حنجرة وحنجور وهما رأس الغلصمة حيث تراه حديدا من خارج الحلق (حرور) ريح حارة تهب بالليل وقد تكون بالنهار والسموم تكون بالنهار وقد تكون بالليل (قوله عز وجل حافين من حول العرش) أى محدقين به أى بجانبيه ومنه حفافيه أى جانبيه (حفت به الناس) أى صاروا فى جوانبه (قوله عز وجل

جانب الحق على ما سواه (كذلك نجزي المحسنين) المبالغة في رفع درجاتهم (وزكريا) صاحب العبادات الكثيرة (ويحيى) صاحب العصمة (وعيسى والياس) الملاحقين بأفق الملائكة (كل من الصالحين) من أهل الولاية النبوية (واسمعيل) وعاء الكمال المحمدي ولذلك لم يذكره مع اسحق لانه من نسبه في معنى الاب (واليسع) اللاحق به في كونه من الاخيار (ويونس) الذي قال نبيه عليه السلام من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب (ولوطا) ذكر في ذريته لكونه ابن أخيه فهو بمنزلة ابنه وهو الذي قال نبيه صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا الحديث الدال على شدة أمره بالهمة بالتأثير على الخلائق (وكلا فضلنا على العالمين) فلحق فضلهم بجدهم ابراهيم بواسطتهم (و) هدينا (من آبائهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم من جهتين (وذرياتهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم بواسطتهم (واخوانهم) فلحقهم لفضل من جهة الحاشية وابراهيم من جهة الذرية بالذات وجهة الحاشية بالواسطة (و) مع ما هديناهم بالجمع (اجتبيناهم) بالنبوة (وهديناهم) بالولاية النبوية (الى صراط مستقيم) في الاعتقادات والاخلاق والاعمال فجعلت لهم هذه الفضائل أيضا ولحقت ابراهيم فازداد ارتفاع درجاته (ذلك) الهدى الذي كان عليه هؤلاء لاهدى رهبان الكفرة (هدى الله) ولا يختص بهم بل (يهدي به من يشاء من عباده) من اتباعهم وكيف يكون هدى الرهبان هدى الله (و) هؤلاء مع عظمتهم (لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) حال هداهم فكيف يبقى لهم الهدى معه وكيف يحصل لصاحبه ثم يحصل له من الخوارق استدراجا بل لم يكن المذكورون من أهل الاستدراج لظهور كونهم من أهل الهداية اذ (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) المؤسس على قواعد الهداية التي يعرف كونها هداية بالنظر اليها (والحكم) على وفقه اذ لو كان اموه لظهر ضلالهم (و) مع ذلك آتيناهم (النبوة) ليصدق معجزاتها كتابهم وحكمهم ليقتدي بهم الناس (فان يكفر بها) أي بكتابهم وحكمهم ونبوتهم (هؤلاء) فلا يدل ذلك على بطلانها (فقد وكلنا بها قوما) يبينون حقيتها ويرفعون شبهاتهم عن يقين حصل لهم اذ (ليسوا بها بكافرين) فلم يبق عليهم حجاب الكفر الساتر عن حقائقها والمظلم بايقاع الشبهات بل أدى بهم نور الايمان الى الكشف عنها وكيف لا يمكن بيان حقيتها ورفع الشبهات عنها مع ان (أولئك) هم (الذين هدى الله) لاقامة الحجج ورفع الشبه وهم وان نسبوا هدى مشايخهم الى الكشف (فبهداهم اقتده) باعتبار سبق زمانهم لا بهدى قدمائهم اذ لا حجة عليه وهؤلاء لهم مع كثرة حجج فان زعموا أنهم انما يقتدون بهم لانهم يلزمهم الاقتداء بك (قل لا أسئلكم عليه أجرا) من مال أوجاه أو مدح فلا يلزمكم فيه دناءة (ان هو الا ذكرى) أي شرف وموعظة (للعالمين و) ان قالوا اذا أمرت باقتداء الانبياء السابقين فليس علينا الاقتداء بك بل عليك الاقتداء بنا قل انما أمرت بالاقتداء بالانبياء في الاعتقادات لا بكل من نسب اليهم من الجهال الكفار بهم في الحقيقة بل بالله اذ (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه المقدار الذي يليق به من المعرفة على قدر الطاقة البشرية اذ لا يمكن معرفته الا بما عرف به نفسه

(الآخرة) عمل حرث الآخرة والحرث الزرع (قوله عز وجل حبا أبنا) أراد الحب المحصد وهو حبا أصيف المحصد وهو الى نفسه لاختلاف الافظين (قوله عز وجل حبة) أنفة وغضب (قوله عز وجل حبل الوريد) هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف لفظي اسميه والوريد عرقان بين الاوداج وبين

وتعريضهم اعماهو بانزال الكتاب وهم ينكرون انزاله (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) اذ لا يطيق البشر حمل كلامه قاله مالك بن الصيف حين أغضبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وأنت الحبر السمين (قل من أنزل الكتاب) أي التوراة (الذي) تعترفون بحقيته وتدعون الايمان به لكونه (جاء به موسى) صاحب المعجزات القاهرة أطاق حمله عند ظهوره بصور الحروف والكلمات مع أنه لو لم يأت به موسى لم يمكن تكذيبه لكونه (نورا) يكشف الحقائق والدلائل (وهدى) برفع اللبس والشبهات (للناس) الذين عرض في فطرتهم التمييز ورفع الشبهات لكنكم نسوا ذلك فلتذكرهم (تجعلونه قراطيس) أي دفاتر وكيف تنكرونه وأنتم (تبدونها) لا يمنعكم الانكار مع ذلك اذ (تخفون كثيرا) مما دل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (و) لكن لم يتم لكم اخفاؤها اذ (علمتم) من أسرار التوراة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فكيف تخفون عليه ما هو ظاهر لتوراة فاسكتوا عن التناقض (قل) منزل التوراة على البشر (الله) فيلزمهم التناقض (ثم) ان زعموا انما أردنا ما أنزل الله به موسى على بشر من شئ (ذرهم) لانهم (في خوضهم) أي أباطيلهم (يلعبون) بلا دليل وكيف ينكرون انزال هذا الكتاب بعد موسى (وهذا كتاب) لغاية عظمته أولى أن يقال فيه (أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) يشتمل على ما لا يتناهى من الفوائد في ألفاظ يسيرة ولا يمكن مخلوق أن يأتي بمثله ولا مانع به من تكذيبه ما ثبت نزوله اذ هو (مصدق الذي بين يديه) أنزل تكميلا لما قبله (ولتنذر أم القرى) أي أهل مكة التي يقصدها الناس لان الارض التي خلقوا منها دحيت من تحتها فهم يميلون اليها بالطبع وقد تأكد بالامر الالهي بالحج (و) لذلك كان انذارها انذار (من حولها) من أطراف الارض ولا يضرّ انكار بعضهم له لانهم لا ينكرونه لنقص فيه بل لعدم ايمانهم بالآخرة اذ يزعمون أنه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (والذين يؤمنون) منهم (بالآخرة يؤمنون به و) لايمانهم بهما (هم على صلاتهم يحافظون) وغيرهم وان صلوا احيانا لا يحافظون عليها وهو يدل على أنهم لا يؤمنون بالآخرة وانما يدعون الايمان بكتابهم تحصيلا للجاه والرشا وهو وان كان ظلما فالذي يدعي لا يؤمن بالقرآن فانه أظلم لانه اما يهودي يحرف التوراة لفظا أو معنى فيفتري على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) لانه يجعل قوله قول الله (أو) غيره فان ادعى النبوة كذبا كمسيلمة من بني حنيفة اذ (قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ) فهذا زيد على الافتراء في دعوى النبوة (ومن) ينكر اعجاز القرآن حتى (قال سأنزل مثل ما أنزل الله) مع انه قد عرف اعجازه فكأنه ادعى لنفسه قدرة الله فكأنه ادعى الالهية لنفسه ولا يجترئ على هذه الوجوه من الظلم من يؤمن بالآخرة فيعلم مآل الظالمين فيها (ولو ترى) أيها الرائي (اذ الظالمون) وان لم يكونوا أظلم (في غمرات) أي سكرات (الموت) قبل البرزخ والقيامة وما فيهما من النار وسائر وجوه العذاب لثقل عليك الامر فكيف يكون على صاحبه (والملائكة باسطوا أيديهم)

البتين زعم العرب انهما من الوتين والوتين عرق مستبطن الصلب أبيض غليظ كأنه قصبة يتشعب منه كل عرق في القلب يشق كل عرق في الانسان ويقال لما في القلب من الوتين النياط ويسمى نياطا لتعلقه بالقلب وهى الوريد وبدا لان الروح ترده (قوله عز وجل حق اليقين) كقولك عين اليقين ومحض اليقين (قوله تعالى سأل سائل) وشأن

كالمتقاضي الملح وهو شدة مع شدة السكرات وقولهم (أخرجوا أنفسكم) تغليظا وتعنيفا
شدة أخرى وغاية شدائده عنده قولهم (اليوم) قبل البرزخ والقيامة (تجزون عذاب الهون)
أي المتضمن للمهانة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كالتحريف ودعوى النبوة الكاذبة
وهو جراءة على الله متضمنة للاستهانة به (وكنتم) في إعراضكم (عن) رؤية إعجاز (آياته
تستكبرون) حتى قال بعضكم سأنزل مثل ما أنزل الله وأقل ذلك أنه يسلب منكم الاستكبار
وأسبابه إذ يقال (و) الله (لقد جئتمونا) فلا يبقى لكم استكبار عند وصولكم إلى من له
الكبرياء المطلقة وحاصل على ذلك تنزيلا لهم منزلة المتكبرين لسبق إنكارهم كأنهم
مستمرون عليه ولم يبق لكم ما يكون لمقربي الملوك عند الوصول إليهم من كثرة الأتباع
لكونكم (فرادى) ليس معكم من يتبعكم إذ هو مقتضى الإعادة لتعودوا (كما خلقناكم أول
مرة) فلا يبقى لكم الجاه الذي هو من أسباب الاستكبار (و) لا ماله ومنشؤه وهو المال أو
الحرفة إذ (تركتم ما خولناكم) أي فضلناكم به لم تحملوه معكم ولا قدمتموه لتجدوه عندنا بل
جعلتموه (وراء ظهوركم و) كما لم يبق لكم الجاه ومبدؤه من جهة أنفسكم لم يبق لكم من جهة
متبوعكم إذ (ما نرى معكم شفعاءكم الذين) اعتقدتم شفاعتهم على تقدير البعث وطول مدة
العذاب وهم الأنبياء أو الملائكة أو الأصنام وكيف يكونون شفعاء عندنا وقد (زعمتم أنهم)
مع دخولهم (فيكم) أيها الحوادث (شركاء) والشرك من أسباب العداوة وهم وإن لم
يعادونا عاديكم والله (لقد تقطع) الوصل (بينكم و) لو لم يتقطع ما كانوا يشفعون لكم لأنه
(ضل) أي ضاع وبعد (عنكم ما كنتم تزعمون) من أنهم شفعاؤكم على كل ما يصدر منكم من
شرك أو إنكار لليوم الآخر أو ريبة فيه وكيف أنكرتم اليوم الآخر وقد ظهر من دلائله
ما أشار إليه قوله عز وجل (إن الله فالق) أي شاق (الحب) بالنبات (والنوى) بالشجر
والنبات والشجر حيان والحب والنوى ميتان فهو (يخرج الحي من الميت) إما من كله كالحب
أو جزئه كعجب الذنب الذي هو كنوى التمر (و) بالعكس (مخرج الميت) كالبيض (من الحي)
كالطير وعطفه على يخرج لأنه بيان لفالق ولا يصلح هذا للبيانية لعطفه عليه (ذلكم) الفالق
هو (الله) لا الطبيعة ولا الماء والهواء (فأنى) أي فكيف (تؤفكون) أي تصرفون عنه إلى
الطبيعة وغيرهما في البعث إذ ليس للإنسان هذه الطبيعة والأمر زل ميت ولا حاجة في الأحياء
إلى الشق بل هو إثارة الروح كفلق الإصباح والله تعالى (فالق الإصباح) وتركه مشاهدة
معلومة كالسكون بالليل (و) الله تعالى (جعل الليل سكنا) لا يستبعد ذلك بطول مدة
السكون لأنه تعالى جعل (الشمس والقمر) سائرين بما لعجيب (حسبانا) فكذا يجعل
القيامة حسبانا يعلمه هو ولا يطلع عليه المنجمون وكيف لا يكون كذلك مع أن (ذلك تقدير
العزيز) أي الغالب على أمره فلا يفعل ما يفعل بطريق الإيجاب وإن راعى فيه الحكمة لأنه
تقدير (العليم) وقد علم الحكمة في البعث (و) كيف ينكر النبوة التي هي أصل الهداية
المذكورة إذ (هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في) حال (ظلمات) أي ضلالات طرق

الله أي عادى الله وخالفه
ويقال المحادة الممانعة
(حاجة) أمر وحقد أيضا
(قوله عز وجل حسير)
كليل معي (قوله عز وجل
حرد) غضب وحقد وحرد
قصد وحرد منع من قولك
حاردت الناقة إذا لم يكن
لها لبن وحاردت السنة
إذا لم يكن فيها مطر (قوله
عز وجل الحاقة) يعني
القيامة سميت بذلك لأن فيها
حواق الأمور أي صحائح

(البر والبحر) فكيف لايجعل الانبياء هداة لمفارق المعاش والمعاد الى الضلال في أعظم (قد فصلنا) أي بينا فصلا (الآيات) على قدرة الله وحكمته واليوم الآخر والنبوة (لقوم يعلمون) وجه الاستدلال بها وانها خلقت للاستدلال وكيف تكذبون الانبياء اذا أخبروكم ان الله يعيد كل واحد منكم من بدنه أو جزئه (و) ليس بأبعد من ابتداء خلقكم اذ (هو الذى أنشأكم من نفس واحدة) ولا يستبعد اختلاف مدة اللبث في القبر فانه كاختلاف مدة الطبائع الدنيوية (فمستقر ومستودع) أي فمنكم من يستقر مدة مديدة ومنكم من يستقر في أقرب مدة كأنه مستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكره لان انشاءهم من نفس واحدة أمر دقيق يحتاج الى استعمال فطنة ثم قربه بمثال وهو اخراج الانواع المختلفة من أصل واحد فلا يبعد اخراج اشخاص كثيرة من نوع من نفس واحدة فقال (وهو الذى أنزل من السماء) التي يكون الفيض بواسطتها دون الفيض بدون واسطة في الجملة (ماء) واحدا بالنوع (فأخرجنا به) لم يقل فأخرج به لئلا يتوهم انه أخرج السماء بواسطة الماء (نبات كل شئ) أي كل نوع من أنواع النامي فان قبل اختلفت الانواع لاختلاف الاصول قلنا تلك أصول بعيدة والقريب متحد لانا أنزلنا الماء (فأخرجنا منه) أي من كل شئ (خضرا) ثم تخرج منه ما يعود الى الاصل أو يتضمنه فان كان حبا (نخرج منه) أي من ذلك الخضر (حبا) واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من الواحد الكثير اذ يصير (متراكبا) أي متراكبا بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وان كان نوى يجعل خضرة لفظ مثلا (و) يحصل (من النخل) طلع يتضمن النوى واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من الواحد الكثير مما يتضمنه اذ يكون (من طلعها) أي من ثمرها (قنوان) أي عذوق (دانية) أي ملتفة يقرب بعضها من بعض (و) لا يختص هذا بفروع تخالف الاصول بل قد أخرجنا (جنات من) لحاء (أعناب و) أخرجنا من أغصان الزيتون والرمان (الزيتون والرمان) شجرهما (مشتبها) لاصولهما (و) ايضا ذلك الاصل بعينه لكونه (غير متشابه) أي مثمر كيف ولا يتشابه أحوال الشئ الواحد (انظروا الى ثمره) كيف يكون طعمه ولونه (اذا أثمر و) الى (ينعه) أي نضجه كيف يكون طعمه ولونه حينئذ (ان في ذلكم) أيها المبصر (لآيات) على امكان انشائكم من نفوسكم وأبدانكم وعلى البعث بانزال المطر من العرش ثم انبات الاجساد كالنبات ثم جعلها خضرة بالحياة ثم تصويرها بالاعمال بصور كثيرة واثمار أمور زائدة وتفريعها واعطاء أطعمة مشتبهة في الصور وغير متشابهة في اللذة والالم (لقوم يؤمنون) باختصاص الله بالتأثير دون الاسباب وبأنه فاعل مختار قادر على كل شئ وباليوم الآخر بهذه الدلائل المقنعة المؤيدة بالدلائل القطعية من النقل المتواتر عن الانبياء عليهم السلام (و) هؤلاء نفوا عموم القدرة لينفوا قدرته على الاعادة وزادوا على اعتبار تأثير الاسباب والقول بالايجاد اذ (جعلوا لله شركاء الجن) أي جعلوا الجن الذين هم دون الملائكة والانس شركاء الله حتى عبدوا الاصنام لتعلقها بها (و) قد علموا أنها حادثة اذ

(الامور (قوله عز وجل الحافرة) الرجوع الى أول الامر يقال رجع فلان في حافرته وعلى حافرته اذا رجع من حيث جاء وقوله عز وجل ءانا لمردودون في الحافرة أي نعود بعد الموت احياء (قوله عز وجل حدائق غلبا) بساتين نخل غلاظ الاعناق (قوله عز وجل حمالة الحطب) هي امرأة أبي لهب كانت تمشي بالنمائم وحمل الحطب

(وخلقهم) اذ جعلوا الله كسائر الخلق بل دون المبدعات اذ جعلوه كالحيوانات والنباتات
حتى (وخرقوا) أى شقوا اذ انه لو ضربوا (له بنين) لم يقتصروا عليهم بل زادوا وقاحة حتى أثبتوا
له (بنات) ولا شبهة لهم فى ذلك مع أنه لا يجوز أن يعتقد فيه (بغير علم سبحانه) أى تنزه تنزيهه
الذى لا يكون لغيره كيف (و) قد (تعالى) عن الكل فبعد (عما يصفون) من أوصاف
الحوادث الخسيسة من المشاركة والتوليد وكيف يكون له ولد وهو من خواص الاجسام
القابلة للكون والفساد التى دون الاجسام المبدعة وهو فوق المبدعات اذ هو (بديع) أى
مبدع (السموات والارض) ثم ان سلم أنه لا يختص بها (أنى يكون له ولد) ولا يحصل الا بين
متجانسين (و) لا يجانس له لذلك (لم تكن له صاحبة) مع انها لا يصح كونها قديمة لخصوصها
بالانوثة ولا حادثة اذ لا يجانسه الحوادث (و) ان سلم أنه له صاحبة قديمة مجانسة فكيف
يجانسه الولد وهو حادث اذ هو مخلوقه لامتناع حدوث شئ بدونه فثبت انه (خلق كل شئ) فلو
جاز أن يكون أحد المخلوقات ولدا لجاز فى الكل (و) ان سلم تخصيصه البعض بالولدية فلابد
أن يتصف بصفاته ومنها عموم العلم لكن (هو بكل شئ عليم) لا غيره فلو اتصف به الولد لكان
محيطا بالوالد المالك بجلاله يأبى أن يصير محاطا لمن دونه ثم أشار الى ان الشركة ونسبة الولد
الى الله ينافى الايمان به اذ (ذلكم) البعيد رتبته عن مراتب من يشاركه أو ينسب اليه
الولادة اذ هو (الله) يجب الايمان به لانه (ربكم) لا رب لكم سواه لانه (لا اله الا هو) فهو الذى
خلقكم وخلق النعم التى رباكم بها اذ هو (خالق كل شئ) واذا رباكم بها لتعبدوه (فاعبدوه
و) عبادة الالهية لا تتأتى به وحده اذ لا يستحقها غيره بادامته عليكم ولو وكالة عنه اذ (هو على
كل شئ وكيل) أى متول بحفظه وتدبيره غالب عليه لا أثر لغيره وان كان سببا ولكنه ينسب
اليه لانه مدرك بالابصار والله تعالى (لا تدركه) قبل كشف الحجب (الابصار) فلا ينسب اليه
الامور ولكن يجب أن ينسب اليه لان الغير لا يدرك دقائق الاشياء والفعل الاختيارى
فرع الادراك (وهو يدرك) الدقائق حتى (الابصار و) لا يدل عدم ادراك الابصار اياه على
عدمه بل خفائه اذ (هو اللطيف) ولطفه هو المدرك فهو (الخبير) فهو كالروح الذى
لا تدركه الابصار وهو يدرك الكل فينسب اليه افعال الانسان لا الى شئ آخر منه ثم أشار الى
أن عدم ادراك الابصار اياه ليس بعذر فى نسبة الافعال الى الغير المدرك بالابصار حتى يجعله
مستحقة للعبادة لانه (قد جاءكم) بدل الابصار الظاهرة (بصائر) باطنة هى أقوى من الابصار
الظاهرة لكونها (من ربكم) بدليل اعجازها وليست بحيث ترفع انفسه أو دفع ضرعها حتى تتهم
فيها بل ذلك فى حق أنفسكم (فمن أبصر فلنفسه) يصل به الى ربه والى ما يثاب به عنه (ومن عمى
فعليها) اذ يحجب عن ربه ويحال بينه وبين ما يثاب به (و) أى وان بعثت بجر منافعكم ودفع
مضاركم (ما أنا عليكم بحفيظ) لو ما عليكم بل هو مفوض الى اختياركم (و) كما صرفنا
الآيات فى هذا الموضع (كذلك نصرف الآيات) أى نوردها على وجوه كثيرة فى سائر
المواضع لتكمل الحجة على المخالفين (وليقولوا) فى ردها ما يقويها وهو قولهم (درست) اليهود

كناية عن النمائم لانه يوقع
بين الناس الشر وتشعل
بينهم النيران كالحطب الذى
تذكى به النار ويقال انها
كانت موسرة وكانت افرط
حبالها تحمل الحطب على
ظهرها فرماها الله بهذا
القبيح من فعلها او يقال
انها كانت تقطع الشوك
تطرحه فى طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه لتؤذيهم بذلك
والحطب معنى به الشوك

فتعلمت منهم بهذا وان كان طعنا فى رسالته دليل صدقها فى نفسها وقد دفع اعجازها طعنهم
(و) كيف يكون من مدارستهم وقد فصلنا فيه ما أجمل فى كتبهم (لنبينه) أى مادرسوه (لقوم
يعلمون) مافى كتبهم من الاجمال ومافيه من التفصيل وأنت وان لم تكن حفيظا عليهم وهم
وان دام عماهم لاتترك تبليغ الرسالة اليهم بل (اتبع ما أوحى اليك) من تبليغ الرسالة التى
هى الآيات المصرفة مبالغة فى الزام الحجة مع افادة البصائر والبيان التام لما أجمل فى كتب
الاولين مما يدل على أنها (من ربك) الذى رباك تربية لاتتأتى من غيره لاختصاصها بنفى
رتبة الالهية التى لاشارك كذفيها اذ (لااله الا هو) اذا أصروا مع ذلك على الشرك من
عماهم فلا تحزن عليهم بل (أعرض عن المشركين) اذ أراد الله بقاءهم على الشرك والعمى
مع هذه البصائر لاقتضاء استعدادهم ذلك (و) ان لم يكن موجبا اذ (لوشاء الله) مع هذا
الاستعداد (ما أشركوا) ولكن يجرى سنته برعاية الاستعدادات (و) هم وان كان لهم
الاستعداد للايمان فى فطرتهم وقد أبطلوه فانت وان كنت داعيا الى اصلاح الاستعداد
الفطرى (ما جعلناك) متوليا (عليهم) لتكون (حفيظا) لمصالحهم حتى تكون
مصلحا الاستعدادهم الفطرى (وما أنت عليهم) بنفسك (بوكيل) تدبر عليهم امورهم
أو تغيرهم من استعدادهم الى آخر بل هو مفوض الى الله تعالى يفعل بهم مقتضى
استعدادهم الطبيعى لهم من غير تغييرله بل هو مفوض الى اختيارهم (و) كيف يكون لك
تغيير استعدادهم وغاية ماتقدر عليه تقبيح اعمالهم لكنهم يزدادون بذلك قبحا اذ لك (لاتسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وان علوا ان سبهم لايقابل بسب الله لكنهم
امداوتهم يتعدون على الله فيسبونه (عدوا بغير علم) منهم بقبح هذه المقابلة اذ زينت لهم
ولا يبعد لانه كما زينا لهم هذا القبيح بمقتضى استعدادهم (كذلك زينا لكل امة) من
السراق وقطاع الطريق والزناة وغيرهم (عملهم) وان رأوا ماتيهامن قطع الاطراف
والرجم وليس فى سبهم الله مع انعامه عليهم احمال لهم بل امهال ليزدادوا اثما مع توالى النعم
عليهم (ثم الى ربهم) الذى رباهم بانعامه مع سبهم اياه (مرجعهم) وليس لعبث (فينبئهم
بما كانوا يعملون) قولا وفعلا بصرف نعمه الى معاصيه وسب المنعم من أجل من لايتصور
منه انعام أصلا (و) كأنهم زعموا ان كفرهم الذى يلعوا امنه الى سب الله تعالى ليس من
سوء استعدادهم بل لعدم مجئ آية اقترحوها حتى (أقسموا بالله جهد ايمانهم) اى اوثقها
الذى بذلوا فيه وتبلغه طاقتهم (لئن جاءتهم آية) من الآيات المقترحة لهم (ليؤمنن بها قل)
انما يصح اقتراح الآيات على لو كانت مفوضة الى آتى بها عن اختيارى لكن لادلالة فيها اذ
على تصديق الله لى (انما الآيات عند الله) وانما ينزلها بسؤالى لو علم انكم تؤمنون بها
أو اراد تعجيل أخذكم لكن لايعجل أخذ امتى وقد علم انكم لاتؤمنون (ومايشعركم)
أيها السامعون (انها اذا جاءت) يؤمنون بها ابرا لقسمهم وانما يبره من يؤمن وهؤلاء
(لايؤمنون) وكيف يؤمنون لرؤية الآية المقترحة (ونقلب افئدتهم) العازمة على

فى هذا الجواب

(باب الحاء المضمومة)

(قوله عز وجل حدود الله)
أى ماحده الله لكم والحد
النهاية التى اذا بلغها
المحدود له امتنع (قوله عز
وجل حوبا كبيرا) أى
اثما كبيرا ومعناه اثما
عظيما الحوب بالضم الاسم
وبالفتح المصدر (حكم)
وحكمة مثل ذل وذلة
وخبر وخبرة وقل وقلة
وعذر وعذرة وبغض

الإيمان

الايمان بنا كيدهم القسم بانه انما نخاف من الجزاء عليه لو ثبت الجزاء (وابصارهم) بان هذه الآية لا تعظم بل هى كالاولى التى لم يؤمنوا بها فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) أى بمثله امع وقوعه (اول مرة) لما يتوهم فيها تقرر عادة جديدة خارقة للسابقة (و) لابد لهم من هذا التوهم لانا (نذرهم فى طغيانهم) على الآيات بايراد الشبهات عليها (يعمهون) اى يترددون لها مع جزم عقولهم بعدم وقوعها لتركنا اياهم فى طغيانهم يعمهون (و) لو جمعنا عليهم الآيات القاهرة المقترحة المصرحة بالتصديق عليها حتى (لو اننا نزلنا اليهم الملائكة) شهودا على صدقك (وكلمهم الموتى) بذلك وباحوال الآخرة التى لا ينكر اطلاعهم عليها (وحشرنا عليهم كل شئ) من الحيوانات والنباتات والجمادات (قبلا) أى كفلاء بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) بمجموع هذه الآيات القاهرة فى حال من الاحوال (الا) فى حال (ان يشاء الله) هديهم الايمان على خلاف مقتضى استعدادهم وقد جرت سنته بعدم مخالفته (ولكن اكثرهم يجهلون) يتوهمون انه انتعلق بالاشياء بلا اعتبار استعداداتهم فيجعلون العبد مجبورا فى افعاله فلا وجه لتعذيبه عليها فيجترؤن على الكفر والمعاصى مع انه يجوز ان يكون تعلقها بالتعذيب كذلك والافعال علامته لا سببه وان سمى جزاء تشبيها للعلامة بالسبب وكيف يتوهمون الجبر فى كفرهم مع ظهور استعداده من عداوتهم المانعة من الانقياد للآيات القاهرة الداعية الى القاء الشبهات فيها وفى الآيات المقترحة لو أتى بها بالاحاطة بابواب السحر أو بتقرر عادة جديدة مع جزم العقل بعدم الاحتمال فى الواقع وان جاز وجودهما بمعنى انه لا يلزم منه محال وهو أيضا من فعلنا بمقتضى استعدادا النبوة فجرت بذلك سنتنا (و) لذلك كما جعلنا هؤلاء من شياطين الانس بالقاء الشبهات ظاهرا وشياطينهم من الجن الملقين اياها باطنا أعداء لك بر يدون دفع أمرك بها (كذلك جعلنا لكل نبى عدوا) ليظهر بمجادلتهم حججه وترتفع شبهاتهم ولئلا يقال انه مخصوص ساعده الكل لما كلوا أموال الناس أو يتواطؤا عليهم أو انه يتنزل عليه الشياطين جعلنا (شياطين الانس والجن) اعداء ولا يمنع ذلك من ظهوره اذ غايتهم انه (يوحى بعضهم الى بعض زخرف) أى مموه (القول غرورا) للضعفاء لان الله تعالى جعلهم أهل الحجاب وكذا القاصرين ليقهرهم بمقتضى استعدادهم (ولو شاء ربك) ان لا يقهرهم مع اقتضاء استعدادهم اياه (ما فعلوه) وان كان مقتضى استعدادهم لانه من علامات القهر فلو لم يرد قهرهم لم يظهر عليهم علامته (فذرهم وما يفترون) على الله تعالى من انه جبر عليهم بالكفر من غير استعدادهم ليغتروا بذلك ولا يمنعوا التفصى عن وجه الغرور (ولتصغى اليه) أى الى مزخرفهم (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) لما عدته لهم على اهوائهم (وليرضوه) رضا المؤمنين بالآخرة بالدلائل القطعيات اذ تسقط عنهم التكاليف الشاقة (وليقترفوا) أى وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من شبهات اخر من ذلك المزخرف ومن الجراءة على الكفر والمعاصى وان انكروا كونه مزخرفا أو طلبوا فيه التحكم

وبعضة وقرقرة (حرم) واحدهم حرام (قوله تعالى حسبان) أى حساب ويقال هو جمع حساب مثل شهاب وشهبان (وقوله تعالى ويرسل عليها حسبانا من السماء) يعنى مرامى واحدها حسبانة (وقوله عز وجل حقبا) أى دهرا ويقال الحقب ثمانون سنة (قوله الحبك) الطرائق التى تكون فى السماء من آثار الغيم

الى نقادهم قل (أ) أتحكم الى نقادكم فيما بين الله لى انه من خرف (فغير الله ابتغى حكما) احكم
نقياد كم عليه (و) لم يترك لى ولا لكم ريبة فى كلامه اذ (هو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا)
فيه الحقائق والاحكام مع دلائلها ورفع الشبه عنها (و) ان شككت فى انزاله مع اعجازه
فانظر الى ما شهد الله عز وجل فى كتب الاولين وراجع اهلها اذ (الذين آتيناهم الكتاب
يعلمون) من وعد الله فيه بانزاله (انه منزل من ربك) وليس فيه ما يريبهم لكونه ملتبسا
(بالحق) فى نفسه فاذا اجتمعت فيه هذه الامور (فلا تكونن من الممترين) حتى تحتاج فيه
الى التحكم (و) كيف يكون منزلا من غيره وقد (تمت) فيه (كلمت ربك) الذى انزلها فى كتب
الاولين بمزيد التفصيل والاستدلال ورفع الشبه (صدقا) فى الاعتقادات والاخبار
(وعدلا) فى الاحكام وان نسخ بعض ما فى كتب الاولين فقد راعى فيه من الاعتدال بحيث
(لا مبدل لكلماته) من تلك الجهة ولا من جهة الصدق والاعجاز (و) لو فرض مبدل
فى طريق الوصول اليك فلا يترك بحاله اذ (هو السميع) لما يلقيه المبدل (العليم) بما
يدفعه من اول الامر فلا يمكنه ثم اشار الى انه لا وجه للتحكم فى كلمات الله التى تمت صدقا
وعدلا بحيث لا مبدل لها الى من اغرق فكره فى الامور الارضية وان كثر فقال (وان تطع
اكثر من) اغرق فكره (فى الارض) فانهم وان حصلوا الاقسام واتباعهم الاموال والجاه
(يضلوك عن سبيل الله) الذى هو اتباع البراهين القاطعة من العقل المؤيد بالنقل اذ
لا يدركونها (ان يتبعون) فى الامور الالهية (الا الظن) فيتخذون الشياطين اذا ظهرت
من آثارهم آلهة (وان هم) وباب الاحكام (الا يخرصون) اى يقولون بالتخمين الوهمى
بحكمهم على حل الحيوانات بقتل الله اياها او مقتضاها عدم حل ما تلوه وهو خلاف ما هم
عليه ولكن لا شعور لهم بذلك ولا يبالى مع قول الله لقولهم كيف يترك قول الجاهل والواحد
(ان ربك هو اعلم) من الجاهل وبعلم (من) لا يزال (يضل عن سبيله) وان كثر واتبع
اتباعهم (وهو اعلم بالمهتدين) اى المستمرين على الهداية وان قلوا اقاصى باتباعهم واذا
منعتم اقتداء الضالين فلا تعتبروا بتعليلهم الحل بقتل الله حتى تحرموا بمقتضاها ما يحتنق
واذا امرتم باقتداء المهتدين فاعتبروا بتعليلهم الحل بذكر اسم الله عند الذبح (فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه) عند ذبحه لرفعه تخبيس الموت اياه المانع من الاكل ولا تحتاجون الى
معرفة هذا السر بل يكفيكم اقتداء من عرفتم هدايته بظهور الآيات (ان كنتم بآياته
مؤمنين وما لكم) اى اى شئ عرض لكم من قطع او ظن من تعليلهم الحل بقتل الله فصار دليل
(ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد) علمتم العلماء الشارع هذه العلة بالنص اذ (فصل لكم)
بجميع (ما حرم عليكم) فى جميع الاوقات (الا) وقت (ما اضطررتم) اى اضطراركم
(اليه) فصار حصرا تاما يوجب العلم ما لم يدخل فيه وكيف تأخذون باعتبار العامة (وان
كثيرا ليضلون) فى التعليل اذ يأخذونه (باهوائهم) من غير ان ينظروا الى وجه كونه
علة لانهم يأخذونه (بغير علم) يوجب اعتبار تلك التعليل اذ لم يلغه واحد (ان ربك هو

واحد وهاحبكة وحبالك والحبك ايضا الطرائق التى تراها فى الماء القائم اذا ضربته الريح وكذلك حبك الرمل الطرائق التى تراها فيه اذا هبت عليه الريح ويقال شعره حبك اذا كان متكسرا جعودته طرائق (قوله عز وجل حطاما) فتاتا والحطام ما تحطم من

اعلم بالمعتدين) الاعتداء كما يحصل بالقبح الظاهر الذي يستقبحه العامة يحصل بالقبح الباطن الذي لا يعرفه العامة بدون تعريف الشرع (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) كأكل ما مات حتف انفه أو ذبح على النصب (ان الذين يكسبون الاثم) فانه وان لم يظهر لهم قبحه (سيجزون بما كانوا يقترفون) أي يكتسبون من الهيئة الذميمة الموجبة للعذاب ظاهرا أو باطنا عند انكشاف الحجاب عنها (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) عند ذبحه تحقيقا ولا تقديرا كالمؤمن المتعمد تركه لقيام ايمانه مقام ذكره على انه ذاكر بقلبه فهو أولى من الناسي الذي لو ذكر لذكر مع غفلة قلبه عن اسم الله بالكلية (وانه) وان لم يظهر اثمه عندكم (لفسق) أي خروج عن الحسن الى القبح بتناول ما تلبس بالموت بلا مانع من تأثيره (وان الشياطين ليوحون) أي يوسوسون بما يلقون (الى أوليائهم) بان ذكر اسم الله لو كان مبيحا لكفى ذكره عند الاكل (ليجادلوكم) على الفاء تعليل الحل بذكر اسم الله عند الذبح وهي مجادلة باطلة لان المقارن مانع للتأثير بخلاف المتأخر عن التأثير فانه لا يرفعه بعد استقراره (وان اطعتموهم) في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما احل (انكم لمشركون) لهم مع الله فيما يختص به من التحليل والتحريم وليس اطاعة الرسول في ذلك كاطاعتهم (أ) ترون اطاعة من كوشف عن حكم الله كاطاعة المحجوب (و) ترون (من كان ميتا) بالجهل (فاحييناه) بالعلم من غير تعلم من البشر (وجعلنا له نورا) من الكشف النبوي يكشف عن الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة والاحكام الحكمية بحيث (يمشي به في) كل (الناس) لا يمكنهم ان يعترضوا عليه (كمن مثله) أي صفته الغرق (في) بحر (الظلمات) ظلمة الجهل والحجاب والعناد (ليس بخارج منها) بالارشاد وابصار الصراط المستقيم اذ زين له ذلك وزين لاهل الحجاب اتباع مثله ولا عجب اذ (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) من القبائح التي زينها لهم كبراؤهم بالتلبيس عليهم (و) كما جعلنا عكة كبراء قريش ليمكروا على اتباعهم في تزيين الباطل وستر الحق (كذلك جعلنا في كل قرية) ارسلنا اليها الرسل (اكابر مجرميها ليمكروا فيها) على اتباعهم بالتلبيس ليتركوا متابعة الرسل وقصدوا بذلك اضرارهم (وما يضرون بمكرهم الا انفسهم) وكأنهم ما (يمكرون الا بانفسهم و) هم وان كانوا حذاقا بمكرهم (ما يشعرون) بما يعود الى انفسهم التي هي أقرب اليهم من كل شيء وهو دليل كونهم في الظلمات غير خارجين منها (و) من مكرهم العائد الى انفسهم مع عدم شعورهم به وان قرب من الاوليات انهم (اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى) من الوحي والمعجزات المصدقة له (مثل ما أوتي رسل الله) بل نحن أولى منهم لشرفنا فقال عز وجل (الله اعلم حيث) أي بالمكان الذي (يجعل) فيه (رسالته) وهو الشرف بالفضائل النفسية بحيث لا يدرك غاية فضائلهم سواء دون شرفاء المال والجاه سيما اذا اتصفوا برذيلة التكبر والمكر فليس احد الشرفين بالآخر (سيصيب الذين اجرموا صغار) بكبرهم (عند الله) الذي نازعوه في كبريائه لرد آياته ورسالته واعترضوا عليه في تخصيصه بالرسالة غيرهم (وعذاب شديد بما

عندان الزرع اذا يبس (حور عين) جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها (قوله تعالى حسوما) تباعا متوالية واشتقاقه من حسم الداء وهو أن يتابع عليه بالمكواة حتى يبرأ ثم جعل مثلا فيما يتابع ويقال حسوما لحومها أي شؤما (قوله تعالى حنفاء) جمع

(كانوا يمكرون) اضرارا بالانبياء فلم يضر سواهم بهذا العذاب الشديد وأما غيرهم (فمن يرد الله ان يهديه يشرح) أى يوسع (صدره) بتصقيله بنور الهداية فيتسع اتساع المرآة لظهور السموات وما دونها (للاسلام) أى لانطباع عقائده فيها وراء هذا المكر الذى هو أوهن من بيت العنكبوت (ومن يرد ان يضله) فلا يؤثر فيه مثل هذا المكر مع قلبه بحاله بل لا يتصقل لغلبة الرين عليه ومن يغلب على صدره (يجعل صدره ضيقا) لا يتسع للاعتقادات الصائبة فى الله والامور الاخروية وهو وان اتسع للامور الدنيوية فلا يتسع للاعتقادات الالهية والامور الاخروية لكونه (حرجا) شديد الضيق بالنظر اليها وذلك لكونها امانعة من الشهوات التى اتسع لها فيثقل عليه تركها (كأنما يصعد) أى يتكلف الصعود (فى) جهة (السماء) وطبعه يهبط الى الارض فذلك لوقوع رجس الشهوات عليهم (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) فى الاعتقادات والاخلاق وكيف لا يضيق صدورهم عن هذا الدين (وهذا) الدين (صراط ربك) فلا يكون سهلا مع كونه (مستقيما) لا ميل فيه الى افراط وتفريط فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال فلا عرض له فتتسع القلوب بسلوكه الاان يشرح بنور الله (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) ثم أشار الى فائدة سلوك هذا الصراط مع ما فيه من هذا الضيق فقال (لهم) أى لاهل هذا الصراط لا لغيرهم (دار السلام) أى السلامة عن كل دناءة لكونهم فى مقام القرب (عند ربهم) بسلوك صراطه الذى سلوا به عن رذيلتى الافراط والتفريط (وهو وليهم) فى اجرائهم على صراط الآخرة للوصول الى دار السلام (بما كانوا يعملون) لسلوك صراط الله فى الدنيا ثم أشار الى ضرر رجس الشهوات التى هى أصل المكر فقال (و) نقول (يوم نحشرهم) أى الماكرين والممكورين (جميعا) ليسمع بعضهم كلام البعض وما يخاطبه (يا معشر الجن) خصهم بالنداء لانهم الاصل فى المكر (قد استكثرتم) أى استتبعتم بالمكر كثيرا (من الانس) الذين أنتم اعداؤهم عداوة ظاهرة (وقال أولياؤهم) أى مطيعوهم (من الانس ربنا) أى يا من ربانا بالشهوات الحاضرة انهم أصل المكر انهما (استمتع بعضنا ببعض) بعضنا بايثار الشهوات الحاضرة على اللذات الغائبة وبعض بالقائها امورا شائعة اعتقدنا بذلك الهيتهم فاستمتع كل واحد بالآخر (و) لم يكن المانع من الاستمتاع حاضرا الذم بعالتنا فى الحال اذ اجلت لنا أجلا لنتدبر فيه ونتوب فلم نتدبر ولم نتب فلم نزل مكبين حتى (بلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) للمعاقبة (قال) اذا بلغتم أجل المعاقبة بلا توبة (النار) الجامعة بينكم وبين ما تشتهون (مثواكم) أى منزلكم الجامع بينكم ليزداد تألمكم بالاجتماع كما ازداد تنعمكم به (خالدين فيها) كما قدر لكم اما نيكم الخلود فى الشهوات فلم تنظروا فى عواقبها (الا) وقت (ما شاء الله) ان ينقلكم منها الى الزمهرير انتقالكم من شهوة الى اخرى (ان ربك حكيم) يعاقب على كل شهوة بما يناسبها (عليم) بتلك المناسبات (و) لا يختص هذا بالجن والانس بل (كذلك نولى) أى نقرن (بعض الظالمين بعضا)

حضرة قدس نفسيه (قوله والحطمة) هى النار سميت بذلك لانها تحطم كل شئ تكسره وتاتى عليه ويقال للرجل الاكول انه لحطمة والحطمة السنة الشديدة أيضا

•(باب الماء المكروه)•

(قوله عز وجل حين) أى غاية ووقت وزمان غير

سواء كانا من جنس أو جنسين في النار ليزدادوا عذابا بالمقارنة (بما كانوا يكسبون) من
مزيد المعاصي بالمقارنة (يا معشر الجن والانس) كيف اغتررتم بكثرة الاستمتاع بعد ما نبه
الرسل (ألم يأتكم رسل منكم) تعرفون صدقهم ونصحهم (يقصون عليكم آياتي)
الموجبة لموالاتي المانعة من استمتاعكم (وينذرونكم) على ترك موالاتي وعلى استمتاعكم
(لقاء يومكم هذا قالوا) قد أقروا اذ (شهدنا) بذلك (على أنفسنا) ولكن صعب علينا
تركها لتنزهاتها وتأثر عاجلتها (وغرتهم الحياة الدنيا) الحاجبة عن عواقبها حتى أنكروا
الآخرة (وشهدوا على أنفسهم) بعد شهادة جوارحهم (أنهم كانوا كافرين) بها (ذلك)
التخاطب لأجل (أن لم يكن ربك مهلك) أهل (القرى) بالتخليد في النار (بظلم) ولو في زعمهم
وكذلك لم يعذب قرية (وأهلها غافلون) عن سبب التعذيب لئلا ينسبوا اليه الظلم عند ذلك
(و) للاحتراز عن الظلم يكون (لكل) من عامل خير أو شر (درجات) من الثواب والعقاب
مأخوذة (مما عملوا) لئلا يظلم بنقص الثواب أو زيادة العقاب لأحد (و) لاهم والاله
(ما ربك بغافل عما يعملون) ما مقداره ومقدار ما يترتب عليه (وربك) وان كان يعطي
الدرجات بحسب الاعمال (الغني) عن التعذيب فيجوز أن ينقص منه أو يعفو عنه
(ذو الرحمة) فيجوز أن يزيد في الثواب ولا ينافي عفوه اقتضاء جلاله التعذيب لأنه (ان
يشأ يذهبكم) في الآخرة أيضا (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) ليعصوا فيعذبهم (كما
أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ذهب بهم ثم بذريتهم لكنه لم يفعل لئلا يخاف وعده (انما
توعدون) من العذاب (لآت) مع غنى ربك ورحمته (وما أنتم بمعجزين) لهم هذه الكلمات
لأنه يعمل بمقتضى أسمائه كلها فيخص البعض بالتعذيب والبعض بالعفو (قل) للمعتمدين
على غناه ورحمته حتى تركوا العبادة وعبدوا الاصنام (يا قوم اعملوا) الاعمال الحسنة
من عبادة من هو دونه (على مكانتكم) أي مرتبتكم الشريفة على خلاف مقتضاها
(اني عامل) عبادة الله مع غناه لاحتياجي اليها في استكمال مرتبتي من القرب اليه في الدار
التي تعقب هذه الدار بنيت لعبدة الله دون غيرهم وأنتم ان لم تعلموها الآن (فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار) هل يكون للعدل الذي يضع العبادة في موضعها أو للظالم بوضعها
في غير موضعها (انه لا يفلح الظالمون و) من ظلمهم المانع من الفلاح ترجيحهم جانب الاصنام
على جانب الله بعد تشريكهم اياه فيما اختص بخلقه اذ (جعلوا لله مما ذرأ) أي خلق (من
الحرث والأنعام نصيبا) يصرفونه الى المساكين والضيفان ولأصنامهم نصيبا يصرفونه الى
النسك والسدنة (فقالوا هذا) مستقر (لله بزعمهم) الآن من غير استقراره في المستقبل
لمعارض (وهذا لشركائنا) وهو مستقر لهم بل يستقر لهم ما ليس لهم أيضا (فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله) عند نمائه أو سقوطه فيما هو لله أو هلاك ما هو لله (وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم) عند نمائه أو سقوطه فيما هو للاصنام أو هلاك ما لها وعللوا ذلك
بأن الله غني وهي محتاجة (ساء ما يحكمون) من ترجيح جانب الاصنام على جانب الله بعد

محدود وقد يجيء محدودا (قوله عز وجل حطة) مصدر حط عنا ذنوبنا حطة والرفع على تقدير ارادتنا حطة ومسألتنا حطة ويقال الرفع على أنهم أمروا بذلك بعينه وقال المفسرون تفسير حطة لا اله الا الله (قوله عز وجل حل) أي حلال وحرم وحرام وقد قرئت وحرم على قرية وحرام على قرية والمعنى

تقتضى ترجيح جانب الله لالهيته وعدمه لاصنامهم للالهية مع الحاجة (و) لكن زين لهم ذلك القبيح (كذلك زين لكثير من المشركين) مع وفور عقلهم فى الامور الدنيوية ما هو أشد قبحا منه فى باب القربات (قتل أولادهم) للاصنام (شركاؤهم) من الشياطين مكرا بهم (ليردوهم) أى يهلكوهم بالشرك وقتل الولد (وليلبسوا عليهم دينهم) بدين ابراهيم فى ذبح اسمعيل عليهما السلام (و) لا ينبغى ان تحزن على هلاكهم لانه بمشيئة الله (لو شاء الله) عدم اهلاكهم (ما فعلوه) مع ظهور قبحه وكونه افتراء على الله فى جعله من دين ابراهيم (فذرهم وما يفترون) بعد بيان ذلك لهم (و) مما ظهر فيه افتراؤهم ما اناضوا فيه اذ (قالوا هذه انعام وحرث حجر) أى وقف والوقف عما يترك أصله ويؤخذ نفعه وهم يقولون (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) فيجيزون اكل الموقوف ويدخلونه تحت تصرفهم بعد اخراجهم اياه عنه بالوقف (و) قالوا ما هو اقبح منه اذ لا معنى له والتناقض اعا يقبح بالنظر الى اجتماع النقيضين لا بالنظر الى ذات كل واحد منهما وهو هذه (انعام) اى البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى محررة (حرمت ظهورها) أى ركوبها مع ان التحرير هو رفع الحجر عن التصرف وذلك مختص بالانسان فلا وجه لاخراج غيره عن الملك (و) قالوا ما هو أشد من ذلك وهو هذه (انعام) نتقرب بها الى الاصنام ليقربونا الى الله ومع ارادة هذا التقرب اليه (لا يذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها لئلا يشاركها الله فيها و يزعمون انه أمرهم بذلك (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) على الله باسوا الوجوه ثم أشار الى افتراء آخر فيه صريح التحكم فقال (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) الثلاثة من الاجنة ان خرجت حية فهى (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) أى اناثنا وان اعطاهن ذكورنا (وان يكن) ما فى بطونها (ميتة فهم) اى الذكور والازواج (فيه) أى فى حلها (شركاء سيجزيهم وصفهم) بالتحليل والتحريم على سبيل التحكم ونسبته الى الله تعالى (انه حكيم) لا يتحكم (عليم) بما فى التحليل والتحريم استقلالا من دعوى الالهية والافتراء على الله من الظلم العظيم وكيف لا تكون هذه الافتراآت تزيينا من الشركاء بطريق المكر مع ظهور قبحها اذ (قد خسر) الدارين (الذين قتلوا أولادهم) أما الدنيا فلانهم قتلوهم (سفها) اذ أتلفوهم بلا نفع حاضر وأما الآخرة فلانهم قتلوهم (بغير علم) بنفع اخروى بل مع ظهور ضرر الافتراء على الله (و) كذا الذين (حرموا ما رزقهم الله) أما الدنيا فلانهم ضيعوا على انفسهم المنافع التى خلقها الله لاجلها وأما الآخرة فلعدم علمهم بنفع فيها بل مع ظهور ضرر الافتراء اذ كان التحريم (افتراء على الله) فهم وان كانوا اعقلاء مهتدين فى امور الدنيا (قد ضلوا) فى هذين الامرين اذ لم يراعوا فيهما الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) فيما اهتدوا من امور الدنيا أيضا لانها لم تقصد لذاتها بل لتكون مزرعة الآخرة وقد ضيعوا على انفسهم كونها مزرعة وان عملوا ما هو مزرعة أحرقوها بكفرهم فلم يكن هداهم هدى أصلا ثم أشار الى انهم كيف يهتدون مع افترائهم على المتم بانواع النعم بالتحريم الذى يبطل انعامه وحكمته فيه وهو اعتبار الامور الاخروية بها

واحد (قوله عزوجل وأنت حل بهذا البلد) أى حلال ويقال حل حال ساكن أى لا اقسم به بعد خروجك منه (قوله تعالى حكمة) اسم للعقل وانما سمى حكمة لانه يمنع صاحبه من الجهل ومنه حكمة الدابة لانها ترد من غربها وافسادها (قوله عزوجل حولا) تحويلا (قوله عزوجل حجرا) على ستة أوجه حجر حرام قال

فقال

فقال (وهو الذى) انعم عليكم بانواع النعم لتعتبروا بها نعم الآخرة فتجتهدوا لها اذ (انشأ) من الكروم وغيرها (جنات) تدل على البساتين الاخروية (معروشات) أى مسموكات بما عملتم لها من الاعمدة وغيرها ليعلم ان فيها درجات رفيعة للعاملين لها (وغير معروشات) حصلت بغير تعب ليعلم ان فيها درجات تحصل بفضل الله بلا تعب لكنها لا تنفك عن دنو (والنخل) المثمر لما هو فاكهة وقوت ليعلم انه لا بد من أصل هو الايمان المثمر لفاكهة القرب ونجاة القوت (والزرع) الحاصل لانواع القوت ليعلم ان النجاة انما تحصل بالاعمال (مختلفا أكله) أى كل واحد من النخل بثماره بسرا وتمرا ورطبا ومن الزرع بحسب طبائعه ليعلم ان تفاوت مراتب القرب والنجاة بحسب كمال الاعتقادات والاعمال ونقصها (والزيتون والرمان متشابها) فى اللون والشكل (وغير متشابه) فى الطعم ليعلم تفاوت درجات المؤمنين العاملين بحسب تفاوت اذواقهم فى الدنيا والذوق الظاهر لما كان سبب الذوق الباطن لم يتم الاعتبار الا باكل تلك الثمار لذلك قال (كلوا من ثمره اذا أثمر) وان لم يبلغ حد الحصاد ولم يعط منه حقه (و) لانه لم تواعتى المزرعة فيها بجعلها لمحض الشهوات بل (آتوا حقه) وهو العشر أو نصفه (يوم حصاده) لانه نماء لا ينتظر لحصول بحصل نماء (ولا تسرفوا) فى اكلها لئلا يبطل باستيفاء الشهوات معنى المزرعة كيف والمقصود منها اكتساب محبة الله تعالى لكنها لا تحصل مع الاسراف (انه لا يحب المسرفين) وكيف يحب المسرفين فى الشهوات وهم لا يحملون التكاليف التى يتوصل بها الى بساط القرب (و) قد انشأ (من الانعام حمولة) تحمل أثقالكم لتعلموا ان حيوانيتكم لحمل اثقال التكاليف (وفرشا) أى بساطا لتعلموا ان حيوانيتكم صالحة لتجعل بساط الاعمال الصالحة الموصلة الى بساط القرب عند الله اذا شكرتم هذه النعمة بعد استكمال منافعها بالاكل الذى يدل على اباحته اتفاقكم على هاتين الفائدتين المؤديتين لهادمة حياتها وايذاء الذبح لا يعتد مع ان فائدتها أجل وهى حفظ الروح واستزادة القوة فى الطاعة والجهاد (كلوا مما رزقكم الله) لحفظ الروح واستزادة القوة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) من تجويز أعظم وجوه الايذاء لادنى المنافع ومنع أدناه لاعظم المنافع (انه لكم عدو مبين) يمنعكم عما يحفظ روحكم ويزيد قوتكم ويدعوكم الى الافتراء على الله ان تنسبوه الى أمره أو الى دعوى الالهية لكم ان استقللتم به وقد ظهرت عداوته فى تخبيطهم فى القول بتحريمها واتفقوا على اباحة زوجى الضأن والمعز واختلفوا فى تحريم زوجى الابل والبقر فبعضهم حرم الذكور على الاناث وبعضهم على الذكور وبعضهم الاناث على الذكور وبعضهم على الاناث وبعضهم ما فى البطون على الاناث ان خرج حيا ولا دليل لواحد منهم بل لا شبهة فرد الله تعالى عليهم وأمرهم ان يأكلوا (ثمانية ازواج) أى اصناف كل صنف زوج ما يعتاد به من نوعه واعتبار الزوجية يدل على ان ذبح أحد الزوجين بمنزلة ذبح الآخر ونص على تحليل المتفق عليه بقوله (من الضأن اثنين) الذكر والانثى (ومن المعز اثنين) ليعلم ان المختلف فيه كذلك بل اذا اكل المتفق عليه مع قلة المشقة عليه لعدم

الله عز وجل وحرث حجر وقال تعالى ويقولون حجرا محجورا أى حراما محرما عليكم الجنة والحجر ديار ثمود كقوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين والحجر العقل كقوله عز وجل هل فى ذلك قسم لذى حجر والحجر حجر الكعبة والحجر الفرس الانثى وحجر القميص وحجره لغتان والفتح افصح

(باب الحاء المفتوحة)

كونه حمولة فالحمولة أولى وفي تقديم الضأن على المعز اشارة الى أولوية أكله لعدم الانتفاع
بوبره ليدل على أولوية أكل البقر (قل) لو حرمهما (آلذكرين حرم) على الذكور
والاناث (أم الانثيين) مع ان تحريم أحد الصنفين على أحد الصنفين يستلزم تحريم
الآخر على الآخر (أما اشتملت عليه ارحام الانثيين) من المعز والضأن مع انه لا يطلع
على التحريم وفاقا ههنا فكذا في الابل والبقر (نبئوني بعلم) أي دليل نقلي من كتب أوائل
الرسل أو عقلي في الفرق بين هذين النوعين والنوعين الآتيين (ان كنتم صادقين) في ذلك
ثم صرح بالمناف فيه فقال (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) فان قالوا بتحريم
البعض (قل آلذكرين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اعلمتم ذلك
بدليل (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله) أي أمركم أمرا موكدا (بهذا) التحكم
الذي لا يليق بالحكيم واذا لم يكن عندكم دليل ولا مشاهدة كنتم مفترين على الله وزدتم
عليه باضلال عباده بغير تنبيه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم)
وأقل ما فيها الضلال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فكيف من زاد على الاظلم بوجهين كل
واحد يوجب الاظلمية استقلالا فان زعموا أنه حرمت علينا أشياء خاصة بها الله تعالى رزقانا
(قل) ان التحريم ليس مني بل بالوحي اليّ مع أنه لا تحكم فيه اذ (لا أجد) الآن (فيما
أوحي اليّ محرما) مما تطلبونه (على طاعم) من ذكر أو أنثى لا على مستدل اذ (يطعمه)
استقلالا لا تبعيتنا (الا أن يكون ميتة) والموت سبب الفساد ونفس الانتفاع من
تأثيره مانع من ذكر اسم الله أو كونه من الملة أو غيرهما (أو دما مسفوحا) أي سائلا لا كبدا
أو طحالا لانه أول ما يتعلق به الروح فتنجسه بالموت بشبه النجاسة الذاتية التي لا تقبل التطهير
(أو لحم خنزير فانه رجس) في حياته لكونه مقتصرا على أكل النجاسات (أو فسقا) أي
خروجا عن الدين الذي هو كالحياة المطهرة (أهل) أي صوت فيه باسم (لغير الله به) أي
بسبب ذبحه له فانه وان قرن به اسم الله لا يؤثر معه في التطهير وهذا الاينافي كونه رزقا لانه
رزق للمضطر (فمن اضطر غير باغ) بقتال الامام (ولا عاد) بسفر المعصية فأكل (فان
ربك غفور) لاثمه (رحيم) باباحته مع قيام دليل التحريم فان اعترض على الحصر المذكور
بان الله تعالى حرم في التوراة أشياء غيرها أجيب بانه مخصوص باليهود كما قال (وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي اصبع من دابة أو طير (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الا ما حملت ظهورهما) من الشرائح (أو الحوايا) أي الامعاء والمصارين
(أو ما اختلط بعظم) من المخ (ذلك) أي تحريم تلك الاطايب عليهم (جزيناهم ببغيهم)
ولم يكن لغيرهم ذلك البغي فلا وجه لتحريمها عليهم مع كونها أطايب في أنفسها (وانا
لصادقون) في تخصيص التحريم بهم لبغيهم (فان كذبوك) في التخصيص وزعموا أن
تحريم الله لا ينسخ (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فيجوز أن يرحم هذه الامة بتحليل ما حرم
على من قبلهم (و) لا ينافي سعة رحمته تحريمها على أهل البغي كالاينافي رحمته بأسلافهم

(قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم) طبع الله على قلوبهم (قوله عز وجل يأتون بقاء الآخر خالدون) بأنه بعث الجنة دار له وبه وكذلك النار (قوله خاشعين) أي متواضعين (قوله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن) أي خفتت (وقوله عز وجل وترى الارض خاشعة) أي ساكنة مطمئنة (قوله عز وجل

(لا يرد بأسه) يوم القيامة مع نفاذ مشيئته فيه (عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا) في رد البأس عنهم بإبطال شركهم من وحدة الفاعل (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) إذ لو كان بمشيئة الغير فهو الغالب لكثرة المذكورين ولو كان بمشيئته فلا تعذيب عليه فقال تعالى هذا مناقض لأنهم كما كذبوا بالعذاب بهذه الشبهة (كذلك كذب الذين من قبلهم) بالعذاب فأصروا عليه (حتى ذاقوا بأسنا) فلو صح هذا الدليل لم يكونوا ليذوقوه فإنهم لم يكتفوا بالنقض وطلبوا الحل (قل) المشيئة إنما تمنع من العذاب لو كانت قاهرة لكنها تابعة لاختيارنا (هل عندكم من علم) بأن مشيئته قاهرة (فتخرجوه لنا) لنخرج عن القول بأنها ليست تابعة لاختيارنا فإن زعمتم أن اختيارنا بمشيئته ولا بد أن تكون قاهرة قلنا (إن تتبعون) في جعل هذه المشيئة قاهرة (إلا الظن) بل هي تابعة لاستعدادات حقائقنا (و) إن زعمتم أنها أيضا مجهولة قلنا (إن أنتم إلا تخرصون) بأن الاستعدادات مجهولة مع أنها صفات الأمور العدمية وإن زعمتم أن مشيئة الله أينما كانت فهي قاهرة وإن الاستعدادات لو اعتبرت فهي أمور وجودية (قل فلله الحجة البالغة) وهي أن العذاب والثواب مقدران ابتداء كأعمالهما ولا علة لتقدير الله لكن أعمالهما علامات كالمرض للموت (فلو شاء) أن لا يعذب أحدا (لهداكم أجمعين) إذ لا حكمة في خلق الضلال سوى إظهار الجلال بالتعذيب (قل) لليهود المكذبين للتخصيص (هلم) أي أحضروا (شهداءكم) أي علماء التوراة (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) على جميع الأمم من غير تخصيص ولا بسبب بغي (فإن شهدوا) أنه في التوراة (فلا تشهد معهم) لما عرفت من افترائهم على الله وتحريفهم لكتبه على وفق أهويتهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) الظاهرة على يدي عيسى وبيدك (و) أهواء (الذين لا يؤمنون بالآخرة) إذ يقولون لن تمسنا النار إلا أياما معدودة (و) لا يؤمنون بالله أيضا إذ (هم بربهم يعدلون) عزيرا إذ يجعلونه ابنه والابن يعدل الأب (قل) للذين يشهدون أن الله حرم المذكورات على الكل (تعالوا) أي ائتوا المقام العالي من الإنصاف (أتل ما حرم) على الكل بحيث لا يقبل النسخ (ربكم عليكم) في مفتتح التوراة الشرك إذ نهاكم عنه فعزم (ألا تشركوا به شيئا و) عقوق الوالدين إذ أمركم أن تحسنوا (بالوالدين إحسانا) كاملا لكونهما المبدأ القريب الذي لا يشارك فيهما فالإحسان إليهما كالإحسان إلى أنفسكم بترك الشرك في المبدأ الأعلى (و) قتل الأولاد إذ عزم أن (لا تقتلوا أولادكم) الذين يتوقع الإحسان منهم إليكم إذا كبروا ولو (من) وجود (إملاق) أي فقر فإن قتلهم من أجله ليس بعذر إذ (نحن نرزقكم) مع فقركم (وإياهم و) الزنا لأنه فاحشة إذ قد عزم إليكم أن (لا تقربوا الفواحش) أي القبائح سواء كان لها صورة ظاهرة أم لا كما قال (ما ظهر منها وما بطن) فإنه في معنى قتل الولد لقطع النسب إليه وإن نسب إلى الزوج في الظاهر فصورة الزنا الباطن وهو قتل بغير حق إذ لا جرم للصبي (و) قد حرم إذ عزم أن (لا تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها لإيمانها وأمانها

ناشئين) باعدين ومبعدين أيضا وهو أيضا بكروه يقول أخسأت الكلب وخسأ الكلب (قوله عز وجل خلاق) نصيب (قوله عز وجل الخيط الأبيض) هو بياض النهار والخيط الأسود هو سواد الليل (قوله خاوية) أي خالية (قوله عز وجل خبالا) فسادا (قوله عز وجل خاسئين) أي قائمين (قوله خليل) أي الظفر (قوله خليل) من صديق وهو فعيل من الخلة وهي الصداقة

(الا بالحق) كالقصاص والرجم وأفرده اشعارا باستقلاله بالحرمة فكيف اذا انضم اليه
قطع الرحم وعدم الثقة بضمان الله (ذلكم وصاكم به) تلطفا ورأفة (لعلكم تعقلون)
فالشرك وعقوق الوالدين وقتل الاولاد لانه قرمنشؤها الجهل بما في الشرك من استهانة المنعم
بالايجاد وبما في الاساءة الى الابوين من مقابلة الاحسان بالاساءة وقربان الفواحش من
متابعة الهوى والقتل من متابعة الغضب وكلها أضداد العقل (و) حرم أكل مال اليتيم
لانه بمنزلة قتله لعجزه عن تحصيل معاشه فعزم أن (لا تقربوا مال اليتيم) اذ هو جاه ومقدمته
(الا بالتي هي أحسن) أي بطريق الحفظ والانماء فأحسنوا اليه بذلك (حتى يبلغ أشده)
أي قوته التي يقدر بها على حفظه واستنمائه كيف (و) قد حرم في حق الجميع التطفيف اذ
عزم ان (أوفوا الكيل والميزان بالقسط) أي العدل لا على سبيل التحقيق الذي يصعب
رعايته اذ (لا نكلف نفسا الا وسعها و) كما حرم عليكم ترك العدل فيه حرم تركه في القول
اذ عزم أنه (اذا قلتم فاعدلوا ولو كان) المقول فيه (ذا قربى و) اذا وجب رعاية حق خصم
ذي القربى فرعاية حق الله أولى ولذلك حرم نقض عهد الله وعزم أن (بعهد الله أوفوا ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون) بانكم كنتم أيتاما فلو لم يؤمر الحكام بحفظ أموالكم واستنمائها
لهلكتم ولو لم يوف لكم الكيل والميزان لخسرتم ولو لم يقل الحق فيكم لظلمتم ولو نقض عهدكم
لغضبتم فما ترضون في حق أنفسكم فافعلوا في حق الغير وأكمل عهوده الايفاء بقواعد هذا
الدين وقد حرم على أهل كل عصر مخالفة قواعد دين ذلك العصر اذا تحقق كونه دينا
بالاستقامة وأشار الى ذلك بقوله (وأن) أي ولأن (هذا) الدين المحمدي (صراطي) المنسوب
الى لكونه (مستقيما فاتبعوه) اذ لم تختلف الاديان في وجوب متابعة المستقيم من دين كل
عصر (ولا تتبعوا السبل) وان كان فيما مضى مستقيما في عصره لكنه قد زالت استقامته
(فتفرق بكم) عن الله لابعادها (عن سبيله) في الحال (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)
الكفر والضلال بمتابعة السبل المنسوخة جمع له هذه الوصايا مفتتح التوراة (ثم آتينا موسى
الكتاب) أي التوراة (تماما) بسائر الاحكام (على) النهج (الذي أحسن) رعاية مصالح
زمانه (وتفصيلا لكل شيء) من الحقائق الالهية والملكوتية والامور الاخروية (وهدى)
باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) بافاضة الفوائد الكشفية (لعلهم) أي أهل الكتاب
(بلقاء ربهم يؤمنون) اذ يعلمون من الدلائل العقلية امكان ذلك ومن رفع شبه الاستبعاد
رفع الموانع ومن الدلائل النقلية وجوب ذلك وربما أكد بالقواعد الكشفية ان ذلك
مقتضى جلاله وجماله ثم أشار الى أن التوراة وان كانت تماما على النهج الاحسن فالقرآن
أتم منه وأزيد حسنا فهو أولى بالمتابعة فقال (وهذا) أي القرآن (كتاب) عظيم الشأن
(أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) أكثر خيرا من التوراة (فاتبعوه واتقوا) متابعة
غيره لكونه منسوخا به (لعلكم ترحمون) فيه اشارة الى أنه لا رحمة بمتابعة المنسوخ وان
آمن صاحبها بلقاء ربه على أنه لو لم يكن أتم من التوراة لاقتضت الحكمة ازالة كراهة (أن

(قوله عز وجل
والودة)
خصيم) أي شديدا لخصومة
(قوله عز وجل ناشئة
منهم) بمعنى ناشئ منهم
والهاء للمبالغة كما قالوا
رجل علامة ونسابة
ويقال ناشئة مصدر بمعنى
خيانة (قوله عز وجل
خسروا أنفسهم) غبنوها
(قوله عز وجل خولناكم)
ملكناكم (قوله عز وجل
خلفتموني من بعدي) أي
أقمتم مقامي خالفين متخلفين
عن القوم الشاخصين
وقوله تعالى رضوا بأن

تقولوا

تقولوا) يوم القيامة (انما انزل الكتاب) الجامع للاحكام والدلائل والحقائق ورفع الشبه والفوائد الكشفية (على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا) وقد غيروا فيه بطول المدة (وان) أى وان الشأن (كنا عن دراستهم لغافلين) لعدم معرفتنا بلغتهم وقد صعب على أهل لغتنا الفصيحة الانتقال الى لغتهم الثقيلة فهذا وان لم يكن عذرا أنزلناه بلسانكم مبالغة فى الزام الحجة عليكم وعلى سائر الامم اذ يسهل عليهم الانتقال الى لغتكم الفصيحة (أو) كراهة أن (تقولوا لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا) لمزيد ذكائنا وجودة فى العمل (أهدى منهم) وان لم يكن كتابنا أهدى من كتابهم فأزيل هذا العذر بانزال كتاب أهدى من كتابهم (فقد جاءكم) كتاب معجز هو (بينة) على نفسه بانه (من ربكم) لا يتوهم فيه السحر لانه (هدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) باقامة الفوائد الكشفية واذا كان معجزا مفيدا للهدى والرحمة فالكفر به أعظم ظلما من الكفر بما هو مجرد هدى ورحمة (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) ان لم يكن تكذيبه عن معرفة اعجازه لانه (صدف) أى أعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا) التى لو لم يصدفوا عنها لعرفوا اعجازها (سوء العذاب) الذى يكون للمكذبين بعد معرفة الاعجاز (بما كانوا يصدفون) اذ قصدوا بذلك أن لا يعرفوا اعجازه ليلزمهم الايمان به فكانوا فى حكم من عرف الاعجاز ثم كذب به واذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب المعجز الذى لا احتمال للسحر فيه مع اشتماله على الادلة ورفع الشبه واقامته الفوائد الكشفية أتم مما فى سائر الكتب (هل ينظرون) أى ينتظرون للايمان (الا أن تأتيهم الملائكة) بالوحى أو بالشهادة على صدق الكتاب (أو يأتى ربك) أى ظهوره للابصار مصدقا للكتاب (أو يأتى بعض آيات ربك) أى دلائل القيامة الدالة على الله وصفاته وأفعاله فى الآخرة ولما سبق ما فى انزال الملائكة من قضاء الامر وعدم الانتظار وظهور الرب أشد لم يتعرض للكلام فيه وانما تعرض لظهور بعض الآيات فقال (يوم يأتى بعض آيات ربك) فضلا عن كلها (لا ينفع نفسا ايمانها) وخيرها الذى أوقفتها عليه اذ (لم تكن آمنت من قبل) وقت التكليف قبل كشف الحجب (أو) لم تكن (كسبت فى) حال (ايمانها خيرا) وان كسبت فى حال الكفر فان زعموا انا ننتظر ذلك وان كان فيه اماتك (قل انتظروا) استهزاء (انا منتظرون) تحقيقا ثم أشار الى أنهم لا يتركون الانتظار ما لم يجتمعوا على كتابك لكنهم كيف يجتمعون على كتابك مع تفرقهم فى دينهم فقال (ان الذين فرقوا دينهم) مع وحدته فى نفسه (وكانوا شيعا) مختلفة كأرباب الاديان المختلفة يكفر بعضهم بعضا (لست منهم) أى من امكان جمعهم على كتابك (فى شئ) وان بالغت فى اقامة الدلائل ورفع الشبه (انما أمرهم) فى الجمع المفوض (الى الله) لكنه يتركهم فى التفرقة التى استعدوا لها باختلاف أهوائهم التى اتبعوها منتظرين عذابها على سبيل الاستهزاء (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) من التفرقة لمتابعة الاهواء والانتظار على سبيل الاستهزاء ويجازيهم على ذلك بما يماثل أعمالهم ويفوتهم تضاعف الحسنات بحسب على الامر باد (من جاء بالحسنة

يكونوا مع الخوالف أى مع النساء ويقال وجدت القوم خلوفا أى قد خرج الرجال وبقى النساء (قال أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الاعرابى قال الخلوف اذا كان الرجال والنساء مقيمين والخلوف اذا خرج الرجال وبقيت النساء وأنشد
والحى حى خلوف)
(قوله عز وجل وخرقوا له بنين وبنات) افتعلوا ذلك واختلقوه كذبا ومعنى

فله عشر أمثالها) في الحسن كمن هو أهدى الى سلطان عنقود عنب يعطيه بما يليق بسلطنته
لا بقيمة العنقود (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) في القبح فمن كفر خلد في النار فانه ليس
أقبح من كفره كمن أساء الى السلطان يتصدق قتله ومن قتل عصبة عصبته بقدرها كمن أساء الى
آحاد الرعية (وهم) وان رأوا أقبح العذاب أشد من قبح أفعالهم (لا يظلمون) بالزيادة على قدر
الاستحقاق فان زعموا أن الحسنة دين أهل الكتاب لاعترافك بأن كتابهم منزل والسيئة
دينك لانكارهم على ان دين الله لا يتعدد لان الحق واحد (قل) لا يتطرق فيه الى اتباع
أحد أو اقراره بل الى الاستقامة والاعوجاج (انني هداني ربي) كما هداهم (الى صراط
مستقيم) كصراطهم بل أكمل منه لكونه (دينا قيما) أي قائما بكل اعتقاد صحيح وأحكام
أتم فائدة وأكثر ثمرة من أحكامهم والحق انما لا يتعدد في الاعتقادات دون الاحكام التابعة
لمصالح الازمنة والامم فهو وان خالف دينهم في بعض الفروع واعتقادهم في عزير والمسيح
فقد وافق (ملة ابراهيم) المتفق على صحتها لكونه (حنيفا) أي مائلا عن الاديان الباطلة
(وما كان من المشركين) باعتقاد ابنية عزير والمسيح فان زعموا انك تصلي الى الكعبة
وتطوف بها وتذبح لها الهدايا فهل المشركين باصنامهم على أنك لا تخلو عن شرك الترغيب
الى اصلاح معاشك ومعادك (قل ان صلاتي) الى الكعبة (ونسكي) أي طوافي وذبحي
الهدايا لله لا للكعبة اذ لا أدعو غيره وعابد الصنم يدعوه وتخصيص الكعبة لانه لما تنزه عن
المكان ولم يكن للظاهر بد من التوجه الى مكان جعل أول بيت وضع لعبادته بمنزلة مكانه
فجعل كدار السلطان يتوجه اليها المحتاجون ويطوفون حولها ويأتون بالهدايا اليها
(ومحياي ومماتي) أي ما أفعله للعبادة فلا أفعله لذاتها بل للاستعانة على عبادته وما أفعله
لمماتي فلا أفعله لطلب الجنة أو للهرب من النار بل لرضا الله والتقرب اليه فجميع ما توهم
فيه الشرك كان (لله) ولا ينافي ذلك حصول أسبابها لكونه من (رب العالمين) ولكن
(لا شريك له) في الطلب فلا أطلب معه سواه (و) ليس ذلك من رأيي حتى أكون عابدا بل
(بذلك أمرت) وكيف أكون مشركا (وأنا أول المسلمين) الذي يقتدى به الموحدون فان
زعموا أنك تعبد الكعبة بالصلاة والطواف والذبح ولكن تسترت بهذه العبادات (قل
أغير الله أبغي ربا) حتى أصير في غاية الدناءة لان المعبود به دناءة (و) هي للعابد غاية الدناءة اذ
(هو رب كل شيء) فيلزم أن أكون عبد العبده (و) لا تحصل الكعبة مني هذه الدناءة اذ
(لا تكسب كل نفس الا عليها) وان تحمل شيء دناءة الآخر فلا يحمل وزره وعبادة الغير
وزر (ولا تزر) أي لا تحمل نفس (وازرة) أي ثقيلة بالاثم كالرضا بكونها معبودة من دون الله
(وزر) أي اثم نفس (أخرى ثم) انه ليس بمجرد حول بل (الى ربكم مرجعكم) فلو عبدتم هذه
المظاهر على زعم ظهور الالهية فيها مع اختلافها كنتم قائلين بالاختلاف في ذاته (فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون) ان اعتبرتم كمال المظهرية فهو لكم اذ (هو الذي جعلكم
خلائف الارض) تتصرفون في الارض التي هي المحل الكامل للتصرف بوجوه مختلفة

وحزقوا له لوا امرة بعد أخرى وحزقوا افتعلوا مالا أصل له وهي قراءة ابن عباس (قوله عز وجل خلائف الارض) أي سكان الارض يخلف بعضهم بعضا واحدهم خليفة (قوله خاطئين) قال أبو عبيدة خطئ وأخطأ بمعنى واحد وقال غيره خطئ في الدين وأخطأ في كل شيء اذا سلك سبيل خطأ عامدا أو غير عامد (قوله جل اسمه

نيابة عن ذاته وجميع صفاته وأسمائه (و) مع ذلك ليس هو كالمظهر ية على الاطلاق اذ (رفع بعضكم فوق بعض درجات) يرتفع بعضهم على بعض بدرجة والمرفوع عليه يرتفع على المرتفع بأخرى فان فرض جامع للدرجات فلا يكون أيضا الها الا ان رفع درجاته ليس بذاتى بل عارض (ليبلوكم فيما آتاكم) هل تشكرونه فيه أم لا فان لم تشكروه سلبت منكم درجاتكم بالمعاقبة (ان ربك سريع العقاب) فلا يبقى درجاتكم مدة يتوهم فيها كونها ذاتية لكم (و) ان شكرتم سترت نقائصكم ورفعت درجاتكم (انه لغفور رحيم) فليست درجاتكم ذاتية حتى تدل على الالهية لحدوثها بعد العدم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاعراف)

سميت بها لانها من المنازل الرفيعة لاهل الكمال الفضين على سائر الطوائف فشأنها أولى بالاعتبار من سائر الشؤن المذكورة فى هذه السورة (بسم الله) الجامع الكمالات التى تجلى بها فى هذا الكتاب لتوسيع صدور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه (الرحمن) بانذار الكل المنجى عن المكاره وتذكيرهم الموصل الى المحبوبات (الرحيم) بتخصيص فائدتها بالمؤمنين (المص) أى أحسن لآلئ المكارم الصافية أوأعلى لطف معد للصعود أو أكمل لامع مفيد للصيانة أوأعزاب معجز صادق (كتاب أنزل اليك) لتعليمهم تلك الآلى أوللتلطف عليهم بما يعدهم للصعود أولانارتهم بما يكشف لهم عن المنافع والمضار الحقيقية أولاعزازهم باب الصدق بما يرون من الاعجاز (فلا يكن فى صدرك حرج منه) من حزن من لا يصلى أولا يتلطف أولا يستنير أولا يتعزز اذلم ينزل لالزامهم ذلك بل (لتنذر به) من لا يتصف بما ذكر (و) يتذكر به فوائد هذه الامور (ذكرى) نافعة (للمؤمنين) المصدقين بهذه الاوصاف وفوائدها وأى حرج لك فيه وليس عليك الا أن تقول لهم (اتبعوا) للوصول الى هذه الامور العالية (ما أنزل) لتحصيلها (اليكم) أيها القاصرون بأنفسكم (من ربكم) الاعلى الذى رباكم بتنزيل هذه الامور العالية (و) لا تبطلوا هذه التربية بمتابعة من دونه (لا تتبعوا من دونه) فان أقل ما فيها ترك الاعلى للادنى (أولياء) مع انهم أعداء لو تذكرتم بتنزيلهم اياكم من الاعلى الى الاسفل لكن (قليلا) من التذكر (ما تذكرون) كيف (و) ليس اقتصارا على التنزل بل اهلاك كل بجرى السنة المستمرة اذ (كم) أى كثيرا (من قرية أهلكناها) باتباعهم أولياء من دونه مع ترك متابعة ما أنزل الله ولم يكن من قبيل الابتلاء الذى تظهر علامانه قبله غالبا بل كان مجاءة (فجاءها بأسنا) أى عذابنا (بياتا) أى بائتين بمعنى نائمين ليلا (أوهم قائلون) أى نائمون نهارا اجزاء على غفلتهم مع خفاء البرهان تارة وظهوره أخرى ويدل على أنه ليس للابتلاء الذى يعم المؤمن والكافر انهم أرادوا دفعه بحجة لكن لم يجدوها (فما كان دعواهم) أى حجتهم التى يدعون التمسك بها لدفعه (اذ

خلبكن) أى أمركن والخطب الامر العظيم (قوله تعالى خلصوا نجيا) أى تفردوا من الناس يتناجون أى يسر بعضهم الى بعض (قوله عز وجل خروا له سجدا) أى كذلك كانت تحيتهم فى ذلك الوقت وانما سجدوا هو لله عز وجل (قوله عز وجل خبت زدناهم سعيرا) يقال خبت النار تخبو اذ سكنت (خاوية على عروشها) خالية قد سقط

جاءهم بأسنا) الذي لا يقبل معه عذر (إلا أن قالوا) ما يلزمهم (إنا كنا ظالمين) بترك متابعة
ما أنزل الله لمتابعة من دونه واتخاذهم أولياء مع كونهم أعداء ومع اعترافهم بالظلم لما كانت
المؤاخذة بغتة من غير سؤال يظهر به تفاصيل ما يستحقونه فيظهر به كمال العدل قال
(فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن) لعدم وفائهم ببيان جزئيات ما جرى (المرسلين
ف) لقصورهم عن الإحاطة (لنقصن عليهم بعلم) لم يحصل لهم لغيبتهم عن أمور
(وما كنا غائبين) عن شيء من الأشياء (و) لم نقتصر على علمنا بل بينا لهم بالوزن أعمالهم
ومقاديرها على ما هي عليه إذ (الوزن) وإن كان اليوم لا يخلو عن تفاوت (يومئذ الحق)
المطابق له الواقع بلا تفاوت فكان مقدار الجزاء مرتبا عليه (فمن ثقلت موازينه) كلها
إذ كانت لجميع أعماله مقدار عند الله من القبول (فأولئك هم المفلحون) بكل ما ذكر من
التحلي والصعود والاستنارة والتعزز (ومن خفت موازينه) إذ لم يكن لشيء من أعماله
مقدار من القبول عند الله (فأولئك الذين خسروا) تلك الأعمال وإن كان لها مقدار في
أنفسها عنده وكان بها كمال أنفسهم فكأنهم خسروا (أنفسهم) إذ حبطت (بما كانوا
بآياتنا يظلمون) كأنها أخذت بالمظالم (و) كيف لا تتبعون ما أنزل إليكم مما يثقل
موازينكم فإنا (لقد مكناكم) من التصرفات (في الأرض) نيابة عنا لتطيعونا بمتابعة ما أنزل
إليكم (وجعلنا لكم فيها معايش) لتشكروها بصرفها إلى ما خلقت له لتحصلوا معايش
السعادات الأبدية بمتابعة ما أنزلنا إليكم وبترك متابعة من دونه لكنكم (قليلا) من الشكر
(ما تشكرون و) كيف تتبعون من دونه وهو بالتابعية أولى وكيف تتخذون من دونه أولياء
تسجدون له وهو بل من هو أعلى منه بالساجدية أولى من المسجودية لأنه (لقد خلقناكم)
مثل ما خلقناهم (ثم صورناكم) بالصور الجامعة لأسرار الحق والخلق دونهم (ثم) خصصناكم
بروح كامل من أجله (قلنا للملائكة) الذين هم أعلى من معبوديكم (اسجدوا لآدم)
فعرفوا رتبته (فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) إذ رأى لنفسه رتبة المسجودية
(قال) يا إبليس ليست لك تلك الرتبة (ما منعك) من السجود لآدم فاخترت (ألا تسجد)
ترجيحا لنفسه على أمري (إذ أمرتك قال) منعني علو رتبتي إذ (أنا خير منه) لأن عنصري
أعلى من عنصره إذ (خلقتني من نار) مركزها إلى فلك القمر فوق الهواء والماء والتراب
(وخلقته من طين) ممزوج من تراب وماء ومركزهما دون مركز النار (قال) اعتبرت
العنصر دون الروح (فاهبط منها) أي من رتبة الملكية إلى رتبة العناصر (فما يكون لك
أن تتكبر) بفضل العنصر الأدنى (فيها) أي في رتبة الملكية التي دون رتبة الإنسانية
(فاخرج) منها أي من تلك الملكية التي كنت لحقتها (إنك من الصاغرين) من أهل العناصر
الذين لا كمال روحاني لهم (قال أنظرني إلى يوم يبعثون) فلا تغني لأغرهم بأن يتخذوني
وذريتي أولياء من دونك (قال إنك من المنظرين) لتزداد إثما فيتزايد به عذابا (قال) إذ أنظرتني

(قوله عز وجل خرجا) ويقرأ خراجا أتاوة
بعضها على بعض
وغلة والخرج أخص من
الخراج يقال أد خرج
رأسك وخراج مدينتك
وقوله عز وجل أم تسألهم
خرجا فخراج ربك معناه
أم تسألهم أجرا على
ما جئت به فأجر ربك وثوابه
خير (وقوله عز وجل ذلولا) أي نجعل لك خرجا
(قوله الخبيثات للخبيثين)
أي الخبيثات من الكلام
للخبيثين من الناس وكذلك

فبما

لذلك (فبما أغويتنى) أى لتحقق اغوائك اياى من أجلهم (لأقعدن) مترصدا (لهم صراطك المستقيم) الذى شرعت لهم ليسلكوه فيصلوا الى المراتب العالية من التحلى والصعود والاستنارة والتعزز وغير ذلك مما خلقتهم من أجله فأفسد عليهم الاعتقادات والاخلاق (ثم لآتينهم) لافساد أعمالهم (من بين أيديهم) لانكار الجزاء (ومن خلفهم) للتشويق الى الدنيا (وعن أيمانهم) بمنع الاعمال الصالحة التى يحتاج فيها الى قوة الروح على النفس (وعن شمائلهم) للحث على الاعمال الصالحة بتضعيف الروح (و) بالجملة (لا تجد أكثرهم شاكرين) صارفين نعمتك الى ما خلقتها من أجله (قال اخرج منها) أى من الرتبة التى أخرجتك منها (مذؤما) بذم اضلال الخلائق مع ذم ضلالك (مدحورا) مطرودا من الجهتين (لمن تبعك منهم) لجعله من اتباعك فى الذم والطرد (لأملأن جهنم منكم أجمعين) يلعن بعضكم بعضا ثم أشار الى أن أقل ما فى متابعة ابليس من غير اتخاذه وليا الخروج من الجنة وان دخلها بلا عمل (و) ذلك أن الله تعالى قال (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) المشتملة على المراتب العالية من التحلى والصعود والاستنارة والتعزز بامعادتها وبين المراتب الحيوانية (فكلا) بلا ازعاج (من حيث) أى من كل مكان (شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) الدنية من بين الاشجار القائمة للعصر فضلا عن أن يتقربا شئ منها فضلا عن الاكل (فتكونا) بمجرد قربانها (من الظالمين) المضيعين لما حصل من تلك المراتب المستحقين للهتك والعذاب (فوسوس) مخيلا للنفع (لهما الشيطان) ليتركا حرمة الله فيهتك حرمتهما (ليبدى) أى يظهر (لهما ما ورى) أى ستر (عنهما) ولم ير أحدهما من الآخر (من سوآتهما) أى عوراتهما (وقال) فى تخييله النفع لهما كما يخيل لكم الآن فى عبادته من التقرب الى الله والشفاعة عنده (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) البعيدة عن المراتب كالانتهاء عن الاساءة (الا) كراهة (أن تكونا ملكين) لاشتغالهما عنه بطعام وقد أراد شغلكما به ابعادا لكما منه (أو) كراهة أن (تكونا من الخالدين) فى الجنة وقد أراد اخراجكما عنها (وقاسمهما) ربما يبعدهما (انى لكما لمن الناصحين) فى هذا الامر وان كنت عدوا كما فى سائر الامور (فدلاهما) أى نزلهما عن عقلهما (بغرور) أى بما غرهما من القسم اذ ظنا أن أحدا لا يقسم بالله كاذبا (فلما ذاقا الشجرة) أى وجدا طعمها (بدت) أى ظهرت قبل الفراغ من الاكل (لهما سوآتهما وطفقا) أى أخذا (يخصفان) أى يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ورقا فوق ورق (وناداهما ربهما) توبيخا (ألم أنهكما عن) قربان (تلكما الشجرة) البعيدة عن توهم النفع (و) ألم (أقل لكما ان الشيطان لكما) فى كل شئ (عدو مبين) وان اظهر لكما النصح وقاسمكما عليه فلم تتبعا قولى واتبعتماه (قالا ربنا ظلمنا) أى أضررنا (أنفسنا) بمتابعته وترك متابعتك (وان لم تغفر لنا) بمحو هذه المعصية (وترحمنا) بالعود الى اللطف (لنكونن من الخاسرين) لخسر بجميع ما حصل لنا من الكمالات (قال) انكم

الطيبات من الكلام
الطيبين من الناس (قوله
عز وجل خلق الاولين)
أى اختلاقهم وكذبهم
وقرئت خلق الاولين أى
عادتهم (قوله الخبء) المستتر
ويقال خبء السموات
المطر وخبء الارض
النبات (قوله عز وجل
ختار) غدار والختر أقبح
الغدر (قوله خاتم النبيين)
آخر النبيين (قوله عز
وجل خر) أى سقط على
وجهه (قوله عز وجل

وان غفر لكم ورحمتم فلابد من أثر لمعصيتكم وأقله الهبوط (اهبطوا) منها أى من المراتب
العالية والعداوة لاتباعكم قول العدو (بعضكم لبعض عدو) بعد ذلك الاثر مدة لبية أن
(لكم فى الارض مستقر) ينسيكم تلك المراتب العالية لشغلكم بالامور الحيوانية اذ لكم
(متاع الى حين) وكأنهم حينئذ قالوا هل نصل بعد تلك المدة الى الجنة (قال فيها تحيون) مدة
(وفيها تموتون) فتلبثون فى القبر مدة أطول من الاولى (ومنها تخرجون) فتبقون فى مقامات
القيامة مدة ثم منكم من يصل الى الجنة ومنكم من يهبط الى أسفل سافلين ثم أشار الى أنه
كما كان للمعصية ذلك الاثر فللتوبة أيضا أثر وأقله ستر العورة بعد ابدائها ثم قال (يا بنى آدم)
أى يا أولاد من هتكت حرمته بابداء عورته (قد) رحمنا كم بتوبة اذ (أنزلنا عليكم لباسا
يوارى سوآتكم) أى يستر عوراتكم (و) زدنا عليه (ريشا) أى لباسا يكون زينة لهن
ساتر الظاهر وزينته (ولباس التقوى) ساتر عيوب الباطن وزينته (ذلك خير) لان الظاهر
محل نظر الخلق والباطن محل نظر الحق والعيوب الباطنة أفحش من العورات الظاهرة
(ذلك) أى لباس التقوى (من آيات الله) أى دلائل مشاهدة الله (لعلهم يذكرون)
بهذه المشاهدة مشاهدة الآخرة (يا بنى آدم) الذى فتنه الشيطان بهتك لباس التقوى
(لا يفتننكم الشيطان) بهتك لباس التقوى فيخرجكم من نظر الله الرحمة الكريم (كما أخرج
أبويكم من الجنة ينزع عنهما) بنزع لباس التقوى (لباسهما) الظاهر (ليريهما سوآتهما)
الظاهرة الدالة على السوأة الباطنة وقد سهل عليه الفتنة وعسر عليكم التحفظ (انه يراكم
هو وقبيله من حيث) أى من مكان (لا ترونهم) فيه وانما يتحفظ عنه بقوة الايمان المانع من
اتباع ولى من دون الله (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) وهم من يزعم أنهم يصلون
لهم التجلى والصعود والاستنارة والتعزز (و) يسترون عنهم القبائح باعذار كاذبة مثل لهم
(اذا فعلوا) فعلة (فاحشة) أى متناهية فى القبح ككشف العورة فى الطواف وعبادة
الاصنام (قالوا) فى الاعتذار (وجدنا عليها آباءنا و) هم لغاية كما لهم لا يصدر عنهم فعل
شنيع الا بأمر الله اذ (الله أمرنا بها قل) تحسنون الظن بآبائكم وتسيئون بالله (ان الله
لا يأمر بالفحشاء) وان كان قد يأمر بما لا يدرك العقلاء حسنه (أتقولون) من حسن ظنكم
بآبائكم (على الله ما لا تعلمون) من نسبة القبائح اليه (قل) كيف يأمر بالفحشاء مع انه
لا يأمر بما فيه افراط أو تفريط انما (أمر ربى بالقسط) أى العدل الاوسط (و) منه الامر
بالتوجه الى القبلة فان ترك التوجه اليها تفريط فى العبادة ولا يتم معه توجه الباطن الى
الحق وعبادة القبلة افراط كعبادة الاصنام فقال (أقيموا وجوهكم) الى القبلة (عند كل
مسجد) أى معبد (و) لا تدعوا القبلة دعاءهم للاصنام بل (ادعوه مخلصين له الدين) عن
مشاركة القبلة وغيرها لانه استحق عبادتكم بابدائه اياكم ولا يسعكم تركها اذ اليه عودكم
فانه (كما بدأكم تعودون) وليس العود اليه كالا بكل حال بل (فريقا هدى) فيكون عودهم
عود الطالب الى المطلوب (وفريقا حق عليهم الضلالة) فيكون عودهم عود الهارب الى

شطط) قال أبو عبيدة الشطط
ذى شوك وقال
كل شجر ذى شوك الاراك
غير الخمط شجر الاراك
وأكله ثمره (قوله سامدون)
أى مبتون (قوله تعالى
خطف الخطفة) الخطف
أخذ الشئ بسرعة
واستلاب (قوله عز وجل
قوله) أى اعطاء (قوله عز
وجل الخراصون) أى
الكذابون والخرص الكذب
والخرص أيضا الظن
والحزر (قوله تعالى
خيرات حسان)

المهرب

المهروب عنه وقد تحقق هرب هؤلاء (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و) ان كانوا (يحسبون أنهم) بذلك (مهتدون) يتوصلون بهم الى الله ويستشفعون اليه ولا يعارن ان ذلك لا ينافى من أعداء الله أصلا وبما حسبوا فيه انهم مهتدون بمتابعة الشيطان تركهم التزين والتلذذ مع العبادة فطافوا عراة وتركهم اللحم والدسم مع الاحرام فقال عز وجل (يا بنى آدم) الذين خلق لهم الزينة واللذائذ (خذوا زينتكم) من اللباس (عند كل مسجد) أى صلاة وطواف فان من أفحش الفواحش ترك هذا التزين سيما فى العبادة وهى أولى أوقات التزين (وكلوا واشربوا) أيام الحج تقويا على العبادة (ولا تسرفوا) اسرافا يوجب الانهماك فى الشهوات ويشغل عن العبادة (انه لا يحب المسرفين) لذلك فان زعموا ان التزين والتلذذ ينافيان التذلل الذى هو العبادة فيحرمان معها (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) الذين خلقهم لعبادته فقد أخرجها لهم ليتزينوا بها حال العبادة فعل عبيد الملوك اذا حضروا خدمته ولا ينافى ذلك تذللهم له (والطيبات من الرزق) التى خلقها لتطييب قلوب عباده ليشكروه والشكر عبادة فلا ينافى التلذذ العبادة بل يكون داعية اليها فان زعموا ان التزين والتلذذ من طيب الحياة الدنيا ولا يتطيب بها المؤمنون (قل هى) مخلوقة (للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) ليعلموا بها لذات الآخرة فيرغبوا فيها من بدرغبة لكن شاركهم الكفرة فيها لئلا يكون هذا الفرق ملجئا لهم الى الايمان فاذا ذهب هذا المعنى تصير (خالصة) لهم (يوم القيامة) فلو حرمت على المؤمنين لكانت مخلوقة للكافرين وهو خلاف مقتضى الحكمة وان خلقت للمؤمنين فأولى أوقات الانتفاع بها وقت جريانهم على مقتضى الايمان وهو العبادة والتقوى لكن من غير انهماك فى الشهوات (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) الحكمة فى خلق الاشياء واستعمال الاشياء على نهج ينفع ولا يضر فان زعموا أنه يخاف من التزين والتلذذ الوقوع فى الكبر والانهماك فى الشهوات فيحرمان على أهل العبادة (قل) انهما من المنافع الخالصة فى أنفسهما والافضاء احتمال غير محقق فاذا أفضى فالحرام هو المفضى اليه بالذات لانه (انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها) كالكبر والانهماك فى الشهوات (وما بطن) كالاسراف المفضى اليهما غالبا لاما لا يفضى غالبا (و) لكن اذا أفضى حرم لانه حرم (الاثم) كالانهماك فى الشهوات (والبغى) كالكبر الضار للخلق فان كل ما يضرهم حرام اذا كان (بغير الحق) وأما اذا كان بالحق فانه وان كان ضارا فى الظاهر فهو نافع فى الحقيقة فلا يحرم وتحريم ما لم يحرم الله اشراك (و) قد حرم (أن تشركوا بالله ما لم ينزل به) عليكم (سلطانا) مع ان الامور الاعتقادية لا يصح الاعتقاد بها الا ببرهان قاطع والخوارق لا تدل على الالهية فضلا عن أن تكون براهين هذا اذا كان باستقلال والا فهو افتراء على الله (و) قد حرم عليكم (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون و) لا يدل وقوع هذه الامور من بعض الامم مع تأخير اهلاكهم على جوازها اذ الاهلاك انما يكون بعد تحقق الجرم وهو بالامهال مدة يمكن فيها التأمل والاعتذار لذلك كان (لكل أمة أجل

(قوله تعالى خافضة رافعة) تخفض قوما الى النار وترفع آخرين الى الجنة (قوله عز وجل خصاصة) أى حاجة وفقر وأصل الخصاص الخلال والفرج ومنه خصاص الاصابع وهو الفرج التى بينها (قوله عز وجل) ريح صرصر أى شديدة الصوت ومنه صرير الباب (قوله عز وجل خاشعا وهو حسير) مبعدا وهو كليل (قوله تعالى خسف القمر) وكسف

فاذا جاء أجلهم) ولم يتأملوا فيها ولم يعتذروا (لايستأخرون ساعة) للتأمل والاعتذار (ولا يستقدمون) باستعجال العذاب استهزاء فان زعموا أن العقلاء يحترزون المخوفات وان بعد احتمالها قيل لهم نزول ذلك الاحتمال بالرسل (يابنى آدم) الذى جعله الله رسولا لا يبعد أن يجعل فى أولاده الرسل (اما يأتينكم رسل) أى ان تحقق اتيان رسل (منكم) تعرفون صدقهم وديانتهم (يقصون عليكم آياتى) أى يتبعون بعضها ببعض بما يقرر ما يخاف منه وما لا يخاف وما يصلح فيزيل الخوف وما لا يصلح (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم) من الاحتمالات (ولا هم يحزنون) من مخالفة من يعتقد فيه كمال العقل (و) كيف يدعون الاحتراز عن الاحتمالات البعيدة ولا يبالون بأشد المخوفات من الكفر والتكذيب والاستكبار اذ (الذين) كفروا مع دلالة الآيات على أشد المخوفات لكنهم (كذبوا بآياتنا) لم يكن ذلك لرد ويتم النقص فيها بل لانهم (استكبروا عنها) فزعموا أن الآيات شبهات وما هم عليه صريح العقل (أولئك) البعداء عن مقتضى صريح العقل (أصحاب النار) ولا يخرجهم عقلهم منها بل (هم فيها خالدون) كيف وهم أظلم الناس فى التحليل والتحريم لانهم ان نسبوهما الى الله من غير سماع منه ولا من واحد من رسله أو ممن سمع منهم كانوا مفترين على الله وان نسبوهما الى عقولهم كانوا مرجحين لها على آيات الله مكذبين بالآيات من أجلها (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك) المبالغون بزعمهم فى الاحتراز عن الاحتمالات البعيدة (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب عليهم من القبائح التى لا احتمال لزوال الخوف عنها كعبادة غير الله على ظن انهم شفعاء مما توهموا من المخوفات البعيدة الاحتمالات ويستمرون عليها (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أى الملائكة لقبض أرواحهم (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) ليكونوا لكم شفعاء مما احتمل عقولكم فلا نراهم يخلصونكم مما تحقق عليكم من هذه الشدائد (قالوا ضلوا عنا) فلم يخلصونا من شئ من الموهوم ولا من المحقق (و) اعترفوا أن ذلك كان عين الخوف حتى انهم (شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) فلم يقدهم الاعتراف بالكفر بل (قال) أى الله لهم (ادخلوا فى) جملة (أمم قد خلت) أى مضت قائلة بهذه الاقوال (من قبلكم) تبعة وهم (من الجن والانس) فاتبعوهم (فى النار) من غير أن يفيدوكم شيأ بل (كلما دخلت أمة لعنت أختها) التى كانت على ملتها (حتى اذا اداركوا) أى تلاحقوا (فيها جميعا) أى مجتمعين على العداوة بعد الصداقة (قالت أخراهم) أى الاتباع زعما (لاولاهم ربنا هؤلاء) الذين (أضلونا) فشكلهم بهذه الكلمات تبلنا (فآتهم عذابا) لاضلالهم ايانا (ضعفا) يضم عذاب ضلالهم اليه فاجعل لهم نصيبا (من النار) حتى نتخلص (قال) تعالى بل (لكل ضعف) للاولى بالضلال والاضلال وللاخرى بالضلال وتقليد أهل الضلال مع وجود الهادين بالبراهين القاطعة (ولكن لا تعلمون) ما يستحقه كل فرقة (وقالت أولاهم) ردا (لاخراهم) التخلص انما يكون بالفضل فاذا ضللتم وقلدتم الضالين (فما

سواء أى ذهب ضوءه (قوله عز وجل خاب من دساها) أى فاته الظفر ودساها أخفاها بالكفر والمعاصى

(باب الخاء المضمومة)

(قوله عز وجل خطوات الشيطان) أى آثاره (قوله عز وجل خلة) أى مودة وصداقة متناهية فى الاخلاص (خوار) صوت البقر (قوله عز وجل خمرهن) جمع خمار وهى

كان لكم علينا من فضل) ولم نلجئكم الى اتباعنا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من القبائح القاهرة للمتمثلات البعيدة المرفوعة على ألسنة الرسل وكيف تتخلصون من النار وهي محيطة بعالم العناصر فلا يتخلص منها الا بفتح أبواب السماء بل بدخول الجنة التي فوق الكرسي الذي فوق السموات اذ بهم أثرها السموات وليس شيء منها لهؤلاء (ان الذين كذبوا بآياتنا) التي هي طرق الجنة (واستكبروا عنها) وهو موجب للرد الى أسفل سافلين (لا تفتح لهم أبواب السماء و) ان فتحت (لا يدخلون الجنة) لان تكذيبهم ان لم يسد عليهم طرقها فلا أقل من التضييق فلا يدخلونها (حتى يلج) أي يدخل (الجمل) الذي هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في الضيق (في سم) أي ثقبة ابرة هي مدخل (الخياط) ما يخاط به (و) لا يختص هذا أي عدم الفتح والدخول بالمكذبين المستكبرين بل (كذلك نجزي المجرمين) بالكفر كالمشرك والجاحد وان لم يبلغهم الرسالة فلم يكذبوا ولم يستكبروا ولا يقتصر في حقهم على ذلك بل تحيط بهم النار حتى يكون (لهم من جهنم مهاد) أي فراش من تحتهم (ومن فوقهم غواش) أي أغطية اذ احاطت بهم الخطيئة (و) لا يختص بالاظلين بل (كذلك نجزي الظالمين) بالكفر بعد بلوغ الرسالة اليهم ثم أشار الى أن فتح أبواب السماء وتوسيع أبواب الجنة لا يتوقف على أعمال شاقة حتى يكون لتاركها نوع من العذر فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وليس المراد الاحاطة التي تعجز عنها الطاقة غالبا اذ (لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك) وان بعدوا الآن عن الجنة وحالت بينهما السموات (أصحاب الجنة) وايمانهم وأعمالهم وان كانت مدة يسيرة لكن (هم فيها خالدون) فلا يكون بقدر مدة الاكتساب ولا بقدر الاعمال (و) لا يكون بينهم ما يكون بين أهل النار من العداوة بل قد (نزعنا ما في صدورهم من غل) وان كان بعضهم أدنى من بعض اذ لا يرون دنوهم حيث (تجري من تحتهم الانهار و) يشكرون كمالهم حتى (قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي لاسباب هذا العلو بارسال الرسل والتوفيق للعمل (و) كيف يعلون على الغير لو رأوا دنو أنفسهم لانهم يرون قصورها حيث يقولون (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ويرون من غاية قصورها انهم لم يقدروا على استفاضة كمالاتهم من الله بلا واسطة الرسل فقالوا (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاستفاضوا منه الكمالات فأفاضوها علينا (و) لما رأوا دنو أنفسهم وأعمالهم (نودوا) من جهة الله (أن) أي ان الشأن (تلكم الجنة) العظيمة (أورثتموها) من الذين عملوا لها الاعمال الشاقة فاستكبروا بها حتى أنكروا على الرسل الذين جاؤا بالحنيفية السمحة (بما كنتم تعملون) من الاعمال التي استحقرتموها فكان تذللكم أكثر من تذللهم مع انقيادكم لآياته ورسله فرفعكم الله اليها. ثم أشار الى أن أهل الجنة وان نزع عنهم الغل يفعلون مع أهل النار فعل أهل الغل من زيادة التحسير فقال (ونادى أصحاب الجنة) الوارثون لها من أهل النار (أصحاب النار) الذين ورثوها من أهل الجنة (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من المراتب العالية على الايمان وان قصرت أعمالنا لعدم استكبارنا (حقا فهل وجدتم ما وعد

القمعة سميت بذلك لان الرأس يخمرها أي يغطيها وكل شيء غطيته فقد خمرته والخمر ما واراك من شجر (قوله عز وجل خلطا) (قوله عز وجل) أي شركا (قوله عز وجل الخلود) بقاء دائم لا آخر له (قوله عز وجل خشب) جمع خشب (الخنس الجوار الكنس) خمسة النجوم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد سميت بذلك لانها تخنس في مجراها

ربكم) من تنزيلكم الى أسفل سافلين لاستكباركم على الآيات والرسل وان كانت أعمالكم شاقة ومن اعلامن لم يستكبر الدرجات التي توقعتم لانفسكم على أعمالكم الشاقة (حقا قالوا نعم) وان كان فيهم شماتة لكم خافوا من الانكار زيادة النكال (فأذن) أى نادى (مؤذن) هو اسرافيل (بينهم) ليسمعهم زيادة فى شماتة احد الفريقين وندامة الآخر (أن) عذاب الله يزداد لاستمرار ابعاده اياكم عن رحمته اذ (لعنة الله) أى ابعاده عن رحمته مستقرة (على الظالمين) بابطال حكمته فى خلق العقلاء لمعرفته وعمارة الدارين بحيث لا يحجبهم شئ عن شئ وهم أبعدوا أنفسهم وغيرهم عن ذلك اذ هم (الذين يصدون) أنفسهم وغيرهم (عن سبيل الله) الذى بينه على ألسنة رسله لمعرفته وعمارة الدارين فاستكبروا عليهم وزعموا أن عمارة الدارين حجاب عن الله (ويبغونها عوجا) بتغيير الاعتقادات والاحكام الحكمية لهم ودون ابعادا أيضا (و) قد ازدادوا ابعادا بانكار المنتهى اذ (هم بالآخرة كافرون) وانما يزهدون بالتلذذ الصرف فيه وتحصيل الخوارق والانتفاع به عند التناسخ الذى يتوهمونه ثم أشار الى أنه (و) ان سمع كل فريق كلام الآخر من مكانه فلا يصل شئ من آثار أحد المكانين الى الآخر اذ (بينهما حجاب) هو السور المضروب بينهما (و) لم يصل أثر النار الى أهل الجنة قبل دخولها وان كانوا أصحاب الحجاب اذ (على الاعراف) وهو المكان المرتفع (رجال) كمل يفيضون على كل واحد ما يستحقه اذ (يعرفون كلا بسيماهم) أى بعلاماتهم الدالة على قدر ما يستحقونه (و) تأثيرهم بالقول لذلك (نادوا) من بعيد (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) ليسلموا عن الخوف قبل دخولها اذ (لم يدخلوها وهم يطمعون) فى دخولها اذ لم يسلبوا الانوار (و) لكن لا يخلون عن خوف سيما (اذا صرفت أبصارهم تلقاء) أى جهة (أصحاب النار قالوا) من شدة خوفهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) هذا ما يقولون لاهل الجنة (و) أما قولهم لاهل النار فهو انه (نادى أصحاب الاعراف رجالا) من كبار أهل النار (يعرفونهم بسيماهم) التى تدل على أعيانهم وان تغيرت صورهم (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) للاموال التى تدفع بها الآفات (وما كنتم تستكبرون) من الاتباع الذين يستعان بهم فى دفعها (أهؤلاء) الضعفاء من المؤمنين (الذين أقسمتم) انهم كانوا لا ينالهم الله برحمته فى الدنيا بتكثير الاموال والاتباع (لا ينالهم الله برحمة) برفع درجاتهم فى الآخرة فقد قيل لهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) خوف من أعطى الاموال والاتباع وحزنه فى الدنيا (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) بعدما أقسموا أنهم لا ينالهم الله برحمة متذللين لهم بعد التكبر عليهم (أن أفيضوا علينا) شيأ (من الماء) الذى رحمكم الله به ليسكن حرارة النار والعطش (أو) شيأ (مما رزقكم الله) من الاطعمة والفواكه (قالوا) ان أفضتم ما لا تنفعكم (ان الله حرمهما على الكافرين) لانه أنعم عليهم فى الدنيا فلم يشكروا ومنعهم نعمه فى الآخرة وذلك لانه انما أنعم عليهم ليتدينوا بدينه فى الاعتقادات والاعمال وهم (الذين اتخذوا دينهم) فى الاعتقادات (لهوا) أى اشتغالا بغير الله (ولعبا) بتصوير الاصنام بصور أسمائه أو

أى ترجع نكس أى تستتر كانكدس الظباء فى كنسها

• (باب الثاء المكسورة) •

(قوله خطبة) أى تزويج (قوله خلاف) مخالفة عز وجل أو تقطع قال الله عز وجل أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أى يده اليمنى ورجله اليسرى بخالف بين قطعهما (قوله عز وجل فرح المخلفون

ملائكته أو أوليائه (و) مع ذلك لم يعملوا للآخرة اذ (غرتهم الحيوة الدنيا) فاذا لم يعملوا للآخرة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم ترك المنسى فلا نرحمهم بما ترحم به من عمل للآخرة الكاشفة عن الاعتقادات والاعمال والامور الاخروية (كما نسوا لقاء يومهم هذا و) لا نقتصر عليه بل نجزيهم (ما كانوا بآياتنا) الدالة بالتحقيق على التنعيم والتعذيب الابديين (يجحدون و) لم يكن جحودهم لاشكال بقى عليهم بل والله (لقد جئناهم) من مقام عظمتنا (بكتاب) عظيم (فصلناه) بينا فيه الاعتقادات والاحكام والامور الاخروية تفصيلا مبينا (على علم) بقيق لكونه (هدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) تشير الى الامور الكشفية وهو نافع (لقوم يؤمنون) يفيدهم ما لا يتناهى من الفوائد (هل ينظرون) بعد هذا الكتاب (الا تأويله) أى ما يؤول اليه أمره اظهور ما نطق به لكن لا يفيدهم ذلك الانتظار اليه لانه (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه) أى تركوه ترك المنسى (من قبل) حين كان ينفعهم التذكر علما الآن انه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى بما هو واقع من الاعتقادات والوعد والوعيد (فهل لنا من شفعاء) أن يكونوا (فيشفعوا لنا أو) هل (نرد) الى مكان العمل (فنعمل غير الذى كنا نعمل) من الطرد واللهو واللعب وأعمال الدنيا قال عز وجل كيف يردون اليها وقد خسروها بحيث لا ترجع اليهم فكأنهم (قد خسروا أنفسهم و) من أين يكون لهم وقد (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من أن معبوديهم شفعاؤهم عند الله فان زعموا انا لا ننتظر تأويله بل نراه محالا واقامة الادلة عليه كاقامتها على خلاف الضروريات اذ كثرت الادوار السابقة ولم نسمع تحقق تأويل الكتاب فيما مضى من الادوار فان صح فيما يستقبل فيبعد قلب الشقى سعيدا وبالعكس فان حصل فكيف تدوم السعادة والشقاوة مع تبدل الادوار قيل لهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) فلا يبعد عليه ابطال هذه الادوار وخلق دور بعد انتهائها اذ ليست قديمة ولا مخلوقة فى يوم واحد بل (فى ستة أيام) لترتب ما فيها ما خلق الافلاك ثم الكواكب ثم العناصر ثم المعادن ثم النباتات ثم الحيوانات (ثم استوى على العرش) ليفيض عليها بواسطة الحركة اليومية وبهذه الحركة (يغشى الليل النهار) أى يجعل الليل ساترا النهار فلا يبعد منه جعل السعيد شقيا وبهذه الحركة (يطلبه) أى النهار بعد الليل (حثيثا) أى سريعا اذ الحركة الخاصة بطيئة فلا يبعد منه جعل الشقى سعيدا (و) لا يبعد عليه ادامة السعادة والشقاوة لانه خلق (الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) لا تأثير لها بانفسها فله أن يبطل ما أعطاها (ألا له الخلق والامر) فهو الذى خلقها وأمرها بالتأثير ولا يمتنع عليه شئ بواسطة تعويق من خلقه وأمره لانه (تبارك الله) أى تعاظم لانه (رب العالمين) وامتناع شئ عليه ينافى تلك العظمة والربوبية وكيف يترك الاسعاد والاشقاء الابديين وقد خلق ما خلق ليستدل به عليه فيعبد لكنه انما يعبد اذا علم انه يسعد العابد أبدا ويشقى التارك أبدا (ادعوا ربكم) اذ العبودية تقتضى التذلل فليكن دعاؤكم (تضرعا) أى تذللا (و) التذلل انما يتم بالاخلاص فليكن (خفية) لانه أقرب الى

بقعدهم خلاف رسول الله) أى بعد رسول الله وكذلك قوله واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا أى بعدك (قوله تعالى تترى) أى هوان وتترى هلاك أيضا (قوله عز وجل خيفة) أى خوف (قوله عز وجل خلال الديار) أى بين الديار وخلال مخالة أيضا أى مصادقة كقوله لا بيع فيه ولا خلال وخلال الثياب وخلله واحد

الاخلاص وكيف تتركون دعاءه وهو تجاوز عن العبودية (انه لا يحب المعتدين) ثم نزل
دعاءه من قلة مبالاته به (و) هو يستلزم الافساد في الارض (لا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها) على ألسنة الرسل (و) اذا عبدتم فلا تعجبوا فانه ينافي التذلل المطلوب فتهاملوا
خائفين التقصير (ادعوه خوفا و) لا تتركوا من الخوف عبادته بل ادعوه (طمعا) في تكميلها
بفضله ولا ييأسوا منه ان كنتم محسنين تعبدونه كأنكم ترونه (ان رحمت الله قريب من
المحسنين و) كيف لا تقرب رحمته منهم والاحسان منشأ رياح المحبة التي اذا انتشرت فعمت
أجزاء المحب حملت أوصاف المحبوب كأنها السحب الثقال بمياه الفيوض فساقتها الى من
في المحبة كأنه البلد الميت فأنزلت به الفيوض فأخرجت بها ثمرات العلوم والاحوال
والمقامات فتقرب رحمته من المحسن كقطره واخراج الثمرات من البلد الميت مع انه لا نعلمه
أصلا من الاحسان وانشاء الرياح اذ (هو الذي يرسل الرياح بشرا) بعم الجواب (بين يدي
رحمته) أي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه
(حتى اذا أقلت) أي حملت (سحابا) ثقالا بالماء (سقناه) مع أن طبعه الهبوط (لبلد ميت)
قابل للحياة (فأنزلنا به الماء) لنصيبه بالنبات (فأخرجنا به من كل) أنواع (الثمرات) وكما أعدنا
الثمرة الى حالها بعد تلفها بالكلية (كذلك نخرج الموتى) فلا يبعد منا احياء من مات بافناء
فينا أن نخصه بالبقاء بنا (لعلكم تذكرون) من أحوال الثمرات أحوال الآخرة من
أحوال الحياة بالشمس العبادة على نهج الاحسان (و) لا يلزم اطراد ذلك في حق كل عابد لانهم
مختلفون اختلاف الاراضي المنبتة اذ (البلد الطيب) تربته (يخرج نباته) غزير النفع
لا بذاته بل (باذن ربه) أي بتيسيره (والذي خبث) كالحرة والسبخة (لا يخرج) نباته (الا
نكدا) عديم النفع (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) المواهب بعد مكاسبهم فلا
ينسبونها اليها بل الى فضل الله عليهم (لقد أرسلنا) ارسال الرياح لامطار الشرائع لاحياء
موتى القلوب واخراج النبات الطيب حسنا والخبيث نكدا (نوحا) هو ابن لمك بن متوشلخ
ابن اخنوخ هو ادريس عليهما السلام (الى قومه) الذين له عليهم شفقة (فقال يا قوم) الذين
حقهم أن ينادوا كرني في كمالاتي (اعبدوا الله) لتكملوا بكمالاته التي يفيضها عليكم هولا
غيره فانه (ما لكم من الٰه غيره) الى أن قال عليكم ان تركتم عبادته أو عبدتم غيره (عذاب يوم
عظيم) وصف بالعظمة لعظمة عذابه السالب للكمالات (قال الملأ) أي الاشراف (من قومه)
من خبثهم الذي أمده شرفهم (انا لنراك) بأمرك بعبادة الله وترك عبادة غيره وتخويف
العذاب على ترك عبادة الله وعلى عبادة غيره (في ضلال مبين) اذ تأمرنا بعبادة ما لا ندركه وترك
عبادة ما ندركه وتعدنا الكمال في عبادة من لا ندركه والنقص في عبادة من ندركه وتعدنا العذاب
العظيم الذي لم يحصل لاحد من آبائنا مع اصرارهم على مثل أفعالنا (قال يا قوم ليس بي
ضلالة) أي شئ من الضلال فان المعبود يجب أن لا يدركه العابد اذ المدرك محاط به وهو
قاصر والمعبود يجب أن يكون له الكمال المطلق والارواح التي لا ترى أكمل من الأجسام

والاعراض

الذي يخرج منه المطر
(قوله عز وجل خطأ
كبيرا) اثما عظيما يقال
خطئ وأخطأ واحد اذا
أثم وأخطأ اذا فاته الصواب
(قوله عز وجل خلفة)
أي يخلف هذا هذا كقوله
عز وجل جعل الليل والنهار
خلفة أي اذا ذهب هذا
جاء هذا كأنه يخلفه
ويقال جعل الليل والنهار
خلفة أي يخالف أحدهما
صاحبه وقتا ولونا (قوله

والاعراض المرتبة والمعبود يجب أن يكون أكمل من الارواح ولست بوعد العذاب ضالا (ولكنى رسول) والرسول لابد وأن يكون منذرا وذو عمكن لانه (من رب العالمين) ذى العلم التام والقدرة التامة وانى نبى صادق لانى (أبلغكم رسالات ربى) فلا يكون خوارق الا تصديقا لها (و) لو لم يدل خوارق على تصديق لوجب عليكم قبول قولى لما علمتم انى (أنصح لكم و) لو لم تعلموا نصحى لوجب عليكم قبوله لما علمتم انى (أعلم) من الامور الغيبية التى يعلم أنها لا تعلم الا بطريق الوحى (من الله مالا تعلمون أ) أنكرتم رسالتى (وعجبتم أن جاءكم ذكر) أى موعظة (من ربكم) أى الذى رباكم بوجوه التربية وهذا أكملها لكن لم ينزلها عليكم لئلا يلجئكم الى الايمان أو ان صوركم بل (على رجل) كامل وان كان (منكم) لا لالجائه الى الايمان اسبق ايمانه بل (لينذركم) من العذاب (و) لو لم يكن عذاب لوجب أن ينذركم النقائص (لتتقوا) أى لتنقلوا عن النقائص (و) لا يقتصر فى حقكم على التحفظ من النقائص بل (لعلكم ترحمون) بافاضة الكمالات عليكم (فكذبوه) من خبثهم ونكاستهم مع ظهور وصدق هذه الكمالات لجنابا العذاب العام من الطوفان الذى هو مثال ما أنزل الله عليهم من ماء الشرائع لما لم يشكر وجعل عذابا لهم (فأنجيناه والذين معه) ليدل على حقيتهم وان كانوا (فى الفلك) اذ لا يبقى فى مثل ذلك الطوفان الا بطريق خرق العادة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) مع ظهورها لعماهم (انهم كانوا قوما عمين) لم يستنيروا بنور الوحى الذى هو كالشمس ولا بظهور الآيات ولا بآية الطوفان المغرق لهم بعد انذاره به على تكذيبهم (و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار (الى) بنى (عاد) هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح (أخاهم) لانه أنصح لهم (هودا) هو ابن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد وقيل هو ابن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح (قال ياقوم) الذين حقهم أن يكونوا مثلى (اعبدوا الله) ليفيض عليكم الكمالات التى بها حياة قلوبكم اذ ليس لغيره ذلك فانه (مالكم من الٓه غيره) يفيض عليكم شيأ (أ) تتركون عبادته وتعبدون غيره (فلا تتقون) أن يسلبكم الكمالات ويمنعكم فيضان ما يحيى قلوبكم (قال الملأ الذين) غلب خبثهم حتى (كفروا) مع كونهم (من قومه) لا كرند بن سعد (انا لنراك) متمكنا (فى سفاهة) أى خفة عقل حيث فارقت دين كمل العقلاء (وانا) لو رأينا كمال عقلك ما اتهمناك أيضا فانا (لنظنك من الكاذبين) اذ يبعد أن يرسل الله أحدا من أهل الارض اليهم (قال ياقوم ليس بى سفاهة) أى بنى منها انكم أفارق العقلاء فى أمر الآخرة وان كانوا أعقل بأمور الدنيا ولست بسفيه بأمور الدنيا أيضا (ولكنى) كامل العقل بأمور الدارين لانى (رسول من رب العالمين) لاصلاح أمر الدارين لذلك (أبلغكم رسالات ربى) فى اصلاحهما (و) قد علمتم اصلاحى اذ (أنا لكم ناصح) أى مستمر على النصح ولا مكر فى نصحى اذ علمتم انى (أمين) أى مشهور بالامانة (أ) تظنون كذبى (وعجبتم أن جاءكم ذكر) ما يذكركم الكمالات التى أودعها الله فى فطرتكم فامكن اخراجها اخراج الثمرات والنبات ولا يبعد لكونه (من ربكم) الذى رباكم بالكمالات النبوية فلا يبعد منه

عزوجل الذين) أى الاخيار (قوله عزوجل ختامه مسك) أى آخر طعمه وعاقبته اذا شرب أى يوجد فى آخره طعم المسك ورائحته يقال للعطار اذا اشترى منه الطيب اجعل خاتمه مسكا

(باب الدال المفردة)

(قوله عزوجل دابة) كل ما يدب (قوله عزوجل كدأب آل فرعون) أى عادة آل فرعون

ادريكم الكمالات الاخروية ولم يعرض اخراجها الى رأيكم لاحتجابه بالامور الغيرية
قائلة (على رجل) كامل كشف له عنها وان كان (منكم لينذركم) بطلان ما فى نظركم
وهو يفسد عليكم أمر الدارين (واذكروا) عند انذارى بفساد أمر الدارين عذاب قوم
نوح (اذ جعلكم خلفاء) أى بدلا عنهم لكونكم (من بعد قوم نوح و) أنعم عليكم أكرم
أنعم عليهم اذ (زادكم فى الخلق بسطة) أى قامة وقوة فلو عذبكم لكان أشد مما نالهم فان
تخافوا العذاب (فاذكروا آلاء الله) لتخصصوه بالعبادة (لعلكم تفلحون) باستدامتها
واستزادتها (قالوا أجئتنا) رسولا من الله (لنعبد الله وحده) على ان الهيته كافية للمهمات
كلها (ونذر ما كان يعبد آباؤنا) لتوقعهم حصول بعض المهمات بهم فان كنت رسولا
بتخويف العذاب على ترك تخصيصه بالعبادة (فأتنا) الآن (بما تعدنا) يوم القيامة (ان
كنت من الصادقين) فى أن الله يعذب يوم القيامة من لا يخصصه بالعبادة (قال قد وقع) أى
نزل قبل القيامة (عليكم من ربكم) الذى رباكم بكفاية المهمات كلها فنسبتم بعضها الى غيره
وكذبتم من أرسل اليكم مخوفا فاستعجلتم العذاب (رجس) أى عذاب رجس أى
يضطرب بكم فلا يقركم على ما أنتم عليه من الكمال كيف (و) قد وقع عليكم منه (غضب)
لرؤيتكم نقصه فى كفاية المهمات واشراككم معه من هو فى غاية النقص فى أعلى كمالاته
التى هى الالهية (أتجادلوننى) من غاية خبثكم ونكادتكم (فى) مسميات (أسماء)
ليس فيها معانيها التى وضعت لها اللغة لكن (سميتموها أنتم وآباؤكم) بناء على توهم معانيها
فيها من غير دليل اذ (ما نزل الله بها من سلطان) أى دليل حسى ولا عقلى ولا نقلى ولا بأس
ذلك الى مدة (فانتظروا) وقوعهما عن قريب وليس ذلك مجرد تخويف بل (انى معكم
من المنتظرين) بقاء منتظرهم بحيث لا يخرج منه بمجرى العادة أحد وجعل من قبيل
الريح التى تتقدم الامطار لكفرهم برياح الارسال (فأنجيناه والذين معه) على خرق العادة
(برحمة منا) ليدل على رحمتنا عليهم فى الآخرة (و) قد دللنا على ان غضبنا عليهم لغضبه عليهم
الموجب لعذابهم فى الآخرة أنا (قطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم
وعذاب الابتلاء لا يكون بطريق الاستئصال (و) قطعنا أيضا دابر المترددين الذين
(ما كانوا مؤمنين) لان التردد مع الظهور تكذيب (و) أرسلنا ارسال الرياح المطرة
للاحياء (الى) بنى (ثمود) هو ابن عابر بن ارم بن سام (أخاهم) لاقامة باحياء أمورهم
واصلاحها (صالحا) هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود (قال
يا قوم) الذين أحب حياتهم (اعبدوا الله) الذى يفيض عليكم الحياة لاستفاضة الحياة
الابدية التى لا تحصل من غيره فانه (ما لكم من اله غيره) يفيض عليكم حياة فضلا عن
الابدية (قد جاءتكم بينة) أى دلالة (من ربكم) على افاضة الحياة اذا أقامها على
الجمادات (هذه ناقة الله لكم آية) التى خلقها لكم آية باقامة الحياة على صخرة فى الجبل

(قوله عز وجل) آل فرعون (قوله عز وجل) هم درجات عند الله) الجنة درجات أى منازل بعضها فوق بعض (قوله عز وجل) من النار) الدرك الاسفل من النار دركات أى طبقات بعضها دون بعض وقال ابن مسعود الدرك الاسفل توابيت من حديد مبهمة عليهم يعنى انها لا أبواب لها (قوله عز وجل دابر القوم) آخر القوم (قوله

فصارت

فصارت حيوانا تأكل وتشرب (فذروها تأكل) عشبا (في أرض الله) التي لا يملكها غيره فيكون لمنعها من الأكل فيها (ولا تمسوها بسوء) فضلا عن قتلها اذا تأذت منها دوابكم (فيأخذكم) بدل أذية دوابكم (عذاب أليم) في الدارين لجراءتكم على آيات الله بابطالها (واذكروا) النعمة الحياة الثانية عليكم لترجوا الحياة الاخرى بعدمه (اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) لو لم ترجوها لوجب عليكم شكره اذ (بوأكم) أى قرركم (في الارض) أى الحجر (تتخذون من سهولها) أى مما تأخذون من سهولها من اللبن والآجر (قصورا) تبنونها في السهول لتسكنوها أيام الصيف (وتنحتون) أى تشقون الارض من كونها (الجبال) لتصير (بيوتا) لتسكنوها أيام الشتاء (فاذكروا آلاء الله) لتصرفوها الى ما خلقها الله لاجله (و) أقل ما يجب فيها أن (لا تعثوا) أى لا تفسدوا افسادا عمدا (في الارض) بالاضلال حال كونكم (مفسدين) على أنفسكم أو رها بالضلال (قال الملأ) أى الاشراف لانهم (الذين استكبروا) عن الايمان بعد ظهور آية الناقة والكلمات الناصحة مع كونهم (من قومه) الذين عرفوا صدقه وأمانته من غاية خبثهم ونكادتهم (للذين استضعفوا) فلم يكن لهم استكبار يمنعهم من الانقياد (لمن آمن منهم) لا لمن كان من اتباعهم (أتعلمون) من آية الناقة ومن الكلمات الناصحة (أن صالحا مرسل) كأنه جاء (من) عند (ربه) أم آمنتم به لقاء المطاعم تحصل منه (قالوا) علمنا ذلك فصدقناه في جميع ما أوتي به (انا بما أرسل به) وان كان فيه ما لا يصل اليه عقولنا (مؤمنون) قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به) أى بجميع ما آمنتم به من رسالته ورسالة غيره وان كان فيه ما هو أوضح من الشمس (كافرون) فانكروا آية الناقة وكذبوه في اصابة العذاب عليهم بالسوء (فعقروا الناقة) أى عقر بعضهم برضا الباقين (وعتوا) أى استكبروا (عن أمر ربهم) بعبادته وحده اتيانهم بذلك كفرهم (و) زادوا الاستهزاء بصالح حتى (قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) على عقر الناقة (ان كنت من المرسلين) فان الله ينصر رسله على أعدائه (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة التي يحصل منها الزلزلة الشديدة بدل صوت الناقة عند عقرها وبدل حركتها عند نزع الروح (فأصبحوا في دارهم) اى مكانهم (جاثمين) أى ساقطين على وجوههم ميتين بدل موت الناقة وسقوطها والصيحة والزلزلة من آثار الريح المرسلة التي كانت رحمة فانقلبت عذابا (فتولى) أى فأعرض (عنهم) صالح فلم يشفع لهم (وقال) في الاعتذار (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي) المتضمنة لتخويف العذاب عنه (و) لم تتضمن الضرر لكم اذ (نصحت لكم) فأمرتكم بكل خير ونهيتكم عن كل شر (ولكن) كرهتموه لانكم (لا تحبون الناصحين) من الرسل والانبياء والعلماء الخالفين أهواءكم (و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار (لوطا) هو ابن هاران أخي ابراهيم عليه السلام هاجر معه من بابل فنزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالاردن فبعثه الله تعالى الى أهل سدوم لاحيائهم بابقائهم (اذ قال لقومه) الذين بعث اليهم ناحب

عز وجل ولا هما بقرور) يقال للكل من ألق انسانا في بلية قد دلاه بغرور (قوله عز وجل دكا) أى مدكوكا يعني مستويا مع وجه الارض ويقال ناقة دكاء وهي المفترشة السنام في ظهرها والجبوبة السنام وارض دكاء أى ملساء (قوله عز وجل ودرسوا ما فيه) أى قرؤا ما فيه (وقوله عز وجل وليقولوا درست) أى قرأت ودارست

حياتهم كأنه أخوهم (أتأتون الفاحشة) أي الفعلة المتناهية غاية القبح ما بقى لها الا (ما سبقكم بها من أحد من) الحيوانات في (العالمين) فيكون لكم وزرها ووزر من عملها بعدكم (انكم) مع كونكم عقلاء (لتأتون الرجال) الذين خلقهم الله ليأتوا النساء الا ليأتيهم الرجال (شهوة) مجردة عن الحرث (من دون النساء) أي تجاوزون مؤاتاة النساء وليس مقصودكم قضاء الشهوة لانقضائها بالنساء مع افادته النسل وان لم يقصد (بل أنتم قوم مسرفون) أي تجاوزون الحد في كل باب (وما كان جواب قومه) في مقابلة نصحه (الا أن قالوا أخرجوهم) أي لوطا والمؤمنين (من قريتكم) معللين بما يوجب تقريرهم مع توقيرهم وهو قولهم (انهم أناس يتطهرون) أي يبالغون في الطهارة فيحترزون من مواضع النجاسة فأخذوا الخبثهم ونكادتهم (فأنجيناه وأهله) لطهارتهم (الا امرأته) لم تنجها لخبثها لذلك أمرناهم بالخروج دونها حتى (كانت من الغابرين) أي الباقين في دورهم فأصابها ما أصابهم (و) هو أنا (أمطرنا عليهم مطرا) أي نوعا من المطر غير متعارف ولكفرهم بمطر الشر أثم الحى بابتاء النسل وغيره فانقلب عليهم في صورة العقاب (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) كيف ينقلب عليهم نعم الله عند كفرهم بها نقمنا (و) أرسلنا ارسال الرياح للأمطار للاحياء (الى) بنى (مدين) هو ابن ابراهيم (أخاهم) المحب كالهم دينا ودنيا (شعيبا) هو ابن نويب بن مدين أو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين أو ابن يشجرون بن نويب بن مدين لتقويم حياتهم الاخروية والدنيوية اذ (قال يا قوم) الذين أحب كمال حياة دينهم ودنياهم (اعبدوا الله) ليحييكم بحياته الابدية التي لا تحصل من غيره لانه (مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) على تلك الحياة (من ربكم) الذي ربا كم لتعبدوه فيربيكم بها وهي تختل باختلال الحياة الدنيوية التي هي مزرعتها (فأوفوا) للناس (الكيل والميزان) لتوفى لكم فوائد تلك الحياة (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) بأخذ المكس والسرقة ونقص القيمة فانها كالنقص في حياتهم المستلزم للنقص في ذواتهم فيستلزم النقص في حياتكم الاخروية المستلزمة للنقص في ذواتكم (و) كيف لا وهو افساد في المزرعة (لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) بوضع الكيل والوزن والحدود والاحكام (ذلكم) وان رأيتموه ضررا (خير لكم) في الحال لتوجه الناس اليكم والمآل (ان كنتم مؤمنين) بأن الله يكمل لمن كمل حكمته ما نقص من جهة تقييدات أخر ولا أقل من تكميل الجهة الاخروية (و) لكنه مختص بمن يسلك سبيله وأنتم لا تسلكونه بل تقعدون عنه (لا تقعدوا بكل صراط توعدون) أي تخوفون الناس من سلوكه (وتصدون) أي تمنعون السالكين (عن سبيل الله) ان يبلغوا المنتهى لانكم تمنعون (من آمن به) اذ يستقر على ايمانه كيف (و) لا تتركونها على الهابل (تبغونها) أي تطلبون تغييرها لتوقعوا فيها بالقاء الشبهات (عوجا) فهذا عنادكم مع الله (و) تعتمدون في معاندته على كثرتكم

أي قارأت أي قرأت وقرئ قرئت عليك ودرست قرئت وتعلمت ودرست أي درست هذه الاخبار التي تأتيناها أي امحت وذهبت وقد كان يتحدث بها (قوله دار السلام) عز وجل دار السلام الله يعني الجنة والسلام هو الله عز وجل وقيل دار السلام دار السلامة (دوائر) الزمان صروفه التي تأتي مرة بخير ومرة بشر يعني ما أحاط بالانسان منه

مع انه موجب للشكر (اذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) بالعدد والعدد (و) لاتنظروا الى قوتكم وكثرتكم فى الحال بل (انظروا كيف كان عاقبة المفسدين) مع كثرتهم وقوتهم (و) لاتعتقدوا انكم مصلحون بكل حال بل (ان) اى انه (كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به) ليكونوا مصلحين به (وطائفة لم يؤمنوا) زاعمين انهم الباقون على الاصلاح (فاصبروا) عن الجزم باصلاح من لايؤمن (حتى يحكم الله) فيفرق (بيننا) بنصر المحقين واهلاك المبطلين (وهو خير الحاكمين) فلاينعكس الامر (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) لاحاجة الى الصبر بل قد حكم الله اذ جعل لنا الغلبة عليكم وأعطانا القدرة على اخراجكم وتحويلكم الى الكفر (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن) الى ترك دعوى الرسالة والاقرار بها داخلين (فى ملتنا) ملة المشركين (قال أ) تجعلونا فى ملتكم (ولو كنا كارهين) لها مع انه لاعبرة فى الاكراه لان دينكم ان كان حقا لم نكن بالاكراه متدينين له وان كان باطلا لم نكن بالاكراه متصفين به لانه بالحقيقة صفة القلب ولايسرى اكراهكم اليه وكيف لانكرهه وهو يستلزم غاية القبح والظلم (قد افترينا على الله كذبا) بأن له شريكا (ان عدنا) الى ترك دعوى الرسالة والاقرار بها لندخل (فى ملتكم) القائلة بأن له شريكا (بعد اذ نجانا الله منها) فأرانا انه كالانجاء من النار (وما يكون لنا أن نعود) عن دعوى الرسالة والاقرار بها فنصير (فيها الا أن يشاء الله ربنا) الذى يربينا باعلم من استعدادنا لانه (وسع ربنا كل شئ علما) فعلم كل استعداد كل واحد فى كل وقت لكن (على الله توكلنا) ليحفظنا عن المصير اليها (ربنا) ان قصدوا اكراهنا عليه أو اخراجنا من قريتهم (افتح بيننا وبين قومنا بالحق) فغلبنا عليهم (وأنت خير الفاتحين) فلاتغلب الظالمين وان كثروا على المظلومين اذا استفتحوك (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عند يأسهم عن متابعة شعيب وقومه حتى خافوا على من بقى على الكفران بطوابه (لئن اتبعتم شعيبا) فاقل مافيه من الضرر الخسران (انكم اذا لخاسرون) بفوات زوائد الكيل والميزان فهذا القدر كاف فى الفتح لتمييز بين الظالم وغيره فأتاهم الله بالفتح المحقق (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة مع الزلزلة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى ساقطين ميتين لاينتفعون برؤس أموالهم ولا بزوائدها بل (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) استأصلناهم كأنهم لم يقيموا بها بل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) حياتهم التى بها الانتفاع بكل نافع (فتولى عنهم) أى فاعرض عن شفاعتهم والحزن عليهم (وقال) فى الاعتذار (ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت) بما يفيد (لكم) ربح الدارين ويمنعكم خسرانهما لكنكم كفرتم (فكيف آسى) أى أحزن (على قوم كافرين) فضلا عن أن أشتغل بشفاعتهم ثم أشار الى ان خسران الامم الهالكة لم يكن عن عدم التفاتهم لمجرد الاعلام القولى بل كان مع الاعلام الفعلى أيضا

(قوله عز وجل عليهم دائرة السوء) أى عليهم يدور من الدهر مايسوءهم (قوله تعالى دعواهم فيها) أى دعاؤهم أى قولهم وكلامهم والدعوى الادعاء (قوله عز وجل دأبا) جدا فى الزراعة ومتابعة أى تدأبون دأبا والدأب الملازمة للشئ والعادة (قوله عز وجل داخرون) صاغرون أذلاء (قوله عز وجل دخلا بينكم) أى دغلا وخيانة (قوله عز

فقال (وما أرسلنا فى قرية) من القرى (من نبى الا أخذنا) قبل الاهلاك الكلى (أهلها بالبأساء والضراء) أى الشدة والمرض بحيث يرى تضرعهم (لعلهم يضرعون) أى يتذللون فيتركون التكبر (ثم) لما أصروا على التكبر أنعمنا عليهم مكرا بهم حتى (بدلنا مكان السيئة) أى الشدة والمرض (الحسنة) أى السعة والسلامة (حتى عفوا) أى كثروا عددا وعددا (وقالوا) لم يكن مس البأساء والضراء تصديقا لوعد الرسل بل هو مثل ما (قد مس آباءنا) الذين لم يأتهم الرسل (الضراء والسراء) احيانا ثم زال عنهم فازدادوا كفرا بعد الاعلام القولى والفعلى (فأخذناهم بغتة) اذ لم يفدهم الاعلام القولى والفعلى وليس المراد عدم ما يفيدهم اليقين بل أخذوا (وهم لا يشعرون) به بوجه من الوجوه (و) لم تكن هذه المؤاخذة الا لخبثهم فانه (لو أن أهل القرى) طابوا اعتقادا وعملا بأن (آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم) بدل الفتح بالعذاب (بركات) نازلة (من السماء و) ناشئة من (الارض) ليخرج نباتهم طيبا باذن ربهم (ولكن) خبثوا اذ (كذبوا) فلم يخرج الا نكدا ففتحنا عليهم العذاب (فأخذناهم بما كانوا يكسبون أ) جهل أهل القرى هذه السنة الالهية فى القرى الهالكة (فأمن أهل القرى) مكة وما حولها (أن يأتيهم بأسنا بياتا) أى ليلا (وهم نائمون) أى حال كمال الغفلة التى لا يرتفع حجابها بالانتباه (أ) أمنوا من ذلك (وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) وقت غاية الظهور والانكشاف (وهم) غافلون عنه مع غاية ظهوره اذ (يلعبون أ) أمنوا ذلك كله (فأمنوا مكر الله) وهو أخذ العبد من حيث لا يحتسب (فلا يأمن مكر الله) مع كثرة ما رأى من أخذه العباد من حيث لا يحتسبون (الا القوم الخاسرون) عقولهم لقصار وانا خاسرين انسانيتهم بل أخس من بهائم (أ) أمنوا المكر (ولم يهد) أخذ الامم الماضية بذنوبهم (للذين يرثون الارض من بعد أهلها) المأخوذين (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا المورثين منهم ثم نطبع عليهم بالبيان (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) البيان مع انه واجب السماع اذ (تلك القرى نقص) مع ظهور صدقنا (عليك) أى أيها الصادق بعضا (من أنبائها) عملا على مؤاخذتهم بذنوبهم لاصرارهم عليها بعد التنبيه (و) ذلك لانهم (لقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بدعوتهم الى ما يزيلونها (فما) ازالوا أعظمها الاثم ما (كانوا ليؤمنوا) بعد مجيئهم بالدلائل القاطعة (بما كذبوا) به (من قبل) أى من قبل مجيئهم بها بل استمر عليهم الضلالات لم يؤثر فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة لما طبع الله على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر لكثافة أرضهم وخبثها (و) لذلك لو عاهدوا أن يؤمنوا عند آية مقترحة أو بلية منزلة لم يؤمنوا عندها بل (ما وجدنا لأكثرهم من عهد) فى باب الايمان ولا غيره (وان) أى وانه (وجدنا أكثرهم لفاسقين) أى خارجين عن قواعد العقل والعدل فلذلك أخذناهم وقد وجد مثل فعلهم فى هؤلاء فيخاف عليهم مثل ما جرى على أولئك (ثم) لم ينقطع مثل ارسال الرسل كارياح

المطرة

وجل دركا) لحاقا كقوله لا تخاف دركا ولا تخشى (قوله عز وجل داحضة) أى باطلة زائلة وكذلك قوله عز وجل ليدحضوا به الحق أى ليزيلوا به الحق ويذهبوا به ودحض هو أى زال ويقال مكان دحض أى مزل مزلق لا تثبت فيه قدم ولا حافر (الدهر) مر والسنين والايام (قوله عز وجل ولا [illegible] ديارا) أى أحدا

الممطرة للاحياء فان طابوا افضنا عليهم البركات والا الهلاك لذلك (ثم بعثنا من بعدهم) أى بعد اهلاك أقوام الانبياء المذكورين الذين لم يكونوا ليؤمنوا وان عهدوا به لضرورة (موسى بآياتنا) المنسوبة الى عظمتنا مما يدل على عظم فيضنا عليه (الى فرعون وملائه) الذين هم كالبلد الخبيث لا يخرج عنهم نبات الايمان وان عهدوا به مرارا (فظلموا بها) اذ جعلوا ما هو سبب الاصلاح سبب الافساد وهو السحر افساد الحقائق الحق من غاية خبثهم (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أفسد الله عليهم ملكهم وآتاه أعداءهم (وقال موسى) دفعا لافسادهم فيما ببيان كونها دلائل الصدق لظهورها على يدى الصادق (يا فرعون) أى يا ملك مصر الذى لا يقدر أحد ان يكذب عنده سيما بما يبطل دعواه (انى رسول من رب العالمين) على انى لو لم أخف أحدا (حقيق) أى جدير بما أتت من حالى الاستقرار (على أن لا أقول على الله الا الحق) وقد دلت الآيات على حقيتى لانه (قد جئتكم ببينة) أى آية شاهدة على حقيتى بحيث يعلم بالضرورة انها (من ربكم) الذى رباكم بالبينة وكيف لا يرسل عليك وقد ملكت عليه خواص عباده (فأرسل معى بنى اسرائيل قال) لانه لم يستقر لك على صدقك بعد ما غبت عنا هذه المدة المديدة لكن (ان كنت جئت بآية) تدل على صدقك (فأت بها ان كنت من الصادقين) بالقياس على ما عرفت منك (فألقى عصاه) التى هى جماد (فاذا هى) من غير مدة ومعالجة سبب (ثعبان) أى حية كبيرة فاضت عليه الحياة لتدل على فيضان الحياة العظيمة على يديه (مبين) أى ظاهر لا متخيل وكانت فى السورة عظيمة الجثة بين لحييها ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه الى فرعون فهرب وصاح يا موسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وانا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا ثم قال فرعون هل لك آية أخرى قال نعم (و) ادخل يده فى جيبه ثم (نزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء) يغلب شعاعها الشمس (للناظرين) من غير بياض فيها ليدل على انه يظهر على يديه شرائع تغلب أنوارها المعنوية الانوار الحسية ويتقوى بها الحياة بالله (قال الملأ) أى الاشراف الذين يكرهون شرف الغير عليهم سيما من جهة كونهم (من قوم فرعون) الذين على دين ملكهم فى التكبر لدفع آياته الظاهرة عن خواطر الخلائق (ان هذا لساحر عليم) ماهر بابه ولا يقتصر على دعوى الرسالة بل (يريد أن يخرجكم من أرضكم) بسحره ليملك عليها قال لهم فرعون (فماذا تأمرون) أى تشيرون اشارة لا أنا لتسكم فيها كالاختلاف المأمور والآمر المطاع (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما لئلا تنسب الى الظلم الصريح المنافى لدعوى الالهية (وأرسل فى المدائن) أى مدائن الصعيد من نواحى مصر شرطا (حاشرين) من قبلها من السحرة اليك (يأتوك بكل ساحر عليم) ماهر فى باب السحر ليجتمعوا على مغالبتهما فحشروهم (وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا) على دفع العدو من ملكك (لأجرا) مثل أجر العسكر الكبير اذا غلبوا فتحصل لهم الغنائم وتعظيمهم وراءها من عندك (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) لكم ذلك الاجر

به الا انى اطلب قتال ثمانى الدار أحد ولا دبار (دبب) أى دبب الابل التى اذا جاء خلفه وادبر أى ولى (قوله عز وجل دحاها) أى بسطها (قوله عز وجل دساها) أى دسى نفسه أى أخفاها بالفجور والمعاصى الاصل دسسها تقلبت احدى السينين ياء كما قيل تظنيت والاصل تظننت (قال أبو عمر سئل عن هذا ثعلب وأنا أسمع فقال دس نفسه

(و) تزيدون عليهم زيادة عظيمة (انكم لمن المقربين) الذين يحصل لهم ما لا يحصل لعسكر اذا عمّروا (قالوا يا موسى اما ان تلقى) أولا (واما أن نكون) بالقائنا أولا (نحن الملقين) دونك فاما اذا ألقينا صرت فلا يتأتى لك الالقاء (قال) بل (ألقوا) فانى لا أبالى لكم (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) خيلوا اليها ما ليس فى الواقع (واسترهبوهم) أى خوفوهم انه لا يمكن لموسى معارضتهم (و) ذلك لانهم (جاؤا بسحر عظيم) فوق ما يتعارف من السحرة اذا ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (وأوحينا) لدفع ذلك السحر الذى لا يمكن معارضته بسحر آخر (الى موسى) الذى قصدوا مغالبة آمرين له (أن ألق عصاك) التى أعطيت الحياة الحقيقية لابطال وجود ما خيلوا أنه الحياة بالقاء (فاذا هى تلقف) أى تبتلع (ما يأفكون) أى يصرفونه من الجمادية المتحققة الى الحيوانية التخييلية (فوقع الحق) أى ثبت الاعجاز (وبطل ما كانوا يعملون) لابطال الاعجاز (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هنالك) أى فى مكان الموعد الذى اجتمع فيه أهل مملكته بدعوته لظنه غلبة السحرة (وانقلبوا) أى رجعوا الى أهلهم ليأسهم من الغلبة مرة أخرى (صاغرين) أى ذليلين بعد ما خرجوا متكبرين بوهم الغلبة (و) تذلل كل منهم من اراد التكبر بهم اذ (ألقى السحرة) على نهج الاضطرار (ساجدين) اذ قالوا لم يجدوا حبالهم وعصيهم لو كان سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فحصلت لهم الحياة الابدية (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لا فرعون الزاعم أنا ربكم الاعلى فظهر كونهم كالبلد الطيب (قال فرعون) من غلبة الخبث عليه (آمنتم به) أى برب موسى وهرون (قبل أن آذن لكم) مع انى الهكم وأنتم عبيدى فليس لكم ان تؤمنوا باله آخر بغير اذنى وليس هذا غلبة موسى بالحقيقة بل (ان هذا) الصنع (لمكر) أى حيلة (مكرتموه) أى دبرتموه أنتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل الخروج للميعاد (لتخرجوا منها أهلها) ليحصل لكم ملكها (فسوف تعلمون) عاقبة فعلكم العدر على المملكة (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى جانبين مختلفين (ثم لأصلبنكم أجمعين) كما يفعل بمن قصد الملك (قالوا) ان الذى تهددنا به هو الذى يقربنا الى من آمنا به (انا الى ربنا منقلبون) فيحيينا بحياة خير من الحياة الدنيوية (و) ما قصدنا الملك بل (ما تنقم) أى تنكر (منا الا أن آمنا بآيات ربنا) لا بطريق السماع من الغير بل بطريق المشاهدة (لما جاءتنا) اجعل لكون ايماننا حقيقيا ليتبعنا الناس فيه آية (أفرغ) أى افض (علينا صبرا) يثبتنا (و) لا تغيرنا بالانتقام أو بشبهة أخرى عن الاسلام بل (توفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون) خوفا من انقلاب الخلائق عليهم حين رأوا السحرة يحصلون الشدائد من أجله (أتذر) أتترك (موسى وقومه) احياء (ليفسدوا فى الارض) أى فى أرض مملكتك بتغيير الناس عنك (ويذرك وآلهتك) أى ويترك كل أحد عبادتك وعبادة آلهتك التى أمرته

(فى العالمين وليس منهم)

(قوله عز وجل فدمدم عليهم ربهم) أى أرجفهم الارض أى حركها فسواها عليهم وقيل فسوى الامة بانزال العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم

(باب الدال المضمومة)

(قوله عز وجل دلوك الشمس) ميلها وهو من عند

ان اعبد على الملك ربهم او ربهم فانت ربهم الاعلى (قال) اناوان تركناهم لئلا يقال عجزنا عن معاقبتهم لا نمكن أحدا من موافقتهم (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم) فيخاف من يوافقهم من ذلك وان لم يبال لنفسه (و) ان فعلوا ذلك فلا نبالي بهم (انا فوقهم قاهرون) نقهر كل من وافقهم (قال موسى لقومه) الذين قيل لهم هذا الكلام (استعينوا بالله) على دفع ما أرادوا (و) ان لم تعانوا (اصبروا) على الاسلام فلا تضيعوه للامور الدنيئة مع انها ايضا لله فله ان يعطيكم كما أعطاهم اياها (ان الارض لله يورثها) أى يعطيها واحدا بعد آخر (من يشاء) من صالح وطالح لكونهم (من عباده) فله ان يجعلها مزرعة للبعض وجنة على البعض (و) هو وان أعطاها لبعض الطالحين فغلبوا على المتقين حينا لكن (العاقبة للمتقين قالوا) لم يبق فينا الصبر اذ طالت الاذية علينا اذ (أوذينا) بقتل الابناء واستحياء النساء (من قبل أن تأتينا) لئلا تصل (ومن بعد ما جئتنا) لئلا نتبع (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) أى قرب رجاء ان يهلك ربكم عدوكم البالغين في اهلاك أوليائه (و) رجاء ان يفعل ما هو أشد عليهم وأنفع لكم وهو ان (يستخلفكم في الارض) اقامة لاوليائه مكان اعدائه والولاية والعداوة بحسب الاعمال (فينظر كيف تعملون) امثال اعمال الاولياء او الاعداء ثم أشار الى انه وان قرب اهلاك الاعداء فلم يهلكهم بغتة بل قدم لهم ما ينذرهم عنه فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أى بقحط المزارع سنين (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) انه بكفرهم الذي يوعدون عليه ما هو أشد من ذلك وأقل ما فيه ما تشاءم بالكفر لكنهم لغاية خبثهم عكسوا الامر (فاذا جاءتهم الحسنة) أى السعة والخصب أو رد معها اذا او الماضي لكثرتها فلا شك في وقوعها (قالوا لنا هذه) أى نحن مختصون باستحقاقها (وان تصبهم سيئة) أى جدب وبلاء أو ردفيها ان والمضارع لندورها فهي كالمشكوك في وقوعها (يطيروا) أى يتشاءموا (بموسى ومن معه ألا انما طائرهم) أى شؤمهم كفرهم ومعاصيهم فانها أسباب الآفات (عند الله) بجريان سنته بافاضتها عندها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) فرأوا الشؤم الاتيان بالآيات أو متابعتها لكونها مصرا اتفق على شؤميته (و) لذلك (قالوا مهما) أى أى شئ (تأتنا به من آية) في زعمك وهي سحر في الواقع (لتسحرنا) أى لتسحر عقولنا (بها) فيشتبه الامر علينا (فما نحن لك بمؤمنين) فلم نأتهم بمحض الآيات بل بآيات تتضمن البليات التي تكاد تلجئ الى الايمان (فأرسلنا عليهم الطوفان) أى ما طاف بأماكنهم ودخل بيوتهم فقاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل المشتبكة ببيوتهم قطرة منه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ننؤمن بك فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (الجراد) فأكلت الزرع والثمار ثم أخذت تأكل السقوف والابواب والثياب ففزعوا اليه فخرجوا الى الصحراء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (القمل) أكلت البقية ووقعت في الاطعمة ودخلت بين أثوابهم وجلودهم فمصتها ففزعوا اليه

زوالها الى ان تغيب يقال دلكت الشمس اذا مالت
(قوله تعالى دري) معنى منسوب الى الدر فضيانه وان كان الكوكب أكبر ضوأ من الدر ولكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر سائر الحب
ودري بلا همزة بمعنى دري وكسر أوله لاعلى وسطه وآخره ولانه يثقل عليهم

فكشف فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر (و) أرسلنا عليهم (الضفادع) بحيث لا يكشف
طعام الا وجدت فيه وكانت تملأ مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند
التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف عنهم فنكثوا
(و) أرسلنا عليهم (الدم) فصارت مياههم دما حتى كان القبطي والاسرائيلي يجتمعان على
اناء فيصير ما يلي القبطي دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص القبطي من فم الاسرائيلي فيصير
في فمه دما أرسل الله عليهم هذه البليات حال كونها (آيات مفصلات) فصل في الابتلاء بها بين
طائفتين عظيمتين من المحقين والمبطلين ولا يتأتى مثل ذلك في السحر وكانت من حيث لا يشك
عاقل في انها من الله لكن لم ينقادوا لها (فاستكبروا) لا وجه لاستكبارهم سوى أنهم
(كانوا قوما مجرمين) ومن مبالغتهم في الجرم اخلافهم وعد الايمان الذي وعدوه عند
الاضطرار (و) ذلك انهم (لما وقع عليهم الرجز) أي العذاب في ضمن هذه الآيات (قالوا
ياموسى ادع لنا ربك) الذي ربك فأعطاك هذه الآيات (بما عهد عندك) من قبول دعوتك
(لئن كشفت عنا الرجز) بدعائك (لنؤمنن) منقادين (لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) الذين
أرسلت لطلبهم (فلما كشفنا عنهم الرجز) لا الى غاية بل (الى أجل هم بالغوه) ليتأملوا فيه
اذ لا يتأتى مع الاضطرار (اذا هم ينكثون) أي يفاجئون النكث من غير تأمل (فانتقمنا
منهم) أي قصدنا تعذيبهم على الابد (فأغرقناهم في اليم) أي البحر العميق اذ غرقوا في بحر
الكفر (بأنهم كذبوا بآياتنا) التي هي بحار أنوار الهداية فتكذيبها غرق في بحار
الضلالة (و) يكفي في غرق بحارها أنهم (كانوا عنها غافلين و) أغرقناهم مع جاههم التي
آثروه على حياتهم اذ (أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وقتل الابناء واستحياء
النساء (مشارق الارض) أي أرض مصر (ومغاربها) وهي الشام (التي باركنا فيها) بالخصب
وسعة العيش فحصل لهم الجاه والمال من غير تعب زيادة في التقوية بدل التضعيف (وتمت كلمت
ربك الحسنى) وهي قوله ونريد أن نمن الى قوله يحذرون (على بني اسرائيل بما صبروا) على
الايمان في تلك الشدائد فظهروا ظهورا كليا (و) لم يبق لاعدائهم شيء من الظهور اذ (دمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه) من الصنائع اللطيفة التي يبقى بها اسمهم (وما كانوا يعرشون)
أي يرفعون بناءه كصرح هامان مما كانوا يذكرون به عن بعد ثم أشار الى أنهم مع علم
المحاسن لهم ظهرت قبائحهم في ابتداء زوال ضعفهم وهو مجاوزة البحر اذ تغيرت قلوبهم بمجرد
رؤية الاصنام فقال (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) الذي أغرق فيه أعداؤهم أرادوا الغرق
في بحر كفرهم (فأتوا على قوم يعكفون) أي يقيمون (على) عبادة (أصنام لهم قالوا ياموسى
اجعل لنا الها) أي مثالا واحدا كليا لله تعالى نعبده فنتقرب به اليه (كما لهم آلهة) أي أمثلة
مختلفة لاسمائه أشركوا لكثرتها ونحن نبني على التوحيد لوحدته (قال انكم قوم تجهلون)
بتجدد جهلكم كل حين (ان هؤلاء) وان اتخذوا أمثال أسمائه فلا يتم فيها التمثيل لانه
(متبر) أي مكسر (ما هم فيه) أي في عبادته لكونه حادثا وأسماؤه تعالى قديمة (و) لاظهور

شبه بعدها كسرة وياء وكا [illegible]
قالوا كرسى للكرسى
ودرى مهموز فعيل من
الدرء النجوم الدرارى التى تدرأ
أى تحط وتسير متدافعة
يقال درأ الكوكب اذا
تدافع منقضا فتضاعف
نوره ويقال تدارأ الرجلان
اذا تدافعا ولا يجوز ان
تضم الدال وتهمز لانه ليس
فى الكلام فعيل ومثال
درى فعلى منسوب الى
الدر ويجوز درى بغير

لالهيته

لالهيته في الانه (باطل ما كانوا يعملون) لانه صدر من باطل فانى يكون الها واجب الوجود
الحق من كل وجه فكانهم قالوا المثال لا يجب أن يكون كالممثل من جميع الوجوه (قال)
الظاهر فى المظاهر ليس مثالا له لوجوب كونه قريبا من الممثل والظاهر فى المظاهر فى غاية
البعد منه فهو أولى باسم الغير (أغير الله أبغيكم الها) لم يجعله مظهرا كاملا وانما المظاهر
الكاملة أنتم اذ (هو فضلكم على العالمين) فلو صحت عبادة المظاهر فحق الغير أن يكون
عابدا لكم لا معبودا ثم انه انما تعبد للتشفع (و) لكن لا تحتاجون الى شفاعتها اذكروا
(اذ أنجيناكم) بدون شفاعتها (من آل فرعون يسومونكم) يقصدونكم (سوء العذاب)
الذى غايته أنهم كانوا (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ليكون نسلكم منهن كفارا
مثلهم (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) نجاكم عنه من غير شفاعة أحد ثم أشار الى أن ذلك
انما كان لا فراط خبث أنفسهم اذ لم يزكوها والنفس تحتاج اليها حتى ان موسى عليه السلام
مع جلالة شأنه احتاج اليها فى استنزال الكتاب الذى وعد بنى اسرائيل بمصر أن يأتيهم به بعد
مهلك فرعون فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره أن يصوم ثلاثين من ذى
القعدة فلما أتم أنكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته
بالسواك فأمره الله أن يزيد عليها عشرا من ذى الحجة فقال (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)
يقوم فيها بالصلاة ويصوم نهارها (و) لما أبطل خلوف فمه الذى يكره اليه نفسه ويحبب اليه ربه
فيكون له طيب رائحة حب ربه (أتممناها بعشر فتم ميقات) مكالمة (ربه أربعين ليلة) ليرفع
أربعين حجابا خمرت لى طينة آدم فسرت الى أبدان بنيه (وقال موسى) عند ذهابه عجزه
عن حفظ القوم بالغيبة قبل تمام التزكية الموجبة كون النفس متصرفة بربها فى كل
مكان لكونه معه (لأخيه) القائم مقامه (هرون) الذى يشاركه فى النبوة (اخلفنى فى)
حفظ (قومى) عن التغيير فى الدين (وأصلح) ما يغيرونه (و) ان لم يمكنك اصلاح مفسدتهم
(لا تتبع سبيل المفسدين) بترك الانكار عليهم فانه بمنزلة اتباعك لهم ثم أشار الى أن تمام
التزكية لا يفيد رفع حجاب النفس بالكلية فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) فهو (و) ان كملت
تزكيته بحيث (كلمه ربه) فسمع كلامه من جميع الجهات بجميع أجزائه (قال) قبل كمال
استعداده لرؤيته بالخروج عن المكان والزمان (رب أرنى) ذاتك التى ليست من الاجسام
والاعراض كما أسمعتنى كلامك الذى ليس من جنس الحروف والاصوات حتى (أنظر
اليك قال لن ترانى) فى الحالة التى أنت عليها (ولكن انظر الى الجبل) حين أتجلى له بعد
ما أعطيه الحياة والرؤية (فان استقر مكانه) عند التجلى أمكنك الاستقرار مع التجلى لك
(فسوف ترانى) بعد استقراره (فلما تجلى ربه للجبل جعله) التجلى (دكا) أى مفتتا لم يستقر
مكانه (و) لا موسى بل (خر) أى وقع (موسى صعقا) أى مغشيا عليه من هول ما رأى (فلما
أفاق قال سبحانك) من أن يستقر رؤيتك من لم يخرج عن المكان والزمان (تبت اليك) من

همز يكون مختفيا من
الهمز (قوله عز وجل
دحورا) أى ابعادا (قوله
عز وجل دخان مبين) أى
جدب ويقال انه الجدب
والسنون التى دعا النبى
صلى الله عليه وسلم فيها على
مضر فكان الجائع يرى
بينه وبين السماء دخانا
من شدة الجوع ويقال
بل قيل للجوع دخان ليبس
الارض وارتفاع الغبار
فشبه ذلك بالدخان وربما

الاقدام على سؤال الرؤية قبل وقتها (وأنا أول المؤمنين) بانه لا يستقر لرؤيتك من بقى فيه مناسبة الحدثان بل لا بد أن يتصف بما يناسب الصفات القديمة وذلك عند غلبة الروحانية في الآخرة (قال يا موسى) انك وان لم ترني غلبت بقاصر (انى اصطفيتك) فضلتك (على الناس) الذين ليسوا بمرسل (برسالاتى) التى هى نهاية مراتب كمالاتهم (و) فضلتك على كثير من الرسل (بكلامى فخذ ما آتيتك) فلا ترده بهذه الاسئلة السالبة لما أفضت عليك (وكن من الشاكرين) لتستوجب المزيد فلعلك تستحق الرؤية التى هى زيادة على الحسنى (و) مما زيد لموسى على الشكر انا (كتبنا له فى الالواح) أى ألواح التوراة (من كل شئ موعظة) أى عبرة من رؤية كل شئ الى ما وراءها (و) ظهرا الى ان ترى (تفصيلا لكل شئ) أى تعريفا يطلع على الحقائق لكن ذلك يحتاج الى قوة الاستدلال فى باب العلم والاجتهاد فى باب العمل (فخذها بقوة) استدلالية واجتهادية (وأمر قومك) الذين ليس لهم القوة (يأخذوا بأحسنها) أى عزائمها دون رخصها تحصيلا للقوة فاذا حصلت لكم القوة كشفت لكم عن الحقائق الاخروية وأولاها ما يحفظ عن شدائدها لكن (سأريكم دار الفاسقين) أى جهنم وفى وادٍ كانت ظاهرة لمن تطرق الآيات لكن (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون) علي ما مع كونهم (فى الارض) التى هى أسفل السافلين (بغير) القرب الى (الحق و) لكن بما يبعدهم عن الحق لانهم (ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) تكبرا عليها انه بسبب البعد عنه (و) كيف لا يميلون عنه وهم (ان يروا سبيل الرشد) المقرب اليه (لا يتخذوه سبيلا) لما انما هو بهم (وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) لتوسلهم به الى أهويتهم وليس ذلك لكون أهويتهم الذ مما تضمنته الآيات بل (ذلك بانهم كذبوا بآياتنا و) لتكذيبهم اياها (كانوا عنها غافلين) لم يدركوا تلك اللذات التى يترك لها الاهوية كيف وانما يدرك لذاتها بالتصفية والتزكية الحاصلة من العمل بها خوفا من آلام الآخرة وطمعا فى لذاتها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) فلا يكون لها أثر فى التصفية والتزكية وليس الاحباط عليهم ظلما بل هو أيضا مقتضى عملهم التكذيب فى كل حال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون و) من الحبط للاعمال اتخاذهم العجل فانه (اتخذ قوم موسى) الذين لم يتخذوا بأحسنها نصرفوا عن آيات الله (من بعده) أى من بعد ذهابه لميقات المتنزل للكتاب المكمل لهم (من حليهم) أى من حلى كانت بايديهم مستعارة من القبط (عجلا) أى صورة عجل يعبدونها مع كونها (جسدا) بلا روح وان كان (له خوار) أى صوت البقر فنظهر نقصه باعتبار حدوثه وعدم حياته الحقيقية اتخذوه الها اذ صرفوا عن آيات الله وجعله وعلى تقدير كون حياته الحيوانية كان عاجزا عن الكلام (ألم يروا أنه لا يكلمهم و) على تقدير مكالمته لا يكون كلامه مفيدا اذ (لا يهديهم سبيلا) وعلى تقدير مكالمته وهدايته يكون قد (اتخذوه) الها من غير استحقاق لحدوثه فكان ظلما (و) لكن لم يقتصر ظلمهم على هذا الوجه بل (كانوا ظالمين)

وشعت العرب الشأن فى موضع الشراذا علا فتقول كان يتنا أمس ارتفع لهذا الشأن (قوله تعالى دسر) مسامير واحدها دسار والدسار الشرط التى تشد بها السفينة (قوله تعالى دولة بين الاغنياء منكم) يقال الدولة ودولة لغتان ويقال الدولة بالضم فى المال والدولة فى الحرب بالفتح ويقال الدولة بالضم اسم الشئ الذى يتداول

بوجوه

بوجوه كثيرة (و) لكن هذه الوجوه مع كثرتها صارت مغفرة في حقهم اذ رجعوا الى الاخذ باحسنها لانهم (لما سقط) أي ألقي الندم (في أيديهم) ابتصروا به في رد هذه الوجوه (و) ذلك حين (رأوا أنهم قد ضلوا) من هذه الوجوه الكثيرة (قالوا) في ردها (لئن لم يرحمنا ربنا) فيهدينا بالتوبة (ويغفر لنا) ما لاتدركه التوبة القاصرة منا (لنكونن من الخاسرين) أعمارهم وأعمالهم الصالحة (و) استزادهم موسى ندما فانه (لما رجع موسى الى قومه) الذين عبد بعضهم العجل ولم يشدد غيرهم عليهم الانكار (غضبان) لا بقصد اهلاكهم اذ كان (أسفا) أي حزينا عليهم (قال بئسما خلفتموني) أي بئس الحال التي صرتم عليها خلافي لا مع طول المدة بل (من بعدي) أي متصلا بذهابي (أعجلتم) أي أسبقتم الى عبادة العجل (أمر ربكم) بعبادته فقدمتم رأيكم على أمره (وألقى) من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين (الالواح) أي ألواح التوراة فانكسر منها ما كان فيها تفصيل لكل شيء وبقي ما فيه من المواعظ والاحكام (و) أفرط غضبه على أخيه حتى (أخذ برأس أخيه) أي بشعر رأسه (يجره اليه) تعزيرا له على تركه تشديد الانكار عليهم (قال) أخوه يا (ابن أم) أضافه اليها استعطافا (ان القوم) أي عبدة العجل (استضعفوني) فلم يبالوا بتشديد انكاري (وكادوا يقتلونني) أي قاربوا قتلي لو زدت على ما فعلت من تشديد الانكار عليهم فقد صاروا أعدائي بالمقدار الذي فعلته من الانكار عليهم (فلا تشمت بي) أي لا تفرح بأخذ رأسي وجري (الاعداء) فانهم يشمتون بي وان كان الغضب من ترك تشديد الانكار عليهم لان عداوتهم ذاتية لهم (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) في الغضب عليهم فضلا عن زيادة الغضب على فلما علم عذر أخيه وسهوه في الاخذ برأسه وفي القاء الالواح (قال رب اغفر لي) ما سهوت (ولأخي) تقصيره في بذل وسعه على تشديد الانكار (وأدخلنا في رحمتك) بحيث لا نسهو ولا نقصر ولا يلحقنا بأسهو نا غضب ولا ذلة (و) لا يبعد منك اذ (أنت أرحم الراحمين) ومع ذلك لا يغتر برحمته (ان الذين اتخذوا العجل) فانهم وان سقطت عقوبتهم في الآخرة من افراط رحمته (سينالهم غضب) لاجله يؤمر بعضهم بقتل بعض لكنه من جملة توبتهم لكونه (من ربهم و) هذا يدل على أنه ليس بغضب حقيقي وانما هو (ذلة) اذ لم يبال بقتلهم كالبرغوث والقمل ولكن لا يبالي بتلك الذلة لكونها (في الحيوة الدنيا) كيف (و) لا بد من الاذلال في حق المفترى على الله ورسله اذ (كذلك نجزي المفترين) وقد افتروا على الله بأنه العجل وعلى موسى بأنه قصد ذلك العجل فنسي (و) ليس ذلك في الآخرة اذ غايته المعصية (الذين عملوا السيئات ثم تابوا) وان تراخت توبتهم نوقعت (من بعدها) بمدة مديدة (و) لا يكفي التوبة عن الافتراء على الله ورسله بل لا بد من تجديد الايمان كما لا يكفي الايمان بلا توبة فاذا (آمنوا) وتابوا (ان ربك من بعدها) أي بعد التوبة عن الافتراء مع الايمان (لغفور) في الآخرة ولا يقتصر على ذلك الغفران بل (رحيم) وان أنالهم غضبه واذلاله في الدنيا (و) كيف لا يؤثر فيهم هذه المعصية الكثيرة التي تمدوا بهم

بعينه والدولة بالفتح الفعل وقوله عز وجل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يتداوله الاغنياء منكم (قوله تعالى دكت الارض دكا) أي دقت جبالها وأنشازها حتى استوت مع وجه الارض

•(باب الدال المكسورة)•

(قوله عز وجل دين يكون على وجوه منها الدين ما يتدين به الرجل من الاسلام وغيره والدين

بنيل الغضب والذلة وقد أثر فى موسى ما فعله من قومه (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) أى فيما نسخ فيها أى كتب (هدى) أى بيان فيها تفصيل لكل شئ بل انما يبق (فى نسختها الهدى) أى الاعتقادات والاعمال (ورحمة) من المواعظ النافعة (للذين هم لربهم يرهبون) أى يخافون حجابه أو عذابه فلا يرهبون فى نقص التوراة وان عفر له ثم أشار الى أن لحوق الغضب فى الدنيا لا يمنع الرحمة الاخروية كما لا يمنع الدنيوية سيما فى حق الخيار فقال (واختار موسى) الذى اختاره الله لرسالته وكلامه (قومه) الذين يرجى لهم الرحمة الاخروية بعد نيل الغضب (سبعين رجلا) من اثنى عشر سبطا عدد البروج من كل سبط ستة عدد ما ظهر منها الا اثنين اسقاطا للنظر الشرك لكون الاختيار (لميقاتنا) فى المكالمة فأمرهم أن يتطهروا ويصوموا فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط به فدخل فيه موسى وأدخلهم معه فخروا سجدا فسمعوا الله يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة (فلما أخذتهم الرجفة) أى الصاعقة التى يحصل منها الاضطراب الشديد (قال) موسى وهو يبكى ويقول ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى) من غير أن ينسب اهلاكهم الى شؤميتى (أتهلكنا) بنسبة الشؤم الينا (بما فعل السفهاء) بترك الايمان بما سمعوا اذا منعوا الرؤية مع ان غايتهم انهم (منا) وقد منعنا الرؤية (ان هى) أى ليست هذه الفعلة منهم (الا فتنتك) أى ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا فى رؤيتك ثم اجترؤا على ترك الايمان بما سمعوا منك بدون رؤيتك (تضل بها من تشاء) حتى لا يؤمنوا بما سمعوا بأنفسهم منك (وتهدى من تشاء) بمزيد الفهم لما سمعوا منك حتى يعبروا عن الطرق الى ما وراء والاصل هو الاهداء وانما الاضلال لمن تخذله لكن (أنت ولينا) فاذا أمنت مع ذلك أتباعنا (فاغفر) ذنوبهم بتبعيتهم (لنا وارحمنا) باحيائهم الدافع نسبة الشؤم الينا وكيف لا ترحمنا (وأنت خير الغافرين) بضم الرحمة الى المغفرة (واكتب) أى أثبت (لنا فى هذه الدنيا حسنة) هى الثناء الحسن بدل نسبة الشؤم (وفى الآخرة) حسنة بثنائك وثناء ملائكتك وليس طلبنا الثناء منهم لاجلهم بل (انا هدنا) أى رجعنا من كل ما سواك (اليك) فطلبنا الثناء منهم انما هو ليدل على القبول منك (قال) عز وجل لموسى صدقت فى أنى خير الغافرين اذ (عذابى أصيب به من أشاء) وهم بعض العصاة من عبادى (ورحمتى وسعت كل شئ) من العصاة والمطيعين فلا بد ان أضم الرحمة الى المغفرة فى حق من أغفر له واذا كان من رحمتى نصيب للعصاة (فسأكتبها) أى أثبتها (للذين يتقون) المعاصى (ويؤتون) أنفسهم وغيرهم (الزكوة) أى الطهارة عن الاخلاق الذميمة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فيحصون الاعتقادات وكلو فى ذلك اذهم (الذين يتبعون الرسول) أى الذى أرسل الى الخلائق لتكميلهم لكونه (النبى) الذى نبئ بأكمل الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات من جهة الوحى لكونه (الامى) لم يحصل علما من بشر فكان من المعجزات المزيدة بتصديق الكتب السابقة

الطاعة والدين العادة والدين الجزاء والدين الحساب والدين السلطان (قوله عز وجل دفء) ما استدفئ به من الاكسية والاخبية وغير ذلك (قوله تعالى الدهان) جمع دهن (قوله عز وجل دهاقا) مترعة أى ملأى

•(باب الدال المفتوحة)•

(قوله عز وجل ذلول تثير الارض) يعنى أنها قد ذللت الحرث (قوله عز وجل

عليه اذهو (الذى يجدونه) باسمه وصفاته (مكتوبا) كتابة لاريب لهم فيه لكونه (عندهم) لاعند خصومهم لافى كتاب واحد بل (فى التوراة والانجيل) وقد تايد بعموم ارشاده اذ (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) فيفيدهم كل خير ويدفع عنهم كل شر (و) لايخل بذلك نسخه بعض الاحكام الشرعية اذ (يحل لهم الطيبات) التى حرمت عليهم لمعاصيهم (و يحرم عليهم الخبائث) وان كان فيها مالم يحرم عليهم اذلم يعتنبهم فرفع أنواع الخبث عنهم هذا فى باب الما كولات (و) فى العبادات (يضع عنهم اصرهم) أى التكاليف الشاقة عليهم كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة (والاغلال التى كانت عليهم) أى الشرائط التى كانت تمنعهم من النشاط فى العبادة فاذا وجبت الرحمة لمؤمنى الامم السابقة دون اتباعه (فالذين آمنوا به و) لم يستهينوه بالنسخ بل (عزروه) أى عظموه بتخصيصه بالكمالات فى كل باب وان كان فيه الرخص (ونصروه) برفع الشبه عن دينه وبيان كمالات نواسخه وان كان فيه الرخص (و) لم يأخذوا فيه بالشبه بل (اتبعوا النور الذى أنزل معه) فاخذوا منه مايدل على كمالات نواسخه مما هو من الدلائل العقلية المؤيدة بالاعجاز (أولئك هم المفلحون) أى الفائزون بكمال تلك الرحمة بل لارحمة على من خالفه وان اتبع تلك الكتب فان زعم وا أن النبى الامى صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى الاميين لما فى بعض الكتب السابقة انى باعث أمبالى الاميين (قل) لاينافى ذلك عموم البعث (يا أيها الناس) أى يامن نسى عموم مبعثى المذكور فى نصوص أخر بكتمكم فيه بعد اعترافكم بنبوتى أن أقول (انى رسول الله اليكم جميعا) ولايبعد عموم البعث على الله اذهو (الذى له ملك السموات والارض) اذ (لا اله الا هو) ولايبعد عليه نسخ أحكامه وان كانت قديمة لوروده على تعلقها فله أن يحدث تعلقا يحكم ربتى تعلق الآخر كما أنه (يحيى ويميت) واذا كان له الاحياء والامانة كانت له الاثابة والمعاقبة (فآمنوا بالله و) هو انما يتم بمعرفته وانها بالاجابة أكمل رسله فلابد من تصديق (رسوله النبى الامى) أى الذى نبى بما يرشد الخلائق كلهم مع كونه أميا يدل على عموم اتباعه انه (الذى يؤمن بالله وكلماته) المنزلة فى كتبه على نهج التفصيل (و) اذا كان له عموم الانباء فاقل مافى متابعته أنه يرجى منهم الاهتداء (اتبعوه لعلكم تهتدون) فان قيل لو رجى فى متابعته الاهتداء لتسارع اليه أهل الكتاب يقال (ومن قوم موسى) المتسارعين اليه الحقيقة (أمة) يهتدون به بل (يهدون بالحق) أى بالدين الثابت الذى لاينسخ مع كونه ناسخا لمافى كتابهم (و) انما كان ناسخا لكونه أعدل فهم (به يعدلون و) لايضر اختلافهم فيه لانه عادتهم القديمة اذ (قطعناهم) فى عهد موسى (اثنتى عشرة اسباطا) عددا ولاديه قرب اذمع رجوعهم الى أصل واحد صاروا (أمما) مختلفة (و) من افراطهم فيه لم يجتمعوا على ماء واحد لذلك (أوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) لاخراج الماء منه اخراج الشئ من ضده على خرق العادة ليكون آية داعية الى الاتفاق لكنه لما امتنع بالذات جعل آية على الاختلاف (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) ليختص كل سبط بعينه ويولغ فى

ذكيتم) أى قطعتم أوداجه وأنهرتم دمه وذكرتم اسم الله عليه اذا ذبحتموه وأصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ من ذلك الذكاء السن أى تمام السن فى النهاية فى الشباب والذكاء فى الفهم أن يكون فهما تاما سريع القبول وذكيت النار اذا أتممت اشعالها وقوله عز وجل الا ما ذكيتم أى ما أدركتم ذبحه على التمام (قال أبو عمرو سألت المبرد عن قوله الا ما ذكيتم

قطع النزاع لوتخيروا (قد علم كل اناس) من سبط (مشربهم) على التعيين من أول الامر بل لا يبعد منهم الاجتماع على الكفر كما اجتمعوا على كفران النعم (و) ذلك انا (ظللنا عليهم الغمام) لئلا يضيق صبرهم فى التيه من افراط ما يصيبهم من حرارة الشمس (وأنزلنا عليهم المنّ) وهو الترنجبين (والسلوى) وهو السمانى لئلا يضيق عليهم الصبر بعدم الترفه فى طعام ولم يكن انزالهما بطريق الابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم (كلوا من طيبات) أى اللذات (ما رزقناكم) فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكذلك أنعمنا عليهم بهذا الرسول بجعلنا عليهم ظلا وأعماله وأقواله الطيبة بمنزلة المنّ والسلوى (وما ظلمونا) بمنع انعامنا وظهور ديننا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمنع الانعام والدين المستقيم عليها (و) مما يدل على افراط ظلمهم انهم (اذ قيل لهم) لما لم يصبروا على طعام واحد (اسكنوا هذه القرية) أى اريحا أو بيت المقدس (وكلوا منها) أجناس الاطعمة (حيث) أى من أى مكان (شئتم وقولوا) سؤالنا (حطة) أى اسقاط الخطيات الناشئة من أكل أطعمة متفرقة تدعو الى أهوية مختلفة (وادخلوا الباب سجدا) أى متذللين ليكون مانعا من استكباركم (نغفر لكم خطيئاتكم) بما ذكر وغيرها وان شكرتم وتطلعتم الى المنعم (سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم) أى اعتادوا الظلم (قولا) هو حطا سمقاثا أى حنطة حمراء وهو وان قارب المأمور لفظا كان (غير الذى قيل لهم) فى المعنى وهو مع المشابهة اللفظية يشعر عن الاستهزاء (فأرسلنا عليهم رجزا) أى عذابا (من السماء) لا بهذا الامر وحده بل (بما كانوا يظلمون) وتفارق هذه الآية آية البقرة بنون التعظيم ثمة لعظم التكليف بدخول قرية العدو بخلاف السكون بعده وبالفاء ثمة لان الاكل يكون عقيب الدخول لا السكون وبرغدا لان الاكل عقيب الدخول لا يتسع اتساعه حال السكون وبتقديم الدخول ثمة لان الدعاء يقتضى سبق التذلل وتأخيره هنا لانه يقتضى استدامته الى الاستجابة وبالواو ثمة تشير الى الجمع بين المغفرة والزيادة وحذفها هاهنا لان الزيادة تدل على المغفرة والانزال ثمة يدل على الشدة والارسال هنا يدل على الكثرة وبفسقون ثمة يشير الى أن ظلمهم كان ناشئا من فسقهم السابق (واسألهم) اعتراضا عليهم لاعتيادهم ظلمهم (عن القرية التى كانت حاضرة البحر) أى قريبة منه ايلة أو طبرية الشام أو مدين (اذ يعدون) حدا الله فى أدنى الاشياء وهى الحيتان حتى انتهوا الى الكفر (فى السبت) الذى أمروا بتعظيمه فابتلوا بتحريم الصيد فيه (اذ تأتيهم حيتانهم) التى آثروها على أمر الله (يوم سبتهم) الذى اختاروه على الجمعة (شرعا) أى متتابعة (و) ضاق عليهم الصبر على تركها لانه (يوم لا يسبتون لا تأتيهم) أصلا الى السبت المقبل فقال لهم الشيطان انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا وشبكات وساقوا اليها الحيتان يوم السبت ثم صادوها يوم الاحد ففعلوا ذلك مدة ثم اجترؤا على السبت وقالوا ما نراه الا وقد أحل لنا ولم يعلموا أنه (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) فان الله يبتلى الفاسق بما يزيده فسقا ليزيده عذابا فصار أهل القرية ثلاث فرق فرقة عملت وفرقة سكتت وفرقة نهت (و) ألحقت الساكتة بالفاعلة فى الكفر (اذ قالت أمة منهم) هى الساكتة

فقال أى ما خلصتم بفعلكم من الموت الى الحياة فسأله الهدهد وأما اسمع عن قولهم فلان ذكى القلب فقال مخلص من الآفات والبلاء وكذلك ذكيت النار اذا أخرجتها من باب الجود الى باب الاشتعال بالوقود قال ابن خالويه سألت أبا عمرو عن معنى أنهرت فقال أسلت ومنه قول ابن عباس أنهر الدم بما شئت بخالبة أو بظفار أو بمروة قال الخالبة القصبة

منكرين على الناهين نهيهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) بالنكاية فى الآخرة (أو معذبهم فى الدنيا (عذابا شديدا قالوا) نهينا (معذرة الى ربكم) الذى أمر بالنهى عن المنكر (و) لو لم يأمر بذلك لكان أولى أيضا اذ (لعلهم يتقون) فيتوبون فينجون عن الاهلاك الكلى أو التعذيب الشديد فلم يبالوا بقولهم الساكتون كما لم يبال بهم الفاعلون (فلما نسوا) أى الفاعلون والساكتون (ما ذكروا به) أى ما وعظهم الناهون (أنجينا الذين ينهون عن السوء) لطاعتهم عن معصية الفعل وترك النهى (وأخذنا الذين ظلموا) بالفعل أو بترك النهى (بعذاب بئيس) أى مذموم (بما كانوا يفسقون) بفعل المنهى أو ترك الواجب ولم تكن مؤاخذتهم بمجرد التعدى المذكور بل باستباحة ذلك لاستلزامه الكفر (فلما عتوا) أى تكبروا فتباعدوا (عن ما نهوا عنه) حتى كفروا (قلنا لهم) أى الفاعلين والساكتين على لسان داود (كونوا قردة خاسئين) أى صاغرين لاستصغارهم ما أمر الله واستقباحهم ما استحسنه الله قيل كره الناهون مساكنة الفريقين فقسموا القرية بجدار فيه باب فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من الفريقين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم لكن القردة تعرفهم فجعلت تأتى انسابها وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث فلو قالوا انه مختص بطائفة لم يكن منها أحد ولسنا على حالهم رد عليهم بأنهم لو لم يكونوا امثالهم لم يذلوا اذلالهم (و) لكنهم أذلوا اذلالهم (اذ تأذن ربك) أى عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله وأجرى مجرى فعل القسم لذلك أجيب بجوابه (ليبعثن) أى ليسلطن (عليهم) لا بطريق الابتلاء لامتداده (الى يوم القيامة من يسومهم) أى يريدهم (سوء العذاب) فبعث عليهم بعد سليمان بختنصر فخرب ديارهم وسبى ذراريهم ونساءهم وضرب الجزية على من بقى منهم فكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقاتلهم وأجلاهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة جازاهم الله بذلك قبل يوم القيامة مسارعة الى عقابهم (ان ربك لسريع العقاب و) لكن لم يعاقبهم معاقبة أخروية لئلا تكون ملجئة لهم الى الايمان فستره ليهم (انه لغفور) كيف وقد استوجبوا باعترافهم نصيبا من رحمته وهو (رحيم و) لكن لا يغفر بعضهم ولا يرحمهم يوم القيامة اذ (قطعناهم) أى فرقناهم (فى الارض) التى هى مزرعة الغفران والرحمة فى الآخرة فصاروا (أمما) مختلفة تستوجب اختلاف الجزاء اذ (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) أى من انحط عن درجة الصلاح لكفر أو فسق (و) دللناهم على اختلاف الجزاء اذ (بلوناهم بالحسنات والسيئات) التى هى أمثلة جزاء الصلاح والفسق (لعلهم يرجعون) عن أسباب السيئات الى الحسنات والاختلاف انما كان فيهم فى قرن الى قرن موسى عليه السلام مع طراءة الوحى اما الآن (فخلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعد قرنهم قرن (ورثوا الكتاب) من المختلفين لكنهم اتفقوا على استبدال الكتاب بأدنى الاعراض اذ (يأخذون عرض هذا الادنى) أى الامر الذى لا يستقر مع كونه من هذا الادنى بدل الكتاب فيحرفون كلمة حكمه من أجله

الحادة والنار شجر والمروة حجر أبيض مفلطح خشن فكذلك ثعلب عن ابن الاعرابى) (قوله عز وجل ذات الصدور) (قوله جل ساجه الصدور (قوله جل اسمه ذا الكفل) لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته وقيل تكفل لنبى بقومه أن يقضى بينهم بالحق ففعل فسمى ذا الكفل (قوله عز وجل ذا النون) هو يونس عليه السلام لابتلاع النون

ويزعمون أنه حكم الله في كتابه (ويقولون) بطريق التحكم على الله (سيغفر لنا) لا
يستغفرون بل (ان يأتهم عرض مثله) فضلا عن الاعلى (يأخذوه) بدلا عن الكتاب وكيف
يتأتى لهم هذا التحكم على الله مع نقضهم ميثاقه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي ميثاق
الله في كتابه (أن لا يقولوا على الله الا الحق) فلو صح ما تحكموا به على الله لم يكن لاخذ هذا
الميثاق معنى (و) ليس أخذهم عن جهلهم بذلك الميثاق اذ (درسوا ما فيه و) لا يكون العرض
خيرا من ثواب الآخرة عندهم اذ (الدار الآخرة خير) في نصوص كتابهم (للذين يتقون)
أخذ هذا الادنى بدل الكتاب وغير ذلك (أ) يأخذون هذا الادنى العارض بدل الخير الباقي
(فلا تعقلون) كيف (و) لا يمنع ذلك الحرص هذا الادنى اذ (الذين يمسكون بالكتاب)
يقومون بمصالح الخلق فلا بد أن يقوم الله بمصالحهم كيف وقد قام بمصالح من أقام الصلاة
(و) المتمسكون بالكتاب (أقاموا الصلوة) التي قال الله تعالى فيها وأمر أهلك بالصلوة واصطبر
عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك كيف والرزق الدنيوي من جملة الاجور على الاصلاح
العام فلا يضيعه الله (انا لا نضيع أجر المصلحين و) لا يبعد نقضهم ميثاق الكتاب لكراهتهم
اياه أولا فاذكر (اذ نتقنا) أي قلعنا (الجبل) فجعلناه (فوقهم كأنه ظلة) أي سحابة (و) هم
وان رأوا فيه قوة المعهود (ظنوا) لثقله الموجب للنزول (أنه واقع) أي ساقط لا محالة (بهم)
لو لم يأخذوا بأحكام التوراة اذ قلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من أحكام التوراة (بقوة)
أي عزيمة على تحمل مشاقها (و) ان أبت نفوسكم تحملها (اذكروا ما فيه) من المعاتبة
على تركه ومع ذلك لا يجزم بتقواكم بل غايتكم أنكم (لعلكم تتقون و) لا يعلمهم
نقض الميثاق الذي وقع بعد الخطاب وقد نقضوا ما وقع قبل الخطاب فاذكر (اذ أخذ ربك
من) آدم من ظهره ذريته ثم من (بني آدم) على ترتيب وجودهم (من ظهورهم
ذريتهم) بجعلهم احياء عقلاء (وأشهدهم على أنفسهم) باقرار ربوبيته وتوحيده
اذ قال لهم (ألست بربكم) الذي لا اشارك فيه (قالوا بلى) أنت ربنا لا رب لنا غيرك
ولا تقتصر فيه على الالسن بل (شهدنا) به عن مواطأة القلوب فأخذنا ذلك ميثاقهم كراهة
(ان تقولوا يوم القيامة) الذي يسئل فيه عن الربوبية والتوحيد (انا كنا عن هذا) أي عن
ربوبيته وتوحيده (غافلين) في أصل الفطرة لم يؤثر فينا العقول ولا أقوال الرسل (أو تقولوا
انما أشرك آباؤنا من قبل) فكان لهم السبق المانع من تأثير اللاحق من أدلة العقل والنقل
(و) هذا السبق وان لم يكن فينا (كنا ذرية) لهم حاملة لاسرارهم مع كوننا (من بعدهم)
تعلمنا منهم ما هم عليه فأبطلوا علينا تأثير العقول وأقوال الرسل (أ) فتأخذنا بفعل الغير
(فتهلكنا بما فعل المبطلون) تأثير العقول وأقوال الرسل فأزلنا الشبهتين بأن الاقرار
بالربوبية والتوحيد كان في أصل فطرتكم فلم ترجعوا اليه عند دعوة العقول والرسل
(و) كما فصلنا هذا الامر (كذلك نفصل الآيات و) لم تنته الى حد الالجاء بل نجعلها

البحر والنون السمكة
اياه في البحر (قوله عز وجل
وجوه بنات) (قوله عز وجل
ذرأكم) أي خلقكم
وكذلك ذرأنا لجهنم أي
(قوله عز
خلقنا لجهنم
وجل ذنوبا) أي نصيبا
وأصل الذنوب الدلو العظيمة
ولا يقال لها ذنوب الا وفيها
ماء وكانوا يستقون فيكون
لكل واحد ذنوب فجعل
الله الذنوب في موضع
النصيب (قوله عز وجل
ذرعها سبعون ذراعا)
أي طولها اذا ذرعت

بحيث (لعلهم يرجعون) الى الفطرة السابقة (و) ان زعموا انهم آخذون بروايته
لكونهم تالين لآياته (اتل عليهم نبأ) بلعم بن باعوراء (الذى آتيناه آياتنا) علم الكتاب
واسم الله الاعظم فكان مجاب الدعوة (فانسلخ منها) أى خرج منها خروج الحية من
جلدها (فأتبعه الشيطان) أى جعله تابعا له فى تعليم الحيل المفسدة (فكان) بعد اتيانه
تلك الآيات (من الغاوين) الذين لا يرجى هدايتهم (و) كانت الآيات بحيث (لو شئنا
لرفعناه بها) بحيث لا ينالها الشيطان (ولكنه) نزلها اذ لم يبال بجنايتها وهو جناب موسى
والمؤمنين بل (أخلد) أى مال ميلا مؤبدا (الى الارض) أى عالم السفل (و) منعناه
فى المنام اذ وامرنا فلم يتبع منعنا بل (اتبع هواه) لما أهدوا اليه فاتبعهم وذلك
انه كان يسكن بلاد العمالقة فقصدهم موسى فأتوه ليدعوا عليه فأبى فالحوا عليه فقال
حتى أوامر ربى فوامره فنهى فى المنام فقال وامرت فنهيت فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم
راجعوه فقال حتى اوامر فوامر فلم يجئه شئ فقالوا لو كره ربك لنهاك كما نهاك فى المرة
الاولى فجعل لا يدعو عليه بشئ الا صرف الله لسانه الى قومه ولا يدعو لهم الا صرف الى موسى
فقالوا أتدرى ما تصنع فقال هذا ما أملكه فاندلع لسانه على صدره فقال قد ذهبت منا الدنيا
والآخرة لم يبق الا الحيلة فزينوا النساء واعطوهن السلع وارسلوهن الى عسكر موسى
ومروهن ان لا تمتنع امرأة من أرادها فاذا زنى أحدهم كفيتموهم فادخل رجل منهم امرأة
فى قبة فوقع عليها فارسل عليهم الطاعون مات منه فى ساعة سبعون الفا فدعا موسى فاخبر
فأمر بقتلهما فارتفع واذا اندلع لسانه بعد ما مال الى الهوى ميل الاحمق الذى قربه السلطان
الى عظم عند كلب (فمثله كمثل الكلب) لانه استوى فى حقه ايتاء الآيات والتكليف
بها والتعظيم من أجلها وعدم ذلك كالكلب يدلع لسانه بكل حال لانه (ان تحمل عليه) حملا
ثقيلا (يلهث) أى يدلع لسانه عن النفس الشديد (أو تتركه) خاليا عن الاعمال (يلهث)
وليس ذلك مثله لاخذهم بآيات التوراة بل (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من
التوراة أو غيرها اذ هم كلاب باهويتهم الفاسدة لم يتطهروا بالآيات المطهرة فان أنكروا
ان لا خذهم منها (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) فيعلمون ان قصتهم مثل قصته
يحاذرون مثل حاله لانفسهم كيف وهى حالة شنيعة اذ (ساء مثلا) ما مثل به (القوم الذين
كذبوا بآياتنا) فانهم يصورون يوم القيامة بصور الكلاب (و) لم يظلمهم الله بسلب
انسانيتهم بل (أنفسهم كانوا يظلمون) بابطال الانسانية عليها وانما سلبت انسانيتهم مع ان
الآيات لتكميلها لانها ليست هادية بانفسها بل (من يهد الله) لتحصيل الكمالات
(فهو المهتدى) لها بتلك الآيات (ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) لما عندهم من
الكمالات فضلا عن تحصيل ما ليس عندهم وراء كمالاتهم ثم أشار الى ان خسرانهم الكمالات
لخسرانهم أسباب تحصيلها وعدم كون الآيات هادية لهم مع انها انما تركت للهداية
لفقدانهم أسباب الاهتداء بها فقال (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن

(باب الدال المضمومة)
(قوله عز وجل ذلل) جمع ذلول وهو السهل الانقياد الذى ليس بصعب (قوله عز وجل فاسلكى سبل ربك ذللا) اى منقادة بالتسخير (قوله عز وجل ذرية) أى أولاد وأولاد أولاد قال بعض النحويين ذرية تقديرها فعلية من

حتى (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولدا (صالحا) أى مستويا (لنكونن من الشاكرين)
فقال لهما ابليس انى من الله بمنزلة ان دعوته جعل مثلك وسهل عليك خروجه فسميه عبد
الحرث وكان اسمه بين الملائكة الحارث تقبلا على ظن ان الحارث بالحقيقة هو الله فاراد ان
يوهم أولادهما كونهما مشركين ليتبعوهما وان لم يشعرا بذلك (فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتاهما) أى فى اسم ولد آتاهما من حيث لا يشعران به اذ سمياه عبد الحرث فتوهم
أولادهما ذلك (فتعالى الله عما يشركون) أى أولادهما (أيشركون) بخالق الاشياء
(ما لا يخلق شيئا و) ليسوا بقدماء بل حوادث اذ (هم يخلقون و) ليس لهم ما يمكن لهم من
نصر نفسه أو غيره اذ (لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون و) ليس فيهم قوة
الهدى بل (ان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) بل لا يسمعون دعاءكم حتى انه (سواء عليكم
دعاؤكم وسكوتكم بحيث تتحكرون عند دعائكم فى انهم (أدعوتموهم) فى وقت من
الاوقات (أم أنتم صامتون) أى مستمرون على السكوت (ان الذين تدعون) مع انهم
لا يستحقون الدعوة لكونهم (من دون الله) لو كان فيهم قوة النصر وقوة الهداية
فغايتهم انهم (عباد أمثالكم) واحد المثلين لا يستحق عبادة الآخر له فان كانوا أكمل
منكم (فادعوهم) أى ليؤثروا فان عجزوا عن التأثير (فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين) فى ان لهم كمالا مثل كمالكم أو أكبر منه وكيف تدعون لهم كمال التأثير مع انهم اجسام
لا تؤثر بدون الآلة (ألهم أرجل يمشون بها) ليصلوا الى الشئ فيؤثروا فيه (أم لهم أيد
يبطشون بها) أى يتصرفون فى الشئ عند الوصول اليه (أم لهم أعين يبصرون بها) فيؤثرون
فى المرئى بمجرد الرؤية (أم لهم آذان يسمعون بها) فيؤثرون فى المسموع بمجرد اتصاله فان
زعموا ان لها تأثيرا بأحد هذه الوجوه أو غيرها (قل ادعوا شركاءكم) ليؤثروا فى (ثم
ان عجزوا عنه لشعورى به (كيدون) بضرر لا أشعر به حتى يمكننى دفعه ولو جئتم الى
على كيدكم (فلا تنظرون) مدة اطلع فيها على كيدكم فان كان لها ذلك التأثير فلا
وان لم أشعر به (ان ولي الله) الذى لا يغالبه تأثير شئ ويدل على انه تولانى انه (نزل
على (الكتاب) الجامع لانواع التأثيرات وجمعه لانواع الحجج ورفع الشبه وغير ذلك
لا يتولانى (وهو) بحسب سنته (يتولى الصالحين) فلا يمكن أحدا من اذا
(والذين تدعون من دونه) لا يتولون أحدا اذ (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون)
اذا قصدا اضرارهم (و) لو تولوا فليس عندهم أجل فوائد التولى وهو الهداية
(ان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) اذ ليس لهم سمع وان صورت لهم الآذان
لهم (و) ان كنت (تراهم ينظرون اليك) اذ صورت لهم الاعين (وهم لا يبصرون)
واذا جادلوك فى شركائهم بعد هذا البيان (خذ العفو) مكان الغضب لكونه أقل
(وأمر) من توهمت فيه قبولها (بالعرف) أى التوحيد بدلائل
عن الجاهلين) أى المصرين على جهلهم (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) أى

لا عهد له وهو أن يلزم
الانسان نفسه زمانا أى
حقا يوجبه عليه يجرى
مجرى المعاهدة من غير
معاهدة ولا مخالفة (قوله
تعالى ذبح عظيم) يعنى
كبش ابراهيم صلى الله عليه
وسلم والذبح ما ذبح والذبح
المصدر (قوله ذكر لك
ولقومك) أى شرف

نخس

نفس من الشيطان اياك بشر الغضب منك على جهلهم واسائتهم فيما امرت فيه من العفو والامر بالمعروف (فاستعذ) أى استجر (بالله) وادعه فى دفعه (انه سميع) لدعائك ولوحال الغضب بل لا تحتاج الى الدعاء لانه (عليم) باستعاذتك بل لا حاجة لك الى الاستعاذة لكمال تقواك (ان الذين اتقوا اذا مسهم) خاطر (طائف) أى دائر حول القلب (من الشيطان تذكروا) ما فيه من المكر (فاذاهم مبصرون) لما غلب به الامر فى نفسه (واخوانهم) وهم الذين لم يتقوا لم يتأت لهم التذكر ولا ينفع فيهم الاستعاذة اذ الشياطين (يمدونهم) بتكثير الشبه والتزيين والتسهيل (فى الغى) أى الضلال (ثم) ان بولغ عليهم فى الوعظ بآيات الله واقامة الدلائل ورفع الشبه وغير ذلك (لا يقصرون) عن الغواية (و) يدل عليه انك (اذا لم تأتهم بآية) اقترحوها (قالوا لولا) أى هلا (اجتبيتها) أى انشأتها من اختيارك طريقة تشبه الاعجاز (قل) انها معجزة بالحقيقة ولا دخل لاختيارى فى انشائها بل (انما اتبع ما يوحى الى) بطريق الاعجاز ليعلم انها تصديق لى (من ربى) وكيف لا يكون تصديقا وليس فيه شئ من الاغواء اذ (هذا) الوحى (بصائر) أى امور كشفية يعلم المكاشفون انها (من ربكم وهدى) أى دلائل قطعية (ورحمة) ترفع شبه الكل بجميع ذلك انما يظهر (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فى حقائقه ومن أراد ذلك استمع له وانصت لذلك قال (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) معا سراً فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الامام فى الجهرية للاجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر فى غير الصلاة مع ان الامام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم (لعلكم ترحمون) بالاطلاع على اعجازه وفوائد العبر المتناهية فى الدنيا والآخرة ثم أشار الى ان تلك البصائر والهدى والرحمة لمستمع القرآن مع الانصات انما تتم بذكر الله فقال (واذكر ربك فى نفسك) أى باطنك (تضرعا) أى متضرعا بمعنى متذللا (و) يتم التذلل بكونه (خيفة و) باللسان فوق السر (دون الجهر من القول) ليسرى أثر كل واحد منهما الى الآخر فيجتمعا على الذكر ليكون ذاكرا بالكلية ويسرى منهما النور الى سائر الاعضاء (بالغدو) وقت ابتداء النور ليكمل (والآصال) وقت انتقاصه لئلا ينتقص (ولا تكن) فيما بين ذلك (من الغافلين) بالكلية بل لا بد وان تكون ذاكرا بالقلب وان اشتغل لسانك بالغير ولا تستغن بذكره عن عبادته فانه نوع من التكبر يحترزه أهل التقريب (ان الذين) تقربوا الى الله حتى صاروا (عند ربك) فى أعلى مقامات القرب (لا يستكبرون عن عبادته) لا يستغنون بعبادته عن ذكره بل (يسبحونه و) لا يدعون الكمال لانفسهم عند ذلك بل (له يسجدون) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانفال)

سميت بها لانها مبدأ هذه السورة ومنتهى ما ذكر فيها من أثار الحروب (بسم الله) الجامع

(باب الراء المفتوحة)
(قوله عز وجل الرحمن) ذو الرحمة لا يوصف به الا الله عز وجل (قوله عز وجل رحيم) عظيم الرحمة (قوله تعالى ريب) شك (قوله عز وجل رغدا) كثيرا واسعا بلا عناء (قوله عز وجل رفث) نكاح والرفث أيضا

اللطف والقهر باعطاء القوم نصرا وما لا وسلبهما من آخرين (الرحمن) بجميع الاطفال تعميما لرحمته بتهيئة المباشرين للحرب وغيرهم (الرحيم) بامرهم بالتقوى واصلاح ذات البين فيما روى انه عليه السلام قال يوم بدر من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر أسيرا فله كذا فسارع اليه الشبان فقتلوا سبعين وأسروا سبعين وبقى الشيوخ تحت الرايات فالتفع عليهم فقام الشبان يطلبون نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ كنا لكم ردأ وفئة تتحيزون اليها فلا تستأثروا به علينا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفريقين فنزل (يسئلونك عن الانفال) فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية لما رأى فيه مبطلا لحق الغانمين الذى جعله الله لهم وقال الشافعى لا يلزم الامام الوفاء بما وعد النفل من مال يشترطه الامام أو نائبه لمن يتعاطى فعلا مخطرا كتقدم طليعة أو تهجم على قلعة أودلالة على طريق باد والمعنى ان أصحابك الذين حقهم طلب الاجر الاخروى بالجهاد يتنازعون فى هذا المال حتى تحاكموا اليك يسئلونك من يستحقه (قل الانفال) ليست فى مقابلة الجهاد اذ غايته مقابلة الاجر الاخروى وهذه زائدة عليه شرعت عن ملك المشركين فصارت ملكا خالصا (لله و) رسوله خليفة فهى فى يدى (الرسول) يعطى باذنه من يشاء (فاتقوا الله) ان تتصرفوا فى ملكه بغير اذنه (واصلحوا ذات بينكم) أى حالة الوصلة الاسلامية بينكم فلا تقطعوها بما ليس لكم (واطيعوا الله ورسوله) لو كانت لكم (ان كنتم) له (مؤمنين) أى جارين على مقتضى الايمان من التقوى والاصلاح والاطاعة ثم أشار الى ان الجريان على مقتضى الايمان لا يحصل بدون التقوى التى هى مرجع الباقين فقال (انما المؤمنون) أى الجارون على مقتضى الايمان هم (الذين اذا ذكر الله) أى حقه (وجلت) أى خافت من هتكه (قلوبهم) فينبه بها سائر أعضائهم (واذا تليت عليهم آياته) الدالة على ما عنده لمن خاف هتك حرمته (زادتهم ايمانا) أى طمأنينة بما عنده فلا يؤثرون عليه شيأ (و) كيف يؤثرون عليه شيأ ولا يتوكلون عليه بل (على ربهم يتوكلون) والمتوكلون عليه هم (الذين يقيمون الصلوة) بلا وسوسة وهى أعظم أسباب التقرب الى الله تعالى (و) لدفع الوسوسة الناشئة من حب المال (مما رزقناهم ينفقون) فى سبيلنا ايثارا لجنابنا عليه (أولئك) المؤثرون حب الله على حب ما سواه (هم المؤمنون حقا) أى الجارون أعلى مراتب الايمان (لهم درجات عند ربهم) بدل درجات الاموال عندنا الدال على ان الاموال من أسباب المعاصى (و) هؤلاء لخروجهم عن حبها لهم (مغفرة و) لا يفوتهم الرزق المطلوب من الاموال بل لهم (رزق كريم) يخدمهم به الملوك ومن دونهم لتقربهم الى الله بالصلاة والتبرى من محبة المال ثم أشار الى ان حصول تلك الدرجات والمغفرة والرزق الكريم لهم مع كراهة فريق منهم فوات النفل كحصولها للخارجين من المدينة الى بدر مع كراهة فريق منهم القتال وفوات العير فقال (كما أخرجك) أى للمؤمنين حقا ما ذكر كما هو لك ولاصحابك حين أخرجك (ربك) الذى رباك بالنبوة ليربيك بالنصر على وجه الاعجاز (من بيتك) أى من المدينة التى لا نفال

الافصاح بما يستحيا أن يكنى عنه من ذكر النكاح (قوله عز وجل وقوف) شديد الرحمة (قوله تعالى الراسخون فى العلم) الذين رسخ علمهم وايمانهم وثبتا كما رسخ النخل فى منابته (قال أبو عمر سمعت المبرد وثعلبا يقولان معنى قوله عز وجل والراسخون فى العلم

نيه الى بدر للقتال (بالحق) أى بالوحى الموافق للحكمة باظهار المعجزة فى نصرك من غير أهبة (وان فريقا من المؤمنين) الذين مقتضى ايمانهم امتثال أمر الله وان لم يظهر لهم فيه فائدة (لكارهون) لامتثال أمره بالجهاد لعدم تأهبهم حتى انهم (يجادلونك فى) الجهاد (الحق بعدما تبين) انهم ينصرون فيه على خرق العادة (كأنما) فى التسيير اليه (يساقون الى الموت) سوق الدواب الى الذبح (وهم ينظرون) الموت قبل الوصول الى مكانه وذلك ان عير قريش فيها أربعون راكبا وفيهم أبو سفيان اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة فاخبر جبريل رسول الله عليهما السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا الى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ ببطن الوادى يامعشر قريش هذه أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث فخرجوا الى بدر وكان عليه السلام بوادى دفران فنزل عليه جبريل بعدة احدى الطائفتين فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير فقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب عليه السلام فقال المقداد بن عمرو يارسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد مدينة بالحبشة لجالدنا معك من دونه فقال عليه السلام له خيرا ودعا له ثم قال عليه السلام اشيروا على أيها الناس يريد الانصار القائلين له حين بايعوه على العقبة انا برآء من كل ذمامك حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصره الا على عدو دهمه بالمدينة فقال سعد بن معاذ لكانك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما امرت فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف عنك منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى الآن احدى الطائفتين فو الله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم فهذه كراهتهم للقتال (و) أما كراهتهم لذوات العير فهى (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير أو النفير (أنها) مقهورة (لكم وتودون) أى تحبون (ان) العير لكونها (غير ذات الشوكة) أى الحدة مستعار من واحد الشوك (تكون لكم ويريد الله) بجعل النفير لكم (أن يحق الحق) أى يثبت النبوة (بكلماته) من غير أهبة منكم (و) لم يرد عليه ما لكم بل أراد ان (يقطع دابر الكافرين) أى يستأصلهم فلا يترك لهم من يخلفهم وانما فعل ذلك (ليحق الحق) أى ليثبت الدين الصادق باظهار المعجزات (ويبطل) الدين (الباطل) باستئصال أهله مع ظهور شوكتهم وليس لموافقة طائفة منهم فى الباطن بل (ولو كره المجرمون) كلهم فعل ذلك

المتذاكرون بالعلم وقالا لاتذاكر بالعلم الاجابة (قوله رمزا) الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير ابانة بصوت وقد يكون اشارة بالعين والحاجبين (قوله تعالى ربانيون) كاملو العلم قال محمد بن الحنفية رضوان الله عليه حين مات ابن عباس رضى الله

(اذتستغيثون ربكم) وهوانه عليه السلام نظرالى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم
ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومديديه ودعا اللهم أنجز ما وعدتنى اللهم ان تهلك
هذه العصابة لاتعبد فى الارض فمازال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يانبى الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) لصدق استغاثتكم بامرهو
مراده (انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) أى تابعين للمشركين هذا اذا كسر
وان فتح فمعناه مجعولين مقدمة أوساقة والزيادة المذكورة فى غيرهذه الآية لمجرد التضعيف
(وماجعله الله) أى الامداد (الا) لتستبشروا الكونه (بشرى) لكم بانكم أهل الامداد
السماوى (ولتطمئن به قلوبكم) لاللنصر اذلا اثر للاسباب وان جرت سنته بالفعل عندها
(و) لكن (ماالنصر الامن عندالله ان الله عزيز) أى غالب على الاسباب فله ان يفعل
بخلاف مقتضاها لكنه لايخالفها الالانه (حكيم) ويدل على كونه لطمأنينة انه كان (اذيغشيكم)
أى يغلبكم (النعاس) أى النوم الذى يسلب عن الخائف فكان (أمنة منه و) من اعتنائه
بكم الدال على نصره اياكم انه (ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة
لتناسبوا وتستفيضوا منه الصبر فيفيضه عليكم هذا فى الظاهر (و) فى الباطن (يذهب
عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته وذلك انهم كانوا نازلين فى كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان
وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين جنبا وتزعمون انكم
أولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله تعالى المطر ليلا حتى جرى الوادى وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤا (و) يدل على اذهابه رجز الشيطان انه كان (ليربط على قلوبكم)
الوثوق على لطف الله وهذا تثبيت للباطن (ويثبت به الاقدام) على الرمل لتلبده فى الظاهر
وقد ثبتها فى المعركة بامداده عز وجل اياها بالملائكة (اذيوحى ربك الى الملائكة انى معكم)
انصركم على الشياطين الموسوسة (فثبتوا الذين آمنوا) بدفع الوسواس ولا امكن الشيطان
من تقوية قلوب المشركين بل (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) اى الخوف من رؤية
الملائكة ولاتقتصروا على تخويفهم بل قاتلوهم (فاضربوا) اى فاقطعوا اعناقهم وتم
السيوف (فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى طرف قال ابن عباس اشتد رجل
من المسلمين اثر رجل من المشركين فاذا هو قد خر مستلقيا امامه قد خطم انفه وشق
فى وجهه كضربة السوط فاخبر به جبريل عليه السلام فقال صدقت ذلك من مدد السماء
الثالثة (ذلك) وان بعد عادة لايبعد حكمة لكونه (بانهم شاقوا) أى عادوا (الله) فلايبعد
أن ينزل عسكر من جانب سمائه كيف (و) قد عادوا (رسوله) وعداوة الرسول عداوة المرسل
(و) لايبعد أمرهم بالضرب فوق الاعناق وضرب كل بنان لانه نوع من الشدة التى
يستحقها أعداء الله ورسوله فان (من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) وشدة
عقابه وان كان مختصة بالآخرة فلابد فى الدنيا من مثال لها يدل عليها فيكون (ذلكم)

عنه اليوم مات ربانى هذه الامة وقال ابو العباس ثعلب انما قيل للفقهاء الربانيون لانهم يربون العلم أى يقومون به (وقال ابو عمر عن ثعلب العرب تقول رجل ربانى وربى اذا كان عالما عاملا) • (قوله عز وجل وابطوا) أى اثبتوا ودوموا واصل المرابطة

مثالها

مثالها ودليلها ولا تتم دلالته الا بالذوق (فذوقوه) هو وان كان مثالا لها فليس قائما مقامها لذلك (وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اعتقاد أن النصر من عند الله وانه ناصر لاوليائه وأن له شدة على أعدائه لذلك (اذا لقيتم الذين كفروا) فرأيتموهم من كثرتهم كأنهم يمشون مشي الصبيان فيزحفون على مقاعدهم (زحفا فلا تولوهم الادبار) أى الظهور بالانهزام (ومن يولهم يومئذ) فيه اشارة الى أنه يجوز توليتهم الظهور فيما الا يقيدهم قهرا على الاسلام (دبره الا متحرفا) أى قاصد الرجوع اليهم (لقتال) بعد ايهامهم الانهزام (أو متحيزا) أى صائرا (الى) مكان (فئة) أى جماعة قريبة ليتبعه العدو فيستعين بهم (فقد باء) أى رجع (بغضب من الله) مناسب لعظمته لانه ضيع نصر الله له وأفاد العدو الشاهرية بعدما استشعروا المقهورية (ومأواه جهنم) لكونه سبب قتل المسلمين أو صار كقاتلهم أجمعين (و) هو وان لم يوجب الخلود فهو (بئس المصير) كيف وهو كالتكذيب لكون النصر من عند الله بقدرته على خرق العادة (فلم تقتلوهم) اذ لم يتم بسلاحهم ضربكم (ولكن الله قتلهم) على أيدى الملائكة (وما رميت) رميا موصلا للتراب الى أعينهم (اذ رميت) التراب الى جهتهم (ولكن الله رمى) رميا موصلا اليها بعد رميك فعل ذلك ليقهرهم (و) لكن أمر به المؤمنين (ليبلى المؤمنين منه) لا بلاء قهر عليهم بل (بلاء حسنا) بالنصر والغنيمة وانما ابتلاهم ليدعوه فيتذللوا له ويشكروا ويمدحوه عند رؤية حسنه (ان الله سميع) لمن دعاه (عليم) من شكره (ذلكم) كيف لا يكون بلاء حسنا (و) لا يكون هذا الابتلاء ابتلاء قهر بمكر الكافرين بل يزداد بمكرهم حسنا (أن الله موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) كيف ولا ينبذهم كيدهم شيأ فانه (ان تستفتحوا) أيها المشركون بكيدكم (فقد جاءكم الفتح) بقتلكم وأسركم فاله تهكما بهم (و) كيف ينبذكم كيدكم مع انكم (ان تنتهوا) عن كيدكم (فهو خير لكم) اذ لا يستأصلكم الله حينئذ (و) لا تتوهموا أنه ان لم يقتلكم مرة يقتلكم أخرى بل (ان تعودوا) الى الكيد (نعد) الى الاستئصال (ولن تغنى) أى ان تدفع (عنكم) الاستئصال (فئتكم) أى جماعتكم (شيأ) من الغنى (ولو كثرت) كيف (وأن الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة ولا يكون الا قهركم وانما يكون مع المؤمنين اذا أطاعوه ولذلك قال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) وانما تتأتى اطاعته باطاعة رسوله لذلك قال (و) أطيعوا (رسوله) واطاعتهما بترك التولى عما يسمع من كلامهما فقال (ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) ثم أشار الى أنه ليس مقتضى الايمان وحده بل مقتضى الانسانية أيضا فقال (ان شر الدواب) كما يكون عندكم فاقد الحواس يكون (عند الله الصم) عن سماع كلماته فان سمعوا فهم (البكم) عن النطق بها فان نطقوا فهم (الذين لا يعقلون) ليعملوا بمقتضاها (و) تلك الشرية من لوازم ذواتهم اذ (لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) سماع قبول فانه أدنى وجوه

والرباط أن يربط هؤلاء خيولهم ويربط هؤلاء خيولهم فى الثغر كل يعد لصاحبه فسمى المقام بالثغور رباطا (قوله تعالى وثيابك فطهر) (ربائبكم) بنات نسائكم من غيركم الواحدة ربيبة (قوله عز وجل راعنا) فاعلنا من راعيت الرجل

الخيرية الخارجة من الحيوانية الى الانسانية (و) لكن ليس فيهم هذا الادنى حتى انه (لو أسمعهم) مع علمه بعدم الخيرية فيهم (لتولوا) أى أعرضوا عنه لجهلهم كغير المزرع كيف (وهم معرضون) أى معتادون للاعراض لانه مقتضى ذواتهم ثم أشار الى أن السماع وان كان أدنى وجوه الخيرية فهو المستلزم لسائر وجوهها لاقتضائه الاعمال التى تفيد حياة القلب التى بها الانتفاع لسائر وجوه الخيرية فقال (يا أيها الذين آمنوا) اى بمقتضى ايمانكم بحياة القلوب الحاصلة من استجابة الله ورسوله التى هى مقتضى ايمانكم (استجيبوا لله وللرسول) بالعمل بمقتضى ما سمعتم من الكتاب والسنة (اذا دعاكم) باحدهما (لما يحييكم) أى للاعمال التى تحيي قلوبكم بنوره (واعلموا أن الله) اذا لم تستجيبوا له لم يفض الحياة على قلوبكم بل (يحول) أى يوقع حائل الحجاب (بين) روح (المرء وقلبه) فلا تصل الحياة من روحه الى قلبه فضلا عن أن تصل من الله اليه (وأنه) لا يترككم فى الحجاب بحيث تغفلون عنه بل (اليه تحشرون) ليظهر لكم كونكم محجوبين عن كمالاتكم التى من حياة الحياة الانسانية بالله (واتقوا) فى ترك الاستجابة وبالها يحول بين المرء وقلبه (فتنة) أى عذابا دنيويا بأعمال اقتضاها (لا تصيبن الذين ظلموا) بترك الاستجابة (منكم خاصة) بل تعمهم ومن لم ينههم (واعلموا أن الله) مع ذلك (شديد العقاب) لتارك الاستجابة فى الآخرة (واذكروا) اذ منعكم ضعفكم عن استجابة الله والنهى عن تركها (اذ أنتم قليل) ومع قلتكم استجبتم لله ولم تتركوا على ضعف القلة بل زادوكم اضعافا فانتم (مستضعفون) أى مقهورون على اضعاف الناس اياكم لعدم تمكنكم (فى الارض) وان كنتم أقوياء فى الامور السماوية لاستجابتكم لله ومع تلك القوة كنتم (تخافون أن يتخطفكم الناس) أى يلتقطكم التقاط الطائر للحبات فأزالت استجابتكم لله الخوف عمن هو دونه (فآواكم) أى جعل لكم مكانا تتحصنون به (و) لم يقتصر عليه بل جعل لكم الغلبة عليهم اذ (أيدكم بنصره) لم يصرحكم اليهم ليغلبوكم بمنع سوانحكم اذ (رزقكم من الطيبات) أى من الغنائم (لعلكم تشكرون) باستزادة الاجابة والاستدامة عليها وعلى النهى عن تركها فانه سبب لمزيد الحسن ومزيد التأييد بالنصر ورزق الطيبات ثم الشكر سبب آخر للمزيد ثم أشار الى أن الاستضعاف انما يزول بالاستجابة لا بالخيانة وانها ليست سبب رزق الطيبات والنصر والايواء وان كانت من شخص أجله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم العهد لله ولرسوله والمؤمنين (لا تخونوا الله والرسول) بتضييع شئ من الاوامر والنواهى وبث شئ من الاسرار (و) لا (تخونوا أماناتكم) أى ما ائتمنكم فيه أحد من اخلاق من مال أو أهل أو سر (وأنتم تعلمون) غاية قبحها بحيث يمتنع اجتماعها مع غاية الحسن الذى هو مقتضى الايمان نزلت فى أبى لبابة حين حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة فسألوه أن يصالحهم كما صالح اخوانهم من بنى النضير على أن يسيروا الى أريحا وأذرعات فأبى الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل الينا أبا لبابة وكان عندهم ماله وأو

اذا تاملته وتعرفت أحواله فكان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا وكان اليهود يقولونها وهى بلغتهم سب فامر الله عمر رجل المسلمين أن لا يقولوها حتى لا يقولها اليهود وراعنا اسم متوز ماخوذ

هل

هل تنزل على حكم سعد فأشار الى حلقه بأنه الذبح قال فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله ورسوله فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لاأذوق طعاما ولاشرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه فتاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لاأحلها حتى يحلنى رسول الله فحله (واعلموا) اذا أردتم الخيانة لحفظ الاموال والاولاد أوترك الاستجابة أوترك النهى عن تركها (أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى ابتلاء من الله هل تنعون بهما فى الخيانة أوتتركون لهما الاستجابة أوالنهى عن تركها (وأن الله عنده أجر عظيم) أجل مما فات منهما بالاستجابة والنهى عن تركها أو بترك الخيانة ثم أشار الى أن من ترك الخيانة واستجاب الله ونهى عن تركها فلا يخاف على أهله وماله وعرضه فقال (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بمقتضى ايمانكم فتركتم الخيانة واستجبتم لله ونهيتم عن تركها (يجعل لكم فرقانا) ماتفارقون به سائر الناس من المهابة والاعزاز فلا يجترئ أحد على أهلكم وأموالكم واعراضكم (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى قبائحكم التى تحتاجون فى دفع العار بها الى الخيانة وعدم الاستجابة أوترك النهى عن تركها (ويغفر لكم) اساءتكم الى الناس اذا فاتلوكم فى الاستجابة أوقاتلتموهم فى النهى عن تركها والديون التى عليكم مما تحتاجون الى الخيانة فى أدائها (و) لاتخافوا الوفاء تكم شئ من ذلك اذ (الله ذو الفضل العظيم) يتفضل عليكم بما يسد عليكم الحوائج ويبدل ذلكم عزا ثم أشار الى أن المتقى كما يجعل الله فرقانا يمنع من الاجتراء على أهله وماله وعرضه ظاهرا يمنعه من مكر من مكر به بل يمكر له على ما كره فقال (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) أى يحبسوك فى بيت يسدون منافذه الا كوة يلقون منها طعامك وشرابك حتى تموت وهذا رأى أبى البخترى بن هشام اعترض عليه ابليس دخل عليهم حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون فى أمره حين سمعوا بايمان الانصار فأتاهم فى صورة شيخ من نجد فقال بئس الرأى لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويأخذوه من ايديكم (أو يقتلوك) وهذا رأى أبى جهل قال أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فتضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى قبائل فلا يقوى بنوهاشم على قتال جميعهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فاستحسنه ابليس (أو يخرجوك) قاله هشام بن عمرو فاعترض عليه ابليس بأنكم تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه لئن فعلتم ذلك يستميل قوما آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فأتى به جبريل وأخبره الخبر وأمره أن لايبيت فى مضجعه فقال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ان يلزم مضجعه متسجيا ببرده فلا يصل اليه منهم ما يكرهه ثم خرج عليه السلام وأخذ قبضة من تراب فأخذ الله بأبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لايبصرون ومضى مع أبى بكر الى الغار وبات

من الرعونة أى لايقولوا عنا وجهلا (قوله عز وجل الرجفة) أى حركة الارض يعنى الزلزلة الشديدة (قوله عز وجل رجت الارض) أى (قوله عز وجل رعد) أى زجر روى عن

المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبي فلما أصبحوا ساروا إليه ليقتلوه فرأوا عليا
فقالوا أين صاحبك فقال لا أدري فاتبعوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا نسج العنكبوت على
بابه فقالوا لو دخل لم يبق لنسج العنكبوت أثر فمكث فيه ثلاثا وخرج (ويمكرون) في حق
سائر المسلمين (ويمكر الله) أي يدبر بخفية ما يبطل مكرهم في حقهم (والله خير الماكرين)
أي أعظمهم تأثيرا (و) كيف لا يمكر الله عليهم وهم يمكرون على آياته فإنه (إذا تتلى عليهم
آياتنا) المشيرة إلى عظمتنا لعجز غيرنا عنها (قالوا قد سمعنا) مثل هذا من قبل (لو نشاء
لقلنا مثل هذا) وإن لم يبلغ هذا أولئك البلغاء ولا اعتبار فيها بإخباره عن الغيب (إن
هذا إلا أساطير الأولين) أي أخبار كاذبة سطرها الأولون وهذا منهم مع إيثارهم المقاتلة
بالسيوف على معارضة الحروف وعلمهم بأن أخباره موافقة لكتب الأنبياء المتقدمين
وما تواتر عنهم (وإذ قالوا) عندما ألزموا الإعجاز الدال على حقيته (اللهم إن كان هذا) الكلام
الذي من جملته الإخبار (هو الحق) المخبر بحيث يعلم كونه (من عندك فأمطر علينا)
ما دمت تامعك (حجارة) ترجمنا بها على أشد الوجوه ولا ... أمدا
العالية (من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) أبلغ في الإيلام من الأحجار فقال تعالى دفعا
لتوهم أنه لو كان حقا لعجل لهم العذاب (وما كان الله ليعذبهم) وإن تحقق سبب
وقوعه على السوء من استعجالهم إياه على أشد وجوه المعاندة مع الله والمكر بعباده (وأنت
فيهم) أي في مكانهم لأنه لو نزل فيه لأصاب كل من كان فيه (وما كان الله معذبهم) وإن
أمكنه دفعا منه العذاب النازل في مكانهم (وهم يستغفرون) أي يتوقع منهم الاستغفار
ثم أشار بأن المانعين المذكورين إنما هما من العذاب الدنيوي دون الأخروي فقال
(وما لهم ألا يعذبهم الله) على ذلك (و) قد استحقوه على ما هو أدنى منه إذ (هم يصدون
عن المسجد الحرام) مع أنهم لا يستحقون صرف أحد عنه لأنه إنما يستحقه من كان وليه فإن له
أن يصد عنه عدوه (وما كانوا أولياءه) ولا المؤمنون أعداءه بل الأمر بالعكس لأنه
(إن أولياؤه إلا المتقون) فلهم أن يصدوا المشركين عنه (ولكن أكثرهم لا يعلمون)
أنهم المصدودون (و) ليسوا بصلاتهم أولياءه لأنه (ما كان صلاتهم عند البيت) الذي يتوجه
فيه المصلون لغاية حرمته (إلا) مبطلة لحرمته لكونها (مكاء) صفيرا (وتصدية) أي تصفيقا
وتسميتهم ذلك صلاة كفر (فذوقوا العذاب) على الصلاة التي ادعيتم بها ولاية البيت
(بما كنتم تكفرون) ثم أشار إلى أن صدقاتهم أيضا كفر فقال (إن الذين كفروا ينفقون
أموالهم) على نهج الصدقة (ليصدوا عن سبيل الله) الذي يطلب بالصدقة قطعه للوصول
إلى الغاية المطالب كالمطعمين يوم بدر وهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف
وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر والعباس بن عبد المطلب كان يطعم كل واحد منهم
يوما عشر جزور (فسينفقونها) بلا فائدة دنيوية ولا دينية (ثم) إذا اطلعوا على كونها

النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله عز وجل
ينشئ السحاب فينطق
أحسن النطق ويضحك
أحسن الضحك فنطقه
الرعد وضحكه البرق وقال
ابن عباس الرعد ملك
اسمه الرعد وهو الذي
تسمعون صوته والبرق

بلا

بلافائدة (تكون عليهم حسرة ثم) لايقتصر فى حقهم على حسرة عدم الفائدة بل يزاد
فيها حيث يعكس عليهم مطلوبهم اذ (يغلبون و) لايقتصر على مغلوبيتهم بل (الذين
كفروا) أى ماتوا على الكفر منهم وهم غير العباس وحكيم بن حزام (الى جهنم) لاالى غيرها
كشهداء المسلمين (يحشرون) أى يساقون وانما حشروا الى جهنم وشهداء المؤمنين الى
الجنة (ليميز الله) القبيل (الخبيث من) القبيل (الطيب ويجعل) العمل (الخبيث) لقبيل
الخبيث من الانفاق وغيره (بعضه على بعض) بلا فرجة بين العالى والسافل (فيركمه) أى
يكثفه (جميعا) ليزداد اثقالا (فيجعله فى جهنم) على رأسه لتضعيف العذاب عليه دائما
بلا تخفيف اذ (أولئك) العداء فى رتبة جمع الخبائث (هم الخاسرون) وجوه الخيرات التى
بها التخفيف فان زعموا أن هذه الخبائث المتراكمة لاترتفع بالاسلام وحده فلافائدة فيه
(قل للذين كفروا) أى ثبتوا على الكفر لروية عجزهم عن دفع خبائثهم المتراكمة (ان
ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) من الخبائث المتراكمة وغيرها فان نور الاسلام اذا قوى على
اذهاب ظلمة الكفر فهو أقوى على اذهاب سائر الظلمات (وان يعودوا) الى الكفر والخبائث
بعدما سول عليهم ازالتها فكأنهم ما أزيلت عنهم لم يؤخر أمرهم الى الآخرة (فقد مضت سنت
الاولين) بصب العذاب الدنيوى على المعاندين (و) لولم يعجل عذابهم (قاتلوهم حتى لاتكون)
أى لاتوجد (فتنة) اى اضلال لمن بعدهم (ويكون الدين كله لله) فلايسقط الجهاد
مادام أحد على دين باطل (فان انتهوا) بالقتال عن الكفر والخبائث ظاهرا (فان الله
بما يعملون) بواطنهم (بصير وان تولوا) اى أخذوا الى مقاتلتكم أولياء من الكفار
(فاعلموا أن الله مولاكم) أى حافظكم عنهم وناصركم عليهم (نعم المولى) أى الحافظ فلا
يضيع من تولاه (ونعم النصير) لايغلب من نصره (و) من توليه لكم قسمة الغنائم بجعل بعض
أقسامها لمن هو سبب نصركم فهى من نصره اياكم وتوليه لكم (اعلموا أنما غنمتم من شئ) قل
أو كثر وهى ما أخذ المسلمون عنوة من الكفار (فان لله) الذى منه النصر المتفرع عليه
الغنيمة (خمسه) كخمس الركاز شكراله على نصره واعطائه الغنيمة باخراج جزء منها
(و) ذلك الخمس يعطى خواص عباده فيعطى خمس منه (للرسول) الذى هو الاصل فى أسباب
النصر والامام بعده يصرفه فى المصالح كرزق نفسه وأهله والولاة والعلماء والأئمة والمؤذنين
وسد الثغور والاسلحة وغير ذلك (و) آخر (لذى القربى) بنى هاشم والمطلب لاعبد شمس
ونوفل لانهم قاربوه فى سببية النصر لعدم خذلانهم اياه فى الجاهلية والاسلام (و) آخر حق
(اليتامى) من مات آباؤهم ولم يبلغوا لانهم ضعفاء فلهم أثر فى النصر ويشترط فيهم الفقر
(و) آخر حق (المساكين) لانهم أيضا ضعفاء كاليتامى (و) آخر حق (ابن السبيل) وهو
المسافر لان دعاءه أقرب الى الاجابة لكونه بظهر الغيب فله دخل فى النصر وانما قدرنا
كذلك لئلا يلزم تسديس الغنيمة مع حرمان الغانمين أو جعل الخمس لله والاربعة الخمسة مع
حرمان الغانمين أيضا ولاقائل به والاربعة الباقية من أصل الغنيمة لاهل الوقعة للفارس

وط من نور يزجر به
الملك السحاب وقال أهل
اللغة الرعد صوت
السحاب والبرق نور وضياء
يصحبان السحاب (قوله عز
وجل رابيا) عاليا على
الماء (قوله تعالى ردوا
أيديهم فى أفواههم) أى
عضوا أناملهم حنقا

ثلاثة أسهم ولغيره واحد (ان كنتم آمنتم بالله) فمقتضى الايمان بالله الشكر على نصره واعطائه
الغنيمة (وما أنزلنا) من النصر (على عبدنا) المناسب لقسمتنا عليه فهو الاصل فى النصر
و يقاربه أقاربه ثم الضعفاء (يوم الفرقان) أى يوم بدر الفارق بين أهل الحق والباطل مع
ضعف الاولين وقوة الآخرين فى الظاهر فاثر أثر القسمة فى النصر (يوم التقى الجمعان)
فلابد من اعطاء الضعفاء (و) لا يبعد من الله أن يجعل النصر أثر الضعف والقهر أثر القوة
اذ (الله على كل شئ قدير) وقد زاد ضعفكم (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) أى بشفير الوادى
الاقرب من المدينة (وهم بالعدوة القصوى) أى شفير الابعد (و) زادكم ضعفا آخر انقطاع
رجائكم من الركب اذ (الركب) أبو سفيان وأصحابه (أسفل منكم) أى ساحل البحر
بقدر ثلاثة أميال من بدر (و) قد بلغ ضعفكم الى حيث (لو تواعدتم) القتال (لاختلفتم فى
الميعاد) هيبة منهم و يأسا من الظفر (ولكن) جمع الله بينكم (ليقضى الله أمرا) من نصر
أوليائه وقهر أعدائه (كان مفعولا) أى كالواجب فعله لان فى نصركم مع ضعفكم وقهرهم
مع قوتهم دليلا على قوة دينكم وضعف دينهم كما قال (ليهلك) أى يظهر هلاك دين (من هلك)
بهلاك دينه (عن بينة) أى دليل ظاهر (ويحيى) أى وليظهر حياة دين (من حى) بحياة دينه
(عن بينة و) لا يضر فى التبيين عناد المعاندين (ان الله لسميع) اعتذارهم (عليم) بما يقطعه
لكنه لم يقطعه عنهم ابقاء للتلبيس عليهم لاقتضاء الحكمة اياه كالتلبيس عليكم (اذ يريكهم
الله فى منامك قليلا) لتخبر أصحابك بقلتهم فتقوى قلوبهم على محاربتهم ولما كانوا اذليلين
بالقهر كانوا قليلين فى المعنى (و) الحكمة فى التلبيس أنه (لو أراكهم كثيرا لفشلتم) أى جبنتم
(و) لو لم تتفقوا على الجبن (لتنازعتم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر الاقدام والاحجام
ومثل هذا التلبيس لا يمتنع على الحكيم وانما هو التلبيس الذى يضر بالملبس عليه ولم
يضركم به (ولكن الله سلم) الملبس عليه عن الفشل والتنازع الذى علم من أخلاق الملبس
عليه (انه عليم بذات الصدور) أى بالاخلاق التى هى صواحبات الصدور (و) لم يقتصر
على التلبيس المنامى بل لبس فى اليقظة أيضا لتبقى جراءة أصحابك (اذ يريكموهم) لا عن بعد
بل (اذ التقيتم فى أعينكم) لا فى خيالكم أو الحس المشترك منكم على ما فى المنام (قليلا
و) قد لبس عليهم أيضا فى اليقظة لئلا يهربوا اذا رأوا كثرتكم اذ (يقللكم فى أعينهم) فى
اليقظة لا لغرض التلبيس المضر بالملبس عليه بل (ليقضى الله أمرا) من اظهار الخوارق
الدالة على صدق دين الاسلام وكذب دين الكفرة وهو واقع على الاطلاق لذلك (كان مفعولا)
أى كالواجب فعله على الحكيم لما فيه من الخير الكثير (و) لا يبعد ايجاد الخوارق اذ لا تأثير
للاسباب بل (الى الله ترجع الامور) لا الى الاسباب فلا يبعد ايجاد شئ على خلاف مقتضاها
(يا أيها الذين آمنوا) بأن الله قادر على النصر مع الضعف وقد دل لاظهار صحة دين الاسلام
لا تضعفوا عند المحاربة بل (اذا لقيتم فئة) أى جماعة من العدو (فاثبتوا) لقتالهم بالقوة
(و) لا تعتمدوا على ثباتكم بل (اذكروا الله) الثابت من الازل الى الابد ليفيض عليكم

وغيظا بما أتاهم به الرسل واذا كقوله عز وجل واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقيل ردوا أيديهم فى أفواههم أى أومؤا الى الرسل أن اسكتوا (قوله رواسى) أى ثوابت يعنى جبالا (قوله عز وجل رجالا) أى رجالتك

الثبات المستمر ولايكفي فيه القليل فاذكروه (كثيرا) بحيث يحضركم رعاية الذكر (لعلكم تفلحون) بفيضان الثبات المستمر (و) هذا الفلاح منوط بطاعة الله ورسوله لذلك (أطيعوا الله ورسوله و) يمال الطاعنهما التنازع لذلك (لاتنازعوا) باختلاف الآراء (فتفشلوا) أى تجبنوا اذلايتقوى بعضكم ببعض (وتذهب ريحكم) أى القوة التى تنفذ من البعض فى البعض نفوذ الريح (واصبروا) على مخالفة أهوائكم الداعية الى التنازع فالصبر مستلزم النصر (ان الله مع الصابرين) بالنصر ثم أشار الى أن طالب النصر من الله يجب أن يكون خروجه من بيته لله ويستمر عليه الى حين القتال فقال (ولاتكونوا كالذين) أى متشابهين اياهم فى توجه فضلا عن أن تتصفوا بصفتهم (خرجوا من ديارهم) وان غيروا نيتهم حين القتال لكن يكون للاولى أثر (بطرا) أى فخرا بالشجاعة (ورئاء الناس) طلب الثناء بها (و) كيف لايكون لهذه النية أثر وهم (يصدون) أنفسهم بها (عن سبيل الله) والنية فى أول الامر تؤثر فى جميعه وكيف تطلبون بهذه النية النصر من الله (والله بما تعملون محيط) فيحيط بكم جزاؤه فلايبقى للنصر الذى هو جزاء قصد سبيل الله (و) اعتقاد كون البطر والرئاء من أسباب النصر انما هو من تزيين الشيطان فاذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التى هى أسباب القهر فأراها اياهم أسباب النصر (و) بالغ فى وعد النصر اذ (قال) متصورا بصورة سراقة ابن مالك حين ذكرت قريش مابينهم وبين بنى بكر من الحروب (لاغالب) أحد دائما (لكم) عن مرادكم (اليوم من الناس وانى جار) أى مجير (لكم) قاله قبل اجتماع العسكرين (فلما تراءت الفئتان) أى رأت كل واحدة صاحبتها من بعد فرأى الملائكة نازلة من السماء (نكص على عقبيه) أى ولى هاربا على قفاه وكانت يده فى يد الحرث بن هشام فدفع فى صدره (وقال انى برئ منكم) أى من عهد جواركم (انى أرى) من الملائكة النازلة لامداد المؤمنين (مالاترون انى أخاف الله) أن يعذبنى قبل القيامة (و) لايبعد مع امهاله الى اذ (الله شديد العقاب) فالامهال انما يكون باعتبار العذاب الاخروى الذى هو أشد من الدنيوى الموعود لاهل عداوة المؤمنين اليوم فانهزم الناس فلما رجعوا الى مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فبلغه فقال قد بلغنى أنكم تقولون هزمت الناس فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه كان الشيطان وانما قال الشيطان لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم حين رأى الضعف فى المؤمنين (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف ايمان (غر هؤلاء) القائلين مع ضعفهم (دينهم) نظنوا أنه ينصرهم (و) يكفيهم من دينهم فى نصرهم توكلهم فان (من يتوكل على الله) ينصره على اضعافه بالغين ما بلغوا (فان الله عزيز) أى غالب على ما أراد ولابد أن يريد نصر أوليائه لانه (حكيم) والحكمة تقتضى نصرهم ثم أشار الى أنه لاغرور فى أن يموت شهيدا بل فى ان يحيى كافرا فقال (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا) ولو بعد ما فازوا بمقدار من الحياة الدنيوية (الملائكة يضربون) بسياط من النار قبل وصولهم الى النار والقيامة (وجوههم) ما أقبل

(قوله ورجل الرقيم) لوح فيه خبر اصحاب الكهف ونصب على باب الكهف والرقيم الكتاب وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه كتاب مرقوم أى مكتوب ويقال الرقيم اسم الوادى الذى فيه الكهف

منهم (وأدبارهم) يقولون لهم ضما العذاب العقلى الى الحسى (ذوقوا) من ضربنا اياكم (عذاب الحريق) أى النار الملتهبة فى براحاتكم وليس ذلك مبالغة بل (ذلك) الضرب الشديد (بما قدمت) الى الله تعالى (أيديكم) من الكفر والمعاصى الموجبة لغضب الله (و)هو وان اشتد غضبه لا يظلمكم (ان الله ليس بظلام للعبيد) وان بالغ هذه المبالغة فى تشديد العذاب ولا يبعد هذا الضرب من الملائكة قبل القيامة فان غايته أنه تعذيب دنيوى فهو (كدأب آل فرعون و) دأب الكفرة (الذين من قبلهم) ممن صار مسيره ولاء فى أنهم (كفروا بآيات الله) فلم يبالوا بمعاصيه (فأخذهم الله) قبل يوم القيامة (بذنوبهم) وان أخر التعذيب بها فى حق البعض لانهم اجترؤا على معاصيه بما رأوا لا تسمهم من القوة فضعفهم اظهارا لقوته (ان الله قوى) على أن تأخير العذاب انما يكون للرحمة لكنه لما اشتد عنادهم اشتد غضبه لانه (شديد العقاب) لمن اشتد عناده معه فلا يكون فى حقه رحمة (ذلك) التعذيب الذى علم كونه مؤاخذة بالذنوب (بأن الله) جرت سنته على أنه (لم يك مغيرا نعمة) وان كان مغيرا للشدة كثيرا بغير تغيير أهلها ما هم عليه (أنعمها على قوم) وان كان يغيرها أنعم على واحد أو اثنين من غير تغيير لما هو عليه (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من موجبات تلك النعم من اعتقاد أو قول أو عمل (و) يغيرها اذا غيروه غضبا عليهم بما يسمع منهم أو يعلم (أن الله سميع عليم) وقد جرت به سنته (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) كان مبدأ تغييرهم أنهم (كذبوا بآيات ربهم) أى الذى رباهم بالنعم فصرفوها الى غير ما خلقت له بمقتضى تلك الآيات فكانت ذنوبا (فأهلكناهم) زيادة على سلبه النعم (بذنوبهم) بما صرفوا بها النعم الى غير ما خلقت له (وأغرقنا آل فرعون) لاغراقهم النعم فى بحر الانكار نسبتها الى فرعون حيث أقروا بالهيته (و) غيرهم وان لم يغرقوا فى الدنيا فى بحر يغرقون فى الآخرة فى بحر النار اذ (كل كانوا ظالمين) بصرف النعم الى غير ما خلقت له وهو نوع من الاغراق لها فى بحر الانكار لانه مرجع التغيير لها ثم أشار الى أنه عز وجل كيف يترك نعمه على من غير أحواله التى كانت أسباب النعم وقد كان بها انسانيته فبتغييرها لحق بالدواب وبانكار المنعم صار شرا منها فقال (ان شر الدواب عند الله) وان كانوا عند الناس أعقل الناس (الذين كفروا) والنعم تسلب عمن لا يعرف قدرها فكيف لا تسلب عمن شكر المنعم وهو وان أدام عليهم النعم (فهم) يديمون انكار المنعم اذ (لا يؤمنون) ويدل على عدم ايمانهم نقضهم عهوده لكونهم (الذين عاهدت منهم) وعهدك بمنزلة عهد الله (ثم ينقضون عهدهم) لا مرة واحدة أو مرتين حتى يقال بعودهم الى الايمان بل (فى كل مرة) كيف والمؤمن لا يدوات يتق الله فى نقض عهوده فى بعض المرات (وهم) بتكرار النقض عاصون فهم أنهم (لا يتقون) أصلا فهم فى معنى الآمنين من مكر الله وهم الكافرون واذا اعتادوا نقض العهد فى كل مرة (فاما تثقفنهم) أى فان تحقق مصادفتك اياهم فى نقض العهد (فى الحرب فشرد بهم) أى فافعل بهم ما يفرق اجتماعهم على النقض على خفية بحيث يشبه فعل من يفعل

(قوله وربطنا على قلوبهم) أى ثبتنا قلوبهم والهمناهم الصبر (قوله رتقا ففتقناهما) قيل كانت السموات سماء واحدة والارضون أرضا واحدة

(من خلفهم) أي وراءظهورهم (لعلهم يذكرون) أي يتعظون (واما تخافن من قوم خيانة) أي وان تحققن لك من قوم خوف الغدر بظهور آثاره فيهم (فانبذ اليهم) أي فالق اليهم عهدهم (على سواء) أي على طريق ظاهر يستوي في معرفته الكل لئلا يكون فيه شئ من الغدر اذ هو خيانة وان كانت في مقابلة خيانتهم (ان الله لا يحب الخائنين) وحسبه الغدر في الحرب انما هو بعد نبذ العهد (ولا تحسبن الذين كفروا) عند نبذ العهد الموقظ لهم انهم (سبقوا) أي غلبوا لان السبق منهم انجاز منهم حقه في وعده النصر للمؤمنين (انهم لا يعجزون) ان كسر فالجملة تعليلية وان فتح قدر لام التعليل (واعدوا لهم) لدفع توهم سبقهم (ما استطعتم من) تحصيل (قوة) ما يتقوى به في الحرب من الآلات سيما الرمي (ومن رباط) أي شد (الخيل) ولا يكون اعدادكم للفخر بل (ترهبون) أي تخوفون (به) أي بذلك الاعداد (عدو الله) باثبات الشرك وابطال كلمته (وعدوكم) أي الذي يظهر عداوتكم فتخوفونهم لئلا يحاربوكم باعتقاد القوة في أنفسهم دونكم (و) ترهبون قوما (آخرين من دونهم) أي من دون من يظهر عداوتكم وهم المنافقون وان كنتم (لا تعلمونهم) انهم يعادونكم لكن (الله يعلمهم) انهم اعداؤكم يظهرون عداوتهم اذا رأوا ضعفكم (و) لا تخافوا من انفاق المال في اعداد القوة ورباط الخيل فانه (ما تنفقوا من شئ في سبيل الله) فيه اشارة الى أن المنفق في سبيل الغير لا يجب تعويضه (يوف اليكم) عوضه في الدنيا من الفئ والغنيمة والجزية والخراج (و) لو فاتكم ذلك (انتم لا تظلمون) بمنع جزائه في الآخرة (و) عند رؤيتهم اعداد القوة ورباط الخيل (ان جنحوا) أي مالوا وانقادوا (للسلم) أي للصلح (فاجنح لها) أي فمل الى موافقتهم مع اعتقادها وان قدرت على محاربتهم لان الموافقة ادعى لهم الى الايمان (و) لا تخف في الصلح مكرهم بل (توكل على الله) فانه يعصمك من مكرهم اذا دعوته واستعذت به مع التوكل (انه هو السميع) لدعوتك واستعاذتك (العليم) بتوكلك وبكيفية العصمة (وان يريدوا أن يخدعوك) بالصلح لتترك اعداد القوة ورباط الخيل (فان حسبك) أي كافيك (الله) وان لم يكن لك اعداد قوة ولا رباط اذ (هو الذي أيدك بنصره) يوم بدر من غير اعداد قوة ورباط (و) الآن قد أيدك (بالمؤمنين و) أقامهم مقام اعداد القوة والرباط اذ (ألف بين قلوبهم) بعدما كان فيها العصبية والضغينة فتقوى بعضهم ببعض وليس هذا التقوي دون التقوي بالاعداد فان ذلك مقدور للبشر وهذا ليس مقدوراً له اذ لا يحصل بالمباشرة ولا بانفاق المال حتى انك (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) اذ لا تدخل تحت قدرة البشر لكونها من عالم الغيب (ولكن الله) لاستيلائه على الغيوب (ألف بينهم انه عزيز) أي غالب على كل ظاهر وباطن وقد اقتضت الحكمة ذلك لما فيه من تأييد دينه واعلاء كلمته وهو (حكيم) والغلبة مع الحكمة كالموجبة ثم قال (يا أيها النبي) أي الذي نبئ بالحقائق الالهية (حسبك الله) وان لم يكن معك أحد (و) ان نظرت الى الصحبة حسبك (من اتبعك من المؤمنين)

فتقهما الله عز وجل وجعلهما سبع سموات وسبع أرضين وقيل كانت السماء مع الارض جميعا واحدة ففتقهما الله بالهواء الذي جعل بينهما وقيل فتقت السماء بالمطر والارض بالنبات (قوله تعالى رتقا) انتهت

وان لم يأله هم من لم يتم اتباعهم لك فان لمتابعتك أثرا عظيما فى حسبية النصر (يا أيها النبى)
اذا كان لمتابعتك هذا الاثر فامرك أكثر تأثيرا (حرض المؤمنين) أى حثهم (على القتال)
وان كان العدو عشرة اضعافهم فانهم يغلبونهم اذا صبروا (ان يكن منكم
عشرون) اشترط فى المؤمنين كثرة تصلح للمقاومة (صابرون يغلبوا مائتين) عشرة امثال
عشرين (و) لا يضر تضاعف عدد الكفار الى الغاية اذا كان المؤمنون عشرة حتى
(ان يكن منكم) من المؤمنين (مائة) صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) ذلك الغلبة
للمؤمنين (بأنهم) يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم (قوم لا يفقهون) بالامور
الاخروية يرجون ثوابها ويؤثرون حياتها على الحياة الدنيا والمؤمنون يرجون من
الثواب والقرب من الله ما يشتاقون به الى الموت شوق العطشان الى الماء وكان هذا
عند ظهور قوة المؤمنين فلما ضعفوا انحط عنها الله تعالى فقال (الآن خفف الله عنكم)
لانكم (و) ان زدتم وزادت قوة الاسلام (علم أن فيكم) الآن (ضعفا) فى الصبر من
رؤيتكم الاستعانة بالجماعة الكثيرة من المؤمنين (فان يكن منكم مائة صابرة) أخذهنا
فى الاقل من الكثرة ما زيد على كثرة الاقل هنالك (يغلبوا مائتين) ضعفا واحدا (وان
يكن منكم ألف) فهم مع غاية الكثرة لا يقاومون أكثر من الضعف الواحد بل غايتهم ان
(يغلبوا ألفين) وليست الغلبة مقتضى العدد بل (باذن الله و) لكن لو صبروا مع
الضعف فليس لهم حكم الضعفاء اذ (الله) يقويهم لكونه (مع الصابرين ما كان لنبى)
أمر بالتحريض على القتال (أن يكون له أسرى) يفديهم لان الطمع فى الفداء مانع من
قتل المفدى (حتى يثخن) أى يثقل الكفر على المنتشرين (فى الارض) بكثرة قتلهم
حتى يقل حربهم ويذلوا ويعز الاسلام ويستولى أهله (تريدون) مع ما انتم على لسان
النبى صلى الله عليه وسلم من مذام الدنيا ومناقب الآخرة (عرض الدنيا) الزائل الحقير
(و) تخالفون مراد الله اذ (الله يريد الآخرة) ان تحصل لا كثركم باهدائكم اياهم
هداية خالصة عن شبه الكفرة (و) لا يحتاج الى اهتدائكم اذ (الله عزيز) أى غالب
على ما أراد من الاهتداء وغيره لكنه فى جعلكم سبب الهداية (حكيم) اذ يريد بذلك
اثابتكم ثوابا عظيما ولكنكم خالفتم هذه الحكمة التى هى من العظمة بحيث (لولا
كتاب) أى عهد (من الله سبق) انه لا يعذب المخطئ فى اجتهاده (لمسكم) أى أصابكم (فيما
أخذتم) أى فى أخذكم الفداء من أسارى بدر (عذاب عظيم) بقدر ابطالكم الحكمة
العظيمة وذلك انه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس بن عبد المطلب
وعقيل بن أبى طالب فاستشار أصحابه فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله
يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها أصحابك وقال عمر اضرب أعناقهم فانهم أئمة
الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما
فلنضرب اعناقهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم حيث

(قوله عز وجل ربوة ذات قرار ومعين) قيل انها دمشق والربوة والربوة الارتفاع من الارض ذات قرار أى يستقر بها للعمارة ومعين أى ماء ظاهر جار (قوله تعالى رأفة) أى ارق الرحمة (قوله تعالى الرس) أى

قال

قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت الآية فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان أجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على العذاب أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وقال صلى الله عليه وسلم لو نزل العذاب ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ واذ أخذتموه بالاجتهاد (فكلوا مما غنمتم) أي بعضه بعد اخراج الخمس (حلالا طيبا) أي خاليا عن الشبهة لان الاجتهاد رفع عنه الاثم فصار الحرم في معنى الحلال (و) لكن (اتقوا الله) فلا تتسارعوا الى الاجتهاد (ان الله غفور) لخطا المجتهدين (رحيم) باعطاء الاجر الواحد في الاجتهاد اذا لم يتسارع ولما انكسر قلوب الاسارى بأخذ الفدية بحيث يخاف عليهم ضعف الايمان جبرها بقوله (يا أيها النبي) اي الذي شأنه انباء القلوب تقوية لها (قل) أنت وأصحابك (لمن في أيديكم من الاسرى) تخليصا لهم عن أسر الضلال بضعف الايمان (ان يعلم الله) من تطرقه (في قلوبكم خيرا) أي قوة ايمان واخلاص (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الغنائم والتجارات وغيرهما في الدنيا (ويغفر لكم) في الآخرة (و) ان صدر منكم ما يوجب الاسر أولا اذ (الله غفور) ولا يبعد عليه التعويض بعد تعويض كم الخير في قلوبكم بدل الشر فانه (رحيم) (وان) يعلم في قلوبهم شرا بأن (يريدوا خيانتك) أي نقض العهد لما أخذوا مثل ما أعطوا من الفداء أو أكثر منه فعل بهم ثانيا مثل ما فعل بهم أولا (فقد خانوا الله من قبل) بنقض عهده في الميثاق الاول (فأمكن منهم) بالقتل والاسر كيف (والله عليم حكيم) وهو مقتضى علمه بما يخفونه وحكمته المفيدة كل مستحق حقه ولما وعد الله الاسارى بتعويض الخير وعد المهاجرين بتعويض أهلهم بالانصار والمجاهدين بتعويض أموالهم وانفسهم بالانصار أيضا فقال (ان الذين آمنوا) وهو يوجب قرابة المؤمنين (وهاجروا) وهو يوجب قرابة المهاجر اليهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وهو يوجب قرابة من نصرهم (والذين آووا) وهو من خواص الاقارب في الاصل فيصير الانصار لهم أهلا (ونصروا) فانهم بذلك صاروا أموالا وانفسا يحصل فيهم النصر فيصح ان (أولئك بعضهم أولياء بعض) يقومون مقام أهلهم وأموالهم وانفسهم (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) لانهم ما تركوا شيئا يجعل الانصار عوضه نعم لهم نوع من القرابة لا يبلغ حد الولاية (و) هو انهم (ان استنصروكم) أي طلبوا منكم النصرة على اعدائهم (في الدين فعليكم) يجب (النصر) لهم على كل عدو (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فانهم اذا عادوا من لم يهاجر لا ينصر عليهم لئلا يؤمر بالهجرة منهم (والله بما تعملون) من الهجرة وتركها مع امكانها أو بدونها (بصير) (و) كيف تتركون نصر من لم يهاجر وان لم تكن بينكم وبينهم قرابة (والذين كفروا

العـدن وكل ركبة لم نظر ... (قوله تعالى ... ردف آكم) ... بكم ... (راسبات) ... عزوجل ... وركبهم ... [illegible]

بعضهم أولياء بعض) وإن لم يهاجر اليهم مع إمكانه (إلا تفعلوه) أى نصر المؤمنين غير المهاجر (تكن فتنة) أى إزالة الكفر منتشرا (فى الأرض و) يقوى الكفار بحيث يفصل فى الأرض (فساد كبير) فى باب الاعتقادات أو الأعمال (و) كيف لا يكون بين المؤمنين المهاجرين المجاهدين وبين الذين آووا ونصروا موالاة ظاهرة وقد حصل لهم الموالاة الباطنة إذ (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) فيقومون بجميع حقوق الايمان التى منها الموالاة الباطنة المستلزمة للظاهرة وكيف لا يكون بينهم موالاة وقد أفاد بعضهم بعضا ما هو أعظم الموالاة (لهم مغفرة) بما هدى بعضهم بعضا (ورزق كريم) بما هدى فى الآخرة وبما نصر فى الدنيا ثم أشار إلى أن من تأخر إيمانه فى حكم من تقدم إذا قام بحقوق الولاية من الهجرة والجهاد فقال (والذين آمنوا من بعد) فإنه (و) إن تأخر إيمانهم لا تنقطع موالاتهم ل (هاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) كمن تقدمكم كيف (و) هذا التأخر لا يزيد على تأخر وجود بعض ذوى الأرحام عن بعض وهو لا يقطع القرابة بل (أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) من الأجانب وإن كان مساويا أو متقدما كتقدم إيمانه وإن تأخر هو مساو لأنه من تقدم (فى كتاب الله) والله تعالى حكم بالمساواة فى أمر الموالاة بين ما تقدم وما تأخر يقتضى ذلك وإن تفاوت فى الفضيلة (إن الله بكل شىء عليم) فيعلم ما يقتضى المساواة والتفاوت فيكتب كل شىء بحسب مقتضاه، تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأصحابه أجمعين

(سورة براءة)

سميت بالافتتاح بها ومرجع أكثر ما ذكر فيها البراءة والتوبة لتكرر ذكرهما فيها فإن تبتم فهو خير لكم فإن تابوا وأقاموا الصلوة ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فإن يتوبوا يك خيرا لهم عسى الله أن يتوب عليهم لقد تاب الله على النبى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة التائبون العابدون وهما أشهر أسمائها وتسمى المقشقشة أى المبرئة عن النفاق والمبعثرة أى الباحثة عن أخبارهم والمثيرة أى الكاشفة عن أحوالهم والمدمدمة أى المهلكة لهم والمشردة أى المفرقة بجمعهم والفاضحة والمخزية والحافرة والمنفرة والمنكلة وسورة العذاب لتكرر ذلك كله فيها وتركت التسمية فيها لما فيها من الرحمة المستلزمة للأمان المنافى للقتال ونبذ العهود وذلك لأنه عليه السلام لما خرج إلى تبوك وأرجف المنافقون نقض المشركون عهودهم فأمر الله رسوله أن يأمر قومه بنقض عهودهم فقال (براءة) أى هذه قطع عامة كانت لكم مع المشركين وقطع عصمة كانت لهم منكم وصلت إليكم (من الله ورسوله) لتنبذوا عهودكم (إلى الذين عاهدتم من المشركين) ليس لكم معهم ابتداء قتال حتى يبلغوا المأمن ولا تكلفونهم بالخروج إليه على الفور (فسيحوا فى الأرض) أى قولوا لهم سيروا أى أرضنا بعد نبذنا العهد آمنين (أربعة أشهر) عشرين من ذى الحجة

أى بل يقال رمّ العظم إذا بلى كقوله قال من يحيى العظام وهى رميم أى بالية (قوله عز وجل فراغ إلى آلهتهم) أى مال إليهم فى خفاء ولا يكون الروغ إلا خفاء (قوله عز وجل رواكد) أى سواكن

وجميع المحرم وصفر وربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وكانه عبر من الهدنة عشر
سنين الى الامان أربعة أشهر (واعلموا أنكم) لو قصدتم محاربتنا في هذه المدة أو بعد
خروجكم من أرضنا باستمالة أناس آخرين (غير معجزي الله) بأخذكم من أيدينا
(و) اعلموا انكم وان تعززتم بأناس في غاية الكثرة فلا محالة (أن الله مخزي الكافرين)
مع كثرتهم بنصر المؤمنين مع قلتهم ثم أشار الى ان هذا الامان ليس أمانا عن العذاب
الاخروي ولا عن الدنيوي بعد تمام المدة فقال (وأذان) أي اعلام (من الله ورسوله الى
الناس) المجتمعين بعرفة وقد بلغت كثرتهم يومئذ غايتها لكونه (يوم الحج الاكبر) يوم الجمعة
وكان عيد الملل (أن الله بريء من المشركين) فلا يؤمنهم من قهره الاخروي ولا الدنيوي بعد
تمام المدة (ورسوله) من شفاعته لهم وترك قتاله بعد المدة لكن هذه البراءة انما هي الى
التوبة من الشرك (فان تبتم فهو) أي التوبة (خير لكم) يفيدكم دوام الامان في الدارين
مع نوالكم أجرا لا ينحصر (وان توليتم) أي اعرضتم عن التوبة اعتمادا على قوتكم في التخلص
عن قهر الله (فاعلموا أنكم غير معجزي الله) ان أنكروا ذلك (وبشر الذين كفروا)
بقهره (بعذاب أليم) من قهره ثم استثنى من المشركين البراءة منهم فقال (الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا) بمباشرة أو معاونة (ولم يظاهروا) أي ولم يقووا (عليكم
احدا) من اعدائكم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة (فأتموا) مائلين (اليهم عهدهم) باقيا (الى
تمام (مدتهم) فاتقوا الله في نقضها (ان الله يحب المتقين) هذا قبل تمام المدة (فاذا
انسلخ) أي خرج (الاشهر الحرم) أي التي حرم فيها الابتداء بقتالهم بعد النبذ (فاقتلوا
المشركين) أي الباقين على الشرك منهم ولو بعد الاسر (حيث وجدتموهم) من حل
وحرم ولو في موضع الامن أو في طريق الامن (وخذوهم) أي اسروهم ولو في موضع
الامن أو في طريق الامن لتسترقوهم أو تفدوهم وان أمنوا بعد الاسر هذا اذا تمكنتم
منهم (و) ان لم تتمكنوا (احصروهم) أي احبسوهم في المكان الذي هم فيه لئلا يتبسطوا
في سائر البلاد (و) ان تبسطوا (اقعدوا لهم) أي لقتالهم (كل مرصد) أي طريق لكن
هذا كله قبل التوبة (فان تابوا) عن الكفر (و) دلوا على صدقهم بأن (أقاموا الصلوة)
التي هي انقياد الظاهر الدال على انقياد الباطن (وآتوا الزكوة) الدال على ايثار جانب
الله على ما سواه (فخلوا سبيلهم) أي فاتركوا التعرض لهم وفيه دليل على ان تارك الصلاة
والزكاة لا يخلى سبيله مار كيف لا يخلى سبيلهم وقد غفر الله لهم (ان الله غفور) بل يرحمهم
أيضا لانه (رحيم) ثم أشار الى انه وان لم تجب التخلية لغير التائبين المذكورين لكن جاز
أمان المستجير لسماع كلام الله بعد الاخراج فقال (وان أحد من المشركين استجارك
فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) ثم أشار الى انه وان جاز
أمان المستجير لسماع كلام الله بعد الاخراج فلا يجوز تقديره بعقد الذمة فقال (كيف
يكون للمشركين) بعد اخراجهم (عهد عند الله وعند رسوله) مع ان الشرك يستلزم

(رهوا) أي ساكنا كهيئته بعد أن ضرب به موسى وذلك ان موسى لما سأل ربه ان يرسل البحر خوفا من فرعون ان يعبر في أثره قال الله عز وجل واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون ويقال رهوا

اذلا لهما وعقـد الذمة اذلا لالذى (الا الذين عاهدتم) قبل النسخ (عند المسجد الحرام) فانه يعتبر عهدا لوقوعه قبـل النسخ فى مكان الامن المعظم عندهـم بحيث لا يخالف فيه بواطنهم ظواهرهـم فلا يؤثر معه المانع لكنه مشروط بدوام الاستقامة على العهد (فما استقاموا) أى فما داموا مستقيمين على عهدهـم مراعين (لكم) أى لحقوقكم (فاستقيموا لهم) فانتم أولى بالاستقامة فاتقوا الله فى نقض عهد المستقيمين على عهدهم قبل النسخ عند المسجد الحرام (ان الله يحب المتقين كيف) يكون لغيرهم عهد عند الله وهو ناظر الى بواطنهم (و) لا عهد فيه الكونهم بحيث (ان يظهروا عليكم لا يرقبوا) أى لا يراعوا (فيكم إلا) أى يمينا (ولا ذمة) أى عهدا ولا يعتبر بظواهرهم اذ (يرضونكم بأفواههم و) هى مخالفة لبواطنهم اذ (تأبى قلوبهم و) لا يعتمد بهم اذ (أكثرهم فاسقون) بمقتضى دينهم أيضا ويكفى فى فسقهم انهم (اشتروا) أى استبدلوا الحق المدلول عليه (بآيات الله) اهوية فاسدة فكانت (ثمنا قليلا) وكيف لا يفسقون وقد عادوا الله باتباع تلك الاهوية (فصدوا) أنفسهم وأتباعهم (عن سبيله) فسلكوا سبيل المساوى (انهم ساء ما كانوا يعملون) ومن سوء اعمالهم انهم (لا يرقبون فى مؤمن) وان راقبوه فى كافر (إلا ولا ذمة و) لا يقتصرون على أدنى المساوى بل (أولئك هم المعتدون) أى المجاوزون لغاية فى المساوى كلها ومع ذلك نعتبر توبتهم مع قرائن صحتها (فان تابوا وأقاموا الصلوة) بدل أسوء اعمال الجوارح (وآتوا الزكوة) بدل اسوء تصرفات الاموال (فاخوانكم فى الدين) لا ينظر الى بواطنهم مع هذا الظاهر المؤيد بهذه الدلائل (و) كيف لا يكونون اخوانكم ونحن (نفصل الآيات) الدالة على اخوتهم لكنها انما تكون مفيدة (لقوم يعلمون) ثم أشار الى انه لا يؤمن ناقضو الايمان والطاعنون فى الدين فضلا عن ان يقروا بالجزية فقال (وان نكثوا) أى نقضوا (أيمانهم من بعد عهدهم) الذى لا تقضه من يبالى الله لولا الايمان (و) كذا ان (طعنوا فى دينكم فقاتلوا) كلا الفريقين لكونهما (أئمة الكفر) أى رؤساءهم اما الطاعنون فلانهم جمعوا بين الاخذ بالباطل وبين الطعن على الحق واما الناكثون فلانهم لا يبالون بالله (انهم لا أيمان لهم) كيف ولا ينتهون عن النكث والطعن بدون القتال فيقاتلون (لعلهم ينتهون) عنهما سيما اذا لم ينصروا أصلا ثم أشار الى انه كيف يترك قتالهم وقد توفرت أسبابه فقال (الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) عن ذلة مبالاتهم بالله (و) لم يكن عن غفلة بل بعد بلوغ الرسالة بل (هموا باخراج الرسول) وهو أشد من الطعن فى الدين كيف (و) هو مجازاة اذ (هم بدؤكم) به ويكفى فيه ابتداؤهم (أول مرة) وان كان منكم الابتداء فى بعض المرات المتأخرة فهذا أسبابه ولا مانع فيه سوى خوفكم منهم (أتخشونهم) مع ترك خشية الله فى مخالفة أمره (فالله أحق أن تخشوه) لانه لا نسبة لقوة الخلق الى قوته ولا لشدتهم الى شدته (ان كنتم مؤمنين) بكمال

قوله وعقد الذمة اذلالا للذى هكذا بالاصلين بأيدينا ولعله اعزازا للذى فتأمل مصحح

متفرجا (قوله عز وجل رق منشور) الصحائف التى تخرج يوم القيامة الى بنى آدم صلى الله عليه وسلم (ريب المنون) حوادث الدهور (رب المشرقين ورب المغربين) الرب السيد والرب المالك والرب زوج

قوته وشدته على ان شدة القتال انما تضع عليهم ولا يحصل لكم منه سوى الفائدة العظيمة
(قاتلوهم يعذبهم الله) بآلام الجراحات والموت (بأيديكم) تعليما لكم عليهم (ويخزهم)
بالاسر والاسترقاق فيجتمع في حقهم العذاب الفعلي مع الحسي (وينصركم عليهم) زيادة
في عذابهم العقلي (ويشف صدور قوم مؤمنين) من أذيتهم شماتتهم هذا هو الشفاء المعنوي
(ويذهب غيظ قلوبهم) وهو شفاء حسي (و) من الفوائد أنهم اذا رأوا نصركم مع
ضعفكم (يتوب الله على من يشاء) فيحصل لكم أجرهم ولا يفوتكم شيء من هذه
الفوائد لانها مقتضيات استعداد كم واستعدادهم (والله عليم حكيم) أحسبتم ان تنقلب
الامور المذكورة مع علم الله وحكمته (أم حسبتم أن تتركوا) ولا تؤمروا بالقتال (ولما
يعلم الله) وقوع ما علم في الازل انه سيقع من التمييز بين المتقاعس عن الجهاد وبين المتحدين
من دونه ودون رسوله والمؤمنين وليجة وبين (الذين جاهدوا منكم و) الذين (لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) أي المجاورين لهم (وليجة) أي بطانة
يفشون اليها اسرارهم والمقصود من هذا اظهار ذلك الزاما للحجة (والله خبير بما تعملون)
أي بمواطن اعمالكم وفيه اشارة الى أن القيام بالجهاد لا يستر ابهم حجة ما لم يخلصوا نواياهم
ثم أشار الى انهم كيف لا يؤمرون بقتالهم مع انه لا يندفع بدونه أذيتهم عن المؤمنين في
عباداتهم التي تخلو النفس لاجلها ولا يتأتى منهم لانه (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد
الله) بالصلاة التي هي أجل العبادات اذ لا يصح منهم حال كونهم (شاهدين على أنفسهم
بالكفر) فجعل معبودهم مساويا لمن لا يستحق العبادة وكيف يصح منهم حال الكفر مع
أن (أولئك) لو عملوا الصالحات قبل الكفر ثم كفروا (حبطت أعمالهم و) لو لم تحبط
لم يستفيدوا منها اذ (في النار هم خالدون) ثم قال (انما يعمر مساجد الله) أي يستحق
عمارتها بالعبادة (من آمن بالله) فلم يشرك به غيره (واليوم الآخر) المقتضي لافتقار
جزائه الى تكميل عباداته (وأقام الصلوة) المتضمنة لسائر العبادات الناهية عن
الفحشاء والمنكر (و) انما يتأتى ذلك اذا (آتى الزكوة) المانعة من حب المال الحائل الى
الشهوات (ولم يخش) فوات مال ولا شهوة ولم يبال بشريك بل لم يخش (الا الله فعسى
أولئك أن يكونوا من المهتدين) للاطلاع على اسرار الصلاة التي هي عمارة مساجد الله
فان زعموا ان لهم عبادة كسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وهما كالصلاة والزكاة
قلنا لو لم يلتمسا من العبادات المطلوبة بالذات ولا مما يوصل اليها ولا مما يبعث الى ذلك (أجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن) أي كايمان من (آمن بالله) وهي العبادة المطلوبة
بالذات (واليوم الآخر) الداعي الى الايمان بالله (وجاهد في سبيل الله) الذي يدفع شره
ويكمله فان سويتم بينهم (لا يستوون عند الله) كيف (و) لم يبين ذلك لهم انه مع الكفر
اذ (الله لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر الى عبادة وان أتوا بصورة العبادة ولئن سلم ان
ذلك عبادة فلا تساوي الايمان ولا سبب ما فيه من رفع الاذية عنها (الذين آمنوا وهاجروا)

المرفقة والشرفان منزوف
الصفة والثياب والمعرفان
معرفاهما (قوله عز وجل
رفرف خضر) يقال
رياض الجنة ويقال
العرش ويقال هي المجالس
ويقال البسط او ما ارفارف

لاعانته عليهم (وجاهدوا في سبيل الله) لدفع الاذية عنهم (بأموالهم) بانفاقها على المجاهدين
في الكراع والسلاح والدروع (وأنفسهم) بمباشرة القتال (أعظم درجة عند الله)
الذي لا يعظم عنده الاماثل وهذا والله المشركين (و) لا درجة لغيرهم بالنظر اليهم
(أولئك هم الفائزون) بجميع درجات الكمال لكونهم بحيث (يبشرهم ربهم) في الدنيا
(برحمة) في الآخرة عظيمة لكونها (منه ورضوان) فوقها (و) ان كانت الرحمة الاخروية
دونه في غاية الكمال لكونها في (جنات لهم فيها) لولا ذلك الرضوان (نعيم مقيم) اذ وعدوه
على الابدلا في مكان الآخر بل (خالدين فيها أبدا) والنعمة فضل فضل الملك كيف
وهذه الرحمة أعظم من الاجر مع انه صدر المعطى (ان الله عنده أجر عظيم) والرضوان
فوقها فتلك درجات هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين متى تكون لاهل السقاية والعمارة
وكيف لهم أجر مع الكفر وهو قطع مواصلة الله ولكنه قاطع لها واذا وجب على
المؤمنين قطع مواصلة الكافرين ولو كانت واصلهم واحبه لو أسلموا (يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم وأصله الله وقطع مواصلة من قطع مواصلته (لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر) اما قطعوا مواصلة الله وترجيحه (على الايمان)
الموجب مواصلة الله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) باختيار مواصلة من قطع
مواصلته على مواصلته فان زعموا انا نميل اليهم بالطبع (قل) مقتضى الايمان ترك الميل
الطبعي اذا كان مانعا من محبة الله ومحبة واسطة لوصول اليه ومحبة ما يعلى دينه (ان كان
آباؤكم) وان مال طبعكم اليهم ميل الجزء الى الكل (وأبناؤكم) وان مال طبعكم اليهم ميل
الكل الى الجزء (واخوانكم) وان مال اليهم طبعكم ميل أحد الجزءين الى الآخر (وأزواجكم)
وان أنس طبعكم اليهن ميل الكل لى الجزء لسائر من الجزء (وعشيرتكم) وان مال
اليهم بوجه من الوجوه ووحده للاشارة الى ان الواحد منهم قد يكون أكثر ميلا من
الناس فاذا نهى عن الميل اليه فغيره أولى (وأموال) وان مال الطبع اليها من مصالح
أنفسكم يميلكم الى نفوسكم سيما اذا (اقترفتموها) أى اكتسبتموها (وتجارة) تميلكم اليها
فتميلون اليها أكثر من ميلكم الى أموالكم سيما اذا كنتم (تخشون كسادها ومساكن)
تميلون اليها لحافظة أموالكم وتجارتكم بل أنفسكم سيما اذا كنتم (ترضونها أحب اليكم
من الله) لميل الكل (ورسوله) واسطة نعمه (وجهاد في سبيله) بما يعلى دينه (فتربصوا)
فهو الله دعوى محبته بالايمان وتكذيبها بترجيح محبة غيره ولا يستطيع عنكم هذا التربص
(حتى يأتي الله بأمره) الظاهر لكم اما في الدنيا واما في الآخرة وكيف لا تتربصون ذلك وقد
ترجحتم من محبة الله الهادية لا انتهاء الى عداوته (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى
الخارجين عن محبته الى ما وجب من انعاماته ثم أشار الى ان أعظم فوائد هذه الاشياء
النصر على الاعداء وهو لا يتوقف عليها فقال (لقد نصركم الله) فدون هذه لا شيئا لا في

مواطن

(قوله فروح) روح طيب نسيم وريحان رزق ومن قرأ فروح بضم فمعناه حياة لا موت فيها (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل في القراءة التبيين

موطن واحد بل (في مواطن كثيرة) بحيث صارت سنته المستمرة التي لا تتبدل (و) لا يرد يوم حنين فانه نصركم ايضا (يوم حنين) حين تركتم التقوى وهو واد بين مكة والطائف وقيل بجنب ذى المجاز خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة في عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفين من الطلقاء لقتال هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فقال بعض الصحابة الآن نغلب اليوم عن قلة فكره الله ذلك فقصد تقويتكم بها (اذ أعجبتكم كثرتكم) فاعتمدتم عليها وكلكم اليها (فلم تغن) كثرتكم (عنكم شيأ) من أمر العدو مع قلتهم (و) لكن انعكس عليكم اذ (ضاقت عليكم الارض) لا تجدون فيها مفرا كمن ضاق عليه مكانه (بما رحبت) أى مع سعتها (ثم) زدتم ضعفا حتى (وليتم) ظهوركم للكفار (مدبرين) أى قاصدين ادبارا لا رجوع بعده اذ كانت هوازن رماة لا يسقط لهم سهم وقد بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا العباس وابو سفيان بن الحرث (ثم) لما ذهب اعجابكم بكثرتكم (أنزل الله سكينته) ما تسكنون به وتثبتون (على رسوله وعلى المؤمنين) اذ قال للعباس صح بالناس فنادى الى عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك فنزل عليه السلام ودعا وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك ثم صفهم وقال هذا حين حمى الوطيس أى اشتد الحرب والوطيس التنور ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار وقال انهزموا ورب الكعبة وقيل قبض التراب ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم انسان الا امتلأ عينيه ترابا (وأنزل) لتقويتكم بدل تقوية كثرتكم (جنودا لم تروها) وهم خمسة آلاف وستة عشر او ثمانية عشر ملكا وقد رآهم المشركون اذ كانوا لتخويفهم (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسلب بعد النصر (وذلك) التعذيب (جزاء الكافرين) أى المصرين على الكفر بعد النصر (ثم) اذا علموا أنه جزاء كفرهم (يتوب الله من بعد ذلك) القهر الدنيوى وان كان لا يتوب بعد القهر الاخروى (على من يشاء) بالتوفيق للاسلام لغفر لهم ويرحمهم في الآخرة كيف (و) لو آمنوا قبل القهر الدنيوى لغفر لهم ورحمهم اذ (الله غفور رحيم) روى أن ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وقد أخذت أموالنا فقال اختاروا اما نساءكم واما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقال عليه السلام من كان بيده سبى وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا أنهم قد رضوا ثم أشار الى أن موالاتهم مع عدم افادتها التقوية المحصلة للنصر تضر بسريان نجاسة بواطنهم الى البواطن الطاهرة للمؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا) فطهروا بواطنكم (انما المشركون نجس) باعتبار بواطنهم بحيث لم تجعل ظواهرهم نجسة لان نجاسة الاعتقاد غير حالة فيها

اهاكة بين الحرف والحرف ومنه قيل ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا لا يركب بعضه بعضا (قوله تعالى راق) أى صاحب رقية اى هل من طبيب يرقى ويقال معنى من راق أى من يرقى بروحه ملائكة

والنجاسة لا تختص غير محلها بخاف بسرايتها الى من يواليهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) الذى تجتمع فيه المتفرقون فى الارض ليسرى صفاء القلوب من بعض الى بعض وههنا يخاف سريان الظلمات فى العموم (بعد عامهم هذا) أى عام حجة الوداع الذى كمل فيه الدين المطهر (وان خفتم) بمنعهم من الحرم (عيلة) أى فقرا من انقطاع أرزاق كانت من قدومهم (فسوف يغنيكم الله) عنه بما يعطيكم (من فضله) من فتح البلاد وحصول الغنائم وتوجه الناس من اقطار الارض (ان شاء) فى عام دون عام وشخص دون شخص لا بطريق التحكم بل بحسب الاستعدادات (ان الله عليم) بالاستعدادات (حكيم) فى رعايتها من غير ايجاب عليه واذا كان خوف العيلة يندفع بفتح البلاد وحصول الغنائم وتوجه الناس من اقطار الارض من غير تعويق (قاتلوا) من تخافون العيلة بسببهم وقد استحقوه لانهم (الذين لا يؤمنون بالله) لقولهم بالتجسم أو الحلول والاتحاد (و) لو آمنوا به على التنزيه (لا) يتم لهم لانهم لا يؤمنون (باليوم الآخر) لانكارهم حشر الاجساد أو الاكل والشرب والنكاح فى الجنة أو الخلود فى النار (و) لو آمنوا به لا يتم لهم أيضا لانهم (لا يحرمون ما حرم الله) فى كتابه (ورسوله) فى سنته (و) لو حرموا ما حرمه التوراة والانجيل لم يعتد به اذ (لا يدينون دين الحق) أى الثابت الذى لا ينسخ وقد نسخ سائر الاديان مع كونهم (من الذين أوتوا الكتاب) ليؤمنوا بكل ما ذكر (حتى يعطوا الجزية) أى ما يجزيهم عن حقن دمائهم وهى الخراج المضروب على الرقاب يعطونها (عن يد) أى انعام للمسلمين عليهم فى حقن دمائهم (وهم صاغرون) اذلاء يؤخذ بلحاهم ويضرب فى لهازمهم اذ ذاك قاطع لخوف العيلة من جهتهم بالكلية (و) لعدم تدينهم بدين الحق (قالت اليهود عزير ابن الله) لكونه حاملا أسرار الله وهو تحققه بصفة كلامه اذ أملى عليهم التوراة حفظا بعدما أماته الله مائة عام ثم بعثه ولم يبق لهم بعد وقعة بختنصر من يحفظها وهذا القول بعضهم ولذلك لم ينكر أهل عصره صلى الله عليه وسلم مع تهالكهم على التكذيب ولو كذبوا لاشتهر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) لظهوره بصفة القدرة اذ أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى ثم قال (ذلك) القول ليس بلازم لاعتقادهم التظهور بصفته عز وجل بل (قولهم بافواههم) من غير شبهة سوى أن التحقق بصفة الله تعالى دليل مشاركته فى الالهية فهم (يضاهون) بهذا القول المشركين اذ شابه قولهم (قول الذين كفروا من قبل) الجاعلين التحقق بصفة الله دليل مشاركته فى الالهية (قاتلهم الله) أى فعل بهم فعل الاعداء من الاهلاك (أنى) كيف (يؤفكون) من القول بالظهور الى المشاركة فى الالهية وقد شابهوا الكفار من وجه آخر وهو انهم (اتخذوا أحبارهم) أربابا يحرمون لهم ويحلون من عند أنفسهم فعل الكفار السابقين باحبارهم (ورهبانهم) اذ أطهروا بعض أسماء الله وصفاته (أربابا) يعبدونهم (من دون الله و) ليس هذا من خواص المشركين بل النصارى اتخذوا (المسيح) مع علمهم بانه كان (ابن مريم) ربا فالهه بعضهم وما قول البعض الآخر (و) لم يأمرهم بذلك المسيح ولا عزير بل (ما أمروا) على لسانهما ولسان سائر الانبياء

الرحمن والملائكة العذاب (قوله تعالى راجفة) هى النفخة الاولى (رادفة) هى النفخة الثانية (قوله ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غلب على قلوبهم كسب الذنوب كما ترين الخمر على عقل

(الا) بالتوحيد الفعلى كالاعتقادى (ليعبدوا الها) يعتقدون كونه (واحدا) لايتعدد
بتعدد المظاهر ولا تصير مظاهره آلهة بل (لا اله الا هو) مع كثرة مظاهره لتنزهه عن الحدوث
فأنزهه عن مشاركة المظاهر (سبحانه) أى تنزيهه باعتبار استقراره فى مقر عزه (عما
يشركون) ثم أشار الى أن ظهوره فى المظاهر انما هو اشراق نوره ليعرف بذلك توحيد الوجود
وهؤلاء (يريدون) باتخاذ الاحبار والرهبان أربابا (أن يطفئوا نور الله) الذى هو توحيد
الوجود لا عن شبهة فضلا عن حجة أو مكاشفة بل (بأفواههم و) كيف يكون ثمة حجة أو
مكاشفة مع أنه (يأبى الله الا أن يتم نوره) بدلائل التوحيد والمكاشفة تتمة لاهله (ولو كره
الكافرون) أى الساترون توحيده بنسبة الالهية الى المظاهر وكيف يمكنهم اطفاء نوره وهو
خلاف مراد الله اذ (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى طريق الاستدلال والكشف (ودين
الحق) أى التوحيد الثابت الذى لا يزول بالنظر الى ظهوره فى المظاهر (ليظهره) بتغليبه
(على الدين كله) حتى يبطلها (ولو كره المشركون) نشر هذا الدين بجعل مظاهره آلهة تستحق
العبادة وبما يريدون تقرير الاديان كلها لانها بارادة الله وقد حصلت من ظهوره بمظاهره
الكاملة فى زعمهم (يا أيها الذين آمنوا) بكونه دين الحق الراجح على الاديان كلها لا يغيركم عن
هذا الايمان مخالفة كثير من الاحبار والرهبان (ان كثيرا) قيد به لان القليل منهم وافقوا
فآمنوا بذلك (من الاحبار والرهبان) وان اتخذهم بعض العوام أربابا من دون الله فليس
ذلك لكمال فيهم وانما ادعوه لانفسهم ليتقاد لهم الناس لانهم (ليأكلون أموال الناس
بالباطل) أى بالطريق المنكر من الرشا وغيره (و) ان زعموا انهم هداة لابد لهم من رزق فهم
بالحقيقة (يصدون عن سبيل الله) الذى هو اتباع الدلائل الى ما يدعون ولا يبعد منهم ذلك
لانهم يؤثرون حب المال على أمر الله فيمنعون حقه منه (والذين يكنزون) أى يحفظون
حفظ المدفون فى الارض (الذهب والفضة و) يرجحون حبهما على أمر الله بحيث
(لا ينفقونها) أى الفضة فضلا عن الذهب (فى سبيل الله) الذى هو الزكاة الموصلة الى حبه
بقطع حب المال باخراج جزء منه (فبشرهم بعذاب أليم) بدل التلذذ بها فان حصل اليوم لهم
يجزون عذابها (يوم يحمى) أى يوقد النار (عليها) مجعولة (فى نار جهنم) فتحيط النار
بجهاتها (فتكوى بها جباههم) لبعدها فى ابتداء السؤال (وجنوبهم) لميلهم اليها عند
تكريره (وظهورهم) لتوليهم اليها عند الالحاح ويقال لهم ضما للعذاب العقلى الى الحسى
(هذا ما كنزتم) أى حفظتم (لانفسكم) لتتلذذوا بها (فذوقوا) الذ (ما كنتم تكنزون) فان
تبع هؤلاء كانوا تبعا لهم فى هذا العذاب لا محالة ثم انه لا وجه لحفظهم فى اداء حقه عز وجل
لانه لا يطلبه الا بعد أن يفيض عليهم اضعافه (ان عدة الشهور) الواجب فى آخرها الحق
(عند الله) الطالب حقه بعد افاضة اضعافه (اثنا عشر شهرا) وان كان يوجد عند الخلق أيام
مسترقة لكن اعتبر الله عز وجل عدد البروج التى تقطع الشمس كل واحد منها فى شهر
تقريبا ولا عبرة للزيادة (فى كتاب الله) اذ لم تكن (يوم خلق السموات والارض) اذ كانت

ران
السكران ويقال
ران به أى
عليه النعاس
غلب عليه (قوله عز وجل
رحيق مختوم) الرحيق
الخالص من الشراب
ويقال العتيق من الشراب
ومختوم له ختام أى عاقبة
ريح كما قال ختامه مسك

البروج وصورها متحاذية فلما خرجت عن محاذاتها حصل هذا التفاوت فلم يعتبر لانه لايزال يختلف باختلاف الدورات فجعل ذلك الاصل مناط الاحكام الشرعية لذلك كان (منها أربعة حرم) ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم والرجب ليكون ثلث السنة تغليبا للتحليل الذى هو مقتضى سعة الرحمة على التحريم الذى هو مقتضى الغضب فجعل أول السنة وآخرها وهو المحرم وذوالحجة ولما لم يكن له وسط صحيح أخذ أول النصف الآخر وهو رجب فبقى من الثلث شهر فاخذ قبل الآخر وهو ذوالقعدة ليكون مع آخر السنة المتصلة بأولها وترا وبقى وتر بقرب فتتم السنة على التحريم باعتبار أولها وآخرها وأوسطها مع تذكر وترية الحق المؤكد للتحريم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم عقلا ونقلا عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بالمعاصى فانها تعظم فيهن عظمها فى الحرم لذلك يتغلظ فيه دية القتل المحرم (و) لكن (قاتلوا المشركين) فى السنة (كافة كما يقاتلونكم كافة) نفى عن تحريمه مكافأة لهم ويدل على عدم نصره اياكم (واعلموا) اذا تركتم فى بقاء تحريمها مع نصركم (أن الله مع المتقين) بالنصر ومع ذلك يجب اتقاء تغيير الشهور والحرمة (انما النسىء) اى تأخير التحريم من شهر الى آخر (زيادة فى الكفر) مضمومة الى الكفر السابق لانه (يضل به الذين كفروا) بالله عن أحكامه اذ يجمعون بين الحل والحرمة فى شهر واحد وغاية ما رفع التناقض انهم (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) وهذا وان رفع التناقض فهو تغيير لاحكام الله وغاية اعتذارهم عن التغيير أنهم فعلوا ذلك (ليواطؤا) أى ليوافقوا عدتهم (عدة ما حرم الله) لكنه يكفى فى التغيير نقلهم الحرمة من شهر آخر (فيحلوا ما حرم الله) من غير أن يكون لهم نسخ أحكام الله فكأنهم يدعون الالهية لانفسهم لكنهم لاينظرون الى هذه اللوازم القبيحة لانه (زين لهم سوء أعمالهم و) لو لم يزين لهم فلا أقل من أنهم لايرون قبحها اذ (الله لايهدى القوم الكافرين) به وبأحكامه لقبائحهم ليجتنبوها ومما زين لهم من سوء الاعمال استحلالهم القتال على الباطل فى الاشهر الحرم مع انه خلاف مقتضى بخلهم لان منشأه ايثار الحياة الدنيا فلا ينبغى أن يزين ترك القتال على الحق للمؤمنين ايثارا لها على الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) بفوائد الآخرة سيما المجاهدين على الحق ودناءة الدنيا (ما) داعرض (لكم اذا قيل) من جهة الله ورسوله نفعا (لكم انفروا) أى اخرجوا للقتال لتملكوا بالناس (فى سبيل الله اثاقلتم) أى أبطأتم ابطاء الثقيل لميلكم (الى الارض) ميل الثقيل اليها (أرضيتم) أيها المؤمنون بفوائد الآخرة سيما المجاهدين (بالحيوة الدنيا) أى المقصر تبدلا (من الآخرة) أى من فوائدها سيما للشهداء فان زعمتم ان الفوائد الدنيوية محققة دون الاخروية ففيه تضييع الايمان الذى به النجاة والدرجات بأدنى الاشياء (فما متاع) أى فائدة (الحيوة الدنيا) اذا وضعت (فى) جنب فوائد (الآخرة الا قليل) فكيف يحصل لاجل هذا القليل هذا الخطر العظيم على أنه لا يحصل لكم هذا القليل حينئذ أيضا فانه (الا تنفروا يعذبكم) بتسليط أعدائكم عليكم (عذابا أليما) بالقتل والاسر وراء العذاب

(باب الراء المضمومة) (قوله عزوجل ركبان) جمع راكب (قوله عزوجل روح منه) يعنى عيسى عليه السلام روح من الله أحياه الله بفعله وروحا والروح الامين جبريل عليه السلام وقوله تعالى

الآخرة (و) لا يعدل ذلك باظهار دينه بل ان تتركوا النفير (يستبدل قوما غيركم) كأهل فارس واليمن فيصبركم بالعذاب الأليم (و) باستبدال قوم آخرين (لا تضروه شيئا) بابطال دينه (والله على كل شيء قدير) فيقدر أن يظهر دينه بقوم آخرين لا حاجة اليهم فانكم (الا تنصروه) أي ان اتفقتم على ترك نصره ينصره الله بغير سبب ولا يبعد (فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا) اى حين مكر به الكفار فصار وأسباب سر وجهه فخرج مع أبي بكر (ثاني اثنين اذ هما في الغار) ليس معه جماعة تنصره فنصره (اذ يقول لصاحبه) أبي بكر حين قال لو نظر المشركون الى أقدامهم لرأونا ما ظنك باثنين الله ثالثهما (لا تحزن ان الله معنا) بالمعونة (فأنزل الله) بهذا القول (سكينته) أي أمنته التي تسكن عندها القلوب (عليه) أي على صاحبه وقد كان نصر الله بلا سبب (و) قد جعل له سبب خفي اذ (أيده) لنصره يوم بدر وحنين والأحزاب (بجنود) من الملائكة (لم تروها) وان رآهم الكفار (و) ليس هذا مخصوصا بوقت دون آخر بل لم يزل يفعل ذلك حتى (جعل كلمة) أي دعوة (الذين كفروا) مع كثرتهم (السفلى) أي الخسيسة التي لا يبالى بها (وكلمة الله) أي دعوته الى التوحيد والأحكام (هي العليا) لا تزال عالية الى يوم القيامة (و) لا يبعد مع ضعف المؤمنين اذ (الله عزيز) أي غالب على ما أراد لا يحتاج الى سبب ولكنه رتب الأسباب لأنه (حكيم) ومن الحكمة في جعلكم سبب النصر بعد فعله بلا سبب تارة وبسبب سماوي أخرى ابتلاؤكم (انفروا خفافا) ليكون لكم أجر النشاط والخفة (وثقالا) ليكون لكم أجر المشقة (وجاهدوا بأموالكم) لتعوضوا منها الثواب الأبدي (وأنفسكم) لتعوضوا منها الحياة الأبدية تفعلون ذلك وان لم تكافئوا به (في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) مقدار العوضين لكنهم لا يعلمون ذلك (لو كان) ما تدعوهم اليه (عرضا قريبا) أي نفعا دنيويا (و) السعي اليه (سفرا قاصدا) أي وسطا (لاتبعوك) لا لأجلك بل لموافقة أهوائهم ولو علموا التصلوا به عظم المشاق فرأوا أبعد الأسفار أقرب (ولكن) لجهلهم (بعدت عليهم الشقة) أي بعد عليهم السفر والشقة وهم يدعون العلم به (و) يزعمون أنهم عاجزون عنه (سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) ولا تفيدهم هذه الدعوى والحلف بل (يهلكون أنفسهم) بهذا الحلف والحالة ودعوى العلم والعجز (و) لا يصدق الحلف ودعوى العجز اذ (الله يعلم) باقامة الدلائل العقلية والنقلية (انهم لكاذبون) والحلف وان كان مصدقا في الجملة فليس يصدق انهم لذلك (عفا الله عنك) أي عفوه عن الجهد المطلق (لم أذنت لهم) بتخلفهم (حتى يتبين لك) بيانا واضحا (الذين صدقوا) بطريق غير حالهم وسابق امرهم (وتعلم الكاذبين) بوجه تميزهم عن الاستئذان على أنه لا يلتبس فيه الصادق بالكاذب لا بد انما تأمر القادرين بالخروج حينئذ (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) لمنع ايمانهم به من مخالفته مع القدرة (واليوم الآخر) لمنع ايمانهم به من ترك تعويض الثواب والحياة الأبديين اذا أمروا (أن يجاهدوا بأموالهم

ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي وأسئتم لا تدارونه والروح فيما قال المفسرون ملك عظيم من ملائكة الله عز وجل يقوم وحده فيكون صفا وتقوم الملائكة صفا

وأنفسهم) بل يخافون أن يقصروا في بذلهما بعد أمر الله (والله عليم بالمتقين) فيعطيهم من الاجر ما يناسب تقويهم (انما يستأذنك) في ترك الجهاد بهما (الذين لا يؤمنون بالله) فلا يبذلون أموالهم وأنفسهم لامره (واليوم الآخر) اذ لا يرجون ثوابه ولا حياته (و) هم وان وجدوا دلائل ذلك (ارتابت قلوبهم) ورسخ فيها الريب (فهم في ريبهم يترددون) لا يخرجون عنه أبدا (ولو) كان المستأذنون مؤمنين لكان استئذانهم لعجز عرض لهم بعد القدرة فلو (أرادوا الخروج) قبل العجز (لأعدوا له عدة) من أسباب السفر والحرب (ولكن) لم يعدوا فلم يريدوا الخروج لان الله تعالى وان أمرهم به ابتلاء (كره الله انبعاثهم) أى قصدهم للخروج (فثبطهم) أى حبسهم عنه بالقاء الجبن والكسل عليهم (وقيل) لهم مع تحريكهم بالامر (اقعدوا مع القاعدين) من النساء والصبيان وانما كره انبعاثهم فثبطهم لانه علم أنهم (لو خرجوا) فصاروا (فيكم ما زادوكم الا خبالا) أى فسادا بالنميمة (ولأوضعوا خلالكم) أى أوقعوا التخذيل والهزيمة بينكم لانهم (يبغونكم) أى يطلبون لكم (الفتنة) أى ما تفتتنون به (و) انما يتيسر لهم ذلك اذ (فيكم) أيها المؤمنون الخاصرون (سماعون لهم) أى منقادون لقولهم لضعف عقلهم فيسترشدون منهم النصح والاعانة وقد وضعوا مكانهما التخذيل والفتنة ظلما (والله عليم بالظالمين) فكره انبعاثهم وثبطهم ويدل على ابتغائهم الفتنة في كل مرة انهم والله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يوم أحد (و) يدل على زيادتهم الخبال انهم (قلبوا لك الامور) نفيها وما عن حقائقها سعيا في ابطال أمرك فلم يزالوا على ذلك (حتى جاء) النصر والتأييد (الحق وظهر أمر الله) أى علا دينه (وهم كارهون) مجيء الحق وظهور أمر الله فكره انبعاثهم (ومنهم) أى ومن المستأذنين الطالبين فتنة المؤمنين (من يقول) وهو جد بن قيس اذ قال له صلى الله عليه وسلم هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سرارى ووصائف (ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) بالنساء وأعينك بمالي فرد عليه عز وجل بان اتخاذ السرارى ليس من الفتنة المحذورة وانما هي فتنة الكفر والنفاق (ألا في الفتنة) المحذورة (سقطوا) وهم وان لم يروا الكفر والنفاق فتنة فلا شك ان جهنم فتنة (وان جهنم) عند احاطة أسبابها (لمحيطة بالكافرين) ويكفي من أسبابها حسدهم على دينك بحيث (ان تصبك حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) أى شدة كما في أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) بالحزم في القعود (من قبل) أى من قبل أن تصيبهم كأنهم اطلعوا على الغيب (ويتولوا) عن مجمعهم الذي أظهروا فيه الفرح برأيهم (وهم فرحون) أى مستمرون على الفرح برأيهم وبما أصابكم وبما عملوا (قل) لا وجه لهذا الفرح لرضانا بما فاته (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) ونحن راضون بقضائه ثم يسوؤنا بالحقيقة كيف ولم يكتبها علينا البشر بل انه (هو مولانا) يتولى أمورنا فانما كتبها علينا ليوفقنا للصبر عليها والرضا بها فيعطينا من الاجر ما هو خير منها (و) لا يجزم في التخلف عن الجهاد لاجلها لانها لما كتبت

فذلك قوله عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة صفا (قوله عز وجل رفاتا) وقتانا واحد ويقال الرفات ما تناثر من كل شئ (قوله عز وجل رحما) بلى أى رحمة وعطفا (قوله تعالى ركاما) أى بعضه

فلا يجمن اصابتها باجاهدنا لام لا على أنه لا تصيب من صح توكله على الله لذلك (على الله فليتوكل
المؤمنون) اذا أمرهم بذى خطر (قل) يا أيها الحاسدون علينا فى ديننا الذى نجاهد لاجله
(هل تربصون بنا) أى تنتظرون بنا فى الجهاد على الجهاد الذى نريد به اعلاء ديننا (الا احدى
العاقبتين (الحسنيين) النصر أو الشهادة (ونحن نتربص بكم) فى حقكم أحد السوأيين (أن
يصيبكم الله بعذاب) نازل (من عنده) بلا واسطتنا (أو) بعذاب واقع (بأيدينا فتربصوا) فى
حقكم بنا احدى الحسنيين (انا معكم متربصون) غير الانفسنا ما تربصتم فى حقكم فهذا
زدعر زهم من الفتنة وأما رداعاتهم بالمال فهو المشار اليه بقوله (قل) للجد بن قيس وأصحابه
(أنفقوا) فى سبيل الله (طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) لانه انما يتقبل عمل من وافق أمر الله
وليتم كذلك (انكم كنتم قوما فاسقين) اى خارجين اما فى صورة الطوع فلانكم
مأمورون بالاخلاص وانتم مراؤن وأما فى صورة الكره فلان فعل المكره لا ينسب اليه
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) لو لم يراؤا ولم يكرهوا (الا أنهم كفروا بالله) فان الكفر
بالامر أشد من مخالفة أمره (و) يكفى فى الكفر به تكذيب (برسوله) لانهم بمنزلة أن يقولوا
ان من أرسله ليس باله (و) من علامات كفرهم بالله انهم (لا يأتون الصلوة) التى بها وصلهم الى
الله (الا وهم كسالى) اذ مقتضى الايمان ترك التكاسل فيما هو سبب الوصلة الى من
يؤمنون به (و) أيضا (لا ينفقون) النفقة التى بها ايثار حبه على حب المال (الا وهم
كارهون) وهو يدل على ايثارهم حب المال على حب الله واذا ظهرت لك علامات كفرهم
(فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) فانها وان كانت نعما حقها أن تعطى للشاكرين لكن
الله تعالى لم يعطهم ليشكروها فيجزيهم بشكرهم بل (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا)
بما يرون فيها من الشدائد والمصائب (و) لايثارهم حبها على حب الله (تزهق أنفسهم وهم
كافرون) اذ يبغضون من سلب حبهم محبوبهم من الاموال والاولاد بازهاق أنفسهم (و) اذا
ظهر نفاقهم بحزنهم بحسنة المؤمنين وفرحهم بمصيبتهم (يحلفون بالله انهم لمنكم) ايدفعوا بدلالة
اليمين دلالة النفاق (وما هم) بدلالة اليمين (منكم) لان دلالة النفاق أقوى كيف ولو لم يخافوا
لم يحلفوا (ولكنهم) اذا هم حلفوا على أنهم (قوم يفرقون) أى يخافون أن يفعل بهم مثل
ما يفعل بالمشركين وسبب الخوف اضطرارهم الى مساكنتهم مع ضعفهم ولذلك (لو يجدون
ملجأ) أى قرما وحصنا يلتجئون اليهم أو اليه (أو مغارات) يسكن كل واحد منهم غارا (أو
مدخلا) أى نفقا يدخلون فيه كالضب والفار (لولوا) اى أقبلوا (اليه) لاظهار كفرهم
(وهم يجمحون) لكراهتهم صحبتكم الملجئة اياهم الى اظهار الايمان (ومنهم) أى ومن المنافقين
انهم لمنكم (من) يظهر كفره صريحا فرق ظهوره بالعلامات اذ (يلمزك) أى يعيبك (فى) قسم
(الصدقات) وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى رأس الخوارج أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسمها فقال يا رسول الله اعدل فقال عليه السلام ويلك من يعدل
اذا لم اعدل وأبو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم

(قوله عز وجل
فوق بعض
أصاب) أى
رماه حيث أصاب
وخوله نية وحيث أصاب
اى حيث أراد بقال أصاب
الله بك خيرا أى أراد الله
بك خيرا (قوله تعالى رجت
الارض رجا) أى زلزلت
واضطربت وتحركت

أنه يعدل ولم يكن لمزهم لنعه المستحقين واعطائه غيرهم بل لمنعه اياهم (فان أعطوا منها) ولو بلا استحقاق (رضوا) وجعلوه عدلا (وان لم يعطوا منها) لعدم استحقاقهم (اذا هم يسخطون) ويجعلونه غير عدل (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) لدل ذلك على اخلاصهم (و) لا يمنعهم من ذلك عدم كفايته بل (قالوا حسبنا الله) فان لم يكفنا الآن (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فان لم يؤتنا في المستقبل أيضا فلا نبالي به (انا الى الله راغبون) ثم بين المستحقين الذين اعطاؤهم عدل ومنعهم ظلم فقال (انما الصدقات) حق (للفقراء) من لا مال له ولا كسب لانه لا يقع موقعا من حاجته كأنه أصيب فقاره وقدمهم لانهم أحق (والمساكين) من له مال أو كسب لا يكفيه كأن العجز أسكنه ثم ذكر من يحتاج اليهم المحتاجون الى الصدقات فقال (والعاملين عليها) أي الساعين في تحصيلها القابض والوازن والكيال والكاتب يعطون أجورهم منها ثم ذكر من يحتاج اليهم الامام فقال (والمؤلفة قلوبهم) وهم قوم ضعفت نيتهم في الاسلام فيحتاج الامام الى تأليف قلوبهم بالعطاء تقوية لاسلامهم لئلا يسري ضعفهم الى غيرهم أو أشراف يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ثم ذكر من يعان بها في دفع العوارض (و) أجلها الاعانة (في) ذلك (الرقاب) فيعطي المكاتب ما يستعين به على أداء النجوم وان كان كاسبا ثم ذكر من يفك ذمته عن الديون فقال (والغارمين) من استدان لنفسه في غير معصية ولم يجد وفاء أو لاصلاح ذات البين ولو غنيا ثم ذكر الاعانة على الجهاد الذي يفك به الاسلام عما يتوهم من غلبة الكفار فقال (وفي سبيل الله) فيصرف على المتطوعة في الجهاد ويشترى لهم الكراع والسلاح ثم ذكر الاعانة في قطع الطريق فقال (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله حال كونها (فريضة) مقدرة لكل صنف من هؤلاء لا بالرأي بل (من الله) وكيف يفوض الى رأي الغير وليس له علم كامل ولو علم لربما ذهب الى هواه (والله عليم حكيم) لا يميل في شيء الى خلاف مقتضى العلم به (ومنهم) أي ومن الذين يحلفون بالله انهم لمنكم من هو أشد من اللامز في الصدقات اذ هم (الذين يؤذون النبي) فوق ايذاء اللامز (ويقولون) اذا قيل لهم لا تفعلوا ان بلغه ما تقولون يقع بكم (هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له فنقول ما شئنا ثم ننكر ونحلف فيصدقنا قاله الجلاس بن سويد وأصحابه يعنون أنه ليس بعيد الغور بل سريع الاغترار بكل ما يسمع (قل أذن خير لكم) أي يسمع من كل أحد ما هو خير لكم لانه (يؤمن بالله) ومن خواصه التصديق في الخيرات (ويؤمن للمؤمنين) اى انما يصدق في الشر من عرف كمال ايمانه لان تكذيب المؤمنين لتصديق المنافقين قبيح جدا وكيف يكذب المؤمنين لتصديق المنافقين (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) لا للمنافقين المؤذين له عليه السلام كيف (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) فليكن من عذابهم تصديق المؤمنين عليهم وكيف يصدق المنافقون ولا يقع صدقهم في القلوب وان حلفوا الا انه يفعل الله وانما يوقعه الله اذا أرضوه وهم انما (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) دفعا لضرركم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) لان ضرر عدم ارضائهما أشد يعلمونه (ان كانوا مؤمنين) وهو العذاب الاخروي فلا يعد

(قوله تعالى الرجعى) المرجع والرجوع

(باب الراء المكسورة)

(قوله تعالى رجالا أو ركبانا) اى جمع راجل وراكب (قوله عز وجل ربا) وأصله الزيادة لان صاحبه يريده على ماله ومنه

تعذيبهم بعدم إيقاع صدقهم عند حلفهم في قلوب الناس فإن أوقع صدقهم فما دفع عنهم
أدنى الضرر (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) أي يعاديهما ولا يرضيهما (فأن له نار جهنم
خالدا فيها) ولا يبلغ ضرر الخلق الذين يرضونهم ذلك المبلغ فإن فعلوا ذلك لدفع الخزي الدنيوي
من جهتهم فالأولى دفع الخزي الأخروي إذ (ذلك الخزي العظيم) لكن المنافقون لا يبالون
بذلك الخزي وإنما يبالون بالخزي الدنيوي فإنه (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) أي على المؤمنين
(سورة) أي طائفة من القرآن محيطة بأسرارهم إحاطة السور بالمدينة (تنبئهم) بجميع
مكائدهم حتى (بما في قلوبهم) فيفتضحون بها ويفعل بهم مثل ما يفعل بالمشركين (قل)
مقتضى هذا الحذر ترك النفاق وأنتم لا تتركونه بل تستهزئون به (استهزئوا) بالله وآياته
ورسوله (إن الله مخرج) بالوحي أو بطريق آخر من قلوبكم ومن سائر أعمالكم إلى الرسول
والمؤمنين (ما تحذرون) خروجه (و) هم يعتمدون في دفع هذا المحذور إذا خرج على
عذرهم الفاسد فإنك والله (لئن سألتهم) عن إتيانهم تلك الشنائع المتضمنة للاستهزاء بالله
وآياته ورسوله (ليقولن) في الاعتذار إنه لم يكن عن القلب حتى يكون نفاقا وكفرا بل
(إنما كنا نخوض) أي ندخل في هذا الكلام لترويح النفس عن مشاق السفر (و) ليس فيه
مواطأة القلب بل غايته أنا كنا (نلعب) أي نمزح (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)
في ترويحكم ومزاحكم ولم تجدوا لهما كلاما آخر (لا تعتذروا) بعذر يكون كفرا وإن لم
يكن عن جد وتصديق قلب وهو أخس من الكفر المستمر (قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف
عن طائفة منكم) فجعلها مؤمنة مخلصة لكونه حكاها من غير رضا منها أو الاستهزاء
موجب للتعذيب (نعذب) أي نعين للعذاب (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) بالنطق به أو الرضا
وكيف لا تعذب هذه الطائفة وأثر الكامل فيها يسري إلى الناقص إذ هم كأجزاء الشيء
الواحد إذ (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يتقوى الناقص منهم حتى يلحق بالكامل
وكيف لا مع أنهم (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) الإخلاص
والطاعات (ويقبضون أيديهم) عن الخيرات (نسوا الله) الذي يجزيهم على الخيرات والشرور
(فنسيهم) عن لطفه وأخرجهم عنه مع عمومه لكمال خروجهم عن طاعته (إن المنافقين
هم الفاسقون) ولم ينسهم باعتبار قهره وانتقامه إذ (وعد الله المنافقين والمنافقات) أي
الكاملين والناقصين ما وعد الكفار وإن أظهروا الإيمان وأجرى عليهم في الدنيا أحكام
المؤمنين لكن وعدهم (والكفار) الذين أظهروا كفرهم (نار جهنم) وهي وإن أخرج منها
من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يؤثر ما ظهر من إيمانهم في ذلك بل جعلوا (خالدين
فيها) وهم وإن شاركوا الكفار في عذابهم بالنار (هي حسبهم) لكن زيد في حقهم أن
(لعنهم الله) لعنة خاصة بهم (ولهم) من تلك اللعنة (عذاب مقيم) وراء إقامة العذاب المشترك
ولا ينافي هذا الأمن التنعم الدنيوي إذ أنتم أيها المنافقون في ذلك (كالذين من قبلكم) من أمم
أنعم عليهم ثم عذبوا إذ (كانوا أشد منكم قوة) في أنفسهم (وأكثر أموالا) تفيدهم مزيد قوة

قوله فلان أربى على فلان إذا زاد عليه في القول
(قوله عز وجل ربيون) أي جماعات كثيرة الواحد ربي (قوله تعالى ريشا) وريشا واحد ما ظهر من اللباس والشارة والرياش أيضا الخصب والمعاش

ومنافع أخر (وأولادا) تفيدهم مزيد قوة لا تفوت بفوات المال ومنافع أخر (فاستمتعوا) أي
فاستمتعوا (بخلاقهم) أي نصيبهم ثم أعطاكم أيها المنافقون أقل مما أعطاهم (فاستمتعتم بخلاقكم)
القليل استمتاعا كاملا (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) الكامل (و) لم تشكروا النعم بل
(خضتم) أي دخلتم في الكلام الردي في حقه (كالذي خاضوا) أي كالكلام الذي خاضوا فيه من
غير نقص ولا ينفعكم أيها المنافقون اظهار الايمان والطاعات فان الاولين مع كفرهم لم يكونوا
خالين عن عمل صالح لكن (أولئك) لبعدهم عن استحقاق الثواب (حبطت أعمالهم) فلم
تفدهم (في الدنيا والآخرة) كيف (و) لو وجد فيهم الايمان حال الاتيان بها ثم زال عنهم
(أولئك هم الخاسرون) بتلفها بعد حصولها كمن احترق زرعه حين حصاده فان أنكروا
ما جرى من ذلك على الماضين فلا وجه له (ألم يأتهم) بطريق التواتر (نبأ) أي قصة اهلاك الله
بعد تنعيمه (الذين من قبلهم قوم نوح) أنعم عليهم بنعم منها التطويل في أعمارهم ثم أهلكهم
بالطوفان (وعاد) أنعم عليهم بنعم منها مزيد قوتهم ثم أهلكهم بالريح (وثمود) أنعم عليهم بنعم منها
القصور ثم أهلكهم بالرجفة (وقوم ابراهيم) أنعم عليهم بنعم منها اعظم الملك ثم أهلك ملكهم نمرود
بالبعوض الداخل في أنفه (وأصحاب مدين) أنعم عليهم بنعم منها التجارة ثم أهلكهم بافاضة النار
عليهم (والمؤتفكات) أنعم عليهم بنعم منها الذات الوقاع المحرم ثم أهلكهم بجعل قراهم عاليها
سافلها وامطار الحجارة عليها وكان تعذيبهم بعد وعد الرسل اذ (أتتهم رسلهم بالبينات)
بعدوثم ذلك العذاب كما تعد كم فان أنكروا اتيان الرسل اياهم (فما كان الله ليظلمهم
ولكن) أنعم عليهم و (كانوا) بترك شكره وصرفهم نعمه الى غير ما أعطاهم اياها لاجله (أنفسهم
يظلمون) فيستحقون ذلك العذاب (و) لا يبعد أن يعفو عن طائفة منهم وان كان فيهم ضعف
ايمان لانه يتقوى المؤمنون بعضهم ببعض أكثر مما يتقوى المنافقون بعضهم ببعض اذ
(المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وتقوية الولاية أعظم من تقوية الجزئية اذ لهم
استيلاء في الظاهر بالقول اذ (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ولا استيلاء للمنافقين
في العكس لميل طبائعهم اليه (و) لهم استيلاء في الظاهر بالفعل اذ (يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة) فتؤثر رؤيتهما أكثر من تأثير القول (و) لهم استيلاء في الباطن اذ (يطيعون الله
ورسوله أولئك) وان كان في بعضهم ضعف ايمان حسنا (سيرحمهم الله) بتقويته فيهم لان نوره
غالب على ما ظهر (ان الله عزيز) لكنه انما يظهر في كل شيء بحسبه لانه (حكيم) وكيف
لا يتقوى بعضهم ببعض ويرحمهم بعد التقوية وقد (وعد الله المؤمنين والمؤمنات) أي
الكاملين والقاصرين (جنات) ولجريان أنهار الانوار من بعضهم الى بعض (تجري من
تحتها الانهار) ولا يعود ضعفهم بعد التقوية لذلك جعلوا (خالدين فيها و) الضعف وان كان
لخبث في قلوبهم لكن بعد التقوية ثم طيبها لذلك وعدهم (مساكن طيبة) ولعدم كون
قلوبهم بعد التقوية بحيث تطيب مرة دون أخرى جعلت (في جنات عدن ورضوان من الله

(قوله عز وجل رجز) أي عذاب كقوله عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز أي العذاب ورجز الشيطان لطخه وما يدعو اليه من الكفر والرجز والرجس واحد في معنى العذاب والرجس أيضا

أكبر) وهذه التقوية وان كانت بعد ضعف لم يقصر الفوز بها بل (ذلك هو الفوز العظيم) كفوز من قوى من أول الامر (يا أيها النبي) أى الذى نبئ بأسرار التأثير فكان أكثر تأثيرا من سائر المؤمنين ليس لك أن تؤثر فى الكفار والمنافقين بالرحمة بل (جاهد الكفار والمنافقين) لتؤثر فيهم بالقهر (و) لا تلاين معهم ليكون لهم نصيب من رحمتك العامة بل (اغلظ عليهم و) كيف تؤثر فيهم الرحمة وقد أحاطت بهم أسباب الشقاوة كأنهم الآن (مأواهم جهنم و) ليس مصيرهم اليها يوم القيامة لكونهم اليوم فيها بل (بئس المصير) ولاحاطة أسباب الشقاوة بهم (يحلفون بالله ما قالوا) فيلتبس أسلوبك (و) الله (لقد قالوا كلمة الكفر) وذلك انه عليه السلام نزل عليه القرآن فى غزوة تبوك بعيب المنافقين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزل (و) لم يقتصروا على كلمة الكفر بل (كفروا) بافعال (بعد اسلامهم و) من جملتها انهم (هموا) أى قصدوا (بما لم ينالوا) من اهلاكه عليه السلام بدفعه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل عند رجوعه من تبوك اتفق عليه خمسة عشر منهم وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا أعداء الله (وما نقموا) أى وما قصدوا نقمة رسول الله بشئ (الا أن أغناهم الله ورسوله) بالغنائم وقد كان أكثرهم محاويج فكان حقهم أن يشكروه لكونه (من فضله) لكنهم قصدوا انتقامه ومع ذلك لم ينزع عنهم فضله بالكلية بل مكنهم من التوبة (فان يتوبوا يك) توبتهم (خيرا لهم) مبقيا الفضل فى الدارين (وان يتولوا) عما عرض عليهم من التوبة (يعذبهم الله) بنزع فضله بالكلية ولا يقتصر على النزع بل يجعله (عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل والاسر (والآخرة) بالنار وغيرها (وما لهم فى الارض) فضلا عن ظهورالله (من ولى) يشفع لهم فى دفع العذاب (ولا نصير) يدفعه بقوته فتاب الجلاس وحسنت توبته (ومنهم) أى ومن المنقمين لاغناء الله ورسوله اياهم بما آتاهم من فضله التاركين لايمانهم المتولين عن التوبة (من عاهد الله) وهو ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه السلام قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذى بعثك بالحق (لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) باعطاء كل ذى حق حقه فدعا له صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عليه السلام عنه فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) أى بفضل من ذلك الفضل (وتولوا) عن العهد واليمين (وهم معرضون) أى قاصدون الاعراض من أول الامر مستمرون عليه (فأعقبهم) أى جعل عاقبة أمرهم (نفاقا) راسخا (فى قلوبهم) دائما (الى يوم يلقونه) لا بمجرد البخل بل (بما أخلفوا الله ما وعدوه) من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) فى اليمين اذ قصدوا به الحنث وذلك انه عليه السلام بعث مصدقين فاستقبلهما

قوله الغدر والنقض

فزادتهم رجسا الى رجسهم أى نفاقا الى نفاقهم والنفاق كناية عن الكفر أى كفرا الى كفرهم وعلى الدقة الآخر

فزادتهم رجسا الى رجسهم أى زادتهم عذابا الى

الناس بصدقاتهم ومن اشتملته سألاه الصدقة فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية
فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء بالصدقة فلم يقبلها عليه السلام وليس اعطاء الله اياهم أولا
من جهة لقصدهم الحنث بل قد جرى معهم أولا على مقتضى ظاهرهم ثم أظهر ما بهم والزمهم
اياه لاجل اجترائهم على الله بنسبة الجهل اليه عما هم عليه (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم) وهو
قصدهم الحنث في اليمين في ابتدائه (ونجواهم) أي ما ائتمروا به من تسمية الزكاة جزية أو
أخت الجزية (و) كيف اعتقدوا ذلك فيما وجد منهم وله نوع من الظهور وقد علموا (أن الله
علام الغيوب) التي لم تخرج الى الوجود ولم يبعد استتاره منهم بجريه معهم على ظواهرهم
أولا ثم اظهار ما بهم وقد استتر أعني استر أي بعض عباده اذ (الذين يلمزون) أي يعيبون
(المطوعين) أي المتبرعين (من المؤمنين) بأن لم يبلغوا الى حد الولاية (في الصدقات) فيرمون
اياهم بقصد الرياء (و) يلمزون (الذين لا يجدون) ما يتصدقون به (الا) قليلا فيعطون
(جهدهم) أي مقدار طاقتهم ولا يقتصرون على أدنى الأمر بل يبالغون فيه (فيسخرون
منهم) فيقولون ان الله ورسوله غنيان عن صدقتهم (سخر الله منهم) أي جازاهم على سخرهم
(ولهم) من سخرهم لو لم يعاقبهم الله من خارج (عذاب أليم) من الهيئة القبيحة التي تحصل لهم
منه روي أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال
لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة آلاف درهم وأمسكت لعيالي أربعة آلاف درهم
فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وما أمسكت فصولحت احدى امرأتيه عن نصف
الثمن ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع
تمر وقال بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر تركت صاعا للعيالي وجئت بصاع
فأمره عليه السلام أن ينثره على الصدقات فقال المنافقون ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
وكان الله ورسوله غنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت (استغفر لهم) أي للذين سخر الله منهم لسخرهم بالله أو بأحد من المؤمنين في العمل
الصالح (أو لا تستغفر لهم) فانهما في حقهم سواء وان بالغت في الاستغفار بحيث (ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) كما لا يغفر لهم لو لم تستغفر لهم أصلا (ذلك) أي عدم الغفران
لهم (بأنهم كفروا بالله ورسوله) اذ سخروا منهما أو من العمل الصالح الذي هو مقبول عندهما
ولا يفيد الاستغفار للكافرين لخروجهم عن أمر الله بالكلية (والله لا يهدي القوم الفاسقين)
الخارجين عن طريق التقرب اليه بنوع حب المعاصي وسترها بالاستغفار ولعدم هدايتهم
جعلوا الفرح مكان الحزن والكراهة مكان الرضا فانه (فرح المخلفون) أي الذين خلفهم
الشيطان عن غزوة تبوك اذ رضوا (بمقعدهم) اي علا رمقمكان قعودهم لكون قعودهم
(خلاف) أمر (رسول الله) مع ما فيه من حرب العامة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله) مع ما فاتهم من الثواب الابدي والحياة الطيبة الابدية الموجبة للرضا
(و) من ضلالهم ترجيح حر الشمس على حر نار جهنم اذ (قالوا لا تنفروا) الى الجهاد (في) أيام

عداهم مما تجدد من
كفرهم والله أعلم (قوله
عز وجل والرجز فاهجر)
والرجز أيضا بكسر الراء
ونحوها ومعناهما واحد
وفسر بالأوثان وسميت
الأوثان رجزا لأنها سبب

افراط (الحر) أى حر الشمس (قل نار جهنم) على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل ثواب الجهاد والحياة الطيبة الابدية (أشد حرا) يدركون غاية شدتها (لو كانوا يفقهون) ان اثر غضب الله يجب أن يكون كذلك واذا كان فرحهم بمخالفة الله ورسوله موجبا لهذا الاثر من غضبه (فليضحكوا) بفرحهم (قليلا) غايته مدة حياتهم (وليبكوا كثيرا) بعد الموت أبد الآباد (جزاء بما كانوا يكسبون) بهذا الفرح من الكفر والمعاصى العظام واذا تحقق فرحهم بالقعود خلافك وكراهتهم للجهاد (فان رجعك الله الى) الجهاد مع حضور (طائفة منهم فاستأذنوك للخروج) دفعا للعار السابق (فقل) هذا الاستئذان بعد العار لانكم تفرحون بخلافى وتكرهون الجهاد (لن تخرجوا معى أبدا) وان أمرتكم بعد استئذانكم (و) لئن خرجتم (لن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة) فخذلكم الله وستطمع عن نظره بل غضب عليكم وألزمكم العار (فاقعدوا مع الخالفين) من النساء والصبيان دائما (و) لا ينقطع غضب الله عنهم بموتهم بل هو مؤبد لذلك (لا تصل على أحد منهم) اذا (مات) ولا ينسخ هذا النهى بل يبقى (أبدا) لانه لا شفاعة ولا شفاعة فى حقهم (ولا تقم على قبره) للاستغفار اذ لا استغفار فى حقهم (انهم كفروا بالله ورسوله) فى الحياة بالباطن (وماتوا وهم فاسقون) أى خارجون عن الايمان الظاهر الذى كانوا به فى حكم المؤمنين قيل بعث عبد الله ابن ابى ابنه فى مرضه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعترفا تام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اهلكك حب اليهود فقال يا نبى الله لم أبعث اليك لتلومنى ولكن بعثت اليك لتستغفر لى وسألتك قميصه ليكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له ونفث فى جلده وصلى عليه ودلاه فى قبره فنزلت ولا ينافى دوام غضب الله عليهم اعطاؤهم الاموال والاولاد (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) اذ لم يرد الله انعامهم بها البدل على رحمته بهم بل (انما يريد الله) بها اتقامهم لانه أعطاهم (أن يعذبهم بها فى الدنيا) بالمشقة فى تحصيلها او حفظها او الحزن عليها (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) بالله ليغضبهم اياه عند سلبهم عن محبوبهم فهو كسلب المحبوب ومما يدل على ان اموالهم لتعذيبهم فى الدنيا انهم آثروا الجاه الذى هو أدنى المال اذ لحقهم بالنساء والصبيان وعلى أنهم ستزهق أنفسهم حال الكفر انهم سمعوا القرآن لا بحملها مقتضى الايمان (و) ذلك أنه (اذا أنزلت سورة) أى طائفة من القرآن محيطة بالعلوم احاطة السور آمرة (أن آمنوا بالله) م استدعوه من الحق بان (جاهدوا مع رسوله) الداعى اليه (استأذنك أولوا الطول) أى الفضل والسعة (منهم) لحرفهم على أموالهم (وقالوا ذرنا) أى اتركنا عند أموالنا (نكن مع القاعدين) لحفظها فهؤلاء منعهم مقتضى الايمان وهو أن لا يرضى بكفر أحد فيستدعى ايمان الكل تركوا الجاه اذ (رضوا) بالعار العظيم (بأن يكونوا مع) النساء (الخوالف) لحفظ البيوت لايثارهم حب المال على حب الجاه وعلى حب الله (وطبع على قلوبهم) التى تعرف ما فى حب الله والتقرب اليه من الفوائد الجليلة وما فى الجاه من الفوائد الدنيوية (فهم لا يفقهون) ما فوتوا على أنفسهم من تلك الفوائد التى أدناها النصر والغنيمة وأعلاها

الرجز أى سبب العذاب (قوله تعالى الرفد) أى العطاء والعون أيضا وقوله بئس الرفد المرفود أى بئس العطاء المعطى ويقال بئس العون المعان (قوله تعالى ربما) بهمزة ساكنة قبل الباء ما أبت عليه من

التقرب الى الله تعالى وهم يزعمون أنه من كمال فهمهم وهو غلط اذ لو كان كذلك لكان الرسول والمؤمنون الذين هم أفقه خلق الله أولى بذلك (لكن الرسول والذين آمنوا) فبلغوا فيه درجة الكمال في الفقه حتى صاروا (معه) آثروا حب الله على كل شئ حتى (جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) في سبيل الله لغلبة حب الله عليهم على حب الاموال والانفس فحفظ الله أموالهم وأنفسهم (وأولئك لهم الخيرات) النصر والغنيمة وبسط الجاه في الدنيا (وأولئك هم المفلحون) بأجر الايمان الكامل والجهاد وإيمان من آمن بسببهم وأعمالهم وغير ذلك وبالقرب من الله في الآخرة ولا يضرهم ضياع أموالهم وأنفسهم ولو ماتت في الجهاد اذ (أعد الله لهم) بدل أموالهم (جنات) وبدل عنائها كونها (تجري من تحتها الانهار) وبدل حياتهم كونهم (خالدين فيها ذلك) أي استبدال هذه الامور الخسيسة بتلك الامور الشريفة هو (الفوز العظيم) الذي لا نسبة فيه للمبدل الى البدل الاخسة لا شئ الى ما لا يتناهى لكن هذا الفوز انما يحصل لمن فقه (و) ليس من الفقه الاتيان بالاعذار الكاذبة ولا عدم المبالاة بالله ورسوله مع دعوى الايمان فانه اذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله (جاء المعذرون) أي الموهمون ان لهم عذرا (من الاعراب) الذين لا فقه لهم (ليؤذن لهم) في ترك الجهاد الذي فيه ما ذكر من الفوائد (وقعد) من غير اعتذار من الاعراب من قلة المبالاة بالله ورسوله (الذين كذبوا الله ورسوله) في دعوى الايمان مع ظهور علامات الكفر من قلة المبالاة فأنى يكون هذا من الفقه على أنه استبدال العذاب بالثواب فانه (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) لظهور كفرهم وافتضاحهم في الدنيا والنار في الآخرة هذا في القعود عن عدم المبالاة وفي الاعذار الكاذبة لا في كل قعود ولا في الاعذار الصادقة اذ ذلك (ليس على الضعفاء) هم العاجزون مع الصحة عن العدو وتحمل المشاق كالشيخ والصبي والمرأة والضعيف (ولا على المرضى) العاجزين بأمر عرض لهم كالعمى والعرج والزمانة (ولا على الاقوياء والاصحاء (الذين لا يجدون ما ينفقون) في السفر والسلاح (حرج) في القعود بلا عذر ومعه (اذا نصحوا لله ورسوله) أي أخلصوا الايمان والعمل الصالح فلم يرجفوا ولم يثيروا الفتن وأوصلوا الخيرات الى المجاهدين وقاموا بمصالح بيوتهم كيف وهم بالنظر الى الله ورسوله محسنون و (ما على المحسنين من سبيل) الى عتابهم فضلا عن عقابهم (و) انما عموم الخطاب ساقط عنهم اذ (الله غفور) للمكلف المعذور لانه (رحيم ولا) سبيل (على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة كمعقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد ليطلبوا مكان العذر (قلت) لهم (لا أجد ما أحملكم عليه) فحينئذ (تولوا وأعينهم) كأنها (تفيض) بأنفسها اذ صارت كأنها (من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) في الجهاد فهؤلاء وان كان لهم قدرة على تحمل المشاق فما عليهم من سبيل أيضا فضلا عن المعاقبة (انما السبيل) بالعتاب والعقاب (على الذين يستأذنونك) وان كانوا دون القاعدين من عدم مبالاتهم بالله

شارد وحشية ورابعه همم يعون أن يكون على المعنى الاول ويجوز أن يكون على الرأي أي مطرهم من نوس النعمة ... بالراي ... وقد عرف ... الاوجه (دوله ...)

ورسوله (وهم أغنياء) قادرون على تحصيل الاهبة فاقل ما يعاتبون به أنهم (رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان وسائر أصناف العاجزين وهذا الرضا كما هو سبب
العتاب فهو أيضا سبب العقاب لانه لما كان من قبيل الاثم بالله غضب الله عليهم (وطبع الله
على قلوبهم فهم لا يعلمون) ما يترتب عليه من المصائب الدينية والدنيوية ولغاية جهلهم
(يعتذرون) سد السبيل عليهم وهو لا يسد الا بسد الله تعالى وليس اعتذارهم اليه بل
(اليكم) اذ لو كان الى الله لكان قبل رجوعكم اليهم لكنه (اذا رجعتم اليهم) اذ قبله كانوا
يتوقعون عدم رجوعكم فاذا رجعتم اليهم خافوا أن تفضحوهم بالنفاق (قل لا تعتذروا)
لظهور كذبكم اذ لم يمنعكم فقر ولا مرض ولا يفيدكم الاعتذار لانا (لن نؤمن) أى لن نصدق
قولكم حتى يكون مفيدا (لكم) وكيف نصدقكم مع انه (قد نبأنا الله) بما يفضحكم (من
أخباركم و) لو لم ينبئنا لظهر كذب عذركم باعمالكم فانه (سيرى الله عملكم و) هو لعدم
اعتذاركم اليه غضبان عليكم فلا يبعد أن يظهره سيما عند رسوله فيراه (رسوله) ولا يبعد أن
يأمره بتبليغه لتفتضحوا عند الكل (ثم) ان لم يفضحكم ههنا فلا يبعد أن يفضحكم عند جميع
خلائقه يوم القيامة اذ (تردون الى عالم الغيب والشهادة) فلا يقتصر فى فضيحتكم بظواهركم
بل يعم الظاهر والباطن (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى بجميع أعمالكم بحضرة جميع
الخلائق واذا لم يقبل عذرهم يرون أنه انما لم يقبل عذرهم لكونه غير مقرون بالحلف فحينئذ
(سيحلفون بالله) تعزيرا (لكم) ويدل على هذا التعزير كونه (اذا انقلبتم اليهم) ولا يقصدون
بذلك تصديقكم اياهم ليأمنهم عنه بل (لتعرضوا عنهم) فلا تشعروا فيهم وان كان داعيا لهم الى
الاخلاص (فاعرضوا عنهم) اذ لا يكون وقوعكم فيهم داعيا لهم الى الاخلاص (انهم رجس
و) لا يسد بذلك السبيل الذى جعل عليهم اذ (مأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) من
الاصرار على النفاق بالاعراض عنهم ثم اذا علموا ان اعراضكم عنهم انما هو لكونهم رجسا
(يحلفون لكم لترضوا عنهم) باعتقاد الطهارة والاخلاص فيهم (فان ترضوا عنهم) فلا
يفيدهم رضاكم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى الخارجين عن الطهارة
والاخلاص وان أدخلتموهم فيها فغايته الاعراض السابق عليه لا غير ثم أشار الى أن منافقى
الاعراب أشد رجسا فلا يغتر بحلفهم وان لم يكذبهم الوحى فقال (الاعراب) اذا نافقوا (أشد
كفرا) فلا يبالون بالكذب فى حلفهم بالله (و) لا يغتر بعدم ظهور امارات الكذب عليهم لان
منشأ ذلك كونهم أشد (نفاقا) وكيف يغتر بحلفهم (و) هم (أجدر) أى أحق (ألا يعلموا
حدود) أى نهايات أحكام (ما أنزل الله) من مقام جمعه (على رسوله) الجامع فلا يعلمون ما يلزم
الحالف بالله على الكذب لعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (والله
تعالى وان جعل الحلف سبب التصديق بحيث لا تعارضه امارة الكذب وهى وان كانت خفية
فى بعض المواضع لا تخفى عليه لانه (عليم) وكيف يجعله مع امارات الكذب سبب التصديق

أى صوتا خفيا (قوله عز وجل ريع) أى ارتفاع من الارض والطريق وجمعه أرياع وريعة (رعاء) جمع راع (قوله عز وجل ردا يصدقنى) أى معينا يقال ردأته على عدوه أى أعنته (قال أبو عمرو هذا اخطار

مع انه (حكيم و) من عدم علمهم بحدود ما أنزل الله جعلوا ما هو سبب محبة الله والاخلاص معه سبب النفاق اذ (من الاعراب من يتخذ ما ينفق) في سبيل الله وهو سبب الاخلاص (مغرما) أي خسرانا وهو سبب العداوة (و) لذلك (يتربص) أي ينتظر (بكم الدوائر) أي دوائر الفلك ليتخلص من ذلك الانفاق فيسبونكم بذلك (عليهم دائرة السوء) من تلك الدوائر التي سبوكم بها ظلما كيف (والله سميع) سبهم مستجيب لها الا في حقكم اذ لا تضرونها بل في حقهم لانه (عليم) بمن يستحقها نزلت في غطفان وأسد وتميم وبني عامر بن صعصعة (و) انما جعلوه سبب العداوة لعدم الايمان بالله فيتقربوا اليه ولا باليوم الآخر فيرجوا ثوابه وأما المؤمنون فيرون فيه أنواع القربات ولو من الاعراب فان (من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) وان لم يخالطوا أهل العلم وقل سماعهم للكتاب والسنة (و) لايمانه بالله المتقرب اليه واليوم الآخر المنتفع فيه بالتقرب اليه (يتخذ ما ينفق) في سبيله (قربات) امتثالا لامره وترجيحا لحبه وقطعا لحب ما سواه لينتفع بها (عند الله و) اذا نظر الى قصوره رأى كماله من (صلوات) أي دعوات (الرسول) بالرحمة المكملة القصوره (الا انها قربة) كاملة (لهم) جامعة لانواع القربات يكملها الله بدعوة الرسول ويزيد على مقتضاها فانه (سيدخلهم الله في رحمته) بحيث تحيط بجوانبهم وان كان قصورهم من معاصيهم غفرها لهم (ان الله غفور رحيم) قيل نزلت في جهينة ومزينة وأسلم وغفار وعبد الله ذي البجادين وقومه ولما كان لمؤمني الاعراب مع بعدهم عن العلم القربة والرحمة كان للسابقين الرضوان كما قال (والسابقون) وليس المراد بهم المقربين بل (الاولون) ولو من العوام اذ كانوا (من المهاجرين والانصار) أي من تقدم بالهجرة والنصرة (والذين اتبعوهم) أي سلكوا سبيلهم بشرط اقترانهم (باحسان) وهي عبادة ربهم كأنهم يرونه (رضى الله عنهم) لان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الاهل والعشيرة والنصرة منقبة شريفة لانها اعلاء كلمة الله ونصر رسوله وأصحابه والاحسان من أحوال المقربين أو مقاماتهم (و) دليل رضوانه عنهم انهم (رضوا عنه و) استلزم رضاه عنهم كل خير قبل أن يخلقوا اذ (أعد لهم) قبل أن يخلقهم (جنات) بدل ما تركوا من دورهم وأهليهم وبدل ما أعطوه للمهاجرين من أموالهم ولعزمهم جنات القرب في قلوبهم (تجري تحتها الانهار) لاجرائهم انهار المعارف في قلوبهم وقلوب من اتبعوهم بهذه الهجرة والنصرة والاحسان (خالدين فيها أبدا) لتخليدهم هذا الدين باقامة دلائله وتأسيس قواعده الى يوم القيامة والعمل بمقتضاه واختيار الباقي على الفاني (ذلك) الحاصل لهم من الهجرة والنصرة واقامة الدلائل وتأسيس القواعد (الفوز العظيم) بدل ما تركوا من الامور الخسيسة ثم أشار الى أن هذا الرضوان وان عم المهاجرين والانصار يستثنى من الانصار المنافقون سواء كان نفاقهم لبعدهم عن مخالطة أهل العلم أو لعناد الباطن فقال (وممن حولكم من) الانصار (الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار بعضهم (منافقون) لا يستحقون الرضوان ولا الرحمة وان بعدوا عنكم وكانوا قليلي الفقه (ومن أهل المدينة)

انما يقال أردأني فلان أي أماتني ولا يقال رداه (قوله عز وجل رزقكم أنكم تكذبون) اي جعلتم شكر الرزق التكذيب (قوله عز وجل ركاب) ابل خاصة ومنه قوله

الاوس والخزرج بعضهم أيضا منافقون وهم أولى بعدم الرضوان والرحمة لانهم مع خالطهم لاهل العلم ومعاينتهم المعجزات (مردوا) أي مرنوا ونشؤا (على النفاق) وسادهم وان كان خبيث (لا تعلمهم) مع صدق فراستك لا يبدونه اذ (نحن نعلمهم سنعذبهم) مثل الرضا الذي فوق الرحمة (مرتين) مرة باظهار نفاقهم باخراجهم يوم الجمعة في خطبتها من المسجد بأسمائهم ومرة باحراق مسجد الضرار وقيل الاولى ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والثانية عذاب القبر وهذا العذاب في الدنيا أو القبر (ثم يردون الى عذاب عظيم) وفي السدل يوم القيامة (و) من أهل المدينة قوم (آخرون) ليسوا من أهل الرضا وان لم يكونوا منافقين لانهم (اعترفوا بذنوبهم) لم يعتذروا بالاعذار الكاذبة واعلم يكونوا من أهل الرضوان لاختصاصه بأهل الصلاح وهؤلاء (خلطوا عملا صالحا) كالندم وربط أنفسهم بالسوارى (و) عملا (آخر سيئا) كالتخلف عن الغزوة (عسى الله أن يتوب عليهم) أي قرب أن يقبل توبتهم (ان الله غفور) لسيئتهم (رحيم) بصالحهم نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا وربطوا أنفسهم بالسوارى وعزموا أن لا يطلقوها حتى يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فقال لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأرسل اليهم فأطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فنزل (خذ من أموالهم) أي بعضها (صدقة) لتصدق توبتهم اذ (تطهرهم) بها عن حب المال بعد تطهير التوبة عن المعاصي (وتزكيهم بها) عن سائر الاخلاق الذميمة التي حصلت عن المال (و) لكن لا كمل تزكيتهم بها (صل عليهم) أي ادع بالرحمة عليهم لتوصلهم الى الله تعالى فان حصول التزكية منها احتاج اليها أيضا لتمكين (ان صلاتك سكن لهم) أي تسكنهم في مقام التزكية والقرب (و) لا تتردد في تأثير صلاتك فيهم اذ (الله سميع) أي مجيب لصلاتك عليهم لكنه يتفاوت تأثيرها بحسب استعداداتهم اذ هو (عليم) باستعداداتهم وكيف يشكون في تأثير صلاتك مع انه لا ينبغي لهم ان يشكوا في قبول توبتهم وأخذ الله الصدقة منهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة) من غير شفاعة شافع لصدورها (عن عباده) الراجعين اليه بعد الاباق عنه (ويأخذ الصدقات) قبل ان يأخذها الفقراء بخروجها عن ملك المتصدق أولا فيدخل في ملك الله فكأنما يقع في يده أولا قبل يد الفقير وكيف يشكون في هذين (و) قد علموا (أن الله هو التواب الرحيم) بذاته لا حاجة الى الشفاعة ولا الى قبول الفقير (وقل) لاهل التوبة والتزكية والصلاة لا تتكلوا على ذلك (اعملوا) جميع ما تؤمرون به (فسيرى الله عملكم) فيزيدكم قربا الى قرب (ورسوله) فيزيدكم صلوات (والمؤمنون) فيستغفرون لكم فيحصل لكم أجرهم من غير أن ينقص من أجورهم شئ (و) ان قصرتم في شئ مما أمرتم به (ستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) من الاعمال الخبيثة بعد ما أعطاكم

تعالى هذا حبل ولا ركاب

(باب الراى المتوجه)

(قوله عز وجل زكاة ورحما) أي طهارة ونماء ايضا واعلم ان ما يجب في الاموال من الصدقة زكاة لان اداءها يطهر الاموال مما يكره فيها من الاثم

هذه الفضائل ولا تصير باطهور تلك الفضائل فان الاعمال الخبيثة انما حصلت من اضدادها الخفية (و) من أهل المدينة قوم (آخرون) ليسوا من أهل الرضوان ولا من أهل العذاب الجازم ولا من أهل الرحمة الجازمة لانهم نافقوا وتابوا توبة قاصرة قيل هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع فهم (مرجون) أى مؤخرون انتظارا (لامر الله) أى لحكمه فيهم لتردد حالهم بين أمرين (اما يعذبهم) لبقاء أثر النفاق فيهم (واما يتوب عليهم) وان قصرت توبتهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم فأخلصوا توبتهم فرحمهم (والله عليم) بما يبقى ترجيحه من أثر النفاق والتوبة (حكيم) لا يرجح من غير مرجح فرجح أمر التوبة عند اخلاصهم انقسم المنافقون ثلاثة أقسام ماردين على النفاق وتائبين ومرجئين (و) من أهل المدينة (الذين) قصدوا بأكمل أعمال المسلمين أشد وجوه الكفر وهم بنو غنم بن عوف (اتخذوا مسجدا) يقصد به نفع المسلمين بأجل أعمالهم وهى الصلاة بالجماعة تقوية للاسلام بجمع قلوب أهله على الخيرات ورفع الاختلاف من بينهم (ضرارا) للمسلمين اذ قصدوا قتالهم فيه بعد سد أبوابه (وكفرا) اذ قصدوا به قتل الرسول عليه السلام فيه (و) لو لم يحصل ذلك فلا أقل من ان يوقع (تفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يجتمعون بمسجد قبا (وارصادا) اعدادا مكانا ترقبا (لمن حارب الله ورسوله) أى لابى عامر الراهب الذى حارب المؤمنين (من قبل) يوم حنين فانهزم فهرب الى الشام ليذهب الى قيصر فيأتى بجنود منه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة فقال انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فلما انصرف من تبوك نزل بذى أوان موضع بينه وبين المدينة مسيرة ساعة أتوه فسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتى مسجدهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وتفرق عنه أهله (و) بعد ظهور هذه المقاصد منهم (ليحلفن ان أردنا الا) الارادة (الحسنى) ليس معها هذه المقاصد (والله يشهد انهم لكاذبون) فى دعوى هذه الارادة بل لم يكن لهم الا تلك المقاصد الفاسدة ولو غيروا الآن قصدهم (لا تقم فيه) للصلاة لكونه موضع غضب الله (أبدا) أى فى وقت من الاوقات وان تيقنت فى بعضها انه لا يتأتى لهم شئ من تلك المقاصد الباطلة (لمسجد) بناه اخوتهم بنو عمرو بن عوف وهو مسجد قبا لكونه محل رضا الله اذ (أسس) أى بنى (على التقوى) أى قصد الحفظ من معاصى الله بفعل الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ولو قصدوا بمسجدهم التقوى اليوم فلا يكون كالذى أسس عليها (من أول يوم) ابتدئ بناؤه فيه (أحق أن تقوم فيه) وترك الاحق فى حقك كالحرام ثم المقصود من

والحرام اذا لم يوجد حق الله منه أو تنقيه ارتبد فيها البركة وتقيها من الآفات (قوله عز وجل زيغ) ميل وقوله عز وجل فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الحق وزاغت عنهم الابصار أى مالت (وقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ ذكره

المسجد الاجتماع لمن يصلى فيه والمصلون (فيه رجال) كاملون اذ (يحبون أن يتطهروا) أى يبالغوا فى الطهارة الظاهرة باتباع الغائط الاحجار الثلاثة ثم الماء وترك النوم على الجنابة وفى الباطنة بترك المعاصى والاخلاق الرديئة فيفيدهم صفاء باطنهم ويسرى منها الى بواطن من يجتمع معهم (و) أقل مافيهم الاجتماع باحباب الله اذ (الله يحب المطهرين) فهو موجب لحبه (أ) ينكرون فضل مسجد التقوى على مسجد الضرار (فمن) أى فهل بنيان من (أسس بنيانه على) قاعدة محكمة هى (تقوى) أى تحفظ (من الله) أى من غضبه (و) طلب (رضوان) منه (خير أم) بنيان (من أسس بنيانه على) أضعف القواعد كأنه على (شفا) أى شفير (جرف) أى هوة جهنم (هار) أى ساقط وكان عليه (فانهار به) أى فسقط معه (فى نار جهنم و) لا مخلص لمن هذا السقوط لظلمه اذ (الله لا يهدى القوم الظالمين) لما يتحفظون به عن السقوط وكيف لا يكون بنيانهم سبب سقوطهم وهو سبب ريبهم اذ (لا يزال بنيانهم الذى بنوا) على هذه المقاصد الرديئة يوقع (ريبة) راسخة (فى قلوبهم) فى جميع الاوقات (الا) وقت (أن تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قوة ادراك (و) هذا وان كان عيبا علينا والهدم افسادا لكن (الله عليم) وهو وان كان ستارا لكنه فى اظهاره (حكيم) اذ حفظ به المسلمين عن مقاصدهم الرديئة وان كانت لا تضرهم بالحقيقة اذ يعوض لهم خيرا مما أخذ منهم (ان الله اشترى) أى استبدل (من المؤمنين) قيد به اذ لا عوض لنفوس الكافرين ولا لاموالهم (أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) أى حياتها ونعيمها بدل الحياة الدنيا ونعيمها الحاصل بالاموال (يقاتلون فى سبيل الله) بانفسهم وأموالهم فيحصل لهم أجر مباشرة القتل وانفاق الاموال (فيقتلون) أعداءه فيحصل لهم أجر دفع افسادهم (ويقتلون) فينالون درجة الشهداء والله تعالى وان لم يجب عليه شئ ولو بالشراء لكنه لما وعد بذلك (وعدا) صار كالواجب (عليه حقا) سيما وقد كرره (فى) أجل كتبه (التوراة والانجيل والقرآن) فصار فى غاية الوثاقة (و) لو لم يكن وثيقا لوجب تحققه فانه (من أوفى بعهده من الله) ولو غير وثيق وغاية هذا البيع ان يقتلوا فى سبيل الله فاذا قتل اخوانكم فى سبيله (فاستبشروا) مكان الحزن عليهم (ببيعكم) أى بتحقق غاية مقاصد نفع اخوانكم (الذى) كأنكم (بايعتم به) فافرحوا لفرحهم بنيل الشهادة كيف (و) قد حصل لهم بدل الفانى الذاهب الشريف الباقى (ذلك هو الفوز العظيم) على ان الجنة لو لم تجعل عوض أنفسهم وأموالهم فقتلهم أيضا موجب للفرح اذ يميلون الى الجنة بأتم أحوالهم اذ هم (التائبون) عن الكفر والمعاصى ولا بد لهم من عبادة الله فهم (العابدون) بانواع العبادات ولا بد لهم من الصلاة التى لا تجزئ الا بفاتحة الكتاب فهم (الحامدون) لله بجميع المحامد ولا بد لهم من النظر فى كمالاته المنتشرة فى العالمين فهم أمروا بهذا النظر هم (السائحون) أى السائرون فى العالمين واذا رأوا كمالات الاشياء له انكسروا لعظمته وتذللوا لكمالاته فهم (الراكعون)

الله قلوبهم أى ولما مالوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن الايمان والهدى (قوله تعالى زبورا) ثانى مفعول أى من زبرت الكتاب أى كتبته (قوله عز وجل زحفا) تقارب القوم فى الحرب الى القوم (قوله تعالى زلزالا عظيما) أى

الساجدون) وطبهم كالاته يرفعون النقائص من العالمين فهم (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) انما يحصل بذلك الكمالات اذ يحصل لهم بذلك الاعتدال فهم (الحافظون لحدود الله) المانعة من الافراط والتفريط (و) لو لم يكن فيهم شئ من تلك (بشر المؤمنين) بالجنة على مجرد ايمانهم فلا ضرر على المؤمن بقتله أصلا وانما منع من افسادهم لانه يمنع انتشار الدين على من بعدهم و يكفى المؤمنين من انتشاره انهم قابلون الاستغفار من بعد موتهم وان بلغوا فى المعاصى مابلغوا بخلاف المشركين فانه (ما كان للنبى) وان بلغ من القرب مابلغ (والذين آمنوا) وان بلغوا فى الكثرة مع علو المراتب مابلغوا (أن يستغفروا) ولو على سبيل الاجتماع (للمشركين) لانهم لايقبلون نور الاستغفار منهم (ولو كانوا أولى قربى) فان قرابتهم وان افادتهم المناسبة بهم وافراط رحمتهم بهم فلا تفيدهم قبول نور الاستغفار فلا يجوز لهم استغفارهم (من بعد ماتبين لهم) بموتهم على الكفر (انهم أصحاب الجحيم) بخلاف مالو دعوا لهم بالتوفيق للايمان أو استغفروا لهم بشرط الايمان (و) لا يرد عليه استغفار ابراهيم لابيه فانه (ما كان استغفار ابراهيم لابيه) ناشئا عن شئ من قرابة أو غيرها (الا عن موعدة وعدها اياه) بقوله سأستغفر لك ربى وقوله لاستغفرن لك وكان قبل ان يظهر موته على الكفر (فلما تبين له) بموته على الكفر (انه عدو لله) باعتقاد الشرك فيه (تبرأ منه) أى من أبيه بالكلية فضلا عن الاستغفار واعا وعده بذلك لافراط ترحمه عليه وتحمله عما يعترضه من الغيرة على المعاصى (ان ابراهيم لأواه) أى كثير التأوه من افراط الرحمة (حليم) أى صبور على مايعترضه من الغيرة من افراط الرحمة فتغلبه الرحمة على الغضب لرؤية سبق رحمة ربه على غضبه (و) لو كان استغفار ابراهيم بعد موت أبيه على الكفر قبل الوحى بمنعه لم يكن معصية حتى يسمى به ابراهيم عاصيا ضالا فانه (ما كان الله ليضل قوما) أى يسميهم ضلالا عصاة (بعد اذ هداهم) بالنبوة والايمان وغيرهما (حتى يبين لهم مايتقون) أى مايحترزون عنه لامتناع تكليف الغافل وكيف يسميه ضالا وقد علم ان الضلالة والهداية أمران شرعيان انهما فرع التكليف ولا يجوز تكليف الغافل (ان الله بكل شئ عليم) واذا بين لهم تحريم الاستغفار أوجب الاستغفار الضلال لدخولهم تحت قهر الله الذى يرم ذلك الاستغفار (ان الله له ملك السموات والارض) ولا ينبغى ان يغتر باهدائه فان له ان يضله بعده لانه (يحيى) بالاهداء (ويميت) بالاضلال (و) لا يبقى المستغفر له الهداية ولا يدفع الضلال فانه (مالكم من دون الله من ولى ولا نصير) من أوليائه اذا يرم بقهركم فضلا عن أعدائه وكيف لايعفو عن الغافل عن التكليف وقد عفا عن غفلة من علم التكليف وغفل عن وجود المكلف به مع ظهوره فانه (لقد تاب الله على النبى) فعفا عن اذنه للمنافقين فى التخلف عن الغزو لغفلته عن كذب اعذارهم مع ظهور كذبها وكيف لايعفو عن ميل

(قوله عز وجل ذرفناهم) أول نهيق الحمار (زفيرا) والشهيق من وشبهه والشهيق من آخره قالزفير من الصدر والشهيق من الحلق (قوله عز وجل نعيم) ونعيم وكبيل وكبيل وجبيل (قوله عز وجل بمعنى واحد (زهق الباطل) أى بطل

القلوب الى الاستغفار للاقارب مع الجهل بحرمته (و) قد تاب على (المهاجرين والانصار)
نعفا عن ميلهم الى التخلف لانهم (الذين اتبعوه) فى الخروج الى تبوك (فى ساعة العسرة)
حيث تعاقب عشرة على بعير واقتسم رجلان تمرة ونحر بعضهم البعير من شدة العطش
فعصر فرثه فشربه وجعل ما بقى منه على كبد. فكان اتباعهم (من بعد ما كاد) أى قرب
(تزيغ) أى تميل (قلوب فريق منهم ثم) مع علمهم بحرمة ذلك الميل (تاب عليهم) حتى وفقهم
للمتابعة مع ان مثل هذا الزيغ من أهل العلم موجب للمقت الالهى لكنه لم يمقتهم لهجرتهم
ونصرهم (انه بهم رؤف) يرحمهم بلا كره لانه (رحيم) بادنى أسباب الرحمة فكيف مع الهجرة
والنصرة (و) كيف لا يتوب على هؤلاء مع مجرد ميلهم وقد تاب (على الثلاثة الذين خلفوا)
عن الغزو وتوكال التوبة وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وهم المرجون
لامر الله الذين منع الناس من مكالمتهم خمسين ليلة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
رحبت) أى مع سعتها اذ لا يمكنهم الذهاب الى أحد (وضاقت عليهم انفسهم) اذ لازموا
مكانهم (و) اذ ارادوا القرار من المدينة (ظنوا أن لا ملجأ) أى لا مفر (من) غضب (الله
الا اليه) أى الى استغفاره (ثم) لما علم صدقهم (تاب عليهم) أى وفقهم للتوبة الكاملة
(ليتوبوا) توبة توجب الرحمة (ان الله هو التواب الرحيم) لمثل هؤلاء الذين الجؤا الى التوبة
فضلا عمن يتوب باختياره (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان تخافوا مقته فى
معاصيه حتى لا يوفقكم للتوبة وان كان توابا رحيما (اتقوا الله) فلا تعصوه اعتمادا
على توبتكم أو رحمته (وكونوا) للاستعانة على استدامة التقوى (مع الصادقين)
ولوجوب التقوى وملازمة الصادقين (ما كان لاهل المدينة) المتيسر لهم ملازمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته (ومن حولهم) سيما اذا كانوا (من الاعراب)
لبعدهم عن أهل العلم الداعى الى الصدق (أن يتخلفوا) فى الجهاد (عن رسول الله) لان
ترك الجهاد مخل بالتقوى والتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخل بملازمة الصادقين
لان المتخلفين من غير ذوى الاعذار منافقون (و) كيف (لا) يحرم التخلف عنه صلى الله
عليه وسلم وما كان لهم ان (يرغبوا) أى يميلوا (بانفسهم) أى بترك أنفسهم فى أهويتها
متجاوزين (عن) مشاق (نفسه) بل كلما تحمل من المشاق يجب عليهم ان يتحملوها (ذلك) أى
لزوم تحمل المشاق عليهم (بانهم لا يصيبهم ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب من السير سيما
مع العطش (ولا مخمصة) أى مجاعة تضعفهم عن السير لكن اسيرهم (فى سبيل الله ولا يطؤن
موطئا) أى لا يدوسون مكانا (يغيظ الكفار) الذين هم أعداء الله واغضاب العدو يفيد رضا
عدوه (ولا ينالون من عدو نيلا) أى قتلا أو هزيمة أو أسرا وهو فوق الغيظ فهو أتم فى افادة
الرضا (الا كتب لهم به عمل صالح) فاذا مالوا بانفسهم فاتهم ذلك وأهل القرب يؤاخذون
بالتقصير مع قوة نيتهم واجب الجهاد وملازمة الرسول وكيف لا يكتب لهم بذلك عمل صالح مع
انهم بتحمل المشاق محسنون لانهم انما تحملوها بالنظر الى الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين

الباطل ومن هذا زهوق
النفس وهو بطلانه (قوله
عز وجل زاكية) الزاكى الذى
لا تثبت عليه الذنوب (قوله
تعالى زاكية) وزكية قرئ
بهما جميعا وقيل نفس زاكية
لم تذنب قط وزكية
اذنبت ثم غفر لها (قال أبو عمر
الصواب زكية فى الحال

و) كيف يضيع أجر أعمالهم الشاقة مع انه لا يضيع أجر الانفاق شق أولم يشق فانهم (لا ينفقون نفقة صغيرة) لا يشق مثلها (ولا كبيرة و) لا أجرما هو أدنى من الانفاق فانهم (لا يقطعون واديا الا كتب لهم) به عمل صالح وهو وان كان أدنى يلحقه لاحسانهم بالاعمال الكاملة (ليجزيهم الله) على كل عمل لهم كامل أو قاصر (أحسن ما كانوا يعملون) أى جزاء احسنها فاذا تركوه مع قربهم من رسول الله كانت المؤاخذة عليهم أشد ثم أشار الى أن ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانت واجبة على من قرب منه فى جميع الاحوال سيما الجهاد وأما سائر المسلمين فلا يلزم جميعهم فقال (وما كان المؤمنون لينفروا) عن بلدانهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كافة) بحيث تخلو بلدانهم عن الناس لكن لابد لهم من معرفة الدين (فلولا نفر من كل فرقة) أى من كل جماعة كثيرة كأهل بلدة (منهم طائفة) أى جماعة قليلة تقع بتعلمهم الكفاية فى تصحيح الاعتقادات ومعرفة الاعمال الشرعية (ليتفقهوا) أى ليتعلموا ما يكونون به ماهرين (فى الدين ولينذروا قومهم) من الاعتقادات الفاسدة والاخلال بالاعمال الشرعية لافى كل وقت بل (اذا رجعوا اليهم) لا بقصد صرف وجوههم اليهم بل ارادة ان يحذروا (لعلهم يحذرون) ربهم فيصلحون اعتقاداتهم وأعمالهم ثم أشار الى انه انما يكتفى بالانذار فى حق المؤمنين واما الكافرون بعد الانذار باقامة الحجج ودفع الشبه فلابد من مقاتلتهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم نشر دين الله ولو بالقتال (قاتلوا الذين كفروا سيما الذين (يلونكم من الكفار) اذ يخاف منهم على المسلمين أكثر (و) لا تلينوا لهم لينكم عند اقامة الحجج ورفع الشبه بل (ليجدوا فيكم غلظة) ليتركوا عنادهم ولا تخافوا كثرتهم اذ خوف تغيير الدين منهم أشد فاذا خفتم ذلك فانتم متقون وهم منصورون (واعلموا أن الله مع المتقين و) كيف لا تقاتلونهم وهم يستهزؤن بآيات الله المتضمنة للحجج القاطعة ورفع الشبه المدلهمة فانه (اذا ما أنزلت سورة) أى طائفة من القرآن المعجز المحيط بجملة من الحجج ورفع الشبه (فمنهم) أى فمن يليكم من الكفار (من يقول) لاصحابه (أيكم زادته هذه ايمانا) وليس ذلك لعدم قطعيتها بل انما افترق الناس بقسمان بالانصاف والعناد (فأما الذين آمنوا) من انصافهم (فزادتهم ايمانا) بكثرة الدلائل ورفع الشبه (وهم يستبشرون) بحصولها وبسائر فوائدها (وأما الذين فى قلوبهم مرض) أى كفر (فزادتهم رجسا) أى خباثة من العناد مضمومة (الى رجسهم) فأولوها بما لا طائل تحتها ولا يتأتى لهم التأويل الصحيح (و) لا يعودون الى الانصاف الى حين الموت بل (ماتوا وهم كافرون) أى مصرون على كفرهم (أ) يصرون على كفرهم (ولا يرون أنهم) من أجله (يفتنون) أى يبتلون ببليات لا يعقبها عاقبة جميلة (فى كل عام مرة أو مرتين ثم) أى بعد رؤية الآيات والبليات على مخالفتهما (لا يتوبون) عن مخالفتها (ولا هم يذكرون)

قوله فانتم متقون وهم منصورون كذا بالاصلين وليتأمل اه مصحح

وزاكية فى غدوالاختيار زكية مثل ميت ومائت وصريض ومارض عن قليل)(قوله عز وجل ما زكا منكم من أحد أبدا) أى لم يكن زاكيا يقال زكا فلان اذا كان زاكيا وزكاه الله عز وجل

(يذكرون) تذكرا يعلمون به كونها آيات قاطعة وكون البليات على مخالفتها وانها ليس كبليات المؤمنين كيف (و) من جملتها البلية الفضيحة كالزانى والسارق فانه (اذا ما أنزلت سورة) محيطة بفضائحهم وهم فى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يسأله بطريق الغمز (هل يراكم من أحد) ان قمتم من هذه الحضرة فاذا قيل انهم لا يراكم أحد قاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته خوف الفضيحة مع انهم يعلمون انها لا تندفع عنهم وانما تندفع بالاخلاص لكن (صرف الله قلوبهم) عن الاخلاص مع ظهور موجبه (ذلك) أى ترك الاخلاص مع ظهور موجبه (بأنهم قوم لا يفقهون) فلا يطلعون على كيفية ايجابها الاخلاص ولو فقهوا امنعهم عداوته عن التدبر لكن لا وجه لعداوته فانه والله (لقد جاءكم رسول) بالمعجزات وعداوة الرسول عداوة للمرسل مع انه (من أنفسكم) أى أقاربكم فانتم أعلم بأحواله من كونه بريئا عن الكذب والسحر وحق الاقارب المواصلة والتأمل فيما يقول كيف وهو لا يعاديكم بل (عزيز) أى شديد (عليه ما عنتم) أى اتيانكم المكروه بل لا يرضى بقلة الخير فيكم لانه (حريص) بتكثير افاضة الخير (عليكم) ولا يختص ذلك منه بما تنفعه دون أخرى بل (بالمؤمنين) كلهم (رؤف) أى مبالغ فى الرحمة بل (رحيم) بكل احد يريد هدايته واصلاحه (فان تولوا) أى اعرضوا عن التدبر فى القرآن مع انه لا وجه للاعراض عنه من جهة عداوتك ولا من غيرها (فقل حسبى الله) كافى فى دفع شر عداوتكم اذا كانت ظلما محضا وكيف لا يكفى وهو الذى لا يشاركه فى غاية كماله اذ (لا اله الا هو) وهو وان لم يدفع الضرر عن كل أحد لا بد وان يدفعه عنى لانه (عليه توكلت) لا على شئ آخر كيف (و) جميع الاشياء تحت حفظه وقدرته اذ (هو رب العرش العظيم) المحيط بالكل فيحيط بكل من يعادينى وبأسباب اضراره اياى واذا كان رب جميع ذلك فلا يؤثر بدون اذنه ولا يأذن بتأثير الضرر فيمن صح توكله عليه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين الى يوم الدين

•(سورة يونس)•

سميت بها لتضمنها قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس ففيه غاية ما يفيد فيه الايمان وضرر تركه وتأخيره وهو المقصد الاعلى من انزال الكتاب (بسم الله) المتجلى بذاته وأسمائه وأفعاله فى آيات كتابه الحكيم ليتضمن لوازم الرغبة فى تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة الداعية الى الاعمال الصالحة ولوازم الرهبة عن اضدادها أو ليتضمن اسرار اباب الرسالة ليزول الالتباس والانغلاق عن الاعتقادات والاعمال أو أنوار لوامع الربوبية أو أكمل لا ٌلى الرشد (الرحمن) باظهارها للخلقه ليهديهم اليه لا على أيديهم ليطلبهم بل على أيدى من كمل قبل ظهور رسالته (الرحيم) بوعد قدم الصدق للمؤمنين (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) أى آيات لوازم الرغبة والرهبة أو اسرار الباب

اذا جاء لهذا كيا (قوله عز وجل زهرة الحياة الدنيا) بفتح الهاء أى زينتها والزهرة بفتح الزاى نور النبات والزهرة بضم الزاى وفتح الهاء النجم وبنو زهرة باسكان الهاء (قوله عز وجل زجرة

الرسالة أو أنوار لوامع الربوبية أو أكمل لا الى الرشد تلك آيات الكتاب الجامع لاصناف الحكمة النظرية والعملية اذ رغب فى تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ورهب عن اضدادها وبلباب الرسالة تزول الالتباس منها والانغلاق عنها ولا يحصل الا باشراق أنوار الربوبية اذ بدونها يكثر الضلال فيها والرشد وان حصل بطريق الخطابة أو الجدل فلا يخلو عن قصور وانما يكمل بالحكمة ثم الترغيب والترهيب انما يتم بالوحى اذ لا يستقل العقل بالامور الاخروية واسرار لباب الرسالة انما هى بالوحى أيضا القصور الالهام والمقدمات العقلية وأنوار الربوبية انما تشرق على العامة بواسطة الرسل اذ لا تناسب بين نور الانوار وبين المنغمس فى العلائق الظلمانية والرشد لا يتم الا بالوحى اذ بنا يد فيه العقل بالنقل فلا عجب فى الوحى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم) لمزيد مناسبة لربه (أن أنذر الناس) عن ردىء الاعتقادات والاخلاق والاعمال (وبشر الذين آمنوا) وان لم يتم لهم تحسين اخلاقهم وأعمالهم (أن لهم قدم صدق) أى مرتبة قرب من الله ثابتة (عند ربهم) يرجى بها ترقيته باتمام تحسين الاخلاق والاعمال فلما تمت حجة الارسال بهذا الطريق (قال الكافرون) فى الطعن عليه (ان هذا لساحر مبين) اى تلبيس ظاهر اذ يبعد من الله انزال الملك من فوق السموات السبع الى الارض فى لحظة ولكنه ليس يبعد من الله كما قال (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) مع ان السرع فى البناء الذى لا يتم الا فى سنين يكون بلحظة واحدة وبناؤهما لو كان من انسان لا يكاد يتم فى آلاف آلاف آلاف سنين ولا اضعاف اضعاف اضعافه (ثم) لتنزيل أمره فى العالم كله (استوى على العرش) لا لافتقاره الى ذلك بل لكونه (يدبر الامر) أى يرتب بعضه على بعض ومنه ترتيب الجزاء على تحسين الاعتقادات والاخلاق والاعمال وترتيب الثواب والعقاب على تحسينها وتقبيحها ولا يتم الا بالارسال فانه (ما من شفيع الا من بعد اذنه) وهو انما يأذن فى حق من أقر بربوبيته وقام بعبوديته لكن بقى فيه تقصير وهما انما يحصلان فى حق العامة بالرسل اذ يقولون (ذلكم) البعيد عن ادراك الحواس والعقول هو (الله) وغاية ما يعرف منه انه (ربكم) أى الذى رباكم لتعبدوه (فاعبدوه) تشكرون شيأ مما ذكر مع ظهوره ولكنه يفتقر الى التذكر وأنتم تريدون انكاره (فلا تذكرون) لكن لابد من التذكر اذ (اليه مرجعكم جميعا) لا يختص به البعض حتى انه ربما لا يرجع اليه بعض من لا يتذكر وهو وان لم يجب عقلا وجب لكونه (وعد الله) لوجوب كونه (حقا) على انه وافق الحكمة (انه يبدؤا الخلق) ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا ظاهرة وباطنة (ثم يعيده) لئلا يقع الابداء عبثا فلا بد وان يكون (ليجزى) كلا بمقتضى معرفته وعمله مثل ان يجزى (الذين آمنوا) فصححوا الاعتقادات (وعملوا الصالحات) فحسنوا الاخلاق والاعمال (بالقسط) فلا ينقص من أجورهم شيأ وان كان ينقص من جزاء السيآت بالعفو (والذين كفروا) اذا جازاهم بالقسط (لهم شراب من حميم) يحرق بواطنهم لفساد

واحدة) وفى نفخة الصور والزجرة الصيحة بشدة وانتهار (قوله عز وجل أى زوجناهم بحور عين) أى قرناهم بهن وليس فى الجنة تزويج كتزويج الدنيا وقوله عز وجل

الاعتقادات والاخلاق (وعذاب أليم) على ظواهرهم لفساد الاعمال فانه لفساد (بما كانوا يكفرون) ولو استبعد انزال الملك فلا يستبعد الوحى بافاضة ضياء العقول أو أنوار النفوس السماوية اذ (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) فى الارض (و) لا يلزم منه دوام الوحى لاختلاف منازل الرسول كاختلاف منازل القمر اذ (قدره منازل) يتلئ فى بعضها نورا وينقص فى البعض وكذا الرسول ومنازل القمر هى الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وانما قدر ذلك (لتعلموا عدد السنين) بمعرفة الايام المقدرة بالمنازل والشهور والمقدرة بالايام والسنين المقدرة بالشهور (والحساب) أى حساب سير الكواكب المؤلف على الحساب المطلق المفيد فى جملة أمور الدنيا التى هى مزرعة الآخرة ففيها دلالة على حساب الآخرة وحساب أعمالها والدليل على ذلك أنه (ما خلق الله ذلك الا بالحق) أى الحكمة فهى لازمة لافعاله فلا بد من الجزاء ولا يعرف الا بالرسل أولى الآيات لذلك (يفصل الآيات) تفصيل البروج بالمنازل وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وكان تفصيل البروج بالمنازل انما يفيد المنجمين فهذا التفصيل مفيد (لقوم يعلمون) بل انما يفيد المتقين وقد اقتضت تلك الآيات التقوى كما قال (ان فى اختلاف الليل والنهار) بزيادة الظلمة والنور ونقصانهما (وما خلق الله فى السموات والارض) من طلوع وأفول وكائن وفاسد (لآيات) اى دلالات على ان الانسان يستزيد النور تارة وينقص أخرى ويطلع فيه تجل ويأفل أخرى ويتكون فيه اعتقاد وخلق وعمل ويفسد أخرى وهى انما هى تكون مفيدة (لقوم يتقون) نقص النور وأفول التجليات وفساد الاعتقادات والاخلاق والاعمال الفاضلة والتقوى هى الواقية من العذاب الابدى الذى لا يتقى (ان الذين لا يرجون لقاءنا) فلا يتوقعون الجزاء فلا يتقون (و) لو توقعوا الجزاء لم يبالوا به لانهم (رضوا بالحيوة الدنيا) فاحتملوا لها كل شئ (و) مع علمهم بفنائها (اطمأنوا بها) حتى لم يبالوا لها بالعذاب الابدى (و) انما يأتى لهم ذلك مع انهم لا يبالون فى أجل الاشياء بما هو أدنى منه لانهم (الذين هم عن آياتنا) الدالة عليه (غافلون أولئك) البعداء عن طريق النجاة لا يمكنهم اتقاء النار بدعوى الغفلة عنها بل (مأواهم النار) لا يخلو منهم جانب للعذر (بما كانوا يكسبون) من هذه الغفلة من القبائح الفائتة للحصر وكانت التقوى واقية من النار هادية الى المعارف الالهية والاعمال الصالحة (ان الذين آمنوا) لاتقائهم الشرك (وعملوا الصالحات) لاتقائهم المعاصى (يهديهم ربهم) الذى ربى ايمانهم باعمالهم (بايمانهم) بعد تربيته الى معارفه وأسرار اعماله بحيث (تجرى من تحتهم الانهار) اى أنهار المعارف والاسرار من أرواحهم الى قلوبهم ثم الى نفوسهم ثم الى سائر أعضائهم ثم الى من دونهم ثم الى

احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أى وقرناءهم والزوج الصنف أيضا كقوله سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض أى الاصناف (قوله عز وجل زنيم) أى ملحق بالقوم وليس منهم

الغافلين فصيرون في الجنات كما أنهم (في جنات النعيم دعواهم) أي قولهم المشير الى دعواهم الكمال لاتصافهم (فيها) عند مكاشفة بعض المعارف (سبحانك اللهم) من أن تكون هذه المعرفة غاية كمالك الذي هو مقتضى الهيتك (و) ليس ذلك منهم انكارا لما كوشفوا به بل (تحيتهم) لما كوشفوا به (فيها سلام) أي تسليم آخر ثم طلب مزيد (وآخر دعواهم) بعد حصول المزيد (أن الحمد) ولا يعد الاختلاف في تجليه اذ هو جهة تربيته للكل فلا يعد ذلك من (رب العالمين) ويحصل لهم مما يناسب هذه الحالة في الجنة كما اذا رأوا شيئا يعجبهم قالوا سبحانك اللهم واذا رأى بعضهم شيئا طلبه من غير حقد عليه فيحصل لمثله فيحمد الله عليه (و) لا يقال لو تنعم المؤمنون باعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم في الدنيا كما أنهم الآن في الجنة تعذب الكافرون باضدادها في الدنيا كما أنهم الآن في النار لانا نقول (لو يعجل الله للناس الشر) وهو التعذيب على سوء الاعتقاد والخلق والعمل سيما المستعجلين به (استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) اذ لا يعيش الحيوان مع تلك الآلام في الدنيا فلو عذبناهم لكان ملجأ الى الايمان ولا فائدة له حينئذ (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) حتى استعجلوا عذابنا قبل وقته (في طغيانهم) بدل فكرهم الهادي (يعمهون) يترددون فيه لا يجدون دليلا على عدمه البتة (و) لو عجلنا عذابهم ونحن لم يقدهم سيما اذا كان منقطعا فانه (اذا مس الانسان الضر دعانا) ملقيا (لجنبه أو قاعدا أو قائما) ومع هذه المبالغة في الدعاء المستلزم للاخلاص لا يدوم اخلاصه بل غاية البقاء مادام الضر باقيا (فلما كشفنا) أي أزلنا (عنه ضره) الذي كان حجابا بينه وبين ما يشتهيه (مر) الى الشرك فصار بعد تلك المبالغة في الدعاء (كأن لم يدعنا) في حال من الاحوال (الى) كشف (ضر) حقيرا أو عظيم (مسه) بل كأنه مس غيره وذلك الماربه الى الشرك لاسراف ميله اليه بعد رؤيته فائدة الاخلاص من كشف ذلك الضر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فيعودون اليه بعد رؤيته ضرره مرة بعد أخرى والكافرلو أعيد الى الدنيا بعد التعذيب بالنار لعاد الى كفره ولما لم يفدهم العذاب المنقطع نأمات يؤخر أمرهم الى الآخرة ليستوفوا العذاب ثمة أو يعذبوا في الدنيا عذابا يتصل بعذاب الآخرة (و) لا يبعد فيه قانا والله (لقد أهلكنا القرون من قبلكم) فصار سنة لنا بطريق الابتلاء الذي يعم العادل والظالم بل (لما ظلموا و) لم نؤاخذ بمجرد الظلم بل بعد أن (جاءتهم رسلهم بالبينات) فقرر عليهم الحجة بالوجوه الكثيرة (وما كانوا ليؤمنوا) بتلك البينات ولا بغيرها وكيف لا نجازيهم مع افراط ظلمهم انا (كذلك نجزي القوم المجرمين) الذين لم يفرطوا مثل افراطهم (ثم) أي بعد اهلاكهم على افراطهم في الظلم (جعلناكم خلائف) عنهم متمكنين (في الارض) القابلة للاصلاح والفساد (من بعدهم لننظر كيف تعملون) من اصلاحها وافسادها بعد ما أريناكم اهلاك المفسدين وجعلناه سنة مستمرة (و) لكن رأينا من عملهم ارادتهم تبديل كتاب الله فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا الاعجازها لا لاشكال فيها بل مع كونها (بينات) أي واضحة الدلالة على مقاصدها بالمقدمات القطعية (قال الذين لا يرجون

لقاءنا)

وقيل الزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها وقال اذا كانت له زنمتان تدعى زنيم وهما الحلمتان المعلقتان في حلقه (وقوله عز وجل زنجبيلا) معروف والعرب تأكل الزنجبيل وتستطيبه

لقاءنا) فلا يبالون لعظمتنا فضلا عن عظمة الآيات ولا لوضوح دلالاتها (ائت بقرآن غير هذا)
الدال على ما يكون عند اللقاء (أو بدله) بما يجعل نوبه عقابه ثوابا (قل) ان كان لله تبديله
لكمال قدرته (ما يكون لي) لاعجازه (أن أبدله) فان كان فلا يكون (من تلقاء نفسي) بل
من الله بطريق النسخ وليس النسخ بيدي بل (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) ولو أمكنني تبديله من
غير وحي في نسخه منعني منه الخوف (إني أخاف إن عصيت ربي) أي معصية فضلا عن تبديل
وحيه وكتابه (عذاب يوم عظيم) وان لم تعظم المعصية وهنا قد عظمت فان زعموا ان تبديله
مسقط للعذاب عنهم ومن أسقط عن شخص عذابا أسقط الله عنه (قل لو شاء الله) أن لا يعذبكم
على معاصيكم (ما تلوته عليكم) الزاما للحجة عليكم (ولا أدراكم به) أي ولا أعلمكم الله
بلساني بأنكم معذبون على معاصيكم من غير أن أتلوه عليكم تصييرا للعبة اذ ليس ذلك مقتضى
طبعي (فقد لبثت فيكم) مدة مديدة تشبه أن تكون (عمرا) كاملا مقدار أربعين سنة
(من قبله) والانتهاء الى الكمال البالغ حد الاعجاز لو كان من عند نفسي لكان بطريق التدريج
(أ) فتقولون بلغته من غير تدريج (فلا تعقلون) ثم ان أعطاني الله هذا من غير تدريج وافتريت
عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أدنى فضلا عن الكذب الذي كله كل الكذب مع
أن الكذب والظلم لا يتصور ممن يؤتى المعجزات في سنة الالهية ولا يتصور الظلم بكل حال
بل اما أنا (أو) من (كذب بآياته) ولولا حجابه عنها بترك النظر فيها ثم ان طلبت بذلك
الرياسة عليكم أو طلبتم تعارض آبائكم لا أنال مقصودي ولا تنالون مقاصدكم
(انه لا يفلح المجرمون) بأدنى المعاصي فكيف بالافراط في الظلم (و) من افراط ظلمهم ارادتهم
تبديل كتاب الله ليسوغ لهم عبادة غيره التي فيها تذليل أنفسهم بلا شيء اذ (يعبدون من دون
الله) مع ان الدون ليس له رتبة المعبودية سيما (ما لا يضرهم) لو تركوا عبادته (ولا ينفعهم)
لو عبدوه (ويقولون) اذا قيل لهم لا تنفعكم عبادتهم ولا يضركم تركها ولا ينفعكم تبديل
كلام الله اذا عذبكم على عبادته (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) على كل شيء حتى في تعذيبه على
عبادتهم أو تبديل كلامه (قل) ما أعلمكم الله على لسان رسول أنهم شفعاؤكم عنده اذ
لا تؤمنون بهم (أتنبئون) أي تخبرون (الله بما لا يعلم) من شفاعتهم وما لا يعلم لا يوجد
(في السموات ولا في الأرض) على أن الشفيع لا يكون عدو المشفوع عنده والشريك عدو
وهو اذا لم يتحقق شركه فأنتم تصيرون أعداءه باثبات شركه (سبحانه وتعالى عما يشركون)
والشفيع لا يشفع في حق العدو الذي يثبت للملك ما ينزه عنه وكيف لا يتنزه عن الشريك وقد
تعالى عن رتبة الشركاء (و) لو قالوا نحن نريد تبديل هذا الكتاب لانه بدل دين آبائهم يقال
لهم اذا بدل آباؤكم دين الله يجب تبديله وتقديمه آباؤكم اذ (ما كان الناس) في عهد آدم
عليه السلام (الا أمة واحدة) اذ يبعد أن يكون لهم هذه الأديان المتناقضة (فاختلفوا) فلا بد
أن يكون أحد المختلفين مبدلا لذات الدين الواحد واذا التبس من عليه عن خلافه لا بد من
التمييز بينهما واعلاء قضاء الفصل يقتضي كل واحد منهما (ولولا كلمة سبقت من ربك)

وتستطيب رائحته (قوله
عز وجل زرابي مبثوثة)
الزرابي الطنافس المخملة
واحدتها زربية والزرابي
البسط ومبثوثة مفرقة
كثيرة في كل مجالسهم (قوله
عز وجل زبانية) واحدهم
زبني مأخوذ من الزبن

باسعاد البعض واشقاء البعض ولايتأتى مع القضاء على الفور (لقضى بينهم) لانه الاولى (فيما فيه يختلفون) من شأن ذاته وصفاته وتوحيده وأحكامه وأفعاله فى الدارين فاقتصر على تمييز الكتاب بينهما (ويقولون) لو كان هذا الكتاب لتمييز النازل منزلة ذلك القضاء (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على كال تمييزه (آية) قاهرة يعلم بالضرورة كونها (من ربه فقل) هذه الآية لا تكون فى عالم الشهادة لئلا تكون ملجئة الى الايمان وانما تكون يوم القيامة وهو غيب لايفضه على من سواه الا وقت مجيئه (انما الغيب لله) لكن له وقت ظهور وهو الموت (فانتظروا) الموت الكاشف عنه فى الجملة (انى معكم من المنتظرين) ليكمل ظهور صدقى فيما نصحت لكم فلم تقبلوه وبجزاؤكم على تكذيبي ورد نصيحتى (و) انما شرط الموت أو القيامة للآية الملجئة اذ لا يلجئهم سوى العذاب والعذاب الدنيوى منقطع غالبا والمنقطع لايبقى الجاؤه فى حقهم لما جرب عليهم انه (اذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) فضلا عما مست أقارهم على التكذيب (اذا) أى فاجأ (لهم مكر) أى احتيال (فى آياتنا) أى فى دفع كون تلك الضراء على التكذيب (قل الله أسرع مكرا) اذ دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم ولاتسبقونه بالأمكار (ان رسلنا) يشهدون مكركم ولايمكنكم التلبيس عليهم لانهم (يكتبون ماتمكرون) ومن مكره الرحمة مع المعاصى وكذا مع الاخلاص اذا زال عقيبه اذ (هو الذى يسيركم) مع معاصيكم (فى) مواضع الخطر من (البر والبحر) ويبالغ فى اظهار الرحمة عليكم (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن لطلب الارباح (و) من مكره فى رحمتهم انها (جرين بهم) أى بأصحابها لتفت من الخطاب الى الغيبة ليشير الى المكر بانه أراهم أولا انهم من أهل القرب والخطاب ثم جعلهم من أهل البعد والغيبة آخرا (بريح طيبة) أى موافقة لينة فاراها اياهم رحمة فى الظاهر (و) الباطن اذ (فرحوا بها) كأنهم وصلوا الى المقصد وأمنوا الآفات ثم يظهر مكره فيها اذ (جاءتها ريح عاصف) أى ذات شدة فيها ارادة بحيث يكاد يغرق السفينة (و) لم يسرع بها سير السفينة اذ (جاءهم الموج من كل مكان) أى من كل جانب فمنع حركة السفينة مع شدة الريح (وظنوا) من شدة الموج والريح (أنهم أحيط بهم) أى أحاط بهم أسباب الهلاك (دعوا الله) للخلاص عنها (مخلصين له الدين) أى دينهم من الشرك قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه) الآفات (لنكونن من الشاكرين) أى العابدين لك شكرا فيستجيب دعاءهم مكرا بهم وايهاما لهم انهم من أهل القرب (فلما أنجاهم اذا هم يبغون) أى فاجأهم الاستمرار على تجديد طلب الفساد (فى الارض) باظهار الشرك فيها (بغير الحق يا أيها الناس) أى يامن نسى نعمة الخلاص بالاخلاص واستجابة الدعاء (انما بغيكم على أنفسكم) لا على الله باثبات الشرك له ولا على نعمة الله اذ غايتها انها (متاع الحياة الدنيا) الذى لا يبالى الله فيه بمن يعطيه من موحد ومشرك فغايتكم انكم تنتفعون بها مدة حياتكم (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فيها فنقلبها نقمة عليكم ونريكم ان الانعام بها كان مكرا معكم ثم أشار الى أن المكر انما يرى رحمة بطريق التزيين مع خسته فى نفسه وبايهام

وهو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار انما
(باب الراى المضمونة)
(قوله عز وجل زلزلوا) أى خوفوا وحركوا (قوله عز وجل لو زحزح عن النار) أى نحى عنها وابعد (قوله عز وجل زخرف

البقاء مع خفاء الفناء كتزيين الدنيا وإيهام ثباتها مع آثرها على الآخرة فكر أنه فسال (إنما مثل الحيوة الدنيا) أي صفتها العجيبة التي يمكر بها أهلها فيؤثر وبها على الآخرة ثم يسلب عنهم مع الآخرة (كماء أنزلناه من السماء) ادير وبها ازأموالها وجاهها فانه نعمة من الله (فاختلط به نبات الأرض) كاختلاط بعضها الغالب الخسيس حسنة النبات من حيث كونها (مما يأكل الناس والأنعام) لكن تغتر الغالب بزينة مالها وجاهها اغترار الأرض (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أي زينتها من نباتها (وازينت) بأنوارها وأزهارها (و) اغتر أهلها بإيقاعها إذ (ظن أهلها أنهم قادرون عليها) أي متمكنون من قدرتهم على تحصيل ثمرها وثمارها (أتاها أمرنا) بالإهلاك (ليلا) مبالغة في المكر (أو نهارا فجعلناها حصيدا) أي كالمحصود لـ(كأن لم تغن) أي لم تثبت (بالأمس) أي قبيل ذلك الوقت فالممثل له إذا اغتر بث بالمال والجاه ثم هلك وفاتم المال والجاه مع ذهاب الآخرة فكما فصلنا هذه الآية بهذا المثال (كذلك نفصل الآيات) بالأمثلة نصر بها (لقوم يتفكرون) فإن الأمور الحسية أقرب إلى الفهم من العقلية إذ يعارض فيها الوهم والخيال (و) لا يقع مكر الله فيمكر غيره لأنه مع البيان إذ (الله) مع هذا المكر (يدعوا إلى دار السلام) بيان طريقه ليسلم من مكره في تزيين الدنيا والشهوات (و) لا ينافي بيانه مكره لأنه اعتبار تمع بالهداية لما بين ولا تتم لـ(يهدي من يشاء) بما فيه بيانه ليوصلهم (إلى صراط مستقيم) يدخلهم في دار السلام والمكر لا يضر في حقهم بل ينفعهم أكثر مما الواحد وأيدوه إذ (للذين أحسنوا) الطريقة بردوا مكر الدنيا والشهوات فأعرضوا عنها وتوجهوا إلى الله [illegible] كأنهم يرونه المثوبة (الحسنى) فوق المثوبة التي تحصل بالهداية بلا مكر على عبادة الله (وزيادة) هي رؤية الله بالبصر كما رأوه على رؤيتهم إياه [illegible] (و) صفاء لوجوههم ما عن وجوههم قبل دخول الجنة في أهوال القيامة حيث (لا يرهق) أي لا يغشى (وجوههم قتر) أي غبرة سوداء من أثر حب الدنيا والشهوات (ولا ذلة) من آثار الالتفات إلى ما دون الله فيصيرون في أهوال القيامة بحيث يشار إليهم بأن (أولئك أصحاب الجنة) بل كأنهم من ذلك الوقت (هم فيها خالدون) لم يضرهم المكر بل أفادهم هذه الفائدة العظيمة في الاحتراز به (والذين كسبوا السيئات) اغترارا بالمكر ولا ينفع المكر في حقهم أيضا الدعاية بشرهم أنه يكون (جزاء سيئة بمثلها) فيعذبون بقدر ما تلذذوا بمعاصيهم (و) يكفيهم ما آثروه من المال والجاه في دفع الجزاء من العذاب لأنهم (ترهقهم ذلة) لميلهم إلى الدنيا والشهوات الخسيسة ولا ينفعهم ما آثروه من المال والجاه في دفع الجزاء إذ (ما لهم من الله من عاصم) بل يزيدهم عذابا إذ تصير ظلماته على القلوب فتسري ظلمتها إلى الوجوه (كأنما أغشيت) أي ألبست (وجوههم قطعا) أي أجزاء (من الليل) حال كونه (مظلما) لا قمر فيه فيصيرون بحيث يشار إليهم بأن (أولئك أصحاب النار) بل كأنهم من ذلك الوقت (هم فيها خالدون) فيبدل نعيمهم بالعذاب وتزيينهم بالذلة وحضرتهم بالسواد (و) من مكر الله بهم إيهامهم شفاعة الأصنام في عبادتهم بأنهم أنكروا عبادتهم يوم يترقبون

(قوله) بمعنى الباطل المزين الحسن وقوله عز وجل إذا أخذت الأرض زخرفها أي تمام النبات والزخرف الذهب ثم جعلوا كل شيء مزين مزخرفا ومنه قوله جل اسمه لبيوتهم سقفا من فضة إلى قوله عز

كذبوا بما) لانه وقع لهم تكذيبه لانه انما وقع عند الاحاطة بحال المكذب وهؤلاء (لم يحيطوا بعلمه) الذي لا يتناهى وكيف يحيطون بعلمه (ولما يأتهم تأويله) الذي به ارتباط نظمه وترتيب آياته ولا يستغرب منهم هذا التكذيب لكونه عادة مستمرة لامثالهم اذ (كذلك كذب الذين من قبلهم) وليس اتباعهم حميد الهم لانه اتباع في ظلمهم الذي عوقبوا به فان لم ينظروا اليه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و) ليس عدم اعجاز القرآن ظاهرا حتى لا يكون مكذبه ظالما والا لم يختلف العقلاء فيه لكنهم اختلفوا اذ (منهم من يؤمن به) فيعرف باعجازه (ومنهم من لا يؤمن به) فينكر اعجازه والكل يزعم ظهور ما هو عليه فلا بد أن يكون أحد الفريقين مفسدا بالعناد (و) هو وان لم يظهر لبعض الناس من تلبيسه عليهم فليس بمانع من عقوبته عقوبة الظالم اذ (ربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك) بعد ظهور افسادهم بالعناد (فقل لي عملي) الذي هو الاصلاح الكلي بالدعوة العامة وتعليمه (ولكم عملكم) الذي هو الافساد الكلي لهما واذ بين ذلك طريق الحرمة ل (انتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) فليس في عملكم شيء من الاصلاح ولا في عملي شيء من الافساد (ومنهم من يستمعون) أي يقصدون استماعه مع ردها (أفأنت تسمع) لهم ما فيه من حالة انه صلاح كلي أم لا (أ) تكذب اسماعه على ما هو عليه (فأنت تسمع الصم) الذي لا يسمع الشيء على ما هو عليه (ولو كانوا لا يعقلون) الاشياء على ما هي عليها فهم يعتقدون الاصلاح فيما أتاه من آبائهم دون ما يأتي (ومنهم من ينظر اليك) ليعلم من حالك صحة دعوى الاصلاح الكلي (أ) يمكنك ابصاره على ما هو عليه (فأنت تهدي العمي) الذي لا يبصر الاصلاح الا في عمل آبائه (ولو كانوا لا يبصرون) حقائق الاشياء (ان الله لا يظلم الناس شيئا) فلا يسمع ولا يبصر الصالح غير صالح وغير الصالح صالحا (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) باعتقاد الصلاح فيما سمعوه من آبائهم أو رأوه من أفعالهم لا فيما سمعوه من الله أو رسوله أو رأوه منهم مما يريهم كذلك (و) لا عذر من عدم اطلاعهم على المعاني باليوم لم يستقر الى يوم الحشر فانه (يوم يحشرهم) بعد مدة مديدة في القبر يعتقدون قصرها (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) لكنهم اليوم لا يتعارفون فيما بينهم يومئذ (يتعارفون بينهم) لجهلهم مع مجيء الرسل بالمعرفة الكاملة فيقولون (قد خسر) الثواب الابدي والسعادة الابدية من قرب الله (الذين كذبوا بلقاء الله) فرأوا افساده الذي هو أصل كل صلاح كل فساد (وما كانوا مهتدين) للصلاة اذ لم يزالوا بفساد الاعتقادات والاعمال يرونها والذلك صلاحا (و) لما لم يعرفوا الصلاح والفساد في ذوات الاشياء لمن آثارها لم يكن بد من اظهارها فهي اما في أن تظهر في الدنيا ومنها ما ينبغي أن يظهر في الآخرة والاول يختص بالبعض والثاني يعم الكل (اما نرينك) أي ان نجعل اراءتنا اياك (بعض الذي نعدهم) على رؤيتهم الصلاح فسادا والفساد صلاحا (أو نتوفينك) أي أو نعجل توفيتنا اياك قبل الاراءة (فالينا) في الوجهين (مرجعهم) لاراءتنا الكل (ثم) لا يمكنهم انكار شيء من ذلك اذ (الله شهيد على ما يفعلون و) لا اعتداد (الكل

(قوله عز وجل ...) ... ما يدري به الانسان من ... ليس وحلي وعيدك ومنه قوله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد أي لباسكم عند كل صلاة وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار

(أمة رسول) أزال اعذارهم فان زعموا أنهم كانوا غافلين ولا تكليف للغافل أزيل هذا العذر باحضار من أرسل اليهم (فاذا جاء رسولهم) فشهد بكيفية ازالة اعذارهم (قضى) قضاء رافعا للنزاع (بينهم) وبين رسولهم بحيث يعترفون كونه (بالقسط وهم) لو لم يعترفوا بذلك بطهر بذلك انهم (لا يظلمون و) غاية طعنهم على الرجوع الى الله تعالى انهم (يقولون متى هذا الوعد) بينوا وقته (ان كنتم صادقين) في انكم تعلمون وقوعه فان من علم وقوع شيء علم وقت وقوعه (قل) هذا منقوض بان كل واحد يعلم انه يحصل له نفع وضر ولا يعلم وقتهما والا لامكنه جذب كل نافع ودفع كل ضار ولكني مع غاية كمالي (لا أملك لنفسي) فضلا عن الغير (ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله) ولو قالوا اذا لم يعلم وقت معين والنفع والضر غالا وقت له معين قيل لهم (لكل) واحد من آحاد كل (أمة أجل) معين يعرفه ولا يعرف وقته والا لملكه فامكنه تقديمه وتأخيره ولكن لا يمكن (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة) أي لا يمكنهم طلب تأخيره ساعة اذا علموا انه ضر لهم فيدفعوه (ولا يستقدمون) اذا علموا ان في تقديمه نفعا ليجذبوه (قل) ان كان سؤالكم عن وقت استعجاله فليس بمرغوب في أي وقت كان (أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا) أي ليلا (أو نهارا) فلا شيء منه بمرغوب البتة (ماذا يستعجل منه المجرمون) فيسألونه سؤال رغبة وان كان للايمان به بعد وقوعه فلا ينفع (أ) تصرون على الكفر الى وقت وقوعه (ثم اذا ما وقع) أي بعد حين وقوعه (آمنتم به) فيقال لكم (آلآن) آمنتم به حين اضطررتم اليه (وقد كنتم) مبالغين في تكذيبه اذ كنتم (به تستعجلون ثم) لا يقتصر على لومكم وعقابكم بل (قيل للذين ظلموا) بالمبالغة في تكذيبه الى حد الاستعجال بعد مبالغة الله في اقامة دلائل وقوعه (ذوقوا عذاب الخلد) لانكم انما استعجلتم به لاعتقادكم انه لا يقع أبدا فلا ينقطع عنكم أبد الآبدين فانه (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من عجب الجهل المركب بنفي امر مؤبد على التأبيد (ويستنبؤنك) أي ويستخبرونك (أحق هو) أي الوعد بعذاب الخلد مع انه على جرم متناه أم مجرد تخويف (قل اي) أي نعم (وربي) الذي هو عدو من عاداني ولا نهاية لمقدار جرم العداوة معه (انه لحق) لكونه على جرم غير متناهي القدر وان تناهي وقته (وما أنتم بمعجزين) بهذه الشبهة لانه لا يتقدر الجرم بمقدار الوقت (و) هذا الجرم من العظمة بحيث (لو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به) لو قبل منها الفداء (و) لم يظهروا هذه العداوة بل أضمروا في قلوبهم لذلك (أسروا الندامة لما رأوا العذاب و) هو وان عظمت عداوته (قضي بينهم بالقسط وهم) وان لم يزالوا يزدادون شدة (لا يظلمون) لان هذا الجرم لا يزال يزداد عظمته بازدياد ظهور عظمة الله ولم تكن عظمته مما يخفى اصلا (ألا ان لله ما في السموات والارض) ويكفي في عظمة الجرم تكذيبهم الله في وعده (ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) لاستبعادهم البعث والجزاء ولا يبعدان منه اذ (هو يحيي ويميت و) ليست اماتته اعداما بل لاعتبار (اليه ترجعون) فان زعموا ان التعذيب مضرة محضة

والسماء بالليل الا الماس وهم قريش ومن دان بدينهم فانهم كانوا ابا طوفون في ثيابهم وكانت المرأة تضع ثيابها من سيور تعلقها على حقويها وفي ذلك تقول العامرية اليوم يبدو بعضه أو كله

لانفع فيها المعاتب ولا المعذب فكيف يقع قيل لهم (يا أيها الناس) أى الذين نسوا حكمة الله فى التخويف بالعذاب (قد جاءتكم موعظة) أى تخويف يتداعى الى تحسين الافعال ولا بد من صدورها (من ربكم) ليربى افعالكم (و) هو كما يصلح الافعال يصلح الاخلاق اذ هو (شفاء لما فى الصدور) من الاخلاق الردية (و) التعذيب وان لم يقع المعذب ولا المعذب يقع من كان له (هدى و) هو انما يحصل باعتقاد وقوعه اعتقادا جازما مطابقا فاوقع فهو (رحمة للمؤمنين) فان زعموا ان التخويف مضر تذهب بنافع الشهوات (قل بفضل الله) فى اصلاح الاعمال والاخلاق (وبرحمته) فى اعطاء الاجر والتقريب عليها (فبذلك فليفرحوا) بدل الفرح بالشهوات بل ينبغى ان يكون بذلك أكثر اذ (هو خير مما يجمعون) من اسباب الشهوات اذ لا يتمتع بجميعها ولا يدوم ويفوت به اللذات الباقية بحيث يحال بينهم وبين ما يشتهون على انه لا يمنع بجميع الشهوات بل ما قبح منها دون ما حسن وان حرم بعض ما حسن (قل أرأيتم) أى اخبرونى كيف قسمتم (ما انزل الله) من مقام فضله ورحمته (لكم من رزق فجعلتم) من عند أنفسكم (منه حراما وحلالا) لتكفروا ببعض ما انعم به عليكم بل بالتحليل والتحريم من عند أنفسكم (قل آلله أذن لكم) مع ان اذنه لا يعرف الا بالسماع منه ولا يسمع منه الا نبى او ملك وانتم تنكرون النبوة ونزول الملك عليهم (أم على الله تفترون و) هذا الافتراء موجب للتخويف (ما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ماذا يفعل بهم (يوم القيامة) لكنهم يغترون بفضله فيجترؤن به على ابطال فضله الذى انزل منه الرزق (ان الله لذو فضل على الناس) فى انزال أنواع الرزق (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فيحرمون بعضه ابطالا لفضله فكانهم قالوا أنت تحرم من عند نفسك وتتلو على الله ما تفترى عليه وتعمل اعمالا تفترى على الله انه امر بها فقال تعالى فى الرد عليهم (وما تكون فى شأن) من التحليل والتحريم (وما تتلوا منه من قرآن) بجميع العلوم الاعتقادية والعملية (ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا) بعين العناية نفيض بها عليكم علوما ومعجزات وكرامات (اذ تفيضون فيه) فى معرفته والاعمال المقربة اليه وانى يكون ذلك فى حق المفترى الا من الجهل بافترائه والمكر بالمفترى أو أتباعه (و) لكن لا جهل فى حق الله لانه (ما يعزب) أى ما يغيب (عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) بل (ولا اصغر من ذلك ولا أكبر) ولو فرض له نسيان لانه ما من شئ مما ذكر (الا) هو مسطور (فى كتاب مبين) لا يلتبس ما فيه على من طالعه وهو اللوح المحفوظ وليس هذا من المكر بك ولا باصحابك اذ حصلت لك الولاية الخاصة ولهم الولاية العامة ولا مكر فى اعطائهم المعجزات والكرامات (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم) من جهة المكر ولا من جهة أخرى فى الحال (ولا هم يحزنون) فى الاستقبال وليست الولاية مختصة بأهل الرهبانية بل هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) القبائح من الافعال والاخلاق وكيف تكون الكرامات والمعجزات فى حقهم مكرا مع أن (لهم البشرى) بها (فى الحيوة الدنيا) بالقرب

وما بدا منه فلا احل
(وقال أبو عمر يقال ان آدم عليه السلام طاف عريانا لانه مشبه يوم القيامة فجاء محمد صلى الله عليه وسلم فنسخ ذلك)

•(باب السين المفتوحة)•

من الله (ر) البشرى فى الدنيا بشرى (فى الآخرة) لانه (لا تبديل لكلمات الله) وقد علموا ان بشارتهم من الله ولا يبعد ان يكون لهم من الله البشرى اذ (ذلك) أى حصول الولاية (هو الفوز العظيم) من قربه (ولا يحزنك قولهم) لو كان لهم قرب من الله لكانوا اعزاء فلا تليق لكثير اكم اذلة فانهم مردود عليهم بانهم انما جعلوهم اذلة لفقدهم الاموال والاعوان والقرب من الله لا يوجب العزة بالاموال والاعوان بل بالله وهو العزة الحقيقية (ان العزة لله جميعا) لا للاموال والاعوان بالذات (هو السميع) لاقوالهم ان لا عزة لاهل الله بل لاهل الاموال والاعوان (العليم) بما يلزمهم من نفى العزة عن الله اذ لو كانت له لكانت لاهله اكثر من الاهل الاموال والاعوان وكيف ينفون العزة عن الله مع ان كل عزيز عبد ذليل له (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) حتى شركاؤهم وقد جعلوهم مشاركى الحق فى عزته فتذللوا لهم مثل التذلل له (وما يتبع) دليلا على مشاركتهم الله فى عزته (الذين يدعون من دون الله شركاء) مع ان الدون لا يكون له عزة الاعلى أصلا (ان يتبعون الا الظن) مع ان الواجب فى باب الاعتقاد اتباع الدليل القطعى (ر) ليس لهم دليل قطعى ولا أمارة راجحة بل (ان هم الا يخرصون) أى ما هم الا كاذبون ولا يبعد من الله الجمع بين العزة والذلة لاهله كما جمع فى مصالح العامة بين الليل والنهار اذ (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) فجعل لاهل الذلة ليتذللوا له ولا يستكبروا عن عبادته ويسكنوا اليه لا الى الاموال والاولاد والعزة بالهداية المبصرة (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) فنهم ماذكرنا ومنها ان العزة بالاموال والاعوان ليلة مظلمة لمن سكن اليهما عن أسرار الربوبية وعزة الهداية نهار مبصر لها ومنها ان العزة بالاموال والاعوان مسكنة فى اللذات العاجلة مانعة من أبصار آفاتها والعزة بالهداية مبصرة للآفات فيها ومن كون عزتهم ظلمانية طعنهم فى عزة الله بحيث لا يشعرون به اذ (قالوا اتخذ الله ولدا) فجعلوه عاجزا ومحتاجا اليه فقال تعالى (سبحانه) من ان يجانس أحدا أو يحتاج اليه اذ (هو الغنى) والغنى المطلق لا يجانس من يحتاج الى الولد ولو فرض فلا يكون من جملة العالم اذ (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا فهذا دليلنا على نفى الولد فعليكم به لكونه من عزة الهداية التى هى نهار مبصر (ان عندكم من سلطان بهذا) فليس لكم من هذه العزة التى هى العزة الحقيقية شئ على انكم تطعنون به فى عزة الله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) اذ ما لا دليل عليه مجهول بل تفترون عليه ما هو محال (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) فلا يبقى لهم عزة ولا عبرة بعزة الاموال والاعوان فى حقهم اذ غايتها انها (متاع فى) الحياة (الدنيا) لا تكون آخرتهم على مثال دنياهم حتى يبقى لهم ذلك المتاع اذ (الينا) بعد افترائهم علينا بالطعن فى عزتنا (مرجعهم) فنذلهم بمقتضى افترائهم وطعنهم فى عزتنا (ثم) لا نقتصر على ذلك الاذلال بل (نذيقهم العذاب الشديد) الذى يزدادون به ذلة (بما كانوا يكفرون) بالطعن فى عزتنا وان لم يشعروا به (واتل عليهم) أى على المغترين بعزة الاموال والاعوان المعتقدين ذلة من اتصف بقائمة اوان

(السلوى) وهو طائر يشبه السمانى لا واحد له والقراء يقولون سماناة (قوله تعالى سواء السبيل) أى وسط الطريق وقصد الطريق (سفه نفسه) قال يونس سفه نفسه بمعنى سفه نفسه قال ابو عبيدة سفه نفسه أى أوبقها وأهلكها قال

كانت نبعزة الهداية (يا نوح) التى كانت لهذه الذلة فى ابتدائه مع اتيانه فى عزة الهداية
(اذ قال لقومه) المغترين بعزة الاموال والاعوان (يا قوم) الذين حقهم الاعتزاز بعزة الهداية
وترك الاعتزار بعزة الاموال والاعوان (ان كان كبر) أى شق (عليكم مقامى) أى
قيامى بالدعوة الى الله من رؤيتكم ذلتى بقلة الاموال والاعوان ومنع عزتكم بهما عن
الانقياد لى (وتذكيرى بآيات) التى بها عزتى وأنتم تتكبرون على بعزة الاموال والاعوان
فترون اهلاكى ولا تبالون بعزة الآيات المنسوبة الى الله (فعلى الله توكلت) أى اعتمدت
فى دفع ما تصدعونى به (فأجمعوا) اعزموا واقصدوا (أمركم) أى شأنكم فى اهلاكى
(و) اجعلوا معكم (شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى غما وندامة على فوات
(ثم) بعد رفع الغمة عنكم (اقضوا) أى ادوا اداء الواجب من حق الذى هو اهلاكى
فى زعمكم (الى ولا تنظرون) أى لا تمهلونى فاذا لم تقدروا فاقبلوا ما يظهر من ذلكم عجزكم
عنى مع كثرة أموالكم وأعوانكم ومن عزتى حفظ الله اياى مع ذاتى بقلتهما (فان توليتم)
أى أعرضتم عن قصد اهلاكى اما لانه لم يثقل عليكم مقامى وتذكيرى فاى ضرر لكم
فى الايمان بى (فما سألتكم من أجر) ينقص مالكم الذى هو عزتكم أو ينقص أجركم
الاخروى (ان أجرى) على اهدائى اياكم (الا على الله و) اما لخوف الذلة بالعجز عن اهلاكى
فلا ذلة فى الانقياد لامرى اذ هو أمر الله وأنا (أمرت أن أكون من المسلمين) فانتم بالحقيقة
منقادون لامر الله وهو موجب لعزتكم (فكذبوه) فلم يجعلوا امره امر الله فعززناه
(فنجيناه ومن معه) عن الغرق اذ جعلناهم (فى الفلك و) زدنا فى اعزازهم اذ (جعلناهم
خلائف و) اذللنا المغترين بعزة أموالهم وأعوانهم اذ (أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) فلم
يبالوا بعزة نسبتها الينا الا بغير سبب لكونه بعد الاندار به على التكذيب (فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين) الذين لم يبالوا بما أنذروا به اغترارا بعزة الاموال والاعوان كيف انقلبت الى الذلة
الابدية (ثم بعثنا من بعده رسلا) ظهر عليهم فى ابتدائهم ذلة قلة الاموال والاعوان مع عزة
الهداية (الى قومهم) المغترين بعزة الاموال والاعوان (فجاؤهم بالبينات) المفيدة
عزة الهداية (فما كانوا ليؤمنوا) لعدم مبالاتهم بعزتها مع عزة الاموال والاعوان فلم يبالوا
معها (بما كذبوا به من قبل) تعززا عليه لان الله تعالى طبع على قلوبهم فرأوا العزة
الحقيقية وهى عزة الهداية ذلة والعارضة وهى عزة الاموال والاعوان عزة حقيقية (كذلك
نطبع على قلوب المعتدين) أى المجاوزين مقتضيات حقائق الاشياء ليفعل بهم مثل ما فعل
بالمعتدين من اذلالهم على الابد بعد عزتهم بالاموال والاعوان. (ثم) أى بعد بعث أولئك
الرسل وتبديل ذلتهم الظاهرة بالعز مع عزة هدايتهم وتبديل عزة قومهم بالذلة الابدية (بعثنا
من بعدهم موسى وهرون) مع ظهور ذلة القلة عليهما ابتداء (الى فرعون وملائه) الظاهرة
عليهم عزة الاموال والاعوان لكن العزة الحقيقية كانت لموسى وهرون لاتيانهما

الا من سفه نفسه معناه
سفهت نفسه فنقل الفعل
من النفس الى ضميره
ونصب النفس على التشبيه
بالتفسير وقال الاخفش
معناه سفه فى نفسه فلما حذف
حرف الخفض نصب
مابعده كقوله ولا تعزموا

(بآياتنا) لكنهم لم يسالوا بعزتها (فاستكبروا) عليها بعزتهم (و) لم يكن لاستكبارهم بها وجه بل (كانوا قوما مجرمين) أى عاصين لمن اعزهم بها وكيف لا يكونون مجرمين ولم يزالوا معاندين للدلائل القاطعة (فلما جاءهم) الدليل (الحق) الذى لا شبهة معه على رسالتهما الموجبة عزة الهداية لهما (من عندنا قالوا) لرفع عزتهما بالهداية وجعلها ذلة عليهما مع ذلتهما سابقة الاموال والاعوان (ان هذا لسحر مبين) اى تلبيس ظاهر (قال موسى أتقولون للحق) انه سحر (لما جاءكم) على وجه لم يترك لكم شبهة (أسحر هذا) مع قطعيته بحيث لا يبالى معه الشبهة لو لم يرتفع (و) يكفى فى قطعيته انه سبب فلاح مع انه (لا يفلح الساحرون قالوا) تمنع كونه تلبيسا وقد (جئتنا لتلفتنا) أى لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) وهو الحق الصريح (و) نبطل عزتنا اذ (تكون لكما الكبرياء) أى غاية العزة التى تصير بها كل عزة بالنظر اليها ذلة على ان كبرياءكم ليس باعتبار اتصافكم بعزة الهداية بل (فى الارض و) لكنه انما يكون لو آمنا بكما لكن (ما نحن لكما بمؤمنين) لتبقى عزتنا (وقال فرعون) حفظا لعزته بعد ما ذهبت بالعجز لآيات موسى ودفعا لعز موسى بها (ائتونى) لمعارضته (بكل ساحر) أى ماهر فى باب السحر (عليم) أى محيط بابوابه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به) لا يصلح لمعارضتى لانه (السحر) وقرئ بهمزة الاستفهام ومعناه أيصلح السحر للمعارضة وهو وان بلغ ما بلغ (ان الله سيبطله) لئلا يعارض آياته ولو لم يكن معارضا لها فلا بد من ابطاله لكونه افسادا لما يصلحه الآيات (ان الله لا يصلح عمل المفسدين و) لو لم يكن افسادا لم يكن الله ليصلحه اذ (يحق الله) أى يثبت الله الدليل (الحق بكلماته) أى أوامره (ولو كره المجرمون) الذين يؤثرون فى السحر بأوامرهم التى يتوهمون انفاذها فليس لاوامرهم معارضة أوامر الله فابطله الله وأظهر ذلتهم وعزة موسى بالهداية لكن لم يبطل بذلك عزة فرعون بالاموال والاعوان ابتلاء (فما آمن لموسى) بعد ظهور عزة الهداية عليه (الا ذرية) أى شبان (من قومه) راكبين (على خوف من فرعون وملئهم) ان يظهروه فيما بينهم فيصل الخبر الى فرعون وهو موجب (أن يفتنهم) أى يعذبهم (وان فرعون) وان عجز عن معارضة موسى فظهرت ذلته (لعال) ذو عزة لنفوذ تصرفه (فى الارض وانه) وان علم انه لا عبرة لهذه العزة مع عزة الهداية (لمن المسرفين) بترجيح هذه العزة على عزة الهداية (وقال موسى يا قوم) الخائفين من فرعون ان يفتنهم (ان كنتم آمنتم بالله) فيما بينكم (فعليه توكلوا) فى اظهاره ان يحفظكم عن فتنة العدو فانه يصح لكم (ان كنتم مسلمين) أى منقادين له بصدق التوكل ويجعله سبب ايمان الخلائق حتى يجتمعوا على الايمان بالله حتى تظهر عزتكم وتنقلب عزة فرعون ذلة (فقالوا) عند اظهار الايمان (على الله توكلنا) احفظنا من فتنة العدو قبل اجتماع الخلائق على الايمان ودعوا ليجتمع تأثير الدعاء مع تأثير التوكل فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) لتظهر عزتهم وتذهب عزة ايماننا بآياتك (ونجنا) عن ذلة فتنتهم (برحمتك) التى استحققناها على تصديقك

عقدة النكاح معناه على عقدة النكاح (سراويس ومرور) بمعنى واحد (قوله عز وجل سديدا) أى قصدا (قوله سعيرا) أى ايقادا وسعيرا أيضا اسم من أسماء جهنم (سامت) مشى

(من القوم الكافرين) المستحقين لكل الاذلال (وأوحينا الى موسى وأخيه) حفظ قومهما
من فتنة العدو (ان تبوآ) أى اتخذا مباءة (لقومكما بمصر) لاخارجه لئلا يؤاخذكم بالخروج
عن دينه (بيوتا) لتلازموها فلا تخرجوا عنها لتجتمعوا الحكايات فيصل خبرهم الى العدو
(واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد فلا تصلوا خارجها فيصل خبر صلاتكم اليه (و) مع
الخوف من ظهورها (أقيموا الصلوة) لتستعينوا بها على العدو (وبشر المؤمنين) باعانته لهم
ونصره اياهم (وقال موسى) داعيا لابطال عزة فرعون بالاموال اذ كان منها خوف قومه من
اظهار الاسلام والصلاة (ربنا) أى يامن ربانا بعزة الهداية (انك آتيت فرعون وملأه زينة)
أى مايتزين به من الحلى واللباس والمركب (وأموالا) يتعززبها (فى الحيوة الدنيا ربنا) أى يامن
ربانا بعزة الهداية التى فوق عزتهم ما كانت عزتهم بها عزة هداية بان يتخذوها مزرعة الآخرة
فيكونوا سالكى سبيلك بل (ليضلوا عن سبيلك) بالتكبر عليك وعلى أنبيائك ورسلك (ربنا) مقتضى
تربيتك ايانا ان تبطل عزتهم لاظهار عزتنا (اطمس على أموالهم) أى اجعلها حجارة لاينتفع
بها (واشدد) أى اقس (على قلوبهم) فلا تلين بذهاب عزتهم بالاموال أيضا (فلا يؤمنوا)
ليحصل لهم بدل عزة الاموال عزة الهداية (حتى يروا العذاب الاليم) من المؤاخذة الدنيوية
وهى لاتمنع من قبول الايمان معها ونفعه من جهة الآخرة اذ لم يكاشف لصاحبها عن أحوال
الآخرة ولم ييأس عن نفسه وان لم ينفع فى دفع تلك المؤاخذة فلا يكون هذا من قبيل الرضا
بالكفر وكان موسى يدعو وهرون يؤمن (قال) تعالى (قد أجيبت دعوتكما) أى دعاؤكما وان
أخر المطلوب الى أربعين سنة ليزدادوا ظلما فيزدادوا عذابا (فاستقيما) أى فاثبتا على ما أنتما
عليه من الدعوة الى الاسلام والزام الحجة (ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون) فى عدم الثقة
بوعد الله ولما قرب وقت حصول المطلوب أمر الله عز وجل موسى ان يخرج بنى اسرائيل
فتوسط البحر فشققناه (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) لتوهم فرعون انا نجاوزه به مثل
مجاوزتنا بهم (فأتبعهم فرعون وجنوده) فى دخول البحر على ظن التجاوز مع انا انما جاوزناه
بهم ليكون آية على كونهم مظلومين وكان اتباعهم (بغيا) أى ظلما (و) ليس كالماضى بل
(عدوا) أى تجاوز حد فصاروا كالغرق فى بحر الظلم وهو موجب للغرق الظاهر ولم يتنبه
لهذه النكتة الموجبة للايمان (حتى اذا أدركه) أى لحق فرعون (الغرق قال) بعد الوقت الذى
دعا ان لايؤمن قبله (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل) ليخلصنى من الغرق
انجاهم (وانا من المسلمين) أى المنقادين لاوامره التى أنزلها على رسله فقال له جبريل (آلآن)
تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق (وقد عصيت قبل) بترك الانقياد لامر الاسلام وغيره فصار عادة
لك فلا يبعد عودك اليه لو نجوت (و) لم تقتصر على العصيان بنفسك بل (كنت من المفسدين)
عقائد الخلائق وأعمالهم فلا يبعد عودك اليه لكن لابد لايمانك من أثر (فاليوم ننجيك
ببدنك) أى باخراج بدنك بلا روح من البحر (لتكون لمن خلفك آية) على انك عبد لا تك لا اله
صاعد الى السماء لانهم وان رأوا غرقك ربما يغفلون عن احلاء كان كيف (وان كثيرا من

(سلم) بفتح اللام استسلام
وانقياد والسلم السلف
أيضا والسلم شجر أيضا
واحدتم سلمة والسلم والسلم
بتسكين اللام وفتح السين
وكسرها الاسلام والصلح
أيضا والسلم الدلو العظيمة

الناس عن آياتنا) التي هي أعظم دلالة علينا وعلى صدق رسلنا وجزائنا يوم القيامة من دلالة غرقك على هلاكك (لغافلون) فايمانه لم يفده النجاة عن الاهلاك الدنيوى ولا من العذاب الاخروى على حقوق الخلق من اضلال مالا يحصر وذبح أولاد بني اسرائيل واستعبادهم ولا على الكفر لو أيس من نفسه أو شاهد عالم الملكوت على من يدعى عليه الاجماع فهذا اذلال فرعون بسلب عزة الاموال والاعوان عنه (ولقد) عززنا بني اسرائيل بتلك العز مع تعزيزهم بالهداية ومجاوزة البحر اذ (بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق) أى أنزلناهم منزلا ثابتا لا يزعجهم عدو وهو المطلوب من عزة الاعوان (ورزقناهم من الطيبات) المطلوبة بعزة الاموال وكان هذا موجب الاتفاقهم على عزة الهداية اذ حصل لهم بعزتها عزة الاموال والاعوان وسلبناها عن اعدائهم لكنهم اختلفوا (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) بما يوجب الاتفاق من هدايتهم لكن لما انضم لهم الى عزتها عزة الاموال والاعوان أفادتهم الكبر المانع من انقياد البعض للبعض فتنازعوا نزاعا لا ينقطع بهم أبدا لكن الله يقطعه (ان ربك يقضى) بما يرفع النزاع (بينهم يوم القيامة) باثابة البعض ومعاقبة البعض لا في الاموال التي اتفقوا على صلاحها أو فسادها فقط بل (فيما كانوا فيه يختلفون) أيضا عن عناد واذا عرفت اختلافهم في كتابهم الذي يزعمون الاتفاق على الايمان به فلا يبعد اختلافهم في كتابك مع شدة عنادهم معك (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) من اختلافهم فيه اذ آمن به بعضهم وكفر بعضهم (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) هل كتابك موافق لكتابهم في الاعتقادات والاخبار وكيف لا يكون موافقا لها والله (لقد جاءك الحق) المطابق في الكتب السالفة (من ربك) الذي رباك بموافقة الكتب السالفة فاذا وافق الكتاب الالهى باتفاق (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين في انه منزل من عنده أو أتى به شيطان اليك اذ لا يأتى الشيطان بالهداية المحضة فان اخفوا عليك الموافقة أو توهمت ان الشيطان جاءهم اليستدرج الى اضلال ابطال أحكام تلك الكتب بطريق النسخ فلا تشكن في انه عاجز عن الاتيان بالمعجزات (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) التي اعجز الشيطان عن الاتيان بمثلها (فتكون من الخاسرين) الهداية الموجب خسرانهم الخسران السعادة الابدية وان توهمت خسران الهداية بتلك الكتب بتوهم كونه من الشيطان وعدم ايمان بعض أهل الكتاب بكتابك ليس بخلل في اعجازه بل لكونهم ممن حقت عليهم كلمة ربك (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) يمكن ظهورها (حتى يروا العذاب الاليم) الاخروى لانه لا ينتقض قضاء الله والآيات وان كانت أسباب الايمان فلا يؤثر بدون ارادة الله وقد أراد هنا خلافها وهذا لا يفيد قطع العذاب الاخروى كما لا يفيد الايمان لرؤية العذاب الدنيوى قطعه فان ناقش فيه أحد قيل له (فلولا كانت قرية آمنت) بعد رؤية العذاب الدنيوى (فنفعها ايمانها) في دفعه (الا قوم يونس) نفعهم ايمانهم فرفع عنهم العذاب الذي رأوا علامته فانهم (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى) الذي يفتضحون

(سلام) على أربعة أوجه السلام الله عز وجل كقوله عز وجل السلام المؤمن المهيمن والسلام السلامة كقوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم أى دار السلامة والسلام وهى الجنة

عن المتأخرين فينالهم به بعد الموت وراء التألم بعذاب الآخرة وان حكانت الشنيعة (في الحيوة الدنيا) وذلك انه بعث يونس عليه السلام الى قرية نينوى من الموصل فوعدهم العذاب بعد ثلاث واربعين فظهر غيم أسود ذو دخان شديد غشى مدينتهم فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه ولبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فعلت الاصوات والضجيج وتضرعوا وأخلصوا التوبة فكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (و) لم نقتصر على كشف العذاب بل (متعناهم) بالحياة الدنيوية ونعيمها أيضا (الى حين) وهو انتهاء اجل كل واحد في حقه ثم أشار الى ان عدم ايمان أهل الكتاب بآياتك ليس دليل قصورها بل هي كاملة تقتضي ايمان الكل لكن المشيئة الالهية تعوق البعض (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) لا بتأخر ايمان البعض عن البعض ولكن شاء تأخر ايمان البعض لينال السابق فضيلة السبق وشاء كفر البعض ليظهر قهره كما ظهر بايمان البعض لطفه على انه لو شاء ايمان الكل لشاء باختيار (أ) نشاء ايمان الكل وان لم يختره البعض (فأنت تكره) على الايمان (الناس) الذين لا يختارون الايمان (حتى يكونوا مؤمنين) أي يتفقوا على الايمان مع انك تما تكرههم على الاقرار باللسان (و) اما التصديق القلبي فلا يدخل تحت اكراهك لانك (ما كان لنفس أن تؤمن) أي تصدق بالقلب (الا باذن الله) وهو وان كان باختيار منها فذلك باختيارها نفس زكاها الله فجعلت هواها تابعة لعقلها (ويجعل الرجس) أي خبث الهوى (على الذين لا يعقلون) فيجعلون عقولهم تابعة لاهويتهم (قل) لاهل الرجس ان لم تنظروا في آيات الآفاق لعنادكم مع ذي عناد يمنعكم من النظر في آيات الآفاق (انظروا ماذا) من الآيات الدالة على ذات الله وتوحيده وصفاته وأسمائه وأفعاله المنتشرة (في السموات والارض) فلو لم تنظروا فهو دليل جعل الله رجس الهوى عليكم (و) انه بالغ من الغاية بحيث (ما تغني) أي ما تكفي (الآيات) السماوية والارضية وما ظهر على أيدي الانبياء (والنذر) من الانبياء والعلماء (عن) دفع رجس (قوم لا يؤمنون) واذا لم يؤمنوا بالآيات والنذر (فهل ينتظرون) لايمان (الا مثل) وقائع (ايام) الكفرة (الذين خلوا) أي مضوا (من قبلهم) فصارت سنة لامثالهم فان شكوا في حصولها لهم (قل فانتظروا) حصولها لكم لا بطريق الاحتمال بل بطريق القطع (اني معكم من المنتظرين) وتدبر بتم صدقي ولا يمنعني منه توهمي ان اشارككم فيه باتحاد المكان لان الله تعالى قال لي انا نهلكهم العذاب أولا (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) بابعادهم عن ذلك المكان ولا يختص ذلك بالبعض بل (كذلك) يعم الكل لانه كان (حقا علينا) تمييز المستحق عن غيره فلا محالة (ننج المؤمنين) لتمييز العذاب على الكفر عن البلاء الشامل للفاجر والبر فان زعموا ان هذا الانتظار انما يصح لو صحت رسالتك ولا دليل عليها من الآفاق التي امرتنا بالنظر في آياتها (قل يا أيها الناس) أي الذين تسرادلالة عموم الحكمة فيها على انه لا يعطي المعجزة للكاذب الا ان يعارض دلالتها بما يكذبها من دعوى الالهية أو الرسالة مع

التسليم بقال الملك عليه السلام أي تسليما والسلام سلاما نجم عظام واحتج اسلامه قال الاخطل الاسلام وحرمل (قوله معاعون للكذب) فانا ردنا الكذب كما يقال لا اسمع من فلان

الشك أو الفسق (ان كنتم فى شك من دينى) مع كونه ظاهر الرشد وقد ظهرت المعجزات على يدى (فلا) موجب للشك فى دينى من عبادة الادنى فضلا عن اعتقاد الالهية اذ لا (أعبد الذين تعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستحق العبادة بالذات ولا باعتبار الرجوع اليه للمجازاة (ولكن اعبد الله الذى) يستحقها بالذات وبالرجوع اليه للمجازاة لانه (يتوفاكم) ليرجعكم اليه فيجازيكم على اعمالكم (و) لا ادعى الالهية لنفسى وان بقيت به اذ قيل (أمرت أن أكون من المؤمنين) باعلى مراتب التوحيد (و) لا ادعى اسقاط التكليف بتقيد حتى أكون فاسقا اذ أمرت (أن أقم وجهك) أى اجعله مستقيما متوجها (للدين) الكامل (حنيفا) أى مائلا عن القصور وترك التكاليف قصور (و) مع ذلك (لا تكونن من المشركين) بدعوى الكمالات لقصانك بالحدوث (و) من الميل الى القصور باعتقاد تأثير الاسباب لذلك قيل لى (لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) وان كان من اسبابهما (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) بتشريك الاسباب لله فى التأثير (و) لا يرتفع باعتقاد عدم استقلالها فى التأثير بل (ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له) من الاسباب لا استقلالا ولا غير مستقل (الا هو) وان كان يفعل عند الأسباب لكن لا بها (وان يردك بخير فلا راد) من أسباب ضده (لفضله) لكنه انما يقع على خرق العادة لذلك (يصيب به من يشاء من) خواص (عباده و) لا يمنع منه سبب الضد على تقدير تأثيره اذ (هو الغفور) اى الساتر لتأثيره (الرحيم) بافاضة ضد مقتضى سبب الشر فان ردوا فضله بالرسالة وزعموا ان خوارقك لاسباب اكتسبتها (قل يا أيها الناس) اى الذين نسوا الفرق بين ما يكون فيه للسبب دخل وبين ما لا يكون (قد جاءكم) الدليل (الحق) الذى لا يتغير بتغير الاسباب فعلم أنه (من ربكم) ليربيكم بالهداية على يدى (فمن اهتدى فانما يهتدى) تكميلا (لنفسه) لانتفاعها بالكمالات (ومن ضل فانما يضل) نقصا (عليها) يمنع تربيتها فلا يعود نقصه على (و) انى مع بلوغى غاية الكمال الممكن (ما أنا عليكم بوكيل) الجئكم الى الهداية (و) مع ذلك قيل لى (اتبع ما يوحى اليك) فى التبليغ وان لم يهتدوا به (واصبر) على ايذائهم فى التبليغ (حتى يحكم الله) بالقتال (وهو خير الحاكمين) بجعل مقتولنا شهيدا ومقتولهم طريدا تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

قوله اى لا تقبل قوله وجائز أن يكون ممّا عون الكذب اى يسمعون منك ليكذبوا عليك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اى هم عيون لاولئك الغيب (وقوله عز وجل ربكم

(سورة هود)

سميت بها لقوله ما من دابة فى الارض الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم الدال على توحيد الافعال مع استقامته باعطاء كل مستعد ما يستعد له المقتضية للاحكام والجزاء وهى من أعظم المقاصد (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى كتابه الجامع (الرحمن) باحكام آياته لنفع الكل (الرحيم) بتفصيلها لنفع الخواص المطلعين عليه (الر) اى أجلى لوامع الرشد أو أعلى لواء رفيع الدرجات أو أجل لطائف الربوبية أو أتم ابواب الرحمة (كتاب

أحكمت آياته) بجعلها يقينية بمرادها وصورها أو بإعجازها الرائع شأنها أو بتقوية أصولها بالحجج القاطعة ورفع الشبه تربية لها أو بمنع نسخها الكونها الباب الرحمة (ثم فصلت) بجعل نتائجها مقدمات لأخر أو ببيان مراتب القرب من رفيع الدرجات أو بتكثير الفروع تربية للأصول وراء تقريرها أو بإبرازها أبهم في الكتب السالفة لمزيد الرحمة بهذه الأمة (من لدن حكيم) لا يستعمل إلا اليقينيات ويأتي بما يعجز الكل ويبني الفروع على أقوى الأصول ويبلغ إلى الخير المطلق (خبير) لا يلتبس عليه الوهميات باليقينيات مطلع على أسرار الإعجاز والقرب والبناء والخيرية المطلقة (ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير) يشير إلى أمثلة الأحكام باليقينيات بمثل الله يثيب من يخصه بالعبادة ويعاقب من لا يخصه بها ومن كان كذلك يجب تخصيصه بها والمعجز مثل أن يذكر المطلوب بجميع فوائد تحصيله ومضار تعطيله بعبارة موجزة يشير إلى مراتبها مع أنواع التأكيد والطائف الأمر بتخصيصه بالعبادة مع التبشير على الموافقة والإنذار على المخالفة والأب أن لا ينسخ (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) يشير إلى أمثلة التفصيل لجعل نتائجها مقدمات مثل أن يقال من يجب تخصيصه بالعبادة يستغفر من معاصيه ويرجع إليه بالطاعة ثم إنه ما ارتفاع درجات القرب فما يستغفر منه وجود النفس فيفنى عنه ويرجع إلى البقاء به ثم بناء الفروع على الأصول إنما يتم بالاستغفار عن السهو والرجوع إلى الحق ثم الرجل إنما يبلغ اللب بالاستغفار عن القصور والرجوع إلى الكمال (يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) يشير إلى إفادة العبادة والاستغفار والتوبة ما أشير إليه من أجل لوامع الرشد وغيره فهي تفيد التصفية المفيدة لعلة اليقين وتفيد القرب من رفيع الدرجات بالأحوال والمقامات والتربية بالعلوم والكرامات واللب بالتنور بنور الله فهذا في الدنيا طريق التمتع وفي الآخرة يزداد كل واحد منها الكل من حصل فضلا من تلك الفضائل في الدنيا (وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) أي وإن تعرضوا عن تخصيصه بالعبادة وعن الاستغفار والتوبة التي هي مقتضى الدلائل اليقينية والمقربة من رفيع الدرجات والمفيدة حق الربوبية والمستفيضة لباب الرحمة فإني أخاف عليكم عذاب يوم يكبر فيه الإعراض عن اليقينيات والبعد عن رفيع الدرجات وقهر من ربي بأنواع النعم فتولى عنه وفوات عظيم الرحمة ولا يبعد هذه الفضائل للأولين والعذاب للآخرين إذ (إلى الله) الظاهر فيه كبرياؤه بغاية لطفه على قوم وقهره على آخرين (مرجعكم) جميعا (و) لا مانع لمن غاية اللطف والقهر إذ (هو على كل شيء قدير) ولذلك لا يبعد عليه تقرب من رجع إلى أحب الأشياء وجعل الشهوات بعينها سدا لها وإيقاع الحجاب على من رجع إلى نور الأنوار وكيف لا يعذبهم وقد بالغوا في الإعراض عن دلائله اليقينية وعن حضرته الرفيعة وعن شكر تربيته وموجبات رحمته (ألا إنهم يثنون) أي يحرفون (صدورهم) لا لإخفاء ما ذكر على أنفسهم لعلمهم أنه لا يخفى عليهم بل (ليستخفوا) أي ليطلبوا اخفاء

سماعون) أي مطيعون ويقبل سماعون لهم أي يتجسسون لهم الأخبار (قوله تعالى سوأة أخيه) فرج أخيه (قوله عز اسمه سم الخياط) أي ثقب الإبرة (قوله سكينة) نعيله من

انفسهم (منه) ويبالغون فيه بالاستغشاء (الاحين يستغشون ثيابهم) اى يطلبون التغطى بها لحفظ اظهور ره عليهم وبظهروا اخفاء عنهم (يعلم مايسرون ومايعلنون) وكيف يخفى عليه ماتحت ثيابهم وقد اطلع على أخفى الامور (انه عليم بذات الصدور و) ان زعموا انه لابد من التولى عما ذكر لطلب الرزق الشاغل عنه أجيبوا بان هذا انما يكون لو اضطروا الى طلبه لكن لااضطرار اليه بعد تكفل الله به فى حق كل انسان بل كل حيوان فانه (ومامن دابة) اى حيوان يدب وان كانت قاصرة نظرها (فى الارض) لانظر الى الله (الاعلى الله) بطريق التكفل الشبيه للايجاب (رزقها) اى معاشها (و) كيف لايتكفل بها مع انه (يعلم مستقرها) اى زمان بقائها المتوقف على الرزق (ومستودعها) اى زمان طلب وديعة الروح عنها المتوقف على تكميل الرزق وكيف لايعلم هذه الاشياء مع انها حوادث مقدرة بمقدار خاص فلابد من ثبوتها فى لوح القدر بل (كل) مسطور (فى كتاب مبين) لمافى القلم الاعلى التابع للعلم الالهى (و) كيف تنكرون تكفله برزقكم مع انه (هو الذى خلق السموات) بافلاكها وكواكبها واملاكها (والارض) بمعادنها ونباتها وحيواناتها (فى ستة أيام) على حدمادكرنا التدبير كم فلايخلو عن التكفل برزقكم كيف (وكان عرشه) الذى هو مستوى اسمه الرحمن الذى منه كل فيض (على الماء) المفيد للحياة المتوقفة على الرزق فدبركم باحسن تدبير (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أى عبادة بحيث لايعوقه عنها طلب رزق أو غيره ولايتم هذا الابتلاء الاباعطاء الرزق اذ عدمه مضعف عنه (ولئن قلت) ردا لفهم الابتلاء اذ لم يروا ثوابا ولاعقابا ايام الحياة (انكم مبعوثون) للثواب والعقاب (من بعد الموت) اذ قبله يرفع الابتلاء (ليقولن الذين كفروا) بقدرة الله وحكمته وتدبيره بعد رؤية تمام ماصر (ان هذا) أى ليس هذا القول (الاسحر مبين) أى تلبيس ظاهر وعدم ما يجربه العادة و زعموا انه لاوجه للتأخير (و) لكنه لايعتبر بهذا التأخير لانا (لئن أخرنا عنهم العذاب) فاعانوخره (الى أمة) أى جماعة من الساعات (معدودة) لكونهم لانكارهم مابعد ساعات الحياة (ليقولن مايحبسه) أى يمنعه مع تحقق موجبه وعدم تحقق مابعد الحياة فيقال مابعد الحياة محقق والمانع من وقوع العذاب فى أيام الحياة استيفاؤهم نصيبهم من الرحمة (ألايوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم و) لاينتفعون بالرحمة الماضية اذ (حاق) أى أحاط (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب فان استحقاقه مضطة بسبب اسار الخطايا (و) كيف يلتذون مع هذا العذاب الدائم وقد علم بالتجربة انا (لئن أذقنا الانسان منارحمة) عظيمة (ثم نزعناها) أى سلبناها (منه انه ليؤس) أى سوط عن عودها فلا يلتذ بالنظر الى المستقبل مع امكان عودها فكيف مع امتناعه (كفور) النعمة الماضية فلا يلتذ بالنظر الى الماضى بمجرد سلب النعمة فكيف مع هذه الشدة (و) كيف ينقطع عنهم العذاب مع انه يرى من الانسان انا (لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) على سوء عمله (ليقولن ذهب السيئات عنى) بتلك الشدة فلا أعاقب بعدها شدة

السكون بمعنى السكون الذى هو الوقار لاالذى هو ضد الحركة وقيل فى قوله فيه سكينة من ربكم السكينة لها وجه مثل وجه الانسان ثم بعد هى ريح هفافة وقيل لها رأس مثل رأس الهر وجناحان وهى من امر الله عز وجل (قوله عز

عليها (انه لفرح) بنعمائها (فخور) بحصول النعماء بعدها ونرح العدو ونخره مكروه بمقتضى الحكمة (الا الذين صبروا) فانهم لايتمحض عليهم الشدة لانهم لما علموا ان الصبر مفتاح الفرح يلتذون برجائه (وعملوا الصالحات) حال الشدة فيلتذون بها (أولئك) ينقطع عذابهم في الدنيا والآخرة اذ (لهم مغفرة) لذنوبهم بتلك الشدة (وأجر كبير) على الصبر والاعمال الصالحة حال الشدة وان التذوا بهما فلا ينقص ذلك شيأ من أجرهم فهؤلاء وان أنعم عليهم بعد ضراء مستهم فلا يكره فرحهم وفخرهم اذ ليسوا باعداء بل أولياء واذا لم يؤمنوا بالبعث وتأخير الجزاء اليه بعد هذا البيان المعجز المشتمل على اقامة الحجج ورفع الشبه وأصروا على كونه مصرا (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) ان تبلغهم مخافة ردهم (و) لم تترك فلا أقل من انه (ضائق به صدرك) مع اقتضاء اقامة الحجج ورفع الشبه توسيعه اذ انكروا الاعجاز حتى طلبوا معجزات أخر مثل (أن يقولوا لولا) أى هلا (أنزل عليه كنز) اذ الرسول متبوع لابد له من الانفاق على أتباعه ولا يتأتى مع عدم سلطنته الا بالقاء الكنز عليه (أو جاء معه ملك) يكون تابعا لا يحتاج الى الانفاق ويكون مصدقا أتاه من عند من أرسله فقال تعالى لا تحتاج الى الانفاق (انما أنت نذير) اذ يكفي في الرسول انذاره من القبائح (و) الانفاق موكول الى الله اذ (الله على كل شيء وكيل) وأما التصديق بالملك أو بسائر المعجزات فيكفي تصديق القرآن الذى هو المعجزة لقولية انكرون تصديقه مع الاقرار باعجازه (أم يقولون) ليس بمعجز بل مقدور عليه للبشر اذ ابلغ غاية الفصاحة والعقل ويمكن منه الافتراء فهو شيء (افتراه قل) ان كان غير معجز بل مفترى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فهو أقل من عشره فمن بلغ الغاية لا يكون من دونه بحيث لا يبلغ حد عشره أو أقل منه فان لم يبلغ اليه بنفسه بلغ بالاستعانة (وادعوا) للاستعانة (من استطعتم) من الانس والجن والملائكة بل كل من يكون (من دون الله) فان كل دون وان بلغ من الكمال ما بلغ عاجز عنه بنفسه وبالاستعانة (ان كنتم صادقين) فانه يمكن افتراؤه (فان لم يستجيبوا لكم) أى ما تحديتم به مع شدة عداوتهم وكمال فصاحتهم وعقلهم (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) المحيط بأسرار الاعجاز (وأن لا اله الا هو) يعجز كل من جعلتموه الها من دونه عن مثله (فهل أنتم مسلمون) أى منقادون لتوحيد الله وتصديقه الرسول بكلامه المعجز فلا تطلبوا معه معجزة أخرى ثم ان افتراء مثله لو أمكن ربما يكون لطلب راحة الدنيا وزينتها لكنه يحوج الى أعمال شاقة أخروية يوجب تركها لذاتها وزينتها فان تسد بتلك الاعمال راحة الدنيا وزينتها ضاعت وصارت سبب الشدة في الآخرة فان (من كان يريد) بأعمال الآخرة (الحياة الدنيا) أى راحتها (وزينتها) أى جاهها (نوف اليهم أعمالهم) أى أداء أجورها (فيها وهم) وان كانت أجورهم الاخروية غير متناهية (فيها لا يبخسون) اذ عدم تناهي الاجور ليس في مقابلة الاعمال بل هو فضل الهي وهم ليسوا من أهل الفضل فيه ملون في الدنيا ما يقابل أعمالهم بلا نقص فيها (أولئك الذين) بعدوا عن العقل بتضييع تلك الاعمال لراحة الدنيا

وزينتها

يعنى وجعل سيارتهم مسافرين (قوله عزاسمه سكت عن موسى العضب) أى سكن (قوله عز وجل سنستدرجهم) أى سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم كما

وزينتها التى تحصل بدونها (ليس) لهم الخلاص فى الآخرة رأسا برأس بل ليس (لهم فى الآخرة) باتفاق الانبياء والحكماء (الا النار) المحسوسة أو المعقولة فلا يقربه من له العقل الكامل الذى يشبه البلوغ الى حد الاعجاز (و) لا يحصل لهذه الاعمال هيئة من تلك الاعمال ملذة تعارض لذتها تلك الآلام لانه (حبط ما صنعوا فيها) فلم يكن لها هيئة أصلا (و) لو أفادهم هيئة لم تكن لهم ملذة لانه (باطل ما كانوا يعملون) والباطل لا يكون ملذا بل مؤلما (أ) تجعلون طالبا لراحة الدنيا وزينتها باعمال الآخرة مع كونه على بينة (فمن كان على بينة من ربه) تزونه طالبا لما يوجب الحجاب عنه (و) ليست بينة معارضة بما ينافيها بل (يتلوه شاهد منه) وهو العقل يصدق دلائل القرآن ويرفع عنه الشبه (و) لم يقتصر فيه على الشاهد العقلى بل أيده الشاهد النقلى اذ (من قبله كتاب موسى) صدقه قبل مجيئه وكفى به شاهدا لكونه (اماما) للانبياء (ورحمة) للمؤمنين ويدل على تصديقه اياه ان (أولئك) الماهرين فيه (يؤمنون به) أى بهذا الكتاب مع ادعاء تصديق التوراة اياه (ومن يكفر به من الاحزاب) أى من طوائف أهل الكتاب لا يقدرون على انكار تصديقه اياه مع ايقانه بجهالة بل يعرفون الفاظا أو معنى (فالنار موعده) لكفره بالكتابين فان لم يبالوا بهذا الوعيد (فلا تك فى مرية) أى شك (منه انه) الوعيد (الحق) لكونه (من ربك) الذى لا يكذب (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيحملونه على مجرد التخويف من غير دليل (و) كيف يعطى الله البينة للمفترين عليه فيكون ظالما لاعانة الظالمين فانه (من أظلم ممن افترى على الله كذبا) كيف واعطاؤه البينة اعزاز وهم يستحقون الاذلال فان لم يعطوها اليوم فلا بد ان يعطوها يوم القيامة (أولئك يعرضون على ربهم) عرض العبيد المفترين على ملوكهم (و) لا يمكنهم الانكار امكانه للعبيد اذ (يقول الاشهاد) من الملائكة والجوارح (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فأنى يستحق هؤلاء البينة من ربهم مع كونهم من أهل اللعنة (الا لعنة الله على الظالمين) سيما من ظلم بالكذب على ربهم ولم يقتصروا به فى حقه بل عموا حقوق الخلق اذ هم (الذين يصدون عن سبيل الله) زاعمين انهم يسلكونها بهم (و) لا يتركونها بحالها بل (يبغونها عوجا) مع ذلك لا يريدون مقصدها اذ (هم بالآخرة هم كافرون) وان كانوا يدعون الايمان بها ويدعون الناس اليها بافترائهم (أولئك) المفترون لو أعطوا معجزات لكانوا معجزين لله عن تصديق الصادقين فى دعوى النبوة لكنهم (لم يكونوا معجزين) وان كانوا (فى الارض) التى يكثر فيها التلبيسات على ان هذه المعجزات المصدقة للمفترين لا تكون من الله بل من الشيطان (و) لكنهم لما التبست بمعجزات الله التى يصدق بها الصادقين أوجبت الحكمة الالهية رفعها كأنهم (ما كان لهم من دون الله من أولياء) وليس عدم رفع الله اياها لكونها سبب الهداية التى تصدرها بافترائهم لان الافتراء وان كان سبب الهداية فهى موجبة للغضب بحيث (يضاعف لهم

يرتقى الراقى فى الدرجة فيندرج شيأ بعد شئ حتى يصل الى العلو وفى التفسير كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار (قوله عز وجل سوآتكم) (قوله عز وجل زينت) يعنى سيدها لدا الباب يعنى زوجها والسيد الرئيس

العذاب) كيف لا يرفع تلبيسه على انه كيف يتصور من الشيطان الهداية مع ان الشياطين (ما كانوا يستطيعون السمع) أى سمع كلام الهداية لتلقيها عليهم (وما كانوا يبصرون) الهداية أشد الانهم مجبولون على الاضلال (اولئك) المفترون لو حصلوا المعجزات بتصفية أنفسهم لم يبق لهم تصفية اذهم (الذين خسروا أنفسهم) بالافتراء على الله (و) لم ينفعهم مفتراهم لو كان هدى فى نفسه بل (ضل عنهم ما كانوا يفترون) فان أفادهم فى الدنيا (لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لعظم ظلم المفترى وأهل التصفية لا يفعلون ما يفترى آخرتهم ولو فرض انه مفترى مع كونه هدى فى ذاته مقرونا بالبينة صادرا من أهل التصفية لم يضر من آمن به مع الجهل بافترائه (ان الذين آمنوا) بما هو هدى فى نفسه (و) لم يقصدوا بذلك اتباع المفترى بل (عملوا الصالحات) التى من جملتها اتباع ما هو هدى فى نفسه (و) لم يقصدوا بذلك التعزز عند الخلق الذى هو مقصود المفترى بل (أخبتوا) اى مالوا (الى ربهم أولئك) وان أبعدهم اقتداؤهم بالمفترى لكنهم لعدم اطلاعهم على ذلك مع كونه هدى فى نفسه مقرونا بالبينة صادرا من أهل التصفية مقصودا به التقرب الى الله (اصحاب الجنة) لا يدخلونهم اليه بحر جراعنها فيشتد عليهم العذاب بل (هم فيها خالدون) لا يقال لو لم يضر المؤمنين مأذكرلم يضر الكافرين اتباعهم اهل التصفية اذا أتوا بالخوارق لانا نقول (مثل الفريقين) فى الاقتداء بما هو ضلال فى نفسه او هدى (كالاعمى) لا يبصر بنفسه ما هو فى ذاته هدى اوضلال (والاصم) لا يسمع عن يبين له مع عدم استقلالهم (والبصير والسميع هل يستويان) فى حكم من الاحكام (مثلا) حتى يلزم استواؤهما فى حكم النجاة والفوز (أ) تسوون بينهما (فلا تذكرون) ما بينهما من الفرق العظيم (و) مما يدل على عماهم وصممهم انهم لم يروا من الرسل الآيات الساطعة ولم يسمعوا منهم الحجج القاطعة وقادرا من ليس لشئ من ذلك مع ظهور ضلالهم فانه (لقد أرسلنا نوحا) بالآيات الساطعة والدلائل القاطعة (الى قومه) العماة الصم فصموا عن قوله (انى لكم نذير مبين) وعموا عن قوله (ان لا تعبدوا الا الله) الذى هو فى الظهور كالمبصرات اذ لا يخلو ما سواه عن نقص ينافى الالهية على انه لا دليل على الهية ما سواه فاقل ما فى عبادته خوف غضب الواحد فان لم يظهر اليوم ابقاء للتكليف يخاف ظهوره فى يوم (انى اخاف عليكم عذاب يوم أليم) أى محيط بكل ألم (فقال الملأ) أى الاشراف الذين هم متبوعو العوام خوفهم ان يكونوا أبصر وأسمع لكم أشد عمى وصمما لكونهم (الذين كفروا) مع كونهم (من قومه) خوفهم ان يكونوا امثاله وقد اطلعوا على احواله (ما نراك الا بشرا مثلنا) غاية فضلك الاتباع لكنه لا يعتد بهم اذ لم يكونوا اشرافا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) ولو اعتد بفضل متابعتهم فانما يعتد به لو كانت عن روية كاملة لكنهم انما اتبعوك آخذين (بادى الرأى) أى ظاهر النظر دون التعمق فيه فرأوا امورك آيات وشبهاتك حججا (و) لم يكن ذلك لرؤيتهم الفضل فيكم والا رأينا ولكن (ما نرى لكم علينا من فضل) اذ خوارق السحر وكلمات التلبيس

ايضا والسيد الذى يفوق فى الخير قومه والسيد المالك (قوله عزوجل أى ظاهر سارب بالنهار) ويقال سارب أى سالك فى سربه أى فى طريقه ومذهبه يقال سرب يسرب (وقوله فى البحر سربا) أى فاتخذ الموت سبيله فى البحر سربا أى

لاتعد نفسا ولا توجب تصديقا (بل نظنكم كاذبين قال يا قوم) الذين حقهم الابصار (أرأيتم) أى اخبروني كيف اكون مثلكم (ان كنت على بينة) أى معجزة على كونها (من ربي وآتاني رحمة) أى طهارة كاملة عن الكدورات وهداية يعرف بالبداهة كونها (من عنده) افانتم التبصر وها فانتم تأخذونها (فعميت) أى خفيت (عليكم) بجعلتموها تلبسا مع ظهور الفرق عند البصراء وانتم بصراء لو نظرتم لكن تكرهون النظر كراهة حصولها (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) ولا تحصل لكاره (ويا قوم) لا وجه لكراهتها مع انها تحصل لكم الآخرة والقرب من الله ولا ينقص عليكم شيأ من دنياكم اذ (لا أسألكم عليه مالا) وان كنت مستحقا له على تحمل متاعب الارشاد (ان أجري الا على الله) فليس ثمة مانع الا خسة أتباعى ولا ترتفع الا بطردهم (و) لكن (ما أنا بطارد الذين آمنوا) فانه يكون مانعا لهم من الايمان أو لأمثالهم ولو كان طردهم سبب ايمانكم ولم يرتدوا أخاف من طردهم شكايتهم (انهم ملاقوا ربهم) فيشكون على طردهم وعدم اعتدادهم على ان خستهم ليست مانعة لكم من الايمان اذ لا تخلطكم (ولكني أراكم قوما تجهلون) فتصاون لو خستهم لمشاركتكم اياهم فى الايمان من حماقتكم اذ الجليس لا يترك مشاركته فى كل شئ (ويا قوم) ان افادكم طردهم تعززكم لكنى يذلنى الله على طردهم (من ينصرني من الله) بدفع اذلاله (ان طردتهم) تريدون اعزازكم باذلالى (أفلا تذكرون و) ليس لى دفع خستها باعطائهم مثل اموالكم التى اعزتكم اذ (لا أقول لكم عندي خزائن الله) أغنى منها من آمن بى (و) لا ادفعها باطلاعهم على الكنوز اذ (لا أعلم الغيب و) لا بدفع حاجتهم من الطعام والشراب ليكونوا اغنى منكم لبلوغهم حد الملكية اذ (لا أقول اني ملك) حتى ابطلهم مثلى (و) كيف أطردهم لخستهم الظاهرة مع انى اراهم اشرف منكم فى الباطن لايمانهم اذ (لا أقول للذين تزدري) اى تستحقرهم (أعينكم) لحقارة ظاهرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) اى ايمانا يشرف باطنهم وليس ذلك لاطلاعى على غيبهم بل (الله أعلم بما في أنفسهم) لكنى أحكم عليهم بالايمان بما ظهر لى من تصديق اللسان (اني اذا لمن الظالمين) بترك متابعة دليل الايمان الظاهر على الباطن بغير مانع ظاهر لى فى دلالته ولكنى لو حكمت بان حقارة الظاهر توجب حقارة الباطن عند الله لكنت من الظالمين اذ لا دلالة لهذه الحقارة على تلك بخلاف ايمان اللسان فانه دليل القلب وان لم يكن قاطعا (قالوا) من عماهم وصممهم ابطال قبح ورفع الشبه مجادلة باطلة (يا نوح قد جادلتنا) بالمغالطات والمشاغبات (فأكثرت جدالنا) بتكثير وجوهها فان كانت حججا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على ردها (ان كنت من الصادقين) فى وعدك عليه (قال) لست الآتى به انما حقى تحذيركم بل (انما يأتيكم به الله ان شاء) فى الدنيا وان لم يعذبه بل انما وعد العذاب الاخروى (وما أنتم بمعجزين) بدفعه عنكم بقوتكم او بجثتكم او بقهركم (و) أعجزكم انصح لكم لكن (لا ينفعكم نصحي ان أردت أن

مسلكا رهنها أى يسرب فيه (قوله عز وجل سرابا) أى ذهبهم (قوله عز وجل سخر لكم الفلك) أى ذلل لكم السفن (قوله تعالى سبعا من المثانى) يعنى سورة الحمد وهى سبع آيات وسميت مثانى لانها تثنى فى كل صلاة (وقوله عز وجل كاذبا

انصح لكم ان كان الله) في الازل (يريد ان يغويكم) ارادة مستمرة فاني وان كنت رسوله فليس لي تغيير تلك الارادة وما ظالكم بذلك اذ (هو ربكم) فربما كم بمقتضى ما علم من استعداد حقائقكم (و) لكن يلزمكم الحجة اذ (اليه ترجعون) فلا يمكنكم مجادلته بدفع حججه النساون كونه نصحا مع انه لا يلزم الحجة لمخالفته ارادة الله (ام يقولون افتراه) اى النصح فقال عز وجل لنوح (قل ان افتريته) مع ظهور كونه نصحا واقترانه بالمعجزات (فعلي اجرامي) لا على من قبل نصحي الظاهر المؤيد بالمعجزات (وانا بريء) من التقصير في ابلاغ النصح وايضاحه وتاييده بالمعجزات فلا يلحقني عتاب (مما تجرمون) من انكار ذلك (واوحي الى نوح) عند مبالغته في بذل الوسع في النصح مع عدم نفعه اياهم (انه لن يؤمن من قومك) في المستقبل وان بالغت في اقامة الحجج ورفع الشبه (الا من قد آمن) في الماضي فانه يستمر على ايمانه فاستحقوا العذاب المعجل لان تاخيره انما هو لتوقع ايمان البعض (فلا تبتئس) اى فلا تغتم لاهلاكهم شفقة عليهم لانهم انما يهلكون (بما كانوا يفعلون) من معاندتهم معك فليسوا محلا لشفقتك ولا لرحمتنا (واصنع الفلك) لتخلص من عذابهم (باعيننا) أى متلبسا بحفظنا لك ولفلكك كيف (و) قد كان عن (وحينا) اذ لم يكن قبله سفينة (ولا تخاطبني) اى لا تراجعني (في الذين ظلموا) بدعاء دفع العذاب عنهم من شفقتك عليهم حتى لا يحتاج الى صنع السفينة (انهم مغرقون) بدعائك رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الا انقضه بدعاء آخر منك (و) من دعاهم المانع من المخاطبة في حقهم انهم رأوه (يصنع الفلك) ليدل على انهم يغرقون (و) لا يبالون له مع انهم بر وا صدقه بل (كلما مر عليه ملأ) اى اشراف حقهم ان يبعدوا من السخر سيما لكونهم (من قومه) الذين عرفوا امكانه وانه ليس محلا للسخر (سخروا منه) فقالوا انذ صيرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا) في صنع الفلك (فانا نسخر منكم) في انكار الغرق وسخرنا عن جد (كما تسخرون) بل عن رؤية وسخركم عن عمى. (فسوف تعلمون) حين كشف الغطاء عن أعينكم (من يأتيه) من الغرق (عذاب يخزيه) في الدنيا فيجعله محلا للسخر (ويحل عليه) في الآخرة (عذاب مقيم) أى دائم بدوام معه الخزي فلم يزالوا على السخر (حتى اذا جاء امرنا) باغراقهم (و) كان ابتداؤه حين (فار) أى غلا (التنور) فنبع منه الماء علمت به امرأته فاخبرته (قلنا احمل فيها من كل زوجين) أى من كل حيوان من ذوج بآخر دون الحشرات (اثنين) ذكرا وانثى فحشر الله اليه الدواب والسباع والطيور فجعل يضرب بيديه فيقع الذكر بيمناه والانثى بيسراه فيجعلها في السفينة (واهلك) أى امرأتك المسلمة وبنيك ساما وحاما ويافث ونساءهم (الا من سبق عليه القول) باهلاكهم مثل كنعان وامه (و) احمل (من آمن و) ومنهم السفينة لانه (ما آمن معه الا قليل) اثنان وسبعون من رجل وامرأة من الاجانب وهو مع أهله ثمانية وكان السفينة ثلاثة أبطن الاسفل للدواب والاوسط للانس والاعلى للطير وكانت من ساج طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون (وقال) نوح لاهله والمؤمنين ليأمنوا الغرق

متشابها امثالي نعني القرآن وسمى القرآن مثاني لان الانباء والقصص تثنى فيه (قوله عز وجل سائغا للشاربين) أي سهلا في الشرب لا ينغص به شاربه (قوله سكرا) ولا ينغص أى طعما يقال قد جعلت لك هذا سكرا أى طعما

والانكسار فلا يلقوا الكفار فى الغرق (اركبوا) السفينة واستقروا (فيها) قائلين (بسم الله مجريها ومرساها) أى وقت اجرائها ووقت ارسائها يحفظ من الغرق والانكسار من ذنوب أهلها فاذا سموا الله تعالى غفرها لهم ورحمهم بالسلامة والوصول الى المقصد وحصول المطالب (ان ربى لغفور رحيم) من بركة هذا الاسم (هى) مع ثقلها فى ذاتها وحملها ما (تجرى بهم) مع ان فيهم من لا يخلو عن معصية (فى موج) ما ارتفع من الماء بشدة الريح (كالجبال) فى الارتفاع فلا تبقى فيه السفينة الا بحفظ الله على خرق العادة سيما فى اليوم الذى لم يحفظ فيه من التجأ الى الجبل (و) لذلك (نادى نوح ابنه) كنعان (وكان) الى الآن (فى معزل) عن دينه (يا بنى اركب) حال كونك مؤمنا (معنا) لتنجو من الطوفان (ولا تكن) بتركهما (مع الكافرين) بعد ظهور ضلالهم بهذا القهر العام عليهم (قال) من غاية عماه (سآوى) أى سالتجئ (الى جبل يعصمنى) أى يحفظنى (من الماء) أى من اصابته فضلا عن الغرق (قال لا عاصم) يعصم أحدا (اليوم) الذى ظهر فيه قهر الله وغضبه (من أمر الله) أى عذابه (الا) الله فانه يعصم (من رحم) فلم يعصمه الجبل بل ارتفع اليه الماء (وحال) أى صار حائلا (بينهما الموج) فوق الجبل (فكان) مع كونه فوق الجبل (من المغرقين) تحته (و) لانجائهم من تعب السفينة بعد الانجاء من الغرق (قيل يا ارض ابلعى) بطريق الجذب الذى لا يخلو من صعوبة (ماءك) اى مقدار ما يشبع من الماء منك (ويا سماء اقلعى) اى اجذبى الى جهة الفوق ما نزل منك (و) مع ذلك لم يذهب كله بل (غيض الماء) أى نقص (و) لم يكن نقصه قبل اهلاك الكافرين بل بعد ما (قضى الامر) أى تم امر اهلاكهم (و) بعد اهلاكهم لم يذهب بالكلية ايضا بل (استوت) سفينة نوح بعده (على الجودى) جبل بقرب الموصل (و) لم يلحقهم بعد النجاة من الغرق وتعب السفينة الم التحسر على اهاليهم بل (قيل) جعل الله (بعدا) عظيما عن انظار اهل رحمته (للقوم الظالمين) لتركوا التحسر عليهم لرؤية ظلمهم (و) لكن (نادى) من بينهم (نوح) متحسرا على ابنه (ربه) رجاء ان ينجيه بمقتضى تربيته اياه (فقال رب ان ابنى) الذى أغرقته (من أهلى) الذى وعدتهم الانجاء (وان وعدك الحق) الذى لا احتمال فيه للخلف كيف ويقبح الخلف فيه من كل أحد سيما من الحاكم (وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك) الموعود انجاؤهم بل من المستثنين لكفرهم ومع ذلك (انه) لعدم كون شئ من أعماله صالحا كأنه فى نفسه (عمل غير صالح) فلا يستحق تأخير العذاب لاستيفاء أجر عمل صالح فى الدنيا (فلا تسألن) بطريق الاعتراض (ما ليس لك به) أى بوروده (علم) لشمولك الاستثناء وان ذهلت عنه (انى أعظك أن تكون) بالاعتراض على عدم الانجاء وروده يقينا (من الجاهلين) باعتقاد ورود ما ليس بوارد على (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك) بطريق الاعتراض (ما ليس لى به) أى بوروده (علم والا) أى وان لم (تغفر لى) اعتراضى عليك

قال الشاعر
جعلت عيب الاكرمين سكرا
أى طعما وقد قيل
سكرا أى خمرا ونزل هذا
قبل تحريم الخمر (قوله عز
وجل سرابيل تقيكم

بما لم أعلم وروده (وترحمنى) بتذكير وجه التفصى عنه (أكن من الخاسرين) بالاعتراض أو بالتردد فى وروده ولما استعاذ نوح من ذلك أعيذ عن كل عدو وهم وحتى (قيل يا نوح اهبط) من السفينة (بسلام) عن العدو والسهو فعل أو تردد ناظر سقطا لك (منا وبركات) من العلوم والاخلاق والاعمال والاحوال والمقامات فاضت منا (عليك) لطلبك الرحمة منا (وعلى أمم) أى طوائف (ممن) كان فى السفينة (معك) لتكميل الرحمة عليك برحمة أتباعك (و) من أثر تلك الرحمة سيحصل من بعضهم (أمم سنمتعهم) فى الدنيا (ثم يمسهم) فى الآخرة باعمالهم الذاتية التى اهلها السبق لكن لما لم يكن لعذاب الآخرة انقطاع سبق مقتضى هذه الرحمة فتأخر لهم (منا عذاب أليم) فلا ينفعهم النسب هناك وان نفعهم ههنا كما لم ينفع ابنك كنعان ولا يهتدان يكون منهم كفار قريش وغيرهم اذ لا يؤمنون بآياتك التى منها اخبارك عن الغيب عما لا ينتهى اليه علم كاهن ولا منجم اذ (تلك) القصة مع طولها (من أنباء الغيب) التى لا يطلع عليها كاهن ولا منجم نعم انما (نوحيها اليك) اذ لا طريق لوصولها اليك سواه اذ (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) بطريق الاخبار ولا غيره (من قبل هذا) الوحى لكنهم يكذبونك مع تصديق أهل الكتاب اياك (فاصبر) على تكذيبهم اذ لم يتقوا الله فى تكذيب من صدقه وقد دل على صدقك معجزاتك مع تقوالك (ان العاقبة للمتقين) كما كان لنوح والمؤمنين من قومه (و) لقد أرسلنا (الى عاد) العماة الصم (أخاهم) المشفق عليهم ليسمعهم ويبصرهم (هودا) بعد ما سمعوا من قصة قوم نوح فابصرهم عبادة الله وتوحيده اذ (قال يا قوم) الذين عرفوا بصدقى وصدق (اعبدوا الله) لاستحقاقه العبادة اذ لا بد لكم من اله تعبدونه اذ هو الحق انعامه عليكم ولا يستحقها غيره لانه (ما لكم من اله غيره) اذ لا دليل عليه وأسمعهم ان القول بما لا دليل عليه افتراء (ان أنتم الا مفترون) وأسمعهم ان التوحيد لا ينقص عليهم شيئا من شهواتهم حيث قال (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) لانه أعظم من ان يفى به ما لكم (ان أجرى الا على الذى فطرنى) فانه مع كون انعامه بالفطرة أتم يعطينى الاجر الكامل الذى يليق بعظمته (أ) تذكرون افتراء كم أو كون الاجر على الارشاد أجل من ان يفى به أموالكم أو اعطاء الذى فطرنى الاجر الكامل عليه على تحمل اعباء رسالته (فلا تعقلون) ثم أسمعهم التفصى عن الشرك والمعاصى مبصرا فوائد ذلك فقال (و يا قوم استغفروا ربكم) عن الكفر والمعاصى (ثم توبوا اليه) أى ارجعوا اليه بالايمان والطاعة (يرسل السماء عليكم مدرارا) تكثير الرزق كم الذى ترجونه من الشرك وهو مانع عنه بالحقيقة الا بطريق الاستدراج (و يزدكم) أشرف مطالب الرزق (قوة) مضمومة (الى قوتكم) وأشار الى مضاره بقوله (ولا تتولوا) أى لا تعرضوا عما ادعوتكم اليه حال كونكم (مجرمين) أى مصرين على الاجرام فان أقل ما فى الاجرام حرمان هذه الفوائد (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى دليل على النبوة والتوحيد وفوائد الاستغفار والتوبة ومضار تركها ذلك

(المجتر) بعض النسخ (تقيكم بأسكم) وسرابيل (قوله عز وجل سبب) يعنى الدروع (قوله عز وجل شيأ) يعنى ما وصل (وآتيناه من كل شئ سببا)

(وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) ان القول بالهيتها افتراء (و) لو كان ما اتفق عليه
عقلاء الاعصار افتراء (ما نحن لك بمؤمنين) أى مصدقين وان جئتنا بالبينات بل (ان)
أى ما (نقول) لبيانك (الا) انك استعنت بآلهتنا فى السحر الذى تسميه الآيات ثم
نسيت ذلك (اعتراك) أى أصابك (بعض آلهتنا بسوء) أى بجنون فتكلم بالهذيانات
وزعم انها دلائل قطعية ومن هذيانات الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة والامر
بالاستغفار والتوبة ووعد الرزق ومزيد القوة على ذلك (قال) كيف أكون مستعينا
بآلهتكم مع انى مبالغ فى البراءة منها (انى أشهد الله واشهدوا انى بريء مما تشركون من
دونه) فى تأثير شئ فان كان لها تأثير او لكم (فكيدونى) أى فاقصدوا اهلاكى
(جميعا) اى مجتمعين بانفسكم أو بمعونتها التسرع الى الاجابة (ثم لا تنظرون) لا تضرع
اليها أو اليكم فانى لا أبالى لكل ما دونه ولو كان له تأثير (انى توكلت على الله ربى) الذى ربانى
بالرسالة (وربكم) الذى رباكم بكمال القوة فانكم لا تقدرون على اضرارى بانفسكم
ولا باصنامكم لتوكلى عليه وكونكم تحت تصرفه لانه (ما من دابة) تحرك بعمل (الا هو
آخذ بناصيتها) فهى فى قبضته لا يمكنها التحرك ما لم يحركها ولا يحركها الا بحق من ثم لو كان
عليه الا على نهج العدل (ان ربى على صراط مستقيم) فى استقامه معه يستقيم له اذ لا ذلك
(فان تولوا) أى تعرضوا لم يضرنى اعراضكم بعد تبليغ الرسالة (فقد أبلغتكم
ما أرسلت به اليكم و) لا تضرون ربى فانه (يستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ)
لو أهلككم بلا بدل لكنه انما يستخلف حفظا للنوع (ان ربى على كل شئ حفيظ و) لاجل
حفظ النوع مع اظهار الاستغناء (لما جاء أمرنا) بالعذاب خصصناه بالعماة الصم اذ
(نجينا هودا و) لم يكن ذلك من معجزاته اذ نجينا أيضا (الذين آمنوا معه) نعمت النجاة
البصراء السامعين لكن لم يكن بسبب الايمان وحده اذ لا يمنع من التعذيب الدنيوى بل
(برحمة منا و) لكنها أشبهت المعجزات اذ (نجيناهم من عذاب غليظ) لا ينجون عنه الا
بطارئ خرق العادة وكيف لا يغلظ عذابهم (وتلك) الطائفة المعذبة (عاد) المشهورة
بالجرائم العظام حتى (جحدوا بآيات ربهم) اذ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة (وعصوا رسله)
اذ قالوا وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وعصيان الواحد فى معنى
عصيان الكل فلم يتبعوا الرسل فى التوحيد والرسالة (واتبعوا) فى الشرك والمعاصى (أمر
كل جبار عنيد) لا يستدل بدليل ولا يقبله من غيره (و) لكونه مؤاخذتهم على الجرم
العظيم (أتبعوا) بعدما عذبوا (فى هذه الدنيا لعنة و) يلعنون (يوم القيامة) اذ يقال
(ألا ان عادا كفروا) أى جحدوا (ربهم) اذ عبدوا آلهتهم عن عماهم وصممهم (ألا) يجعل
الله (بعدا) مستقرا (لعاد قوم هود) الذى أراد ابصارهم واسماعهم مضار البعد
فاختاروه (و) لقد أرسلنا (الى ثمود) العماة الصم (أخاهم) يسمعهم ويبصرهم

أى وصلنا اليه وأصل السبب الحبل (قوله عز وجل فليمدد بسبب الى السماء) أى بحبل الى سقف بيته ثم ليختنق نفسه

(صالحا) فأبصرهم عبادة الله وتوحيده اذ (قال يا قوم اعبدوا الله) لاستحقاقه العبادة
دون غيره اذ (ما لكم من اله غيره) وأسمعهم الدليل عليه بأنه المنعم بالايجاد وأسباب المعاش
اذ (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) أى أحياكم بتهيئة أسبابها انكما استمددتم منها
مادتكم وصورتكم النوعية الانسانية تعظيما لكم بتوقع منكم تعظيمه ببذلكم له
بالطاعة بعد الاستغفار من معاصيه المخلة بتعظيمه (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى)
يسمع استغفاركم لانه (قريب) ويجيب دعوتكم عند اجابتكم له بطاعته لانه (مجيب
قالوا يا صالح قد كنت فينا) عاقلا (مرجوا) نرجو مشاورتك فى الامور فانقطع بجنونك الذى
منه دعوتك الى التوحيد على خلاف العقلاء (قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) العقلاء
يقينا فكان الشرك لنا يقينا (وانا) وان بالغت فى حجتك (لفى شك) أى راسخون فيه لا نخرج
عنه (مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) أى موقع فى الريبة من تلبيساتك (قال) صالح
(يا قوم أرأيتم) أى أخبرونى أكون مجنونا (ان كنت على بينة) أى دليل واضح يعرف كونه
(من ربى) اذ لا تحوم الشبهات حوله (وآتانى) مع ذلك الدليل (منه رحمة) أى هداية تصدق
معجزة مزيد تصديق فان تركت تبليغ رسالته لنسبتكم اياى الى الجنون (فمن ينصرنى) أى
يخلصنى (من الله) بل لا ناصر لى منه (ان عصيته) بما هو أدنى منه فان جعلتم ذلك عقلا
فالعقل هو الذى يفيد الارباح وعقولكم تفيد الخسران فان اتبعتها (فما تزيدوننى غير
تخسير) بتفويت السعادة الابدية والقرب من الله تعالى (ويا قوم) ان زعمتم ان ناقتكم
التى جئتنا بها آية كانت لنا تخسيرا اذ ضيعت علينا دوابنا ومنافعها (هذه) مع انها
(ناقة الله) حاصلة (لكم) بدل دوابكم تفيدكم فوائدها مع الفوائد الاخروية
لكونها (آية) فان تأذت منها دوابكم وامتنعت من الرعى (فذروها تأكل فى أرض الله)
فان ناقة الله أولى بان ترعى بأرضه من دوابكم (و) ان كانت دوابكم عندكم أولى
(لا تمسوها بسوء) لانتسابها الى الله (فيأخذكم) بجراءتكم على ما انتسب اليه (عذاب
قريب) من افراط غضبه على من اجترأ على آياته فلم يسمعوا قوله بعد رؤية هذه الآية
وغيرها (فعقروها) أى ذبحوها فسمع به صالح عليه السلام (فقال تمتعوا) بدوابكم
(فى داركم) لا فى الدنيا كلها بجاه ناقتكم (ثلاثة أيام) الاربعاء والخميس والجمعة لتعلموا
ان متاع الدنيا أقل قليل وان التأخير لا ينافى وعد قرب العذاب بل (ذلك وعد غير مكذوب)
وانما فعل ذلك ليدل على ان وعد الآخرة وان تأخر مدة الدنيا وعد غير مكذوب ولما كان
ذلك تخسيرا لهم دون صالح والمؤمنين (فلما جاء أمرنا) بالعذاب خصصناه بالعناية الصم
اذ (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) لاختصاصهم (برحمة منا) مانعة من خسران
الكافرين (ومن خزى يومئذ) أى يوم تمتعهم فى دارهم بذواتهم من اصفرار وجوههم
واحمرارها واسودادها ليعلم انه خزى لهم لا لتغير هواء المكان وكانت نجاتهم بتقوية الله

فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (قوله عز وجل السدين) والسدين بقرآن جميعا أى جبلان ويقال ما كان مسدودا خلقة فهو

اياهم

اياهم بتحمل الصيحة وعدم الخزى لاعزاز الله اياهم لانهم لما كانوا أهله أفاض عليهم قوته وعزته (ان ربك هو القوى العزيز) من عزته وقوته المقتضية قهر اعدائه (وأخذ الذين ظلموا) بالتعزز على الله والتقوى على آياته (الصيحة) من جبريل بدل صيحة الناقة عند عقرها (فاصبحوا فى ديارهم) التى كانوا يتحفظون بها من الآفات (جاثمين) أى ميتين موت الناقة بعد صياحها فلم يبق لهم من نعمهم شئ بل صاروا (كأن لم يغنوا) أى لم يسكنوا (فيها) فاذا ذكروا قيل (ألا ان ثمود كفروا) أى جحدوا (ربهم) فاهلكهم (ألا بعدا لثمود) عن رحمة الله ابعدهم عن صراطه من عاداهم وجمعهم فيقال لهم فى الدنيا ما يقال فى عاد يوم القيامة (و) لا يبعد من الامين القوى والعزيز انجاء قوم وقهر آخرين فانه قد صدر مثله من الملائكة الذين هم حملة الاسماء فانه (لقد جاءت رسلنا) الذين أرسلناهم لاهلاك قوم لوط (ابراهيم بالبشرى) بولد وولد ولد الذى هو والد الانبياء فقدموا على التبشير ما يفيد سرورا اذ (قالوا سلاما) ليكون التبشير سرورا فوق سرور (قال سلام) أى دوام سلام عليكم فحياهم بأحسن من تحيتهم وأحسن لهم حسن الضيافة (فما لبث) ليسرع (أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى فوضعه بين أيديهم (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) فضلا عن الاكل (نكرهم) أى أنكر كونهم اضيافه (وأوجس) أى أضمر (منهم خيفة) أى خوف أن يريدوا به مكروها لان الامتناع من طعام الشخص دليل ذلك (قالوا لا تخف) انما لم نأكل لانا ملائكة ولم تنزل بالعذاب عليكم (انا أرسلنا الى قوم لوط) لاهلاكهم (وامرأته) سارة بنت عمه هاران بن ناحور (قائمة) فى خدمة الرسل (فضحكت) سرورا باصابة رأيها فانها كانت تقول ضم اليك لوطا فانى أعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم أو بهلاك أهل الفساد (فبشرناها) لسرورها بهلاكهم (باسحق) أنها تلد (ومن وراء اسحق) ولده (يعقوب) ابا الانبياء (قالت يا ويلتى) أى يا أيها الامر الفظيع (أألد وأنا عجوز) ابنة تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى شيخا) أى ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) التولد بين هرمين (لشئ عجيب) أى أمر غريب لم تجر به العادة (قالوا أتعجبين) فتستبعدين (من أمر الله) أى شأنه خلق الولد من الهرمين على خرق العادة مع انها تكثر فى بيت النبوة رحمة للخلق وبركة عليهم فى تأييدها كونها وابه (رحمت الله) أى أنواع رحمته (وبركاته) مستقرة (عليكم أهل البيت) أى أهل بيت النبوة (انه) بتقرير العادة (حميد) أى يستحق للمحامد وبخرقها (مجيد) أى منيع لايرام فكان هذا بشرى فى مظنة الروع (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى زال عنه خوف ارادتهم المكروه به وهو المانع من المجادلة (وجاءته البشرى) التى حقها أن تمنع من المجادلة أيضا (يجادلنا) أى يكلم رسلنا بكلام المجادل لا فى حق نفسه بل (فى) حق (قوم لوط) الذى سرت امرأته بهلاكهم فصرح لها بالبشرى وتبعها ابراهيم فيه اذ قال لهم أرأيتم لو كان فى مدائن قوم لوط خمسون مؤمنا أتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون

سلبا لهم وما كان من عمل الناس فهو يسد بالفتح (قوله عز وجل تربا) أى نهرا (قوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى) أى سنردها

قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا فقال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فقال فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (ان ابراهيم لحليم) غير مستعجل للانتقام ممن أساء اليه (أواه) أى كثير التأسف على الناس (منيب) أى راجع الى الله بالاستغفار لهم فقالوا (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال فانه لا يفيد (انه قد جاء أمر ربك) أى حكمه الجازم باهلاكهم الدنيوى (وانهم آتيهم) فى البرزخ والقيامة (عذاب غير مردود) بجدال أو دعاء أو غيرهما فلا فائدة بعد دعائك فى رد العذاب الدنيوى عنهم (ولما جاءت رسلنا) فى صور غلمان مرد حسان الوجوه (لوطا) ليخبروه باهلاك قومه لكنهم أخروا ذلك الاخبار الى أن يشتد غضبه عليهم ليدعو عليهم باهلاكهم فهم وان كانوا فى الحقيقة بشارة أو ابتلاء بسرورة (سىء بهم) أى حصلت له المساءة باتيانهم مخافة أن يخزيه قومه بفعل الفاحشة بهم (و) لم يمكنه دفع تلك المساءة حتى (ضاق) صدره (بهم) فصار كمن ضاق (ذرعا) فاشتد انقباضه بحيث لا يقدر على حركة لعجزه عن مدافعة المكروه عن ضيفه (و) لم يقدر على كتمان ما فى قلبه بل (قال هذا يوم عصيب) أى شديد وكيف لا يشتد عليه (و) قد (جاءه قومه) لطلب الفاحشة من ضيفه كأنهم (يهرعون اليه) أى يدفعون اليه (و) لا حياء لهم أصلا اذ (من قبل كانوا يعملون السيئات) أى الفواحش حتى زال حياؤهم بالكلية (قال يا قوم) الذين حقهم أن يناسبونى فى الطهارة (هؤلاء) النساء اللاتى هن لى بمنزلة (بناتى) فانهن مع قرب مناسبة هذا الفعل بهن واعتزازهن به اعتزازا من شرف نسبهن (هن) اذا نكحتموهن (أطهر لكم) من الزنا الذى فيه نوع طهارة بالنسبة الى اللواط (فاتقوا الله) أن تعصوه بما هو أشد من الزنا خبثا (ولا تخزون) أى ولا تخجلونى مع أنى لكم بمنزلة الوالد (فى) ضمن اخزاء (ضيفى أليس منكم رجل رشيد) يرعوى عن القبيح ويهدى الى الصواب فى حق الله وحق الوالد والضيفان (قالوا) انما تمنيتم ما قلت لو أردنا نساءك لكن والله (لقد علمت ما لنا فى) نكاح (بناتك من حق) أى استحقاق اذ لا نريد اتيانهن (وانك لتعلم ما نريد) عزما فلا يمكنك دفعنا عنه (قال لو أن لى) أى لو ثبت لى (بكم) أى معكم (قوة) على دفعكم لدفعتكم (أو) لو وجدت ركنا شديدا كنت (آوى) أى ارجع (الى ركن) أى قوى كركن الجبل (شديد) يشتد قهره على أهل معصية الله (قالوا يا لوط) انك لا تحتاج الى قوة ولا الى ركن غيرنا (انا رسل ربك) لتقويتك ولكن ركنا شديدا لك لا تخاف منهم ضررا فانهم (لن يصلوا اليك) مع كونك منهم فكيف الينا وقد جئنا لاهلاكهم بعذاب يحيط بقراهم (فأسر بأهلك) أى مع أهلك (بقطع) أى فى وقت مضى أجزاء (من الليل) يستغرقهم النوم فيها فلا يمكنهم التعرض لك ولا لاهلك (ولا يلتفت) أى ولا ينظر الى ما خرج عنه (منكم أحد) لئلا يلحقه أثر ما نزل عليهم فنهى عنه أهلك (الا امرأتك) فانها تلتفت اليه اذا سمعت الصيحة وتقول واقوماه (انه مصيبها) أزيد (ما أصابهم) من العذاب فأخذتها الحجارة قال لوط متى يكون ذلك قالوا (ان موعدهم الصبح) قال أريد أسرع من ذلك قالوا (أليس الصبح بقريب) ولما استحقت قريتهم الهلاك (فلما جاء

عصا كما كانت (قوله عز وجل عصيب) أى بعيد (سبع طرائق) أى سبع سموات واحدها طريقة وسميت طرائق لتطارق

أمرنا

أمرنا) بتعذيبهم (جعلنا) أي جعل رسلنا بأمرنا تلك القرى منعكسة (عاليها سافلها) أدخل جبرائيل جناحه تحت مدائنهم فرفعها الى السماء ثم قلبها عليهم وذلك لجعلهم الرجال العالين فيهما انساً سافلات (وأمطرنا عليها) أي على قراهم (حجارة من سجيل) أي طين متحجر (منضود) اتصل بعضه ببعض ليرجموا رجم الزناة بما يناسب فروجهم ودبرهم الذي اتصل بقلوبهم (مسومة) تلك الحجارة أي معلمة باسم من يعذب بها ليكون ادل على ما رجم والاجل كانت (عند ربك) في خزائنه لامن الارض المقلوبة ولاغيرها ادخرها ان يغضب عليهم (و) لذلك (ما هي) اي تلك الحجارة (من الظالمين) أي المشركين الذين هم أشد من أهل اللواط (ببعيد) أي بمكان بعيد لان الخزانة الالهية لما لم يكن لها مكان استوى بالنظر اليها جميع الامكنة فكأنها في كل مكان ولما فرغ عن بيان اهلاك من أخل بيده الانسان شرع في بيان اهلاك من أخل بيقائه فقال (والى) أهل (مدين) العماة الصم (أخاهم) الذين حقهم ان يسمعوا منه ويبصروا ما يبصرهم (شعيبا قال يا قوم) الذين حقهم أن يكونوا مثلي سامعين بصراء (اعبدوا الله) الذي رق عليكم نعمه فلا تنقصوا حقه بالشرك فانه (ما لكم من اله غيره و) كيف يسوغ لكم نقص حقه فيما ترزقون به حق شكره من العبادة ولا يسوغ لكم نقص ما تؤدون به حقوق الناس (لا تنقصوا المكيال والميزان) الذين تنتفعون بهما ولا تحتاجون الى النقص (انى أراكم بخير) اى نعمة تغنيكم ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها الا ان تنقصوا حقوقهم (وانى أخاف عليكم) بالشرك والنقص وراء نقص حقوقكم في الدارين (عذاب يوم محيط) بجهاتكم فلا يبقى لكم جهة خير (ويا قوم) لا يكفي تكميل الآلة مع نقص الكيل والوزن (أوفوا المكيال والميزان) لا باعطاء الزيادة بل (بالقسط) لكون ذلك داعيا لكم الى ابقاء حقوق الله في العبادة التي تكملونها بشرائطها وأركانها بترك الرياء والعجب وغيرهما من الآفات (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) بطريق من الطرق كالمكس وان لم يعد افسادا (ولا تعثوا) أي لا تفسدوا بالسرقة وقطع الطريق والغارة (في الارض) وان كانت محل الكون والفساد في الوضع الالهي (مفسدين) ما أمر الله باصلاحه لا ما أمر الله بافساده من أموال اهل الحرب ولا حاجة لكم الى البخس والافساد وان أدى تركهما الى تقليل المال اذ (بقيت الله) أي ما أبقاه عليكم بعد التنزه من الحرام (خير لكم) في دينكم ودنياكم (ان كنتم مؤمنين) فان المؤمن يبارك له اذا تنزه عن الحرام (و) ليس اصلاحي يغفلكم عن الافساد (ما أنا عليكم بحفيظ) بل غاية أمري النصح (قالوا يا شعيب) لم ترى انه انما أحد ابتنى بل غاية ما تقول خيالات حصلت لك من رهبانيتك (أصلواتك تأمرك) ان تأمرنا (أن نترك ما يعبد آباؤنا أو) ان نترك (أن نفعل في) تجارة (أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم) عن طلب الزيادة (الرشيد) بامامة العدل (قال يا قوم) كيف تنسبون قولي بترك عبادة الاصنام ونقص الكيل والميزان الى الخيالات الفاسدة من الرهبانية (أرأيتم) أي اخبروني هل نعتقدون جنوني (ان كنت على بينة من ربي) لم يلتقى بترك عبادة الغير وترك نقص الكيل والميزان نقصان في رزق

(قوله بعضه فوق بعض (قوله وجعل سامرا) يعني متحدثين بالليل سمارا أي (سراب) ما أشبه من كالماء نصف الشمس

بل (رزقني منه رزقا حسنا) أي مالا كثيرا حلالا (و) ليست بهم إذ (ما أريد أن أخالفكم
في وفائكم الذي آمركم به ذاهبا (إلى ما أنهاكم عنه) من ترك الوفاء فإن ذلك إفساد وإني (إن
أريد) أي ما أريد في حقي وحقكم (إلا الإصلاح ما استطعت و) لا يحصل ذلك لأني أعتقد أنه
(ما توفيقي) أي لا معونة لي في الإصلاح (إلا) واقعة (بالله) فإن عارضني في ذلك نفس أو شيطان
أو غيرهما (عليه توكلت) لدفع تلك المعارضة (و) لو لم يفدني توكلي عليه لا أترك التوكل
عليه بل (إليه أنيب) أي أرجع في كل شيء حتى في التوكل عليه (ويا قوم) لو فرض انتفاعكم
بعبادة الأصنام ونقص الكيل والميزان فلا يفي بضرر مخالفتي (لا يجرمنكم شقاقي)
لا يكسبنكم عداوتي (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) من
الغرق والريح والصيحة أو قوم لوط من قلب الأرض وإمطار الحجارة فإن مخالفة الرسل تقتضي
أحد هذه الأمور فإن أمكنكم إنكار عذاب هؤلاء لبعدهم لم يمكنكم إنكار عذاب قوم لوط
كيف (وما قوم لوط منكم ببعيد) زمانا ومكانا (و) لا يمنعكم من الاستغفار والتوبة
انقطاع رجائكم من عفوه عما أصبتم لكونها حقوق الخلق التي لا تتلافى ولا يمكن التفصي عنها
بل (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم) يرحم المستغفرين التائبين لأنه (ودود) أي
مبالغ في المحبة لهم ولا يبعد من المحب أن يدفع عن محبوبه بإرضاء خصومه (قالوا يا شعيب)
إن كل تلك نشأت من خيالات فاسدة لذلك (ما نفقه) أي لا نفهم (كثيرا مما تقول) لأنها غير
معقولة كالتوحيد وحرمة البخس (و) لذلك وإن أوهمت معقوليتها فلست قوية
(إنا لنراك فينا ضعيفا) ليس لك قوة الرأي والرسول يجب أن يكون قوي الرأي (و) ليس لك
أيضا قوة الدفع عنك فإنه (لولا رهطك) أي قومك الدافعون عنك (لرجمناك) على سب
آلهتنا وتسفيه ديننا وتجارتنا والرسول يجب أن يكون أقوى الناس ليمكنه تحمل أعباء
الرسالة (و) لو سلم أنه لا يشترط فيه قوة الدفع فلا بد أن يكون له عزة تدفع عنه لكن (ما أنت
علينا بعزيز) فلم يكن لنا مانع من رجمك سوى رهطك (قال يا قوم) إن كان المانع من رجمي
شوكة قومي لا إرسال ربي (أرهطي أعز عليكم من الله) بل لا عزة له عندكم أصلا (و) لذلك
(اتخذتموه وراءكم ظهريا) أي جعلتموه منبوذا وراءكم حيث جعلتموه كما ينسب إلى
ظهركم لا وجهكم فهذه معاص لا يحيط بكبرها إلا الله (إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم)
لو لم تعتقدوا عزته ولا إحاطته (اعملوا) مستولين (على مكانتكم) أي تمكنكم من القبائح فلا
أبالي لها (إني عامل) ما يبعدني عن قبائحكم فلو عكستم (سوف تعلمون من يأتيه) من قبائحه
التي من جملتها عدم اعتقاد العزة لله والإحاطة له (عذاب يخزيه ومن هو كاذب) زاعم العزة
والإحاطة له أو غيره (و) إن لم تبالوا بالمهالك لاستبعادكم إياه (ارتقبوا) تحققه من إخباري التي
ليست محض تخويف (إني معكم رقيب ولما جاء أمرنا) المخزي لأهل القبائح المميز للكاذب
من الصادق (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه) لصدقهم واختيارهم المحاسن لكن لا يدفع
إيمانهم وأعمالهم العذاب الدنيوي بل (برحمة منا) اقتضت التمييز محل النزاع ولم نورثهم

النهار (والآصال) ما رأيته
أول النهار وآخره الذي
يرفع كل شيء (قوله عز
وجل سنا برقه) ضوء

الصيحة (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) فأثرت فيهم (فأصبحوا في ديارهم) لم يمكنهم الفرار عنها (جاثمين) أي ميتين بل (كأن لم يغنوا) أي لم يقيموا (فيها) إذ لم ينصر عليهم بل قيل لهم (ألا بعدا لمدين) لبعدهم عن طريق الصواب من عماهم وصممهم (كما بعدت ثمود) ذلك أصابهم مثل ما أصاب ثمود (ولقد أرسلنا موسى) لإبصار عزتنا وإسماع إحاطتنا (بآياتنا) المعجزات الفعلية المبصرة عزتنا (وسلطان مبين) أي حجة ظاهرة تسمع إحاطتنا (إلى فرعون وملائه) العماة الصم الزاعمين عزة فرعون وإحاطته دون الله (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) بصدقه معجزة أو حجة بل غايته التقدم بطريق التغلب لذلك (يقدم قومه) الذين أضلهم بإرادة تقدمه بالعزة والإحاطة (يوم القيامة فأوردهم النار) عقيب دخوله لكن يتقدم الواردين على الماء لتبريد الأكباد وهذا لإحراقها (و) لذلك كان (بئس الورد المورود) لغاية قبح موردهم (وأتبعوا في هذه) الدار (لعنة) على لسان كل من سمعهم (ويوم القيامة) يلعنون لعنة تكون عونا لهذه (بئس الرفد المرفود) أي بئس العون المعان (ذلك) المذكور من إهلاك القرى لعماهم وصممهم مع إبصار الأنبياء عليهم السلام وإسماعهم ليس من الأكاذيب الموضوعة لتخويف المتأخرين بل من الأمور المحققة التي جعلت مسمعة ومبصرة لهم لكونها (من أنباء القرى) الهالكة لما ذكر وصلت إليك من غير سماع ولا تعليم ولا كهانة بل (نقصه عليك) بالوحي ليكون معجزة مبصرة مسمعة في تسمع إسماع الأنبياء [illegible] إذ (منها قائم) أي باق أثره فهو عما يبصر (وحصيد) أي عاف أثره فهو مما يسمع خبره (و) يدل على هذه الفائدة أنا (ما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) باتخاذ آلهة رجاء شفاعتها (فما أغنت) أي دفعت (عنهم آلهتهم التي يدعون) أي يعبدونها عبادة مختصة بالله مع كونها (من دون الله) فكان ظلما (من شيء) من الإغناء (لما جاء أمر ربك) بإهلاكهم وإن كانوا يترجون منها النفع والدفع قبل ذلك (و) لم يقتصروا على عدم الإغناء بل (ما زادوهم غير تتبيب) أي تخسير إذ خسروا فائدة التضرع واستجابة الدعوة عند الاضطرار (و) لا يختص ذلك بالمذكورين بل (كذلك أخذ ربك) على مجرى العادة المستمرة (إذا أخذ القرى) لا إذا أخذ آحاد الناس (وهي ظالمة) لا إذا أخذها لابتلاء بهم الظالم وغيره فإنه يعظم ألمه وشدته (إن أخذه أليم شديد) وليس ذلك على سبيل العبث لعدم انتفاع أحد بل (إن في ذلك لآية) أي عبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) فإنه إذا رأى عظم ألمه وشدته في دار الابتلاء علم أن ذلك في دار الجزاء أتم مع زيادة الخزي والفضيحة فيه إذ (ذلك يوم مجموع له الناس) من أول الدنيا إلى آخرها (و) لا حجاب فيه بل (ذلك يوم مشهود) يشهد فيه الكل للكل (و) لا يمنع من خوفه تأخره فإنا (ما نؤخره) أي ذلك العذاب (إلا لأجل معدود) أي لانتهاء مدة قريبة ولو بعدت فيجب أن يخاف أيضا لأنه من شدته (يوم يأت) ذلك العذاب (لا تكلم نفس) فضلا عن أن تشفع (إلا بإذنه) وإنما يأذن بالشفاعة في حق من اجتمع فيه أسباب السعادة والشقاوة (فمنهم) من بوصف بأنه (شقي وسعيد) بمعاصيه وإيمانه فهؤلاء تؤثر فيهم الشفاعة بخلاف من

قوله (سبأ) اسم أرض وقيل اسم رجل (قوله عزوجل سرمدا) أي دائما (قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد) أي بالغوا

قمضت شقاوته أو سعادته (فأما الذين شقوا) بلا سعادة (ففي النار) لا تؤثر فيهم شفاعة
لا نتهائهم فيها الى (لهم فيها زفير) ترديد النفس في الصدر حتى ينتفخ منه الضلوع (وشهيق)
رد النفس الى الصدر والمراد شدة كربهم وغمهم من استيلاء الحرارة على القلب وانحصار
الروح فيه وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره والمراد تشبيه صراخهم بصوت الحمار
ولعدم انتهاء شقاوتهم يكونون (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) أى المظل والمقل
الاخروبان (الا ما شاء ربك) أى وقت مشيئته تعذيبهم بالزمهرير (ان ربك فعال لما يريد) من
التعذيب بالنار مرة وبالزمهرير أخرى (وأما الذين سعدوا) بلا شقاوة (ففي الجنة) من غير
حاجة الى شفاعة لكمال سعادتهم لذلك يكونون (خالدين فيها ما دامت السموات والارض)
الاخرويات (الا ما شاء ربك) أى وقت مشيئة اكرامهم برؤيته الشاغلة عنها فتكون سعادة
هؤلاء وشقاوة الاولين (عطاء غير مجذوذ) أى مقطوع واذا كان تعذيب الاولين في الدنيا
ليكون آية لمن خاف عذاب الآخرة (فلا تك في مرية) أى شك في ذلك العذاب لهؤلاء من عدم
تعذيبهم في الدنيا لانه قد ظهر انه حق هؤلاء (مما يعبد هؤلاء) لانهم كآبائهم المعذبين اذ لا
تفاوت في عبادتهم فانهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) المعذبون (من قبل وانا) ان لم نعذبهم
في الدنيا على ذلك كما عذبنا آباءهم (لموفوهم نصيبهم) من عذاب الدنيا في الآخرة ليكون (غير
منقوص) مع كمال الغضب الالهي عليهم كما كان على آبائهم (و) لا يبعد ان يعذب الله قوما في
الدنيا ويؤخر عذاب آخرين الى الآخرة فانه بعد أخذ فرعون وملائه على تكذيب موسى
(لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) وليس الاختلاف فيه بأقل من تكذيب موسى مع
انا أخر عذابهم الى يوم القيامة لعل بعضهم يؤمن وبعضهم يلد مؤمنا فهؤلاء وان كانوا
كفرعون سبقت كلمة ربك بتأخير عذابهم (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير أمرهم الى
الآخرة (لقضي بينهم) بما يميز الحق من المبطل كيف (و) قد تأكد ذلك بمقتضى الحكمة
(انهم لفي شك منه) أى من هذا القضاء (مريب) أى موقع للناس في الريبة (و) لكن لا وجه
للشك فيه (ان كلا لما) عمل عملا والله (ليوفينهم ربك) المبلغ للاشياء كمالاتها (أعمالهم) تربية
للمعاني التي فيها (انه بما يعملون خبير) فلا يمنعه من التوفية التي يقتضيها عموم قدرته وعدم
احاطته أحد هذا اذا قرئ بتشديد لما مع تشديد ان أو تخفيفها من المثقلة عاملة أو غيرها وان
خففت لما مع تشديدان واعمالها فمعناه وان كلا الشئ خلق ليعمل فوالله ليوفينهم ربك أعمالهم
وان قرئ بتخفيفها بلا عمل فمعناه ليس كل الا ليوفينهم واذا كان الله سبحانه وتعالى مرقيا
لاعمال ما فيها من المعاني الظاهرة والباطنة (فاستقم) في الاعمال فاعلها (كما أمرت) لانه
ما أمرك الا بأكمل الوجوه ولا يختص هذا الامر بك بل أنت مأمور به (ومن تاب معك
و) كيف لا تؤمرون بذلك والاخلال به طغيان (لا تطغوا) أى لا تجاوزوا حدما أمركم الله
به (انه بما تعملون بصير) فيبصر ما وقع فيه التجاوز (و) كما نهيتم عن الطغيان نهيتم عن الميل
الى أهله (لا تركنوا) أى لا تميلوا (الى الذين ظلموا) فانه ان لم يوجب الخلود في النار فلا أقل من

في عجبكم ولا تعجبكم بالسائم ومنه قولهم مخطيب مسلاق ومسلاق بالسين وسلاق وصلاق بالصاد جميعا أى ذو بلاغة

أى يحقق مسها (فتمسكم النار) ليس لكم من يدفع عنكم قهرها اذ (ما لكم من دون الله من أولياء) ان وجدتموهم (ثم لا تنصرون) فليس لهم مقاومة الله (و) كيف يصح الميل اليهم وهو مانع من الميل الى الله فكيف يصح قصدنا او رؤية تمنع ظلمات المعاصى فيمكن ظلمه بذهابه أو الطاعات لمثقل (أقم الصلوة) الموجبة للميل الى الله (طرفى النهار) الظهر والعصر لاقتباس من نوره اسمه الظاهر (وزلفا) أى ساعات قريبة من النهار الصبح والمغرب وانما اقتبس من نوره اسمه الباطن (من الليل) (ان الحسنات) لكونها ميلا الى الله مقتضيا لكسب نور من قربه (يذهبن السيئات) بإذهاب ظلمتها وكيف لا يكون للحسنات نصيب من النور مع ان (ذلك) أى كتاب الصلوة (ذكرى) لله نور والانوار يقتضى أن يستعد اوردا (للذاكرين) لا لعاملين بلا ذكر لكنه لا يعمل بالقلب ذكرا بلا لتداوم وتعلقه (و) لكن (اصبر) على مداومة ذكرك حتى تبلغ رتبة الاحسان (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فيفيض عليهم من نوره ما يجعلهم أهل المشاهدة الباطنة فى الدنيا والرؤية الظاهرة فى الآخرة ويمنع الميل الى الظالمين ويوجب الميل الى الله النهى عن الفساد فى الارض (فلولا) أى فهلا (كان من القرون) الهالكة (من قبلكم أولوا بقية) أى أصحاب اعتقاد بقاء ملكوتهم (ينهون عن الفساد) لسارى (فى الارض) فانه لو كثر الناهون لم يؤخذ الباقون لكن لم يكن الناهون (الا قليلا) فيقوا مع أتباعهم اذ كانوا (ممن أنجينا منهم) وانما نجا أتباعهم لانهم لم يتبعوا أهل الفساد وان كانوا متوقفين (واتبع الذين ظلموا) أى ناسا كالعوام اذ (ما أترفوا فيه) أى أنعم عليهم (و) لم يصرفوا نعمهم الى ما أنعم عليهم من أجله بل (كانوا مجرمين) صارفين لها الى معاصى المنعم فكان تركهم النهى لاتباعهم اياهم مع قدرتهم على النهى فاتبعهم الله فى عذابهم ثم أشار الى ان النهى عن الفساد فى الارض مانع من الاهلاك المبنى على الكفر فقال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) عظيم هو الكفر (وأهلها مصلحون) لامور الدنيا لصلاحهم لعمارة الارض كيف (و) الصلاح محبوب الحق كالايمان بحيث (ولو شاء ربك) أن يقتصر على ايجاد المحبوبين (لجعل الناس أمة واحدة) متفقين على الايمان والصلاح ولكن جعل بعضهم على وفق حبه وبعضهم على وفق بغضه فجعل الاولين مرجحين للعقل والشرع والآخرين للاهوية وجعل أهويتهم مختلفة (و) لذلك (لا يزالون مختلفين) فى أهويتهم (الا من رحم ربك) فانه لا يرجح الهوى (و) لا يؤثر فيه انه (لذلك) أى لرحمتهم (خلقهم و) انما أثرت فى الباقين مع وجود المانع من العقل والشرع لانه (تمت) فى حقهم (كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى مجتمعين اذ يجتمع كل انسان بشيطان يسد عليه طريق العقل والشرع مغرا على متابعة الهوى (و) لترجيحهما ودفع مكايد الشيطان (كلا) مما يرجح العقل والشرع ويدفع المكايد (نقص عليك) بحيث لا يدخل التلبيس فيه لكونه (من أنباء الرسل) المبعوثين لذلك فى انبائهم (ما نثبت به فؤادك) على

وشه قبل المانع المدح السراد والزيادة بينك من السعة الرأى بما يتقل صراطا وزراته والمرد الغرر أيضا ويقال للشق

متابعة العقل والشرع (و) قد رفع عنك التلبيس اذ (جاءك في هذه) الانباء (الحق) الصريح الذي لايحتاج فيه الى دلالة المعجزات (وموعظة) زاجرة عن متابعة الهوى (وذكرى) لتلبيسات الشيطان حاصلة (للمؤمنين وقل للذين لايؤمنون) بتلك الانباء لعدم مبالاتهم بالحق الصريح والموعظة والذكرى (اعملوا) بما يوافق الهوى (على مكانتكم) أى تمكنكم من معرفة الحق الصريح والاخذ بالموعظة والذكرى (انا عاملون) بما يوافق العقل والشرع (و) ان زعمتم انه لاعاقبة لعمل (انتظروا) العواقب على قول من يستعمل العقل (انا منتظرون) فاقل ما يقتضيه قول العاقل الانتظار فان زعموا انه انتظار ما لم يقع مثله أصلا يقال لهم (ولله غيب السموات والارض) فلعل في بعض الادوار ما يقتضي البعث من غير أن يكون له نظير وغاب عن نظر المنجمين والكهنة (و) كيف لا ينتظر وهو مقتضى الرجوع اليه ولابد منه اذ (اليه يرجع الامر كله) ليميز بين من خصه بالعبادة وبين من لم يخصه (فاعبده) ان توهمت ان عبادته لاتدفع قدره (وتوكل عليه) كيف يترك المجازاة التي هي مقتضى ربوبيته ولا مانع عنها سوى الغفلة ولكن (ما ربك بغافل عما تعملون) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(قوله من المقسورين) يقال ساحة تعالى ساحتهم الرحبة التي الحلى ناحيتهم الرحبة التي قديرون أخبيتهم حولها

•(سورة يوسف)•

سميت به لان معظم قصته مذكورة فيها ومعظم ما فيها قصته (بسم الله) المتجلي بجميعته في آيات كاشفة بالاخبار عن ظهوره فيهم بجميعته متسترا بها (الرحمن) بانزالها مناسبة لطباع الكل (الرحيم) بجعلها بلسان يتضمن من الاسرار ما لا يتضمنه غيره وهو العربي (الر) أى آيات لوامع الرشد أو أجمل لطائف الربوبية أو أخص لباب الرحمة أو أعلى لواء الرفعة (تلك آيات الكتاب المبين) للاخبار الغيبية التي لاتبلغها صنعة التنجيم والكهانة مع تضمنها ما لا ينحصر من العلوم والعبر أو للطائف التي في صور المحن أو للانتقال من أنواع الشدائد الى أنواع النعم أو لطريق الوصول الى أعلى مراتب الدين والدنيا وانما كانت آيات لوامع الرشد لاعجازها الدال على كونها منزلة من الله وانما كانت أجل لطائف الربوبية لانه تلطف بانزالها وانما كانت أخص لباب الرحمة لاختصاصها بالنزول من مقام العظمة الالهية وانما كانت أعلى لواء الرفعة لكونها نازلة من مقام العظمة للاصعاد اليها الدال عليه قال (انا أنزلناه) ومن هذا الانزال صار الكلام الواحد الذي هو صفة أزلية آيات متعددة اذ صار (قرآنا) أى مقروا لمناسب الطباع البشرية وجعل (عربيا) ليتضمن من الاسرار ما لايتضمنه ولايحتمل غيره (لعلكم تعقلون) ما عندنا من الاسرار ويتضمن اتصف الآيات بكونها آيات لوامع الرشد وما عطف عليه ثم في الكتاب اشارة الى وجوده الخطي وفي القرآن الى اللفظي وفي تعقلون الى الذهني وفي هاء أنزلناه الى كونه من عالم الغيب في ذاته ففيه اشارة الى وجوداته الاربعة وكرر نون العظمة ليضيد نوالانزال بالعلو مرتين مرة باعتبار كونه صفة أزلية ومرة باعتبار علوه وعظمته ولما كان انزاله لتعقل ما عندنا والاتصاف بما ذكر لاجرم (نحن) لاغيرنا

(نقص عليك) لتزداد كمالا فى الاوصاف المذكورة الرشد والتربية والرحمة والزهد (احسن القصص) لاشتماله على ما لا يتناهى من المحاسن كالانتقال من أنواع المحن الى اصناف المنن نجاة يوسف من القتل ثم من غيابة الجب ثم من التهمة ثم من السجن ثم من العبودية ثم من فراق الاب ونجاة أبيه من غم فراقه ومن العمى ونجاة امرأة العزيز من الاثم ونجاة الساقى من القتل ونجاة بنيامين من تهمة السرقة واحسان الله الى يوسف بالملك والنبوة ووجود الابوين والاخوة وايتاء الحكم والعلم وذكر الملوك والممالك والعلماء والتجار والرجال والنساء وكيدهن وكيد الشياطين والاقارب والصبر والعفو عند القدرة والسياسة وحسن المعاشرة وتدبير المعاش والمعاد وحسن العاقبة فى العفة والجهاد وذكر المحب والمحبوب والرجوع الى السعادة وذكر التوحيد والفقه وتعبير الرؤيا وطريق السلوك وحال السالك وغير ذلك فتعلم انه انما يكون (بما أوحينا اليك) أيها المتصف بهذه الكمالات المستعد للبلوغ الى غايتها (هذا القرآن) المشتمل على آيات لوامع الرشد وما عطف عليه اذ لا يتيسر للماهرين بالعلوم المطلعين على الاخبار (وان) أى وانك (كنت من قبله لمن الغافلين) عن مثل هذه القصة (اذ قال يوسف لابيه) لاعتقاده كمال علمه وشفقته عليه بحيث لو كانت رؤيا سوء لامكنه صرفها عنه (يا أبت) ما دام لم يقبل عليه بكمال التعطف ولم يسعه رعاية لتعظيمه (انى رأيت) فى المنام (أحد عشر كوكبا) قيل هى جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين أولت بعشر نجوم اسماء النبوة المحيطة بنبوته وبعلة من اولادهم (والشمس) أولت بابيه الجامع أنوار النبوة المتفرقة فى أبنائه (والقمر) أولت بخالته المستفيدة منه النور وأخرهما لتأخير الاشرف من الجنس (رأيتهم) بعد رؤية علوهم (لى ساجدين) جمعها جمع العقلاء لفعلها فعلهم ولوضوح كونها ناطقة فلا اشكال ولم أر من تعرض لهيئة السجود ولعله تحريك جانبها الاعلى الى الاسفل مستديرة ظهرت أو مستطيلة (قال) قبل التعبير تحذيرا عن شر ناشر الرؤيا (يا بنى) صغره لصغر سنه اذ كان ابن اثنتى عشرة سنة (لا تقصص رؤياك) التى يعتد بها (على اخوتك) روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد واشر وبنيامين اذ تزيدهم حسدا عليك (فيكيدوا) أى فيمكروا (لك) ما يظهرون انه لك ولكنه يكون (كيدا) عظيما لاستقلالك وهو وان لم يكن من طبائع أهل بيت النبوة لكن الشيطان يلقيها عليهم (ان الشيطان للانسان) سيما القائمين بعداوته سيما الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء (عدو مبين) عداوته وان قصد اخفاءها ثم عبر الرؤيا بقوله (وكذلك) أى وكما جعلك مسجود الكواكب والشمس والقمر يجعلك مسجود من أولت بهم اذ (يجتبيك ربك) للمناصب العالية (و) ليس بالفضل النبوى فقط بل (يعلمك) أيضا أشياء كثيرة (من تأويل الاحاديث) أى واقعات المنام واليقظة بطريق الولاية (ويتم نعمته) بالنبوة والرسالة (عليك) كيف (و) يتمها أيضا (على آل يعقوب) الذين يسجدون لك ولم يقل

صرد وصراد ومنه قوله عز وجل وقدر فى السرد أى لا تجعل مسمار الدرع دقيقا فيقلق ولا غليظا فيقصم الحلق (قوله تعالى

وآلى لئلا يستغرق فى الحب فيتيم الى نفسه بل سماه كأنه أجنبى ولا يبعد ذلك فان الولد سر ابيه فيتمها عليك (كما أتمها) على تبل (على أبويك من قبل) أى قبل أبيك نوبى سنة فى هذا البيت (ابراهيم) منبع هذا الكمال (واسحق) حامل سره ثم سرى الى المستعدين له من أولادهم (ان ربك عليم) بالاستعدادات (حكيم) يعطى كل مستعد ما يستعد له ومن فوائد هذا المقام استصحاب كتمان السر وجواز التحذير عن شخص بغيبة ومدح الشخص فى وجهه اذا لم يضره واعتبار السبب وان لم يؤثر وان الكل حادث تأويلا عند الاولياء وانه يعبر الرؤيا من الصغار وان كان من عالم الخيال اذ تصور المخيلة معانى معقولة بصور محسوسة فترسلها الى الحس المشترك فيشاهدها والصادقة منها ما تكون باتصال النفس عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فيتصور بمعانيها مما يناسب المعانى فان كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير والا احتاجت اليه فالاخبار عن هذه الرؤيا آية وعما ترتب عليها آيات (لقد كان فى يوسف واخوته آيات) من الاخبار الغيبية (للسائلين) عنها اسيما اذا بينت بآيات القرآن المعجزة فى أنفسها وعما ترتب على هذه الرؤيا من مزيد محبة أبيه اياه الموجبة مزيد حسد الاخوة (اذ قالوا ليوسف) بذاته (وأخوه) من الابوين بنيامين بتبعيته (أحب الى أبينا منا) مع انه لا ينتفع بمحبتهما لضعفهما (ونحن عصبة) أى جماعة يتقوى بهم ويستعان بهم فى الشدائد ولو أحبنا لكان له أنفع (ان أبانا) وان كان ظاهر الرشد فى أبواب الدين (لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر فى هذه المحبة ولا يقدح هذا فى عصمتهم بالحقيقة لانهم كانوا طالبين مزيد محبة الانبياء عليهم السلام الموجبة مزيد محبة الله اياهم وكذا حسدهم كان سبب وصول الحسود الى كمالاته فلم يكن حسدا بالحقيقة لكنهم لم يعصموا فى الظاهر قبل النبوة (اقتلوا يوسف) ليذهب محل مزيد محبته بالكلية فيرجع اليهم محبته بالكلية (أو اطرحوه أرضا) مجهولة لا يعرفها الاب ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الوصول اليه فيذهب محل مزيد محبته عن الحب فيرجع اليهم فى كل حال (يخل لكم وجه أبيكم) أى توجهه بالمحبة وغيرها (وتكونوا من بعده) بكمال توجه أبيكم اليكم (قوما صالحين) بكون صلاحكم فداء عن معصية قتله أو طرحه مع رضا الوارث وعفوه (قال قائل منهم) صرح بها ورضى به الباقون ولذلك لم ينسبه الى معين وهو يهوذا أو روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل من الكبائر التى يخاف معها سد باب الصلاح (و) افعلوا معه ما هو أشد من الطرح (ألقوه فى غيابت الجب) أى فى ظلمة البئر العميق فان بعض (يلتقطه بعض السيارة) أى بعض من يمر به فيتملكه فلا يمكنه الرجوع الى الاب فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب كبيرة يخاف معها سد باب الصلاح (ان كنتم فاعلين) مع ان الاولى ان لا تفعلوا هذا القدر أيضا ولما غلب عليهم الحسد المفضى للتفريق الكلى ولا يمكن قبل نزعه عن يديه ولم يمكن مع عدم ائتمانه اياهم مكروا به اذ (قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب ليميل اليهم فيحبهم فيعمى عن عيوبهم (ما لك) أى أى حال حصل لك مما رأيتمنا حتى صرت (لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) أى مستمرون على محبته والقيام بمصالحه

والعطف

قوله عز وجل (فكان من الغافلين) أى فارغ القلب فكان من الفارغين أى سواء الجحيم) أى وسط الجحيم

والعاطف عليه بمقتضى الاخوة بلا مانع من ذنب له لصغره ثم ان الزام اياه أن يكون بمكانك ورجب للامة القاطع لنشاطه على العبادة قوله كتساب الكمالات (أرسله) الى الصحراء (معنا) لا وحده (غدا) ان لم ترسله كل يوم (يرتع) أى يتسع فى الاكل ليزداد قوة على العبادة (ويلعب) ليزداد نشاطا عليها (و) لا خوف عليه من أحد اذا كان معنا (انا له لحافظون) أى مجتهدون فى الحفظ (قال) انما الأرسله لانى لا أطيق الصبر عنه (انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به (و) انى لو أمنتكم عليه (أخاف أن يأكله الذئب) فان الارض كثيرة الذئاب (وأنتم) وان زعمتم انكم لمسافلون حفظكم انما يكون ما دمتم ناظرين اليه لكن لا يخلو الانسان عن الغفلة فأخاف أن يأكله اذا أنتم (عنه غافلون قالوا) والله (لئن أكله الذئب) حال غفلتنا فلابد أن يلزم ذلك من يصيح (ونحن عصبة) أى جماعة أقوياء يمكننا أن ننزعه من يد الذئب فان لم نقدر على نزعه (انا اذا لخاسرون) لما كتب بنا من القوة ولم يمكنا حفظ مواشينا عن الذئاب وأرسله معهم قرب بعد قوله فيكيدوا لك كيدا اعتزازا بمكرهم (فلما ذهبوا به) الى مكان بعيد عنه أظهروا من العداوة ما لا يمكن التصريح به كلما ضربه واحد استغاث بآخر فضربه المستغاث به ثم انهم هموا بقتله فمنعهم يهوذا وقال ألستم أعطيتم موثقا من الله أن لا تقتلوه فتركوا (وأجمعوا) أى اتفقوا على (أن يجعلوه فى غيابت الجب) فأخذوا يوسف وجعلوا يدلونه فيه فتعلق بشفير البئر فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أستتر به عورتى ويكون كفنى عند موتى وأطلقوا يدى أطرد بهما هوام الجب عنى قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب يلبسوك الثوب ويؤنسوك فلما ألقى فى الجب أتاه الملك فحل وثاقه وأخذ تعويذا من عنقه فيه قميص جاء به جبريل لابراهيم حين ألقى فى النار عريانا فكان عنده فورثه اسحق ثم يعقوب فجعله فى عنق يوسف فكساه الملك اياه وسار يؤنسه (وأوحينا اليه) قبل النبوة كريم وأم موسى تسلية له وتقوية لقلبه (لتنبئنهم بأمرهم هذا) حال استيلائك عليهم فيه ذامة منهم عليك فى صورة محنة (وهم لا يشعرون) ان سلامه هذا يؤديهم الى محذورهم ولولاه لم يكن ليصل اليه (وجاؤا أباهم) ليمكروا به بطريق الاعتذار الموهم موته القاطع عنه متمناه لتنقطع محبته عنه ولو بعد حين فيرجع اليهم بالحب الكلى (عشاء) لكونه وقت الظلمة المانعة من احتشامه فى الاعتذار بالكذب ومن تفرسه من وجوههم الكذب (يبكون) ليوهم تفجعهم عليه افراط محبتهم له المانعة من الجرأة عليه (قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب المضاف اليهم ليرحمهم فيترك غضبه عليهم الداعى الى تكذيبهم (انا) وان كنا عصبة وقصدنا ان لا نغفل عنه وقع لنا اتفاقا اذ (ذهبنا نستبق) أى نتسابق فى العدو فبعدنا عنه (وتركنا يوسف عند متاعنا) اذ لم نجد سواه معتمدا عليه فانتهز الذئب الفرصة (فأكله الذئب و) أنت وان أمنتنا عليه أولا (ما أنت بمؤمن) أى مصدق (لنا) فى هذه القصة لكراهتك اياها لا يزال ذلك يدعيها (ولو كنا صادقين) من الماضى الى الآن لم يظهر من أحدنا كذب فى شئ قط (وجاؤا) لطلب تصديقه الذى رأوه كالمحال جاعلين (على

ولسن والسلق والعالق رفع الصوت (قوله عز وجل سابغات) هى دروع واسعة طوال (قوله تعالى السرد) نسج حلق الدروع

(قميصه) دم جدى ذبحوه فألقوه ملطخا (بدم كذب) أى بدم لو نطق عرف كذبه حتى يقال انه نفس الكذب ثم عزروه (قال) يعقوب ما أحلم هذا الذئب أكل ولدى ولم يمزق قميصه فلم يقع ما ذكرتم (بل سولت) أى زينت (لكم أنفسكم) من خبثها (أمرا) من تغييب يوسف وتفريقه عنى والاعتذار الكاذب (فصبر) على أعمالكم (جميل والله المستعان على) دفع (ما تصفون) عن الذئب ان يقع وعن القلوب كيلا يؤذيها بجزعها وفيه من الفوائد ان الجاه يدعو الى الحسد كالمال وهو يمنع من المحبة الاصلية من القرابة ونحوها بل يجعل عداوتهم أشد من عداوة الاجانب وان الحسد يدعو الى المكر بالمحسود وبمن يراعيه وانه انما يكون برؤية الماكر نفسه أكمل عقلا من الممكور وان الحاسد اذا ادعى النصح والحفظ والمحبة بل أظهروه فلا لم يعتمد عليه وكذا من أظهر الامانة قولا وفعلا لا يفعل الخيانة وان لا اذلال والاعزاز بيد الله لا الخلق وان من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه وان المحبة وان قلت تحمى المحبوب عن اهلاكه واستئصاله وان من وثق بمخلوق ضاع وان الخوف من الخلق يورث البلاء وان الانسان وان كان نبيا يحلق أولا على طبع البشرية وان اتباع الشهوات كالذئب يورث الحزن الطويل وان المقدر كائن وان الحذر لا يغنى من القدر وقيل للهدهد كيف ترى الماء تحت الارض ولا ترى الشبكة فوقها قال اذا جاء القضاء عمى البصر (و) من آثار عناية يعقوب لدفع هلاكه فى نفسه والتهابه الى دفع حزن قلبه (جاءت) مكان الجب بعد القاء يوسف فيه بثلاثة أيام (سيارة) أى رفقة تسير من مدين الى مصر (فأرسلوا) الى البئر (واردهم) وهو الذى يرد الماء ليستقى وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فأدلى) أى أرسل فى الجب (دلوه) فتعلق به يوسف فلما رفع الدلو ورآه متعلقا به (قال يا بشرى) نادى البشرى مضافة اليه ليقبل اليه ولا ينصرف عنه (هذا) وان كان مشارا اليه بالحس (غلام) لا يعرف كنه محاسنه (وأسروه) أى أخفوا كونه لقيطا من البئر بكونه (بضاعة) لاهل الماء الى مصر وهى ما يضع من المال للتجارة لئلا يطالبه سائر الرفقة بالشركة (والله عليم بما يعملون) أى اخوة يوسف بما يبطل بشراهم اذ قالوا لهم انه عبد آبق لنا منذ ثلاثة أيام واختفى بالجب وبالغوا فى ذمه والامر بتقييده وحفظه مخافة انقلابه الى أبيهم وهو ساكت مخافة أن ينزعوه من يده ويقتلوه (و) هونوه عليهم حتى (شروه بثمن بخس) ناقص العيار (دراهم) لا دنانير (معدودة) يعرف عددها بمجرد رؤيتها عشرين أو أربعين وكان مقتضى جماله أن يزيد على عدد العادين (وكانوا) أى كل من الفريقين (فيه) أى فى حق يوسف (من الزاهدين) أما المشترون فلذم البائعين وأما البائعون فلكراهتهم أن لا يشتروه ولغلا ثمنه فيحتاجوا الى قتله ومن الفوائد ان الفرج قد يحصل من حيث لا يحتسب وانه ينتظر الشدة وان من خرج لطلب شئ قد يجد ما لم يكن فى خاطره وان الشئ الخطير قد يعرض فيه ما يهونه وان البشرى قد يعقبها الحزن والعزة قد يعقبها الذلة وبالعكس ثم أشار الى أن الذلة العارضة انما تستر العزة الذاتية عند أهل الذلة وأما أهل العزة فلا يبالون للذلة العارضة فقال (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز

(قوله عز وجل سواء الصراط) أى قصد الطريق (قوله عز وجل سالما لرجل) أى خالصا لرجل

الذى كان على خزائن ملك مصر الوليد بن الريان واسمه قطفير أو اطفير مع اقتضاء الشراء الثلاثان كان ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل ولم يذكر فى القرآن لانه على وفق القياس (لامرأته) راعيل بنت رعاييل أو زليخا بنت لخالكونها أكمل فى التربية والحضانة (اكرمى مثواه) أى منزلته مبالغة فى اكرامه اعتمد عليه فى مساكنة امرأته لما تفرس من رشده وأمانته وعلل اكرامه بانه يرجى نفعه (عسى أن ينفعنا) فى الاستشارة والقيام بالمصالح (أو) عسى أن (نتخذه ولدا) نفوض اليه جميع أمورنا لقيامه مقامنا فى الحياة وبعد الممات (و) ذلك لمكنا اياه فى قلبه اما الى تمكينه فى بيته ولم نقتصر عليه بل (كذلك مكنا) التصرفات (ليوسف فى الارض) جميع أرض مصر ليعرف الاشياء بالممارسة وليتمكن من تركيب الصور والمعانى وتحليلها لنعلمه من تأويل الاحاديث) بالانتقال من الصور المحسوسة أو المتخيلة الى المعانى القائمة بالامور (و) هم وان بالغوا فى تضعيفه واذلاله وتجهيله بتفويضه الى المرأة لم يمكنهم ابطال عناية الله اذ (الله غالب على أمره) يغلب الاسباب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) غلبته على الاسباب (و) لذلك لم يؤده تربية المرأة الى الجهل والميل الى الشهوات بل (لما بلغ أشده) أى منتهى قوته بالشباب الذى تغلب فيه الشهوات الحاجبة عن الله وأحكامه ومن العالم العقلى (آتيناه حكما) أى اطلاعا على الاحكام الشرعية (وعلما) بالحقائق الالهية والكونية من غير معلم بشرى لتوجهه الينا (و) لا يختص ذلك به بل (كذلك نجزى المحسنين) (و) لايتائنا اياه الحكم والعلم دفع مراودة امرأة العزيز حال بلوغه منتهى الشباب فانه (راودته) أى طلبت تحويله الى مرادها اذ لا صبر لها عنه لانها (التى هو) مستقر مدة سنين (فى بيتها عن) مراد (نفسه و) رفعت عنه الموانع اذ (غلقت الابواب) السبعة (و) لم تقتصر على المراودة الفعلية بل (قالت) مع ذلك (هيت) أى هلم الى فانا مانعة (لك) أنيض عليك الاموال وأحببك الى زوجى وأزيدك تقريبا اليه (قال) لايتائنا اياه الحكم والعلم (معاذ الله) أى أعوذ به معاذا لكونه زنا وخيانة فيما ائتمنت عليه وشرا لمن توقع النفع واساءة الى المحسن (انه ربى أحسن مثواى) وكفى بالاساءة اليه ظلما ولو تجردت فكيف اذا اجتمعت مع هذه أمور (انه لا يفلح الظالمون) سيما الجامعين وجوه الظلم (و) لم تبال باستعاذته بل والله (لقد همت به) أى قصدت اكراهه للمباشرة به (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أى ولولا انه رأى الدلائل الكشفية والعقلية والنقلية على ضرر الزنا والخيانة فى محل الامانة والضرر فى محل النفع والاساءة الى المحسن لقصد اكراهها على الزنا لو امتنعت عليه وكما أريناه البرهان فى ذلك (كذلك) أريناه فى كل مكروه ومحرم (لنصرف عنه السوء) أى المكروه (والفحشاء) اى المحرم (انه من عبادنا المخلصين) الذين ليس للشيطان عليهم سلطان يغلبهم حتى يلقيهم فى المكاره والمحرمات (و) لما رأى يوسف همها بالاكراه بعد رؤية البرهان قام هاربا الى الباب وتبعته حتى (استبقا الباب) فسبق يوسف فادركته فتعلقت

لا يشركه فيه أحد غيره يقال علم الشئ لفلان اذا خلص له ويقرأ أسلما وسلما لرجل وهما مصدران وصف بهما أى سلم اليه فهو سلم

بقميصه بجذبته (وقدت) اى شقت (قميصه من دبر) اى من ظهره فعلها يوسف فخرج
وخرجت خلفه (وألفيا) اى وجدا (سيدها) اى زوجها الذى يغار عليها غيرة السيد
على جاريته التى هى أحب الناس من زوجته ولا يستر عليها ستره على الحرة ولم يقل سيده
ولا سيدهما لانه لا يغار عليه غيرة عظيمة بفعله من حيث هو بل من حيث فعله باهله
(لدى الباب) لم يقل لديه لئلا يتوهم عود الضمير الى يوسف ولما رأته سابقت يوسف بالقول
(قالت ما) اى أى شئ (جزاء من أراد بأهلك سوأ) اى أن يفعل به فعلا قبيحا ثم خافت أن يقتله
مع أنها تحبه فتنكره فتندم فقالت (الا أن يسجن) ثم لما استشعرت أن ذلك يشير الى حبها له
سترته بقولها (أو عذاب أليم) بضرب السياط (قال) يوسف لم أفعل بها ما استحق به أحد
الامرين بل (هى راودتنى) اى أرادت تحويلى الى مرادها (عن) مراد (نفسى) فتفرست
منه ما قصد بذلك دفع التهمة عن نفسه (وشهد) لدفعها (شاهد) لم يعرف مثله شاهد
اذ كان رضيعا ولو كان كبير القيل ايضا لكونه (من أهلها) ابن عمها أو خالها سيما
وقد شهد بطريق الاستدلال فقال (ان كان قميصه قد من قبل) دل على انه قصدها فدفعته
فوقعت يدها فى قميصه (فصدقت) فى هذه القضية (وهو من الكاذبين) فى جميع القضايا
لانه لما كذب على سيدته فهو فى سائر الامور أكذب (وان كان قميصه قد من دبر) دل على
انه كان هاربا فادركته فجذبت (فكذبت) فى هذه القضية (وهو من الصادقين) فى جميع
القضايا لانه اذا دفع مثلها القوة صدقه فلا دخل للتهمة عليه أصلا (فلما رأى) سيدها (قميصه
قد من دبر قال انه) اى ان هذا القول بهذه الخيانة (من كيدكن) اى من مكر النساء على
الرجال (ان كيدكن عظيم) لا يقدر عليه الرجال ولا الشياطين اذ قيل فيهم ان كيد
الشيطان كان ضعيفا ثم قال يا (يوسف) ناداه باسمه اذ لم يكرهه (أعرض عن هذا) الحديث
كى لا يشيع ولا تهتم لعقده بان عذرك (و) لم ينادها باسمها لكراهته اياها بل قال لها (استغفرى
لذنبك) اذ خنت زوجك ورميت البرئ ومكرت المكر العظيم (انك كنت) قبل
اكتساب هذه الامور (من الخاطئين) حتى اجترأت على هذه الكبائر (و) مع مبالغة
العزيز فى منع اشاعة هذه القصة شاعت حتى (قال نسوة) مع تفرقهن (فى المدينة امرأت
العزيز) مع اقتضاء عزتها التنزه (تراود فتاها) اى عبدها الشاب (عن نفسه) مع اقتضاء
ذلك من عبوديته التذلل لها وهو لا يتذلل لها وانما انعكس الامر لانه (قد شغفها) اى ملأ
شغاف قلبها وهو الجلدة المحيطة بالقلب (حبا) كانه ليس تحت تلك الجلدة قلب (انا لنراها
فى ضلال مبين) اى حيرة ظاهرة لا تستحيى من الله ولا من الناس ولا تخافهم ولا زوجها وقد
قصدت بذلك أن تريهن اياه اعتذارا فكان ذلك منهن مكرا (فلما سمعت بمكرهن أرسلت
اليهن) جواريها طالبة لهن الى بيتها لتعتذر اليهن (واعتدت) اى هيأت (لهن متكأ)
اى طعاما يتكأ فيه لكونه من الفواكه (وآتت كل واحدة منهن سكينا) لقطع الفواكه

وسلم لا يعترض عليه أحد
وهذا مثل ضربه الله عز
وجل لاهل التوحيد ومثل
الذى عبد الا ٣ لهة مثل
صاحب الشركاء

(وقالت) فى أثناء قطعهن لها (اخرج عليهن) ليذهلن برؤيته عن أنفسهن (فلما رأينه أكبرنه) اى وجدنه كبيرا فى باب الجمال بحيث يفيد الذهول عما سواه (و) صرن أعظم ضلالا منها اذ (قطعن أيديهن) برؤيته مرة واحدة (وقلن حاش لله) اى التنزيه له من أن يشاركه فى كمالاته أو الاستثناء له فى نفى الحسن عما سوى يوسف لكن (ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) ظهر بهذا الكمال من الجمال (قالت) امرأة العزيز ان كانت رؤيته مرة واحدة موجبة لقطع الايدى (فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فى مراودته بعد ما كنت ابتليت به سنين ثم صرحت بسرها هاتكة ستر الحياء فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) اى فتنطع ثم هددته بقولها (و) الله (لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و) لا أقتصر عليه بل (ليكونا من الصاغرين) وهو أشد من الضرب بالسياط وان كان الامن يستحق الاطلاق من السجن والاعزاز قيل قد دعته النسوة الى مطاوعة سيدته ظاهرا والى أنفسهن باطنا حتى غيرهن بتحيير ولما علم يوسف أنه لا يلحقه الصغار لما اصطفاه الله لكن لا مانع من السجن (قال رب السجن) وان كان هذا بأى الحال (أحب الى) لاستعقابه راحة فى المآل استعقاب الدواء الكريه للشفاء (مما يدعوننى اليه) من اللذة المستعقبة للعذاب كالطعام اللذيذ المسموم ولما خاف الوقوع فيه من اغوائهن دعا الله سبحانه للصرف عنه بقوله (والا) اى وان لم (تصرف عنى كيدهن) وقد عجزت عن دفعه وان قدرت على دفع كيد الشيطان اذ ليس له على سلطان (أصب اليهن) اى أمل بالقلب الى ما يدعوننى اليه فانه أقل ما فيه (و) هو وان كان معفوا عنه قبل الفعل (أكن من الجاهلين) بالميل الى ترجيح الهوى على العقل والشرع فيرتفع ما آتيتنى من الحكم والعلم (فاستجاب له ربه) فيما دعا اليه من صرف الكيد عنه (فصرف عنه كيدهن) وان لم يدفع عنه السجن اذ لم يدع فى دفعه لتعلقه بظاهره (انه هو السميع) لدعائه (العليم) بما فى صرف الكيد من تكميله وعما فى ادخاله السجن من مصالحه (ثم) اى بعد أن لم يدع يوسف ربه فى صرف السجن عنه (بدا) اى ظهر رأى (لهم) للعزيز وأهله من قولها ان هذا العبد الكنعانى فضحنى عند الناس يخبرهم انى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى أن اخرج فأعتذر اليهم أو ان تحبسه فجزموا (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف من رؤيته هاربا وقد قميصه من دبر وشهادة الصبى وقطع النساء ايديهن (ليسجننه حتى حين) اى الى وقت انقطاع التهمة وكان سجنه سبب وصوله الى الملك الريان بن الوليد كالقائه فى الجب سبب وصوله الى مصر (و) ذلك لانه (دخل معه السجن) اى فى زمان كونه فى السجن (فتيان) اى غلامان للملك صاحبا شرابه وطعامه ضمن لهما بعض أشراف مصر مالا على أن يجعلا السم فى شرابه وطعامه فأبيا الى ذلك ثم ندم الساقى وسم الخباز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل فانه مسموم فقال الخباز لا تشرب فانه مسموم فقال للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فأطعم دابة فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام ينشر العلم لاهل

المناسكين أى المختلفين المصريين وقال هل يستويان مثلا (قوله تعالى حول لهم) أى زين لهم (قوله جل وعز سكرة الموت) أى

السجن ويقول أعبر الاحلام فقال أحدهما للآخر هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له الرؤيا (قال أحدهما) وهو الساقي (انى أرانى) فى المنام على حكاية الحال الماضية كأنى (أعصر خمرا) اى عنبا اسمى باسم ما يؤل اليه فى كأس الملك ليشربه (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا) اى أخبرنا (بتأويله) اى بما يؤل اليه ما رآه كل واحد منا احسانا منك علينا (انا نراك من المحسنين) باقامة العلوم وحسن المعاشرة والوعظ والعبادة فذكر أولا دلائل النبوة والتوحيد لما علم ان أحدهما سيصلب فأراد تخليصه من النار وذكر أولا دلائل نبوته ليكون قوله حجة فى التوحيد مع ما يذكر من دلائله لذلك (قال لا يأتيكما) فى المستقبل (طعام ترزقانه) فيؤثر فيكم تأثيرا (الا نبأتكما بتأويله) اى بما يؤل اليه من نفعه وضره فضلا عن نوعه وصنفه وقدره (قبل أن يأتيكما) بمدة لا يمكن بيانه فيها للمنجم والكاهن فتعلمان (ذلكما) البعيد عن صنعهما (مما علمنى ربى) لا بواسطة شيطان فانه انما يتعلم بواسطته من لا يؤمن بالله واليوم الآخر (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فيجدون الشيطان الها فيظهر عليهم باخبار الغيب (وهم بالآخرة هم كافرون) فلا يميزون بين الخير والشر الاخروى فيصغون الى الشيطان ما يقول لهم مما يجرهم الى الشر الاخروى (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) المشهورين بالكشف الكامل بلا واسطة شيطان لاختصاص فيضه بالمشرك ولكن (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ) وان ظهرت منه الخوارق من اخبار الغيب وغيره (ذلك) اى الاخبار بالغيب بدون اشراك الشيطان (من فضل الله علينا) بالنبوة (وعلى الناس) بالاهتداء الى ما يحبه الله ويكرهه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) هذه النعمة فيتبعون ما يلقى الشيطان على أوليائه مما يضلهم عن الله واليوم الآخر (يا صاحبى السجن) انخرجا عن سجن التقليد فى الشرك مع ظهور ركون التوحيد فضلا (أأرباب متفرقون) بحيث لا يتم لواحد منهم الغلبة والقهر (خير أم الله الواحد القهار) الذى يتم له الغلبة فى كل ما أراد ثم أشار الى غاية قصور أربابهم فقال (ما تعبدون) مع علمكم بكونهم (من دونه الا أسماء) اى مسميات أسماء ليس فيها معانيها اللغوية وان كنتم (سميتموها أنتم وآباؤكم) بها فتلك التسمية ليست دليل تحقق معانيها فيها اذ (ما أنزل الله بها من سلطان) اى دليل عقلى أو نقلى أو كشفى ولم يفوض أمر العبادة الى رأيكم بل (ان الحكم) أى ليس الحكم باستحقاق العبادة (الا لله) ولم يحكم بعبادة غيره بل (أمر ألا تعبدوا الا اياه) لان العبادة غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية العظمة ولو حصلت الخوارق لبعض عبدة الاصنام فليس دينهم مستقيما يوصل الى الله بل (ذلك) التوحيد الدال على كمال عظمة الله بحيث لا يشاركه فيها غيره هو (الدين القيم) أى المستقيم الثابت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) به فيرى كل من ظهر بخارق مستقيما ثم رجع الى التعبير فقال (يا صاحبى السجن) فيه اشعار بأنكما لم

اختلاط العقل لشدة الموت (قوله تعالى السائل والمحروم) فالسائل الذى يسأل الناس والمحروم العارف وهما

تنتهى صرتهما الى السجن الاخروى وان أسلمتا خلصتما منه ومن السجن الدنيوى (أما أحدكما) وهو الساقى (فيسقى ربه خمرا) كما رآه من غير تأويل (وأما الآخر) فبعض رؤياه يحتاج الى التأويل فالخبز ما فى رأسه ولا تسلط الطيور عليه الا بعد القتل والصلب فتترك الطير ما عالها ويؤول الباقى (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) ثم قالا لم نر شيئا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) بما يجرى على لسان الانبياء وافق استفتاؤكم الواقع ام لا ثم أشار الى أن هذا وان كان سبب وصوله الى الملك لكنه لما اعتبر مجرد السبب بدون النظر الى المسبب كان سبب غيرة الحق عليه وهى وان لم تبطل السببية أخرت تأثيره (و) ذلك لانه (قال للذى ظن) أى علم بطريق تعبير الرؤيا الذى أصله ايجاب الظن (أنه ناج) من القتل والبعد من الملك (منهما) أى من صاحبى السجن وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) أى سيدك بانى محبوس ظلما وانى أعلم تعبير الرؤيا واخبر عن الغيب بلا كهانة وتنجيم والداع الى التوحيد ومقيم للدين القيم التفت اليه والى اعانته والى الملك وتخليصه من السجن (فأنساه الشيطان) وان لم يكن له عليه سلطان لكن جعل له دخل بما التفت اليه (ذكر ربه) ان يستعين به بذاته أو باعتبار ظهوره فى الاسباب فمار عليه ربه فأنسى الساقى ان يذكره عند ربه الا بعد مدة وأنسى العزيز ان يخرجه من السجن بعد مضى زمن التهمة (فلبث فى السجن بضع سنين) ما بين الثلاث الى السبع أو التسع أو العشر والاكثر ان المراد السبع مع خمس مضت ولم ينص على عدد لان الابهام أشد فى ايهام الطول (و) لما تمت المدة ظهر أثر السبب بضميمة سبب آخر وهو رؤيا الملك حيث (قال الملك) الريان بن الوليد (انى أرى) فى المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فجمع السحرة والكهنة وقال لهم (يا أيها الملأ) أى الاشراف (أفتونى) أى أجيبونى (فى) تعبير (رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) أى ان صدقتم فى دعوى العلم بكيفية العبور من الصور المتخيلة للمعانى المكشوفة الى الصور المناسبة لها (قالوا) امثال هذه الرؤيا (أضغاث أحلام) أى منامات خلط فيها الخيال الصور فلا يدرك المعنى المكشوف منها (و) نحن وان كنا علماء التأويل (ما نحن بتأويل) جميع (الاحلام بعالمين) وانما نعلم تأويل الاحلام الصادقة وهذا العجز من الله لهم ليراجع يوسف فيكون سبب خلاصه وارتفاع حاله (و) ذلك انه (قال) الساقى (الذى) جرب تأويله وانتفع به لانه الذى (نجا منهما) أى من صاحبى السجن وكان حقه ان يسعى فى تخليصه يوم نجاته ولكن أنساه الله (وادكر بعد أمة) أى جماعة من السنين (أنا أنبئكم بتأويله) أى أخبركم بعالم تأويله وان لم يعلم هؤلاء تعبيره ولا من يعلمه وكذلك لا تعلمونه لو وصفته لكم لرثاثة حاله من بقائه فى السجن هذه المدة (فأرسلون) الى مكانه لاريكم اياه فجاءه فقال يا (يوسف) ناداه باسمه العلم ليزداد قبيراوا لما كانت حاله مع ذلك توجب نكارته قال (أيها الصديق) ميزه بوصف الصديقية

واحد لان المحروم الذى قد حرم الرزق فلا يتأتى له والطارف الذى قد طارفه الكسب أى انصرف عنه

لصدق أقواله وأفعاله سواء صدق سؤال السائل أم لا وبنبه ان فضله بالصديقية لا يضمحل
برؤيته طالمتي بشكر ورأى الرسول عبارة المرسل فقال (أفتنا في سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي) أورد لفظ الترجي لاحتمال
الموت في الوسط (أرجع الى الناس) بالرجوع الى الملك (لعلهم يعلمون) تأويل هذه
الرؤيا فيدبرون الامر بمقتضاها وان تدرك فوق قدر الكهنة والمعبرين فجعل يوسف
عليه السلام البقرات السمان حيوانات سنى الخصب والعجاف حيوانات سنى الجدب
والسنابل زراعاتهما لذلك (قال تزرعون سبع سنين دأبا) على عادة مستمرة في الخصب ثم
علمهم التدبير في اثناء التعبير بقوله (فما حصدتم) مبقين له (فذروه) أى اتركوه (في سنبله)
لئلا يقع فيه السوس (الا قليلا مما تأكلون) فأخرجوه من سنبله (ثم يأتي من بعد ذلك
سبع شداد) يشتد فيها القحط بحيث (يأكلن) أى يأكل أهلها (ما قدمتم لهن)
حفظه في السنابل (الا قليلا مما تحصنون) أى تحرزونه للبذر فهذا تأويل رؤياه مع الاشارة
الى التدبير (ثم يأتي من بعد ذلك) أى بعد تمام سنى القحط (عام فيه يغاث الناس) بكثرة
الغيث لتحصيل الطعام (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم تحصيلا للادام
وقبل ذلك كان بحيث لو حصل الطعام لم يحصل الادام (و) لما رجع الساقى الى الملك
بالتعبير (قال الملك ائتونى به) فارسلوا اليه من يطلبه (فلما جاءه الرسول قال) لا ينبغى
ان يراني الملك قبل براءتي (ارجع الى ربك) الذى حقه ان يراني بعين الكمال ليرتجى
(فاسأله) هل عرف (ما بال) أى ما وقع في قلوب (النسوة اللاتي قطعن أيديهن) فدعاهن
مزيد شغفهن الى مزيد الكيد (ان ربي بكيدهن) الذى هو أشد من كيد الشيطان
(عليم) فلما رجع الرسول الى الملك قرر له ذلك فدعاهن وسألهن (قال ما خطبكن) أى
ما شأنكن في معرفة حال يوسف (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل مال الى سيدته أو الى احداكن
(قلن حاش لله) أى الاستثناء لله من أن يكون لغير يوسف طهارته أو التنزيه لله عن ان
يعجز عن خلق مثل هذا الكامل في الطهارة (ما علمنا عليه من سوء) أى خيانة بعد المبالغة
في مراودته عن نفسه (قالت امرأت العزيز) على خلاف مقتضى عزتها (الآن) أى
حين شهادتهن عند الملك (حصحص الحق) أى ظهر ظهورا تاما بحيث لا وجه للانكار
معه (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) أى مستمر على الصدق في قوله هى راودتني
قال يوسف (ذلك) الهتك منى لها عند الملك (ليعلم) الملك (أني لم أخنه) أى سيدى في أهله
(بالغيب) أى في غيبته بل بقيت في غيبته كما أكون في شهادته (و) يعلم (أن الله لا يهدى
كيد الخائنين) ليقيدهم الحياء عن النصائح وان بالغوا في دفعها بأنواع الكيد فالتهمة
باقية عليهم بخلاف الامناء فانها عنهم مرتفعة لا محالة (وما أبرئ نفسي) من خواطر
السوء وان لم أقصد امضاءها (ان النفس) ولو من نبي أو ولي (لأمارة بالسوء) في كل

(قوله عز وجل السقف المرفوع) يعنى السماء (قوله تعالى ذكره ما سدوق) والساسدعلى لامون

وقت (الا) وقت (ما رحم ربى) فانها تصير حينئذ مطمئنة لان الله يسترعليها طبعها بما رحمها من افاضة نور الطمأنينة عليها (ان ربى غفور رحيم وقال الملك) عند ما تحققت عنده براءته من السوء وفضله فى تعبير الرؤيا على من عنده (ائتونى به أستخلصه لنفسى) أى اجعله خالصا لنفسى ليس فيه حق الغير وان كان قبله عبدا لوزيره وهو فى حكم عبد الامير فاتى به (فلما كلمه) الملك علم استحقاقه لاعلى المناصب وقد علم أمانته من قبل (قال انك اليوم) وان لم أعرفك قبله (لدينا) أى فى مكان القرب منا (مكين) أى متمكن لانك (أمين) لا نخاف منك الخيانة فى الاهل والمال والجهل والتقصير ولما علم اعتماد الملك عليه ورأى فى عماله الخيانة والجهل (قال اجعلنى على خزائن الارض) أى جميع خزائن أرض مصر وكانت الخزائن كثيرة (انى حفيظ) لها (عليم) بوجوه التصرف فيها فسلمها ليوسف وجعل أمره نافذا فى جميع مملكته وعزل قطفير فهلك بعد ليال وزوجه امرأته فولدت له أفرابيم وميشا (وكذلك) كما مكناليوسف فى خزائن الملك (مكنا ليوسف فى الارض) أى فى املاك سائر الناس حتى انه (يتبوأ منها حيث يشاء) من غير كراهة لاهلها عليه لاتفاقهم على محبته وايثارهم اياه على أنفسهم وذلك من رحمة الله (نصيب برحمتنا من نشاء) وذلك لاحسانه اليهم فهذه المحبة من أجر الاحسان (ولا نضيع أجر المحسنين) وليس هذا تمام الاجر بل هو أجر دنيوى (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) فاحسنوا طلبا لاجره (وكانوا يتقون) ان يطلبوا بعملهم أجر الدنيا والانبياء أولى بذلك (و) لغاية احسانه أحسن الى من أساء اليه فانه (جاء) فى سنى القحط لعموم قرى مصر والشام (اخوة يوسف) الذين أساؤا اليه (فدخلوا عليه) اذ ساق وجوههم الله اليه فأمكنه منهم (فعرفهم) فى الحال وان تغيرت الهيئة لقوة الفراسة ولم يعرفهم انهم اخوته لئلا يخافوه (وهم) مع تكرر دخولهم عليه ومكالمتهم معه (له منكرون) أى مستمرون على عدم معرفته لتغير الهيئة وتزييه بزى الملوك فلم يعرفوه وكيف وقد جرى معهم مجرى من أحسن اليه فاحسن نزلهم وأعطى كل واحد منهم حمل بعير من طعام (ولما جهزهم) أى سيرهم (بجهازهم) أى بعدة سفرهم من غير نقص فيهم وان قال لهم لعلكم جئتم تنظرون عورة بلدى قالوا ما نحن بجواسيس انما نحن بنو أب واحد شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من الانبياء قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أحدنا الى البرية فهلك قال فأين الآخر قالوا هو عند أبينا لانه أخوه من هلك يتسلى به عن أخيه الذى كان أحب اليه منا قال فمن يعلم ذلك قالوا انا ببلاد غربة (قال ائتونى بأخ لكم) بالغ فى تنكيره ايماء الى انهم كالمنكرين لاخوته لكونه (من أبيكم) فيسهل عليكم الاتيان به فان قررتم لى ما قررتم صدقتكم وأعطيتكم مرة أخرى أكثر من هذه المرة وأحسن بذلك أكثر منها (ألا ترون أنى أوفى الكيل) وان نقص الثمن (وأنا خير المنزلين) مع احتمال كونكم جواسيس فكيف اذا

خمسة أوجه السامد والسامد المغنى اللاهى والسامد الهائم والسامد الساكت والسامد

زال الاحتمال (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) لتحقق كونكم جواسيس فان لم افعل بكم ما يفعل بالجواسيس فلا أقل من منع الكيل (ولا تقربون) اذا خاف من تقربكم الى فكيف أحسن نزلكم حينئذ (قالوا سنراود) أى سنخادع (عنه أباه و) هو وان لم ينخدع بخداع (انا لفاعلون) ونجهد من الخداع حتى ينخدع (وقال) ترغيبا لهم ولابيهم فى ارسال الاخ (لفتيانه) أى عماله (اجعلوا بضاعتهم) وكانت نعالا وأدما (فى رحالهم) من غير ان يشعروا بذلك حتى انهم لا يشعرون بها فى الطريق ليرجعوا من اثنائها كراهة الجمع بين الثمن والمثمن بل (لعلهم يعرفونها) أى يعرفون وجه جعلها فى رحالهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) عند فتح الرحال لا قبل ذلك وان ثقلت وانتفخت على خرق العادة لئلا يكون داعيا لهم الى الرجوع من اثناء الطريق (لعلهم يرجعون) الى لردها ولرؤيتهم مزيد احسانى اليهم فيكون لهم داعيا الى الاتيان بأخيهم من أبيهم اذ لا فائدة للرجوع الى بدون ذلك (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب المضاف الى جميعهم ليترحم على الكل فيسمع ما اتفقوا عليه قدمنا على خير رجل فأكرمنا كرامة لا يكرم مثلها من كان من أولاد يعقوب وأعطى كل نفس حمل بعير ولكن لما جهزنا أعلمنا بانا ممنوعون لذلك (منع منا الكيل) فى المستقبل ما لم نأته بأخينا ليقرر مثل تقرير ما يعرف من ذلك صدقنا (فأرسل معنا أخانا نكتل) أى نأخذ الكيل له ولنا فى كل مرة (وانا له لحافظون) أى مستمرون على حفظه فى المرات كلها (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى هل يكون عاقبة أمنى اياكم على بنيامين الا مثل عاقبة أمنى اياكم على يوسف فلو كنت آمن فيه أحدا فهو الله (فالله خير حافظا) لقدرته على حفظه من جميع المكاره (و) لا مانع لمن الحفظ اذ (هو أرحم الراحمين) فتغلب رحمته غضبه (و) لم يمكثوا على ذلك بل (لما فتحوا) رحالهم التى جعلوا فيها (متاعهم وجدوا بضاعتهم) التى جعلوها ثمن متاعهم (ردت اليهم) اذ ردها يوسف عليهم مع متاعهم (قالوا يا أبانا) غلبت شفقته علينا على شفقتك (ما نبغى) أى أى شئ نطلب وراء هذا الاحسان (هذه بضاعتنا) حصلت لنا مع الطعام اذ (ردت الينا ونمير) أى نحمل الطعام فى كل مرة فنعطيه (أهلنا) من غير الثمن (ونحفظ أخانا) لتحصيل الطعام فى كل مرة ان لم نحفظه لامر آخر (ونزداد) بسببه (كيل بعير) اذ يجعل لكل نفس حمل بعير فلو لم ترسله فالذى يعطينا (ذلك كيل يسير) لا يكفينا الا انفسنا فكيف يكفى معه (قال) انه وان ضاق الامر علينا وعليكم (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) أى عهدا وثيقا صادرا (من) الله الناظر الى (لتأتننى به) فى كل وقت (الا) وقت (أن يحاط بكم) أى تصيروا مغلوبين من كل وجه فوا اتفقوا بذلك (فلما آتوه موثقهم) لم يعتمد عليهم بل (قال) أبوهم (الله على) اتمام (ما نقول وكيل و) مع توكله على الله لم ير تعطيل الاسباب وان لم تؤثر أصلا ولم تجر السنة الالهية بالفعل معها ولو نادرا لذلك (قال يا بنى) يقتضى توقى ان لا تر وانعطل الاسباب وان لم تؤثر أصلا ولم تجر

(قوله عز وجل سائحات) اى صائمات والسياحة فى هذه الامة الصوم (قوله عز

السنة الالهية بالفعل معها غالبا (لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) ولو على نوع التعاقب
لانه جمال احسنكم شهرة تقتضي اجتماع الناس لرؤيتكم فتزدادون لها تعملا فأخاف عليكم
العين وأخاف عليكم التكبر والخيلاء فيهلك ما دنياكم أو دينكم (وادخلوا من أبواب
متفرقة) وان كان نوع هذه التفرقة بينكم فاعظم من التفرقة الدينية لا تغير (وما أغنى
عنكم) اى لا ادفع بذلك (من الله من شيء) من الاهلاك الديني أو الدنيوي عما يتعلق
به من الاسباب أو بعضها اذ لا حكم لي بمعارض حكمه (ان الحكم الا لله) وغاية
ما يعنال معه التوكل عليه لذلك (عليه توكلت) في دفع الهلاك الديني والدنيوي عنكم
(وعليه فليتوكل المتوكلون) لا على الحيل والاسباب فلا يا والها من حيث ان لها أثرا اذ ليس
لها ذلك (و) الله تعالى وان جرت سنته بالفعل عندها لا يدوم اتفاق على مشيئته الله ان يفعل
بدونها او على خلاف مقتضاها لذلك (لما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) من الدخول من
الابواب المتفرقة (ما كان) امتثالهم أمره (يغني عنهم من الله من شيء) وان فروا عن
أسباب الاهلاك مع التوكل على الله لم يفدهم شيئا (الا حاجة في نفس يعقوب) أى
اعتقاده من ان الفرار من أسباب الهلاك واجب وكان تبليغ ذلك واجبا عليه فهو بأمره
اياهم (قضاها) لان ذلك مقتضى علمه بوجوبها وعلمه بفعل الله عندها ولو نادرا واجبا في حق
المتوكل عليه (وانه لذو علم) كامل لا دخل للكسب فيه فانما حصل له (لما علمناه) فهو
يعرف أسباب الهلاك مع علمه بعدم تأثيرها المانع من فعل الله عندها ولو نادرا فالاحتراز
عن الهلاك النادر واجب كالغالب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيتوهمون انه اعتبر
تأثير الاسباب ونقص بذلك توكله (و) هذا الامتثال وان كان لم يغن عنهم من الله من شيء
افادهم رفعة المنزلة عند أخيه وخلواته المستلزمة للرفعة عند الله لذلك (لما دخلوا على
يوسف آوى اليه أخاه) فانه نعم وارتفعت اخوته منعته اذ أجلسهم على مائدته حتى اجلس
كل اثنين على مائدة وبقي وحده يبكي على أخيه ثم أرفقه حين أرسل كل اثنين بيتا وقال له أتحب
ان اكون أخاك بدل أخيك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل (قال
اني انا أخوك) فاراد ارتفاعهم ثم رفع ما يتوهم معارضة رفعتهم من قصده السوء بهم
لاساءتهم به قال اى عامل بمقتضى الاخوة معك ومعهم (فلا تبتئس) أى فلا تحزن من
حزن الحزن على مجازاتهم (بما كانوا يعملون) فان اعمالهم التي بلغتنا هذه الرفعة فلا
يكون جزاؤهم سوى الرفع الى أعلى المراتب وهو ان أمنه واخوته من الحزن أرقمه واباهم
به فسره اذ قال ليوسف لا افارقك قال لا يتأتى ذلك الا بعد ان أشهرك بأمر فظيع لا تحتمله
قال لا ابالي (فلما جهزهم بجهازهم) أى سيرهم بعدة سفرهم بحيث لم يبق منها شيء يرجعون
اليه لاجله (جعل) لاسترجاعهم وامساك أخيه (السقاية) أى مشربة الملك من ذهب
مرصع بالجواهر جعلت صاعا يكال به الطعام اعزازه (في رحل أخيه) أى جملة متاعه
(ثم) بعد ما ساروا منزلا (أذن مؤذن) أى نادى مناد ينكره اذ لا غرض في تعريفه وذكره لئلا

وحل سنيمه على المرطوم
اى منصل لسمة اهل النار
اى يتوفر وجهه وان كان
المرطوم وذو الالوان قد
خص السمة فانه في مذهب

يتوهم عوده الى يوسف (أيتها العير) أي ياراكبي الابل والحمير التي تعير أي تجيء وتذهب (انكم لسارقون) أي ان فيكم سارقا فيسرى نوع به جميع من في صحبته واقاربه كانهم سارقون وهو من المعاريض لانهم سرقوا يوسف حين القوه في البئر وباعوه (قالوا و) لم يكن قولهم حال ادبارهم على قصد ان يفروا بل قد (أقبلوا عليهم) اى على المؤذن واصحابه وان كان هو واصحابه بحيث لا يقاومونهم سائلين لهم (ماذا تفقدون) من الشئ العظيم الذى تنسب سرقته الى أمثالنا (قالوا نفقد صواع الملك) فانه وان كان هينا بكونه صواعا عظم لنسبته الى الملك مع انه كان سقايته من ذهب مرصع بالجواهر (و) لعظمته الجعل (لمن جاء به حمل بعير) من الطعام في ايام الغلاء (و) هو وان كان على الملك بعسر مطالبته (انا به زعيم) اى ضامن (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم) مما لاح لكم من دلائل صلاحنا وامانتنا الموجبة تعظيمكم ايانا (ما جئنا لنفسد في الارض) بوجه من الوجوه (و) على الخصوص (ما كنا سارقين) في زمن من الازمنة (قالوا) اى المؤذن واصحابه ان كان فيكم السارق (فما جزاؤه) بل فما جزاء كذبكم (ان كنتم كاذبين) في دعوى البراءة (قالوا جزاؤه) اى جزاء السارق وهو (من وجد في رحله) وان زعم انه اعطاه غيره أو دسه في رحله من غير شعور منه (فهو) أى استرقاقه سنة (جزاؤه) كانه صار جزاء نفسه وذلك لانه لا يختص هذا بالسارق الحقيقي بل (كذلك نجزى الظالمين) فأخذ المؤذن في التفتيش (فبدأ بأوعيتهم) أى بتفتيش أوعية غيره حتى فتشها جميعا (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) اذ لو بدأ به لقيل انه الذى أدرجها فيه (ثم استخرجها من وعاء أخيه) وان كان فيه خزيه من اضافته اليه وليس هذا كيدا مذموما لانه (كذلك) اى مثل ما كاد يوسف لاصالة أخيه كاد اخوة يوسف لتغييبه وان كان نافعاله بحيث ينسب المنافع فقال (كدنا ليوسف) اذ القاه اخوته في الجب وباعوه وجعلته امرأة العزيز في السجن وانما لم يترك في حق اخيه قاعدة الملك تضمين السارق مثلى ما سرق لانه (ما كان ليأخذ أخاه) بحيث لا يفارقه اصلا لو عامل بما (في دين الملك) كيف وفيه تسوية بينه وبين سائر الناس فلا يفعله (الا ان يشاء الله) التسوية بينهم لكن (نرفع درجات من نشاء) فنميزه من سائر الناس ولو بالتشديد على نفسه ومزيد الخزي في حقه باسترقاقه سنة وانما أراد رفع درجة أخيه بهذا التميز لما رفع الله درجته بالعلم وقد علم ان الحر يستحق من الحد والتعزير فوق ما يستحقه العبد وهذا بحسب ظاهره ما نسب اليه من السرقة وبحسب الباطن قصد انما كملوا مزيد التلطف به وهذا من مزيد علمه (وفوق كل ذى علم عليم) مالم يتسمه الامر الى الله الذى لا يتنكر عليه (قالوا) رفع الخزي عن أنفسهم (ان يسرق) فيما بيننا اورد لفظ الشك لاحتمال دسها في رحله من غير شعور منه كالنعل بضاعتهم فليست هذه السرقة مما أخذناها حتى يلحقنا الخزي بل من أخيه الهالك (فقد سرق أخ له) نكره وتحقيرا له بكونه نكرة لا يعرف وبسرقته خبا وطعام المائدة للفقراء (من قبل) فتعيابها منه (فأسرها) اى تلك الكلمة المرادبها (يوسف في نفسه) فانه هو

الوجه لان بعض الوجه يؤدى عن بعض (قوله سبحانه) سقاطو بلاى منصرفا فيما تو بلته ولك في المهار مانقضى حوانها

(ولم يبدها) أى لم يظهرها (لهم) لا قولا ولا فعلا وان (قال) لهم (أنتم شر مكانا) أى
مرتبة فى السرقة لانه قصد بها الخير وانتم قصدتم بسرقة يوسف الشر وان افضى الى الخير
(والله أعلم بما تصفون) به انفسكم من البراءة هل حصلت بعد ذلك ام لا انتم لما أيسوا له
الخلاص من الخزى بقوله انتم شر مكانا احتالوا القطعه ولم يقطع من اصله حتى (قالوا يا أيها
العزيز) مقتضى عزتك ان يستوى عندك امساكه واطلاقه مع ان الاولى اطلاقه لما فيه
من رعاية أبيه الذى هو أولى بالرعاية من السياسة (ان له أبا) كأنه يختص ابوته به لمزيد
شفقته عليه وكيف لا يكون اولى بالرعاية مع كونه (شيخا كبيرا) فى العلم والديانة فان
راعيت مع ذلك السياسة (فخذ أحدنا) بدله لتجعله (مكانه) وكأنه لما لم يسع المكان
الواحد اثنين كان محل تبدلهما فاطاق على تبدلهما وليس اخذه ظلما عليه لانه لما كان برضاه
وشفاعة الباقين لمزيد اعتناء أبيه كان به احسانا على الباقين وعلى ابيهم (أنا نراك) بهذا الفعل
(من المحسنين قال) كيف اكون محسنا بترك حد الله على السارق ونقله الى البرىء بل الترمت
(معاذ الله) اى موضع الاستجارة منه من (ان نأخذ) فى جزاء السرقة الذى هو حدها احدا
(الا من وجدنا متاعنا عنده) فانه وان لم يكن دليلا قطعيا على سرقته يجب العمل بها لافادته
الظن بحيث يكون تارك العمل به ظالما (انا اذا لظالمون) ولم يزالوا يطلبونه بحيل حتى أيسوا
كلهم وطلبوا اليأس منه (فلما استيأسوا منه خلصوا) من توهم تخليصهم منه حال كون كل
واحد منهم (نجيا) اى مشيرا الى صاحبه فى خلاص نفسه عن لوم ابيه (قال كبيرهم) فى
العقل لا خلاص من لوم الاب (ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا) اى عهدا وثيقا صادرا
(من) القلب الناظر الى (الله و) لم تعلموا ما حدث منكم عليه فاللوم مستمر (من قبل) وهو
(ما فرطتم) أى قصرتم (فى) ايصال (يوسف) الى ابيكم بعدما استأمنكم (فلن أبرح الارض)
اى لن افارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بعبارته اذ يترك الميثاق (أو يحكم الله لى) بتخليص
اخى (وهو خير الحاكمين) فى التخليص من الحبس ولكن ملازمة الجميع بأرض مصر أشد على
ابيكم (ارجعوا الى ابيكم) تخفيفا للامر عليه مع الاكتفاء بوفاء كبيركم بميثاقه (فقولوا
يا أبانا) لا تغضب علينا ان لم تنظر الينا بعين المحبة لم تنقض ميثاقك فى اتيان ابنك بل لم يمكنا
اتيانه لان العزيز اخذه (ان ابنك سرق) صواع الملك فامسكه العزيز وما لنا معه قوة ولا
حيلة (وما شهدنا) على ابنك بالسرقة (الا بما علمنا) من رؤية اخراج الصواع من رحله
(و) نحن وان التزمنا حفظه (ما كنا للغيب) أى لما غاب عنا من سرقته (حافظين واسأل
القرية) أى أهلها (التى كنا فيها) بارسال من يعتمد عليه اليها فانها مشتهرة فيها (و) ان لم
يمكن الارسال اليها اسأل (العير) أى ركبها (التى أقبلنا فيها) فانهم سمعوا أهل تلك
القرية (و) لو لم تسأل لظهر لك أيضا صدقنا (انا لصادقون) الملازمة بعض الاخوة تلك
الارض رعاية لميثاقك (قال) ما أمسك بتلك السرقة (بل) باظهاركم حكم الامساك فى

وقرئت سبخا بالخاء المعجمة اى سعة يقال سبخ عنى قلبك اى وسعه ونفسه والتسبيخ التخفيف ايضا

دينا اذ (سولت لكم أنفسكم أمرا) بأن لكم دينا أكمل من دين الملك فأظهرتموه لمن لم يلتزمه ليضركم فاذا وقع مثله (فصبر جميل) فكيف لا يحمل مع ان الامر اذا بلغ غاية الشدة يرجى الفرج والصبر مفتاح الفرج (عسى الله أن يأتيني بهم) أي يوسف وأخيه والابن الكبير (جميعا) فيذهب أحزانهم مرة واحدة (انه هو العليم) بحالي وحالهم (الحكيم) في تشديد الامر لينظر مقدار الصبر فيعيض بقدره الاجر ومن الاجر المجمل تعجيل الفرج وفعل يوسف هذه الامور مع ما فيه في الظاهر من العقوق وقطع الرحم لكنه نظر الى العواقب الباطنة وقد قصد بايقاع الحزن على اخوته تخفيف عتاب الله عنهم بعد عفوه (و) لما اختار الصبر (تولى) أي أعرض (عنهم) لان مقاولتهم ربما توقعه في الشكوى اليهم (و) لكن ذهب بذلك تسليته حتى (قال يا أسفى) وهو شدة الحزن والحسرة ناداه لكونه كالطالب لذهاب تسليته (على يوسف) ولم يلتفت الى اخويه لعلمه بحالهما دونه (و) قد بلغ أسفه الى حيث (ابيضت عيناه) بذهاب سوادهما من خروج الماء الذي به السواد والبصر (من الحزن) السابق على التولي واللاحق وكان لا يبصر ست سنين من الحزن السابق فاذا انضم هذا الاسف الى ذلك الحزن (فهو كظيم) اى مملو من الحزن بحيث ضاق عليه النفس (قالوا تالله) تعجبا من دعواك الصبر مع انك (لا تفتؤ) اى لا تزال (تذكر يوسف) باللسان والقلب فتزداد أسفا عليه (حتى تكون حرضا) اى دنف الجسم مخبول العقل (أو تكون) ميتا (من الهالكين) بالكلية (قال) هذا الحزن والذكر لا ينافي الصبر لانه ترك الشكوى الى الخلق وانا (انما أشكو بثي) ما انتشر على اللسان من صعوبة الحزن الذي لا يمكن اخفاؤه (وحزني) الذي اخفيته (الى الله) ليزيل عني الشكوى ويرحمني (وأعلم من الله) لمن شكا اليه من ازالة الشكوى ومزيد الرحمة (ما لا تعلمون) مما يوجب حسن الظن به وهو مع ظن عبده به فليس ذكري ليوسف لاني أكون حرضا أو هالكا ولما علم من شدة البلاء مع الصبر قرب الفرج قوي رجاؤهم فقال لهم (يا بني اذهبوا) لطلب يوسف وأخيه (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى اطلبوا بحس السمع قصتهما وبحس البصر مكانهما وبحس الشم روائحهما وفي الحاق الاخ بيوسف اشارة الى تقوية رجائهم من كونهما عند الله سواء (ولا تيأسوا) ببعد امد يوسف والجهل بمكانه (من روح الله) اى رحمته المريحة من الشدة (انه لا ييأس من روح الله) لم يقل منه ليشير الى ظهور حصوله لمن لم ييأس ولم يقل من روحه ليدل على انه مقتضى جمعيته (الا القوم الكافرون) بقدرته على افاضة الروح بعد مضي مدة في الشدة وسنته في افاضة اليسر مع العسر سيما في حق من أحسن الظن به ثم ان أباهم وان أرسلهم لتحسيس من يوسف وأخيه لم يذهبوا الا بل انما ذهبوا الطلب الطعام (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) مقتضى عزتك اعزاز الواردين عليك سيما من ذل من اعزتهم ومن ذلنا انه قد (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقر والجوع (و) يدل عليه بضاعتنا اذ (جئنا ببضاعة مزجاة) يدفعها السوق لردا ءتها قليل

يقال اللهم سبح عنه الحمى اى خفف (قوله عز وجل) سأرهقه صعودا اى سأغشيه مشقة من العذاب

كانت صوعا وانقطاع قبل سويق المقل وقبل الادام النعال قبل خلق الغرائر والحبال وقيل حبة الخضراء فاذا تحقق ذلتنا بفقرنا مع عزتك وغنالك (فأوف لنا الكيل) توفيتك لاهل البضاعة المرغوبة (وتصدق علينا) باعطاء الطعام فى مقابلة ما لا يعد عوضا (ان الله يجزى المتصدقين) فيعطيهم فى الآخرة ماهو خير من العوض الدنيوى (قال) يوسف تريدون دفع الضرر العاجل بوعد الاجر الآجل ولا تدفعون عن أنفسكم الضرر الآجل كأنكم تذكرونه (هل علمتم) ضرر (ما فعلتم بيوسف) من القائه فى الجب وبيعه بثمن بخس وغيرهما (وأخيه) من التفريق بينه وبين أخيه وايذائه كلما ذكر أخاه (اذ أنتم جاهلون) بضرر تلك الافعال فى الدارين (قالوا) هذا لا يعلمه الا يوسف أو من سمع منه لكن رؤياه تقتضى انه هو (أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف) الذى فعلتم به ما فعلتم مع ما تشاهدون من انعامى بكم (وهذا) الذى توهمتم انى أمسكته استرقاقا (أخى) أمسكته محبة لفصل مقصود به قرب من الامر بالتفتيش وان لم تقصدوه (قد من الله علينا) على بالسلامة من غوائلكم وبالجمع بينى وبين أخى واعطاء العلم والملك وعليكم بتبديل قصدكم الشر الى الخير لكن منته على أعظم من منته عليكم اذ وقانى من الزنا وصبرنى على السجن بتركه حتى صرت مستحقا لهذا الاجر الدنيوى مع أجر الآخرة (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا) من افراط تعجبهم بحاله (تالله لقد آثرك الله) أى اختارك (علينا) اذ أعطاك التقوى والصبر والعلم والملك حتى تذللنا لك بعد اذلالنا اياك وكفى بذلك أجرا دنيويا والا على الاخروى (وان كنا) أى وانا كنا فى اذلالنا اياك (لخاطئين) اذ أوصلناك الى غاية العزة وبقى الاثم علينا وكفى به دليلا على ايثارك علينا (قال لا تثريب) أى لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع (عليكم اليوم) وان كنتم ملومين قبل ظهور منتهى فعلكم ولا اثم عليكم اذ (يغفر الله لكم) حق رضاى عنكم (و) حقه اذ (هو أرحم الراحمين) فكأنه لا خطأ منكم على ان ايثار الله اياى موجب لرحمته عليكم كأنه يرحم أبى بوصول قميصى اليه فيرد عليه بصره (اذهبوا) أمر الجميع بطريق فرض الكفاية الساقط بفعل البعض (بقميصى) الذى يحصل رائحتى ونورى (هذا) الذى جاء به جبريل من الجنة فيه روحها ونورها الى ابراهيم حين ألقى فى النار ليقيه حرها وكان من خواصه انه اذا ألقى على مريض شفى (فالقوه على وجه أبى) ليتروح ويستنير بما فيه من روحى ونورى مع روح الجنة ونورها (يأت) أى يأتنى (بصيرا) يحصل له من النور المعنوى النور الحسى (و) لا تفرقوا بينه وبين سائر أهله لينتقص ذلك من بصره شيأ بل (أتونى بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير) أى ولما انفطمت الركب عن بيت مصر (قال أبوهم) لاشتياقه الى لقاء أولاده سيما يوسف واستظهاره لروح الله (انى لأجد ريح يوسف) حملته ريح الصبا من مسيرة ثمانين يوما أى يظهر لكم (لولا أن تفندون) أى تنسبونى الى الخرف وضعف الرأى (قالوا تالله) لا ريح ههنا لكن لافراط حبك يوسف تتخيل ريحه (انك لفى ضلالك

والصعود العقبة الشاقة (قوله عز وجل سلككم) أى أدخلكم فيها (فى سقر) (قوله عز وجل سلسبيلا) أى سلسة لينة سائغة (قوله

اى تحيرك (القديم) ولم يزل يتردد وما يتقوى به قوى رأسه الى حين وصول حامل القميص
(فلما) ثم استرواحه (أن جاء البشير) أى المخبر بما يسر من أمر يوسف وهو يهوذا ليفرحه
بدل ما أحزنه بمجيء قميصه بدم كذب وانما أكله الذئب (ألقاه على وجهه) المسترّوح به
ليصل اليه نور بعده وصل اليه روحه (فارتد بصيرا) بما ذكرنا (قال) للقائلين الملقى
ضلالك القديم (ألم أقل لكم انى أعلم من الله) من قدرته على ايصال الروح ورد البصر
المعدوم الدال على رد الغائب بطريق الاولى و رحمته وروحه (ما لا تعلمون) وقد وجدت
مقدمة ذلك فكذبتمونى ونسبتمونى الى الخرف وضعف الرأى (قالوا يا أبانا) انا أخطأنا
بنسبة الضلال القديم اليك وبما فعلنا فى يوسف لكانعلم انه يعفوعنا ولكن لايذهب بذلك
حق الله (استغفر) الله (لنا ذنوبنا) التى بيننا وبينه (انا كنا خاطئين) فيها وان أدت الى الخير
(قال سوف أستغفر لكم ربى) وقت السحر وقيل ليلة الجمعة وكان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة سبعا وعشرين سنة وقيل سحر ليلة الجمعة ليلة عاشوراء (انه هو الغفور) لمثل هذه
الكبائر (الرحيم) بأربابها وصرحوا بالذنوب دون اقله لزيد اهتمامهم بها كأنهم لايرون
اقترانها مع الصفات الرحمة وضدها اذ غلب عليهم النظر الى قهره وصرح بذكر الرب درد
الذنوب اذ لا مقدار لها بالنظر الى رحمته التى ربى بها الكل وهم وان غفر لهم ورحموا
لم يحصل لهم من القرب بمنته الموجب للقرب من الله ما حصل لابويه (فلما دخلوا على
يوسف) حين ساروا الى مصر فاستقبلهم الى بيته مع الملك الوليد بن الريان (آوى) أى
ضم (اليه أبويه) يعنى أباه وخالته ليعانقهما بما يقتضى مزيد شوقه اليهما لبعده عنهما
عنه ومزيد قربهما من قلبه (و) لكن من آثار الغفران والرحمة لم يبعدهم بالكلية بل (قال)
لهم (ادخلوا مصر) وللملك معهم فى المرة الاولى مع تعظيمهم قال لهم الآن (ان شاء الله
آمنين) من مكرى ومؤاخذتى اياكم على ما فعلتم بعد تمام تمتع بيدى ومن الاهانة (و) لكن
مع ذلك (رفع أبويه) حين دخلوا مصر وهناك عرشه (على العرش و) لكنهما شاركا الاخوة
فى تذللهم الاختيارى اذ (خروا له سجدا) على نهج التكرمة وكان جائزا ثم نسخ حين
اتخذوا من دون الله أربابا وليس المراد الانحناء لان الخرور تعفير الجباه وليس فيه لقوله
له (وقال يا أبت) لست فى مكان التذلل وكذا اخوتى ولكن (هذا تأويل رؤياى) سجود
احد عشر كوكبا والشمس والقمر وان كانت (من قبل) باثنتين وعشرين أو خمس أو ست
وثلاثين أو أربعين او سبعين أو ثمانين سنة (قد جعلها ربى) من حسن تربيته اياى بعدما كانت
سبب ابتلائى فى الظاهر (حقا) مطابقا للواقع فى الحس (و) هو وان أهاننى حين أخرجنى من
الجب بالعبودية (قد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن) فجعل الملك مطيعا الى مؤمنا بى مفوضا
الى خزائن الارض وقد كان كله بسبب تلك العبودية بعد الالقاء فى الجب حتى انتهى به الى هذه
الحالة التى صدق فيها رؤياى (و) قد أحسن بى و بكم اذ (جاء بكم من البدو) اذ زال العداوة
التى كانت بينى وبينكم (من بعد ان نزغ) أى افسد (الشيطان) فأوقع العداوة

تعالى ساهرة) يعنى وجه
الارض وسميت ساهرة لان
فيها سهرهم ونومهم واصلها
مسهورة ومسهور فيها

(بين وبين اخوتى) فقصدوا اهلاكى فجعله التسبب وصولى الى هذه المراتب (ان ربى لطيف) أى خفى التدبير (لما يشاء) من الخير بأسباب الشر و بالعكس (انه هو العليم) بخفايا الاسباب (الحكيم) فى ترتيب الامور على الاسباب الظاهرة تارة والخفية أخرى (رب) اى يامن ربانى بلطف التربية (قد آتيتنى) به (من الملك) الذى ظاهره ان يكون من اسباب الفساد مع صلاحية كونه من أسباب الكمال الحقيقى (و) قد جعلت لى ما جعله من اسباب الكمال الحقيقى اذ (علمتنى من تأويل الاحاديث) فيسهل عليك ان تعلمنى معانى المرسومات التى تظهر صورها فى الآخرة فاذا لم يكن فى ذلك فلا يتعسر عليك لكونك (فاطر السموات والارض) ولا يبعد عليك الجمع بين الامرين فى حقى اذ (أنت وليى فى الدنيا والآخرة) وانما خاف من الدنيا ان تصير حجابا و يزيله الاسلام والصلاح (توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) وهو وان كان نبيا لا يأمن من مكر الله سيما وقد حصل له الملك الذى مكر به على الجمهور (ذلك) النبأ البعيد درجته كماله فى جميع ما لا يتناهى من المحاسن والاسرار حتى صار معجزا (من أنباء الغيب) الذى غاب عنك وعمن جالستهم وعن الكهنة والمنجمين فهو مما (نوحيه) من مقام علم متشابه بعد شىء باعتبار عدم تناهى ما فيه (اليك) ايها المخبر فى نفسه الداعى الى الخيرات فى العموم فيدل خوارقك على صدقك وكيف لا يكون غيارما سمعته من احد (وما كنت لديهم) اى عند اصحاب هذا النبأ (اذ اجمعوا) اى عزموا (امرهم) اخوة يوسف على القائه فى الجب وزليخا على نعاهار يوسف على امساك اخيه (و) لو كنت لديهم ما اطلعت على امرهم اذ (هم يمكرون) اخوة يوسف على اخراجه من ابيه وتلطيخ قميصه وبكائهم وزليخا فى حبسه و يوسف فى تهمة اخيه بالسرقة وانما اوحى اليك هذا المعجز ليؤمن بك الناس فيسعدوا على الابد (و) لكن (ما أكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم واسعادهم بتكثير الدلائل والمعجزات (بمؤمنين) وان علموا أن فيه سعادتهم الابدية (و) لا ينتقص من سعادتهم الدنيوية اما المال فلانك (ما تسئلهم عليه من اجر) واما الجاه فلان الايمان مانع من الرق والجزية فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (ان هو الا ذكر) أى ما هو الا شرف (للعالمين) ولتحصيل الشرف والسعادة لهم كثر آياته فى السموات والارض (و) لكن لا ينظرون فى ذلك اذ (كأين من آية) أى كم آية (فى السموات والارض) مما يدل على وجود الصانع وصفات كماله واسمائه وافعاله (يمرون عليها) مرورا يتيسر النظر معه (وهم عنها معرضون و) ان التفتوا الى شىء منها فآمنوا لكن (ما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) به بعض آياته باعتقادهم ان له تأثيرا فيه يستحق العبادة لظهوره بالالهية فيه (ا) لا يبالون بهذا الاشراك (فأمنوا ان تأتيهم غاشية) أى نقمة تحيط بهم (من عذاب الله) بدل سعادتهم بتوحيده (أو) أمنوا اتيانهم فى الدنيا مع من آمن ان (تأتيهم الساعة) فان زعموا انها مشروطة بسبق اشراطها فهل أمنوا اتيانها (بغتة) أو أمنوا وقوعها بعد اشراطها (وهم لا يشعرون) بكونها اشراطها فان زعموا ان اخفاءها يكون

(قوله عز وجل مقرنين) يعنى
الساهرة أرض القيامة
أى مرضية ويقال
فاعله كالليل عيشة راضية
نصرف من مفعوله الى

لهم عذرا (قل) انما يكون عذرا ولو لم يكن لكم سبيل الى معرفتها لكن (هذه) الدلائل (سبيلي) الى تعريفها اذ (ادعو) الناس من دلائلها على توجيه ثوابها او تخويف عذابها (الى الله) المنيب المعاقب فيه الأبالانتقال عما خلا عنه الى ما أحاط به بل بالكون (على بصيرة) فيه بعد العمى عنه ولا يختص بي حتى لا يكون حجة اذا كون عليها (أنا ومن اتبعني) ورؤية الكثير حجة على العمى (و) لا مانع من اتباعي في ذلك اذ لا ادعي الالهية بتقوى بهم هذه البصيرة من تجليه لقلبي بل أقول (سبحان الله) من ان يظهر بالالهية في شيء والا كان المظهر شريكه (وما أنا من المشركين و) لا يشترط فيها التجلي المفضي الى دعوى الالهية فانه (ما أرسلنا) للدعوة الينا (من قبلك الا رجالا) لم يخرجوا من الانسانية الى دعوى الالهية بل غاية كمالهم انه (نوحي اليهم) ولم يشترط فيهم الاعتزال عن الناس بل كانوا (من أهل القرى أ) ينكرون رسالتهم مع دلالة اهلاك منكرها لعدم رؤيتهم قراهم (فلم يسيروا في الارض) التي ارسلوا فيها فانكر عليهم أهلها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا عليهم (من قبلهم) فهي دليل صدقهم ولا يبطل هذه الدلالة حصول مثلها لبعض المتقين تكميلا لثوابهم وتعريضا للغير عن الادنى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أ) لا يميزون بين ما يترتب على التقوى عما يترتب على التكذيب (أفلا تعقلون) كيف وانما أهلكوا عندما بالغوا في الانكار (حتى اذا استيأس الرسل) أي طلبوا منهم اليأس عن ايمانهم بتكثير الدلائل عليهم (و) لا أقل من ان (ظنوا انهم قد كذبوا) أي مضى بحيث لا يرجى عودهم الى التصديق (جاءهم نصرنا) بالانتقام من اعدائهم فان كان فيهم متقون (فنجي من نشاء) منهم ليدل على التمييز ولا يتم الانجاء لئلا يفضي الى الالجاء (و) لكن لا يبطل به التمييز اذ (لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) حتى انه يصيب من خرج عن مكانهم فان زعموا ان الاقتصاص ليس من الدعوة في شيء قيل لهم (لقد كان في قصصهم) ما يؤثر فيها اذ فيه (عبرة لاولي الالباب) اى الناظرين الى لبها وانما يتأتى العبرة كذبها لكن (ما كان) المعجز (حديثا يفترى ولكن) يكون مع صدقه في نفسه (تصديق الذي بين يديه) من الكتب التي لا اعجاز فيها (و) ان زاد عليها كان (تفصيل كل شيء) اجمل فيها (و) ان لم يكن فيها اصلا كان (هدى) يزيد قوة نظرية (ورحمة) يزيد قوة عملية (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فيه ويعملون بمقتضاه • تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

•(سورة الرعد)•

سميت بها لما فيها من قوله عز وجل ويسبح الرعد بحمده الدال على الصفات السلبية والثبوتية مع الاخبار عن الامور الملكوتية ومع كون الرعد بامعه التخويف والترجية وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بجمعيته في آيات كتابه حتى اتصفت بالكمالات الآتي ذكرها (الرحمن) بجعل كل كتاب بقدر استعداد المرسل عليهم (الرحيم) بانزال هذا الكتاب الجامع

كمالات

الانكة الذين يعرفون بين الله وبين أنبيائه واحدهم ساقور يقال سفرت بين القوم اذا سعيت بينهم بالصلح جعلت الانكة

كمالات من تقدم عليه (المر) أي آيات لباب مجامع الرحمة أو أعلى لوامع مراتب الرحمة أو أنوار لوامع المعارف الربانية أو أسرار لطائف مكامن الرشد (تلك آيات الكتاب) أي آيات كل كتاب أنزل على من قام بالباب بمجامع الرحمة على أمته أو أعلى لوامع مراتب ... أو أنوار لوامع معارفهم وأسرار لطائف مكامن رشدهم (و) الكتاب (الذي أنزل إليك) يا أكمل الرسل (من ربك) الذي هو أجمع الأسماء المنزلة لتلك الكتب هو الجامع لجميع ما فيها أحق أنه (هو الحق) أي الثابت الذي لا يتبدل ... الى ما هو أجمع فيجب أن يؤمن به كل من آمن بأحد تلك الكتب (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) ولا يبعد من الله اعطاء هذه الفضائل لأخص كتبه ثم تفضيل البعض الآخر عليه اذ (الله) هو (الذي رفع السموات) فجعلها أعلى مراتب الرفعة وجعل رفعتها (بغير عمد) لتثبت الرفعة الذاتية لمستجمعة لوامع المعارف الربانية وبذلك تحريكها للتفصيل بجامع الرحمة وجعل المستقر في الى (ترونها) ليدل على أن الاعتماد ... لطائف مكامن الرشد (ثم استوى على العرش) الذي هو أرفع من السموات والمعارف الالهية ... وهو مستوى اسمه الرحمن وهو أجمع لجامع الرحمة وهو اسم ... لطائف مكامن الرشد (و) لا يبعد من الله تنزيل هذه الكتب مع هذه الرفعة والتفاوت ... أنوار لأنه (سخر الشمس والقمر) والتسخير لا ... مع أن ... في الشمس أتم وأحدهما أرفع من الآخر وقد جعل لطائف مكامن الرشد ... على كمال حكمته ولا يبعد أن يكون لكل كتاب أجل مسمى فإنه كأجل طلوع الشمس والقمر (كل يجري لأجل مسمى) لأنه مقتضى التدبير وهو ... الكتب (يدبر الأمر) أي أمر الدين كما يدبر بالشمس والقمر أمر الفصول ... كما ... الأزمنة بالشمس والقمر (يفصل الآيات) حسب الاستعدادات (لعلكم) تنالون لباب مجامع الرحمة وأعلى مراتب الرفعة ولوامع المعارف وأسرار الرشد إذ (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) تريد التفصيل وهو من هذه الفضائل (و) كيف لا توقنون بلقائه مع أنه كثر انعامه عليكم إذ (هو الذي مد الأرض) لاخراج النعم الكثيرة منها (و) جعل ... (وجعل فيها رواسي) ... (و) بسط آثارها في جميع الأرض إذ جعل (أنهارا) ... لتكثير النبات والأشجار لتكثير الحبوب والفواكه (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين) أي صنفين (اثنين) ... وحلو لئلا ... فائدة لا ... كل صنف نعمة ... الانعام بأصول الأصناف وجعل لاتمام الانعام ... المختلفة الطبائع لئلا يجتمع ... متضادة أو ... مختلفة إذ (يغشي الليل النهار) فبطول الليل يحصل الشتاء وبطول النهار يحصل الصيف وباعتدالهما يحصل الخريف وبالآخر الربيع (إن في ذلك لآيات) على إنعام الله (لقوم يتفكرون) يعلمون أن تكثير النعم لطلب محبة المنعم ... الى ما خلقت من أجله والا كانت موجبة للنقم ... والمحبة موجبة للرجوع اليه والاتمام ... لا يكون ... الظاهر أن هذا التدبير للعبودية دون التدبير بإنزال الكتب الباطنة وهو أولى بالرجوع ...

اذا ارتقت لوحي الله عز وجل ... وادنيه كالسمير الذي ... من القوم وقال ابو عبيدة ... سورة كمية واحدهم ... أوله عز وجل والسماء

كما مد الارض مد العلوم وكما جعل فيها رواسى جعل فى العلوم علوما راسية هى علوم الشرعية وكما جعل فيها أنهارا جعل فى القلوب أنهار الكشوف وانه كما جعل فى الثمرات زوجين اثنين جعل فى منازل القرآن أحوالا ومقامات وانه كما يغشى الليل النهار يغشى ظلمة البشرية نور التجلى وكل ذلك للعلم بالله فان أخل بذلك فلا بد من السؤال عنه بالرجوع اليه ثم أشار الى انه لا يحتاج فيه الى هذه المقدمات بل يكفى فيه العلم بكمال القدرة والاختيار (و) قد ظهر ذلك (فى الارض) التى هى عنصر واحد (قطع) مختلفة لا بحسب اختلاف مطارح شعاعات الكواكب اذ هى (متجاورات و) فى كل قطعة يختلف النبات اذ فيها (جنات من أعناب وزرع ونخيل) فان اسند ذلك الى اختلاف المواد فلا يتأتى فى اختلاف النخيل لانه (صنوان) وهو ما تعدد منه من أصل واحد (وغير صنوان) ولو كان لاختلاف المادة أثر لعارضه أثر اتحاد المادة وهو الماء لكن لا يعارضه اذ (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) مع ان مادة الماء أكثر من مادة الاصل (ان فى ذلك لآيات) على قدرة الله واختياره وحكمته (لقوم يعقلون) فيه تعريض بالفلاسفة المدعين كمال العقل مع نفيهم الاختيار (وان تعجب) أيها المتعجب من شئ (فعجب) عظيم (قولهم) بعد ظهور القدرة والاختيار والحكمة فى البعث (أئذا كنا ترابا) نبعث بعد العدم (أئنا لفى خلق جديد) مع انه لم يأت به دور من أدوار الفلك (أولئك) انما بعدوا عن الحق لانهم (الذين كفروا بربهم) القادر المختار الحكيم (و) جعلوه مضطرا الى استعمال الاسباب السماوية بحيث يكون بدونها مغلول القدرة وقد غلوا أفكارهم عن النظر فى هذه الامور ولذلك كان (أولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك) لقولهم بتعجيز الله عن احداث دور يكون فيه ذلك على تقدير التوقف على الاسباب وهو موجب لغضبه (أصحاب النار) التى هى أثر غضبه ولا يحجبهم تأثير الاسباب بحيث يوجبون افناء النار ما دام البحث لا يكون لله معارضة لذاته ولا بسبب (هم فيها خالدون) ليظهر فعله على خلاف مقتضى الاسباب (و) قد بلغوا من اعتقاد عجز الله عن تعذيبهم الى حيث (يستعجلونك بالسيئة) أى العذاب على الكفر (قبل الحسنة) أى الثواب على الايمان اذ يريدون ان يؤمنوا بعد ذلك العذاب فينالوا الحسنة مع انه اليس ثم الا زمن من اضطرار وانما هى للمختار فيه أينكرون العقوبة على الكفر (وقد خلت) أى مضت (من قبلهم المثلات) أى العقوبات التى يضرب بها المثل فى الشدة (و) انما لم يعجل عقوبة غيرهم ليستدرج العادى عليهم (ان ربك لذو مغفرة للناس) أى الذين نسوا مثلات الاولين ليصبروا (على ظلمهم) ليظهر عليهم عزيد قهره وسلطنته كيف (وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا) انما يستعجل العذاب لنكرد آية ملجئة فان لم ينزل (لولا أنزل عليه آية) أخرى ملجئة ليعلم كونها بالضرورة (من ربه) فاجيبوا بأنه لا يليق التكليف مع الملجئة ويكفى الآية المنذرة (انما أنت منذر) لا معاقب فتأتى بالآية الملجئة التى تكون نفس المعاقبة أو مستلزمة لها كيف (و) آياتك انما تكون كآيات من تقدم

ذات الرجع) أى تبتدئ بالمطر ثم ترجع به فى كل عام وقال أبو عبيدة الرجع الماء وأنشد للمتنخل بيض السيف

غايتم الافادة الهداية اذ (لكل قوم هاد) فان زعموا ان الآية الغير الجلية انما هي كالدليل العقلي فليكن كافيا اجيبوا بانه انما يكفي في بعض الامور دون غيره أمور لا يطلع عليها الا الله أو من أطلعه عليه بالكشف فمن المحاسن والقبائح ما يخفى حسنه وقبحه خفاء الحمل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) في الصفات ما ينقص نجسه الله وما يزيدها وهي مثل (وما تغيض) أي تنقص من أجزاء الولد (الارحام وما تزداد) من أجزاء الولد (و) لابد من هاد يبين مقادير الثواب والعقاب بامن عنده اذ (كل شيء عنده بمقدار) فيطلع عليه من يبعثه للهداية ليشعر بتقدير مقاديرهما بل الثواب والعقاب من الامور الغيبية التي لا يطلع عليها العقل وانما يطلع عليها الله لانه (عالم الغيب والشهادة) ولابد من وقوعها لانه (الكبير) فيقتضي كبره كبر جوده وقهره ولا يكون جوده وقهره مثل ما يكون من غيره لانه (المتعال) عن حد المخلوقين فيكون طاعته وعصيانه فتتضمن الامور جوده وقهره ولقد اليه تعالى ... عن ان يخفى عليه ... بل (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به و) تعالى بصره عن أن يخفى عليه مبصر بل سواء عليه (من هو مستخف) أي طالب الخفاء (بالليل) الذي هو وقت الظلمة ليزداد خفاء (وسارب) أي بارز (بالنهار) الذي هو وقت الظهور ليزداد ظهورا فالاماتة من الجود والقهر من جهل ولا عجز وقهره يقتضي عظمته بلا مانع وان أوجب أخذ العاصي حال العصيان لكن (له معقبات) أي ملائكة تؤخر قهره (من) طاعات جعلها (بين يديه و) طاعات يتوقع منه (من خلفه) وليسوا مما يمنعون ارادته قهره بل غايتهم انهم (يحفظونه) حفظا صادرا (من أمر الله) من أجل الطاعات الماضية أو المستقبلة ولا يقتضي ذلك دوام الحفظ بل ما دامت الطاعة الماضية باقية الاثر والمستقبلة متوقعة فاذا ازال ذلك بطل الحفظ لذلك (ان الله لا يغير ما بقوم) من عافية ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الخصلة التي من أجلها الحفظ كيف ولا يمكن للملائكة الحفظ عند ذلك لانه وقت ارادة الله قهره (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) من جهة الملائكة بالحفظ مع اقتضاء عظمته قهر العاصي في الحال بلا مانع ولا من غيرهم كيف وحفظهم فرع موالاتهم (و) عند ارادة الله السوء بهم (ما لهم من دونه من وال) يلي أمرهم مع الانعارض الارادة الالهية مع كونهم من دونه ولا يبعد من الله ان يأمر الملائكة بالحفظ مع اقتضاء عظمته قهر العاصي في الحال بلا مانع اذ (هو الذي) جمع بين القهر واللطف في أمر واحد هو البرق اذ (يريكم البرق) الخاطف من حفظ الابصار (خوفا و) تطمعون في اهتدائه الطريق (طمعا) أكمل وجوه الطمع فيه اذ (ينشئ) من أجل لمعانه (السحاب الثقال) وصف به لان السحاب لما كان جنسا كان في معنى الجمع (و) أتم وجوه طمع الهداية فيه انه (يسبح الرعد) أي ينزهه عن البخل ملتبسا (بحمده) على جوده (و) هذا الطمع لا يخلو عن القهر بمقتضى انه يسبح (الملائكة من خيفته) من ظهوره بالهيبة في الرعد والبرق (و) في البرق ماهو أبلغ في التخويف اذ (يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) من بين العصاة وغيرهم فيخاف الملائكة من قهره مع عصمتهم (و) الكفار لا يبالون بقهره بل (هم يجادلون

أ بعض كل رجع وصوب اذا ماماخ في تجتنل يعني (قوله عزوجل سوط) عذاب السوط اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب

فى الله) أى فى توحيده وعموم علمه وقدرته (وهو) لغاية عظمته بلا مانع (شديد المحال) اى المكايدة
فوق الاصابة بالصواعق واعلم ان السحاب هو البخار المنعقد والبخار هو الصاعد من أجزاء
مائية وهوائية فان قل واشتد الحر انقلبت المائية هواء وان كثر أو لم يكن فى الهواء حرارة
فان وصل الى الطبقة الزمهريرية تقاطرت الاجزاء المائية ان لم يشتد البرد وان اشتد فان كان
البرد قبل الاجتماع ومصيره حبات كبارا فهو الثلج أو بعده فهو البرد وان لم يصل الى الزمهريرية
فالكثير قد ينعقد وهو السحاب وقد لا ينعقد وهو الضباب القليل والذى لم يصل الى الزمهريرية قد
يتكاثف ببرد الليل فينزل أجزاء صغارا وهو الطل ان لم يجمد وان جمد فهو الصقيع أما الرعد
والبرق فمن الدخان الصاعد من أجزاء أرضية وحارية الى الزمهريرية مخالطة للابخرة يتكاثف
البخار وينعقد سحابا ويحتبس الدخان فى جوفه فيخرقه اما لصعوده لبقائه على حرارته
وهبوطه لتكاثفه بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان وتمزيقه للسحاب ومصاكته اياه صوت
هو الرعد ويشتعل الدخان بقوة التسخين لما فيه من مائية وارضية عمل فيهما الحرارة والحركة
فاقترب مزاجه من الدهنية يشتعل بأدنى شئ ولطيفه ينطفئ سريعا وهو البرق وكثيفه
لا ينطفئ سريعا وهو الصاعقة وهذا وان كان قول الفلاسفة فيجب أن يتطرق قولهم اذا
لم يخالف الكتاب والسنة واجماع الامة هل لهم فيه مستند سالم أم لا وكيف لا يشتد محاله على
من يجادل فيه وهم يقصدون بذلك ترك دعوته والانتقال الى دعوة غيره لكن (له دعوة الحق)
اى دعوة يقتضيها الرأى الحق اذ يتوقع منه الاجابة الى تحصيل المطموع والامن من الخوف
(والذين يدعون من دونه) لا يستحقون الدعوة اذ (لا يستجيبون لهم بشئ) من القول والفعل
استقلالا أو شفاعة فليس الباسط (الا كباسط كفيه الى الماء) يدعوه (ليبلغ
فاه) ولو سمع دعاءه وأجاب بالقول (وما هو ببالغه) اذ لا قدرة له على البلوغ ولو كان له قدرة
لم يجبه لانه كافر به (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ضياع اذا دعوا الله أو الاصنام
أو أحد الجمادات وانما يجيبهم الشياطين قولا أو فعلا وكيف يستحق غيره الدعوة وهى تذلل
(و) هم أذلة بالنظر الى الله تعالى اذ (لله يسجد من فى السموات والارض) من العقلاء الذين
هم أشرف خلقه فضلا عمن دونهم (طوعا) اذا انقاد هواهم لعقلهم (وكرها) اذا لم ينقد
ولا بد من الانقياد لارادته وهو السجود الباطن ويظهر ذلك فى الظلال (و) لذلك يسجد
ظلالهم) بالانبساط على الارض (بالغدو والآصال) الى خلاف جهة الشمس فلا تكون
ساجدة لها بل لربها فان زعموا ان فى الاشياء ما لا يسجد ظاهرا ولا يظهر له سجود فى الظل
كالسموات والارض (قل) كفى فى سجودهما كونهما مربوبين فسلهم (من رب السموات
والارض) هل هو الذى له يسجد من فيهما أم لا حتى يختص باختصاص الدعوة والسجود له فان
زعموا انهما قديمان (قل) ان صح ذلك فهما لامكانهما يفتقران الى رب قديم هو (الله) فان
زعموا انه ظهر بالالهية فى بعض الاشياء (قل أ) تعتقدون ظهور الالهية فى الدون (فاتخذتم
من دونه أولياء) مع انهم فى القصور بحيث (لا يملكون لانفسهم) فضلا عن أن يملكوا لغيرهم

(قوله عزوجل بالوط) (قوله عزوجل سفيكم الشي) أى علمكم (قوله عزوجل مختلف سنيسره) أى سنهيئه للعودة الى العمل الصالح

(نفعا) يجرونه (ولا ضرا) يدفعونه بل هم دونكم فى الظاهر لانهم جمادات وانتم بصراء فان اصروا على تفضيلهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فضلا عن تفضيل الاعمى فان زعموا انهم أبصر فى الباطن فهذا الباطن اظلم باعتبار ما تعلق بها من أرواح الشياطين فهى مظلمة وأرواح الانسانية نورانية فهل يستويان (أم هل تستوى الظلمات والنور) فان جعلوها نورانية فلاشك ان الانبياء والملائكة انور نورانية منهم أجعلوهم شركاء لله مع اعترافهم بالعبودية (أم جعلوا لله شركاء) أجل منهم اذ (خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) أى خلقهما (عليهم) فلم يفرقوا بينهما فى الالهية (قل) ان صح ذلك مع حدوثهم فهل خلقوا أنفسهم أو خلقهم الله والاول باطل فتعين أن يقال (الله خالق كل شىء) لا يكون خالقا لشىء اذ (هو الواحد) الذى لا يجانسه غيره وكيف يكون المخلوق مثله وهو مقهور والخالق هو (القهار) فان زعموا انه لو كان واحدا لدام بالاثر لغيره هذه الآثار أجيبوا بأنه من ظهوره بالصور فى بعض الاشياء وبالآثار فى البعض الآخر والكل بحسب الاستعدادات فان ظهوره فى الاشياء كماء السماء (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أى بمقدار سعتها وعمقها ولا ينافى ذلك غلبة الشياطين وحصول الباطل فان ذلك كالزبد (فاحتمل السيل زبدا) وهو مع بطلانه انه فى ذاته يظهر (رابيا) أى مرتفعا على الماء (و) كما ينقسم الجواهر الى الحق والباطل كالملائكة والانبياء والاولياء والعلماء والشياطين والكفرة الضالين ينقسم الافعال اليها وان كانت مخلوقة لله فانه (مما يوقدون عليه) مجعولا (فى النار ابتغاء) أى طلب (حلية) من الذهب والفضة (أو متاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث من الحديد والنحاس والصفر (زبد مثله) أى مثل زبد الماء ثم أشار الى المقصود بقوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء) أى رميا الى الجوانب وهو مثل ذهاب آثار الشياطين واللذات المحرمة (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافى والاجسام المذابة (فيمكث) أى يبقى (فى الارض) كذلك يبقى الانتفاع بالملائكة والانبياء والاولياء والعلماء والاعمال الصالحة وكما ضرب الله المثل بالزبد وما حصل منه للباطل والحق (كذلك يضرب الله الامثال) للعلوم النافعة والضارة فالنافعة تكون تارة بالكشف كالماء النازل من السماء وتارة بالفكر الموجب للحرارة يخلص منه ما يتزين به الاعتقادات والاعمال ويحصل من كل منهما شبهات كالزبد فهى العلوم الضارة ثم انه يبقى العلوم والاعتقادات والاعمال ويذهب الشبهات بالنظر الصحيح (للذين استجابوا لربهم) دعوته فاتبعوا اعباء الهداية الذى انزله من سماء بطريق الكشف او الفكر ونفوا عنه وعن أعمالهم زبد الشبهات والقبائح (الحسنى) اى كل خصلة حميدة من ربهم اعلومهم واعتقاداتهم واعمالهم فيبقى بقاء الجواهر (والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما فى الارض جميعا) من الجواهر (ومثله معه لافتدوا به) من آثار اعتقاداتهم وأعمالهم فانها وان كانت مثل الزبد فيبقى آثارها ببقاء الجواهر ولا يعارضها جواهر أخر اذ (أولئك لهم سوء الحساب) فيحاسبون بجميع قبائحهم التى لا يفى بها جواهر

وتحصل ذلك ويقال البصرى الجنة والعمى النار (قوله عز وجل والليل اذا سجى) اذا سكن

الدنيا (و) لكنها لكونها كالزبد ترى من جوانب الصراط وأولئك (مأواهم جهنم و) مع
ذلك لا يحصل لها فناء الزبد فلذلك يكون لهم (بئس المهاد) فان زعموا ان استجابة ذوى الخوارق
من رهابين الكفرة وشياطين الاصنام استجابة الله يقال لهم (أ) لستم تبصرون ماهو هداية
فى نفسه وضلال (فمن يعلم انما أنزل اليك) يا أكمل الخلائق (من ربك) أكمل الاسماء (الحق)
الذى ينتقل منه الى ما هو أعلى فى باب الهداية (كمن هو أعمى) لا يبصر ما يفترقان به فى ذاتهما
و ينظر الى الخوارق وحدها لكن هذا الكمال لا يظهر لعامة النظار بل (انما يتذكر) يحصل
بالتذكر (أولوا الالباب) الناظرون الى بواطن الاشياء وليس المراد فى دقائق الامور
الدنيوية بل فى دقائق الدين اذ هم (الذين يوفون بعهد الله) الذى عهده على لسان رسله
مراعاة الدقائق (و) اذا رأوا فيه تناقضا وهما (لا ينقضون الميثاق) على الايمان بهم سما
رؤيتهم اشتمال كل منهما على أكمل مصالح زمانه (و) أيضا من أولى الالباب (الذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل) من المساعى والاخلاق الباطنة (ويخشون ربهم) من أن يدعوا الكمال
لانفسهم أن يعار عليهم (ويخافون) من ترك الاعمال خوفا من العجب والرياء (سوء الحساب)
أن يحاسب محاسنهم القبائح عليهم (و) أيضا من أولى الالباب (الذين صبروا) فى عبادة الله
عن طلب ما سواه أو هرب منه بل عبدوه (ابتغاء) أى طلب رؤية (وجه ربهم) فى الآخرة
(وأقاموا الصلوة) للمشاهدة الدنيوية (وأنفقوا) للفرار من حجاب المال (مما رزقناهم) من
أملاكهم لا من الغصب (سرا) مع ما فيه من دفع العجب (وعلانية) مع ما فيه من دفع الرياء
(و) اذا حجبوا بالمعاصى (يدرؤن) أى يدفعون (بالحسنة السيئة) أى بنور الحسنة حجاب ظلمة
السيئة (أولئك) لكونهم أولى الالباب (لهم) وهم فى الدنيا (عقبى الدار) أى معرفة عواقب
أمور الدنيا تنكشف لهم كأنهم الآن تحصل لهم (جنات عدن) أى اقامة لاقامتهم على
المعارف وان كانوا (يدخلونها) واحدة بعد أخرى (و) كيف لا يكون هؤلاء أولى الالباب
الحاصل لهم ذلك النور وقد حصل بتبعيتهم لمن يتعلق بهم من كامل وناقص وأنقص
ان يدخلوها (من صلح) لدخولها (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) فكيف لا يطلعون على
البواطن (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المعارف يقولون لهم (سلام
عليكم) من أن يقع غلط فى كشفكم (بما صبرتم) لتمييز ماهو هداية منه وماهو ضلال واذا كان
لهم هذا فى دار الابتلاء (فنعم عقبى الدار) دار الجزاء والكشف التام لهم فهؤلاء هم البصراء
(و) أما العماة فهم (الذين ينقضون عهد الله) فى الايمان بالناسخ والمنسوخ والاخذ بالناسخ
المشتمل على الدقائق الكثيرة (من بعد ميثاقه) بذكره فى الكتب المنسوخة وبرعاية مصالح
الازمنة وباشتمالها على الفوائد الجليلة فهؤلاء فى مقابلة الفرقة الاولى من أولى الالباب
(و) فى مقابلة الثانية منهم الذين (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الاخلاق والمساعى
الباطنة (و) فى مقابلة الثالثة منهم الذين (يفسدون فى الارض) بالمعاصى وترك الطاعات
الظاهرة وحذف الذين يشير الى اتحادهم وان الخصال التى هى مقابلة الطوائف لكل منهم

واشتوت ظلمته ونسه بجر
ماح أى ساكن
* (باب السين المضمومة) *
(قوله تعالى سقيا) أى

(أولئك) البعداء عن الله (لهم اللعنة) أي البعد عن معرفة العواقب بدل عقبى الدار
(ولهم) بدل الجنات (سوء الدار) كانهم الآن فيها ولا ينافى ذلك بسط الرزق عليهم اذ
(الله يبسط الرزق لمن يشاء) من متلذذبه ومتألم (ويقدر) أي يقبض لمن يشاء من متلذذبه ومتألم
(و) لا عبرة بتلذذهم به اذ غايته انهم (فرحوا بالحيوة الدنيا) أيامها القلائل بدل نعيم الآخرة
(و) لو عاوا مقدار ما استبدلوه لانقلب فرحهم غما اذ المال انه (ما الحيوة الدنيا) لو امتدت الى
آخر الدهر اذا نظر (فى الآخرة الا متاع) يسير في مقابلة أمر جليل كمن أبدل سلطنته بطعام
يسير (و) يقول الذين كفروا) بالآخرة كيف لا نفرح بالدنيا ولا نعرف الآخرة الا عن قول
من لا آية له ملجئة (لولا أنزل عليه آية) ملجئة بها انها (من ربه) لانتفاء الاحتمالات معها دون
غير الملجئة (قل ان) الاحتمالات معلومة الانتفاء بحسب العادة المستمرة فلا يقدح فى صدقها
لكن (الله يضل) بها (من يشاء) مع ايقاع صدق الآية الغير الملجئة فى قلبه (ويهدى اليه من
أناب) أي رجع الى ما وقع فى قلبه من صدقها وهم (الذين آمنوا) نصدقوا الله فيما أوقع
صدقه فى قلوبهم (و) ذلك لعدم ترددهم فيما وقع فى قلوبهم لثباتها على الحق اذ (تطمئن قلوبهم
بذكر الله) فلا يقع فيها ما يوجب التردد القلوب وان كانت متقلبة فى نفسها لكنها تترك هذه
الطبيعة بذكر الله (الا بذكر الله تطمئن القلوب) الكاملة لسكونها الى الله فلا تنقلب عنه
لدلالة الايمان عليها كذلك (الذين آمنوا) لادامة الطمأنينة (وعملوا الصالحات)
المطيبة للنفوس المكدرة للقلوب لذلك يكون (طوبى لهم) أي لنفوسهم وقلوبهم وأرواحهم
وأبدانهم (و) عند هذا الطيب يكون لهم الى الله تعالى (حسن مآب) ولا يختص الارسال
بالآيات المفيدة للطمأنينة الى المؤمنين بل (كذلك) بالآيات المفيدة للطمأنينة (أرسلناك
فى أمة) تشكرت بالكفر لو تركت العناد نظرا الى ما جرى على معاندى الامم الماضية بتكذيبهم
آيات رسلهم اذ (قد خلت من قبلها أمم) مع ان آياتنا أعظم اذ أرسلناك (لتتلوا عليهم) الوحى
المعجز (الذى أوحينا) من مقام عظمتنا (اليك) يا أكمل الرسل (و) لو لم يؤاخذوا
بتكذيبهم فلا شك انهم يؤاخذون بكفرهم بالله اذ (هم يكفرون بالرحمن) فان زعموا انهم
يعرفون الله دون الرحمن الارحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قل هو ربى) وان تعددت
أسماؤه فهما واحد (لا اله الا هو) فان عاندتم (عليه توكلت) فى دفع عنادكم (و) لا يعسر على
التوكل عليه اذ (اليه متاب) رجوعى الموجب الوحى والآيات لا الى الشياطين (و) لا يتركون
العناد (لو أن قرآنا) معجزا فى نفسه حصلت فيه معجزات ملجئة اذ (سيرت به الجبال) فازيلت
عن اماكنها (أو قطعت) أى صدعت (به الارض) عن كنوزها (أو كلم به الموتى بل) لو جعل
جميع مقترحاتهم من خواص القرآن والله تعالى قادر عليه اذ (لله الامر جميعا) لم يكونوا تاركى
عنادهم وهو وان كان قادرا على ان يمنعهم العناد تركهم على اختيارهم (أ) يطمع المؤمنون
فى ايمانهم بعد ما سمعوا الله يقول فيهم هذا القول (فلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم لو أتتهم
الآيات المقترحة فيرغبون فى تحصيلها لاجلهم بل يجب عليهم أن ينظروا فى (أن) أى ان

جهال والسفه الجهل
ثم يكون لكل شئ يقال
للكافر سفيه كقوله
بقول السفهاء من الناس

الشأن (لو يشاء الله) ان يترك الناس العناد (لهدى الناس جميعا) بالآيات الميسرة الملجئة (و) لكن يجعلها شبه الملجئة اذ (لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من عنادهم معها (قارعة) أى داهية تقرعهم وتقلقهم (أو تحل) القارعة (قريبا من دارهم) يتطاير اليهم شررها (حتى يأتى) الآية الملجئة أو يأتى (وعد الله) بالعذاب الاخروى وهو وان كان وعيدا فقد جعل وعد الانبياء بنصرهم على أعدائهم (ان الله لا يخلف الميعاد) كيف يخلف ميعادك مع اصرارهم على عنادك بعد تواتر القوارع ولم يخلف ميعادا من دونك مع ان اصرارا عليهم لم تكن بعد تواتر القوارع فانه والله (لقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) فلم يتواتر عليهم القوارع (ثم أخذتهم) فى الدنيا بعقاب (فكيف كان عقاب) فيقاس عليه عقاب الآخرة التى هى دار الجزاء على من زاد عليهم فى العنا مع من زاد على رسلهم بالفضيلة على انه لو لم يعد لم يترك مع اقتيتهم على مجرد الشرك والمعاصى بلا عناد (أ) يترك المعاقبة على المعاصى (فمن هو قائم) يطلع (على كل نفس) ليحيط (بما كسبت) من المعاصى كغير المترقب (و) لو لم يبال لمعاصيهم فكيف لا يبالى اشركهم اذ (جعلوا لله) الذى هو ملك الملوك (شركاء) فضلا عن الواحد مع ان أدنى الملوك لا يعفو عن شركة واحدة فان زعموا انه شركاء فى الواقع فلا يظلم بالمؤاخذة على القول المطابق للواقع (قل) لو كان شركا فى الواقع لوضع واضع اللغة لهم ألفاظا تدل على شركهم (سموهم) ليعلم انه هل فى أسمائهم ما يدل على شركهم أتقولون ان الواضع لم يضعه (أم) تقولون شئ على الواضع وهو الله فانتم (تنبئونه بما لا يعلم) لكونه (فى الارض) وهو اعلم بما فى السما (أم) تطلقون عليهم الفاظ الآلهة من غير اعتبار معناه بل (بظاهر من القول) كما يسمى الزنجى كافورا من غير بياض فيه ولا رائحة طيبة (بل) لم يكن شئ من ذلك وانما (زين للذين كفروا مكرهم) أى تمويههم على أنفسهم بمعنى الآلهة فيها (وصدوا) بذلك التمويه غيرهم (عن السبيل) الموصل الى المعارف (ومن يضلل الله) بتمويهه على نفسه وغيره (فما له من هاد) من الدلائل والرسل والعلماء لكونهم يصيرون محجوبين لذلك (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالاسر والجزية والقتل (ولعذاب الآخرة أشق) كيف (وما لهم) هنالك (من الله) بعدله ومقتضيه (من واق) أى حافظ عن شدته اذ لا واقى هنالك سوى التقوى فانها تقى عن النار وعن فوات الجنة وانقطاع الانهار والثمار والظل اذ (مثل الجنة) أى صفتها العجيبة التى يعظم ألم فواتها لاجلها (التى وعد المتقون) انها (تجرى من تحتها الانهار) لاجراء تقواهم أنهار المعارف والعبادات عليهم لذلك (أكلها) أى ثمرها (دائم) اذا اقتطف حصل مكانه آخر وقاية (و) ان لم يصل اليه أثر الشمس اذ (ظلها) أيضا دائم لاستظلالهم بظل التقوى وكيف لا يشتد بذلك ألم الكفار مع ان (تلك) الامور العظام (عقبى) أعداءهم (الذين اتقوا) فلم يوافقوهم على اعتقاداتهم وأعمالهم (و) لم يقتصر فى حق الكفار على فواتها او جعلها لأعدائهم بل

في الجود والمجاهد فيه كقوله تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا قال مجاهد

جهل (عقبى الكافرين النار) التي هي غاية الشدة في نفسها انضم اليها شدة فوات تلك الامور وجعلها للاعداء وكيف لا يكون للمتقين تلك المآكل الغير المنقطعة وقد تعذر من معاني هذا الكتاب ما لا ينقطع وكيف لا يكون لهم ذلك الظل وقد استظلوا بظلال دلائل هذا الكتاب التي لا تنقطع بالشبهات (و) لذلك ترى (الذين آتيناهم الكتاب) أي كتب الاولين (يفرحون بما أنزل اليك) اذ يحصل لهم به من المعاني والدلائل وكشف الشبهات ما لم يحصل لهم من تلك الكتب (و) ليس هذا على العموم بل (من الاحزاب) أي أحزاب أهل الكتاب (من ينكر بعضه) وهو مواضع النسخ (قل) انما ينكر في النسخ ما ينافي عبادة الله أو يوجب الشرك أو يدعو الى غير الله أو يكون راجعا الى الغير من غير قصد ونسخ هذا الكتاب ليس كذلك (انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) فليس فيه نسخ هداية بضلال حتى يبطل دلالة اعجازي (و) كيف ينكر النسخ وغايته انه تبديل الحكم باعتبار المناسبة كتبديل اللسان فانه كما أنزلنا على الاولين ما يناسب حالهم بلسانهم (كذلك أنزلناه حكما عربيا) أي مناسبا لحال العرب على لسانهم (و) المنسوخ وان كان هدى لاهله لم يبق بعد النسخ هدى بل صار هوى سيما حتى من بعد عن مناسبتهم لذلك والله (لئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) لانه لم يبق مناسبا لهم فضلا عن أن يناسبك (ما لك من الله من ولي) من الرسل يقربك اليه وان كان مقربا به قبل النسخ (ولا واق) يحفظك من عذابه بكونه في الجملة حكم الله اذ صار هوى محضا (و) كما لا يقدح في رسالتك شبهة اليهود بالنسخ لا يقدح فيها شبهة النصارى بالازواج والاولاد فانه (لقد أرسلنا رسلا من قبلك) باتفاق بينك وبين النصارى (و) لم يقدح في رسالتهم الازواج والاولاد لانا (جعلنا لهم أزواجا وذرية و) كذا شبهة مقترحي الآيات فانه (ما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) ولا يبعد أن يختص كل رسول بحكم وآية اذ (لكل أجل) أي زمان منتهى الى مقدار مخصوص (كتاب) أي حكم وآية مكتوب فيه ينتهي بانتهائه ولا بعد في هذا الانتهاء ولا في اثبات الضد فانه (يمحو الله ما يشاء) من الاحكام والآيات (ويثبت) ما يشاء منهما (و) ليس ذلك بطريق البداء على الله بل (عنده أم الكتاب) وهو اللوح المحفوظ الذي قدر فيه الامر بحسب الازمنة والاشخاص بطريق التفصيل (و) بالجملة ليس ذلك منك كما انه ليس منك ما يترتب عليه من الجزاء بل ليس لك تكميل ما نقص ولا نقص ما كمل منه (اما نرينك) أي ان تحقق اراءتنا لك في حياتك (بعض الذي نعدهم) فليس لك استكماله (أو نتوفينك) أي وان تحقق توفيتنا لك قبل اراءة شيء مما نعدهم لنكمل عليهم في الآخرة فليس لك نقصه فيهما (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب أ) ينكرون محو أحكامهم مع ظهور ارادتنا محو دينهم (ولم يروا انا نأتي الارض) أي أرض سائر أهل الاديان (ننقصها) عليهم باظهار دين الاسلام (من أطرافها) أي اطراف عمالكهم المائلة للاوسط (و) ليس ذلك بطريق الابتلاء بل (الله يحكم) باقامة الدلائل ورفع الشبه بحيث (لا معقب) أي لا مبدل

السفيه الجاهل والضعيف الاحمق ويقال للنساء والصبيان سفهاء لجهلهم كقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم بمعنى

(الحكمة) يقول ولا نفعل (و) ليس ذلك بتطويل المقدمات أو مضي المدة المديدة ليكون من بعد عهد الاولين اذ (هو) في اظهار هذا الدين (سريع الحساب) يظهر بمقدمات أولية قليلة في مدة يسيرة مقدار ثلاثين سنة تقريبا (و) لا يمنع سرعة حسابه مكر الكفار ولا بالقاء الشبه ولا بالقتال فانه (قد مكر الذين من قبلهم) على أنبيائهم فدفعه الله عنهم ولا يبعد من الله أن يقلب عليهم مكرهم (فلله المكر جميعا) كيف وقد استحقوا أن يكر الله عليهم اذ (يعلم ما تكسب كل نفس و) من مكرهم ما اخفاء ثواب الآخرة عليهم مدة حياتهم فانه (سيعلم الكفار) بعد موتهم (لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا) اعمى الله وتبارك لو كنت مرسلا لكنك (لست مرسلا قل) فلمكر الله بكم في اخفاء رسالتي عليكم مع اظهارها بالمعجزات فانه (كفى بالله) باعطاء المعجزات (شهيدا) شهادة قاطعة للنزاع (بيني وبينكم و) لو أنكرتم كون آياتي معجزات كفى (من عنده علم الكتاب) كعبد الله بن سلام فانه علم من اطلاعه على كتب الاولين اعجاز هذا الكتاب تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة ابراهيم)

سميت به لاشتمالها على دعوات لابراهيم عليه السلام تمت بها الملة كتلك وجعل الكعبة قبلة الصلاة مع الدلالة على عظمتها بحيث صارت من المطالب المهمة للمتفق على غاية كمال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبوته تنبيها عليه أكمل التحيات وأفضل التسليمات مع غاية كماله وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالات ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في كتابه (الرحمن) بازالة الاخراج الناس من الظلمات الى النور (الرحيم) بهدايتهم الى صراط العزيز الحميد (الر) أي أجل لوامع الرشد أو أعلى لواء لرفعة أو أتم لباب الرحمة أو أعز لطائف الربوبية (كتاب أنزلناه اليك) بأكمل الخلائق في الاتصاف بهذه الصفات لتكميلهم فيها (لتخرج الناس) أي الدين ذوا أماني استعدادهم من لاستنارة بنور اشراقه والاتصاف بصفاته والاتيان بأعمال تتسع التخلق بما حتى يحصل لهم أعلى لواء الرفعة وأجل لوامع الرشد وأتم لباب الرحمة وأعز لطائف الربوبية (من الظلمات) أي ظلمات وجودهم وصفاتهم (الى النور) أي نور الذات المستلزم للاتصاف بصفاته لا بطريق الاكتساب بل (باذن ربهم) أي بتيسيره لهم هذه الفضائل لا الى حد الافراط بدعوى الالهية لانفسهم ولا الى حد التفريط بالاستعفاء عن طاعته بل (الى) اعتدال (صراط العزيز) الذي من عرفه لم يظهر بما هو كماله في شيء حتى يوصف بالالهية (الحميد) بحفظ العبد عند فنائه فيه وبقائه به عن تعطيل ظاهره عن الطاعات الظاهرة فغايته أمره أن يرى عليه نور الحق وصفاته الحميدة على وجود العبد وصفاته ولا يختص بذلك نفسه بل يقول (الله) هو (الذي له ما في السموات وما في الارض) أي من غير الله لا مظاهر لا وجود لشيء منها بدون ظهوره فيها (و) ليس ظهوره فيها لتصير

(قوله النساء والصبيان (قوله عز وجل سورة) عبر مهموزة منزلة ترتفع الى مرة أخرى كسورة البناء وسؤرة مهموزة قطعة

آلهة نفت توحيده بل الهيته بل لتستدل بها على ذاته وصفاته وتوحيده لذلك (وويل للكافرين) أى الساترين الهيته او توحيده بجعلها آلهة (من عذاب شديد) يشتد من شدة غضبه عليهم بمحو ظهوره لغيرها وهو مع كثافة الحجاب عليهم وشدة اشتياقهم اليه لافادته لهم الكمالات وسبب ذلك الحجاب قلة نظرهم لاحتجابهم بالحياة الفانية اذهم (الذين يستحبون الحيوة الدنيا) فيفضلونها (على الآخرة) التى فيها كشف الحجاب فلا يهتمون لسبب كشفه فى الآخرة فيدوم عليهم الحجاب هنالك (و) لو لم يستحبوا الحياة الدنيا (يصدون عن سبيل الله) لدعوى الالهية لانفسهم (و) لو لم يدعوها (يبغونها عوجا) باسقاط التكاليف عنهم (أولئك) وان زعموا انهم أتم الناس نظرا وهداية (فى ضلال بعيد) بحجابهم عن الحق مع غاية قربه فيشتد عليهم العذاب من فوات رؤيته تعالى معها (و) كيف لا يبعد ضلالهم مع مخالفتهم هدى من كفت هدايته الكل بحيث يخرج الكل من الظلمات الى النور وقد ضل من خالف هداية من لا تكفى هدايته الا طائفة مشاهمة فانه (ما أرسلنا من رسول) الا بهداية تناسب حال قومه لذلك ما أرسلناه (الا بلسان قومه ليبين لهم) ما هو هدايتهم الخاصة البيانية لا التوفيقية (فيضل الله من يشاء) بالقاء الشبهات فى بيانه الكامل مع مبالغته فى رفعها واقامة الحجج (ويهدى) هداية التوفيق (من يشاء) فيكفيه بيانه لرفع تلك الشبهات به (و) ذلك لغلبة حكم مشيئته على حكم بيانهم اذ (هو العزيز) ولكن لا تحكم عزته على سبيل التحكم اذ هو (الحكيم) فيفعل بكل واحد بمقتضى حقيقته (و) لكون هداية كل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم غير كافية للكل والله (لقد أرسلنا موسى) مع غاية عظمته لكونه مرسلا (بآياتنا) العظام الكثيرة ولم نقل له (أن أخرج) الناس بل (قومك) لكن لعظمتها وكثرتها قلنا له اخرجهم (من) أنواع (الظلمات الى النور) لكن لم يؤمر ان يسلك بهم طريق المحبة اذ قيل له (وذكرهم بأيام الله) أى وقائعه التى عظمت بها أيامها (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) أى دلائل على فضائل محمد صلى الله عليه وسلم من جهة عموم هدايته واتساع طريقه وفضل أمته (لكل صبار) على التأمل فى تمييز النصوص الواردة فى حقه وحق سائر الانبياء (شكور) بكونه من أمته (و) لعدم سلوكهم بهم طريق المحبة ذكرهم النعمة التى هى من أسباب المحبة بطريق التخويف ولقصورهم لم يقتصر على تخويفهم بوقائع من قبلهم بل خوفهم أيضا بوقائع انفسهم فاذكر (اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون) اذ كانوا (يسومونكم) أى يقصدونكم (سوء العذاب) فلا يبعد من الله ان كفرتم بنعمته أن يسومكم سوء عذابه (و) كانوا (يذبحون أبناءكم) فلا يبعد من الله أن يذبح نتائج عقولكم الداعية الى الآخرة (ويستحيون نساءكم) فلا يبعد من الله أن يستحيى نتائج أوهامكم وخيالاتكم فى أمر الآخرة كيف (و) لم يكن ذلك باستقلال منهم بل (فى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فلا يبعد منه أن يبتليكم بذبح نتائج العقول واستحياء نتائج

من القرآن على حلة من كذا
قولهم أسارت من
أى بقيت وافضلت منه
فضلة (قوله عز وجل
سبحانك) تنزيه وتبرئة للرب.

الاوهام والخيالات (و) كيف تستبعدون ذلك بعد ما صرح لكم به (اذ تأذن) أى أعلم
اعلاما يليق بمقتضى تربيته انه هو (ربكم لئن شكرتم) نعمه بصرفها الى ما خلقت له كالعقل
الى تصحيح الاعتقادات فيه واستعمال سائر النعم بمقتضاه بر بأعن الوهم والخيال (لأزيدنكم)
فى النعم كلها حتى أبلغ بالعقل درجة الكشف (ولئن كفرتم) سيما نعمة العقل بالاعتقاد
الفاسد فلا أقتصر على سلبها بل اذيقكم العذاب على ابطال حكمتى (ان عذابى لشديد وقال
موسى) كيف لا يشتد عذابه من لا يراعيه مع عدم احتياجه الى مراعاتهم وان كثروا غاية
الكثرة (ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عنهم وان كثروا هذه الكثرة
اذ لا يلحقه نقص بتعذيبهم ولا ذم بل يظهر به غاية عظمته وقهره لانه (حميد) وكيف يترددون
فى تعذيب الكثير (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح) مع غاية كثرتهم (وعاد) مع غاية
قوتهم (وثمود) مع كثرة تحصنهم وصنائعهم (والذين من بعدهم) وهم من الكثرة بحيث
(لا يعلمهم الا الله) لم يؤاخذهم الله الا على الكفر لانه آخذهم اذ (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا
أيديهم فى أفواههم) أى فى أفواه أنفسهم أمرا للانبياء باطباق الفم او فى أفواه الانبياء منعا
لهم من التكلم (و) اذ لم يسكتوا بذلك (قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) من وجود الله
وتوحيده وأسمائه وأفعاله وكيف نؤمن لبيناتكم (وانا لفى شك) ناشئ (مما تدعوننا اليه)
أى من ذات المدعو اليه لا قريب يعارضه شئ بل (مريب) أى موقع فى الريب بحيث لا يبالى
معه بالبينات (قالت رسلهم) هل نشأ شككم من ذات الله وارساله (أفى الله شك) مع انه لا بد
من (فاطر السموات والارض) فالعالم بكليته وتفاصيل أجزائه دلائل عليه فكيف يشك
فى ارساله مع انه بذلك (يدعوكم) اليه لا لفائدته بل (ليغفر لكم من ذنوبكم) أى بعضها
الموجب خراب العالم (و) هو وان كان مرجعه الخراب يريد أن (يؤخركم) بابقاء نسلكم
(الى أجل مسمى) هو أجل القيامة (قالوا) لو صح ما ذكرتم فى أمر الارسال فعندنا ما ينفيه وهو
انه (ان أنتم الا بشر) وكلهم أمثال فأنتم (مثلنا) فلو أرسل الملك اليكم وكلمكم لأرسل الينا
وكلمنا على ان الارسال انما يكون للهداية وأنتم (تريدون) اضلالنا وهو (أن تصدونا عما كان
يعبد آباؤنا) المشهورون بكمال الهداية والعقل فان زعمتم انهم أهل ضلال وأنتم أهل هداية
(فأتونا بسلطان مبين) أى حجة ملجئة على ذلك (قالت لهم رسلهم) سلما أنه (ان نحن الا بشر
مثلكم) يجوز أن يرسل اليكم الملك ويكلمكم كما أرسل الينا وكلمنا (ولكن الله) لا يجب عليه
ان يفعل كل ما هو جائز بل هو (يمن على من يشاء) بارسال الملك اليه أو مكالمته كما يمن على
البعض بمزيد المال والولد مع استواء الكل فى كونهم (من عباده و) ليست الآية الملجئة
بل جميع الآيات مما يدخل تحت قدرتنا لذلك (ما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله)
كيف (و) لا يصدر من أحد شئ الا باذنه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون) باستقلاله
بالافعال اذا خوفوا من الغير (و) اذا وجب التوكل على المؤمنين فالانبياء أولى بذلك (ومالنا

قوله تعالى عز وجل (قوله تعالى كمثل شجرة طيبة) كالاعمال الصالحة و بثال البحث الرشوقى (قوله تعالى مثل الحكم) (قوله تعالى) أى مصعدا فى السماء

(الا نتوكل على الله) اذا قصدتم أذيتنا (وقد هدانا سبلنا) فى جلب المنافع ودفع المضار بالله (و) ان لم يدفع عنا اذياتكم ابتلاء منه (لنصبرن على ما آذيتمونا) لا نتمسك بسبب من الاسباب فى دفعها بل (على الله فليتوكل المتوكلون) لا على الاسباب اذ لا تأثير لها بدونه وهو مستقل بدونها (وقال الذين كفروا) بقدرة الله دون الاسباب بل رأوا الاسباب مؤثرة دون قدرته تعالى (لرسلهم) الذين شأنهم الهداية فى أبواب المعارف التى من جملتها التوكل فهم أئمتها كيف يفيدكم التوكل فى دفع أذياتنا (لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) أى الآن تصيروا فى ملتنا صيرورة من كان فيها فخرج عنها لضرورة ثم عاد اليها بكمال رغبة واشتياق (فأوحى اليهم ربهم) الذى رباهم بالتوكل (لنهلكن الظالمين) بايذائكم على ايذائكم اياهم فلا يتمكنوا من اخراجكم ولا اعادتكم الى ملتهم كيف (ولنسكننكم الارض) التى أرادوا اخراجكم منها (من بعدهم) أى من بعد اخراجهم ولا يكون اخراجهم مثل اخراج الرسل بل (ذلك) الاخراج لهم مع تسكين أعدائهم عبرة (لمن خاف مقامى) أى قيامى بكمال الحكمة فى الاشياء (وخاف وعيد) على السيئات (و) كيف لا يكون الامر كذلك اذ (استفتحوا) أى طلب الرسل النصر عليهم فنصروا (وخاب) بهذا النصر (كل جبار) معتمد على قوته (عنيد) مع الله ورسله ولا يقتصر على اهلاكهم الدنيوى بل (من ورائه جهنم و) غاية ما يتلذذ به منها انه اذا غلب عليه حرارها (يسقى من ماء صديد) لقبح مشرب اعتقاده وأعماله ولاخذه بالشبهات المتكافئة (يتجرعه) أى يتكلف بجرعه (و) لتركه البراهين السائغة (لا يكاد يسيغه) أى لا يقرب من اساغته بل يغص به ليطول عذابه (و) اذا كانت هذه غاية لذته فهو فى باب الشدة (يأتيه الموت من كل مكان) أى الشدة من جميع الجهات (وما هو بميت) فيتخلص عنها بالموت (و) لا يقتصر عليه فى حقه بل (من ورائه عذاب غليظ) يشتد كل يوم بحسب تفاصيل قبائحه وعظمها ولا يخففه أعمالهم اذ (مثل الذين كفروا) أى صفتهم العجيبة فى عدم انتفاعهم بأعمالهم لكفرهم (بربهم) الذى رباهم اذ الكفر بالمربى موجب لمزيد غضبه فهو محرق لاعمالهم لذلك (أعمالهم) من الصدقة وبر الوالدين وصلة رحم وعتق الرقاب واغاثة الملهوف (كرماد) ولا ينالون من ذلك المحرق أيضا لانه (اشتدت به الريح) لاشتداد ريح القهر الالهى بهم (فى يوم عاصف) وصف بوصف المظروف مبالغة وهو مثال يوم القيامة اظهور الله فيه بغاية القهر والشدة فان أمكن أن ينال الشئ من الرماد مع عصف الريح فهؤلاء (لا يقدرون مما كسبوا على شئ) وان كان كالمقبوض لهم اذ (ذلك) الكفر بالمربى (هو الضلال البعيد) الذى يبعد به الشخص عن أقرب الاشياء اليه (ألم تر) يا منكر كونه ضلالا بعيدا (أن الله خلق السموات والارض بالحق) أى بالحكمة الثابتة ليعرف فيعبد وينعم فيشكر فاذا فعلتم ما يناقض حكمته فى خلق العالم بعد ضلالكم أوجب غاية القهر عليكم مع غاية لطفه فى ذاته لذلك (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يراعون حكمته فيلطف بهم (و) لا يبعد عليه ذلك فانه (ما ذلك على الله بعزيز) فلا يعز عليه اذهاب

(قوله سبحانه سبل السلام) أى طرق السلامة (قوله سبحانه سقط فى أيديهم) يقال لكل من ندم وعجز عن شئ ونحو ذلك قد سقط

أعمالكم (و) انما لم يشأ ذلك لانه أراد أن يفضحكم بين الخلائق مزيد فضيحة باعترافكم
بابطال حكمته فيكم وفى اتباعكم اذ (برزوا) أى خرجوا من قبورهم (لله جميعا) أى لامره
الارادى بعد ما انقطع أمره التكليفى (فقال الضعفاء) وهم الاتباع (للذين استكبروا) على
الرسل خوف ذهاب متبوعيتهم (انا كنا لكم تبعا) فمكنكم أن تعمقونا الكفر (فهل أنتم
مغنون) أى دافعون (عنا من عذاب الله من شئ) أى بعض شئ (قالوا) لم نختر لكم شيأ
لغرضه لا تفسنا قصد الضرر بكم (لو هدانا الله لهديناكم) ولا يتأتى منا تخليصكم اذ (سواء
علينا) الجزع والصبر (أجزعنا) لترحم (أم صبرنا) لاستعقاب الفرج بل أى حيلة تمكنها
(ما لنا من محيص) أى مخلص فكيف يتأتى منا تخليصكم (وقال الشيطان) الذى هو متبوع
متبوعهم حين اجتمع الناس على لومه (لما قضى الامر) أى بعد حصول أهل الجنة فى الجنة وأهل
النار فى النار (ان الله وعدكم) على ألسن رسله بالبعث والجزاء (وعد الحق) الصدق باقامة
البراهين مصدقة لقدرته على تصديقه (ووعدتكم) على لسان الوسواس بعدمهما وعد
الكذب مكرا (فأخلفتكم) مع عجزى من منع البعث والجزاء وقد كان لوعد الله دلائل تحكم
على البواطن حكم السلاطين على الظواهر (وما كان لى عليكم من سلطان) يحكم على
ظاهركم أو باطنكم (الا أن دعوتكم) أى بمجرد دعوة بالوسواس فان كان الوسواس دليلا
فهو المستثنى (فاستجبتم لى) مع معرفتكم بعداوتى لكم ومكرى عليكم وعجزى عن وفاء
وعدى وتركتم استجابة الله وقد علمتم أنه وعدكم بمغفرتكم ورفع درجاتكم (فلا تلومونى) فانه
لا يلام العدو بالمكر على عدوه (ولوموا أنفسكم) باطاعة العدو والماكر وترك اطاعة
الرب الرحيم ثم يقول قول سائر المتبوعين فى عدم تحمله شيأ من العذاب (ما أنا بمصرخكم)
أى بمغيثكم بتحمل شئ من العذاب (وما أنتم بمصرخى) وان كنتم تحبوننى وأحبكم فقد
انقلبت تلك المحبة التى كانت باشراككم اياى (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) وان
كنت به راضيا فلا أرضى به اليوم لئلا أزداد به عذابا اذ الشرك لظلم عظيم فلا أستمر عليه (ان
الظالمين لهم عذاب أليم و) يزداد عذابهم شدة بازدياد أعدائهم راحة اذ (أدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات) وهو موجب راحة وقد تأكدت بكونها (تجرى من تحتها الانهار)
ثم ازدادت بكونهم (خالدين فيها) ثم تأكدت بكون ذلك (باذن ربهم) الذى هو مربيهم وليس
بين أهلها ما يكون بين الكفار والفساق من العداوة فى النار بل (تحيتهم) أى تحية من فيها
من الاتباع والمتبوعين وغيرهم (فيها سلام) يزدادون به لذة لاسلام يفضى الى الآلام وان
استبعدت هذه اللذات الكثيرة المرتبة على الكلمة اليسيرة والآلام الغير المتناهية على
الكلمة اليسيرة أيضا قيل لك (ألم تر) أيها المستبعد ذلك فى الغائبات ما يماثلها فى الشاهدات
(كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) هى كلمة الاسلام فى انها من حيث ثباتها فى حضرة القرب
منه وثباتها بالدلائل القاطعة التى لا تتزلزل بشبهة وارتفاع درجاتها عنده وافادتها أنواع

فيه وأسقط فى يده لمتان (قوله عزوجل سوء المناب) هو أن يؤخذ العبد بخطاياه كلها لا يغفر منها شئ (قوله تعالى سوء

الانعام والاكرام كل حين (كشجرة طيبة) هي النخلة (أصلها ثابت) أي عروقها ضاربة في الارض (وفرعها) أي أغصانها مرتفعة (في) جهة (السماء تؤتي أكلها) أي ثمارها (كل حين باذن ربها) اي بارادته التي لا يتوقف تأثيرها على سبب فلا يحتاج الى مثال (و) لكن (يضرب الله الامثال للناس) أي الذين نسوا تأثير ارادته (لعلهم يتذكرون) تأثير ارادته في الغائبات بوجدان مثل ذلك التأثير في الشاهدات فلا يستبعدونها ويتذكرون ان كلمة الاسلام مثمرة للمعارف التي هي لا تتناهى باذن الله وان لم يقصدها القائل وللانعامات من الاحوال والمقامات في الدنيا وأنواع الثواب في العقبى باذن الله من جوده من أجلها كجوده على النخلة (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر في أنها تقلع الحبة من أصلها ولا يستقر صاحبها على أمر ولا تنفعه رجة وان عمل من المكارم ما عمل (كشجرة خبيثة) هي الحنظلة أو الكشوث (اجتثت) أي أخذت جثتها (من فوق الارض) بلا أصل له راسخ فيها (ما لها من قرار) أي ثبات على منبتها فضلا عن الفرع الصاعد الى السماء وكيف يستبعد ذلك وغايته انه (يثبت الله الذين آمنوا بالقول) أي بقول الاسلام (الثابت) بالحجج (في الحيوة الدنيا) فلا يعلمون بجهة ويعقلون أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم (وفي الآخرة) فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في القبر ولا في الموقف ولا تدهشهم أهوال القيامة (ويضل الله الظالمين) اذا سئلوا عن حججهم ولا يثبتون في مواقف الحق وكيف يستبعد ذلك مع ظهور أسبابه (ويفعل الله ما يشاء) من غير سبب فان أنكرت كونهم ظالمين قبل لك (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) التي هي النطق الذي يمكن صرفه الى كلمة التوحيد (كفرا) أي كلمة كفر (و) الدعوة اليها بحيث أهلكوا أنفسهم وقومهم اذ (أحلوا قومهم) بعد أنفسهم (دار البوار) أي الهلاك لكونها (جهنم) فانها تكفي في الهلاك لو لم يصلوها لكنهم (يصلونها) ولا يقتصر عليه في حقهم بل يقرون بها (وبئس القرار) كيف (و) لم يقتصروا على تبديل النعمة بل بدلوا المنعم أيضا اذ (جعلوا لله أندادا) لا لاستزادة النعم بل (ليضلوا عن سبيله) وهي اعتقاد أن جميع النعم من الله فان أصروا على القول باستزادتهم النعم بهم (قل) غايتها التمتع الدنيوي المستعقب للانتقام الابدي (تمتعوا فان مصيركم الى النار) التي لا يفي آلامها التلذذ بهذه النعم فان اغتر بنعمهم عبادي (قل لعبادي الذين آمنوا) تمتعوا بما هو الذي من نعمهم في الدنيا والآخرة (يقيموا الصلوة) ليتمتعوا بمشاهدة الرب فيها (وينفقوا مما رزقناهم) ليتمتعوا بعلو الهمة (سرا وعلانية) ليتمتعوا بدعاء من ستر عليهم وبدعاء من عمهم كرمهم وليس ذلك بخسران بل بيع الفاني بالباقي وتحصيل رضوان الله فليحصلوا ذلك (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) ولو للامور الاخروية (ولا خلال) أي ولا محبة تحصل الرضوان وكيف يحتاج في استكثار النعم الى الانداد مع انها اما سماوية واما أرضية وهما لله اذ (الله) هو (الذي خلق السموات والارض و) ليستا موجدتين للنعم ولا الاسباب القريبة اذ الله هو الذي (أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات) التي صيرأسباب بقائكم اذ جعلها (رزقا لكم و) ليست

(الدار) النار اذ تسود داخلها
(قوله عز وجل سلطان)
أى ملكة وقدرة وحجة أيضا
(وقوله سكرت أبصارنا) سدت
أبصارنا من قولهم سكرت

لانداد أسباب انتقالها من مكان الى آخر لايمكن نقله اليه بدونهم اذ (سخر لكم الفلك تجري) بثقل النعم (في البحر) المانع من الثقل (بأمره) لابأمر الانداد (و) ليست أيضا أسباب تجديدها اذ (سخر لكم الانهار) لتجديدها بعد مضي الامطار (و) ليس لها أيضا تعطيش الاشجار ليحتاج الى استقاء الماء ولانضج الثمار اذ (سخر لكم الشمس) لتعطيشها (والقمر) لانضاج ثمارها (دائبين و) لايفيد الانداد التنعم بالاحباب ولا الربح بالتجارة اذ (سخر لكم الليل والنهار) للتنعم بالاحباب والتجارة (و) لاسائر مايحتاج اليه اذ (آتاكم من كل ماسألتموه) بلسان الاستعداد (و) لوتصور من الانداد نعم لايكونون بها أندادا لمن لا تحصى نعمه (ان تعدوا نعمت الله لاتحصوها ان الانسان) بجعله له أندادا (لظلوم) بجعل من قل نعمه على تقدير صحته مثل من لاتحصى نعمه بل (كفار) بجعل بعض نعم الله للانداد (و) اذكر لمن أنكر كون الانسان ظلوما أي وقت (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) الذي فيه بيتك الحرام (آمنا) لايخرب الطلبة بيوت أهل الذين جاوروا بيتك الحرام ومن أطاع ممن يخاف منهم ذلك (و) لمن أنكر كونه كفارا وقت قوله (اجنبني) وان كنت معصوما فلا آمن مكرك بان تظهر على العصمة مدة ثم تنقلني الى الكفر (وبني) المولودين في حياتي (أن نعبد الاصنام رب) انما دعوت لمخافة ضلالي وضلالهم برؤية خوارق شياطينهم الداعية الى الشر (انهن أضللن كثيرا من الناس) فاذا اجتنبتنا ذلك فلا احتاج الى سؤال عصمتهم عن المعاصي ولاشئ آخر (فمن تبعني) في الاعمال الصالحة والاتقاء عن المعاصي (فانه مني) لحكمه حكمي في النجاة ورفع الدرجات (ومن عصاني) في الفرعيات (فانك غفور) لاتخلده في النار بل (رحيم) بالانجاء منها (ربنا) لولم أخف اضلال خوارقها فاني أخاف من فقر أولادي أن يتخذوها لتكثر الهدايا اليهم بسببها (اني أسكنت من ذريتي) أي بعضها (بواد غير ذي زرع) فأخاف منهم مزيد الطمع في الهدايا وان جعلتهم (عند بيتك المحرم) الذي يتوقع الاهداء اليه لكنهم قد لايكتفون بها (ربنا) لم أجعلهم في هذا الموضع الخطر لتحصيل تلك الهدايا التي لاتحصل الابوضع الاصنام بل (ليقيموا الصلوة) في ذلك الموضع الذي يضعف أجرها فادفع عنهم هذا الخطر (فاجعل أفئدة من الناس تهوى) أي تميل (اليهم) ليكثروا هداياهم بحيث تغنيهم عن وضع الاصنام (وارزقهم من الثمرات) يأتي بها التجار الى بلادهم فترخص عليهم (لعلهم يشكرون) نعمة اقامتهم عند بيتك المحرم بالصلاة فيه على كمال الاخلاص والتوحيد مع فراغ القلب (ربنا انك تعلم مانخفي) من اقامة الصلاة في أفضل الاماكن من ذريتي والشكر منهم على طلب ميل القلوب اليهم ورزق الثمرات لهم (وما نعلن) من طلب ميل القلوب اليهم ورزق الثمرات لهم فلا شرف سرما طلبنا ولا في اعلانه فهو أولى بالاجابة (و) لولم تعلمه حصلته لنا الاطلاع على أحوالنا الظاهرة والباطنة فانه (ما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) كيف وقد حصلت لنا ماهو أعظم من ذلك (الحمد لله الذي وهب لي) من يقوم مقامي عند قرب ذهابي من الدنيا غالبا (على الكبر) المانع (اسمعيل)

النهر اذا سلدته ويقال هو من سكر الشراب كأن العين يلحقها مثل مايلحق الشارب اذا سكر (قوله عز وجل سرادقها)

عند تسع وتسعين سنة (واسحق) عند مائة واثنتي عشرة سنة واذا دعوت بهوى القلوب ورزق
الثمرات لمثل هؤلاء الخيار المستوجبين للحمد ولاولادهما (ان ربي لسميع الدعاء رب) لما
كنت داعيا لهم بذلك لاقامة الصلاة والشكر فلا تجعل ذلك شاغلا لهم عنها بل (اجعلني مقيم
الصلاة و) اجعل (من ذريتي) من يقيمها ولا يشتغل بالجاه والمال اشتغالا مانعا عنها (ربنا)
لو جعلت ذلك مانعا لهم عن الصلاة لم تكن متقبلا لدعائي (و) لكن (تقبل دعاء) بجعل ذلك
معينا لهم في اقامة الصلاة والشكر (ربنا اغفر لي) ذنوبي المانعة من اقامتها أو القادحة فيها
والمانعة لاولادي من طلب الجاه والمال لهم (ولوالدي) فلا تجعل ذنوبهم سارية الى
اولادهم بجعلهم مكتسبين لها بجعلهم أسرارها (وللمؤمنين) أي يسري من بعضهم الى بعض
لاتصالهم مكتسبين لها بسبب صحبتهم ولا تجعل ذنوب بعضهم محسوبا على البعض الآخر
(يوم يقوم الحساب) بطريق السراية أو غيرها فان زعموا انه ان لم يعلم الله أعمال الظالمين
كيف يقيم حسابهم حتى يكون له يوم يقوم فيه وان علم فلا وجه لتأخيره واخذهم قيل له
(ولا تحسبن الله) من تأخيره مؤاخذة الظالمين (غافلا عما يعمل الظالمون) حتى لا يقيم
حسابهم ولا تقل انه لا وجه لتأخير مؤاخذتهم لو لم يؤخرهم (انما يؤخرهم ليوم) مثل يوم
المصيبة بل اليوم من غاية هوله وشدته انه بحيث (تشخص) أي تتحير (فيه الابصار) مع بقاء
الاعين مفتوحة ومع تلك الحيرة لا يقفون بل يسيرون الى الحشر (مهطعين) أي مسرعين
ولا يكونون في هذا السير ناظرين الى مواضع أقدامهم بل (مقنعي) أي رافعي (رؤسهم) الى
السماء انتظار نزول البلاء (لا يرتد) أي لا يرجع (اليهم طرفهم) من شدة الخوف كيف
(وافئدتهم) أي صدورهم (هواء) خالية عن القلوب لصيرورتها الى الحناجر (وانذر
الناس) الذين نسوا ذلك اليوم بعد تذكيرهم هذه الدلائل (يوم) الموت اذ (يأتيهم) فيه
(العذاب) البرزخي (فيقول الذين ظلموا) بانكار ذلك حين ظهر ظلمهم بكشف الحجب عن عالم
الغيب (ربنا أخرنا) أي اخر موتنا (الى أجل قريب) بقدر اجابة الدعوة ومتابعة الرسل
وقد أخرتنا الى هذه المدة لكن لم نتفطن لها اذ ذاك فان أخرتنا اليه الآن (نجب دعوتك)
الى الاقرار بوجودك وتوحيدك وصفاتك (ونتبع الرسل) في الشرائع فيقال
لهم (أو) تطلبون التأخير من رؤية زوال نعمكم وتبدلها بالعذاب (و) كأنكم
(لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) عن نعيمكم ان كان هناك حياة لان الله تعالى
لم يزل منعما عليكم فلا يزل كذلك أعتقدتم ذلك (و) قد (سكنتم في مساكن) المتنعمين (الذين
ظلموا أنفسهم) بصرف نعمهم الى غير ما خلقت له كعاد وثمود (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من
الانتقام بعد الانعام (و) لم يكن مخصوصا بهم اذ (ضربنا لكم الامثال) أي بينا انكم أمثالهم
في الكفر والمعاصي (و) لا يدفعه مكركم بالقاء الشبهات اذ (قد مكروا مكرهم) الذي بذلوا فيه
جهدهم بتحرير الشبهات جذبا من لزوم الحجة (وعند الله) ما يزول به (مكرهم) لتقرير الحجة
عليهم (وان كان) أي ما (مكرهم لتزول منه الجبال) أي الدلائل الثابتة العالية ثبوت الجبال

المرادق الحجب التي
تكون حول الفسطاط
(قوله عز وجل سندس)
رقيق الديباج والاستبرق
صفيقه (قوله عز وجل

وعلوها واذا رأيت اهلاك الله الامم الماضية بالعذاب الدنيوى منجزا لوعد الرسل (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بتعذيب أعدائهم العذاب الاخروى ونصرالهم اذلا يتركه لعجز عنه ولا لرحمة عليهم (ان الله عزيز ذو انتقام) من أعدائه نصرا لاوليائه ولا مانع له من انتقامه الذى فيه تبديل أحوالهم (يوم تبدل الارض غير الارض) بجعلها جهنم أو بيضا نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة (والسموات) بجعلها جنانا كيف (و) هو أتم للفضيحة اذ (برزوا) فيه بحيث لا يخفى على أحد ما يجرى على الآخر ولا ينفعهم اجتماعهم اذ يكون بروزهم (لله الواحد) أى المنفرد بالكمالات (القهار) لكل ما سواه بالنقص (و) من خصوص قهره بالمجرمين انك (ترى) فيه (المجرمين يومئذ مقرنين) مع الشياطين (فى الاصفاد) أى الاغلال اذ قارنوهم فى الدنيا فغلوهم فلم يمشوا فى الايمان والعبادة (سرابيلهم) أى قمصانهم مما يطلى بجلودهم (من قطران) دهن الابهل والعرعر كالزفت اسود منتن يشتعل منه النار بسرعة فيجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار اذ أحاط بهم القبائح من كل جهة (وتغشى وجوههم) التى لم يتوجهوا بها الى الله ولم يستعملوا مشاعرها فى أوامرها (النار) وليس على سبيل العبث بل (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) نفس الكافر بعذاب الكفر والفاجر بعذاب الفجور والمؤمن بفرح النجاة والانتقام من أعدائهم ولا يطول تأخير عذابهم هنالك بطول حسابهم (ان الله سريع الحساب هذا) المذكور وان كان دليلا اقناعيا (بلاغ) أى كاف (للناس) أى لتذكيرمن نسى كيف (و) هو كاف (لينذروا به) عن القبائح التى أخذ عليها الاولون كيف (و) أقل فوائد أخبار مؤاخذة الاولين على الشرك أن يستعدوا (ليعلموا أنما هو اله واحد) لا يقتصر على هذه الفائدة الكمل اذ يستعدون (ليذكر أولوا الالباب) منهم فوائد لا تحصى تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

سؤالك) أى امنيتك وطلبتك (قوله عز وجل سلالة من طين) يعنى آدم عليه السلام استل من طين ويقال سل من كل تربة وقوله ثم

•(سورة الحجر)•

سميت بها لاشتمالها على قوله ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين الى قوله ما كانوا يكسبون الدال على مؤاخذتهم لمجرد تكذيب الرسل والاعراض عن آيات الله بأدنى وجوه المؤاخذة مع غاية تحصنهم ففيه غاية تعظيم الرسل والآيات وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى آيات كلامه (الرحمن) بتفصيل ذلك التجلى فى كتابه (الرحيم) باجماله بعد التفصيل فى قرآنه المبين (الر) أى آيات لطائف الرقى أو أسرار لزوم الربانية أو أنوار لباب الرشد أو الطاف لحوق الرحمة (تلك آيات الكتاب) الذى فصل كلامه الازلى فتضمن لطائف الرقى اليه أو لزوم الربانية للتخلق بأخلاقه أو لباب الرشد الى أسراره أو لحوق الرحمة بالاقامة فى هذه المقامات (وقرآن مبين) اعادة الاجمال بعد التفصيل لجعل اللطائف آيات لمريد الجمعية وللزوم الربانية أسرارا وللباب الرشد أنوارا الافادة مزيد حضور فى القلب بجعله كلما محفوظا له وللحوق الرحمة الطافا فالانقياد لهذا الكتاب لابد وأن يفيد شيأ من مفصلاته أو مجملاته

والكفر به اضدادا لجميع لذلك (ربما) أى فى بعض الاحيان افاقتهم عن سكر هول ماهم فيه
(يود) الاسلام (الذين كفروا) ولا ينالونه بل غايتهم أنهم يتمنون (لو كانوا مسلمين) فلا
يكون لهم هذا التمنى الا فى بعض الاحيان فضلا عن تدارك المتمنى ولكنهم لايعملون الا تمتع
ظهور ولاشتغالهم بما كلهم (ذرهم يأكلوا) لايحصل لهم منه الا سرى تمتع قليل فذرهم
(يتمتعوا) يعلمون عدم بقائه لكنهم يتمنون انهم لو حشروا حصل لهم مثله فذرهم (يلههم)
أى يشغلهم (الامل) بالاسند (فسوف يعلمون) منتهى أملهم وهو الهلاك الابدى (و) قد
استعجلوه الآن لكن (ما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب) أى أجل مكتوب (معلوم) أى
مقدر ليتأمل فى أسباب الهلاك ليتخلص عنها وهو وان علم انهم لايتأملون فيها الا يعجل
اهلاكهم كأنهم اذا تأملوا فيها عند انتهاء الاجل لايؤخر عنهم (ما تسبق من أمة أجلها وما
يستأخرون) للزوم الحجة وارتفاع الاعذار (و) لعدم تأملهم فى الآيات المعجزة (قالوا يا أيها
الذى نزل عليه الذكر) المعجز لاعجاز عن كلامك العقلاء لانه من كلام المجانين (انك لمجنون)
وغاية ما نسب من الحسن انه كلام جنى تعلق بك وزعم انه ملك نازل عليك بالوحى من الله فان
صح (لوما) أى هلا (تأتينا بالملائكة) لنعلم انهم ملائكة كما علمت انهم ملائكة (ان كنت من
الصادقين) فى زعمك انه وحى وانه يأتيك الملك من الله فقال تعالى (ما ننزل الملائكة الا بالحق)
أى الا بالحكمة ولا حكمة فى جعل الكل أصحاب الوحى كيف ولا يكون حينئذ رسول
ومرسل اليه على أن ظهورهم يكون كالملجئ الى الايمان فلا يفيد الايمان بعده (و) لذلك
(ما كانوا اذا منظرين) أى مؤخرين وكيف يكون هذا من تنزيل الشياطين مع غاية عظمته
بل (انا نحن نزلنا) من مقام عظمتنا (الذكر) المعجز للجن والانس (و) يدل عليه امتناع تبديله
(انا له لحافظون) اذ يظهر تبديله لكل ذكى (و) لايبعد اتفاقهم على نسبة الجنون اليك بما
أتيت من الكلام المعجز من غاية كماله فانه سنة الكفرة الماضين فانه (لقد أرسلنا من قبلك فى
شيع) أى فرق (الاولين) والرسول يجب ان يحيط بعقول المرسل اليهم (و) هم مع كونهم فرقا
مختلفة (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) باتفاق منهم على نسبة الجنون أو غيرها اليه
ولا يبعد هذا الاتفاق منهم مع كونهم عقلاء اذ (كذلك) أى مثل هذا الخيال الفاسد
(نسلكه) بواسطة الشياطين (فى قلوب) من يناسبهم من (المجرمين) فهم وان تعارض خيالهم
دلائل واضحة (لا يؤمنون به) لمضى سنتهم على الاصرار فى العناد وسنتنا على اهلاكهم فلا
يبعد أن يلحقهم هذه السنة كيف (وقد خلت سنة الاولين) عن المعارض لها فلابد من
وقوعها (و) لايتركون الاستهزاء بالرسل وان أتتهم الآيات التى تشبه الملجئة فانا (لو فتحنا
عليهم) أى على هؤلاء المستهزئين (بابا من السماء فظلوا) أى فصاروا طول نهارهم (فيه
يعرجون) أى يصعدون مستوضحين لما يرونه (لقالوا انما سكرت) أى سحرت (أبصارنا)
ولا يختص السحر بأبصارنا ولا بوقت الصعود ولا بهذا النوع (بل نحن قوم مسحورون)

جمع نسل من سلالة يعنى
السلالة فى اللغة ما انسل
من الشئ القليل وكذلك
الفعالة نحو النضالة
والقصاصة والقلامة

بكلتا في كل وقت بكل نوع (و) كيف يؤثر البصر في السماء وهي المؤثرة في الاطلاق (ولقد
جعلنا في السماء بروجا) تؤثر (و) لا تتأثر كيف تؤثر في الابصار مع انا (زيناها للناظرين)
فلو أثرت في الابصار لبطلت زينتها عن ناظرها (و) لو كان التأثير في تحصيل الصعود فقط فلا
يتصور الا صعود الشياطين بالابصار وطول النظر اليها لكن (وحفظناها من كل شيطان رجيم
الا من استرق) من الشياطين (السمع) من الملائكة السماوية فانه وان صعد لا يمكنه الصعود
طول النظر فانه بمجرد ما صعد رجم (فأتبعه شهاب) أي شعلة نار (مبين) أي ظاهر فيحترق
أو يرجع منزجرا بناء على أن الصعود انما يحصل على السحر لو اشتغل في ذاته وامتناعه في عموم
الناس لا يدل عليه الذهن كالارض والخواص كالجبال (والارض مددناها) لتلازم السفل
(والقينا فيها رواسي) لتلازم الارتفاع (و) ثمة ارتفاع معنوي لبعض الاحجار على بعض اذ
(انبتنا فيها من كل شيء) من الجواهر (موزون) بوزن مخصوص بقيمة عظيمة (و) كيف
يحصل على السحر استحالة النبوة مع انها الى الوجوب أقرب اذ (وجعلنا لكم فيها معايش)
يقع فيها النزاع ولا يرتفع الا بشرع أتى به شارع من عند الله (و) لو اكتفيتم في قطعه بالعقل
رعاية مصره عن مدارك الشرع اذ قد يعطي الشرع (ومن لستم له برازقين) كالبنت التي
منعتموها الارث وقد أعطاها الشرع نصف ما أعطى الابن (و) لا يدل عدم ادراككم اقسام
النبوة بالذوق على عدمها لانها أجل من أن تصلوا الى ذوقها والاشياء الحسية لا تحصل لمن
ليس من أهلها الا القصور مثالاته (وان من شيء الا عندنا خزائنه) اختزناها أعمارا (و) لكن
لعدم استعدادهم لانه (ما ننزله) أي المخزون في أسمائنا الى عالم الشهادة (الا بقدر) أي
الا بمقدار استعدادات حقائق المحل (معلوم) فكيف تنزل ذوق أجل الاشياء على أدناكم
(و) النبوة وان لم يحصل لكم ذوقها يحصل لكم آثارها اذ يحصل بسببها لعامة أنواع العلوم
فارسلناهم كما (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح السحاب أي تجعلها حوامل بالماء وذلك ان
السحاب بخار يصير باصابة الهواء البارد حوامل للماء كيف وانزال العلوم عليهم سبب
حصولها لكم (ف) هو كانا (أنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) ليست تلك العلوم مما يحصل
بالفكر أو بكشف الرهبان من الكفرة فهو كماء السماء (وما أنتم له بخازنين و) كيف تحصل
هذه العلوم بطريق الفكر أو بطريق الرهبانية الباطلة مع ان بها الاحياء والاماتة المعنويين
وهما في الاختصاص بالله كالحسيين (وانا لنحن نحيي ونميت و) لكونه منا يرجع الينا رجوع
الميراث اذ (نحن الوارثون و) ليس احياؤنا بها واماتتنا على سبيل التحكم فانا (لقد علمنا
المستقدمين) أي الطالبين للتقدم بالفضل والقرب (منكم) فأحييناهم (ولقد علمنا
المستأخرين) فأمتناهم (و) هذه العلوم وان كانت سبب التقدم فلا تؤثر في المستقدمين
فضلا عن غيرهم بل (ان ربك هو يحشرهم) اليه فيفيدهم التقدم بفضله لا على سبيل التحكم
بل لطلبهم التقدم (انه حكيم) والكل وان كانوا طالبين للتقدم الآن فلا عبرة به وانما هي
لطلب الحقائق العلمية باستعداداتهم الا انه (عليم و) لا يبعد عليه تقريب طالب البعد ولا ابعاد

والتوارة وما اشبه ذات
هذا فيه (قوله عز وجل
الـوزون) أي جوهم والحق
الجنة (قوله عز وجل
سعر) جمع ساق (سوق) جمع

لطالب القرب فاما (ولقد خلقنا الانسان) المستحق لاعلى مراتب القرب (من) أمر له غاية البعد (صلصال) هو الطين اليابس المصوت (من حما) أى طين رطب (مسنون) أى منتن فكان فى غاية البعد ثم قربناه نوع تقريب ثم لم نزل نقربه (والجان) الذى قربه من استحق غاية البعد (خلقناه من قبل) أى قبل الانسان فكان أكثر عبادة فقه مع كونه من أعز العناصر لكونه (من نار السموم) أى الحر الشديد (و) اذكر لمن يشكك فى تقريب الانسان وابعاد الجن (اذ قال ربك للملائكة) الذين هم أعز خلقه قبل الانسان (انى خالق بشرا) لا يستحق العزة بذاته كيف وهو من أخس الاشياء (من صلصال) هو من أخس منه لانه (من حما مسنون) ثم أشار الى تقريبه الموجب لتفضيله عليهم فقال (فاذا سويته) أى عدلت مزاجه بقربه من الوحدة المناسبة لوحدتى (ونفخت فيه من روحى) الفائض من جنابى لا من جناب العقول والنفوس (فقعوا له ساجدين) اعترافا بفضله عليكم وكان أمر ايم الملائكة ومن كان فى حكمهم كابليس (فسجد الملائكة كلهم) من غير استثناء (أجمعون) من غير أن يتأخر سجود البعض عن البعض (الا ابليس) لم يقتصر على التأخر بل (أبى أن يكون مع الساجدين) وان كانوا أفضل منه لتذللهم بالسجود (قال) تعالى (يا ابليس ما) عرض (لك) فالزمك (ألا تكون مع الساجدين) فانه لا ذلة لك فيما شاركت فيه الاعزة (قال لم أكن) لاشارك الاعزة فى تذللهم لادنى الاشياء فلم أكن (لأسجد لبشر) هو ذليل فى نفسه مع مزيد ذلته بمادته اذ (خلقته من صلصال من حما مسنون) فتعظيمك اياه بافاضة الروح منك لا يعارض الخسة من هذه الوجوه (قال) تعالى اذا نظرت الى خسة مادته ونظرت بعد ما رفعته وعظمته وأمرت أعزة عبادى بالتذلل له فلم تشاركهم (فاخرج منها) أى من طائفة الملائكة حكم الهى لا من عزتهم شئ (فانك رجيم) بالسب (و) ليس على غير الاستحقاق بل (ان عليك اللعنة) أى الابعاد الكلى الموجب لغاية الذلة (الى يوم الدين) فلا يمكنك اكتساب العزة بدار الدنيا التى هى مزرعة الآخرة (قال رب) ان لعنتنى فلا تعاجلنى بالعقوبة (فانظرنى الى يوم يبعثون) اذ لا يتصور انظار اللعين بعده (قال) اذا طلبت منى الانظار دون العفو والرجوع لأمرى (فانك من المنظرين) لا الى وقت البعث اذ لا بد من ردتى من دعوتك فغاية انظارك (الى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الاولى التى يفنى عندها نوع الانسان (قال) ابليس (رب بما أغويتنى) بالنظر الى المادة الجسمانية دون الروحانية فزينت لى باطل رأيى وأنزلتنى به عن رتبة الملائكة (لأزينن لهم) أهويتهم الباطلة لاجعلهم راضين (فى الارض) التى هى مادتهم الخسيسة لا ارجعهم الى الجنة (و) لا اقتصر على التزيين بل (لأغوينهم أجمعين) بلا يتم تصورك من خلقهم اذ خلقتهم لمعرفتك وعبادتك (الا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم من أهويتهم اذ لا أقدر على ابطال مرادك بالكلية (قال) الله (هذا) أى اغواء البعض واهداء البعض لا يخل بحكمتى اذ هو (صراط) أى دليل (على) لدلالته على سلطنتى

سعير فى قول أبى عبيدة وقال غيره فى ضلال وسعر فى ضلال وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كان بها جنون (سورة ياب) يقال

وتهدى ولطفى بالمغفرة تارة والاهداء أخرى فهو (مستقيم) فى الدلالة على جميع كمالاتى بخلاف مجرد الاهداء فانه لايدل على جميع كمالاتى بل فيه ميل الى جانب ولايظهر لك فى اغوائك سلطنة تعارضنى بها (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) تقهرهم على الاغواء فلايغوى (الامن اتبعك) لكونه (من الغاوين) أى المطبوعين على الغواية (و) هم وان طبعوا على الغواية (ان جهنم لموعدهم أجمعين) لان غوايتهم انما كانت بترك متابعة الدليل مع متابعة الاهوية الباطلة لغلبتها عليهم ولاعتبار الغالب منها فى الاعتقادات (لها سبعة أبواب) جهنم لعصاة المؤمنين ولظى لليهود والحطمة للنصارى والسعير للصابئين وسقر للمجوس والجحيم للمشركين والهاوية للمنافقين وهؤلاء وان كان فى كل منهم أهوية مختلفة (لكل باب منهم) أى من مجموع الغواة (جزء) لانه (مقسوم) بقسمة الغواة باعتبار الاصول اذلاضبط للفروع ثم أشار الى أن ابليس وان كان سبب تعذيب الغواة فهو سبب رفع درجات المتقين (ان المتقين) أى الذين وقوا أنفسهم عما يدعوهم اليه (فى جنات) باجتنابهم قه بالعبادة التى تقيهم عن المعاصى (وعيون) بالمعارف الحاصلة لهم عن التصفية الحاصلة عن العبادة ولكمال صفائهم يقول لهم الملائكة (ادخلوها بسلام) لسلامتكم عن امراض النفوس (آمنين) عن عقوبتها (و) لصفائهم (نزعنا مافى صدورهم من غل) أى حقد كان لبعضهم على بعض حتى صاروا (اخوانا) يتلذذ بعضهم بصداقة بعض كيف ولاتذال فى صداقتهم لكونهم (على سرر) ولايغار بعضهم من بعض بما حصل لهم من المنزلة الرفيعة لكونهم (متقابلين) يتلذذ بعضهم برؤية وجه بعض كيف والغل والغيرة تعب وهؤلاء (لايمسهم فيها نصب) أى تعب كيف وهو انزعاج لهم من الجنة معنى (وماهم منها بمخرجين) لاحسا ولامعنى ولماذكر ان جهنم موعد جميع الغواة وجعل الجنة للمتقين أيس المذنبون من المؤمنين فأزال يأسهم بقوله (نبئ) أى أعلم (عبادى) المؤمنين اذ أيسوا لذنوبهم (أنى أنا الغفور) لذنوب لايغفرها ملك غيرى لانى أنا (الرحيم و) اذا أخذهم الأمن من ذلك نبئهم (ان عذابى هو العذاب الأليم) بحيث لايستحق أن يوصف عذاب غيره بالأليم وان بولغ فيه غاية المبالغة (و) اذا أنكروا الرحمة من المعذب والعذاب من الرحيم (نبئهم عن ضيف ابراهيم) انهم جاؤا للتبشير ولتعذيب قوم لوط مع ان فيه اشارة الى أنه ينبغى أن يخاف مما يتوهم فيه الأمن ويرجى فيما يتوهم فيه الخوف فانه خافهم ابراهيم فاذاهم مبشرون ثم سألهم فاذاهم معذبون للقوم المجرمين وان من خاف الذنوب بشر بمن يحقها عقب (اذ دخلوا عليه) فخافهم ابراهيم (فقالوا سلاما) ليأمنهم أمان الملائكة من الذنوب فلم يأمنهم بل (قال انا منكم وجلون) كما لايأمن التائب من المعاقبة بعد التوبة (قالوا لاتوجل) فانا وان كنا ممن يوجل منهم ماجئناك بخوف (انا نبشرك بغلام عليم) يقوم مقامك فلم يعتبر تبشيرهم اذ كان بعد خروج الوقت كالتوبة حال النزع (قال أبشرتمونى) بشارة عالية (على أن مسنى الكبر) المانع منها وبشارتكم ان كانت سببا فالسبب لايؤثر مع المانع ومع ذلك (فبم

هو السور الذى بين
الاعراف (قوله عز وجل
تصعدا) أى بعيدا ومنه
مكان سحيق اذا كان بعيدا
(قوله تعالى سواع) اسم

تبشرون

تبشرون قالوا) ما جعلنا البشارة عيابل (بشرناك بالحق) أى بفعل الحق الذى لا يمنعه مانع فلا يتوقف فى بشارته الاقانط (فلا تكن من القانطين) فترط المختصر عن التوبة (قال ومن يقنط من رحمة ربه) وان كانت على خرق العادة (الا الضالون) عن قدرته على ما الاسباب له أو الموانع فيه موجودة ثم لما علم انه يكفى للتبشير واحد وهم جماعة (قال فما خطبكم) أى شأنكم العظيم الموجب لاجتماعكم (أيها المرسلون) مع ان ارسال الواحد للبشارة كاف (قالوا انا أرسلنا الى) اهلاك (قوم) لوط لكونهم (مجرمين) بأنواع الجرم فنعذبهم بأنواع العذاب (الا آل لوط) لا نعذبهم بشئ منها (انا لمنجوهم أجمعين) عن أنواعه (الا امرأته) فانها وان خرجت مع أهله عن مكان العذاب (قدرنا) كونها فى مكان المعذبين (انها لمن الغابرين) أى الباقين معهم فى اعتقادهم فهذه أعمال كثيرة تحتاج الى كثرة العاملين منافى السنة الالهية وان كان كل منا صالحا للتبشير والتعذيب لكن اذا توجهنا الى جهة فلا يتأتى خلافها أى تلك الحالة بتلك السنة ولما كانوا لانجاء قوم لوط لم يكن لهم بد من مجيئهم اليهم لاخبارهم بسبب نجاتهم ولما كان الانجاء فى الحرف لم يكن بد من منكر الحال (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) يخاف منكم تارة وعليكم أخرى (قالوا) لسنا ممن يخاف منهم ولا عليهم (بل) ملائكة (جئناك بما) أى بعذاب (كانوا فيه يمترون) أى يشكون (وأتيناك بالحق) اى الفصل بين أهل الحق والباطل لانجاء الاولين واهلاك الآخرين (و) ليست هذه الدعوى منا كاذبة لتسليتك وتخويف قومك بل (انا لصادقون) يظهر صدقنا بما عاقومك فلابد من وقوع ما قلنا ولا يحصل الا بخروجك من مكانهم (فاسر) أى فاذهب (بأهلك بقطع) أى فى جزء (من الليل) ليكونوا على غفلة من ذهابكم فقدمهم (واتبع أدبارهم) أى كن على اثرهم لان خروجك منهم سبب تعذيبهم فلو تقدمت أخذ العذاب من خلفك ولكن خروجك بأهلك عنهم ظاهرا وباطنا (ولا يلتفت منكم أحد) الى ما يصيبهم فيصيبه مثل ما أصابهم لمحبته لهم (و) لا تقفوا فى الطريق من حيرة ما أصابهم بل (امضوا) أى سيروا الى ان تصلوا (حيث تؤمرون) أى مكانا تؤمرون بالوصول اليه وان بعد (و) أكدنا عليهم الامر بالامضاء اليه اذ (قضينا) أى حكمنا بجزم ما فيها أوحينا (اليه ذلك الامر) الفظيع الذى يجب أن يتباعد عنه غاية التباعد وهو (أن دابر) أى آخر (هؤلاء مقطوع) لئلا يبقى منهم من يعمل أعمالهم (مصبحين) أى داخلين فى وقت الصبح وان كان وقت الرحمة انقلب عليهم عذابا نقيه التخويف عما يترهم منه الامن (و) ذلك لاستبشارهم بفعل المعاصى مع جعل الله سبب عذابهم فانه (جاء أهل المدينة) الذين حقهم تعميرها بابقاء النسل (يستبشرون) بما فيه خرابها فكان استبشارهم سبب هلاكهم كيف وقد قصدوا بذلك اهلاك عرض لوط الذى ينزل منزلة اهلاكه بالاساءة الى أضيافه لذلك (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بالاساءة اليهم فان الاساءة اليهم فضيحة للمضيف (واتقوا الله ولا تخزون قالوا)

صنم كان يعبد فى زمن نوح عليه السلام (قوله عز وجل سدى) أى مهملا (قوله سباتا) أى راحة لابدانكم (قوله حبرت)

انك تفضح تفسك بجماهم ضيفك (أ) تجماهم ضيفك بعد مانهيناك كانا امرنالك به (ولم ننهك عن) ان تضيف أحدا من (العالمين قال) اغاننم تعرفى بما يجب ان آتيا كم منه لما فيه من تخريب بلدكم مع أنه لا يزيد على صب الماء (هؤلاء) نساء القوم (بناتى) انكحوهن اياكم (ان كنتم فاعلين) صب مائكم فصبوه عليهن ليحصل لكم من بذركم من يقوم مقامكم ويعمر بلدكم قالت الملائكة (لعمرك) يامن تعظهم بعاقبه تعمير بلادهم وبقاؤهم انهم لا يسمعون موعظتك (انهم لفى سكرتهم) أى شدة غلبتهم التى أزالت عقولهم (يعمهون) أى يتحيرون فلا يفهمون ماتقول لهم فلما لم يسمعوا منه النصيحة المبقية لهم أسمعهم الله الصيحة المهلكة لهم (فأخذتهم الصيحة) من جبريل (مشرقين) أى وقت اشراق الشمس ليجوزوا وقت كمال الحياة لتضييعهم حياة مائهم (فجعلنا) من تلك الصيحة المحركة للارض (عاليها سافلها) بجعلهم الرجال العالين كالنساء السافلات (وأمطرنا عليهم) لامطارهم على الرجال مياههم ليبقى جامدا ويجمد بعد الرطوبة (حجارة من سجيل) أى طين كان رطبا فتحجر لرشهم على لواطهم وليست هذه القصة للتسلى بسماعها بل (ان فى ذلك لآيات) من أمن الخائف وهلاك الآمن وانقلاب المذموما (للمتوسمين) أى الناظرين بطريق التفرس فى الآيات (و) لئلا يذهب عن أهل العصر (انها) أى هذه الآيات (لبسبيل مقيم) أى لموجودة فى سبيل مستقيم للقوم (ان فى ذلك) أى فى جعلها بسبيل مقيم (لآية) أى عبرة (للمؤمنين) بما يسمع ويرى بأن من فعل مثل فعلهم استحق مثل نكالهم (و) كيف لا يعتبرهم وقد جعل مثلهم أصحاب الايكة (ان) أى انه (كان أصحاب الايكة) قوم شعيب (لظالمين) بنقص حكمة الموازنة ظلم قوم لوط بابطال حكمة المناكحة بل دون ذلك (فانتقمنا منهم) بما انتقمنا من قوم لوط من الصيحة (و) فضحناهم مثل فضيحتهم (انهما لبامام مبين) أى طريق واضح (و) لا يختص بنقص حكمة الموازنة والمناكحة بل يكفى فيه تكذيب الرسل فانه (لقد كذب أصحاب الحجر) وهم ثمود (المرسلين) أى صالحا القائم مقام جماعتهم (و) يكفى فى تكذيبهم أنا (آتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين و) انما لم يبالوا بالآيات لتحصنهم اذ (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا) ليصيروا (آمنين) من نقب اللصوص وتخريب الاعداء والانهدام لكن لم يفدهم الامان عن الصيحة (فأخذتهم الصيحة) مثل صيحة قوم لوط وشعيب اذلم يسمعوا حكمة الله فى الارسال واظهار الآيات (مصبحين) وقت توقع الرحمة لبدو النور وهو وان كان مما يصون من الآفات لم يصنهم لعماهم كما لم تصنهم بيوتهم من آفة الصيحة (فما أغنى) أى دفع العذاب (عنهم ما كانوا يكسبون) من الابنية الوثيقة ولا من البرالى الخلق (و) لولم نؤاخذهم بهذه الآيات لاخذناهم بالآفاق فانا (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى الا بالحكمة الثابتة التى لا تقبل التغير وهى الاستدلال بهاعلى الصانع وصفاته وأسمائه وأفعاله لمن لو فيعبدوه فاذا أخلوا بذلك أخذناهم (و) لولم نؤاخذهم بها فى الدنيا أخذناهم فى الآخرة (ان الساعة

أى ملتف وتمدد بعضها فى بعض فصارت شجرا واحدا عملوا كما قال عنترة واذا الصارتجرت أى اشتجر بعضها الى بعض أى

(الآية) واذا كانت المؤاخذة بمشيئة الله في الوقت كالايمان في الشخص (فاصفح الصفح الجميل) أي أعرض عن استعجالها وعن الزامهم الايمان لا عن دعوتهم لانك لست خالقا للعذاب ولا للايمان (ان ربك هو الخلاق) وهو وان كان خلاقا بمشيئته فلا يشاء خلاف ما علمه لانه (العليم و) كيف لا تصفح عن الزامهم الايمان وأنت غني عن ايمانهم لما أغنيناك عنهم فانا (لقد آتيناك سبعا) أي سبع آيات (من المثاني) أي من سورة الفاتحة التي تكرر نزولها لاشتمالها على معان مختلفة أصلية وتكررت في الصلاة لما يتفرع منها من تلك الاصول معان اخر (و) آتيناك معها (القرآن العظيم) اغناء لمالك عن الخلق كله وعند هذا الغنى (لا تمدن عينيك) الناظرتين الى الآخرة والى الحقائق والى الله (الى ما متعنا به) من الاموال (أزواجا) أي أشخاصا صاروا بها متبوعين متزاوجين (منهم) ليكثر اتباعك وتنفقها في سبيل الله فالذين يتبعونك بهذه الآيات والقرآن أكثر من ذلك ويحصل لهم من الغنائم أكثر من أموالهم (ولا تحزن عليهم) أي على تركهم الايمان وان كان ايمانهم مقوياً لك الدين من كثرة اتباعهم فان الله يقويك بضعفاء المؤمنين أكثر من تقويتك بهم لان أموالهم ربما تمنعهم من الجهاد بخلاف الضعفاء (و) لا تستكثار الاتباع (اخفض جناحك) أي اجعل يدك متواضعة (للمؤمنين) فانه يجذب الخلائق بطريق المحبة أكثر من جذب المال عند المتكبرين (وقل) لمن لا ينجذب لمحبتك (اني أنا النذير المبين) أن ينزل عليكم العذاب على تقسيمكم أوقاتكم على أهوية مختلفة (كما أنزلنا) من العذاب (على المقتسمين) القرآن الى شعر وسحر وكهانة وأساطير الاولين (الذين جعلوا القرآن) أي الذي كل آية منه جامع لوجوه الهداية (عضين) أي أجزاء مختلفة من أهوية وضلال فان تركناهم في الدنيا (فوربك) الذي أنزله لتربية الكل (لنسألنهم أجمعين) وكفى بسوء الماشدة عليهم سيما اذا سألناهم عما عملوا فيه بل (عما كانوا يعملون) من الاهوية المختلفة التي جاء القرآن ببيان فسادها واذا كان هذا السؤال يتوقف على البيان الكلي (فاصدع) أي فرق بين الاشياء لا برأيك بل (بما تؤمر وأعرض عن المشركين) برأيهم الفاسد فاعترضوا عليه باستهزائهم فلا تهتم لدفعه (انا كفيناك المستهزئين) فضلا عن استهزائهم أشار جبريل عليه السلام الى ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات والى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات والى أنف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي وقد كانوا محل الاستهزاء لانهم (الذين يجعلون مع الله) الذي له كل الكمالات (الها آخر) مع ما فيه من النقائص فان جهلوا الآن كونهم محل الاستهزاء (فسوف يعلمون) لكنه يكاد يسري جهلهم اليك فانه (لقد نعلم انك يضيق

فتح ويقال معنى سجرت أي بقذف بالكواكب فيها ثم نضرم فتصير نيرانا أقوله عز وجل سجرت) أي أوقدت (قوله تعالى سطحت

صدرك) فيطل (عما يقولون) من كلمات الاستهزاء وحقه ان يتسع نور واته فلا يضيق عطا آمر (فسبح) ليزداد تجردا فيزداد استنارة (بحمد ربك) لتحقق بكمالاته فتزداد اتساعا (وكن عندك (من الساجدين) لامن المدعين الكمالات لانفسهم كيف (و) كمالاته في عبادته له (اعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى نور التجلي الكامل الوسع اقلبك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النحل)

سميت بها لاشتمالها على قوله وأوحى ربك الى النحل المشير الى انه لا يبعد ان يلهم الله عز وجل بعض خواص عباده ان يستخرجوا الفوائد الحلوة الشافية من هذا الكتاب بحمل كلماته على مواضع الشرف وعلى المعاني المثمرة وعلى التصرفات العالية مع تحصيل الاخلاق الفاضلة وسلوك سبيل التصفية والتزكية وهذا أكمل مايعرف به فضائل القرآن ويدرك به مقاصده (بسم الله) المتجلي بذاته وأسمائه باعتبار صورها وآثارها جمعا وتفصيلا فلا يتم في دار الدنيا لانصرامها بل انما يتم في دار البقاء (الرحمن) بافاضة الكمالات على الكل فلا يتم الفرق بين البر والفاجر في الدنيا على العموم ولا بدمنه فهو في الآخرة (الرحيم) بانزال الروح الفارق على الخصوص في الدنيا لا يتم بالمعنى في دار الآخرة (أتى أمر الله) أى تحقق شأن ظهوره التام الذي لا يتصور الا في القيامة تحقق الماضي لدلالة الدلائل العقلية والنقلية عليه (فلا تستعجلوه) لازالة الشك فيه أما الدلائل العقلية فلانه عز وجل تسمح (سبحانه) أى تنزه بذاته عن الشريك واذا كان من لا يتنزه بذاته عن الشريك من الملوك يغضب على من أشرك به فانتقم منه فالمتنزه بذاته أولى كيف (و) قد (تعالى) أى علت رتبته (عما يشركون) أى عن مراتب كل شريك ومن أشرك بأحد من لا يساويه غضب عليه وان لم يكن ملكا وكان الشريك ممن يقاربه فكيف من هو أجل الملوك وبعدت رتبته عن مراتب الشركاء رأسا وأما الدلائل النقلية فلانه عز وجل (ينزل الملائكة) المعصومين (بالروح) أى بالكلام الذي هو كالروح لكلام غيره ويفيد الحياة الابدية من علوم المكاشفة والمعاملة وغيرهما بحيث يعلم بالضرورة ان نزولهم به (من أمره) كما ان الروح من أمره بل أعلى منه لان فيضان الروح يكون على الكل وهذا انما يكون (على من يشاء من عباده) المنسوبين الى حريته لا لاضلال الخلق بدعوتهم الى أنفسهم بل ليقولوا لهم (ان انذروا) المائلين من استقلالهم بالتأثير حيث (أنه لا اله الا أنا) والمتوحد بالالهية متوحد بالتأثير فلا أثر للاسباب وان كان مؤثرا عندها (فاتقون) أى خافوا تأثيري بالذات ولا تخافوا الغير الا بواسطتي وكما لا يساويه غيره في ذاته لا يساويه في أفعاله لانه (خلق السموات والارض) كيف وانما خلقنا (بالحق) أى بظهور نور وجوده واذا لم يتصور من غيره خلقهما ولا ظهور نور وجوده فيهما (تعالى عما يشركون) في الافعال تعاليه في الذات ثم انه كما لا شريك له يساويه لا شريك له أدنى لان الخلق وان كان ينقسم الى أعلى وأدنى فله ان يجعل الادنى أعلى فانه (خلق الانسان من نطفة) هي أدنى فجعلها أعلى (فاذا هو

أى بسطت (قوله تعالى سقياها) أى شربها (باب السين المكسورة) * *(باب السين المهملة) هو شد قوله عز وجل السر بكاح كقوله العلانية وسر نكاح

خصيم

خصيم) أى مجادل فى تمييز الحق من الباطل (مبين) لما يميزه باقامة الدلائل ورفع الشبه على ان الادنى الذى لا يصير أعلى انما خلق لحاجة الاعلى اليه فيجب ان يكون خالقه خالق الاعلى ابقاء لعلوه عليه (و) لذلك وجب أن يقال (الانعام خلقها) ابقاء لعلوكم اذ (لكم فيها دفء) ما يتدفأ به من اللباس والاكسية المتخذة من أصوافها وأوبارها وأشعارها يدفع الحر والبرد بحفظ اعتدال المزاج الذى هو من أسباب العلو (ومنافع) تدفع الحوائج الذاتية كالدر والنسل والاعانة فى (و) ما يشتد اليه الحاجة دفع الجوع والعطش وهو يحصل منها بقسم اذ (منها تأكلون) لحومها وتشربون ألبانها (و) منها ما يفيدكم مزيد علو عند الناس اذ (لكم فيها جمال) أى زينة (حين تريحون) أى تردونها الى المراح بالعشى من المرعى (وحين تسرحون) أى تخرجونها الى المرعى بالغداة فانه يحمل بذلك أهلها فى أعين الناظرين اليها ولكون الجمال فى الاول أظهر لانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع قدمه ثم أشار الى فائدة جامعة للحاجة والزينة فقال (وتحمل أثقالكم) فلا تتذللون بحملها فهو زينة لكم على انه محتاج اليه الاثم انقلها (الى بلد لم تكونوا بالغيه) مع تلك الاثقال (الا بشق الانفس) فربكم انما خلقها رأفة بكم بدفع المشقة عنكم ورحمة عليكم بافادة الزينة لكم (ان ربكم لرؤف رحيم) فلو شكرتم زادت رأفته ورحمته بكم ولو كفرتم بنسبتها الى غيره زاد غضبه عليكم ثم أشار الى ما هو أتم فى دفع المشقة وافادة الزينة فقال (والخيل والبغال والحمير) خلقها (لتركبوها) فتدفعوا بها مشقة السير بالارجل وان كانت دون مشقة حمل الاثقال ففيه مزيد الرأفة (وزينة) فوق زينة الانعام ففيه مزيد الرحمة (و) من مزيد رحمته (يخلق) لكم (ما لا تعلمون) فالادنى انما خلق لابقاء العلو العالى المنسوب الى الرب الاعلى يجب ان ينسب اليه أيضا فلا شريك له مساو ولا أدنى (و) اذا كان خالقا للانعام المذكورة لدفع مشقة السير فى طريق التجارة أو الزيارة أو غيرهما ولافادة الزينة فمشقة الآخرة أولى بالدفع وزينتها أولى بالتحصيل كان كالواجب (على الله قصد السبيل) أى بيان سبيل يجب ان يقصده دافع المشقة الاخروية ويحصل زينتها (و) كيف لا يبينه مع انه ليست مستوية فى الايصال الى ذلك اذ (منها جائر) أى مائل (و) لكن لا يلجئ بيانه الى الهداية اذ (لو شاء) البيان الملجئ (لهداكم أجمعين) فلم يكن ثم طريق جائر أصلا فلم يحتج الى البيان فضلا عن الملجئ بيانه وان لم يكن ملجئا فلا ينقص عن قدر الكفاية فى حق الكل لان سنته فى الرزق الحسى والمعنوى واحدة وقد يكفى فى الحسى اذ (هو الذى أنزل من السماء ماء) وكذلك أنزل العلم (لكم منه شراب) يسكن حرارة العطش وكذلك علمه يسكن حرارة الشوق الى المعرفة (ومنه شجر فيه تسيمون) دوابكم ففى العلم ما تنتفع به النفس الحيوانية فلا يقتلها الهوى قتل الجوع للحيوان وكما لا يقتصر فى النبات على ما ينتفع به الحيوان دون الانسان اذ (ينبت لكم به الزرع) الذى فيه قوت الانسان (والزيتون) الذى فيه ادامه (والنخيل والاعناب) اللذين فيهما مع ذلك مزيد التلذذ (ومن كل الثمرات) التى هى ثمرات كهرأدوية فكذا فى العلم

عز وجل ولكن لاتواعدوهن سرا او سر كل شئ خباره (قوله عز وجل سنة ولا نوم) السنة ابتداء النعاس فى الرأس فاذا

ما ينتفع به الروح والقلب بطريق التقوت كالعلوم العقلية وبطريق الادام كالمقدمات وبطريق التلذذ كعلوم المكاشفة وبطريق الفواكه والادوية من علوم المعاملة (ان فى ذلك) أى فى انزال المطر لهذه الفوائد النبوية (لآية) على انزال العلم المفيد هذه الفوائد (لقوم يتفكرون) فى ستة انها لا تختلف فى الامور الظاهرة والباطنة (و) لا يكون بيانه مطلقا لجريان سنته فى الامور الظاهرة التى جعلها فى غاية الظهور واذ يكون لها نوع خفاء لذلك (سخر لكم الليل) للاخفاء (والنهار) للاظهار (و) ليس بيانه فى حق الكل على نمط واحد كما ان الظاهرة للامور الظاهرة ليست على نمط واحد فى جميع الاوقات لانه سخر (الشمس والقمر والنجوم) فكان بيانه فى حق البعض كالشمس وفى حق البعض كالقمر وفى حق البعض كالنجوم وانتسب الكل الى الله كما كانت هذه الكواكب (مسخرات بأمره) فاستوى الكل فى نفس البيان استواء هذه الاشياء فى نفس التسخير (ان فى ذلك لآيات) أشير الى بعضها بما ذكر (لقوم يعقلون) بالفعل فوق عقل المتفكر بالقوة (و) البيان المنزل وان كان واحدا فلا يبعد ان يختلف باختلاف التوجيهات فانه تعالى سخر لكم (ما ذرأ) أى خلق (لكم) بحسب مقاصدكم المختلفة اعتنى بها وان كانت دنية باختصاص كونها (فى الارض مختلفا ألوانه) فاختلاف الوجوه فى الامر الاعلى بحسب اختلاف أهله أولى (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) فيتذكرون المعقولات من المحسوسات بادنى ملابسة لتقرر أسرارها بأذهانهم (و) كيف يبعد استخراج الامور المختلفة مما أنزل مع انه البحر المحيط وقد جرت سنته كذلك فى البحر الحسى غاية ما فى ذلك من الصعوبة مثل صعوبة البحر الحسى لكنه عز وجل سهله على أهله اذ (هو الذى سخر البحر) للتصيد وامنه السمك (لتأكلوا منه لحما طريا) فى غاية الرطوبة ليفيد قواما لسهولة الغذاء وهو مثال ما يقوى الدين بادنى تعب (وتستخرجوا منه) لا لأى وجواهر لتصلوها (حلية) وهو مثال تحرير الادلة التى يتزين بها الدين ويستر به عيوب الشبهات ستر الحلية عيوبكم اذ (تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه) أى شاقة من الجرى وهو مثال لتدقيق النظر واتساعه (ولتبتغوا من فضله) أى التجارة وهو مثال تحصيل الفوائد الزائدة على مفهوم الاصل (و) انما كان البحر دليل ما ذكرناه لانه انما فعل ذلك لطلب الشكر (لعلكم تشكرون) والشكر انما يكون بصرف النعم الى ما خلقت له وذلك بيان ما خلقت له وبيان المنعم وبيان فوائد الشكر (و) البيان وان لم يتم مع تعارض الادلة أو النقض أو المناقضة ففيه ما يستقر على ما هو سنته فى المحسوسات فانه وان كان فيها ما يتحرك ففيها ما يفيد السكون فانه (ألقى فى الارض رواسى) كراهة (أن تميد) أى تتحرك (بكم) فاذا فعل ذلك بكم فى الامور الحسية ففى العقلية بطريق الاولى لان الضرر هنالك أعظم وقد جرت سنته بدفع الضرر (و) قد جعل فى البيان ما لا يعرض لمانع كما انه ألقى فى الارض (أنهارا و) لو تعارض بعض البيانات أو وضع فيها نقض أو مناقضة فقد جعل فيها طرقا مختلفة موصلة الى المطالب كما انه جعل فى الارض (سبلا لعلكم تهتدون) فاذا اعتنى بكم فى طريق الارض فهو

فالعقل القلب صار نوما ومنه قول عدى بن الرقاع العاملى
وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

أشد عناية في طريق الوصول اليه (و) من عنايته بمن دابتكم في الارض انه جعل لها (علامات
و) حيث فقدت العلامات الارضية (بالنجم هم يهتدون) وكانه يستدل بالنجوم حيث فقدت
العلامات يستدل بعلامة عدم الخلق على عدم الالهية لمن فقده دلالة عدمها في حق الشركاء
(أ) تطلبون دليل عدم الهية الشركاء مع انه لاخلق لهم (فمن يخلق كمن لايخلق أ) تصرون
على القول بالهيتها بعد جزمكم ان لاخلق لها (فلا تذكرون) فان زعمتم ان الالهية لاتتوقف
على الخلق بل على استحقاق العبادة وهو موجود فيها قلنا انما يستحقها المنعم شكرا على النعم
فلو صح لغيره نعمة فلا شك انها محصورة (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فمقتضى ذلك
استيعاب الأوقات في عبادته شكرا على تلك النعم بحيث لايبقى وقت لعبادة غيره والحكمة
وان اقتضت الاستيعاب لم يؤاخذكم الله بتركه (ان الله لغفور رحيم و) لكن لايغفر لو عبدتم
الغير ظاهرا او باطنا اذ (الله يعلم ما تسرون وما تعلنون) ثم الاله ان لم يعتبر فيه الخالقية فلابد
ان يعتبر فيه عدم المخلوقية (و) شركاؤكم ليسوا كذلك اذ (الذين تدعون من دون الله لايخلقون
شيأ وهم يخلقون) بل هم دون كثير من الخلق اذ هم (أموات) وهم وان تعلقت بهم الشياطين
(غير أحياء) اذ الشياطين لاتدبر أبدانها (و) لو كانت أرواحها فلا تصلح للالهية لجهلها اجما
بهم بهذا من أعظم عيوب الصالحين ومعيوب الطالحين لانهم (ما يشعرون أيان يبعثون) على
انه يجب ان يكون الاله متصفا بأعلى الكمالات الذى لايتصور فيه الشركة فلذلك وجب ان يقال
(الهكم اله واحد) لكن انما يظهر على كمالاته في دار الجزاء فيؤمن به من يؤمن بجزائه (فالذين
لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) ان يكون له أعلى الكمالات كيف (وهم مستكبرون)
يجوزون ان يكون لانفسهم مثل كماله وهم وان لم يظهروا ذلك (لاجرم) يجازيهم الله به (ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون) من تجويزهم مثل كماله لشركائهم كيف ولو لم يجازهم بذلك لكان
محسنا اليهم وهو انما يحسن الى من يحبه (انه لايحب المستكبرين) مطلقا فكيف يحب
المستكبرين عليه ويقربهم اليه باستكبارهم (و) من استكبارهم على الله انهم فضلوا كلامهم
على كلامه فانه (اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) الذى يسند بنيكم (قالوا أساطير الأولين) أى
الأكاذيب التى سطروها ولم يحصل لهم بذلك فضل على الله ولا على أمثالهم الا في زيادة الوزر
لكثرتهم قالوه (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) الذى يظهر فيه ثقلها (و) تزداد ثقلا
لانهم يحملون (من أوزار الذين يضلونهم) وان كان اضلالهم أو ضلالهم (بغير علم) بكونه
معجزا الان اعجازه لايخفى على المتأمل فهم مقصرون في ذلك فلا يعذرون بنفي الجهل (ألا ساء
ما يزرون) لانه انضم الى وزر استكبارهم وزر تقصيرهم ولو عرف المضلون اعجازه كان قولهم
أساطير الأولين مكرا منهم على من يضلونهم فهو أشد من اضلالهم الجهال (قد مكر الذين من
قبلهم) كنمرود بن كنعان بنى صرحا ليصعد الى السماء فيقاتل ربه تلبيسا على الجهال بمثل
تلبيس هؤلاء بالصعود الى سماء كلامه المعجز الذى لايكون صعوبة الوصول اليه أدنى من
صعوبة الوصول الى السماء ولا يكون في الاستحالة دون استحالة مقاتلة الله (فأتى الله بنيانهم من

(قوله سيماهم) أى علامتهم والسيما والسيماء العلامة
(سنون) جمع سنة والسنون الجدوب كقوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين (قوله

القواعد) أى فأتى أمر الله بادلاك بنيانهم من جهة دعائمه فتضعضعت (فخر) أى سقط (عليهم
السقف من فوقهم) فكذلك تتضعضع بنيان فصاحتهم وبلاغتهم اذا عارضوه ويسقط عليهم
كما جرى من أبى العلاء المعرى وغيره (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى جهة أمنهم
لانهم اعتمدوا على قوة بنيانهم فكان سبب هلاكهم كذلك يعذب هؤلاء بظهور عجزهم
عند المعارضة (ثم) بعد ذلك العذاب (يوم القيامة) الذى يشتد فيه الخزى (يخزيهم) بأن
يأمرهم بمعارضة كلامه مع ظهور اعجازه للكل فيه (ويقول أين شركائى) فى كلامى البالغ
أقصى مراتب الاعجاز (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تتضاهون مشقة المجادلة فى شأنهم بجعل
كلامهم معارضا لكلام الله (قال الذين أوتوا العلم) بحقائق القرآن التى بها اعجازه (ان
الخزى) التام فى معارضة القرآن (اليوم) الذى اجتمع فيه العالمون بالاعجاز (والسوء) أى
سوء المعاقبة على تلك المعارضة (على الكافرين) أى المستمرين على كفرهم الى وقت الموت
فهم (الذين تتوفاهم الملائكة) الذين يظهرون أسرار اعجازه بظهوره وهم فيظهر كونهم (ظالمى
أنفسهم) بدعوى مشاركة الله فى كلامه المعجز (فألقوا السلم) أى الانقياد للقرآن وقالوا
(ما كنا نعمل من سوء) معارضة ولا انكار فيقول الملائكة (بلى) كنتم تريدون معارضته
وتصرون على انكاره ولا ينفعكم انكار ذلك بعد علم الله به (ان الله) الذى أردتم معارضته
وتكذيبه (عليم بما كنتم تعملون) فى كتابه وأوامره ونواهيه (فادخلوا أبواب جهنم) بجميع
الجهات (خالدين فيها) استيفاء الحياة الاخروية فيها استيفاءكم الحياة الدنيا فى الكفر
بالاستكبار على الله بتجويز معارضة كلامه لكم أو لشركائكم (فلبئس مثوى المتكبرين)
من بين مثاوى سائر الناس من جهنم (و) يدل على تكبرهم قول أهل الحق فى مقابلتهم فانه اذا
(قيل للذين اتقوا) القول بالباطل والمشكوك فيه والعناد والتكبر (ماذا أنزل ربكم) لتربية
دينكم (قالوا خيرا) من كلام جميع المخلوقين لا يتأتى لهم معارضته وفيه من فوائد الهداية
وغيرها ما ليس فى غيره اذ فيه (للذين أحسنوا) النظر فيه والعمل بما فيه (فى هذه الدنيا) التى
شأنها الحجاب عن الكمالات الحقيقية (حسنة) من العلوم والكرامات (و) لا ينقطع عليهم بذلك
فوائدهم الاخروية بل (لدار الآخرة خير) فى تحصيلها مع أن دار الدنيا ليست لهم وانما
لهم الآخرة لانهم خيار خلق الله (ولنعم دار المتقين) الآخرة وأقل ما فيها من الخيرية انها
(جنات عدن) أى اقامة وان كانوا الابرار فى (يدخلونها) أى يدخلون درجات القرب والعلم
فيها اذ (تجرى من تحتها الانهار) من العلوم والكرامات والمقامات وكيف لا تزداد مع انهم مع
انه (لهم فيها ما يشاؤن) من المراتب العالية وهى وان كانت فوق قدر استحقاقهم لكن (كذلك
يجزى الله المتقين) أى الذين وقوا أنفسهم عن النقائص يقيهم الله نقائص الآخرة كيف
ولا تطيب أنفسهم بدون ذلك ولا يبعد من تطييبها فى الحكمة لانهم (الذين) طيبوا اعتقاداتهم
وأعمالهم الى حين الموت (تتوفاهم الملائكة طيبين) لذلك طيب اتيموتهم اذ (يقولون) لهم
عند قبض أرواحهم (سلام عليكم) لا يلحقكم مشقة بنقص ولا بغيره بل يستبدل مشقاتكم

نجسوا فى الارض) أى
سيروا فى الارض آمنين
حيثما شئتم (قوله عز وجل
السوء) أى نعل بهم
(قوله تعالى تجميل) وتضليل

السابقة اللذات (ادخلوا الجنة) التى لامشقة فيها (بما كنتم تعملون) من الاعمال الشاقة انقلبت عليكم لذات ولايزالون يزدادون لذة فلا يجدون نقصانا ولهم الابدلهم الله لذة بالترقى عنه واذا لم يؤمنوا بهذا البيان الذى به اعجاز القرآن (هل ينظرون) أى ينتظرون للايمان (الا أن تأتيهم الملائكة) المكاشفون لهم عن ظلمهم أو طيبهم (أو يأتى أمر ربك) بالجزاء عليهما ولا ينفعهم هذا الانتظار اذ (كذلك فعل الذين من قبلهم) فلم ينفعهم (و) لم يكن ذلك ظلما من الله مع كونه فاعلا نفسه فانه (ما ظلمهم الله) بابطال نفع ما هو نافع (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) باعتقاد النفع فيما هو ضار بنفسه فعله وضرره لهم (فأصابهم سيئات ما عملوا) على اعتقاد أنها حسنات فلم تكن حسنات بل محبطة للحسنات كيف (و) قد استهزؤا بما هو أصل الحسنات لذلك (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم جزاء استهزائهم (و) من استهزائهم بالدين انه (قال الذين أشركوا) لو كانت الافعال بارادتنا لكنا مشاركين لله فى ايجاد الافعال ولو كانت بارادة الله (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) اذ لا ربوبية لاحد منا ومنهم (ولا حرمنا من دونه) أى من دون ارادته (من شئ) فلو عذبنا على عبادة الغير أو التحريم لكان ظلما مع انكم تقولون لا ظلم من الله تعالى فهذا وجه استهزائهم انقول مقتضى هذا ان لا يعذب الله أحدا على الشرك والتحريم لكنه منقوض بتعذيب الله الامم الماضية عليهما اذ (كذلك فعل الذين من قبلهم) من الشرك والتحريم متمسكين بمثل هذه الشبهة فارسل الله عز وجل الرسل لحلها تارة بأن ارادته تابعة لعلمه وعلمه تابع لمقتضى استعدادات حقائقهم ولكنهم لم ينقادوا لحلها الا من كان قاهرا عليهم يخافون من المعاندة معه ولكن (فهل) أى ما (على الرسل الا البلاغ المبين) أى تبليغ أمر الله مع حل الشبهات (و) استعدادات حقائقهم كما اقتضت صدور تلك الافعال منهم اقتضت الامر التكليفى وارسال الرسل به اليهم لذلك (لقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهذا الامر قد يوافق الفعل المستعد له فيكون هداية وقد يخالفه فيكون ضلالة فالله تعالى أراد كليهما (فمنهم من هدى الله) لاقتضاء استعداد عينه موافقة الامر التكليفى لفعله (ومنهم من حقت) أى ثبتت مع اقتضاء الامر التكليفى رفع الضلالة (عليه الضلالة) ويدل على كونه ضلالة مع كون الفعل واقعا بارادة الله مؤاخذته عليها وهو وان لم يكن الحكم محسوسا الآن فلا تعارضوا عقولكم لمناقضته الواقع (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) مع ان تكذيبهم كان مرادا لله والامر وان كان من الله فليس مقتضاه مراده فى حق أهل الضلال لذلك (ان تحرص) أيها الكامل الذى يتوهم من غاية كماله صحة معارضته لارادة الله (على هداهم) بعد ارادة الله ضلالهم (فان الله) لا يعارض فى ارادته ولو بأمره حتى انه (لا يهدى من يضل) وان كانت الهداية من أمره المراد له فارادة الامر لا تستلزم ارادة مقتضاه (و) ليس هذا حجة لهم بل عليهم لان ارادته تابعة لمقتضى استعداداتهم مع ان من مقتضاها الامر التكليفى والتعذيب على مخالفته لذلك (ما لهم من ناصرين) يدفع عنهم العذاب (و) غاية

الشديد الصلب من الحجارة والضرب عن أبى عبيدة وقال غيره السجيل حجارة من طين صلب شديد وقال

ما ينتصرون به انهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى مؤكد أيمانهم انه لو صح تعذيبه لنا على
ما أردمنا فلا شك انه انما يكون بعد البعث لكن (لا يبعث الله من يموت) لجريان سنته بعدم
بعثه فلا يتبدل فقال عز وجل (بلى) يبعثون وسنته انما لا تتبدل حيث لا وعد فى مقابلها وقد
وعدهنا (وعدا) كان ابقاؤه (عليه حقا) لئلا يلزمه نقص الكذب ولا نقص فى تبديل سنته
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه اذا تعارض الوعد والسنة فالترجيح للوعد بل لا يعلمون انه
وعدهم بذلك لكن لا يبعثه نحو يقام الاختلاف فى الاعتقاد الذى يتعلق بذاته وصفاته
وتوحيده وأفعاله والاعمال المرضية والمكروهة له والتخويف انما يتم بالبعث (ليبين لهم
الذى يختلفون فيه) عما ذكر ولا يكون الا بان يرجعهم اليه بالبعث (و) كيف يترك البعث
وقد خلق العقلاء لمعرفته وفيهم من كفر به ولم يعلم كذبه فلابد من ان يبعثه (ليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين) فهذا سبب البعث ولا مانع منه سوى العجز لكن لا يتصور العجز
عن كلمة واحدة للمشهورين بالعجز وهو ما يحصل بكلمة واحدة (انما قولنا لشىء) أى
لحقيقة شىء (اذا أردناه) أى أردنا جعلها شيأ موجودا (أن نقول له كن) من غير ضم كلمة
أخرى معها (فيكون) من غير تخلف (و) لو قيل انه وعد لا يجب ابقاؤه فالبعث ليس
للوعيد وحده بل للوعد أيضا فانه وعد (الذين هاجروا فى) سبيل (الله من بعد ما ظلموا)
بالاخراج عن أماكنهم (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) فنجعلها أماكنهم الذى لا يمكن الظالمين
اخراجهم منه (و) هو وان كان نفعا دنيويا لهم لا يقابل الاجر الاخروى الموعود لهم
(لأجر الآخرة أكبر) فالاقتصار على الادنى الدنيوى انما يكون من البخيل العاجز لكن
انما يعلمه الكفار (لو كانوا يعلمون) جوده وقدرته وكيف لا يستحق المهاجرون ذلك الاجر
مع انهم (الذين صبروا) على ما ظلموا فى سبيله وأجر الصبر بغير حساب كيف وقد نصرهم
على الكفار (و) هم (على ربهم يتوكلون) لينصرهم على الكفار فى الدارين فان قالوا
سلمنا قدرة الله على البعث وسببه ولا مانع منه لكن أمره ممكن لا يعرف وقوعه الا على
ألسن الرسل لكنهم بشر لا يمكنهم الاطلاع على الامور الاخروية قال تعالى لهم (وما أرسلنا
من قبلك الا رجالا) ويكفى فى اطلاعهم الوحى وقد كان (نوحى اليهم) فان لم تعرفوا
الفرق بين الوحى والوسواس (فاسألوا أهل الذكر) أى الذين شرفهم الله بمعرفة اسرار
معجزاته وكتبه (ان كنتم لا تعلمون) حقيقة رسالتهم (بالبينات) الظاهرة على أيديهم
(والزبر) النازلة عليهم للدعوة الى الخيرات فى العموم (و) ان لبسوا عليكم الامر يكفيكم
مراجعة الرسول اذ (أنزلنا اليك) أيها المخصوص بخطاب الله تعالى لغاية كمالك واطلاعك
على اسراره (الذكر) أى ما هو الشرف المطلق من بين الكتب السماوية (لتبين للناس)
أى الذين نسوا اعجازه مع ظهوره للمتذكرين اسرار (ما نزل اليهم) تفصيلا لئلا يهملوا
أسراره شيأ بعد شىء فيعرفوا اعجازه (و) لو لم يتأت لهم مراجعتك أو يعارض لهم الامر
عند عدم مراجعتك ومراجعتهم لكرهم (لعلهم يتفكرون) فى أسراره فيعرفون اعجازه

(قوله السقاية) هى مكيال يكال به ويشرب فيه (سوى) اذا كسر أوله وضم قصر ابن عباس مجبل آجر

لا بعد له (أ) لا يبالى الملبسون أمر الله وهو من مكر السيآت (أفأمن الذين مكروا السيآت) بيان كان الله والامور الدينية (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون اذ مكر بموسى عليه السلام بنسبته الى الزنا بامرأة (أو) أمنوا ان (يأتيهم العذاب) عبر المسبب (من حيث لا يشعرون) أى من جهة لا يشعرون بها كما لا يشعر الممكور به بقصد الماكر (أو يأخذهم فى تقلبهم) أى سعيهم فى آيات الله بأن يقصصهم على ايدى أولى العلم بظهور عجزهم عن معارضتهم المعجز الدالة على تصديق رسله ولا بعد ذلك (فما هم بمعجزين) الله ويكفى ذلك فى طهور عجزهم الموجب لعجبهم عند العلماء الذين هم أعز خلق الله (أو يأخذهم) ان يقص من قصائدهم شيئا بعد شيء ليصبروا (على تخوف) ان يسلبهم الكمالات كلها وهذا أقرب لاشعاره برأفتهم ورحمته عليهم ولا يبعد (فان ربكم لرؤف رحيم) يعود الرأفة والرحمة تنافى التعذيب مع ان غاية الاذلال (أولم يروا الى) دلائل كل (ما خلق الله من شيء) لا لتو (يتفيؤا) أى يميل (ظلاله عن اليمين و) هو وان كان لا يخلو عن شرف لا يقتصر على الميل اليه بل يميل الى (الشمائل) أيسارا لا يبقى من بعده بل يقع على الارض (سجدا لله و) تدل الظاهر دليل تدال الباطن باعمالها (هم داخرون) أى صاغرون وان كان فيهم مستكبرون (و) قد ظهر من الكل سجود الانقياد لارادة الله وسجود الامتثال من أعز خلق الله وهم الملائكة اذ (لله يسجد) جميع (ما فى السموات وما فى الارض من دابة) أى متحرك من الافلاك والكواكب والحيوانات (والملائكة وهم) وان كانوا أعز من الانسان فى جوهره (لا يستكبرون) وهم منقادون من كل وجه ظاهرا وباطنا كيف وهم وان كانوا مجردين وأقوى (يخافون ربهم) الذى رباهم بتربية جواهرهم وبعلمهم وقتهم لكونه قاهرا (من فوقهم) بحكمه تبديل أحوال جواهرهم من الطيب الى الخبث (و) لو لم يخافوا (يفعلون) بمقتضى طيب جواهرهم (ما يؤمرون) وان أمرهم بالتعذيب الذى خالف طبعهم كان له ان يأمر بما لا يدركه العقل ولا يبعد على الله ان يهدى من يشاء بما شاء (و) الكل وان كان ساجدا لله باعتبار أمر الارادة أو باعتبار ان عبادة طهر عبادة له فليس ذلك ما يناله من التعذيب على الشرك لما التزمهم من التكليف اذ (قال الله لا تتخذوا الهين) متعددين بأهل الاعداد (اثنين) والمشركون وان عللوا النهى بما لا يعقل ولا يتصور وان يأمر بالشرك وان جاز ان يأمر بما لا يدركه العقل اذ لا يأمر باعتقاد ما ليس فى الواقع واذا (انما هو اله واحد) وربما توهم الامر خلاف الواقع من الخوف ولكنه لا يتصور من الله بالنسبة اليه واما بالنسبة الى اله دونه ان يقصد الامان منهم وقد جعل اذ قال (فاياى فارهبون) أى خصونى بالخوف (و) كيف يخاف المرجع اعطاه الله الامان منه والخوف سواه لا يستقل بالتأثير (له ما فى السموات والارض و) كيف لا يعطى الامان من العبد ولا يتم التدين بدين الله دون ذلك اذ (له الدين واصبا) أى لازما ولزوم الدين له ينافى خوف الغير (أ) تسكرون لزوم الدين له (أفغير الله تتقون) عبادة الغير كالاسكون الخوف

واذا انضم سد كقوله الى ... أى ... كلمة ... بمعنى ... وصف بقال ذلك ... بدل ... أى الى ... السواء ... كل شيء ... العصمة ... وسواه

منه لاتكون لجر النفع منه اذ (مابكم من نعمة) جهلتم منعمها (فمن الله) أى فاعلموا انها من الله ولا لدفع الضر من جهته لان غايته انكم تتوقعون منه دفع الضر (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) أى تتضرعون (ثم اذا كشف) أى بذلك التضرع (الضر عنكم اذا فريق) أى جماعة (منكم بربهم يشركون) اذ يزعمون انه ارتفع بسبب الغير ولا فائدة فى هذا الشرك سوى كفران النعمة (ليكفروا بما آتيناهم) فلا يلزمهم شكرها الموجب للعبادة لتفرغوا للاشتغال بالتمتع (فتمتعوا) بها كافرين بالمنعم (فسوف تعلمون) مافوتهم من النعم الغير المتناهية المرتبة على الشكر وحصلهم من الشدائد الغير المتناهية المرتبة على الكفران مع ان أدنى شدة منها لا تفى بنعم الدنيا أجمع (و) مع كونهم لايستفيدون منهم نعمة ولا يدفعون ضررا يفيدونهم نعمهم و يستنصرون باخراجها اليهم اذ (يجعلون لما لا يعلمون) حصول الفائدة منهم (نصيبا مما رزقناهم) ليستفيدوا منهم تلك الفائدة بناء على انا وعدناهم تلك الفائدة فى ذلك فان لم نسألهم عن تضييع تلك النعمة بلا فائدة (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) علينا فى وعدنا الفائدة على ذلك (و) كما يجعلون للاصنام ما يحبونه من الاموال (يجعلون لله) مايكرهونه من الاولاد (البنات) وقد تنزه (سبحانه) عن التولد فضلا عن المكروه (و) مع ذلك يفضلون أنفسهم على الله اذ يجعلون (لهم مايشتهون) من الذكور (و) ليس هذا التفضيل بما يلزمهم من غير شعور منهم بل مع ظهور زوالهم فانه (اذا بشر أحدهم) أى أحد الذين يجعلون لله البنات (بالانثى) ولدت له أولاحد من أولاده (ظل) أى صار (وجهه) من الكآبة والحياء (مسودا) أى كأنه أسود (و) من شدة كراهته لها (هو كظيم) أى مملوء غيظا على امرأته لانه حصل له منها مايوجب أشد الحياء حتى انه (يتوارى) اى يستتر (من القوم من سوء) أى حياء (مابشر به) يحدث نفسه (أيمسكه) أى أيترك المبشر به مع انه أثره (على هون) أى ذلة عظيمة (أم يدسه) أى يخفيه فيجعله (فى التراب) حيا أو مقتولا (ألا ساء مايحكمون) بأن فى البنات ذلا وفى الذكور عزا والحكم بالدس فى التراب وجعل خير الاموال للاصنام وشر الاولاد لله وخيرها لانفسهم ثم قال (للذين لايؤمنون بالآخرة) فيجترؤن على الله باثبات الصفات السوء له (مثل السوء) أى صفات الذل (ولله المثل الاعلى) أى صفات الكمال كيف (وهو العزيز) أى المنفرد بكمال العزة المنافية لذل الموت الذى يطلب له الولد وبكمال القوة المنافية لذل الضعف الذى يدفع بالذكور (الحكيم) فى تخصيص الخلق بالنقائص لئلا يدعوا الاشتراك مع الله فى كمالاته (و) عزته وان اقتضت التعذيب على الفور فحكمته تمنع من ذلك لافضائه الى تخريب العالم فانه (لو يؤاخذ) على الفور (الله) الجامع للرحمة والقهر (الناس) الذين شأنهم نسيان حكمته (بظلمهم) بمخالفة حكمته (ماترك عليها) أى على الارض (من دابة) انسان أو غيره أما الانسان فلانه لايخلو واحد منهم من ظلم وأما غيره فلانه خلق من أجله (و) الحكمة وان منعت

وسطه (قوله تعالى مكانا سوى) وسوى أى وسطا بين الموضعين (قوله عز وجل السجل) الكاب أى الصحيفة فيها الكتاب

المؤاخذة على القوة ولا تبطلها بالكلية لاداته الى ابطال مقتضى العزة بالكلية (ولكن يؤخرهم) لا الى أمد غير معين لانه يشبه الابطال الكلي بل (الى أجل مسمى) ليستغفر منهم من يستغفر فيغفر له ويصر من يصر فيزداد عذابا (فاذا جاء أجلهم) أى غاية مدتهم (لا يستأخرون ساعة) أى لا يمكنهم طلب التأخير عنه الى ساعة أخرى للاستغفار منه لذهاب وقته المعين له (ولا يستقدمون) لاستقصار العقاب (و) لكن قبل مجيئه لا ينظرون الى عزته اذ (يجعلون لله) مع كمال عزته (ما يكرهون) لانفسهم لما فيه من دناءة (و) لا الى مقتضى عزته فى حقهم اذ (تصف ألسنتهم) الوصف (الكذب) لاعمالهم بانها حسنة فيزعمون (أن لهم الحسنى) على خلاف مقتضى عزته لكن مقتضاها تعذيب من استدلها لاهانة الملة (لا جرم) أى حقا (أن لهم النار) بمقتضى قهر عزته (وأنهم مفرطون) أى مقدمون فى التعذيب على غيرهم اذ أرادوا تقدمهم على الله بالتفضل عليه اذ جعلوا له ما يكرهون لانفسهم وانما قالوا ان لهم الحسنى مع انهم تفضلوا على الله من تزيين الشيطان لهم ولا يبعد مع ما لك من التلذذ والراحة فانه (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) ليبينوا لهم ما يقربهم من الله ويبعدهم من النار وما يقربهم من النار ويبعدهم من الله (فزين لهم الشيطان أعمالهم) المقربة من النار المبعدة عن الله فأراها بالعكس وأنت وان كان بالمآتم فلا تزيل موالاته بالكلية لعدم كونه ملجئا (فهو وليهم اليوم) يرجحون قوله على قولك لموافقة أهوائهم (و) هى وان كانت لذيذة (لهم) منها (عذاب أليم) يؤلم ظاهرهم وباطنهم (و) كيف لا يزيلهم ولم يترك بيانا لما من تلبيساته شيئا اذ (ما أنزلنا) من مقام علمنا الكامل (عليك) يا أكمل الرسل (الكتاب) الذى هو أكمل الكتب (الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) لوقوع الالتباس فيه (و) كيف لا يرفع الالتباس وهو (هدى) باقامة الحجج ودفع الشبه (ورحمة) بافادة الكشف التام لكنه انما يكون مفيدا (لقوم يؤمنون) بالله فيتأملون فى كلامه فيجدون فيه هذه المطالب الشريفة الدالة على انه من عنده لعجزهم سواه عنه (و) لا يبعد من الله مع غاية عظمته انزال الكتاب لاحياء الناس عن موت الجهل اذ (الله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك) أى انزال المطر لاحياء الارض (لآية) على انزال الكتاب لاحياء الناس (لقوم يسمعون) الدلائل من كتابه المعجز لاشتماله على ما لا يتناهى من الفوائد المفيدة للهدى والرحمة (و) لا يبعد ان يكون فى هذا الكتاب هذه الفوائد مع ما يرى فى ظاهره من الاقتصار على الظواهر وكثرة التكرار وتبدل الالفاظ (ان لكم فى الانعام لعبرة) لان الغذاء الواصل الى كرشها اذا انهضم انجذب الصافى الى الكبد والكثيف الى الامعاء ثم ما فى الكبد يصير دما ثم ينقسم الى الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء فتذهب الى الطحال والمائية تذهب الى الكلية ثم الى المثانة ويبقى بعضه دما يدخل فى الاوردة ويذهب بعضه الى الضرع فيصير لبنا لذلك (نسقيكم مما فى بطونه) من الغذاء ذكر الضمير بناء على ان الانعام مفرد مقتضب بمعنى الجمع كقولهم ثوب اكياش

وقيل النحل كاتب كان للنبى صلى الله عليه وسلم وتمام الكلام لكنت (قوله) عز وجل (مضربا) كسر الين من الهوى ومضربا

أو اذا أنت نهو شكس ـير ثم أو انه في معنى الجمع (من بين فرث) وهو ما في الامعاء من الثفل
(ودم لبنا خالصا) لا يشوبه شئ منهما فلذلك يكون (سائغا) يجرى في الحلق بلا غصة (للشاربين)
اذ ليس فيه خشونة الثفل ولا دسومة الدم فكما انقسم الغذاء الى فرث ودم ولبن فكذا
القرآن تنقسم معانيه الى قشر محض كالثفل ولب محض كالدم وفوائد عجيبة كاللبن الذي
يسوغ لاهل الحقيقة والشريعة جميعا اذ لا تناقض فيه احداهما الاخرى ثم أشار الى أن
التمثيل بالفرث والدم ليس لقصد الذم اذ كله ممدوح كثمرات النخيل والاعناب (و) لكن
يتضمنه علوم مختلفة كما انكم (من ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا) أى
خمرا وهو مثال علوم الحقيقة الموجبة لسكر المحبة وقد عرض للخمر ذم السكر لكنه لا ذم
يلحق المشبه بها (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل وهو مثال العلوم النافعة
التي يتعلم بها أمر المعاش والمعاد (ان في ذلك) الاتخاذ (لآية لقوم يعقلون) أى يستعملون
العقل فيتخذون من القرآن هذه العلوم النافعة لهم في معاشهم ومعادهم والعلوم الموجبة
لسكر المحبة فيجمعون بين هذه العلوم بلا مناقضة بقوة العقل (و) لا يبعد من الله أن يلهم
بعض عباده استخراج علوم حلو شافية من القرآن من غير استعمال عقل بناء كلماته
ء واضع الشرف وتغير معانيه والتصرفات العالية نعم امع تحصيل الاخلاق الفاضلة
وسلوك سبيل الكشف من التزكية والتصفية مع كمال التذلل فيه فقد فعل مثله بادنى
الحيوانات اذ (أوحى) أى الهم الهاما يشبه وحى الانبياء (ربك) الذي رباك بهذه الفضائل
(الى النحل) وهو الزنبور تربية لها (ان اتخذى من الجبال بيوتا) من ادهان الانوار وسومها
وهو الغالب (ومن الشجر) وهو المتوسط (ومما يعرشون) أى من السقف وهو النادر
(ثم) بعد بناء البيوت التي تشبه الاعمال الشرعية (كلى من كل الثمرات) الحلوة والمرة
والحامضة وهو يشبه تحصيل الاخلاق الفاضلة (فاسلكى سبل ربك) أى فادخلى ما كان
فيها من الطرق التي تجعلها عسلا وهو مثال التزكية والتصفية حال كون تلك السبل (ذللا)
أى متذللة لك وهو اشارة الى تذلل العبد لله عند حصول التزكية والتصفية لا يظهر عند ذلك
بدعوى الالهية لنفسه ولا بدعوى الكمال لها (يخرج من) أفواهها لعاب نشأ من ماكولها
في (بطونها) وهو (شراب) أى صالح للشراب وهو مثال شرب العلوم اللدنية (مختلف
ألوانه) أبيض وأسود وأحمر وهو مثال اختلاف انواع تلك العلوم (فيه شفاء للناس) اما
بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره اذ قلما يخلو معجون عنه وليس المراد العموم لانه
نكرة في سياق الاثبات لكن تنكيره يفيد تعظيمه (ان في ذلك) الوحى (لآية) على الهام الله
بعض عباده استخراج العلوم من القرآن (لقوم يتفكرون) في حال القرآن فيرونه قابلا
وفي حال الرجال فيرونهم مستعدين له (و) لا يبعدان يكثر علوم القرآن مع ان كل عالم انما
يتخذ منه مقدارا خاصا كما في العمر يكون لكل حى مقدار خاص اذ (الله خلقكم) باعتبار
جمعيته فلكم نصيب في الحياة وتوابعها (ثم يتوفاكم) عن قريب او بعد مدة فينقطع نصيبه

بالضم من المسخرة وهو
ان يستعبد و يكلف عملا
بلا أجرة وقوله ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا أى
ليستخدم بعضهم بعضا

قوله التي تجعلها الخ عبارة
الكشاف التي يحيل فيها
بقدرته النور والمر عسلا
من أجوافك ومنافذ
ما كلك اه وهي ظاهرة

من

من العمر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) فيعظم نسيه ولكنه يقتصر لانه انما يرد اليه (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) فكذا كل عالم يتخذ نصيبا من القرآن الذى هو الروح المعنوى ثم منهم من ينقطع نصيبه ومنهم من يكثر ومن المكثرين من يبلغ مبلغا يرى نفسه جاهلا باسراره بل بظاهره ولا يبعد من الله ذلك لكمال علمه وقدرته (ان الله عليم قدير) فيعلم كيف يدرج العلوم الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة ويقدر على اطلاع كل عالم على مقدار خاص منه (و) لا يبعد من الله ايقاع التفاوت فى فهم العلوم من القرآن من غير تفاوت فى العمر لانه رزق معنوى فهو كالحسى اذ (الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) كيف وما يحصل بالتعلم لا يبلغ مبلغ علم المعلم كما ان الغنى لا يعطى عبده ما فضل عن حاجته ولا ما يجعله مساويا له (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) الفاضل عن حوائجهم (على ما ملكت أيمانهم) ولا مقدارا يساويهم به (فهم فيه سواء) بل هذا التفاضل من الله فلا يبعد منه ان يفضل بعض علماء القرآن على بعض (أ) تنكرون فضل بعض علماء القرآن على بعض فى فهمه (فبنعمة الله) التى هى تكثير فوائد القرآن بحيث يبلغ بها حد الاعجاز (يجحدون) فيقولون انه مما يستوى فيه الكل مما يفهم من ظاهره الذى لا يعرف به اعجازه (و) لا يبعد من الله ان يفيد من الفاظ يسيرة ظاهرة بل من لفظ واحد معانى كثيرة لانه نظيرفى المحسوسات اذ (الله جعل لكم من انفسكم ازواجا) فانه كما خلق حواء من آدم خلق ذرات النسوة من ذرات الرجال فان لم يكن فلا شك انهن خلقن من نطف آبائهن (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) فلا يبعد ان يفيد من كل لفظ من الفاظ القرآن معانى كثيرة من ازدواج الفاظه معانى أخر ومن تلك المعانى الاول معانى توالى وتوالت وهلم جرا (و) يكون ذلك بطريق الملازمة والاستدلال تارة وبطريق الذوق اخرى كما انه (رزقكم من الطيبات) فالحاصل بطريق الذوق أطيب من غيره اذ لا كلفة فيه (أ) يغترون بقول الجهال (فبالباطل) من أقوالهم (يؤمنون) أى يصدقون بلا شبهة فضلا عن حجة (وبنعمت الله) وهو كلامه الجامع لانواع الدلائل والاذواق (هم يكفرون) فيجعلونه دون كلام الجهال بل أساطير الاولين (و) كيف لا يكون تصديقكم لاقوالهم ايمانا بالباطل وهم (يعبدون من دون الله) وعبادة الدون باطل ومطلوبهم أيضا باطل لانهم يطلبون منهم الرزق مع انها عبادة (ما لا يملك لهم رزقا) معنويا (من السموات و) حسيا من (الارض شيأ) من الملك الحقيقى والمجازى (ولا يستطيعون) على تحصيله لانفسهم أو لعبادهم بطريق الشفاعة أو غيرها ولا على دفع الضر فهى لكونها من الله لا تماثل الله بوجه من الوجوه (فلا تضربوا) أى فلا تجعلوا باتخاذهم شركاء (لله الامثال) فى استحقاق العبادة وكيف تصدقون أقوالهم انها أمثال ولا تصدقون قول الله انها عاجزة مع ان الواجب العكس اذ لا يعقل تقليد الجهال مع وجود العالم (ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) وان قالوا كيف نعلم ان قول الانبياء قول الله دون قول من يزعم الجهال يقال لهم (ضرب الله) لبيان ذلك (مثلا) للجهال (عبدا) اذ لا يناسبون سيدهم بوجه من الوجوه (مملوكا) اذ

(قوله بل وعزمه ومقصود) أقوله بل وتصير النبى مقصود المدد و لا شوك فيه كأنه خفف شوكة أى قطع (ومهين) حاجز وعيل من المهين

ملكتهم اهويتهم (لايقدر على شئ) من التصرف والانفاق لانهم وان أعطوا من المعقول فليس لهم ان يتصرفوا فيها بما يليق به المقاصد الدينية ويمدوا الخلائق (و) للانبياء الذين ناسبوا الحق وملكوا أهويتهم وأعطوا من العلم ما وصلوا به الى المقاصد الدينية كلها ظاهرها وباطنها بحيث يتمكنون من انفاقها على الوجه المستحسن للاسرار على أهلها والظواهر على أهلها (من رزقناه) من الاسرار (منا رزقا حسنا) لاخبث فيه من جهة الحرمة كذا علومهم ليس فيها خبث الضلال والفساد (فهو ينفق منه سرا) لاهل السر (وجهرا) لاهل الجهر (هل يستوون) حتى يجعل كلام الكل كلام الله أو كلام من دونه لايستوون بل يفضل أحدهما الآخر فضلا عظيما يوجب الشكر عليه وعلى من ينفق عليه (الحمد لله) وهؤلاء لايشكرون (بل أكثرهم لايعلمون) ان الله أعطاهم وان رأوا انفاقهم (و) ان لم يظهر لهم من هذا المثال فضل الانبياء على جهالهم (ضرب الله مثلا) أى أظهر منه اذ العبد المملوك رعاية سيده بالاعتاق أو باعطاء التصرف فمثل جهالهم ومثل الانبياء مثل (رجلين أحدهما أبكم لايقدر) على النطق الذى به استفادة العلم وافادته بل (على شئ) من الاعمال لكونه مجنونا فكيف يفيض عليه علما أو مالا للانفاق فيكانه مثل ذلك (وهو كل) أى ثقل (على مولاه) أى الذى ولى أمره ومثله لو لم يكن كلا لايفوض اليه شئ لانه (أينما يوجهه) من الاعمال (لايأت بخير) أى بنجح فكيف يفوض اليه الاموال والعلوم (هل يستوى هو ومن يأمر) من الانبياء لكونه منطقا ذا رشد (بالعدل) الشامل للفضائل (و) قد اشتمل عليها فى نفسه اذ (هو على صراط مستقيم) لايتوجه الى مطلب الا يبلغه باقرب سعى فكيف لايفوض الله اليه العلوم لانفاقها على الخلق سرا وجهرا (و) ان زعموا انه انما يحسن الامر بالعدل والكون على الصراط المستقيم عند الاطلاع على الحقائق لكنها غيب ولو اطلعوا على الغيب لعلموا وقت الساعة يقال لهم (ولله غيب السموات والارض) فله ان يطلع منها على ما يشاء لمن يشاء ويمنع منها ما يشاء فيختص به ذاته (و) لايضرهم عدم الاطلاع على أمر الساعة اذ يكفيهم ان يطلعوا على قربها فانه (ما أمر الساعة) فى القرب من قدرة الله (الا كلمح البصر) أى كقرب رجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها (أو هو أقرب) بان يكون فى زمان أقل أو ان بعث جميع الخلائق هو وان كان أمرا عظيما لايعظم على الله (ان الله على كل شئ قدير و) لايبعد من الله ان يخرج بعض أفراد الانسان من ظلمة الجهل الى نور العلم والولاية والنبوة فان له نظيرا فى المحسوسات اذ (الله أخرجكم) الى النور الحسى (من بطون امهاتكم) وهى مظلمة (لاتعلمون شيأ و) الى النور المعنوى اذ (جعل لكم السمع والابصار) لادراك المحسوسات الغائبة والحاضرة (والافئدة) لادراك المعقولات لتتوصلوا بذلك الى معرفته وعبادته (لعلكم تشكرون) بمعرفته وعبادته ولايلزم من ذلك تساوى الكل فيها كما لايتساوى الحيوانات فى الاماكن (أ) تنكرون تفاوت المكانات وقد وقع فى الاماكن فكانهم (لم يروا الى الطير مسخرات) يتمكن (فى جو السماء) كذلك يرتفع بعض الانسان بمكانة العلم على بعض

ويقال معين مضرتعت الارض السابعة يعنى ان أعمالهم لاتصعد الى السماء وان كتاب الابرار فى عليين أى فى السماء

لايات لانه على بقى نوعه بل باعلاء اقه اياه كاء لانه الطير اذ (مايمسكهن) فى ذلك المكان مع ثقلها (الا الله) وان توهموا انه اجنحته (ان فى ذلك لآيات) اشار الى بعض ارانعة رفع الطير (لقوم يؤمنون) بالله فيعاونون بآياته ويستزيدون بها معارفهم حتى ترتفع احوالهم ومقاماتهم ولا يلزم من ذلك الارتفاع الانتقال من مكان الشهوية والغضبية بالكلية فذلك سبب البقاء فلا ينبغى السكون فيه (و) لا يلزم الخروج منه كما لا يلزم السالك الخروج من بيته الطاهر اذ (الله جعل لكم من بيوتكم سكنا) لكن هذا السكون لا ينبغى ان يكون بحيث يمنع من التحرك الى الله ولا من الاتجار بالاعمال والاحوال والمقامات بل غاية الامر ان ينقل البيوت كما انه فى الموحات (جعل لكم من جلود الانعام) خصها بالذكر لانها اقوى من بيوت الاشعار والثياب (بيوتا) يمكن نقلها اذ (تستخفونها يوم ظعنكم) اى ارتحالكم (ويوم اقامتكم) فكذا الذى يستخف هذه القوى المتحركة الى الله حال سلوكه وحال استقراره بمقام قربه وانما يتيسر ذلك بلباس التقوى واتجار الاعمال والاحوال والمقامات بل تكون كأنها حاصلة من هذه القوى كيف (و) قد جعل الله لاعتبار ذلك (من اصوافها واوبارها واشعارها) اى اصواف جلود الضان واوبار جلود الابل واشعار جلود المعز (اثاثا) من الملابس والمفرش الاشارة الى التلبس بلباس التقوى بجميع انواعها واستفراش بساط الشرع الظاهر والباطن من كل وجه (ومتاعا) يتجر بها (الى حين) للاشارة الى الاتجار بالاعمال والاحوال والمقامات الى حين الموت (و) استصحاب هذه القوى وان كانت لا تخلو عن اذية فغايتها انها كحرارة الشمس (الله) جعل لكم منها اظلالا من الاخلاق والاعمال والاحوال والمقامات كما انه (جعل لكم مما خلق) من بعض الاجسام (ظلالا) هذا اشارة الى ظلال الاخلاق والاعمال واشار الى ظلال الاحوال والمقامات بقوله (وجعل لكم من الجبال اكنانا) ان خفتم من حرارة اذية النفس اذا تقوت بتلك القوى جعل لكم لباس التقوى حافظا عنه كما انه (جعل لكم سرابيل تقيكم الحر و) ان خفتم من محاربة الشيطان بها جعل لكم انتظام الدلائل ورفع الشبه كما انه جعل لكم (سرابيل) من الدروع والجواشن والسربال عام (تقيكم بأسكم) فكما اتم نعمته فى هذه المواضع (كذلك يتم نعمته عليكم) فى كل موضع اذ جعل لكم ظلالا من اسمائه الجمالية عن قهر اسمائه الجلالية حال السلوك وجعل فى الفناء فى الله اكنان وجود العبد بكن وجود الحق وفى البقاء ما يناسب صفات الحق للاتقاء عن حرارة شهوات النفس ودروعا عن محاربة توابعها الرديئة صفاتها (لعلكم تسلمون) وجودكم لله عند رد (فان تولوا) عن هذا البيان الدال على كمال عنايته فلا يضرك عدم ايصاله الى الهداية (فانما عليك البلاغ المبين) وقد بينت لهم بهذا البيان نعمة الله فهم بحيث (يعرفون نعمت الله) بالباطن بحيث صار مطلبنا الباطن (ثم ينكرونها) باللسان اذ لم تصر مطلبنا لهم (و) ليس هذا الانكار لخفائها عليهم بل (أكثرهم الكافرون) أى ساترون لهذا البيان الذى يكاد يلجئ الملجئ (و) لا ينقطع سترهم بموتهم بل يسترونه (يوم نبعث من كل امة شهيدا) فيشهد

السابعة

(باب الشين المفتوحة)

(قوله عز وجل شكر ربه) أى منيب تقول شكرت الرجل اذا جازيته على

قوله والسربال هكذا فى الاصلين بايدينا وعبارة الكشاف والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره اه

عليهم عما يبطل سترهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) برد شهادتهم ليعودوا الى سترهم (ولاهم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم الاعتذار لخروج وقته وهو ما قبل رؤية العذاب (و) ما بعد رؤيته فلا يفيد تخفيفا فضلا عن ازالته بالكلية فانه (اذا رأى الذين ظلموا) بستر الحق الواضح الى ان يشهد عليهم الشهود (العذاب) فاعتذروا (فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون) للاعتذار وان كانوا منتظرين لاقامة الشهود عليهم (و) كيف يخفف عنهم أو ينظرون وأثر الظلم فيهم باق الى هذه الحالة فانه (اذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) اجعلهم شفعاءنا اذهم (الذين كنا ندعوا من دونك) ليكونوا شفعاء عندك (فالقوا) اى رد الشركاء (اليهم القول انكم لكاذبون) فى جعلكم ايانا شركاء الله فكيف تتوقعون الشفاعة من هذا القول الكاذب (و) لو كان صدقا كان مانعا من الشفاعة لشعاره بالعداوة مع الله تعالى لذلك (القوا الى الله يومئذ) وان ادعى بعضهم الشرك قبله (السلم) اى الصلح بترك الشرك (و) هم وان صالحوا مع الله لم يصيروا شفعاء عنده بل (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من كونهم شفعاء عنده قبل الصلح او بعده ل (الذين كفروا) من هؤلاء الذين القوا الى الله يومئذ السلم بدعوى الشرك لانفسهم (وصدوا) بدعوى الشفاعة عند الله الناس (عن سبيل الله) فانهم وان صالحوا الله يوم القيامة (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذى للمستشفعين بهم لا يصلحهم بل (بما كانوا يفسدون) دين أنفسهم ودين الخلائق فانى يتصور منهم الشفاعة (و) لا يختص زيادة العذاب عليهم بدخول جهنم حتى يرجى ان يرى عابدوهم شفاعتهم قبل رؤيته دخولهم النار بل يزاد عذابهم أيضا (يوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم) ليفضحهم لا للعداوة معهم بل مع كونه (من أنفسهم و) اذا أنكروا مع ذلك شهادتهم (جئنا بك شهيدا على هؤلاء) الشهداء والمشهود عليهم تزكى الشهود وتزيد الشهود عليهم فضيحة بل قبائحهم مما نقلت اليك بالتواتر (و) لا يمكنهم ان يقولوا ان الذى نقل اليك أحاديث كاذبة لانا (نزلنا عليك الكتاب) المصدق لها مع كونه (تبيانا لكل شئ) من المعارف والاحكام واخبار الماضين (وهدى) مشتملا على الدلائل ودفع الشبه (ورحمة وبشرى للمسلمين) بأنهم يبلغون به الى حد الفراسة بحيث لو لم تبين لهم أحوال الماضين لاطلعوا عليها بفراستهم فاذا كان هذا للمسلمين عامة فكيف نبيهم صلى الله عليه وسلم وانما بلغوا هذا الحد من قيامهم بهذا الكتاب لانهم يصيرون به أصحاب التخلية والتحلية والتجلية كمالا وتكميلا كما قال (ان الله يأمر) فيه (بالعدل) أى الاعتدال وهو التحلية بالاوساط الجيدة فى باب الاعتقادات كالتوحيد بين التعطيل والشرك والقول بكسب العبد بين التفويض والجبر وفى باب الاعمال كأداء الواجبات والسنن بين البطالة والترهيب وفى باب الاخلاق كالحكمة بين البلاهة والدهاء والعفة بين العنة والشره والجود بين البخل والتبذير والشجاعة بين التهور والجبن (والاحسان) وهو ان تعبد الله كأنك تراه وهو التجلية ذكره لعدم دخوله فى العدل لانه ميل الى الحق فهذا هو الكمال وأشار الى التكميل

احسانه اما بفعل واما بنا والله عز وجل شكور أى مثيب عباده على

بقوله

بقوله (وإيتاء ذي القربى) أي من له قرابة نسبية أو دينية من العلم والمال ثم أشار الى التخلية بقوله (وينهى) في مقابلة العدل (عن الفحشاء) وهو ما تجاوز فيه الحد الى الافراط أو التفريط وصرح بالنهي اذ الامر قد لا يوجب التوسط لوهم المرخص أو الورع عن الدين بتوهم ان الامر للندب (و) ينهى في مقابلة الاحسان عن (المنكر) وهو الميل الى المنافي الادبار عن الحق (و) ينهى في مقابلة ايتاء ذي القربى عن (البغي) عليهم بمنع حقوقهم من المال والعلم وأخذ أموالهم واضلالهم وانما كان هذا بعد التحلية لانه (يعظكم) بهذه الاشياء (لعلكم تذكرون) ما فيها من الضرر فتخلون عنها اذا تخليتم عنها تذكرتم ما سبق فتحليتم اذ التخلي مما يسوق الى التحلية وهو موجب لصدق المراسة وهو مبلغ رتبة الشهادة عند الله يوم القيامة واعاد ذكر التحلية بعد التحلية اشارة الى انه كثيرا ما يحصل بعدها الرد الى النفس فيخاف من ضررها ولا يندفع الا بالتحلية (و) ما لم يرد فيه أمر ولا نهي بخصوصه (أوفوا بعهد الله) أي نذره فانه وان لم يجب ابتداء فبعد النذر يجب (اذا عاهدتم و) أولى بالوجوب منه ما حلفتم على فعله (لا تنقضوا الايمان) وكيف تنقضونها (بعد توكيدها) بذكر اسم الله فيها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي رقيبا هل تبالون به أم لا فلو نقضتم علم انكم لا تبالون به (ان الله يعلم ما تفعلون) فيه الارائكم و(في ايمانكم) (ولا تكونوا) بنقض اليمين التي هي رقيقة ما بينكم وبين الله مجانين (كالتي نقضت غزلها) ريطة بنت عمرو بن سعد كانت تغزل هي وجواريها الى نصف يوم ثم تنقض الجميع لا لعيب الغزل بل (من بعد قوة) لا لامانة في ذلك بل كان (أنكاثا) أي نقضا مجردا عن الغرض كذلك نقض اليمين كان بعد توكيد بالله ثم ابطال ذلك التقوى بلا غرض سوى الابطال وغاية ما تقصدونه من الاغراض فيه انكم (تتخذون أيمانكم دخلا) أي خديعة مفسدة (بينكم) بعد افساد ما بينكم وبين ربكم وأعظم ما يفسد كم ان تنقضوا عهدكم مع قوم لصلة وابع آخرين من أجل (أن تكون أمة) يخلفون لهم الآن (هي أربى) أي أزيد (من أمة) حلفتم لهم أولا وهذا وان كان مفيدا لامرهم في الدنيا فهو مذلتكم عند الله لانه (انما يبلوكم الله) أي يختبركم (به) أي بازديادهم هل تصبرون على نقض اليمين من أجلهم أم لا ليعصمكم يوم القيامة بعدم مبالاتكم بالله للنصرة بهؤلاء (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) من عداوة قوم ونصرة آخرين لا لغرض الدين (تختلفون) بجعل الاحباب اعداء والاعداء أحبابا فيفضحكم ببيان هذه الحيلة الذميمة منكم وكيف لا يكون هذا ابتلاء لهذا المعنى (ولو شاء الله) ان لا يبتليكم (لجعلكم أمة) متفقة لا تزال (واحدة) لا عداوة فيها (ولكن) أوقع العداوة فيهم لانه (يضل من يشاء) فيجعله طالبا له أو محبا له (ويهدي من يشاء) فيجعله مطلوبا أو محبا له (و) كيف لا يبتليكم هذا الامر العظيم يوم القيامة مع انكم (لتسئلن) يوم القيامة الموضوع للسؤال (عما كنتم تعملون) من كل قليل وكثير (و) لو لم يكن في نقض اليمين هذا الابتلاء والسؤال يوم القيامة لوجب رعايتها للمحافظة على

أعمالهم (قوله سبحانه) أي باعوا شرواه أنفسهم أي باعوا به أنفسهم ومنه قوله شروه بثمن بخس أي باعوه (قوله تعالى شطر المسجد

المصالح الدنيوية (لاتتخذوا أيمانكم دخلا) أى خديعة مفسدة (بينكم) فانه وان أفاد يوما
يبطل اعتقاد الناس عليكم (فتزل قدم) أى تندم كل واحد عن مقصوده (بعد ثبوتها) فيه
(وتذوقوا السوء) أى سوء معاملة الناس معكم اذ يخدعونكم كما خدعتموهم (بما صددتم
عن سبيل الله) بترويج الأيمان الكاذبة عليهم (و) مع هذا الذوق السوء (لكم
عذاب عظيم) على نقض الأيمان والمكر على الاخوان وصدهم عن سبيل الله هذا فى الآخرة
والتحفظ عن مكرهم فى الدنيا (و) غاية ما ترون فى نقض اليمين من الفائدة انكم تحصلون
به مالا أو جاها (لا تشتروا) أى لا تستبدلوا (بعهد الله ثمنا قليلا) فانه بالحقيقة تضييع الاعلى
بالادنى (انما عند الله) على وفاء العهد (هو خير لكم) من الثمن القليل المأخوذ على نقضه
(ان كنتم تعلمون) ان لكم عند الله شيأ ولو لم يكن خيرا فلا شك ان فيه استبدال الفانى بالباقى
(ما عندكم ينفد وما عند الله باق و) انما يعسر ترك الفانى للباقى لاحتياجه الى الصبر لكنه
انما يعسر الصبر من الادنى الى الاعلى اذا كان مشكوكا فيه ولا شك ههنا (لنجزين الذين
صبروا أجرهم) الذى هو بغير حساب فان حسب جوزى كل عمل منه (بأحسن ما كانوا
يعملون) بعوض أدنى أعماله أعلى وكيف لا يكون للصبر هذا الاجر وهو أجر كل عمل
المؤمن مع زيادة طيب الحياة المفقودة فى الصبر فان (من عمل) عملا أدنى أو أعلى (صالحا
من ذكر أو أنثى) أى كامل أو ناقص (وهو مؤمن) فان عمل الكافر اذا جوزى فى الدنيا
لا يجازى بالاعلى وكذا اذا جوزى به بعد الايمان فى الآخرة لا يجعل أعلى (فلنحيينه حيوة
طيبة) يتلذذ بعمله فى الدنيا فوق تلذذ صاحب المال والجاه ولا يبطل تلذذه اعسار اذ
يرضيه الله بقسمته فيقنعه ويقل اهتمامه بحفظ المال وتنميته والكافر لا يهنأ عيشه بالمال
والجاه اذ يزداد حرصا وخوف فوات (ولنجزينهم أجرهم) مع طيب حياتهم الدنيوية
(بأحسن ما كانوا يعملون) فلا يقال لهم أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا بل يكمل
جزاء أعمالهم الادنى بحيث يلحق بالاعلى فاذا كان هذا فى حق من أطيب بعمله ففى حق من
تحمل فيه مشقة الصبر أولى وكيف لا تطيب حياة المؤمن بأعماله ومن أعماله قراءة القرآن
وانه ألذ الطيبات اذا لم يعرض فيه الوسواس لذلك (فاذا قرأت القرآن) المفيد مزيد التقرب
من الله والاطلاع على اسرار معارفه وعباداته (فاستعذ بالله) الذى هو مستحقه (من
الشيطان الرجيم) ليرجمه عنك كما رجمه عنه تعالى وأثر رجوه الرجم انه يمنع تسلط
وسواسه على المستعيذ لان استعاذته تتضمن الايمان بالله والتوكل عليه (انه ليس له سلطان) أى
تسلط بالوسوسة المؤثرة (على الذين آمنوا) لان ايمانهم يفيدهم التنور الكاشف عن مكره
(وعلى ربهم يتوكلون) اذ التوكل على الله يفيدهم التقوية بالله فيمنع من معاناة الشيطان
وقوة تأثيره (انما سلطانه) أى تسلط وسواسه بالتأثير (على الذين يتولونه) أى يوالونه
فيعتمدون عليه لا على الله فيتوكلون عليه (والذين هم به مشركون) فلا يكون لهم ايمان
بالله مفيد للتنور بل يزدادون ظلمة فيزداد فيهم تأثيره لذلك يظهر فيهم أنواع الخوارق الداعية

لهم

(الحرام) أى قصده ونحوه وشطر الشئ نصفه أيضا (قوله عز وجل وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم وعلم ما عندهم

لهم الى مزيد الخبث (و) أعظم مواقع الوسواس فيه مواقع النسخ فانا (اذا بدلنا آية مكان آية) مع ظهور الكمال فيها بالبلوغ الى حد الاعجاز (و) ليس ذلك بطريق البداء بل (الله أعلم بما ينزل) ماذا يتضمن من المصالح بحسب الازمنة المختلفة (قالوا) لا دخل للتبديل في كلام الله لانه ابطال ولا يتصور في كلامه الازلي الابطال وهذا دال عليه فيكون مثله تعين انه (انما أنت مفتر) فقال تعالى هذا ليس بابطال (بل) بيان لانتهاء حكمه السابق وابتداء حكم اللاحق ولكن (أكثرهم لا يعلمون) هذه الحقيقة فيضلهم الاقلون المطلعون على المنادهم (قل) انما يكون افتراء لو كان فيه انتقال من خير الى شر أو من شر الى شر لكنه انما هو انتقال من خير الى مثله فعلم انه (نزله روح القدس) الطاهر عن الشرور ولانها نقائص وهو في غاية الكمال فلا يتصور منه الافتراء فانما نزله (من ربك) المربية أهل كل عصر بما يصلحهم لتلبسه (بالحق) أي بالاسم الالهي الذي له سلطنة ذلك العصر (ليثبت) على ما هو كال لذلك العصر بمقتضى ذلك الاسم (الذين آمنوا) بان الله ظهر في كل عصر بكمال مختص به لتجليه باسم خاص فيه (وهدى) الى معرفة كمالات الازمنة (وبشرى) بحصول تلك الكمالات (للمسلمين) أي المنقادين لما نزله روح القدس حتى يبلغوا درجة المؤمنين في الثبات عليه (ولقد نعلم أنهم) لا يساوون انه نزل به روح القدس بل (يقولون انما يعلمه) أي القرآن (بشر) جبير غلام رومي لعامر بن الحضرمي أو يسار وكانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه أو عائش غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب أو سلمان الفارسي فقال عز وجل في الرد عليهم (لسان الذي يلحدون) أي يميلون عن الاستقامة بنسبة القرآن (اليه) لسان (أعجمي) وربما لا يفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فهم لم يكن معنى معجزا فان كان لم يناقض لفظا معجزا فانه تلقف لم يكن عربيا (وهذا لسان عربي) معجز لانه (مبين) لما لا يتناهى من العلوم بعبارة ليست من جنس اشعارهم ولا نثورهم لكن انما يفهم منه هذه العلوم من يهدى الله بها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) لفهم هذه العلوم الغير المتناهية كيف (و) ربما يعجزون عن تطبيقه على وجه مستحسن الا بكلفة (لهم) فيها (عذاب أليم) لا يحصل لهم منه ذوق صحيح وكيف يكون معجزا مع كونه مفترى والاعجاز كرامة لا يستحقها الا المؤمن والفرية تنافي الايمان (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) في الآفاق الدالة على رعاية الحكمة في خلق الاشياء المقتضية تعذيب المفترى على الله (و) من زعم ان المفترى ينال فضيلة الاعجاز (أولئك هم الكاذبون) لان الاعجاز تصديق والله تعالى لا يصدق الكاذب لانه كذب يجب تنزيه الله عنه لانه نقص في صفته التي هي كلامه وكيف يعطى الله فضيلة الاعجاز من كفر بالله بالافتراء عليه بآيات الله تتضمن الايمان به فيكون كفرا بعد الايمان وكيف يطلع مثله على اسرار الاعجاز التي هي أعز الالطاف الالهية مع كونه محل غضبه الموجب عظم العذاب فان

مأخوذ من شرت الدابة وشزرتم اذا انفرجت جريها وعات شيرها (قوله نصيرنهم) أي اختلط بهم (قوله شنآن قوم) بحركة

(من كفر بالله من بعد ايمانه) فعليهم غضب من الله (الا من أكره) على الكفر فنطق به (و) لم يكن لسانه ترجمان قلبه بل قلبه (مطمئن) أى ثابت الاتصاف (بالايمان) فلا غضب عليه لانه حفظ حق الله بقلبه وحق نفسه الراعية حق الله فيما يعد بلسانه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) فلم يتردد فيه نظرا الى دلائل الايمان بل كان مطمئنا بالكفر فانهم لم يكن كفرهم بعد الايمان (فعليهم غضب من الله) والمفترى على الله منشرح الصدر بالكفر وكيف يستحق فضيلة الاعجاز كيف وهي بالاطلاع على المعارف الكاشفة للغيب (ولهم عذاب عظيم) فوق عذاب المجرب بالاستمرار على الكفر من ابتداء الامر وكيف تنشرح صدورهم لهذه المعارف مع ان (ذلك) الانشراح بالكفر مناف لتلك المعارف لانها كاشفة عن كدورات الدنيا ولولا لم تنشرح صدورهم الا (بانهم استحبوا الحيوة الدنيا) التى تمنع هذه المعارف كدوراتها (على الآخرة) التى تبين هذه المعارف صفاتها فلا يكون لهم نظر فى هذه المعارف ولا فى مقدماتها بل يقيمون الشبهات (و) لانهم لا يرون بها الاهتمام من هداية الله (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) كيف وهذه الهداية من نور الله لكن (أولئك) بعدوا عن ذلك النور لانهم (الذين طبع الله على قلوبهم) فلا يدخلها نور يدعوهم الى حلها فضلا عن نور يتجلى لهم (وسمعهم) فلا يسمعون حلها من أحد (وأبصارهم) فلا ينظرون فى الكتب الالهية المشتملة على حلها (و) ذلك لانهم لا يبالون به اذ (أولئك هم الغافلون) عن ضررها لان ضررها وعود فى الآخرة ولا يرون اشياء يترددوا لها (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) لانهم ضيعوا مزرعتهم من الدنيا (ثم) بعد عدم غضب الله الموجب للخلود على المكره بالكفر (ان ربك للذين هاجروا) ولو (من بعد ما فتنوا ثم) بعد الهجرة (جاهدوا) وان لم يجاهدوا قبل الهجرة حفظا للنفس (وصبروا) على مشاق الهجرة والجهاد فلم يرجعوا الى اماكنهم اعتمادا على طمأنينة قلوبهم بالايمان (ان ربك من بعدها) أى بعد اجتماع هذه الامور (لغفور) له بالكلية بل (رحيم) باعطاء الاجور الزائدة واما فلا يخلو عن لوم أو تعذيب كل ذلك فى يوم عظيم لكونه (يوم تأتى كل نفس تجادل) لدفع العذاب واللوم (عن نفسها و) لكن لا ينفعها مجادلتها اذ (توفى كل نفس ما عملت) فلو قصرت بالبقاء فى دار الكفر بعد الاكراه أو فى الجهاد أو فى الصبر فلا يبعد ان توفى عذاب ذلك (وهم لا يظلمون) بالتعذيب الزائد بان يجعلوا كفارا مع اطمئنان قلوبهم بالايمان (وضرب الله مثلا) لمن انشرح بالكفر صدرا بعد انعام الله عليه بآيات تفيد الامان عن الغلط والطمأنينة بعدم ضرر الشبهات لكونها شبه الاولية وان وردت على واحد منها شبهة تم دلائل كثيرة تأتيهم من مناهج كثيرة لا شبهة على أكثرها فعاندوها وعاندوا الشبهات الواردة على بعضها فوقعوا فى خوف انقلاب ما تدل عليه هذه الدلائل الكثيرة ولم يشبهوا من كثرتها (قرية كانت آمنة) من الطروق فى نفسها (مطمئنة) أى مستقرة على الامن لا تخاف من خارج بعسكر يقصدهم ولا تخاف من خطر السفر

النون أى بغضاء قوم وشنآن ساكنة النون أى بغض قوم هذا مذهب البصريين وقال الكوفيون شنآن وشنآن مصدرات

اذ كان (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) يسافر اليه لطلبه فاعتقدوا ان ذلك ليس من
الله بل من خواص قريتهم (فكفرت بانعم الله) فنزعها منهم (فاذاقها الله) بدل لذة الامن
والرزق لاذوقا مختصا بعض بل عاما عموم اللباس فكأنه ألبسهم (لباس الجوع والخوف)
لا على طريق الاتفاق حتى لا يعتبر به بل (بما كانوا يصنعون) من الكفران بنعمة الامن
والرزق وليس باعظم من الكفران بما يفيده هذه الآيات من الامن عن الغلط والاشباع
بالعلوم بل عذابه أشد (و) لقد وقع فيهم أيضا فانهم (لقد جاءهم رسول) عرفوا صدقه
لكونه (منهم فكذبوه) مع معرفتهم صدقه بكونه منهم وبدلالة المعجزة التي له
(فاخذهم العذاب وهم ظالمون) بالتكذيب ظلما أدنى من ظلم هؤلاء بهذه الآيات فهم اولى
بالمؤاخذة الاخروية فوق اذاقة لباس الجوع والخوف واذا كان كفران نعمة الله موجبا
لاذاقة لباس الجوع والخوف وتحريم حلالها ولو بالنسخ من التحريم تكذيبا موجبا للعذاب
لم يكن بد من الشكر وهو بقدر الانتفاع بالنعمة ولا يتم الا بالاكل (فكلوا) لا بالاستيعاب المفضي الى الاسراف المانع عن كمال العبادة التي بها كمال الشكر بل (مما رزقكم
الله) انعاما عليكم اذ جعله (حلالا طيبا) اى طاهرا من الشبهات (و) ليس المقصود
من انعامها نفس الاكل بل الشكر (اشكروا نعمت الله) بصرفها الى ما خلقت له من
التقوى على العبادة ومعرفة المنعم واعتنائه بعبادته (ان كنتم اياه تعبدون) فلو لم تشكروه
كنتم عابدين النعمة دون المنعم ولو حرمتم ما أحل لكم كنتم عابدين من حرم من دونه فان لم
تأكلوا الا تحريما سوى ما حرم ولا تحللوا ما حرمه وان عكس الغير (انما حرم عليكم) من
جملة ما يحله الغير (الميتة) اذ لم تستفد من الذكاة الشرعية حياة معنوية تطييبا (والدم)
لان المقصود من الذكاة اراقته فلا يستفيد منها فائدة بعدم امثل التطييب (ولحم الخنزير)
لان خبث اخلاقه ذاتية له فلا تزول بعارض الذكاة (وما أهل لغير الله به) فان ذكاته لم تفده
حياة اذ زادته خبثا لكن لا يبالى بخبث هذه الاشياء حال الاضطرار الحاصل بغير معصية (فمن
اضطر) الى أكل هذه الاشياء (غير باغ) بالخروج على الامام (ولا عاد) بسفر المعصية كقطع
الطريق والاباق (فان الله غفور) اى ساتر لخبثها والا بنا ثيرها فان لم يستر فلا ازال من منع
تأثيره لانه (رحيم) بالمضطر فلا يمكنه ان يؤثر فيه (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) اى للشئ
الذى تصفه ألسنتكم بالحل والحرمة الوصف (الكذب) لمخالفته نص الشرع (هذا حلال
وهذا حرام) بعد ظهور كذبه لكم فلا تستمروا عليه (لتفتروا) بنسبة التحليل والتحريم
الى الله (على الله الكذب) فانه مثل الشرك بالاستحلال والتحريم (ان الذين يفترون على
الله الكذب لا يفلحون) كما لا يفلح المشركون وان فازوا بكثرة الاموال والاولاد اذ هو (متاع
قليل و) مع قلته هو سبب العذاب اذ (لهم عذاب أليم و) من المفتريات قول اليهود ان ما حرم
عليهم لم يزل محرما على الكل ولا يزال اذ المحرم الابدى ما يكون فى ذاته خبث ولا خبث فيما حرم
عليهم اذ (على الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) فى سورة الانعام مما لا خبث فيه

(قوله عزوجل شعائر الله) ما جعله الله علما لطاعته واحدها شعيرة مثل الحرم يقول لا تحلوه فتصطادوا فيه ولا الشهر الحرام فتقاتلوا فيه

(وما ظلمناهم) بتحريم ما الاخبث فيه عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) باعمال الخبائث فسح منهم بعض الطيبات جزاء على خبثهم (ثم) انهم ان حرمت عليهم لخبثهم ثم حرمتها عليهم بعد الاسلام لكونه توبة عن ذنوب آبائهم التي جهلوها والاسلام مبالغة في الاصلاح فوق المبالغة التي في اليهودية اذا كانت ثابتة (ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بقدار ما سواه تحقيقا او حكما (ثم تابوا من بعد ذلك) العمل بالجهل (وأصلحوا) العمل المسيء فقلبوه حسنة (ان ربك) لو لم يغفر بمجرد التوبة فلا شك انه (من بعدها) اى بعد التوبة المستعقبة للاصلاح ما تاب عنه (لغفور رحيم) فكذلك يغفر لمن اسلم منهم عن حرمتها ويرحم عليه بالانعام بها ولو كان تحريم ما حرم على اليهود لخبث في ذاته لكان ابراهيم اولى بالتحريم (ان ابراهيم كان) جامعا للفضائل بجامعة من الانبياء عليهم السلام كانه كان (أمة) لانه كان (قانتا) أى مطيعا طاعة جماعة (لله حنيفا) مائلا عن المعاصى (ولم يك من المشركين) شرك اليهود بعزير والنصارى بعيسى ولا غيرهم وكيف يكون مشركا وكان (شاكرا لانعمه) والمشرك ان شكر فانما يشكر ما ينسب اليه من النعم دون غيره ولشكره (اجتباه) بلغ من اجتبائه انه (هداه الى صراط مستقيم) فاعتدل في الاعتقادات والاخلاق والاعمال (و) لاستقامة صراطه (آتيناه في الدنيا حسنة) هي محبة الكل وتعظيمهم له (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ارباب الولاية النبوية التي هي أفضل من نبوتهم وان كانت أفضل من ولاية الاولياء (ثم) من فضائله الجليلة انا (أوحينا اليك) يا أكمل الرسل (ان اتبع ملة ابراهيم) في اعتدالها لانه كان (حنيفا) أى مائلا عن طرفي الافراط والتفريط (و) لكن لم يجعل العبادة متوسطة بين الحق والخلق لانه (ما كان من المشركين) ولا يلزم من متابعتك اياه تعظيمك للسبت لانه (انما جعل السبت على) اليهود لانهم (الذين اختلفوا فيه) على نبيهم اذ امرهم موسى ان يتفرغوا عن الاشتغال للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا ان الله قد فرغ في السبت عن خلق السموات والارض فنوافقه في الفراغ فالزمهم الله السبت وشدد عليهم موافقته فيه ثم جاء عيسى عليه السلام يوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيد اليهود بعد يوم عيدنا فاتخذوا الاحد فاعطى الله يوم الجمعة لهذه الامة وبارك لهم فيه اذ كان فيه خلق آدم فيجب فيه الشكر على الانسانية التي بها كمال الخلافة (وان ربك) وان الزمهم يومهم في الدنيا (ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) على انبيائهم واذا امرت باتباع ملة ابراهيم فادع الى الله بمثل دعوته (ادع الى سبيل ربك) كل فرقة بحسب ما يليق بها (بالحكمة) ايراد البراهين القاطعة لاهل الكمال كاستدلال ابراهيم عليه السلام بافول الكواكب على نقصها المنافى لالهيتها (والموعظة الحسنة) بالكلمات الخطابية المقنعة للمتوسطين كقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ (وجادلهم) ان كانوا مشاغبين (بالتي هي احسن) وهي طريقة الانصاف كقوله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فان فعلت هذا سقط عنك تكليف البلاغ وان لم يهتد بعضهم (ان ربك

فيه ولا الهدى وهو ما اهدى الى البيت بقول لا تحلوا حتى يبلغ محله أى منحره واشعار الهدى ان يقلد بنعل أو غير ذلك

واعلم عن ضل عن سبيله) فلا يمكن ارشاده باحد هذه الاوجه (وهو أعلم بالمهتدين) بوجه من هذه الوجوه (وان عاقبتم) بالطعن عليهم اذا لم تهتدوا بشئ من هذه الوجوه فطعنوا عليها (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لا ازيد بالمبالغة فى الطعن (ولئن صبرتم) على طعنهم فلم تطعنوهم (لهو خير للصابرين) فوق خير السكوت عنهم اذ فيه قلة مبالاة بطعنهم (و) الصبر وان جاز فى حق غيرك لكنه واجب عليك (اصبر) وكيف لا يكون صبرك خيرا (وما صبرك الا بالله) واذا كان الصبر بالنفس خيرا فبالله بطريق الاولى (و) ان عسر عليك الصبر لما ترى من بقاء المطاعن عليك (لا تحزن عليهم) ببقاء مطاعنهم بل تظهر مطاعنهم (و) ان بالغوا فى التلبيس بها على العامة (لا تك فى ضيق مما يمكرون) فان الله تعالى يكشفها لك فكيف لا يكشف لك مع تقواك واحسانك (ان الله مع الذين اتقوا) فزكوا انفسهم (والذين هم محسنون) بتصفية قلوبهم لظهور الحق فيه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

ويجلل ويطعن فى نسق
سنامه الاثنين بعيدة لسلم
انه هدى ولا القلائد كان
الرجل يقلده بعيره من لحاء

*(سورة بنى اسرائيل)

سميت بهم لتضمنها ان هدى بنى اسرائيل مما تضمنه اسراء محمد صلى الله عليه وسلم قبل العروج الى السموات وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بتنزيهه فى عبده المنسوب الى ذاته الغالب فيها نظر التنزيه وان كانت متصفة بالصفات الثبوتية (الرحمن) باسرائه الى لصيرا كل رسله فتكون رحمته اشمل المخلوقات كيف وقد أسرى الى موضع اجتماع البركات قبل وصوله الى السموات (الرحيم) باراءة آياته له ليريها لخواص خلقه فيجعلهم كاملين مكملين (سبحان الذى) أى سبح الله تسبيحه ذاته باعتبار ايهامه العدم اختصاصا باسم خاص عما يتوهم فى قصة الاسراء من التشبيه كالتمكن وغيره (أسرى) أى سير بالليل ليشير الى انه سيرا أولا من الظاهر الى الباطن لتغلب عليه الروحانية لكمالها المقتضية لاضافتها الى غيب الهوية فى قوله (بعبده ليلا) وصرح بقوله ليلا ليشير الى أن ابتداء سيره واتمامه يكونا بالنهار فهو مع تسييره ظاهره كأنه سير من باطن الى باطن اتم منه فى البطون (من المسجد الحرام) اذ نشأ من سجوده الخاص الذى حرم فيه الغير وحرم فيه رؤية الغير (الى المسجد الاقصى) ليشير الى اساطنه باقصى مراتب غيره قبل وصوله الى السموات لاتصاله بانوار نبوتهم وولايتهم التى ظهرت هنا له على أقصى الوجوه اذ هو (الذى باركنا حوله) باشاعة انوارهما اشاعة كاملة تنسب الى مقام العظمة الالهية (لنريه) من مقام عظمتنا فيها او قدلك سيأتنا (من آياتنا) الظاهرة فى المظاهر الكاملة للانبياء عليهم السلام ومقاماتهم من السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهى بل فوق ذلك بحيث يصير سمع الحق وبصره (انه هو السميع البصير) من أعظم ما باركنا حوله باشاعة نور النبوة والولاية اما (آتينا موسى الكتاب) الجامع لاسرارهما (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) هداية خاصة الى توحيد الافعال (الا تتخذوا من دونى وكيلا) من يعتمد عليه ليقتصر نظرهم على

تمسل الفمه كل شئ وهي وان حصلت لهم من التوراة فليست موروثة من موسى ولا من سائر الانبياء لان ولاية النبوة لاتحصل لغير الانبياء وانما ورثوها من الاولياء وان بعد زمانهم حتى انهم ورثوها من أولياء قوم نوح لكونهم (ذرية من حملنا مع نوح) فكان نجاتهم كرامة لهم وان كانت معجزة لنوح فكرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولا يبعد ان يحصل لمؤمني قومه هذه الولاية والكرامة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لله فلا ينسب شيأ من الكمالات الى نفسه تحقيقا لعبوديته والشكر يقتضى المزيد فاعطى مع النبوة وولاية النبوة الولاية العامة لامته حتى سرت بركتها الى أولادهم البعداء (و) مع ذلك هي ولاية قاصرة لا تفيد العصمة لذلك (قضينا) أي حكمنا حكما جازما نبيا أو وحينا (الى بنى اسرائيل) لاخفيا بل جليا (فى الكتاب لتفسدن فى الارض) أى أرض بيت المقدس التى باركنا الله حولها فيكون الافساد فيها افسادا فى جميع الارض لامرة بل (مرتين) مرة بقتل شعيا ومرة بقتل زكريا ويحيى (ولتعلن علوا كبيرا) على الانبياء بحيث لايبالون بنبوتهم بالنظر الى ولايتكم كأنكم ترونها افضل من نبوتهم كولاية الانبياء فكان ذلك كفرا مستوجبا للوعيد الدنيوى (فاذا جاء وعد) المؤاخذة على (أولاهما) اى أولى الفسدتين (بعثنا) قاهرين (عليكم عبادا) بختنصر او سنحاريب لم يضفهم الى نفسه لكفرهم ولكن لهم نوع اختصاص بنا اذ كانوا منتقمين (لنا) وان لم يقصدوا ذلك لكن هذا الاختصاص افادهم مزيد قوة فكانوا (أولى بأس شديد) حتى على الانبياء والمؤمنين ولم تقتصر قوتهم على الخارجين عن بيوتهم بل عمت من تحصن ببيوتهم (فجاسوا) أى طلبوكم (خلال الديار) أى أوساطها (و) هو وان كان وعدا فى الظاهر بحيث يجوز التجاوز عنه (كان وعدا) بنصر من قتل من الانبياء فكان (مفعولا) بالجزم (ثم) أى بعد هذه المؤاخذة الشديدة (رددنا) عند توبتكم (لكم الكرة) أى الغلبة التى كانت لكم فى الأصل (عليهم و) جعلنا لكم مع القوة الباطنة قوة ظاهرة اذ (أمددناكم بأموال وبنين و) لم تقتصر على تكثير البنين بل (جعلناكم أكثر نفيرا) أعوانا وأنصارا بحيث تغلبونهم من كل وجه فعلنا ذلك لتعلموا انكم (ان أحسنتم) توبتكم وأعمالكم (أحسنتم لانفسكم) بابقاء الغلبة لها والامداد بالاموال والبنين وتكثير النفير وتيسير الامور الاخروية (وان أسأتم فلها) أى فاساءتكم ضارة لها بغلبة الاعداء وسلب الاموال والبنين والنفير فاخترتم الاساءة حتى جاء وعد المؤاخذة (فاذا جاء وعد) مؤاخذة المرة (الآخرة) بعثناعليكم عباد انطاطوس الرومى (ليسوؤا وجوهكم) بالاذلال والاسر بالسلاسل والاغلال (وليدخلوا المسجد) لتخريبه واحراق التوراة (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) أى وليهلكوا (ما علوا) أى ما علوتم به على الانبياء من دعوى الولاية (تتبيرا) عظيما الذى قد جاوز كم عليهم شيأ وانما فعل ذلك لتخلصوا توبتكم وأعمالكم (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم) بعد هذه التوبة الى العلو (عدنا) الى تسليط الاعداء وسلب الاموال والاولاد فى الدنيا (وجعلنا) يوم القيامة (جهنم للكافرين حصيرا) أى محبسا

شعيز المحرم قيامن بناك حيث سيك (فوله عزوجل شوكة) أى عدو سلاح

جابز الهم لايخرج عنهم العائد الى الكفر بعد التوبة ولا غير العائد وتعذيب من أنكر
القرآن أولى من تعذيب من أنكر التوراة لانها وان كانت هدى لبنى اسرائيل هداية تامة
فهداية القرآن أكمل (ان هذا القرآن يهدى للتى) اى للملة أو الشريعة أو الحكمة التى (هى
أقوم و) لكمال هدايته (يبشر المؤمنين) به (الذين يعملون الصالحات) كلها (أن لهم أجرا
كبيرا) فوق أجر من آمن بالتوراة وعمل بصالحاتها وان بلغ هدايتهم الخاصة (و) يبشرهم (أن
الذين لايؤمنون) به فانهم وان آمنوا بالتوراة فهم لايؤمنون (بالآخرة) فلا يؤمنون بدوام
ربوبية الله عليهم (أعتدنا لهم) قبل وصولهم الى مكان انكار ربوبيته عليهم فيه (عذابا أليما)
أشد من عذاب من أنكر التوراة (و) كيف لايعتقد العذاب الأليم مع استعجاله به اذ (يدع
الانسان) استعجالا (بالشر) كالعذاب (دعاءه بالخير) كالثواب كأن الشر عنده خير
لايقتضى عقله كراهته كالدواء المر (و) لكن يقتضى ترك النظر اذ (كان الانسان عجولا)
بترك النظر مع تيسره (و) لايبعد من الانسان ترك النظر مع كونه حاذقا كامل العقل اذ
(جعلنا الليل والنهار آيتين) على وقوع الانسان فى ظلمة الجهل تارة ونور العلم أخرى (فمحونا آية
الليل) بجعلها مظلمة ليعلم الانسان ان ظلمة الجهل وان افادته السكون الى اللذات الجسمانية
فهى مانعة من اكتساب اللذات العقلية التى هى الفضائل (وجعلنا آية النهار مبصرة) لتمييز
الاشياء المحسوسة ليعلم الانسان ان نور العلم يفيد تمييز المعقولات (لتبتغوا فضلا من ربكم) من
اصلاح المعاش والمعاد (و) آية الليل وان كانت مانعة من طلب الفضل لكنها اذا ضمت الى آية
النهار كانت مفيدة فى معرفة مقدار الحياة المشتملة على النعم اذ كانت (لتعلموا عدد السنين)
لتحسبوا النعم الواقعة فيها فتشكروا بها بمقدارها كيف (و) قد كانت لتعلموا (الحساب)
لتعلموا ان الجزاء على مقدار ذلك الحساب كيف (و) لم نتركه مجملا بل (كل شئ فصلناه تفصيلا)
ثانيا (و) لايبعد كون الجزاء بمقدار العمل اذ (كل انسان ألزمناه طائره) أى عمله الذى يطير
به الى مقام السعادة أو الشقاوة بان جعله هيئة لروحه أو قلبه أو نفسه فهو كالتابع له ويبدو المكتوب
(فى عنقه) لكنه الآن أمر معنوى (ونخرج له) بتصويره بصورة المكتوب (يوم القيامة)
الذى تتصور فيه المعانى بالمحسوسات (كتابا) وهو وان كان اليوم كالمجمل (يلقاه منشورا)
لا اجمال فيه وهو وان كان غير مقروء قبل تصوره بصورة الكتاب لكنه اذا انتشر يقال له (اقرأ
كتابك) أى كتاب أعمالك لئلا تحتاج الى شاهد ولا الى حسيب بل (كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا) واذا كان عمل كل انسان يتصور بصورة جميلة أو قبيحة مع انها هيئة نفسه أو قلبه
أو روحه (من اهتدى فانما يهتدى) مفيدا (لنفسه) الصور الجميلة (ومن ضل فانما يضل)
بتفويت تلك الصور واستبدالها بالصور القبيحة (عليها و) لايتغير ذلك بتحمل الغير منه فانه
(لا تزر وازرة وزر أخرى) فلا يتصور بالصورة القبيحة لتلك الاعمال وانما يتصور الغير بصورة
زعم الحمل لها (و) لايبعد ان تصير الاعمال هيئة روحانية أو قلبية أو نفسية عن اعلام الرسل فانه
يشتد تصورها بصورة العمل بكونها طاعة أو معصية ثم انقلابها بصورة الثواب والعقاب فانه

(قوله عزوجل شاقوا الله) أى حاربوا الله وجابروا دينه وطاعته ويقال شاقوا الله أى صاروا الى شق غير شق المؤمنين (قوله

(ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يعلمهم ما يفيدهم صور الطاعة بصور العمل أو المعصية وقبل ذلك انما يتصور بصورة العمل لا من حيث الطاعة أو المعصية اذ يكون من قبيل تكليف الغافل وليس المراد غفلة من لا يبالى فانه سبب الاهلاك (و) لذلك (اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) أى متنعميها بالطاعة فغفلوا عن أمرنا (ففسقوا فيها) فتصوّر أرواحهم أو قلوبهم أو نفوسهم بالصورة القبيحة عن مخالفة الامر (فحق عليها القول) أى قول العذاب بتصوّرهم بصور تقتضيه فعملنا بمقتضاها (فدمرناها) أى أهلكناها (تدميرا) كليا بحيث لا يبقى لهم زرع ولا نسل (و) ليس هذا مما يقع نادرا فانه (كم) أى كثيرا (أهلكنا من القرون) فضلا عن القرى لا فى الاعصار البعيدة جدا حتى يمكن أن يقال بتغير السنة بل (من بعد نوح و) لم تكن مؤاخذتهم اتفاقية بل على المعاصى لا على بعضها بحيث يرى التخفيف بل على كلها ولا يبعد اذ (كفى بربك بذنوب عباده خبيرا) ببواطنها (بصيرا) بظواهرها وكيف يترك الله سبحانه مقتضى هيئات الاعمال ولم يترك مقتضى صاحبها بالكلية اذ (من كان يريد) الحياة (العاجلة) أى الدنيوية (عجلنا له فيها ما نشاء) لا كل ما يشاؤه اللابدى الالهية (لمن نريد) لا لكل مريد لئلا ينسب هذا الاثر الى ارادته (ثم) اذ تصوّر روحه أو قلبه أو نفسه بما عمل (جعلنا له جهنم) تلك الصور وان كانت باطنة (يصلاها) ظاهرا كما يصلاها باطنا اذ يصير (مذموما) لا كذم سائر الاشياء اذ يصير (مدحورا) أى مطرودا (ومن أراد الآخرة) فهذه الارادة (و) ان لم تستقل بالتأثير تؤثر اذا (سعى لها سعيها) الذى أمر الله به كيف (وهو) يفيده صورة طاعة حين هو (مؤمن) اذ لا تتصوّر طاعة بدون المطاع (فأولئك) وان لم يستقل سعيهم بافادة الصور الجميلة (كان سعيهم مشكورا) أى مستحسنا بالايمان مع ارادة الآخرة فصار بحيث يفيد فيضان الصورة الجميلة على صاحبه وليس تأثير تلك الصور يوم القيامة كتأثيرها اليوم بل (كلا) أى كل صورة (نمد هؤلاء) أى هيئات الاعمال الصالحة بما يجعل الحسنة عشر أمثالها (وهؤلاء) هيئات الاعمال الصالحة بما يقابلها المماثلة الباطنة التى كانت لها وليس ذلك المدد من أنفسها حتى يجب ازدياد تأثيرها كل يوم فى الدنيا بل (من عطاء ربك) لها (و) هو وان لم يحصل لها فى الدنيا كان جائزا الحصول لها الآن (وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا وان كان متفاوتا بحسب استعداد المحل فان زعمت انه اذا لم يكن من أنفسها يجب أن لا يتفاوت (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و) ان زعمت ان التفاضل لو كان بحسب المحل لم يتفاوت المحل الواحد باعتبار الدنيا والآخرة يقال (للآخرة أكبر درجات) من الدنيا فلا يتمن وقوع أصل التفاوت (و) اذا جاز أصل التفاوت جاز التفضيل فهى (أكبر تفضيلا) واذا رأيت هذا التفاوت بين الاشياء بل بين الشىء الواحد بحسب وقتين (لا تجعل) عند رؤية التفضيل وان بلغ ما بلغ (مع الله) فى كمالاته (الها آخر) اذ لا يساويه فى الكمالات فاذا سوّيت بينهما (فتقعد مذموما) بفقد التمييز ولا يقتصر عليه بل (مخذولا) أى مطرودا عن الانسانية (و) كيف تجعل بمجرد التفضيل الها مع انه لم يفضله ليشاركه فى استحقاق

عز وجل شرد بهم من خلفهم) أى طرد بهم من وراءهم أى افعل بهم فعلا من التنكيل يفرق من وراءهم من أعدائك

العبادة بالانعام اذ (قضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) لاختصاصه بنعمة الايجاد للمنعم والمنعم (و) لو كان ثمة مستحق آخر بالانعام لكان الاولى بذلك الابوين لاختصاصهما بسببية الايجاد الذي هو أصل النعم لكنه انما قضى فيهما بان تحسنوا (بالوالدين احسانا) أتم من الاحسان الى سائر المنعمين لانه يجب (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) اى ان تحقق بلوغ أحدهما أو كليهما الذي هو زمان الضعف وضعافة العقل والاستقذار فاذا ظهر منهما ما تستقذره (فلا تقل لهما أف) وهو صوت يدل على التضجر (و) ان تكلما أو فعلا ما لا ترضاه (لا تنهرهما) أي لا تزجرهما (و) لو احتجت الى نهيهما (قل لهما قولا كريما) أي جميلا (و) لا تتكبر في خدمتهما بل (اخفض لهما جناح الذل) أي يدك المنسوبة الى الذل بتعاطي الافعال الدالة على نهج المسارعة لا من ذلك في نفسك بل (من الرحمة) أي رحمتك عليهما (و) لا تكتف برحمتك الفانية بل اطلب لهما الرحمة الباقية ولا تعتذر بعدمها عندك بل (قل رب ارحمهما) رحمة باقية كاملة (كما) أي كرحمتهما اياي للمقاصد (ربياني) تربية شاقة عن افراط الرحمة اذ كنت (صغيرا) ولا يكفي خفض الجناح في الظاهر ولا ترك التضجر باللسان بل يجب موافقة الباطن اذ (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من التضجر والاستكبار على خلاف ما في الظاهر لكنه يعفو عنه (ان تكونوا صالحين) أي تائبين عما في الباطن مرة بعد أخرى (فانه كان للاوابين) أي الراجعين الى الله بتوبة ظاهرة وباطنة (غفورا و) كيف لا يحسن الى الوالدين مع انهما أقرب الاقارب وقد قال لك (آت ذا القربى) لم يقل القريب لان المطلق ينصرف الى الكامل والاضافة لما كانت لادنى الملابسة صدق ذو القربى على كل من له قرابة ما (حقه) فيه اشارة الى انه حقا معينا بخلاف المسكين وابن السبيل (و) كيف لا تؤتي ذا القربى وقد أمرت ان تؤتي (المسكين) من الاباعد في الاقارب مع الصدقة صلة الرحم والتقرب يفهم بطريق الاولى لانه أمرا ما لا منه (و) كيف لا تؤتي المسكين مع انه من أهل بلدك ففيه نوع جوار وقد أمرت ان تؤتي (ابن السبيل) مع كونه أبعد من جوارك وبالجملة أمر بالاحسان الى من ليس بمنعم فكيف تترك الاحسان الى المنعم (و) لكن ليس منه التبذير (لا تبذر تبذيرا) بوجه من الوجوه بالانفاق في محرم أو مكروه أو على من لا يستحق فتحسبه احسانا الى نفسك أو غيرك (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) في كفران نعمة المال بصرفه في المحرم والمكروه والى غير المستحق (و) كيف لا يكونون اخوان الشياطين وغايته أمر الشيطان انه (كان الشيطان لربه كفورا) بتغيير حكمته (واما تعرضن عنهم) أي وان تحقق اعراضك عمن تريد الاحسان اليهم (ابتغاء) أي طلب (رحمة من ربك) في المنع عنهم لئلا يقع وافي التبذير بصرف المعطى الى شرب الخمر أو الزنا لا منوهمة بل مظنونة بحيث (ترجوها) لهم لما عرفت من عاداتهم (فقل لهم) في الدفع (قولا ميسورا) أي سهلا عليهم احسانا اليهم بدل العطاء لهم فلا تقل لهم منعتكم لما أخاف عليكم شرب الخمر أو الزنا ثم نهى عن الاعراض للبخل مع الامر بالاعراض مخافة البسط المفرط فقال (ولا تجعل يدك مغلولة) أي مقبوضة كانها مغلولة (الى عنقك ولا تبسطها) ولو بلا تبذير (كل البسط فتقعد) أي تثبت

ويقال شرد بهم أي سمع بهم بلغة قريش (قوله عزوجل شفا جرف) وشفا جرف وشفا البئر والوادي والقبر وما أشبهها وشفيره

(ملوما) بالفقر (محسورا) أى مكشوفا ليس لك ما يسترك عن السؤال والبسط وان كان من الاخلاق الالهية فالقبض من أخلاقه أيضا (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) واذا لم يتوجه اليه لوم ولا حسر (انه كان بعباده خبيرا) ببواطنهم (بصيرا) بظواهرهم (و) لما أوجب ايتاء ذى القربى والمسكين وابن السبيل لحفظ أرواحهم قال والاولاد بحفظ الارواح أولى (لا تقتلوا أولادكم) سيما اذا كان منشؤه (خشية املاق) أى فقر فى المستقبل بالانفاق عليهم اذا كبروا (نحن نرزقهم) أى نحن المختصون باعطاء رزقهم فى الصغر والكبر (واياكم) الآن باغنائكم (ان قتلهم) للاملاق الحاضر والخشية فى المستقبل (كان خطأ كبيرا) لافضائه الى تخريب العالم وأى خطأ أكبر من ذلك ولما نهى عن قتل الاولاد نهى عن قطع النسل فقال (ولا تقربوا) مكانا يمكن فيه (الزنا) فضلا عن فعله (انه كان) عند جميع الخلائق معصية (فاحشة) مجاوزة الحد فى القبح توجب النفرة عن صاحبه والتفرقة بين الناس (وساء سبيلا) قضاء الشهوة التى خلقت لطلب النسل بتضييعه ثم ذكر ما هو أعظم فى التنفير والتفرقة فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها وهى نفس الانسان فان الله حرم قتلها (الا بالحق) أى بالحكم الشرعى كالقصاص والارتداد وزنا المحصن وقطع الطريق بالقتل والحرب والبغى (ومن قتل مظلوما) بغير حق يؤخذ حقه فى الآخرة أو فى الدنيا (فقد جعلنا لوليه) مع عدم كونه مظلوما (سلطانا) بطلب القصاص أو الدية على القاتل لا على متعلقه فلو قتل كان مظلوما (فلا يسرف) ولى المقتول (فى القتل) بقتل غير القاتل (انه) أى المقتول اسرافا (كان منصورا) بتسليط وليه على قاتله لكونه مظلوما ثم نهى عن قتل النفس بالتجويع سيما نفس اليتيم العاجز عن الكسب فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن أكله بجهة من الجهات (الا بالتى هى أحسن) هى حفظ ماله وتنميته فاقربوه بتلك الجهة (حتى يبلغ أشده) أى زمان قوته على حفظ المال وتنميته وهو زمان البلوغ بالسن والاحتلام أو الحيض أو الحبل ثم ذكر حفظ العهد الذى به انتظام أمور البالغين فقال (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) بأن يتصور بصورة حى فيسئل من حفظك فحفظه ومن ضيعك فضيعه ثم ذكر ايفاء الكيل والوزن لانهما فى معنى عهد أن لا ينقص من حق الاخوان شئ فقال (وأوفوا الكيل) لا عند الاختلاف فانه يكون استدراجا الى أخذ الزيادة مع ان التسامح فيه أولى لكن (اذا كلتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الذى لا يميل الى جانب (ذلك خير) من نقص حق الغير لافادة البركة فى الدنيا (وأحسن تأويلا) أى عاقبة اذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة ثم أمر برعاية القسطاس المعنوى (ولا تقف) أى ولا تتبع (ما ليس لك به علم) فى قول أو فعل تسنده الى سمع أو بصر أو عقل (ان السمع) قدمه لان أكثر ما ينسب الناس أقوالهم اليه (والبصر) لم يذكر سائر الحواس اذ لا يخالفهما قول أو فعل (والفؤاد) أخره لانه منتهى الحواس (كل أولئك) أى كل واحد من هذه الاعضاء (كان عنه) أى عما نسب اليه (مسئولا) ليشهد على صاحبه (و) اذا اتبعت العلم وهو يدعو الى التكبر (لا تمش) مع كونك (فى الارض) التى هى

(قوله أيضا أى خاتمه ...) أى عز وجل شغفها حبا) أى أصاب حبه شغاف قلبها كما تقول كبده اذا أصاب كبده ورأسه اذا أصاب

غاية السفل (مرحا) أى تكبرا أو اختيالا اذ لا يفيدك قوة ولا علوا (انك لن تخرق الارض)
لشدة وطئك ودوسك (ولن تبلغ) بهذه المشية المتطاولة (الجبال) من الجمادات (طولا) تعلو به
على التلال التى علوها (كل ذلك) المذكور من المنهيات صريحا أو فى ضمن الامر باضدادها
(كان سيئه) فى نفسه ولا يفيد رضا الله اذ كان (عند ربك مكروها) اما الشرك فلا خلاله
بالكمال المطلق الذى لا يتم مع الشرك لانه يصير كمالا بالاضافة الى بعض الاشياء دون
جميعها واما عبادة الغير فلانها من تعظيم المخصوص بذى الكمال المطلق فهو فى معنى الشرك
وأما العقوق فلانه كفران نعمة الأبوين فى سببية الايجاد ومنع الحقوق بالبخل تفريط
والتبذير والبسط افراط وهما مذمومان والنميم مكروه والقتل يمنع الحكمة من بلوغها الى
كمالها والزنا واتلاف مال اليتيم فى معناه ونقض العهد يخل بنظام العالم وكذا اقتفاء ما لا يعلم
والتكبر من خواص الحق وعادة الملوك كراهة ان يأخذ احد شيئا من خواصه (ذلك) أى
جميع ما ذكر أكمل ما يعتقد به ويعمل به لانه (مما أوحى اليك) يا أكمل الرسل (ربك) الذى
هو أكمل الاسماء الالهية (من الحكمة) أى العلم المحكم الذى لا يتغير بشبهة (ولا تجعل)
بقبول ما يخالفها (مع الله الها آخر) بتسميته الها فانه شرك فان لم يكن فلا أقل من ان
يوجب الالقاء فى النار (فتلقى فى جهنم ملوما) بالجهل العظيم بتسويته علم الله مع علم الغير
(مدحورا) أى مبعدا عن رحمته بعد المشركين وكيف تسوون علم آبائكم القائلين بان
الملائكة بنات الله بعلم الله بل تفضلون علمهم على علمه وخواصهم على خواصه (أ) تزعمون ان
الله فضلكم على نفسه (فأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة) بنات لنفسه مع قصورها
بكونها (اناثا) فى زعمكم (انكم لتقولون) فى تفضيل علمكم وخواصكم على علم الله وخواصه
(قولا عظيما) انما قلنا ان اختيارهم لعلم آبائهم لتفضيلهم اياه على علم الله لانه لم يكن لخفاء
عليه وظهور علمهم عندهم فانه (ولقد صرفنا) أى وجهنا البيان بوجوه كثيرة (فى هذا القرآن)
المشتمل على جوامع الكلم (ليذكروا) أى ليذكر كل واحد بوجهها (وما يزيدهم) أى
التصريف (الا نفورا) أى تباعدا من المطلوب الذى يقربه وجوه البيان (قل) للقائلين ان
الملائكة بناته هذا مستلزم للشرك وهو باطل اذ (لو كان معه آلهة كما) يلزم مما (تقولون)
انهم بناته (اذا) وان كانوا تحت يده وتصرفه (لابتغوا) أى لطلبوا (الى) مغالبة (ذى العرش)
للاستيلاء على عرش ملكه (سبيلا) اذ لو عجزوا لم يشبهوا آباءهم فيلزم ان يعجز معهم لكنه
(سبحانه) من ان يعجز (وتعالى عما يقولون) من المشاركة والولادة المخصوصة بالحيوانات
(علوا كبيرا تسبح له) أى تدل على تنزيهه (السموات السبع) كل سماء بما فيها من كمال
الحكمة (والارض) بما فيها من عجائب المكونين (ومن فيهن) من الملائكة والانس والجن
المشتملين على أنواع الكمالات فهذا هو التسبيح بلسان الحال ولبعضها بلسان المقال أيضا (وان
من شئ الا يسبح) بلسان الملكوت ملتبسا (بحمده) بما ظهر فيه (ولكن لا تفقهون تسبيحهم)
لانحصار نظركم على عالم الملك (انه كان) فذمكم اياه بلسان المقال باثبات الشركاء له والاولاد

واسه والشغاف غلاف
القلب ويقال هو حبة
القلب وهى علقة سوداء فى
القلب وهى صميمه وشغفها حبا أى
ارتفع حبه الى أعلى موضع

(حليما) بترك الاستعجال لكونه (غفورا) أي ساترا عنكم تلك المحامد (و) كيف يفقه من لا يؤمن بالملكوت ما في فيها ما لم يخرج الى الملك مع انك أيها الملكوتى الخارج الى الملك (اذا قرأت القرآن) الذى هو ملكوتى خارج الى الملك (جعلنا) عند غلبة الملكوتية عليك (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) الملكوتية (حجابا مستورا) عن أعينهم فلا يرونك ولا الحجاب الذى بينك وبينهم عن سعيد بن جبير لما نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت امرأته بحجر لترضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبى بكر فسألته أين صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال والله ما ينطق بالشعر فقال ما رأتك يا رسول الله فقال لم يزل ملك بينى وبينها (و) لكون القرآن ملكوتيا وهو يقتضى الحجاب على من لا يؤمن بالملكوتية (جعلنا على قلوبهم أكنة) اى حجبا كراهة (أن يفقهوه) لارتفاعه كشف الحجاب (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا يمنعهم من سماع ألفاظه الداعية الى فهم معانيه كيف (و) هم ينفرون عن معانيه فانه (اذا ذكرت ربك فى القرآن) الجامع دلائل توحيده بجعله الها (وحده ولوا) أى صرفوا وجوههم في سماعها (على أدبارهم نفورا) أى لاجل التباعد عنه فان لم يولوا أدبارهم (نحن أعلم بما يستمعون به) من كونه ألفاظا متفرقة فى الظاهر (اذ يستمعون اليك) أيها المظهر انتظامها على وجه معجز (واذ هم نجوى) اى وحين يشير بعضهم الى بعض طلبا للانصاف فيصرون على الظلم (اذ يقول الظالمون) لاهل العدل (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن فاختلط كلامه (انظر كيف ضربوا لك) يا أكمل الخلائق عقلا وكشفا وبلاغة (الامثال) بالمسحور والمجنون والمختلط كلامه (فضلوا) عن اعجاز القرآن ضلالا بعيدا (فلا يستطيعون سبيلا) الى مبادئه فضلا عن اقاصيه (و) لم يقتصروا على ضرب الامثال لك بل ضربوا لنا أمثال العاجزين اذ (قالوا ائذا) أى انبعث اذا (كنا) بعد مصيرنا ترابا (عظاما و) ربما لا يبقى عظامنا بل صارت (رفاتا ائنا لمبعوثون) أى ايتحقق حينئذ كوننا مبعوثين فان تحقق كنا (خلقا جديدا) لا معادا (قل) لو صرتم ما هو أبعد فى قبول الحياة من العظام والرفات فالبعث متحقق (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر) أى يعظم تعجبا حصول الحياة له فانما يكبر ذلك (فى صدوركم) لا فى صدور من عرف الله بكمال القدرة والعلم والحكمة فاذا سمعوا ذلك (فسيقولون) بعد لزوم الحجة عليهم (من يعيدنا) ولا قدرة لاحد على الاعادة (قل الذى فطركم) أى أوجدكم (أول مرة) من العدم الذى هو أبعد من قبول الصفات الوجودية فاذا سمعوا ذلك (فسينغضون) أى يحركون ناظرين (اليك) أيها المقيم للدلائل الكاشف للشبه (رؤسهم ويقولون) استهزاء (متى هو) مع انه لم يتحقق فى الادوار الماضية (قل عسى) أى قرب رجاء (أن يكون قريبا) وكيف يبعد مع انه انما يتوقف على دعوته ولا يقع منه حتى يستبعد فيكون (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) على كمال قدرته وحكمته وعلمه (و) ليس هذا تقريبا عقليا فقط بل (تظنون) أى تعتقدون (ان لبثتم) فى الدنيا والبرزخ (الا قليلا) لطول ذلك اليوم عليكم (وقل لعبادى) الذين يريدون تقريب أصحابهم الى الصواب كامر البعث (يقولوا) فى النصيحة الكلمة (التى هى أحسن)

من قلبها مشتق من شعاف الجبال اى رؤس الجبال وقولهم فلان مشعوف بفلانة أى ذهب به الحب أقصى المذاهب (قوله

وان

وان كان غيرها فيحتمل ان يقولوا الابد لافعال المكلفين من الجزاء وهو متوقف على البعث لا ان يقولوا الابد للكفرة والفجرة من الاحراق بالنار أبدا أو مدة فانها معضبة لهم وهو داع الى التقاتل والتضارب والشيطان مبين فيه (ان الشيطان ينزغ) أي يتردد لايقاع العداوة (بينهم) ليصير بعضهم عدوّ البعض كما انه عدوّهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) فيعادي الناصح والمنصوح له ولا حاجة الى احتمال هذه الاذية منه في النصيحة بالايمان والاعمال الصالحة باظهار الشدة فيهما اذ (ربكم أعلم بكم) أي باستعدادكم لا بطريق الايجاب بل (ان يشأ يرحمكم) من غير اظهار شدة من الناصح (أو ان يشأ) مع التشديد (يعذبكم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (و) لو لم يكن فيه أذية من الشيطان فلا حاجة اليه في تبليغ الرسالة لانا (ما أرسلناك عليهم وكيلا) يصلح شأنهم البتة وبمجرد كونك ناصحا لهم وان كان يغضبهم ويفضي الى القتال لما فيه من تفضيلك عليهم مع رؤيتهم الملك دونهم حتى قالوا لم يتخذ الله لهذا الشان الا يتيم أبي طالب والعراة والجوع لصحبته فانه لا عبرة به اذ لابد من ناصح (و) التفضيل من أجله ليس بايديهم لجهلهم بل بيد الله اذ (ربك أعلم بمن في السموات والارض) وقد علم انه لا ناصح انصح فيما العباد من محمد صلى الله عليه وسلم (و) لا يبعد من تفضيله عليهم فانه (لقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وهم أكابر الناس (و) ليس بمبتدع فانه فضل داود على كثير تقدمه اذ (آتينا داود زبورا) يشتمل على الحكمة وفصل الخطاب (قل) ان كان لكم الفضل فاصله بالعقل الجالب للمنافع الدافع للمضار وهو أهم (ادعو) لكشف الضر أو تحويله (الذين زعمتم) انهم آلهتكم يجرون لكم المنافع ويدفعون عنكم المضار وان كانوا (من دونه فلا يملكون كشف الضر) باعدامه (عنكم ولا تحويلا) له منكم الى غيركم فان ملكوا ذلك ويلعوا فيه من الكمال ما بلغوا (أولئك الذين يدعون) لبعد درجتهم في ذلك بزعمهم في ذل العبادة اذ (يبتغون الى ربهم الوسيلة) بالعبادة اذ يحرصون في ان (ايهم أقرب) اليه (و) لا يقتصرون على طلب التقرب بل هم أدنى اذ (يرجون رحمته) ليكملوا (ويخافون عذابه) لئلا يلحقهم النقص (ان عذاب ربك) وان عمت رحمته للكل (كان محذورا) للكل حتى المقربين اذ لا يخلو من عمومهم بطريق الابتلاء (و) لذلك (ان) أي ما (من قرية) صالحة أو طالحة (الا نحن مهلكوها) باماتة أهلها أو استئصالهم لا لانتهاء العالم الدنيوي بل (قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) بالقتل والاسر والقحط والاحراق والاغراق أو غير ذلك اذ (كان ذلك في الكتاب مسطورا) لعلم ان المخلوق لا يخلو من قهر (و) لو قيل ان كان لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا الفضل لارسل الله كل آية تقترح عليه قيل لهم ليس المانع من ارسالها عدم فضله بل وقوع العذاب المحذور قبل يوم القيامة فانه (ما منعنا أن نرسل) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالآيات) المقترحة (الا) لاجل (أن كذب بها الاولون) الذين يتبعهم هؤلاء بعدما عذبوا فخفهم ان يتبعوهم في عذابهم (و) لم يمنعهم من التكذيب كون الآيات مقترحة فانا (آتينا ثمود الناقة) المقترحة آية (مبصرة) لا مجال لتوهم السحر فيها (فظلموا بها) أي بذبحها الذي

الشجرة الملعونة في القرآن) قوله هي شجرة الزقوم (قوله ربنا كأنه) أي عز وجل ناحيته وطرفه ويدل على هذا قوله ربكم اعلم

هو أشد من التكذيب تعذبوا في الدنيا فلك وكيف لا يعذب مكذب بالآيات المقترحة في الدنيا
(وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) من العذاب الدنيوي فلابد من وقوعه ليخاف
وعيد عذاب الآخرة (و) لوجوب وقوع الوعيد الدنيوي اذكر (اذ قلنا لك ان ربك أحاط
بالناس) أي بقريش ليقهرهم وينصركم عليهم فانه وقع ذلك على خرق العادة تصديقا للوعيد
(و) كيف لا يقع ذلك اذا كان في اليقظة وقد وقع منه ما كان في المنام وانما وجب وقوع ما في المنام
من الوعيد لانا (ما جعلنا الرؤيا التي أريناك) بأن هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان
(الا فتنة) أي اختبارا (للناس) هل يؤمنون بها فيخافون أم لا (و) كما وقع الوعيد الدنيوي
يقع الاخروي لما فيه من الاختبار فانا ما جعلنا (الشجرة الملعونة) أي المذمومة ذما بليغا
لكونه مذكورا (في القرآن) المشتمل على جوامع الكلم الا فتنة للناس قال أبو جهل ابن أبي
كبشة يخوفنا بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها الشجرة وقال عبد الله بن الزبعري يخوفنا
بالزقوم ولا نعرفه الا الزبد والتمر (ونخوفهم) أيضا بوجوه ليس فيها ابعد اختبارا (فما
يزيدهم) تخويفنا من التخويفات (الا طغيانا كبيرا) فلو أرسلنا اليهم الآيات المقترحة لقالوا
انه أجل من أحاط بأبواب السحر فلا فائدة في ارسالها سوى تعجيل العذاب الدنيوي لكنه
يشاق اظهار دينه على الدين كله ثم أشار الى أنه لو لم يظهر لك من الفضل ما ظهر لهم لوجب
عليهم ان ينقادوا لامر الله الذي تضمنه الآيات المخوفة لهم من مثل الفتنة فقال (واذ قلنا
للملائكة) الذين ظهر من فضل جوهرهم ما لم يظهر لآدم (اسجدوا لآدم فسجدوا) ترجيحا
لامر ربهم على ما ظهر من فضل جوهرهم (الا ابليس) رجح ما ظهر من فضل جوهره على امر
ربه (قال أأسجد لمن خلقت طينا) واعترض على ربه بتفضيل آدم عليه السلام اعتراضكم عليه
بتفضيل يتيم أبي طالب عليكم حيث (قال أرأيتك) أي أخبرني لم كرمت علي (هذا الذي كرمت
علي) ثم أظهر عداوته له ولذريته عداوتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين حيث قال
(لئن أخرتن) أي أخرت بقائي بلا تعذيب (الى يوم القيامة لاحتنكن) أي لاستأصلن (ذريته
الا قليلا) فكان ذلك سبب زيادة ابعاد الحق اياه ومن تبعه حيث (قال اذهب فمن تبعك منهم)
اتبعناه اياك في عذابك من غير تقص (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) فيخاف ان يكون
عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سبب مزيد ابعاد الحق اياكم ثم ان قتالكم مع محمد
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كقتال ابليس مع آدم وذريته حيث قال تعالى له (واستفزز) أي
استخف (من استطعت منهم بصوتك) أي بوسواسك بلا شبهة (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك)
أي الشبهات القوية والضعيفة ثم أشار الى ان مشاركتهم في الاموال بانفاقها على من يعادي
محمدا صلى الله عليه وسلم وفي الاولاد بنا كحتهم به كمشاركة ابليس مع من تبعه من ذرية آدم
فيما قال له تعالى (وشاركهم في الاموال) كالمكاسب المحرمة والانفاق في الفسق ومنع
الزكاة والبحيرة والسائبة (والاولاد) بالتوصل اليه بالسبب المحرم ودعوى النسب بلا سبب
والتسمية بعبد الحرث وعبد العزى ثم أشار الى ان دعوى وعند بعضهم لبعض بالخيرات على

يعني هو أهدى سبيلا أي
طريقا ويقال على شاكلته
أي خليقته وطبيعته وهو
من الشكل بالفتح على
شكلي وشاكلتي

عداوته لمحمد صلى الله عليه وسلم كعداوة ابليس اذ قال تعالى له (وعدهم) بشفاعة الالهة
وتقريبها الى الله زلفى والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة والاتكال
على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر (و) بعض هذا وان كان حقا فابليس يعلم الوقوع
حينئذ (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو تزيين الباطل بزينة الحق ثم أشار الى أن
المؤمنين لا يغترون به فقال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان و) لا يتضررون بعداوته
اذ (كفى بربك وكيلا) أى حفيظا لهم كيف وقد توكل حفظكم فى البحر اذ (ربكم) هو
(الذى يزجى) أى يجرى (لكم الفلك فى البحر) ولا يبعد ان يحفظ من خطر ما أوقعه فيه
لافادة الريح اذ حملكم على البحر (لتبتغوا من فضله) الذى لا يبتغى مثله فى البلد فكذلك أركبكم
بحر الوساوس الشيطانية على سفن الافكار لربح العلوم اذا سلمتم عن الاخطار بقوة
الاخلاص (انه كان بكم) فى حملكم على الاخطار (رحيما) يفيد الرحمة الخاصة (و) من
الرحمة الخاصة فى خطر البحر افادة الاخلاص بعد الشرك فانه (اذا مسكم الضر فى البحر
ضل من تدعون الا اياه) كذا من مسه شر المعصية من بحر وساوس الشيطان فالهم به التجا الى
التوبة والاستغفار وترك الاهوية الفاسدة فيفيد النجاة ثم النجاة عن خطر البحر موقع
فى خطر الاعراض فان الدعاء بالاخلاص أفاد النجاة (فلما نجاكم) عن خطر البحر وأوصلكم
(الى البر أعرضتم) كذلك الناجى عن خطر الوسواس واقع فى خطر الغفلة عن الله (و) كان
الواجب فى شكر الانجاء الزيادة فى أعمال الخير اذ حصل لكم الامن من مس الضر فى البر لكن
(كان الانسان كفورا) بالاعراض فضلا عن زيادة الاعمال (أ) أعرضتم (فأمنتم أن يخسف
بكم جانب البر) كذلك الالتجاء عن الشيطان موجب لخطر خسف النفس باهويتها (أو) أن
(يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة من السماء من غضب الله على الاعراض عنه كذا يخاف
على المحجوب به عند عدم المعصية وليس هذا الخسف وارسال الحاصب مما يرجى بعده النجاة
بل (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم أأمنتم من جانب البر من كل وجه (أم أمنتم أن يعيدكم
فيه) أى فى البحر بان يحوجكم الى ركوبه (تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا) أى كاسر السفينة
(من الريح) ويكون الكسر فى وسط البحر (فيغرقكم) غرقا لا ترجون معه النجاة (بما
كفرتم) عند النجاة عن مثله فى المرة الاولى (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) من يطالب لكم علينا
مثل من يطالب البعل على مغرق سواما كذلك يخاف من النجاة عن وساوس الشيطان الوقوع فى بحر
معارضة الوهم والخيال من ريح التشابه فيكسر سفينة الدلائل فيغرق فى بحر الضلال بحيث
لا يجدون حجة أصلا (و) كيف لا يكون الانسان كفورا مع ان اعراضه عمن لم يزل مكرما له
منعما عليه فانه (لقد كرمنا بنى آدم) بتعليم العلوم تكريم آدم بتعليم الاسماء (و) أنعمنا عليهم
بتسخير الحيوانات والجمادات مثل السفينة والريح والبحر اذ (حملناهم) على الحيوانات (فى
البر و) على السفن فى سفر (البحر) لم يكن ذلك انعاما بالهم جميعا اذ (رزقناهم) فى السفرين
(من الطيبات) ما ليس فى أوطانهم وأعطيناهم من الطيبات ما لم نعطه سائر الحيوانات (و) لم نقتصر

(قوله شططا) أى جورا وغلوا فى القول وغيره (قوله شتى) أى مختلف (وقوله عرامه من نبات شتى) يقال اختلاف الالوان فى الطعوم (قوله قبيرة)

أى اكرامهم وانعامهم على ذلك بل (فضلناهم على كثير ممن خلقنا) من الملائكة (تفضيلا)
حتى فضل عوام المسلمين من بنى آدم على عوام الملائكة وخواصهم على خواصهم ولاعتبار
هذه التفضيلة ويكمل هذا الاكرام والانعام ويحصل جزاء كفران من كفر بذلك (يوم ندعوا
كل أناس بامامهم) أى بالاضافة الى امامهم الذى أفادهم هذه الفضائل أو أداهم الى
الكفران بها ليشاركوه فى فضائله أو رذائله مع ما يحصل لهم مما كتب عليهم (فمن أوتى كتابه
بيمينه) لكونه قويا غلب عقله على هواه فتظهر قوته فى قراءة كتابه (فأولئك يقرؤن كتابهم) مرة
بعد أخرى بالسن فصيحة وأعين مفتوحة (و) انما أمروا بقراءته ليعلموا انهم (لا يظلمون فتيلا)
أى مقدار خيط (ومن) أوتى كتابه بشماله لضعفه عن مقاومة هواه لا لانه لم يعطه قوة تلك
المقاومة بل لانه (كان فى هذه) الدنيا الداعية الى متابعة الهوى (أعمى) عن ضررها
فانه لا ينطلق لسانه ولو انطلق لا ينفتح عيناه (فهو فى الآخرة أعمى) وان كان حديد البصر
(و) لو أبصر لم يجد الى التفصى مجالا لانه (أضل سبيلا) كيف لا يفيد اتباع الهوى العمى
وقد كادت حبك ايمانهم يعمى بصيرة الوحى منك (ان كادوا ليفتنونك) أى انهم قاربوا ان تفتنك
بايمانهم (عن الذى أوحينا اليك) بالتغيير فيه لا يحصل لهم الهداية من ذلك الغير ل (تفترى
علينا غيره) بجعل الوعد فى مكان الوعيد (واذا) أى اذا افتريت علينا غيره (لاتخذوك خليلا)
فآمنوا بك مع علمهم بانه مفترى من عندك وهو موجب الكفر والبغض (ولولا أن ثبتناك) على
الايمان والبصيرة باعلام ان فى ذلك كفرك وكفرهم (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا)
من الميل من جهاتك بحب ايمانهم ولم يكن يفيدك ذلك شيأ بل كان يضرك فى الدارين
(اذا لاذقناك ضعف) عذاب (الحيوة) الذى حصل لمن مضى من الكفار (وضعف) عذاب
الكفار بعد (الممات) لان بصيرتك أكمل من بصيرتهم فيتضاعف عذابك بمقدار ما يفوتك من
فوائد بصيرتك (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) ومما يشبه العمى الطمع فى أموالهم وايمانهم (ان
كادوا ليستفزونك) أى ليحركونك (من الارض) التى تسكنهم (ليخرجوك منها) اذ قالت
اليهود يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا الى الشام وهو مهاجر ابراهيم فلو خرجت اليها
لآمنا بك ولم يقصدوا بذلك ارشاده بل ليبقى لهم الرياسة بمكانهم (واذا لا يلبثون خلافك) أى
لا يبقون بعد اخراجك فضلا عن بقاء رياستهم (الا) زمنا (قليلا) وليس ذلك عقيبا بل حتى
يستبعد بل كان (سنة) أقوام (من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) كانهم لما أخرجوهم من بلادهم
لم يبقوا بعدهم (و) هى وان لم تكن موجبة لكن (لا تجد لسنتنا تحويلا) ولو أردت الهجرة الى
مكان الانبياء فاعمل اعمالا تبلغك أعلى من مكانهم (أقم الصلوة) للاستنارة بنور ربك (لدلوك) أى
رؤية زوال (الشمس) والمراد صلاة الظهر والعصر والمغرب لتبقى فى الارتفاع الذى يكمل
فيه الاستنارة بنور ربك منتهيا (الى غسق) أى ظلمة (الليل) فتصلى فيها العشاء بعد غروب
الشفق لئلا تعود الى ظلمة البشرية (وقرآن) أى صلاة (الفجر) التى يطال فيها القراءة وانما
أطلقت فيها لان الفجر وقت صعود ملائكة الليل بالاعمال ونزول ملائكة النهار بالبركات

أى من أكل منها
الله) لا يموت (قوله شاطئ الوادى) وشطء الوادى سواء (قوله تعالى شاخصة أبصار الذين كفروا) أى مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف

(ان قرآن) أى قراءة صلاة (الفجر كان مشهودا) لما اتفق الملائكة فيصعدون بها مع هذه البركات ليتم لك الاستنارة فى ابتداء ظهور النور ثم لا يزال يزداد (و) استكمل الفرائض بنوافل الليل (من الليل) أى بعضه (فتهجد) أى اترك النوم (به) لتصلى فيه (نافلة) أى زائدة على الفرائض مفيدة (لك) نورا عظيما فوق ما يفيد غيرك (عسى) أى قرب رجاء (أن يبعثك ربك) الذى هو مجمع أنوار سائر الاسماء (مقاما) هو مقام الشفاعة (محمودا) يحمده الكل لاختصاصه بفيضان النور على أهل القصور اذا كانوا قابلين الكمال فاذا كمل لك تحصيل هذا المقام الذى يستفيض منه النور من الله بلا واسطة وتفيض على من سواك فاى حاجة لك فى المصيرة الى مقام الانبياء لتستفيد منهم أنوارهم (و) هذه العبادات لا توصلك الى المقام المحمود الا اذا صدق دخولك فيها وخروجك عنها ولا يتم الا بامداد الله بعد استمدادك منه (قل رب أدخلنى) فى هذه العبادات (مدخل صدق) بمشاهدتك فى هذه العبادات ورؤية كونها من نعمك وان كانت صفة العبادة منى وتخليتى عن الرياء والعجب وتصفيتى باخلاص العمل واخلاص طلب الاجر ورؤية المنة والتقصير فيها (وأخرجنى) عنها (مخرج صدق) بلا التفات الى ما يحبطها على ولا تردنى على نفسى (و) اذا غلبنى الشيطان أو النفس أو الخلق أو وردت على شبهة (اجعل لى من لدنك) لا من عند عقلى وفكرى (سلطانا) أى حجة (نصيرا) ينصرنى على ما ذكر ليبقى على عبادتى فيوصلنى الى المقام المحمود (و) اذا تجلى لك الحق فى هذه العبادات لا تدع لمفسدك الالهية بل (قل جاء الحق) أى تجليه على القلب (وزهق) أى ذهب الوجود (الباطل) فى نفسه وهو وان اعتقد ثبوته قبل ذلك لم يكن ثابتا بل (ان الباطل كان زهوقا) لكن لم يظهر زهوقه الا بعد حضور التجلى الشهودى للحق (و) لا يبعد ان يكون التجلى الشافى عن مرض الاعتقاد الباطل من ثبوت الوجود لما سوى الله مقتضيا فى حق البعض الى دعوى الالهية فانا (ننزل من القرآن ما هو شفاء) عن الشبهات (ورحمة) ببيان الحقائق واقامة البراهين (للمؤمنين و) مع ذلك (لا يزيد الظالمين) بجعل الشبهات دلائل قاطعة وجعل الدلائل القاطعة شبهات (الا خسارا) اذ يخسر مع خسارة الاعتقاد الدلائل أيضا (و) لا يبعد ان يكون سبب الشفاء والرحمة سببا للخسارة فانا (اذا أنعمنا على الانسان) ليتقرب بشكره الينا ويستزيد انعامنا عليه (أعرض) ليكون سببا للبعد عنا كيف (و) قد (نأى) أى بعد من أخذه (بجانبه) فرجعه على جانبنا (و) لا يقبل بعده علاجا لان الشئ انما يعالج بضده وهو (اذا مسه الشر كان يؤسا) وهو أيضا سبب البعد كذلك يمرض الانسان عن شفاء القرآن ويأخذ بأبه واذا وقعت له فيه شبهة ييأس من حلها مان زعموا ان الانعام بالقرآن على مثل هؤلاء يكون عبثا (قل) لا عبث فيه اذ يظهر استعداد المنعم عليه للثواب والعقاب اذ (كل) من أنعم عليه بالقرآن (يعمل على شاكلته) أى هيئة روحه الحاصلة من استعداد حقيقته وليس طلب هذا الظهور وتحصيل علم الحق (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) وبمن هو أضل لالزام الحجة (و) اذا سمعوا الاستعدادات الملائكية وهيئات الارواح (يسئلونك عن

من هو لما هم فيه (ولهم
اى
وجل شرابا من حميم
(ثم ان لهم)
خلطا من حميم
اى مثله
وعز شكله
ونحريه (الى
الله تعالى شرع
لكم من الدين) أى نفع لكم

(الروح) لتميز عن الحقيقة وهيئتها واستعدادها (قل) الحقائق واستعداداتها أمور عدمية تعلق بها العلم الالهى فكانت ثابتة فيه لافى الواقع اذ (الروح) وهيأته أمر وجودى حصل (من أمر ربى) بلا واسطة مادة لم يكن لها شكل ولا مقدار ولا دخول فى البدن ولا خروج عنه ولا اتصال به ولا انفصال عنه وهذا مما يفهمه من تبحر فى علم الحقائق (و) لكن (ما أوتيتم) شيأ (من العلم الا قليلا و) مقتضى قلة علمكم (لئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) من المشتمل على الحقائق الغامضة لكن لو ذهبنا به فانك وكل أصحابك علماء (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) يطالبنا به اذ لا طريق الى علم الحقائق سوى الوحى الالهى (الا رحمة من ربك) فانها كالوكيل لك لو لم ينزل عليك القرآن لكن لا بطريق الايجاب بل بطريق التفضل (ان فضله كان عليك كبيرا) فلو قطع عنك القرآن لتفضل عليك بطريق آخر فان قالوا لم لم يتفضل عليك بطريق آخر بل عين القرآن (قل) ان تفضله بانزال القرآن ليس كتفضله بطريق آخر لان القرآن جامع لما لا يتناهى من الحقائق وغيره ليس كذلك (لئن اجتمعت الانس والجن) المتفرقون زمانا ومكانا مع اختصاصهم بالعلوم الجليلة الدقيقة (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) المشار اليه بالاشارة القريبة لقرب مأخذ حقائقه ودلائله ورفع شبهاته (لا يأتون بمثله) لان غايتهم افادة أمور متناهية والقرآن مشتمل على ما لا يتناهى فلا يتصور حصرها منهم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا بعبارة البتى من النظم والفصاحة لاسلوبها (و) لا يعترض باعجازه تكرار الاخبار فيه مع اختلاف العبارات فانا (لقد صرفنا) أى رددنا على انحاء مختلفة (للناس) الغافلين عن بعض الفوائد من عبارة ليتذكرها من أخرى ولابد من جميع الفوائد (فى هذا القرآن) الجامع لها باعتبار الامور الجليلة (من كل مثل) أى أمر عجيب يضرب به المثل لكن المبالغة فى جميع الفوائد انما هى بالعامة لقصور نظرهم على ظاهر التكرار الى انكار الاعجاز (فأبى) أى امتنع (أكثر الناس) ان يستفيدوا أشياء من تلك الفوائد (الا كفورا و) حين كفروا باعجاز القرآن الذى لا مجال لتوهم السحر فيه وقد توهموه فى سائر المعجزات الفعلية (قالوا لن نؤمن لك) أى لا نأتك (حتى تأتى) بما يشبه الثواب الاخروى مثل ان (تفجر) أى تشقق (لنا) أى لزراعتنا وغرسنا على العموم (من الارض) أى أرض مكة (ينبوعا) أى كثير الماء (أو تكون لك) على الخصوص (جنة من نخيل وعنب) لا تتكلف فى سقيها (فتفجر الانهار خلالها) أى فى أوساطها لتصل الرطوبة الى الكل (تفجيرا) يعهد مثله فى كثرة الماء والسقى من غير عمل (أو) تأتى بما يشبه العقاب الاخروى مثل ان (تسقط السماء كما زعمت) ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (علينا كسفا) أى قطعا (أو تأتى بالله) الذى هو خالق الثواب والعقاب (والملائكة) الذين هم أسبابهما (قبيلا) أى ضامنا بصدق قولك فيصير واضامنين بالثواب والعقاب فكانك جئت بعينهما فلا حاجة الى الاتيان بما يشبههما (أو يكون لك) اذا لم تأت بما يشبه الثواب والعقاب

(قوله ويذهبا بطريقتكم) أى بمذهبكم الامس أى وعرشير بمعنى (قوله سنة وطريقة) (قوله شطأه) فراخه وصغاره يقال اشطأ الزرع اذا أفرخ وهذا مثل ضربه

ولا بما يقوم مقام عينه سماما يظهره فتسقط علينا المانع للتحقق الكذب اما في الارض بان يكون لك (بيت من زخرف) أي من جنس ما يتزين به كالذهب والفضة والجواهر (أو) في السماء بان (ترقى في السماء) فتتكلم ربها ويكلمك فترسلك الينا (ولن نؤمن لرقيك) لاحتمال انك صرت اعيننا بذلك (حتى تنزل علينا كتابا) لا يذهب مرة بل لانزال (نقرؤه قل) هذه الاشياء انما تقترح على من يدعي كمال القدرة لكن (سبحان ربي) من ان يشاركك في قدرته فان قدر على مثلها غيره فلا يقدر البشر لكني (هل كنت الا بشرا) لا يخلو عن عجز وان كنت (رسولا) وانما اعتذر عن عدم اتيانه بالآيات المقترحة بكونه بشرا يجعله المانع من الايمان فقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا) بالرسل مع تحقق سببه (اذ جاءهم الهدى الا) ما يصلح للمنع وهو (أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) مع انه لا بد من مناسبة الرسل المرسل (قل) اعتبار المناسبة بين الرسل والمرسل اليهم أولى من اعتبارها بين الرسل والمرسل فعلى هذا (لو كان في الارض ملائكة يمشون) ولا يطيرون الى السماء (مطمئنين) لا يخافون من الله ولا يطلبون مزيد القرب منه مع قابليتهم لذلك (لنزلنا عليهم من السماء) لاتصافه بغاية الكمال الممكن لهم (ملكا رسولا) يكلمهم ويخوفهم فان زعموا انه لا بد من معنة الملك ليكون شاهدا للرسول على صدقه (قل كفى بالله شهيدا) وقد شهد باظهار المعجزات شهادة قاطعة للنزاع (بيني وبينكم) ولا كذب في شهادته لانه نقص فلا يتصور في الشهادة الناشئة من صفات الكمال كالخبرة والبصر (انه كان بعباده خبيرا بصيرا و) شهادة المعجزة وان كانت بعلى علما ضرورة باعقبها فلا يهتدي بها الكل كما لا يهتدي بما يعرف كونه هدى في نفسه بل (من يهد الله فهو المهتد) سواء اهداه باسباب أو بدونها (ومن يضلل) الله (فلن تجد لهم أولياء) من الاسباب اذ لا تأثير لها (من دونه) أي من دون عنايته لكن لا عناية له باهل الضلال وان خلقهم من نوعي الوجوه ناطقين بصراء سامعين بل لما لم يشكروا هذه النعم اذ صرفوها الى غير ما خلقت له عكس عليهم الامر (و) لذلك (نحشرهم يوم القيامة) الذي يتصور فيه المعاني الحاصلة من التصرفات الانسانية منكسين (على وجوههم) لتنكيسهم الآيات العالية (عميا) لا يبصرون ما فيه نجاتهم اذ لم يبصروا حقائق الآيات (وبكما) لا ينطقون بما فيه نجاتهم اذ لم ينطقوا في الدنيا بمقتضى الآيات (وصما) عما فيه راحتهم اذ لم يسمعوا الآيات لو سمعوا الا ليزدادوا عنادا لذلك (مأواهم جهنم كلما خبت) أي طفئت في حقهم عند احتراق جلودهم ولحومهم (زدناهم) بتجديد اللحوم والجلود (سعيرا ذلك جزاؤهم) لا على الاضلال بل على اختيار الضلال المستعقب للاضلال من الله (بانهم كفروا بآياتنا) فجعلوها من قبيل المصر النازل (و) لم يستعملوا فيها أبصارهم ولا سمعهم ولا السنتهم بل (قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) أي أنبعث اذا تلف لحمنا وبقينا عظاما بل رقت عظامنا فصارت رفاتا (أئنا لمبعوثون) أي لم يتحقق كوننا مبعوثين فان تحقق لم نكن معادين بل (خلقا جديدا) وكما عظموا

الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم اذ أخرج وحده ثم قوله الله عز وجل باصحابه (قوله عز وجل شديد القوى) يعني جبريل عليه السلام وأصل القوى من

النظر الى الآيات المنزلة على زعم انها سحر عطلوه فى سائر الآيات أيضا (أولم يروا) فى آيات الآفاق التى لا مجال للسحر فيها (ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) مرة بعد أخرى بطريق الاعادة فالقدرة التى هى سبب الوجود محققة (و) لا تتوقف المانع اذ لا يصلح عدم جريان السنة الالهية مانعا وغيره ليس بمانع اتفاقا اذ (جعل لهم أجلا لاريب فيه) أى فى كونه حكمة اذ لو جرت العادة بذلك لم يبق للتكليف وجه ولو ترك صار ظلما الكم لظلمهم لا يعتبرون الحكمة و يجوّزون الظلم (فأبى الظالمون الا كفورا) بالقدرة الالهية فان زعموا انهم لا ينكرون القدرة الالهية وانما يجعلونه لعدم جريان السنة الالهية بذلك (قل) يدل على انكاركم القدرة توهمكم عجز الله ان يرتبكم الرزق مع تكرر اعطائه اياكم لانك تفرطون فى البخل بحيث (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الذى هو أوسع الاسماء الالهية مع انه لا يتصور نفاد خزينة من خزائنه الجزئية (اذا) أى حال ملككم لها (لامسكتم) أى بخلتم (خشية الانفاق) اى نفاد تلك الخزائن بلا عوض لعدم اعتمادكم على قدرة الله (و) لو اعتمدتم ما تركتم بخلكم أيضا اذ (كان الانسان قتورا) بالطبع والامور الطبيعية لا تفارق بالدلائل العقلية (و) يدل على عدم وجدان الضال أولياء من دون الله وعلى اباء الظالمين الا الكفور وعلى قتورية الانسان بالاتفاق فوق قتوريته بالمال انا (لقد آتينا موسى تسع آيات) غاية عدد الافراد (بينات) ظاهرة الدلالة على القدرة الالهية وهى حل العقدة من اللسان والعصا واليد البيضاء والسنون والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فان شككتم فيها العينها ء لك (فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم) بتلك الآيات فتناهدها قدماؤهم وسمع بالتواتر متأخروهم (فقال له فرعون) الضال الظالم الآبى القتور بالاتفاق الذى لم يزده آيات موسى سوى الكفور (انى لاظنك ياموسى مسحورا) أى مجنونا جنون المسحور لادعائك الرسالة المستقلة وان لم تكن مسحورا كنت ساحرا فى اتيان الآيات (قال) موسى (لقد علمت) من عمائك بماية ما يلبسه السحر لعلمه فى زمانك ومكانك (ما أنزل هؤلاء) الآيات من السموات الى الارض (الا رب السموات والارض) لا للتلبيس لكونها (بصائر) تبصرك وتومك الصدق (وانى لاظنك) فى عنادك من سلطنتك (يافرعون مثبورا) أى ملعونا بعيدا عن ملك الدارين فلما ظهرت حجته خاف ايمان قومه به (فأراد أن يستفزهم) أى يزعجهم بالقهر (من الارض) أى أرض مملكته فهرب وامنه فوقع الغرق المبين فتنه بضرب عصاه فعبره فتبعهم فرعون وقومه (فأغرقناه ومن معه جميعا) لئلا يبقى منهم من ينازع بنى اسرائيل (وقلنا من بعده) أى بعد اهلاكهم (لبنى اسرائيل) الذين أراد ان يستفزهم من الارض (اسكنوا الارض) أخذا بظلمكم عليهم ولا تستوفون الظلم بذلك بل يبقى بعضه الى الآخرة (فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) أى مختلطين يتعلق المظلوم بالظالم (و) لا يمتنع مجيء هذا الوعد لانه (بالحق) أى الدليل القطعى من نصوص الكتب الالهية (أنزلناه وبالحق) الذى هو ثبات نظام العالم على أكمل الوجوه (نزل) وكيف يكذب هذا الوعد (وما أرسلناك) أيها

قوى الحبل وهى طاقاته واحدتها قوة (قوله عز وجل شوى) جمع شواة وهى جلدة الرأس (قوله عز وجل ناشطات) أى عاليات

الكامل الذي لا يتصور منه الكذب ولولا المعجزات وتدينا بأيديهم اصدقك (الا مبشرا) بالثواب لأهل الصلاح (ونذيرا) لأهل الفساد (و) الأقمار ثنا (قرآنا) هو ترجمة كلامنا الازلي الذي لا مجال لشبهة الكذب فيه ولا جعل بذلك تفريقه اذ (فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) أي على مهل ليتقرر في قلوبهم (و) هو وان كان ترجمة كلام واحد لا يقبل التفريق صار قابلا له اذ (نزلناه) مرتبة بعد مرتبة (تنزيلا) واصلا الى عالم التفصيل فان زعموا ان الكلام الازلي غير قابل لهذا التنزيل (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) فانه يستوي ايمانكم وعدمه لجهلكم بالحقائق (ان الذين أوتوا العلم) فعلموا قابليته لهذا التنزيل لاحاطتهم بالحقائق (من قبله اذا يتلى عليهم) فعلموا اشتماله على تلك الحقائق (يخرون) أي يسقطون ملصقين (للأذقان) أي الوجوه بالارض (سجدا) أي خاضعين (ويقولون) في مطابقته ما وعد في كتبه (سبحان ربنا) من أن يكذب شيء من مواعيده (ان) أي انه (كان وعد ربنا لمفعولا) بصدد الانقياد لحقيته (ويخرون للأذقان) في العمل به (يبكون) خوف العقاب وفوات الثواب (ويزيدهم) كل نظر فيه وسماع له وعمل به (خشوعا) فان زعموا انه لو كان نازلا من الله لكان داعيا الى الله فلم يكن فيه ما يشبه شركا لكنه يأمر تارة بدعوة الله وتارة بدعوة الرحمن (قل) ليس هذا شركا بل غايته بيان دعوته بالوجوه الكثيرة بحسب اختلاف المطالب (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) ولا يختص دعوته بهذين الاسمين لكثرة الاغراض الجزئية بل (أياما) أي أي اسم من أسمائه (تدعوا) أو صلك الى مطلوبه من غير شرك في ذاته (فله الأسماء الحسنى) أي الكاملة الموصلة الى المقاصد (و) يعينك في الايصال الى المطالب الصلاة فانها اذا اجتمع عليها القلوب كانت أقرب (لا تجهر بصلاتك) لئلا تخل بالخشوع (ولا تخافت بها) أي ولا تبالغ في الاخفاء بحيث لا يسمعها من خلفك فيفوتك فائدة الاجتماع بهم (و) بالجملة الاخذ بالأوساط بقيد تزكية النفس عن الاطراف التي هي الرذائل لذلك (وابتغ بين ذلك سبيلا) ليكون داعيا لك الى التوسط في الاخلاق المفيدة التزكية والتصفية المقربة للمشاهدة الكاشفة عن الحقائق التي هي الاعجاز من حيث لا تناهي (و) هذه العبادة انما تفيدك هذه المشاهدة لو خلت عن العجب والرياء فلذلك (قل الحمد لله) على انه من علي بهذه العبادة بلا شرك فيها اذ بالغ في نفيه لانه (الذي لم يتخذ ولدا) وكيف يتخذ وهو اما للشركة أو الاستعانة (ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي) يعينه (من الذل) ليتعزز (و) لا تجعل العبادة مفيدة له عزا بل (كبره) من أن يستفيد من أحد شيئا (تكبيرا) بأنه وان استحق المحامد من الكل لم يستفد تلك المحامد من شيء بل له تلك المحامد من ذاته والله أعلم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الكهف)

سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الايمان بالله من الامن الكلي عن الاعداء والاغناء الكلي عن الاشياء والكرامات العجيبة وهذا من أعظم مقاصد القرآن

ومنه شيخ باثقه (قوله فما الى شفق) الشفق الحمرة بعد مغرب الشمس (قوله عز وجل شاهد ومشهود) قيل الشاهد يوم الجمعة

(بسم الله) المتجلي بجميعه في كتابه حتى ظهر استحقاقه للمحامد كلها على انزاله (الرحمن) بانزاله على عبده الجامع الذي ارسله رحمة للكل (الرحيم) بجعله منذرا عن البأس الشديد لمفسد خواص عباده ببشارة الاجر الحسن الدائم (الحمد لله) أي الحمد الجامع للمحامد مستحق لله لانه (الذي انزل على عبده) الذي تجلى فيه التجلي الجامع الغيبي (الكتاب) الجامع لتجلياته الشهودية (و) هذا التجلي وان كان قد يؤدي الى تعوج بدعوى الالهية (لم يجعل له عوجا) بل جعله من بلاء العوج اذ جعله (قيما) مصلحا الا بطريق القهر بل (لينذر بأسا شديدا) وهو وان لم يرا العبد كان يرى هذا البأس (من لدنه) باعتبار تجليه بالجلالي (و) لاختصاصه بأهل الاعوجاج وتفويجهم من بلائه كان شأنه أن (يبشر المؤمنين) المريلين عوج اعتقادهم (الذين يعملون الصالحات) ليزيلوا عوج افعالهم الظاهرة والباطنة (أن لهم أجرا حسنا) من التجلي الجمالي وهو وان كان قابلا للتبديل الى الجلالي كقابليته التبديل الى الجمالي لا يتبدل ما وقع منه بطريق الجزاء فيكونون (ماكثين فيه أبدا و) لا تعم هذه البشارة لكل من يدعي الايمان والاعمال الصالحة فظهر عليه الجمال مع بطون الاعوجاج الذي هو دليل بقاء الجلال فيه بل كان شأنه ان (ينذر الذين) بقي اعوجاجهم وجلالهم في الباطن مثل أهل الكتاب اذ (قالوا اتخذ الله ولدا) وكيف لا يكونون من أهل الجلال وهم في هذا القول من أهل الحجاب فانهم وان كانوا علماء وآباؤهم علماء (ما لهم به من علم ولا لآبائهم) الذين تعلموا منهم بل لا شبهة لهم سوى متشابهات ألفاظ كتبهم مع ان العقل الصريح اذا دل على امتناع مفهومه يجب تأويله بما يناسب جناب الحق فهذه الكلمة وان نطقت بها كتبهم (كبرت كلمة) من حيث (تخرج من أفواههم) على اعتقاد انها مستعملة في المعنى الحقيقي مع ظهور كذبه فهم وان وافقوا ظاهر الكتاب (ان يقولون الا كذبا) فان انكروا كونه كذبا لكونه ظاهر كتابهم (فلعلك) لعدم قبولهم قولك من افراط عوجهم (باخع) أي قاتل (نفسك) غضبا (على آثارهم) أي آثار علمهم بالكتاب من حمله على الامر المستحيل المخالف لكتاب آخر منه سيما (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) القريب من مقتضى صريح العقل فانه يوجب (أسفا) أي افراط الحزن المفضي الى افراط الغضب عليهم فان زعموا انهم كيف يكونون محل الغضب وهم زينة الخلائق لاتصافهم بعلم الكتاب والزينة توجب الميل اليها لا الغضب عليها قيل انهم غاية أمرهم انهم زينة دنيوية كزينة ما على الارض (انا جعلنا ما على الارض) من الحيوانات والنباتات والاحجار الشريفة (زينة لها) لا للميل اليها بل (لنبلوهم) لنختبرهم فيظهر (أيهم أحسن عملا) بالشكر عليها فكذلك أهل الكتاب زينتها أيضا وزينة علمه لنبلوهم أيهم أحسن عملا بمقتضاه فيبقى له زينة أخروية (و) الا فالزينة الدنيوية غير باقية (انا لجاعلون ما عليها صعيدا) أي ترابا (جرزا) أي خاليا عن الزينة كذلك يجعل الله أهل الكتاب صعيدا لا يبقى زينتهم اذ لم يتزينوا بالعمل به فلا يبقى اليهم الميل المانع من الغضب عليهم بل يصيرون محله حال اخلالهم بالعمل المطلوب منهم وقد تركوا التزين بهذا الكتاب الذي هو أعجب الكتب السماوية واقتصروا

ومشهود يوم عرفة وقيل شاهد محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومشهود يوم القيامة

بانهم كان منهم أصحاب الكهف والرقيم فقال المصنف منهم أحسبت ان هذا الكتاب المنسوب للمعاند كله امن أعجب آيات الله (أم حسبت أن أصحاب الكهف) وهو الغار الواسع في الجبل قيل كانوا بالروم بمدينة تسمى الآن طرسوس وقيل افسوس والجبل ينجلوس والكهف بنجيوم وقيل بالشام وقيل في لوسنة في جهة غرناطة من بلاد الاندلس والملك الذي هربوا منه دقيانوس أو دقيوس (والرقيم) لوح من ذهب أو رصاص أو حجر رقم فيه حديثهم وأسماؤهم نقرا أو جبل رقم فيه أو بناء كأنه قصر شعانى وأسماؤهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وذونواس وكفشططيونس وهو الراعي أو تمليخا ومكشلمينا ومثلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك ويرنوش وديرنوش وشاذنوش أصحاب يساره والسابع هو الراعي وقيل مكسلمينا وشمليخا وتمليخا ومرطونس وكسوطونس وبيرونس ودنيونس وبطيونس واسم كلبهم قطمير أو ريان أو سيرا أو نورا أو رهم أي أحسبت ان مجاءتهم ذهبوا الى محل خلوتهم والى مارقم فيه حديثهم وأسماؤهم (كانوا من آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (عجبا) يتعجب منهم بحيث يترك لاجله التعجب بهذا الكتاب وغاية ما يتعجب منهم تغليبهم جانب الله على جانب أهويتهم حال شبابهم (اذ أوى الفتية) من خوف ايذاء الملك على ترك عبادة الاوثان والذبح لها (الى الكهف) الذي لا طعام فيه ولا شراب (فقالوا ربنا) أى من ربانا بنعمة ايثار جانبه على جانب أنفسنا (آتنا من لدنك رحمة) تغنينا عن الطعام والشراب (وهيئ لنا) بالامن من عدونا (من أمرنا) اختيار الكهف (رشدا) هو توحيد الله وعبادته فاغناهم (فضربنا) الحجاب بينهم وبين الاصوات (على آذانهم) لئلا ينقطع نومهم فيحتاجون الى طعام وشراب أو يقعوا في خوف العدو فتركناهم على ذلك (في الكهف) بحيث لا يراهم العدو (سنين) متعددة (عددا) اتماما للرحمة عليهم (ثم) أي بعد حصول الامن الكلي من العدو وذريته (بعثناهم) أي أيقظناهم ايقاظا شبيها ببعث الموتى (لنعلم) وانما علمنا انه سيقع وهو (أي الحزبين) المتفقين في مدة لبثهم (أحصى) أي أشد احاطة (لما لبثوا أمدا) أي لغاية مدة لبثهم فيعلموا قدرة رحمة الله بلا طعام ولا شراب وأمنهم من العدو فيزيدهم رشدهم في شكره وتكون لهم آية تبعثهم على عبادته فان زعموا انهم انما نالوا هذه الرتبة العزيزة والكرامات العجيبة لتدينهم بدينا قيل لهم هذا لا يصلح معارضا لما حكاه الله لا كمل رسله وموافقا لما حكاه في سائر كتبه اذ (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) المطابق للواقع ولما وقع في كتبهم (انهم فتية) أولو القوة العقل والفهم والصبر والتوكل حتى (آمنوا بربهم) مع اتفاق أقرانهم على الشرك به (وزدناهم هدى) بترجيح جانب الله على جانب أنفسهم (وربطنا) شددنا بقلوبهم فجعلناها غالبة (على قلوبهم) بحيث لا يبالون لما يعملون في سبيلها (اذ قاموا) بين يدي ملكهم حين رفع اليه أمرهم فقيل للملك يجمع الناس على عبادة آلهتك والذبح لها وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤن بك (فقالوا) انما نعبد الرب وندعوه وهذا ليست أربابا للناس (ربنا) أي رب كل واحد منا ومنك (رب

وأسماؤهم مكسلمينا الخ كذا بأصح الاصلين بأيدينا وفي الاصل الآخر نوع مغايرة وحرر أسماءهم من القاموس وغيره اه مصحح

كما قال تعالى وذا اليوم مشهود (قوله تعالى الشفع والوتر) الشفع في اللغة اثنان والوتر واحد وقيل الشفع يوم الاضحى

السموات والارض) بحيث يدخل تحت ربوبيته كل معبود سواه فان اكرهنا على عبادة
الغير (لن ندعو) فضلا عن أن نعبد (من دونه) أى من دون رتبته عن رتبة رب السموات
والارض (الها) نجعله فى رتبته (لقد قلنا اذا) أى اذ جعلنا اللادنى رتبة الاعلى (شططا) أى
ظلما على الله فيجب لدفعه تحمل ظلمك علينا ولا يندفع هذا الظلم بكونه متفقا عليه بين جماعة
من عقلاء الدنيا اذ (هؤلاء) المشار اليهم بالاشارة القريبة لدنائتهم فى امور الآخرة لاتباعهم
مع انهم (قومنا) من كثرت شفقتهم علينا الا انهم ضلوا حيث (اتخذوا من دونه آلهة) فان
زعموا انهم أهل الصواب (لولا يأتون) على ما يقال (عليهم بسلطان) يتسلط على عقل من
يقول عليهم (بين) لا يمكنه دفعه فان لم يأتوا به فهم ظالمون فى حق الله لافترائهم عليه بان فى رتبته
العليا شركاء يساورونه ثم ابتدعوا لهم اياهم كذلك افتراء عليه (فمن أظلم عن افترى على الله كذبا)
فهم أعداؤه ولا عبرة بقرابة من عادى سلطانا كبيرا (واذا اعتزلتموهم) بترك متابعتهم من
افراط ظلمهم وهو موجب مضيهم (و) قد ازدادوا غضبا عليكم من ترككم عبادة
(ما يعبدون الا الله) فانهم كانوا يعبدونه صريحا أو فى ضمن عبادتهم له (فأووا الى الكهف)
الذى لا يطلعون عليكم فيه فلا يؤذونكم ولا تخافوا من الكون فيه فوات الطعام
والشراب فانكم اذا التجأتم الى الله بعد ما دعوتموه (ينشر الرحمة وتهيئة الرشد (ينشر لكم
ربكم من رحمته) ما يغنى عن الطعام والشراب (ويهيئ لكم من أمركم) اختيار جانبه على
جانبكم (مرفقا) يرفق بنفوسكم فيعطيها من لذات عبادته ما ينسيها سائر اللذات على أن لذاتها
لم تخل عن أذية وهذه خالية عن الأذيات كلها (و) من رفق الله بهم فى ضمن رفقه بأنفسهم انك
ترى الشمس) جميع السنة (اذا طلعت) أى صعدت (تزاور) أى تميل (عن) باب (كهفهم)
الجهة (ذات اليمين) أى يمين الكهف لئلا يصيبهم شئ من حرها فى وقت شدته فيوقظهم ويغير
ألوانهم (واذا غربت) أى هبطت (تقرضهم) أى تقطعهم قطعة من نورها لا يموتوا بالبرد
مائلة (ذات الشمال و) ليس ذلك لضيق باب الكهف أو ميله الى جهة لا يصل اليها ذلك بل (هم
فى فجوة) أى سعة (منه) أى من الكهف يصل اليهم الهواء من كل جانب دون أذى الشمس
ولا استحالة فى ذلك وان كان على خرق العادة اذ (ذلك من آيات الله) أى كراماته فى حقهم وان لم
يبالغوا فى عبادته لكنهم احصلت لهم من مزيد هدايتهم وليست الهداية منوطة بمزيد العبادة
بل (من يهد الله فهو المهتد) وان لم يكن له مزيد عبادة (ومن يضلل فلن تجد له) عبادة
مرشدة بل لن تجد له (وليا) يلى أمره فيحفظه من الضلال فضلا عن أن يكون (مرشدا) الله
تعالى وان منعهم حر الشمس لم يمنعهم فائدته من تقوية الحياة لذلك (تحسبهم أيقاظا) لفتح
أعينهم وعدم استرخاء أعضائهم (وهم رقود) مستغرقين فى النوم بحيث لا يصل اليهم الصوت
(و) قد كان بحيث لا يمكنهم التقلب بأنفسهم لكنا بمقتضى ما وقع وابتناء من مزيد الرفق (نقلبهم
ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تتلف الارض أجسادهم (و) كما حفظهم بالتقليب عن اهلاك

والوتر يوم عرفة وقيل الوتر الله عز وجل والشفع الخلق خلقوا أزواجا وقيل الوتر آدم عليه السلام شفع بزوجته

الارض حفظهم عن الاعداء بكلب اذ (كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) بفناء الكهف او الباب أو العتبة ليهابهم الاعداء مع هيبة ذاتية لهم بحيث (لو اطلعت عليهم) مع غاية قوتك في مكافحة الحروب (لوليت منهم فرارا و) لا يندفع الخوف بالفرار بل (لملئت منهم رعبا و) كما أبهمنا على الناس أحوالهم في النوم (كذلك) أبهمناعليهم أحوالهم في اليقظة حين (بعثناهم ليتساءلوا بينهم) ...
لم ابوا الله ثيقاذوا مستكروا ذمنهم العلم بما في أنفسهم مع اعطائهم هذه الكرامات لا لاماتة الطاق بأربابها بل أنفسهم حتى يتذلل لامثالها بالسؤال (ليتساءلوا بينهم) لذلك (قال قائل منهم كم لبثتم) اعترافا بجهل نفسه أو طلبا للعلم من غيره وان لم يظهر كونه على اليقين (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) فمن نظر الى أنهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية ظن انهم لبثوا يوما ومن نظر الى أنه قد بقيت من النهار بقية ظن انهم لبثوا بعض يوم فهم مع ما أعطوا من الكرامات يتكلمون بالظن فالولي يجوز أن يتكلم بالظن فيما ليس من الاصول ويجوز أن يخطئ ثم لما نظروا الى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من ذلك لكن عجزوا عن تعيين مقداره فأحالوه على ربهم حتى (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) أي بمقدار مالبثتم فيه ولكن هذه الاحالة لا تمنع من طلب العلم به ولو في ضمن أمر آخر فاطلبوه في ضمن حاجة عرضت لنا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) المأخوذة للتزود ولذلك لا نحوج الى السؤال سيما في مكان يمنع من الاجابة الى المسؤل به فيفضي الى الهلاك فلا ينافي التوكل (الى المدينة) التي فررتم عنها فانه لا يمنع الرجوع اليها الحاجة يفضي اهمالها الى الهلاك لكن لا يأخذ منها أي طعام وجده كالمضطر اذ لا اضطرار مع امكان تحصيل الحلال (فلينظر أيها) أي أهلها (أزكى طعاما) أي اطهر من الحرمة فلا يكون مغصوبا من مسلم ولا ذبيحة كافر وعن الشبهة (فليأتكم برزق منه) فانه وان كان على الله بكل مكان فلا بأس بالطلب الخفيف ولذلك قال (وليتلطف) فلا يبالغ في السعي له كي لا يبطل التوكل (ولا يشعرن بكم أحدا) لانه اهلاك أشد من الاهلاك بالجوع (انهم ان يظهروا عليكم) أي يطلعوا على مكانكم (يرجموكم) أي يقتلوكم بالحجارة وهو أشد من الموت بالجوع (أو يعيدوكم في ملتهم) وهو أشد من الرجم بالحجارة اذ يحصل بعده الفلاح (ولن تفلحوا اذا) أي اذا صرتم الى ملتهم (أبدا) ولو باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان اذ ربما يقتدي بظاهركم اولادكم أو غيرهم (و) كما أعثرناهم على مقدار لبثهم من لسان أهل المدينة حين دخلها من بعثوه للطعام فأخرج الورق وكان بضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كنزا من ضرب من سبق بثلثمائة وتسع سنين (كذلك أعثرنا عليهم) أهل المدينة حين ملكها مؤمن وهو بيدوسيس واختلف قومه في أن البعث روحاني محض أو جسماني فسأل الله تعالى أن يبين لهم الحق فلما ذهبوا به الى الملك فقص عليه ستره وانطلق مع قومه اليهم (ليعلموا) من حالهم الشبيه بالبعث الجسماني (أن وعد الله) بالبعث (حق و) ان لم يقع له نظير في الازمنة الماضية ليعلموا (أن الساعة) الموعود فيها البعث (لا ريب فيها) اذ لا بد من الجزاء بمقتضى الحكمة ثم قالوا الملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس فبينما هو قائم

وقيل الشفع والوتر الصلاة منها الشفع ومنها الوتر (شانئك مبغضك) (باب الشين المعجمة) (قوله عز وجل شرعا) أي

اذ رجعوا الى مضاجعهم فقبض الله أرواحهم لكن لم يعلمه الكل (اذ يتنازعون بينهم
أمرهم) فيقول المسلمون انهم مسلمون نبنى عليهم مسجدا وقال الكفار انهم أولاد الكفار
ولم يثبت اسلامهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) صومعة أو كنيسة لكن قطع الله ذلك النزاع
أيضا بتغليب المؤمنين اذ (ربهم أعلم بهم) فغلب بالحجة والقدرة من علم اطلاعه على حقيقة
أمرهم حتى (قال الذين غلبوا على أمرهم) بالحجة والقدرة (لنتخذن) على رغم المشركين (عليهم
مسجدا) نصلى فيه ونتبرك بهم والله تعالى وان كان قاطعا للنزاع فلا يزال الناس يخترعون
نزاعا وان قلت فائدة لذلك (سيقولون) أى بعض الناس هم (ثلاثة رابعهم كلبهم) أى ثلاثة
موصوفة بان رابعهم كلبهم الحافظ لهم من تبعهم (ويقولون) أى البعض الآخر (خمسة
سادسهم كلبهم) فالقولان باطلان لكونهما (رجما) أى تلفظا (بالغيب) الذى لا اطلاع لهم
عليه (ويقولون) أى الفريق الثالث (سبعة وثامنهم كلبهم) بطريق عطف الجملة احترازا
عما فى الصفة المذكورة من الاستهانة بالموصوف فان زعم الاولان أن هذا القول أيضا
رجم بالغيب فلم يكذبهم الله كما كذبنا (قل) اعلم بكذبهم لانهم وافقوا عدتهم فى الواقع
وانما كذب من كذب لا لكونه غيبا بل لكونه غير مطابق للواقع ولكن ذكر جهة الغيب
لوما عليهم (ربى أعلم بعدتهم) ولا نسلم أن الفريق الثالث قائل بالغيب بل غاية الامر أنه
(ما يعلمهم الا قليل) واذا كانت عادتهم الرجم بالغيب وادعاء عموم العلم فيما لا يعلمه الا قليل
ولا انكار على أولئك القليل (فلا تمار فيهم) أى أصحاب الكهف (الا مراء ظاهرا) بحجة
لا يمكنهم الرجم بالغيب على خلافها ولا دعوى العلم بخلافها ولا الانكار عليك لقلة من يعلمه
(ولا تستفت) أى لا تسأل (فيهم) أى فى شئ من أحوال أصحاب الكهف (منهم أحدا) لانهم
لا يصدقونك ويقولون تعلمته من أهل الكتاب فتنسبه الى الوحى (ولا تقولن لشئ) استفهمولك
فيه (انى فاعل ذلك) أى الجواب عنه (غدا الا أن يشاء الله) أى الا مقرونا بمشيئة الله لئلا يلزمك
الكذب ولا يلزمك التحكم على الله فيبطئ عليك الوحى كما فى سؤالهم عن الروح وعن
أصحاب الكهف وعن ذى القرنين (واذكر ربك اذا نسيت) الاستثناء فى وعد الجواب
المتوقف على الوحى فان ذكرك اياه موجب لذكره اياك فيرجى لك تقريب الوحى (وقل) ان
منعت الوحى فى مطلوب خاص (عسى أن يهدين ربى لأقرب) أى ليدل من المطلوب أقرب
(من هذا) المطلوب (رشدا) كتعليم الاستثناء وذكر الرب عند نسيانه ليذكره بالتفضل
عليه (و) لا يبعد على أهل عناية الله الغفلة عن بعض الامور وقد غفل أصحاب الكهف
المربوط على قلوبهم بمحبة الله عن الله مدة مديدة اذ (لبثوا) نائمين (فى كهفهم) الذى التجؤا اليه
لتفرغوا الذكر الله وعبادته (ثلثمائة) لو كانت أياما لكانت غفلتهم عنه مدة مديدة فكيف
اذا كانت (سنين) سيما اذا كانت شمسية (و) لو حسبت قمرية (ازدادوا تسعا) اذ التفاوت
بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فان أنكروا الزائد (قل الله أعلم) منكم (بما لبثوا) أى
بمقدار لبثهم لاحاطة علمه بالمعقولات والمحسوسات أما المعقولات فلانه (له غيب السموات

ظاهرة واحدها شارع
(قوله عز وجل الشقة)
أى السفر البعيد (قوله عز
وجل شورى بينهم) أى
يتشاورون فيه (قوله

والارض

والارض) والمعقولات دون الغيب وأما المحسوسات فلانه لا يحجب بصره وسمعه شئ فيتعجب
من بصره وسمعه حتى يقال (أبصر به وأسمع) وكيف لا يكون كذلك مع انه الذى أعطى العلم
بالمعقولات والبصر والسمع لكل من أعطاه لانه (مالهم من دونه من ولى) يعطيهم شيأ فضلا
عن العلم والبصر والسمع (و) كيف يكون لهم ولى فى ذلك مع ان الدون لا يستقل بنفسه
(لا يشرك فى حكمه) الذى هو الايجاد واعطاء العلم والبصر والسمع وغير ذلك (أحدا) وفيه
اشارة الى أن علمهم بهم اما من قبيل الغيب فهو مختص بالله أو من قبيل المسموع فهو أسمع أو
من قبيل المبصر فهو أبصر (و) ان زعم أنه اذا لم يشرك فى حكمه أحدا فكيف يشرك فى علمه
فالجواب أن الوحى ليس باشراك بل افادة علم وغايته جعل من يوحى اليه واسطة لافادته الكل
(اتل) ليفيد الكل (ما أوحى اليك) ليفيدك علما مطابقا لعلمه لكونه (من كتاب ربك)
والدليل على انه منه أنه (لا مبدل لكلماته) ولو لم يكن من الله لامكن تبديلها ولو كان مفترى يمتنع
تبديل كلماته لاقتضت الحكمة اسراع اهلاك المفترى لئلا يصير سببا للاضلال الذى لا يمكنهم
التفصى عنه ولا يمكنك دفعه لانك (لن تجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ (و) اذا لم تجد من
دونه ملتحدا فلا تلتجئ الى اشراف الناس وان أعانوك فى اظهار الوحى بل (اصبر) أى احبس
(نفسك مع) أهل الله فالالتجاء اليهم بمنزلة الالتجاء الى الله لانهم (الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى) باعتبار ظاهره وباطنه ولا يريدون عبادة الظاهر بل (يريدون وجهه) أى ذاته فلا
تقم عن مجلسهم لرؤية اشراف الناس (ولا تعد) أى ولا تجاوز (عيناك) بالاعراض (عنهم)
الى الاشراف ولو لم تقم عنهم لان النظر الى الاشراف والقيام اليهم انما يكون لارادة زينة الدنيا
وقد بعثت للزهد والرغبة فى الآخرة فكيف (تريد زينة الحياة الدنيا) لتتبعك أمتك فى هذه
الارادة (ولا تطع) هؤلاء الاشراف ولو لم تصرف نظرك عنهم بالاستماع اليهم لانهم الطاعة (من
أغفلنا قلبه عن ذكرنا) فتؤديك الى الغفلة عنه (و) هى أيضا طاعة من (اتبع هواه) وقد بعثت
لمنع متابعتها (و) هى وان كانت جالبة للمنافع فالافراط فيها مهلك وهذا (كان أمره فرطا) فلم يكن
هوا من جوالب النفع (وقل) ان طلب التصادق اليه لاختصاصه بشرف الدنيا حقك أن تقصد
الحق الذى انزل الله اذ هو (الحق) لكونه (من ربكم) فالالتصاق اليه التصاق الى الرب اذ انزله اليكم
(ليمتحنكم هل تؤمنون به أم لا (فمن شاء فليؤمن) التصاقا اليه ابقاء للشرف واستزادة فيه (ومن
شاء فليكفر) اغترارا بشرفه فيصير ظالما منتضعا للسياسة التى لا يبقى معها شرف (انا أعتدنا
للظالمين نارا) سيما من أحاط بهم ظلمهم لتعلقه بربهم الذى أحاط بهم انما ماذلك (أحاط بهم
سرادقها) أى جدرانها كل جدار مسيرة أربعين سنة (و) كيف تقصد الظلم مع أنهم يصيرون
بحيث (ان يستغيثوا) لدفع الحرارة والمكاره بماء بارد طيب (يغاثوا بماء) خبيث (كالمهل)
أى الصديد الحار بحيث (يشوى الوجوه) التى لم تشوها النار اذا قرب الى وجهه سقطت
فروة وجهه ليتمكن عليه مطلوبه كما عكس مطلوب الحق فى الدنيا ولا يبقى لهم مع هذا شرف
اذ (بئس الشراب) شرابهم (وساءت) الاغاثة (مرتفقا) غايتهم من الشدة فهم أحوج

عز وجل شعوبا وقبائل)
الشعوب أعظم من القبائل
واحدها شعب بفتح الشين
ثم القبائل واحدها قبيلة
ثم العمائر واحدها عمارة

للالتصاد الى ما أنزل الله ليخلصوا عنه (ان الذين آمنوا) التصادا الى الله تعالى (وعملوا
الصالحات) التصادا الى ما أنزل الله فلا يتصور فى حقهم ازالة الشرف بل لابد من تشرف من
لاشرف له منهم لاستحقاقهم الاجر من جهات كثيرة (انا لانضيع أجر من أحسن عملا) واحدا
فكيف نضيع أجر الاعمال الكثيرة وأجر الايمان الذى هو الاصل واذا لم نضيع الاجر
فكيف نضيع الشرف الحاصل قبل ذلك بل (أولئك) تصدرتبتهم فى الشرف اذ (لهم جنات
عدن) اقامة لهم فى مقام القرب (تجرى) من فيضان أعمالهم (من تحتهم) لاستيلائهم عليها
فلا يحتاجون الى الاستغاثة (الانهار) من أنواع الاشربة الطيبة بدل ما يغاث به أهل النار
من ماء كالمهل ويعطون من شرف كبراء الدنيا انهم (يحلون فيها من أساور من ذهب) بدل
سلاسل أهل النار (ويلبسون) من الخلع الخاصة لهم بدل ثياب القطران لأهل النار (ثيابا
خضرا) لانها أطيب للبصر وأكمل التزين (من سندس) مارق من الديباج على الاعمال
اللطيفة (واستبرق) ماغلظ منه على الاعمال الكثيفة ثم ذكر من الشرف ما يختص بالملوك
أو العروس فقال (متكئين فيها على الارائك) وهى السرر فى الحجال (نعم الثواب) ثوابهم
بدل بئس الشراب للكفار (وحسنت مرتفقا) بدل ساءت مرتفقا والبدل أعم من نقيض
المبدل (و) ان زعموا أنه لا تظهر فيما سبق لجعل الشريف دنيا بالكفر والدنى شريفا بالايمان
فهو خلاف السنة الالهية (اضرب لهم مثلا رجلين) أخوين من بنى اسرائيل كافر اسمه
قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر أرضا
ودارا وخدما ومتاعا وتزوج امرأة وتصدق المؤمن ليحصل بذلك أرضا فى الجنة ودارا فيها
وحورا وولدانا مخلدين أو من بنى مخزوم كافر الاسود بن عبد الاسد ومؤمن أبو سلمة عبد الله
ابن عبد الاسد (جعلنا لأحدهما) وهو الكافر ما يفيد شرفا (جنتين) هما منشأ المال والجاه
لكونهما (من أعناب) يحصل بهما من الاموال ما لا يحصل من غيرها ولها عروش مرتفعة
يحصل بمجامع تلك الاموال الجاه (وحففناهما بنخل) هى أعز ما يؤثره الدهاقين فى تأزير
كرومهم بالاشجار (وجعلنا بينهما) أى بين الجنتين أو بين النخيل والاعناب (زرعا) ليحصل
منهما الفواكه والاقوات فاجتمع فيهما المآكل الحيوانية وقد كملت اذ (كلتا الجنتين آتت
أكلها) أى ثمرها كاملة (ولم تظلم) أى لم تنقص فى سنة من السنين (منه شيأ) لم تنقص شيأ
من حاصله بأجرة السقى اذ (فجرنا خلالهما) أى فيما بينهما (نهرا) يسقى الاشجار والزرع بيله
(و) لم يتلف بزيادة الماء شئ من الثمر بل (كان له ثمر) فلم يزل يبغى المال والجاه حتى تكبر بهما
على أخيه (فقال لصاحبه) أى أخيه الذى انقطعت أخوته باختلاف الدين (وهو يحاوره)
أى يراجعه الكلام الذى يعيره به لفقره ويفتخر عليه (أنا أكثر منك مالا و) جاها لانى (أعز
نفرا) أى حشما ينصرونى معى (و) لم يقتصر على لوم أخيه والتكبر عليه بل ضم اليه الكفران
والكفر اذ (دخل جنته) التى كانت جنتين فاتصلتا (وهو) بالكفران والكفر حين يتوقع
منه كمال الشكر والايمان (ظالم لنفسه) بما يوجب سلب النعمة ويمنعه المزيد لا النعم الذى

ثم البطون واحدها بطن
ثم الافخاذ واحدها فخذ ثم
الفصائل واحدها فصيلة
ثم العشائر واحدها عشيرة
وليس بعد العشيرة حى

لايحتاج الى الشكر ولا الى غيره (قال ما أظن) أى ما أعتقد اعتقادا راجحا فضلا عن الجازم (أن تبيد) أى تهلك (هذه) الجنة (أبدا) اذ لا تخلو عن عامر من أولادى مادامت الدنيا (و) لا أرى لها انقطاعا لانى (ما أظن الساعة قائمة) فكفر بالقول بقدم العالم ونفى حشر الاجساد (و) اعتقد عكس الجزاء اذ قال (لئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا) أى موضع انقلاب لان ما وجدته من الدنيا كان لشرفى وهو باق والقول بقدم العالم ينفى اختيار الصانع وارادته و بانكار حشر الاجساد ينفى قدرته على الاعادة و بعكس الجزاء ينفى الحكمة الالهية (قال له صاحبه) الذى عيره بفقره لتعييره له على كفره (وهو يحاوره) أى يراجعه كلام التعيير على الكفر بمحاورته كلام التعيير على الفقر فى ضمن النكر عليه (أكفرت) بهذه الاقوال بما ينفى القدرة على الاعادة (بالذى خلقك من تراب) فانكرت عليه قدرته على اعادتك من التراب (ثم من نطفة) بجعل التراب نباتا ثم جعله غذاء يتولد منه النطفة فانكرت عليه قدرته على انزال المطر الغليظ قبل البعث (ثم سواك) بتعديل مزاجك المقتضى فيضان الروح عليك لتصير (رجلا) فانكرت عليه تسوية مزاج أهل القبور وافاضة الارواح عليهم وقد كفرت ايضا بانكار دوام ربوبيته بعد الموت (لكنا) أى لكن انا لا انكر دوام ربوبيته اذ (هو) الذى خلقنى من تراب ثم من نطفة ثم سوانى رجلا (الله) الجامع للكمالات التى لا تنقطع فهو (ربى) الذى لا تنقطع ربوبيته عن المعدوم وقد أشركت بالقول بقدم العالم (و) أنا (لا أشرك بربى أحدا و) أشركت بالقول بأن لا تبيد جنتك مادام لها عامر فجعلت عمارة العامر معارضة لمشيئة الله دافعة لتأثيرها فلو لم تقصد المعارضة (لولا) أى هلا (اذ دخلت جنتك قلت) لا تبيد (ما شاء الله) أى مادامت مشيئته بأن لا تبيد اذ لا معارض لمشيئته بل (لا قوة الا) قائمة (بالله) وتعييرك اياى بالفقر لا يبعد أن ينعكس فيه الامر (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى) لايمانى به ورضاى بفعله (أن يؤتين) فى الدنيا أيضا (خيرا من جنتك ويرسل عليها) أى على جنتك لكفرك به وازدرائك بخواص عباده (حسبانا) أى صواعق (من السماء) تحرقها (فتصبح صعيدا) أى ترابا (زلقا) أملس لا تثبت فيه اقدام فلا تملك ما يكون فيه نبات (أو) يهلكها من جهة الارض بمنع السقى بأن (يصبح ماؤها غورا) أى سائلا الى حيث لا يمكن حفره (فلن تستطيع له طلبا) بالحفر أو بغيره دعا على المؤمن خيرا من جنته (و) أرسل على جنة الكافر حسبانا من السماء بحيث (أحيط بثمره) بالاهلاك فلم يبق له منها أثرة ينتفع به فى الحال فعيره نفسه أكثر من تعييره أخاه وتعييره أخيه اياه (فأصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن تحسرا (على ما أنفق فيها و) أبرح منها فى رأى المال اذ (هى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) الساقطة على الارض بحيث قاربت أن تصير صعيدا زلقا (و) لا يقتصر على هذا التحسر بعد الموت الذى وقع له عقيبه عن قريب بل يزداد تحسرا بعده لا عليها بل (يقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا) يتحسر أيضا على تكبره بالحشم اذ (لم تكن له فئة) أى جماعة (ينصرونه) بالانقاذ من الله لكونهم (من دون الله وما كان منتصرا) بنفسه

يوصف (قوله تعالى شواظ من نار) النار المحيطة بغير دخان (قوله عزوجل نهب) جمع شهاب وهو

الشريفة وماله وكيف يجد هنالك خير منقلب مع انه لا ولاية له ولا لاحد من شركائه اذ (هنالك الولاية لله) الظاهر بصفة (الحق) الصرف فلا يحصل منها الا الفعل الحق فلا جرم (هو خير ثوابا) لا ينقص اومن درجة لدناءته في الدنيا (وخير عقبا) لا يترك لكافر عقوبة شرفه بل يعاقبه بذنبه وذنب من استتبعه حتى ينعكس الامر هنالك وان كان ينعكس ههنا لعدم ظهوره بالحق الصرف وان كان مآله الى الحق بحسب ما يترتب عليه من الجزاء اللائق الى الايمان (و) ان زعموا ان شرف الدنيا لا يخلو عن أثر عند الكبراء وان زال سببه (اضرب لهم مثل الحيوة الدنيا) التي لها شرف لنزولها من السماء فهي (كماء أنزلناه من السماء) ثم انها يختلط بها أجزاء الحيوان كأن الماء ينزل (فاختلط به نبات الارض) فيحصل للانسان شرف الحياة كما يحصل للنبات شرف النمو ثم يموت الانسان موت النبات (فأصبح هشيما) أى يابسا مكسورا لا يبقى له شرف اذ (تذروه) أى تفرقه وتنسفه (الرياح و) كيف ينكر على الله قلب الشريف دنيا مع انه (كان الله على كل شيء مقتدرا) فان زعموا أن الله تعالى وان كان مقتدرا فلا يفعل شيأ الا بسبب وقد جعل الاموال والاولاد أسباب الشرف فلا يكون شرف الآخرة الا بهما قيل لهم (المال والبنون زينة) اى شرف (الحيوة الدنيا) لا غاية لهما فيها (و) ليسا من أسباب الشرف الاخروى اذ لا يحتاج فيها اليهما بل (الباقيات) من الاعتقادات والاخلاق وهيآت الاعمال التي تبقى ببقاء الروح لاتصافها بها (الصالحات) فهي أسباب الشرف في الآخرة اذ هي (خير عند ربك) لمناسبتها له دون المال والبنين (ثوابا) أى جزاء (وخير أملا) لتحصيل منازل القرب عنده والمال والبنون ان أفادا ثوابا وأملا فمن حيث صرف المال في سبيل الله وارشاد الاولاد ودعوتهم للوالدين (و) خير أيضا في دفع الاهوال من المال والبنين في الدنيا لا سيما (يوم نسير الجبال) في الجو بعد قلعها من الارض هباء منبثا والمال والبنون لا ينفع في هذه الاهوال (و) يحصل لاربابها هنالك حياء عظيم عند جميع الخلائق لانك (ترى الارض) بعد قلع ما فيها من الجبال والابنية والاشجار (بارزة) أى ظاهرة لا يخفى ما يجرى عليها على من كان على ظهرها (و) يكون على ظهرها جميع الخلائق اذ (حشرناهم فلم نغادر) أى لم نترك (منهم أحدا) وان كان فيهم من أكله انسان آخر فانه يحشر كل بأجزائه الاصلية والمحشورون يكونون على تلك الارض فيظهر لكل منهم شرف أهل الباقيات الصالحات فوق شرف أهل الاموال والبنين (و) لا يكون لهم هذا الشرف فيما بين الخلائق فقط بل عند الله أيضا مع الخلائق كلهم اذ (عرضوا على ربك صفا) واحدا لا يخفى ما يكون لواحد عند ربه على أحد من الحاضرين عنده وأقله أن لا يفتضح افتضاح من يقال لهم من أرباب الاموال والبنين (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) بلا مال ولا بنين ولا بما حصلتم بهما أو من غيرهما (بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا) أى وقتا لانجاز ما وعدنا كم من البعث والنشور والحساب والجزاء لم يعملوا الذلك أصلا بل عملوا لم ما يزدادون به افتضاحا (و) لتكميل افتضاحهم (وضع الكتاب) بين يدى الله بحضرة الخلائق (فترى المجرمين) قبل قراءته (مشفقين) أى

كل شيء مترقد مضيء (قوله عز وجل مقتت (حرسا شديدا وشهبا) يعنى كواكب

خائفين

فائفين أن يفتضحوا (بما فيه و) لا يمنعهم هذا الخوف هنالك بل يقرأ عليهم حتى انهم (يقولون) عند قراءته (ياويلتنا) من افتضاحنا الذى هو أشد من التعذيب عليها (ما) أى شأن حصل (لهذا الكتاب) فى جمع الفضائح بحيث (لا يغادر) فضيحة (صغيرة ولا كبيرة) لانه لا يذكر معصية صغيرة ولا كبيرة (الا أحصاها) أى عد مقاديرها وأوصافها فلم يتسامح فى شىء من ذلك (و) مع ذلك (وجدوا ما عملوا حاضرا) بصور مخصوصة (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه أو يصور له ما لم يفعله أو يزيد فى مقاديره أو أوصافه (و) كيف لا يفضحكم هذه الفضيحة مع انكم خرجتم عن أمر من أكرمكم غاية الاكرام لامر من أهانكم وخروج لابليس عن أمر ربه (اذ قلنا للملائكة) الكرام عندنا (اسجدوا لآدم) اكراما له (فسجدوا) وان كان فيه تذلل ينافى كرامتهم (الا ابليس) فانه وان لم يكن لمثل كرامتهم اذ (كان من الجن) قصد اهانتكم (ففسق عن أمر ربه) الذى أعطاه كرامة الموقف بالملائكة فى دخول فى أمرهم (أ) تتبعونه فى فسقه الناز ع كرامته (فتتخذونه وذريته أولياء) مع كونهم (من دونى) وربما يتخذ الادنى وليا للمزيد شفقته ورحمته (وهم لكم عدو) يقصدون نزع كرامتكم لنازع كرامتهم بسببكم فقد ظلمتم بوضع الادنى موضع الاعلى والعدو موضع راحمه ونازع الكرامة موضع معطيها (بئس للظالمين بدلا) على أن البدل يجب أن يكون صالحا للقيام مقام المبدل وهؤلاء لا يصلحون لان ذلك بالمشاركة فى الايجاد وهؤلاء (ما أشهدتهم خلق السموات والارض) لا الى خلقتهما قبل خلقهم فانى يتصور منهم ايجادهما (ولا خلق أنفسهم) وان كان بعد خلقهما (و) اذ لا مشاركة فى الايجاد فلا أقل من الاستعانة لكنى (ما كنت متخذ المضلين) للخلق عنى (عضدا) أى معاونا لانهم أعدائى ولا يستعين أحد من عدو مع العلم بعداوته (و) كما انهم ليسوا معاونى كذلك ليسوا معاونى من اتخذهم أولياء من دونى (يوم يقول) الله (نادوا شركائى) لا فى الواقع بل فى زعمكم لانهم (الذين زعمتم) أنهم شركائى (فدعوهم) لبقاء اعتقاد شركهم بعد قوله الذين زعمتم (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الجواب فضلا عن الاعانة وكيف يجيبونهم وهو فرع التواصل (و) قد (جعلنا) التواصل (بينهم موبقا) أى سبب هلاك كأنه مكانه الذى أحاط به (و) لكون مواصلتهم سبب الهلاك الكلى (رأى المجرمون) عند عدم المشعر ببقاء المواصلة (النار) المحيطة بوجوه الهلاك (فظنوا) بعد اعتقادهم اعانتهم فى دفعها (أنهم) لمواصلتهم اياهم (مواقعوها) أى مخالطوها (ولم يجدوا عنها مصرفا) آخر لانهم وان تركوا مواصلتهم الآن بقى عليهم أثر ما مضى منها كالصبغ (و) كيف يجدون عنها المصرف الآن بعد ما تركوا أسباب الصرف عنها فى الدنيا (لقد صرفنا) أى وجهنا توجيهات مختلفة (فى هذا القرآن) الجامع للمهمات (للناس) الذين تمنوا ضرر هذه المواصلة لو بقيت أيام المباهلة (من كل مثل) أى دليل جار مجرى المثل (و) اغا وجهنا التوجيهات المختلفة اذ (كان الانسان أكثر شىء جدلا) فلعله اذا أمكنه الجدال

•(باب الشين المكسورة)•
(قوله عز وجل لاشية فيها) وشى فلمة فلقها من أصلها
(قوله عز وجل لاشية فيها) النفس ما لحق زيتون عسله أى لالون

في توجيه لا يمكنه في توجيه آخر (و) امكان الجدال في بعض التصريفات وان توهموه
مانعا من الايمان فليس بمانع بالحقيقة فانه (ما منع الناس) أي الذين نسوا وجه التفصي عن
الشبهة في بعض التصريفات (أن يؤمنوا) بمطالب القرآن (اذ جاءهم الهدى) أي الدليل
القطعي من بعض الوجوه مع امكان التفصي عن الشبهة في البعض الآخر (ويستغفروا)
عن المعاصي الحاجبة عن طلب التفصي (ربهم) الذي رباهم بهذه التوجيهات فيرجى منه
ان يربيهم بكشف الشبهات عن بعضها (الا) انتظار (أن تأتيهم سنة الاولين) من المؤاخذات
المخصوصة (أو يأتيهم العذاب قبلا) أي متنوعا أنواعا لئلا يتوهم من اختصاصه بنوع
انه من البليات التي تعم الصالحين والطالحين (و) ليس المراد بسنة الاولين سنة الرسل من
الاتيان بالآيات المقترحة حتى يتوقف تحقق الرسالة عليها فانه (ما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين) أي جامعين بينهما وهذه السنة تنافي الجمع بينهما سيما اذا قدم التبشير لسبق
الرحمة الالهية (و) انما الحقهم السنة لانه (يجادل الذين كفروا بالباطل) اذ لا يقصدون
اظهار الصواب بل (ليدحضوا) أي يزيلوا (به الحق) الثابت عن مقرره وهذه المجادلة سبب
الغضب (و) قد ازدادوا من أسبابه انهم (اتخذوا آياتي) المنسوبة الى ذاتي لقوتها (وما
أنذروا) من مدلولاتها من القهر الالهي (هزوا) أي موضع استهزاء وسخرية (و) كيف
لا يكونون محل الغضب مع انه محل الظلم ويحصل غاية الظلم بما دون المجادلة فضلا عن
الاستهزاء فانه (من أظلم ممن ذكر بآيات ربه) الذي رباه بالنعم فأراه آياته لتذكيرها بشكر
النعم (فأعرض عنها) لعدم مبالاته بها وبربها (ونسي) مع تذكيرها (ما قدمت يداه)
من صرف نعمه الى غير ما أعطاها من أجله وانما قدمت يداه ما قدمتا في النعم لانهما تابعتان
للقلوب وهي محجوبة عن فهم ما خلقت النعم له (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي حجبا
مانعة (أن يفقهوه) أي ما خلقت النعم من أجله (و) هذه الاكنة وان كانت ترتفع غالبا
بطريق السماع لكن جعلنا (في آذانهم وقرا) أي ثقلا (و) لو سمعوا العاذر لانهم (ان
تدعهم الى الهدى) فهم وان كانوا يهتدون به لو سمعوا من آبائهم (فلن يهتدوا اذا) أي
اذا جئت به لمعاندتهم معك (أبدا) هذه الامور وان اقتضت تعجيل العذاب لكنه يتأخر
اذ (ربك الغفور) فكأنه ينتظر توبتهم ليغفر لهم لانه (ذو الرحمة) ويبطل رحمته لو عجل
بمقتضى هذه الامور لانه (لو يؤاخذهم بما كسبوا) لاعاله (لعجل لهم العذاب) المنافي
للرحمة لكنه ليس بتارك العذاب حتى يبطل الفرق بين المسيء والمحسن (بل لهم موعد)
بحكم التوبة قبله لكنهم اذا بلغوه بلا توبة وجب عليهم العذاب بحيث (لن يجدوا من
دونه) أي من دون الله (موئلا) أي ملجأ بحيث لو أمكنه المغفرة لم يكن ليغفر له بعد ما لم يغفره
أرحم الراحمين (و) يدل على تعذيبه مع ظهور رحمته ان (تلك القرى أهلكناهم) لا بطريق
الابتلاء لان اهلاكهم كان (لما ظلموا) فالظاهر نسبته الى سببه (و) لكنه لما لم يكن
سببا تاما تأخر عنه اذ (جعلنا لمهلكهم موعدا) هو من اجزاء السبب اذ يتحقق فيه عدم

فيما سوى لون جميع جلدها
(قوله جل اسمه شقاق) أي
عداوة ومباينة وقوله
لا يجرمنكم شقاقي أي
عداوتي (قوله عز وجل

التوبة الموجبة للمغفرة والرحمة المانعتين من التعذيب (و) اذكر للذين ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا التكبرهم عليك انكم لستم بأعلم من موسى ولا أرشد منه ولست أقل من الخضر في الهداية لانهما داية في الظاهر والباطن وهداية الخضر الغالب في الباطن ولا تحتاجون في تحصيله الى تحمل المشاق واحتاج اليه موسى (اذ قال موسى لفتاه) أي لخادمه يوشع بن نون اختاره لقوته على تحمل المشاق (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي بحري فارس والروم أو طنجة أو افريقية أو العذب والملح فأجد فيه الخضر (أو) حتى (أمضى) أي أسير (حقبا) والحقب ثمانون سنة والمراد زمانا طويلا ان لم أبلغه وذلك انه قام خطيبا في بني اسرائيل فقالوا أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى اليه بل أعلم منك عبدي بمجمع البحرين وهو الخضر قال يا رب كيف لي به قال خذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فسارا (فلما بلغا مجمع بينهما) وكان بالليل أو بالي الصخرة فوضع موسى رأسه عليها فنام وأصاب الحوت روح الماء وبرده وقيل توضأ يوشع فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فذكر يوشع ان يوقظه ثم لما استيقظ نسي ان يخبره ونسي موسى ان يسأله وان كان مجمع ما بينهما وبين الخضر اجتماعه لانهما (نسيا حوتهما) الذي به علامة حياته في مكان بعد كونه مشويا أو مملوحا علامة كون الخضر فيه لكنهما ربما اليه لانه وقع في الماء (فاتخذ سبيله) مع كونه (في البحر سربا) أي طاقا وهو وان لم يكن ليوشع مذكرا أولا ذكره بعد المجاوزة (فلما جاوزا) المجمع الذي فيه الخضر (قال لفتاه) بعد ما سار الى الظهر من الغد وجاع ولم يجد اشبا من ذلك قبله (آتنا غداءنا) وهو الخبز والحوت الذين جاء بهما يوشع في المكتل وهو وان جعل علامة لم يتعين لها فطلبه في وقت الضرورة (لقد لقينا من سفرنا هذا) الذي هو بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) تعبا ولابد لاختصاصه بهذا الوقت من سبب (قال أرأيت) أي اخبرني هل سبب نصبك تجاوز موضع المطلوب بنسيان وقوع الحوت في الماء (اذ أوينا الى الصخرة فاني) بعد ما أمرتني ان أخبرك بأمر الحوت (نسيت الحوت) بعد استيقاظك وكرهت ايقاظك (وما أنسانيه) مع اهتمامي بأمرك (الا الشيطان) فانه كره (أن أذكره) لك فيحصل لك الاجتماع بالخضر بلا تعب ولا عصيان مني لمخالفة أمرك (و) لكن لا يفوت عن مكانه لانه (اتخذ سبيله في البحر عجبا) أمرا غريبا اذ صار الماء عليه طاقا وسربا (قال) موسى (ذلك) المكان الذي اتخذ فيه سبيله سربا هو (ما) أي مكان (كنا نبغ) أي نطلب فيه الخضر وقد لك حصل التعب بمجاوزته فانحن جاوزنا المطلوب تعب لكنه لا يفوتنا بالرجوع الى ذلك المكان (فارتدا) أي رجعا ماشيين (على آثارهما) أي آثار اقدامهما يتبعانهما (قصصا) أي اتباعا لانه لا يفوتهما الموضع فلما فوصلا اليه فدخلا البحر (فوجدا عبدا) لا يكتنه غاية كماله لكونه (من عبادنا) مظاهر عظمتنا اذ (آتيناه رحمة من عندنا) وهو التجلي الشهودي من غير نشأة

شرعة ومنهاجا شرعة وشريعة واحدة أي سنة وطريقة ومنهاجا طريقا واضحا ويقال الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج

(و) لذلك (علمناه) بلا واسطة بشر وملك (من لدنا علما) جليلا لا يعطى كثيرا من الانبياء (قال له موسى) الذى هو متبوع يوشع وسائر بنى اسرائيل (هل أتبعك) فى علومك مرتقيا عن علومى (على أن تعلمن) وان كنت لا أتعلم من بشر بل من الله أو ملائكته (مما علمت) من لدن ربك (رشدا) فوق هداية أهل الظاهر كمعرفة اسرار الحق فى بعض الافعال التى يظهر قبحها (قال) ان هذا العلم ليس مما يظهر حسنه بادنى النظر بل منه ما يظهر فى الصور القبيحة التى يبادر أهل الظاهر الى الانكار عليها وهو مانع من الاطلاع على محاسنها وترك الانكار عليها يحتاج الى صبر عظيم قال (انك لن تستطيع) وان كنت (معى) متأنيا عنى (صبرا) بوجه من الوجوه (وكيف تصبر على ما) ظهر قبحه مع انك (لم تحط به خبرا) تعرف به محاسنه الماحية قبحه (قال) موسى انى وان كنت من أهل الظاهر الذين لا صبر لهم الى تتبع البواطن (ستجدنى ان شاء الله صابرا) بالتغلب على طبعى من اقتدائى بك وتأنى عنك كيف وفى تركه عصيانك (و) اذا اتبعتك (لا أعصى لك أمرا) وان رأيت فيه طاعة الله فى الظاهر لكنه معصية بالحقيقة لان اعتقاد القبح فيمن زكاه الله طعن على الله ولما كان هذا الكلام كالرد عليه فى قوله انك لن تستطيع معى صبرا لم يعد الصبر وان راعى الاستثناء (قال فان اتبعتنى) فى علومى (فلا تسألنى عن شىء) فضلا عن الانكار عليه فهذا العلم ليس بطريق السؤال والجواب بل بطريق الفيض فلا بد من انتظاره ولا بد من الصبر (حتى أحدث لك) فى قلبك ولو بطريق الفيض ولو مع اللسان (منه ذكرا) يذكر به ما كان فيه فاتبعه موسى على ان لا يسأله شيأ حتى يفاتحه وأرسل يوشع الى القوم لاقامة الشرائع (فانطلقا) أى سارا على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فكلما أهلها ان يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) أخذ القدوم فقلع لوحين من أسفلها (قال أخرقتها لتغرق أهلها) الذين حملوك بغير نول (لقد جئت شيأ امرا) أى عظيما من اتلاف السفينة وقتل الجماعة الكثيرة بغير ذنب وكفران نعمة الحمل بغير نول (قال) لو صبرت عرفت انه مثل التابوت الذى حملتك أمك فيه لا يدخله ماء ولم يغرق (ألم أقل) لك (انك لن تستطيع معى صبرا) وان قصدته (قال) انما فاتك ما قلت لنسيانى أن امثال هذا من مسائل ذلك العلم بل هو من فرطاتك (لا تؤاخذنى بما نسيت) فان المؤاخذة به تفضى الى العسر (ولا ترهقنى) أى لا تغشنى (من أمرى) فى تحصيل العلم منك (عسرا) لئلا يلجئنى الى تركه فنزلا من السفينة (فانطلقا) أى مشيا فى الساحل (حتى اذا لقيا غلاما) أمكنه فى الحال (فقتله) بقلع رأسه من غير تأخير بخلاف قلع اللوح من السفينة (قال أقتلت نفسا زكية) أى طاهرة من موجبات القتل من الردة والزنا والقتل لكون قتلها (بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا) أى منكرا لا يمكن اصلاحه بحال بخلاف ما فاته دم فانه وان كان عظيما يمكن اصلاحه بوجه ما (قال) لو صبرت لعلمت انه كقتلك القبطى (ألم أقل لك) أى لاجل ما رأيت من العجلة فى طبعك فيما يخالف ظاهره الشرع (انك لن تستطيع معى صبرا) وان

(قوله الطريق المستقيم) أى طريقا عز وجل شيعا) أى الاولين أى وقوله فى شيع الاولين (قوله عز وجل شهاب مبين) أى فى أمم الاولين

لم تنس عهد الله ولا عصيتني (قال) موسى ان كان الاول نسيانا ولى فيه عذر فهذا ليس بنسيان ولا عذر لى فيه (ان سألتك عن شئ بعدها) أى بعد هذه المرة وان لم أنكر عليك (فلا تصاحبنى) لانى أنضر بحفظ انكارى فوق ما أنتفع بصحبتك ولا يلزمك حق الصحبة والتعلم لانك (قد بلغت من لدنى) أى من جهتى (عذرا) اذ خالفتك ثلاث مرات بمقتضى طبع الاستعجال (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى انطاكية أو الايلة أو الجزيرة الخضراء وهى من الاندلس أو برقة أو باجروان أو ارمينية أو ناصرة من أرض الروم (استطعما أهلها) أعاده لانه صفة القرية لفظا وللاهل معنى فلا بد من ذكره ليستقيم ولو جعل صفة لاهل لم يتوجه الاعتراض على اصلاح بعض ما فى القرية لكن ذنب الاهل سبب ذم القرية ومنع اصلاحها ولو جعل جواب الشرط لفهم منه ان اتيانهم القرية انما كان للاستطعام (فأبوا) أى فامتنعوا من (أن يضيفوهما) أى يطعموهما الطعام الذى هو حق ضيافتهم عليهم (فوجدا فيها جدارا) مائلا كله (يريد أن ينقض) أى ينهدم وكان ارتفاعه مائة ذراع (فأقامه) بايماء يده أو بمسحها أو بعمود دعمه به وقيل نقضه وبناه (قال) موسى لغفر الاحسان الى المسىء وان كان من شأن أهل الكمال لكن من المضطرين الذين الهم أشد طعام الغير (لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال) الخضر (هذا) وان لم يكن انكار امنك ولا سؤالا فى الظاهر فهو راجع اليهما وقد دنا من استعجال طبعك مع انك لو صبرت لعلمت انه مثل سفينتك بلا أجر مع الاضطرار فهو (فراق بينى وبينك) المأمور به فى ضمن شرط المصاحبة وأمر الرسول واجب لكن لا أفارقك على الفور (سأنبئك) بالمشاهدة من غير طريق الافاضة الباطنة (بتأويل) أى بمآل (ما لم تستطع عليه) أى على ظاهره (صبرا) لتذهب بفائدة الصحبة وتستفيد بما ذكر فى الحالة (أما السفينة) التى خرقتها (فكانت لمساكين يعملون) بها صيدا (فى البحر) فهى سبب بقائهم لو بقيت لهم لكنها انما تبقى لهم لو كانت معيبة (فأردت أن أعيبها) أسند العيب الى نفسه (و) انما تبقى المعيبة لهم لانه (كان وراءهم) فى طريق رجوعهم (ملك) غسان الجلندى الازدى أو هدد بن بدد (يأخذ كل سفينة) سليمة (غصبا) ويترك المعيبة (وأما الغلام فكان) قتله حفظا لايمان أبويه اذ كان (أبواه مؤمنين) وقد طبع كافرا منافقا قاطع طريق مثير شبهات فى الدين داعيا الى الكفر والطغيان (فخشينا) لو تركناه (أن يرهقهما) أى يغشيهما (طغيانا وكفرا فأردنا) بقتله (أن يبدلهما ربهما) أسند الى نفسه لما فيه من القتل الشر والى ربه لما فيه من البدل الخير ولدا (خيرا منه) لتضمنه (زكوة) أى طهارة عن الكفر والطغيان (وأقرب رحما) أى رحمة بأبويه وبرا بهما يكون كالدية عن المقتول وجبر الاساءة بالاحسان قيل أبدلهما جارية تزوجها نبى فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة (وأما الجدار فكان) اصلاحه وحفظ ما تحته واجبا على لانه كان (لغلامين) وحفظ مال الغلام أولى من الجارية لاستغنائها بنفقة زوجها (يتيمين) وحفظ مال اليتيم واجب سيما اذا كان (فى المدينة) اذ

كوكب مضىء وكذلك شهاب ثاقب وقوله بشهاب قبس أى شعلة نار فى رأس عود وشهابا رصدا يعنى نجما أرصد به للرجم اهـ (قوله

قوله الجلندى الازدى عبارة البيضاوى واسمه جلندى ابن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى اهـ مصحح

لو كان فى البرية ربما يحفظ بعدم اطلاع أحد عليه (وكان تحته كنز) من ذهب وفضة (لهما)
والجدار حائط له فلو ترك ينقض لضاع ولأجر عندهما سوى تلك الكنز الذى لو أخرج
لضاع لعدم استقلالهما وكيف لايهتم بحفظ كنزهما (وكان أبوهما) الثامن (صالحا)
فأراد ربك) ببركة صلاحه (ان) يحفظ كنزهما حتى (يبلغا أشدهما) أى قوتهما فى الحفظ
بالبلوغ والعقل (ويستخرجا كنزهما) حال تمكنهما من التصرف وهو وان كان لطفا لم يكن
واجبا على الله بل (رحمة من ربك) تفضل بها (وما فعلته) أى المذكور بمقتضى على (عن
أمرى) أى من أمر نفسى بل كان معه أمر الله أيضا (ذلك) الذى بعد علمك لعدم صبرك
لانه (تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فلو صبرت لوصلت اليه بنفسك من غير احتياج الى
البيان بل غايته الاحتياج الى الافاضة الباطنة منى (ويسئلونك) أى اليهود أو قريش لتخبر
(عن ذى القرنين) بالغيب أخبار الخضر الذى كان على مقدمة جيشه قيل هو مرزبان
ابن مرزبة اليونانى أو افريدون أو الاسكندر بن فيلقوس الرومى وهو المشهور وكان وليا
أو نبيا وهو الاسكندر الكبير وأما الصغير فكان على مذهب استاذه ارسطو سمى به لانه
طاف قرنى الدنيا أى المشرق والمغرب وقيل لانه أمر قومه بالتقوى فضرب على قرنه الايمن
فمات فأحياه الله ثم أمرهم فضرب على قرنه الايسر فمات فأحياه الله (قل) أخبركم عنه بغير
ما أخبر به الخضر (سأتلوا عليكم منه ذكرا) مخبرا أنزله الله على دون الخضر (انا مكناله)
التصرف (فى الارض) بما أعطيناه العلم والحكمة وسخرنا له النور يهديه من امامه
والظلمة تحفظه من خلفه (وآتيناه من) خواص (كل شئ سببا) أى طريقا لتحصيل أمور
عظام (فأتبع سببا) لطى الارض وتيسير الحروب ودفع مايستعين به العدو فسار (حتى
اذا بلغ مغرب الشمس) أى الظلمات التى لاطلوع للشمس فيها (وجدها تغرب) دائما
عند استقراره (فى عين) من البحر المحيط (حمئة) أى ذات حمأ وهو الطين الاسود (ووجد
عندها) أى بقربها (قوما) قيل هم ناسك (قلنا) بالوحى اليه ان كان نبيا أو الى نبى زمانه
أو بالالهام (ياذا القرنين) اذا أسرت هؤلاء فأنت مخير بين أمرين (اما أن تعذب) بالقتل
والاسترقاق (واما أن تتخذ فيهم حسنا) بالمن والفداء (قال أما من ظلم) أى أصر على الكفر
بعد عرض الاسلام عليه والارشاد الى أدلته (فسوف نعذبه) بعد المبالغة فى الارشاد (ثم
يرد) فى الآخرة (الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) لايعرفه أهل الدنيا (و) قال (أما من آمن
وعمل صالحا فله) عند ربه (جزاء) أعماله (الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) وهو المن
والفداء (ثم) أى بعد مافعل بأهل المغرب ماذكر (أتبع سببا) لطى الارض من المشرق
ولمحاربة أهله ودفع حيلهم فلم يزل يعمل ذلك (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى الارض التى
يدوم فيها الطلوع (وجدها تطلع) دائما بلاليل (على قوم) قيل هم منسك (لم نجعل لهم
من دونها سترا) من الارض والجبال فهم أعلم بالحيل وأشد فى الحروب ومع ذلك فعل بهم
(كذلك) أى مثل مافعل بأهل المغرب (وقد أحطنا بما لديه) من أسباب محاربة هؤلاء

تعالى بشق الانفس) أى (قوله بشقة الانفس
شرذمة) أى طائفة قليلة
(قوله شرب) أى نصيب من
الماء (شيعته) أى أعوانه

ودفع حاجتهم التي لانسبة لكثرتها وشدتها الى حاجة أهل المغرب (خبرا) أحسن عند السائلين (ثم) أى بعد الفراغ من أهل المشرق (أتبع سببا) لطي الارض عما بين المشرق والمغرب ولمقابلة أهله ودفع حاجتهم (حتى اذا بلغ بين السدين) أى جبلي ارمينية واذربيجان بينهما سد ذى القرنين (وجد من دونهما) أى أدنى من الفريقين (قوما لا يكادون يفقهون قولا) فضلا عن الحيل الدقيقة فى الحرب فلم يحاربوه بل استعانوا به اذ (قالوا ياذا القرنين) نادوه باسمه من قلة فقههم (ان يأجوج) قوم من الترك (ومأجوج) قوم من الجيل أو من الترك (مفسدون فى الارض) يخرجون أيام الربيع فلا يرون أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا حملوه ويفترسون الانسان والدواب ويأكلون الحيات والعقارب (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أى حاجزا (قال) ذو القرنين (ما مكني) بالتصرف (فيه) من الاموال (ربي خير) أى أجل من خرجكم فلا أستعين به (فأعينوني) فى دفع افسادهم (بقوة) عملة وصناع (أجعل بينكم وبينهم ردما) أى حاجزا حصينا موثقا (آتوني) أى ناولوني لعمله (زبر) أى قطع (الحديد) اجعلها مع الحطب والجمر فوق الاساس الذى من النحاس والصخر الى مبلغ الماء فرفع البناء (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى طرفي الجبلين المتقابلين (قال انفخوا) بالمنافيخ ففعلوا (حتى اذا جعله) أى النفخ البناء لغاية الحرارة كأنه صار (نارا) والنافخون عليه لا يضرهم النار بسبب استعمله (قال آتوني) قطرا (أفرغ) أى أصب (عليه قطرا) هو النحاس المذاب أو الصفر فجعلت النار تأكل الحطب تصير النحاس مكانه حتى لزم الحديد النحاس فصار بناء رفيعا أملس صلبا فخينا (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه لملاسته وارتفاعه (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته قيل بعد ما بين الصدفين مائة فرسخ وطوله فى السماء مائتا ذراع وعرضه قيل خمسون فرسخا وقيل ذراعا (قال) ذو القرنين (هذا) البناء (رحمة من ربي) علي بالتوفيق وعلى هؤلاء وأولادهم بالسلامة والنجاة الى وقت قريب من القيامة (فاذا جاء وعد ربي) أى قرب وقت اتيانه بالقيامة (جعله) أى هذا البناء (دكا) أى مستوى بالارض (و) هو وان كان مستبعدا لكنه (كان وعد ربي حقا) فلا تبعد حقية ما هو من علاماته (و) انما كان دكه من علامات الساعة لانه سبب خراب العالم اذ (تركنا بعضهم) أى بعض يأجوج ومأجوج (يومئذ) أى يوم اذ دكه (يموج) أى يختلط (فى بعض) عما وراء الروم فهو معيد لافسادهم بل هو أشد منه فهو سبب خراب العالم وهو مستدع لاتصاف المظلومين من الظالمين (و) لاستدعائه اجتماع الخصوم (نفخ فى الصور) عقيب ذلك (فجمعناهم) فيه (جمعا) روحانيا (و) للاتصاف الروحاني هناك (عرضنا جهنم يومئذ) أى يوم اذ تجتمع أرواحهم فى الصور على كل ظالم سيما (للكافرين عرضا) غير عرضها فى القبر بطريق التمثيل ولا فى القيامة بطريق الاحساس بل بطريق عقلي محض لانكشاف الحجاب الجسمانى بالكلية عنهم اذ هم (الذين كانت أعينهم فى غطاء) من الجسم الحقيقى أو الخيالي

مأخوذ من الشعاع وهو الحطب الصغار الذى تشعل بها النار وبعين الحطب الكبار على اتقاد النار وبقال الشيعة الاتباع

لو كان فى البرية رعاية تحفظ بعدم اطلاع أحد عليه (وكان تحته كنز) من ذهب وفضة (لهما)
والجدار مائط له فلو ترك ينقض لضاع ولا أجر عندهما سوى ذلك الكنز الذى لو أخرج
اضاع لعدم استقلالهما وكيف لا يهتم بحفظ كنزهما (وكان أبوهما) الثامن (صالحا
فأراد ربك) ببركة صلاحه (ان) يحفظ كنزهما حتى (يبلغا أشدهما) أى قوتهما فى الحفظ
بالبلوغ والعقل (ويستخرجا كنزهما) حال تمكنهما من التصرف وهو وان كان لطفا لم يكن
واجبا على الله بل (رحمة من ربك) تفضل بها (وما فعلته) أى المذكور بمقتضى على (عن
أمرى) أى من أمر نفسى بل كان معه أمر الله أيضا (ذلك) الذى بعد عليك لعدم صبرك
لانه (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) فلو صبرت لوصلت اليه بنفسك من غير احتياج الى
البيان بل غايته الاحتياج الى الافاضة الباطنة منى (ويسئلونك) أى اليهود أو قريش لتختبر
(عن ذى القرنين) بالغيب أخبار الخضر الذى كان على مقدمة جيشه قيل هو مرزبان
ابن مرزبة اليونانى أو افريدون أو الاسكندر بن فيلقوس الرومى وهو المشهور وكان وليا
أو نبيا وهو الاسكندر الكبير وأما الصغير فكان على مذهب استاذه ارسطو سمى به لانه
طاف قرنى الدنيا أى المشرق والمغرب وقيل لانه أمر قومه بالتقوى فضرب على قرنه الايمن
فمات فأحياه الله ثم أمرهم فضرب على قرنه الايسر فمات فأحياه الله (قل) أخبركم عنه بغير
مما أخبر به الخضر (سأتلوا عليكم منه ذكرا) مخبرا أنزله الله على دون الخضر (انا مكناله)
التصرف (فى الارض) بما أعطيناه العلم والحكمة وسخرنا له النور يمشى به من امامه
والظلمة تحفظه من خلفه (وآتيناه من) خواص (كل شئ سببا) أى طريقا لتحصيل أمور
عظام (فأتبع سببا) لطى الارض وتيسير الحروب ودفع ما يستمر به العدو فسار (حتى
اذا بلغ مغرب الشمس) أى الظلمات التى لا طلوع للشمس فيها (وجدها تغرب) دائما
عند استقراره (فى عين) من البحر المحيط (حمئة) أى ذات حما وهو الطين الاسود (ووجد
عندها) أى بقربها (قوما) قيل هم ناسك (قلنا) بالوحى اليه ان كان نبيا أو الى نبى زمانه
أو بالالهام (ياذا القرنين) اذا أسرت هؤلاء فأنت مخير بين أمرين (اما أن تعذب) بالقتل
والاسترقاق (واما أن تتخذ فيهم حسنا) بالمن والفداء (قال أما من ظلم) أى أصر على الكفر
بعد عرض الاسلام عليه والارشاد الى أدلته (فسوف نعذبه) بعد المبالغة فى الارشاد (ثم
يرد) فى الآخرة (الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) لا يعرفه أهل الدنيا (و) قال (أما من آمن
وعمل صالحا فله) عند ربه (جزاء) أعماله (الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) وهو المن
والفداء (ثم) أى بعد ما فعل بأهل المغرب ما ذكر (أتبع سببا) لطى الارض من المشرق
ولمحاربة أهله ودفع حيلهم فلم يزل يحصل ذلك (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى الارض التى
يدوم فيها الطلوع (وجدها تطلع) دائما بلا ليل (على قوم) قيل هم منسك (لم نجعل لهم
من دونها سترا) من الارض والجبال فهم أعلم بالحيل وأشد فى الحروب ومع ذلك فعل بهم
(كذلك) أى مثل ما فعل بأهل المغرب (وقد أحطنا بما لديه) من أسباب محاربة هؤلاء

تعالى بشق الانفس) أى بمشقة الانفس (قوله شرذمة) أى طائفة قليلة (قوله شرب) أى نصيب من الماء (شيعته) أى أعوانه

ودفع

ودفع حياتهم التي لا نسبة لكثرتها وشدتها الى سيل أهل المغرب (خبرا) أحسن عند العاقلين (ثم) أى بعد الفراغ من أهل المشرق (أتبع سببا) لطى الارض مما بين المشرق والمغرب ولمقابلة أهله ودفع حياتهم (حتى اذا بلغ بين السدين) أى جبلى ارمينية واذربيجان بينهما سد ذى القرنين (وجد من دونهما) أى أدلهما من الفريقين (قوما لا يكادون يفقهون قولا) فضلا عن الحيل الدقيقة فى الحرب فلم يحاربوه بل استعانوا به اذ (قالوا يا ذا القرنين) نادوه باسمه من قلة فقههم (ان يأجوج) قوم من الترك (ومأجوج) قوم من الديلم أو من الترك (مفسدون فى الارض) يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه ويفترسون الانسان والدواب ويأكلون الحيات والعقارب (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أى حاجزا (قال) ذو القرنين (ما مكنى) بالتصرف (فيه) من الاموال (ربى خير) أى أجل من خرجكم فلا أستعين به فى دفع افسادهم (فأعينونى بقوة) عملة وصناع (أجعل بينكم وبينهم ردما) أى حاجزا حصينا موثقا (آتونى) أى ناولونى لعمله (زبر) أى قطع (الحديد) اجعلها مع الحطب والجمر فوق الاساس الذى من النحاس والصخر الى مبلغ الماء فرفع البناء (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى طرفى الجبلين المتقابلين (قال انفخوا) بالمنافخ ففعلوا (حتى اذا جعله) أى المنفوخ البناء لغاية الحرارة كأنه صار (نارا) والنافخون عليه لا يضرهم النار بسبب استعمله (قال آتونى) قطرا (أفرغ) أى أصب (عليه قطرا) هو النحاس المذاب أو الصفر فجعلت النار تأكل الحطب تصير النحاس مكانه حتى لزم الحديد النحاس فصار بناء رفيعا أملس صلبا ثخينا (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه لملاسته وارتفاعه (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته قيل بعد ما بين الصدفين مائة فرسخ وطوله فى السماء مائتا ذراع وعرضه قيل خمسون فرسخا وقيل ذراعا (قال) ذو القرنين (هذا) البناء (رحمة من ربى) على بالتوفيق وعلى هؤلاء وأولادهم بالسلامة والصلاة الى وقت قريب من القيامة (فاذا جاء وعد ربى) أى قرب وقت اتيانه بالقيامة (جعله) أى هذا البناء (دكا) أى مسوى بالارض (و) هو وان كان مستبعدا لكنه (كان وعد ربى حقا) فلا تبعد حقية ما هو من علاماته (و) انما كان دكه من علامات الساعة لانه سبب خراب العالم اذ (تركنا بعضهم) أى بعض يأجوج ومأجوج (يومئذ) أى يوم اذ دكه (يموج) أى يختلط (فى بعض) مما وراء الروم فهو معيد لافسادهم بل هو أشد منه فهو سبب خراب العالم وهو مستدع لاتصاف المظلومين من الظالمين (و) لاستدعائه اجتماع الخصوم (نفخ فى الصور) عقيب ذلك (فجمعناهم) فيه (جمعا) روحانيا (و) للاتصاف الروحانى هناك (عرضنا جهنم يومئذ) أى يوم اذ تجتمع أرواحهم فى الصور على كل ظالم سيما (للكافرين عرضا) غير عرضها فى القبر بطريق التفصيل ولا فى القيامة بطريق الاحساس بل بطريق عقلى مخصوص لانكشاف الحجاب الجسمانى بالكلية يوم اذ هم (الذين كانت أعينهم فى غطاء) من العلم الحقيق أو الخيالى

مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذى تشعل بها النار ويعين الحطب الكبار على اتقاد النار ويقال الشيعة الاتباع

من جميع أمور دينى (عن ذكرى) اذ زعموا انه لا يمكن ذكر من تصوره بالقلب ولا يتصور المنزه (و) أعين غيرهم وان كانت فى غطاء كان لهم سماع وهؤلاء (كانوا لا يستطيعون سمعا) لذكر المنزه حتى يتلقنوه فاضطروا الى عبادة المظاهر (أ) يعتقدون انهم لم يظلموا أنفسهم بعبادة المظاهر (فحسب الذين كفروا) أى ستروا كمال الحق باعتقاد ظهوره وكماله فى هذه المظاهر بفوزوا (أن يتخذوا عبادى) الذين لا يكون لهم ظهور فيهم الا بحسب استعداداتهم ولا يستعدون لظهور كمالى لكونهم (من دونى أولياء) أى أحبابا يحبون لكونهم مظاهر كمالى وهو موجب لاعتقاد النقص فى كمالى الموجب لغضبى (انا أعتدنا جهنم للكافرين) باعتقاد النقص فى (نزلا) أعددناه لهم ليعرض عليهم أول ما يرجعون اليه وان زعموا انه يرجعهم الى محبوبهم فان زعموا أنا انما عبدنا المظاهر لتضمنها عبادة الله والله تعالى يجزينا على هذا القصد وان أخطأنا فيه (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) هم (الذين ضل سعيهم) باعتقاد النقص فى الله اعتقادا لا يعود الى الكمال لوقوعه (فى الحيوة الدنيا) الموضوعة لتحصيل الاعتقادات والاعمال الصالحة فاذا فات فيها لا يمكن تداركه أبدا (و) لا يتداركون ذلك فى الدنيا اذ (هم يحسبون انهم يحسنون صنعا) اذهم يعتقدون انهم يعبدون ربهم ويعرفونه بهذه المظاهر (أولئك) وان لم يكفروا بهذه العبادة ولم يشعروا بها فلا شك انهم (الذين كفروا بآيات ربهم) التى جاءتهم بها رسلهم لينهوهم عن عبادة هذه المظاهر وعن اعتقاد تقيده بصورة ولو قبلت عبادة المظاهر فانما تقبل ممن اعتقد الرجوع اليه وهؤلاء كفروا بالرجوع اليه (ولقائه) فان كان لهم عمل صحيح باعتبار عبادة المظاهر فهذا الانكار مبطل له (فحبطت أعمالهم) على تقدير صحتها وهى وان كانت عظيمة عندهم مفيدة للكشوف والاحوال (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) لانها انما اعتبرت فى عالم اللبس لا فى عالم الكشف التام بل (ذلك) العمل وان توهموا تقربهم به الى الله لما أفادهم من الكشف عن بعض الامور فهو سبب بعدهم عنه لان كشفهم كان حجابا لهم عن الله فلذلك (جزاؤهم جهنم) بجعلهم فى غاية البعد لا بانهم عملوا للتقرب اليه بل (بما كفروا) باعتقاد النقص فى الله (و) لم يكفروا بذلك فلا شك انهم كفروا حيث (اتخذوا آياتى) المانعة عن عبادة المظاهر الداعية الى عبادة المنزه (ورسلى) القائلين بها (هزوا) والاستهزاء بآيات الله ورسله استهزاء بالله موجب لمقته وشدته (ان الذين آمنوا) بانه له أقصى الكمالات (و) حصلوا الانسهم ما أمكن منها بأن (عملوا الصالحات) فهم وان لم يتصوروا من علوها وان لم يحصل لهم فى الدنيا بها كشف (كانت لهم جنات الفردوس) التى هى أقرب الجنان من عرش الرحمن لقربهم من الله بتحصيل ما أمكنهم من الكمالات الموجبة مناسبتهم له المقتضية محبته فاذا رجعوا اليه أكرمهم بها (نزلا) وهو وان جرت العادة بقطعه عند الاقامة فهو لكونه عطاء الله لاحبابه غير منقطع فيكونون (خالدين فيها) وهو وان كان فى بعض الاحيان أدنى فهو لكونه من نهاية الكمال لمن ناسبه فى كماله يكون فى غاية الكمال

من قولهم شاعك كذا أى اتبعك ومنه شاعكم السلام (قوله عز وجل الشعرى) كوكب معروف عبده ناس من الجاهلية

فهم وان كانوا الايزالون يرتقون فى مراتب الكمالات (لايبغون عنها حولا) لاشتمالها على مالايتناهى من مراتب الكرامات فان طلبوا لهذا العطاء المشتمل على مالايتناهى من الفضائل مثالا (قل) مثاله القرآن المشتمل على مالايتناهى من العلوم فانه (لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) أى لكتابة مايفهم منها (لنفد البحر) لكونه متناهيا (قبل أن تنفد كلمات ربى) أى مفهوماتها لكونها غير متناهية فلا تنفد بنفاد المتناهى (ولو) ضم اليه متناه آخر بأن (جئنا بمثله) أى ببحر آخر مثله (مددا) لهذا البحر فان ضم المتناهى الى متناه آخر لايجعله غير متناه ليوازى به غير المتناهى فان زعموا ان هذا القرآن كلام مثل كلامنا فلو كانت مفهوماته غير متناهية لكانت مفهومات كلامنا كذلك (قل) يجوز أن يختص أحد المثلين بفضائل لاتوجد فى الآخر (انما أنا بشر مثلكم) وقد تميزت عنكم بفضيلة الوحى (يوحى الى) ماهو جامع للكمالات والكمالات يجوز أن تجتمع فى واحد فان من جملة مايوحى الى (انما الهكم اله واحد) فكيف لاتجتمع فى هذه الكثرة سيما فى ناسبه ومناسبة كلامه أقرب من مناسبة البشر والبشر تناسبه بالأخلاق الحاصلة من الأعمال الصالحة فيكاشف بكمالاته (فمن كان يرجو لقاء ربه) بمكاشفة كمالاته ولو فى ضمن كلماته (فليعمل عملا صالحا) يفيد تصفية القلب وتزكية النفس (ولايشرك بعبادة ربه) فى باب

الأعمال والعلوم والأخلاق (أحدا) من المدح وتحصيل المال

والجاه فانهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب

العالمين والصلاة والسلام على سيد

المرسلين محمد وآله الكرام

البررة أجمعين

آمين

م

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى أوله سورة مريم)

يعيد ومنها قوله عز وجل شيبا جمع أشيب وهو الابيض الرأس